

ص: ١

الجزء الأول

ص: ٧

تصدير

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على عبده المصطفى محمد و آله الطاهرين، و أصحابه الخيار الميامين.

المعصومون قدوات لا تجد عنهم البشرية بدلاً، و هي إن رامت بلوغ ذرى الكمال الشامخ، فلا غنى لها عن الاقتداء بهم و التأسي بسيرتهم. فأفعالهم و أفعالهم تنم بكل معنى الكلمة عن أمر نبيل و سام، و أفكار رفيعة في مسار الحياة المثالية و المنشودة.

و الذى بين أيدينا من هذا التراث فى الوقت الحاضر، عبارة عن أحاديث تمثل سنّة المعصوم. و مع أنّ الحديث- حسبما يفيد معناه اللغوى على الأقل- يتجسد فى كثير من الحالات بصورة نقل أقوال و كلمات المعصوم، بيد أنّ ما كتبه المعصومون يمثل هو الآخر أحاديث يُنظر إليها باعتبارها شيئاً مكتوباً لأقوالهم، أو تُعدّ نوعاً آخر من أفعالهم، و لكنّها على كلّ حال تعبّر عن سنّة المعصوم، و يمكن إخضاع هذا النوع من الأحاديث التى وصلتنا على شكل مكاتيب، للبحث و الدراسة من أوجه شتى، إذ يمكن من جهة تعرّف طبيعة الأجواء السياسية و الاجتماعية و الثقافية لعصر المعصوم من خلال دراسة هذه المكاتيب، و يتسنى من جهة أخرى معرفة أسلوب الحكم و طرق نشر الثقافة، من بين ثانياً بعض هذه المكاتيب. و من جهة ثالثة يتاح لنا أن نستشف من تلك المكاتيب العامّة للمعصومين لمحات نيرة خالدة وجهوها إلى شيعتهم فى مواقف شتى.

و من الطبيعى أن يؤدى الاطلاع على الوثائق المكتوبة التى خلفها لنا المعصومون،

ص: ٨

إلى تسليط مزيد من الضوء على الكثير من تعاليم مدرسة الأئمة، و يُتيحّ التعرف عليها بشكل أفضل.

و فى ضوء ما سبقت الإشارة إليه، فقد بادر المرحوم آية الله الشيخ على الأحمدي الميائنجى إلى جمع مكاتيب المعصومين- رغم ما تحمّله فى هذا السبيل من عناء و مشقة- و دوّن إلى جانب كلّ مكتوب معلومات قيّمة عنه. فرفد بعمله هذا ميدان البحث و التحقيق، بمصدر غنى فى هذا المجال.

سبق لسماحة الشيخ الأحمدي الميانجي أن انتهى منذ سنوات خلت، من تدوين كتاب **مكاتب الرسول صلى الله عليه و آله**، و طبع هذا الكتاب في إيران و لبنان عدّة مرّات، و حظى باهتمام الباحثين.

و ها هو كتاب **مكاتب الأئمّة عليهم السلام** يوضع اليوم- و في أعقاب رحيل سماحته- قيد الإعداد و النشر. فيا ليتة كان حاضراً بيننا ليشهد عن كثر جنى ثمار أتعابه، و إنّ كانت روحه ستنعم بالسرور قطعاً لإسداء هذه الخدمة.

لقد بذل المؤلف غايةً وسعه في إعداد و تدوين هذا الكتاب، و لكنه مع ذلك بقي بحاجةً إلى المراجعة من جديد، و الإكمال و التبويب بشكل يتناسب مع مستجدّات العصر الحاضر، و ما تتوفر فيه من الإمكانيات. و انطلاقاً من ذلك فقد أنجزت هذه المهمة تحت إشراف نجل المرحوم، فضيلة حجّة الإسلام و المسلمين مهدي الأحمدي الميانجي، و بجهود فضيلة حجّة الإسلام مجتبي فرجي.

و هنا نوذّ الإعراب عن جميل شكرنا لهذين الرجلين الفاضلين، و لكلّ الزملاء العاملين في مركز بحوث دار الحديث، ممّن كانت لهم إسهامات في مختلف مراحل إعداد هذا الكتاب، مع الدعاء للمرحوم بالرحمة و المغفرة، و نسأل الله دوام التوفيق لكلّ من أعان على إخراج هذا الكتاب إلى النور.

محمد كاظم رحمان ستايش معاون الدراسات و البحوث في مركز بحوث دار الحديث

ص: ٩

المقدّمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا و ما كنا لنهتدي لو لا أن هدانا الله، و صلى الله على سيّد المرسلين، و خاتم الأنبياء محمد، و أهل بيته الطيّبين الطاهرين، الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً.

نبذة من سيرة آية الله الميرزا عليّ الأحمدي الميانجي رحمه الله

ولادته

ولد سماحة آية الله الميرزا عليّ الأحمدي في الرابع من شهر محرم الحرام، عام ١٣٤٥ هـ، المصادف للثالث و العشرين من شهر تير لعام ١٣٠٥ هـ. ش. في قرية بورسخلو، على مسافة أربعة فراسخ من مدينة ميانه.

أسرته

نشأ المُترجم له في اسرة علمية، و كان والده حجّة الإسلام المآ حسين عليّ، من علماء الدين في تلك المنطقة، و كان قد تربى هو الآخر في اسرة علمائية. و كان يمارس مهمّة التبليغ و إرشاد الناس، و يعتاش على عمله في الزراعة^١.

ص: ١٠

دراسته

بعد انقضاء عهد طفولته، تعلّم الميرزا عليّ الأحمدي الميانجي القراءة و الكتابة على يد والده، و درس على يده أيضاً كتباً مثل: نصاب الصبيان، و گلستان (روضة الورد)، و منشآت قائم مقام، و تاريخ جهانگشاي نادري.

و في عام ١٣٥٨ هـ توجه من قريته إلى ميانه، و حضر درس الشيخ أبي مُحَمَّد حجّتي، و درس على يده الأدب العربي^٢.

و درس عنده أيضاً حاشية المآ عبد الله، و معالم الاصول، و شرح اللّمع، و أجزاء من القوانين على يد الميرزا أبي محمد حجّتي. و درس أيضاً على يد الشيخ لطف عليّ الشريفي الزنوزي، و الحاج الميرزا مهدي جديدي. و كان للميرزا لطف عليّ الزنوزي أثر كبير في حياته، و بلورة شخصيته، و دراسته و مسيرته.

هاجر مدة من الزمن إلى تبريز، و مكث فيها عدّة أشهر، و بعدها توجه في شهر ذي القعدة من عام ١٣٦٣ هـ (١٣٢٣ هـ ش.) إلى قم، و حضر درس آية الله السيد حسين قاضي الطباطبائي، و آية الله أحمد كافي الملك، و آية الله المرعشي النجفي. ثم شارك في دروس مرحلة البحث الخارج في الفقه و الأصول و التفسير، لسماحة آية الله العظمى البروجردي، و آية الله مُحقق الداماد، و آية الله الكلپايگاني، و آية الله الميرزا هاشم الآملي، و العلّامة الطباطبائي. و كان يبحث ما يتعلّمه من الدروس مع آية الله عبد الكريم الموسوي الأردبيلي، و آية الله السيد إسماعيل الموسوي الزنجاني.

و ممّا قاله في ذكرياته: ليست لديّ إجازة في الاجتهاد، و لا إجازة نقل الحديث. و كان منهجي لا يحمل أيّة خصائص بارزة. فلم أهتم بالحصول على الإجازة، و لم افكر في استحصالها من أساتذتي، و كنت احدث نفسي و أقول: إن كان لديّ علمٌ فنعماً، و إن لم يكن، فالمرء لا يكتسبه من خلال استحصال ورقة يكتبها شخص^٣.

ص: ١١

تدرسه

كان لآية الله الأحمدي الميانجي رحمه الله حضور في الحوزة العلمية في قم المقدّسة، على مدى ستين سنة. و إلى جانب الدراسة، كان في تلك السنوات يدرّس الفقه، و الأصول، و الأخلاق، و يسعى جاهداً في نشر علوم أهل البيت عليهم السلام. كانت لديه مهارة يندر مثيلها في تربية تلاميذه، و كان تدرسه في المراحل العليا- خاصة تدرسه لمكاسب الشيخ

^١ (١). سيمای ميانہ (معالم ميانہ)، ص ٢٠٨.

^٢ (١). صحيفه جمهوري اسلامي، ٢٦ / ٦ / ١٣٧٩ هـ ش.

^٣ (٢). خاطرات آية الله أحمد الميانجي، إصدار مركز أسناد انقلاب إسلامي (مركز وثائق الثورة الإسلامية)، ص ٨٦.

الأنصاري- لذيذاً و محبباً إلى القلوب. و كانت دروسه الأخلاقية في المدارس العلمية، و في الأوساط الثقافية و الجامعية، و في مسجده في شارع إرم في قم، تثير الشغف لدى مستمعيه، و كثيراً ما تؤثّر فيهم و تجعلهم يذرفون الدُموع، إذ كانت الموضوعات التي يختارها لمحاضراته جذابة جداً، و نذكر من بينها:

شرح خطبة همام، و شرح دعاء مكارم الأخلاق، و شرح دعاء أبي حمزة الثمالي.

كان فقيهاً و مجتهداً بلا ادعاء، و اقتصر حتى آخر عمره على تدريس المستويات العليا من دروس الكفاية و المكاسب. و كان يقول في ردّ طلبات تلاميذه و محبيه الذين كانوا يحثّونه على تدريس مرحلة الخارج، و كتابة رسالة عملية: توجد رسائل عملية و دروس بحث خارج بالقدر الكافي- و الحمد لله- و ليس هناك حاجة لتدريسي للبحث الخارج، و لا لرسالتى العملية، يمكنكم الرجوع إلى شخص آخر من آيات الله.

بحوثه و مؤلفاته

إلى جانب انشغال آية الله الأحمدي بتدريس الدروس الحوزوية، كان يهتم أيضاً بالبحث و التأليف. و أكثر مؤلفاته مبتكرة و جديدة في موضوعها، و قد سدّت فراغاً واضحاً بين كتب الشيعة، نذكر المطبوعة منها:

١. مكاتيب الرسول صلى الله عليه و آله: و هو كتابه النفيس، الذي قال في مقدمته: «هذا الكتاب حصيلة عمري». قامت مؤسسه دار الحديث الثقافية بإعادة النظر في هذا الكتاب، و تنقيحه و طباعته في أربعة مجلدات عام ١٣٧٧ هـ ش.

٢. مواقف الشيعة: و يتضمن مناظرات و بحوثاً أجراها علماء شيعة بارزون، مع علماء من

ص: ١٢

أهل السنة، و نشر من قبل مؤسسه النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم المقدسة.

٣. مالكييت خصوصي در اسلام (الملكيّة الخاصّة في الإسلام) في مجلدين.

٤. السُّجود على الارض.

٥. التبرّك.

٦. الأسير في الإسلام.

٧. مكاتيب الإمام الرضا عليه السلام.

٨. ظلامه الزهراء؛ إزاحة الارتباب عن حديث الباب.

٩. تحقيق كتاب «معادن الحكمة» لعلم الهدى.

١٠. كتاب «عقيل بن أبي طالب رحمه الله».

١١. مكاتيب الأئمة عليهم السلام:- و هو هذا الكتاب الذى بين يديك، و تؤلف مكاتيب الإمام على بن أبى طالب عليه السلام قسماً مهماً منه.

و إضافة إلى هذه الكتب، نشر المرحوم الميانجى أيضاً مقالاتٍ فى مختلف المجلّات فى البلاد.

تفسيره للقرآن

كان آية الله الميانجى و جماعته من كبار رجال الحوزة العلمية يعقدون مجالس للتباحث فى تفسير القرآن. و استمرت هذه المجالس التى كانت تعقد اسبوعياً، أكثر من خمسين سنة.

و كان يحضرها كلٌّ من آية الله السيد موسى الصدر، و آية الله السيد موسى الشبيري الزنجاني، و المرحوم آية الله السيد مهدي الروحاني، و آية الله السيد أبو الفضل مير محمّدى، و قد قال آية الله الأحمدي الميانجى عن تلك المجالس:

ص: ١٣

كان من خصائص بحثنا التفسيري أنه لم يكن عن كتاب معين، و إنما كان كلُّ واحد منّا يطالع مصادر شتى فى داره، و يأتي إلى المجالس ليقرأ على مسامع الآخرين خلاصة ما طالعه. و كلٌّ من يقرأ بحثه كان يتعرّض لموجة من الإشكالات التى يثيرها ضده الآخرون. و كان يردُّ عليها، أو ربّما يعجز عن الردّ. و كنتُ أنا ألخص حصيلة ما استفدناه منها، و أقول: «من فوائد مجلسنا التفسيري هذا، أن آيات الله المحكمه تغدو فيه متشابهة!» و كان كلامي هذا يحمل طابع المزاح؛ فقد كان السادة الحاضرون يعرضون إشكالات و تدقيقاً إلى الحدّ الذى يؤدّى بالشخص إلى التخلّى عن الرأى و الاحتمال الذى تكوّن لديه أثناء المطالعة.

صفاته

١. الإخلاص: كان عطر الإخلاص يفوح من جميع حركاته و سكناته، و كان باستطاعته الجميع استنشاق ذلك العطر. فقد كان سماحته يضع الله نصب عينيه فى كلِّ عمل، متحرزاً عن الأهواء و الهواجس الشيطانية. و كان يتجنّب بشدة جميع صور الرياء و التظاهر فى ميدان العلم، و فى ميدان مكارم الأخلاق، على حدّ سواء.

٢. التقوى: ما كان يعتبر الانطوائية و العزلة من التقوى فى شىء. بل كان يرفض الانطوائية، و يجسّد التقوى بمعناها الإيجابية، الذى يعنى العيش بين الناس و فى الوسط الاجتماعى، و خدمة الناس و الدين.

٣. الإيمان بولاية الفقيه: كان شديد الاعتقاد بولاية الفقيه المطلقة، و الامتثال لها و للأحكام الحكوميه. و كان يرى وجوب الالتزام حتّى بالقوانين و التعليمات العاديه، و يقول: إذا خالف أحد التعليمات المروريه، و لم يكن هناك شرطىّ يفرض عليه غرامه، يجب أن يبادر هو من تلقاء نفسه إلى دفع الغرامه المقرره الى خزينه الدوله.

٤. العباده: كان ينهض من النوم قبل ساعتين من أذان الفجر، للتهجد و الدعاء و التضرع إلى الله.

و لكنّه كان يقوم بهدوء؛ لكي لا يزعج أفراد أسرته و يوقظهم من النوم. و كان يُعرّف الرياضه بأنّها: أداء الواجبات و ترك المحرّمات. و يوصى بالاعتدال فى كلّ الامور، حتّى فى العباده و فى زيارة قبور الأئمّه.

ص: ١٤

٥. خدمه الناس: كانت لديه رغبه عميقه فى تقديم ما يمكن من خدمه للناس، و لم يكن يشعر بالكلل و الملل من كثرة المراجعين، بل بالعكس كان يستقبلهم بكلّ ود، و يعمل جهد استطاعته لحلّ مشاكلهم، و حتى إذا رنّ جرس الهاتف أثناء تناوله الطّعام أو أثناء نومه، ما كان يتوانى عن الجواب.

٦. قطع الرجاء من الآخرين: لم يكن يرتجى شيئاً من أحد، و لا حتّى من أولاده، و أصهاره، و زوجات أبنائه، و إنّما كان يقول لهم: لا تستشيرونى فى اموركم، و اعلموا أنّ زمانكم يختلف عن زماننا؛ فإذا أشرت عليكم بما يصعب عليكم عمله، أو يتعارض مع رغباتكم، فاعملوا حسب مشيئتكم. و أنا لا أرتجى منكم ما هو أكثر من ذلك.

٧. الحضور فى جبهات الحرب: لم يكتف آية الله الأحمدي فى حياته بارتياح المدرسه و المسجد و اعتلاء المنبر، بل كان - أثناء الحرب الدفاعيه التى خاضتها الجمهوريه الاسلاميه الإيرانيه ضدّ الهجوم العراقى - يتوجّه إلى جبهات الحرب مرتين فى كلّ سنه، و يتفقد الخطوط الإماميه لجند الإسلام، و يحثّهم على الجهاد فى سبيل الله و طاعة الولي الفقيه.

عطاؤه الاجتماعى، و الثقافى، و السياسى

للمرحوم الأحمدي عطاء وافر نشير منه إلى أعماله التاليه:

تأسيس جمعيه الدين و العلم فى مدينه ميانه، و تربيه مئات الشباب فيها، و إقامة دورات للمعارف الإسلاميه فى تلك المدينه، إضافة إلى إيجاد صندوق «مهديه» للقرض الحسن، و إنشاء مؤسسه نسويه لحياكه السجّاد فى تلك المدينه.

و فى عام ١٣٧٠ هـ. ش. أسس بالتعاون مع جماعه من علماء الدين الحريصين، جمعيه فى مدينه قم اسمها: الجمعيه الإسلاميه للناصحين. و أخذت هذه الجمعيه، التى انضوى تحت لوائها ثلاثه آلاف شخص، تمارس مهام النصح و الإرشاد و الأمر بالمعروف، و النهى عن المنكر، بالكلام الطيب.

و سماحه الشيخ الميانجى - رحمه الله - أحد الأعضاء المؤسسين لصندوق علوى للقرض

الحسن في قم المقدّسة، و ينشط هذا الصندوق في مجال تلبية الاحتياجات الماديّة للفقراء و المحرومين.

تأسست جمعية الزهراء الخيرية عام ١٣٦٩ هـ ش، باقتراح و مشاوره عدد من أساتذة الحوزة العلمية في قم، و عدد من المحسنين، و كان منهم المرحوم سماحة آية الله الأحمدى الميانجى، و المرحوم آية الله السيّد مهدي الرّوحانى.

و منذ انطلاق النهضة الإسلاميّة، و اكب المرحوم بنشاطه خطوات الإمام الخميني و الشّعب الثورى. و فى أعقاب انتصار الثورة، لم يبتعد لحظة واحدة عن وقائع البلاد المهمّة، و كان يحرص على العمل بواجبه الإسلامى. كان لحضوره فى جبهات الحرب على مدى ثمان سنوات من الدفاع المقدّس، تأثير فى تأجيج الرّوح القتاليّة فى نفوس جنود الإسلام، و قدّم ولده الشهيد جعفر الأحمدى، فى سبيل الدّفاع عن حياض الإسلام.

وفاته

و أخيراً حلّقت روحه النبيلة نحو عالم الخلود، يوم الإثنين ٢١ / ٦ / ١٣٧٩ هـ ش، بعد «٧٥» سنة قضاه فى التّقوى و السّعى لتحقيق الأهداف السامية للرسول و أهل بيته. و دفن جثمانه الطاهر فى حرم السيّدة المعصومة، فى مدينة قم المقدّسة.

وصيّته

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على نعمائه و آلائه، و صلى الله على محمّد سيّد الأنبياء و آله المعصومين، و اللّعن على أعدائهم أجمعين.

اللهم كن لوليّك الحُجّة بن الحسن، صلواتك عليه و على آبائه، فى هذه السّاعة و فى كلّ ساعة، وليّاً و حافظاً، و قائداً و ناصرأ، و دليلاً و عيناً، حتى تسكنه أرضك طوعاً، و تمتّعهُ فيها طويلاً، و ... أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، و أشهد أن محمداً عبده و رسوله، أرسله بالهدى ليظهره على الدين كلّّه و لو كره المشركون. و أشهد أن ما جاء به حقّ، و أن أمير المؤمنين

على بن أبى طالب، و الحسن، و الحسين، و على بن الحسين، و محمّد بن علىّ، و جعفر بن محمّد، و موسى بن جعفر، و على بن موسى، و محمّد بن علىّ، و على بن محمّد، و الحسن بن علىّ، و الحجّة بن الحسن أوصياؤه، و هم الأئمّة المعصومون، و خلفاء الله تعالى فى أرضه، تجب طاعتهم، و أنّ مَنْ و الاهم فقد و الى الله، و من عاداهم فقد عادى الله. و أشهد أنّ الموت حقّ، و سؤال المَلَكين، و عذاب القبر و نِقْمَةُ حقّ، و أنّ القيامة حقّ، و الجنّة حقّ و النار حقّ، و أنّ الله يبعث من فى القبور.

كتبت هذه الكلمات المعدودة كوصية في يوم الأحد، السادس من شهر رجب ١٤٢٠ هـ، المصادف ٢٤ من شهر مهر ١٣٧٨ هـ ش. عند ما كنت متوجهاً إلى زيارة بيت الله الحرام، و رسول الله صلى الله عليه و آله، و فاطمة الزهراء (عليها السلام)، و الأئمة الكرام سلام الله عليهم أجمعين، و هذا نصها:

١. يجرى العمل وفق الوصية التي كتبتها سابقاً، و هي موجودة في الدرج الحديدي الذي اشتراه جعفر، إلا إذا كان هناك مخالف.

٢. ليس لديّ من مال الدنيا شيء أوصى به. هناك فقط الدار السكنية، و هي تبقى و ما فيها من مستلزمات و أدوات منزلية، تحت تصرف زوجتي ما دامت على قيد الحياة.

٣. بعض وسائل الدار من سجّاد و غيره، ملك لزوجتي، و يجرى العمل فيه وفقاً لقولها.

٤. إن لم تستطع سكن الدار بمفردها، لها أن تحوّل الطابق الثاني إلى غرف و هول، و تؤجّره لمن ترتضيه، و ترتاح له، ليكون لها عوناً على نفقتها.

٥. من بعدها يمكن للورثة تقسيم الدار كيفما يشاؤون.

٦. تكون كتبي موضع استفادة من بعدي. فإن كان هناك من أولادي و ورثتي أحد من أهل العلم، فله الاستفادة منها، و إن لم يكن بينهم أحد من أهل العلم - لا سمح الله - تُهدى إلى إحدى مكاتب الحوزة العلمية في قم، أو المدرسة الفيزية، أو مكتبة آية الله المرعشي رحمه الله عليه، لتكون لي من الباقيات الصالحات.

٧. على الورثة أن يتصرفوا بشكل لا يزعج والدتهم، و يكونون - بإذن الله - متديّنين و ملتزمين، و لا تقع بينهم مصاعب و إزعاجات.

ص: ١٧

٨. أودّ أن يكون هناك دائماً واحد أو أكثر من أبنائي مكباً على اكتساب العلم. و قد دعوت الله أن لا يقطع من ذريّتي العلم و العلمائيّة، إنّه قريب مجيب.

٩. توضع كتبي التي لم تطبع بعد، تحت تصرف المؤسسات، لكي تُنظّم و تُحقّق و تُطبع.

١٠. كلّ ما يعود من حقوق الطبع و النشر، يوضع تحت تصرف زوجتي لتنفقه على نفسها، أو تخصصه لمورد إنفاق معيّن.

١١. تُجمع كتاباتي التي تُعتبر حصيلة عمري لتكون موضع استفادة.

١٢. إذا رجعت من هذا السفر سالمًا، و متَّ في إيران، أَدفن في أرض قم. و حيثما أَدفن من قم، فإنني في حِمى السيِّدة المعصومة، و أودَّ أن ادفن في مقبرة «الشيخان» على الأقل.

١٣. اطلبوا لى العفو من الناس في أقرب فرصة بعد دفني، و خاصة في ميانه و قم، و من الأصدقاء الذين هم أعلام الأمَّة و هُدايتها، و من أهالي بورسخلو حيث قضيتُ عهد الطفولة هناك، و من المؤكَّد أنَّ احتمالات الزلل كثيرة في ذلك العهد.

١٤. اجتنبوا مظاهر البهرجة و التفاخر عند موتي، هذه الامور تمثّل في حقيقة الحال كماليات الأحياء. و لا تكلفوا أنفسكم مشقَّة الأعراف الجارية بين الناس.

١٥. لا تنسوني في مواضع استجابة الدُّعاء، و اذكروني بالاستغفار و الدعاء، و أقيموا مراسيم العزاء في الأيام الفاطمية ما استطعتم.

١٦. لتكن علاقتكم مع بعضكم علاقة ودِّ و تراحم و تواصل، فالدنيا لا تستحقُّ التشكِّي و التنازع و التباغض. الدنيا لا تساوى شيئاً حتى توقعوا أنفسكم من أجلها في ما لا يُرضى الله. فإن أطلال الله في عمري و رجعت إليكم حيًّا، فسأكتب لكم إن شاء الله شيئاً، رغم قناعتى بكفاية ما كتبه غيري من العلماء الأعلام. و أوصيكم باحترام الكبار و خاصَّة الحاج مهدي الذي هو في مكاني، و لا تنسوا الشَّفقة على الصَّغار و الرأفة بهم.

١٧. أوصيكم بالتقوى و اجتناب المعاصي. و أدعوكم إلى أن توطّدوا ارتباطكم بأهل البيت عليهم السلام يوماً بعد يوم. و توسلوا بهم على الدّوام، و لو بقراءة الزيارة الجامعة، أو زيارة أمين الله، أو

ص: ١٨

زيارة عاشوراء. أشكو إليهم همومكم، و توسلوا بهم، و لا تطرقوا باباً غير بابهم، و كونوا على صِلَةٍ دائمة بالإمام المهدي عليه السلام.

١٨. و في الختام أستودعكم الله جميعاً. لقد كنت على الدّوام حريصاً على سعادتكم و قضاء حوائجكم، و لم تغيبوا عن بالي في الدُّعاء. و سأدعو لكم بالخير في عالم الآخرة أيضاً، إن شاء الله تعالى.

والدكم المقرّ بالذنب

على الأحمدي الميانجي

١٣٧٨ / ٧ / ٢٤ - ١٤٢٠ / ٧ / ٦ هـ

- الأموال التي في حسابي في صندوق علوي للقرض الحسن، و في بنك صادرات، شُعبة خاك فرج في الحساب رقم ١٤٦٨، و رقم ٧٤٢٦٨، هي سهم الإمام (ع).

الكتاب الذى بين أيديكم

وقعت فى العصر الذى عاش فيه الأئمة عليهم السلام أحداث جسيمة، و تقلّبت الأحوال، و ترّبع على كرسى الخلافة اشخاص، و سقط عنه آخرون، و قامت دول و انهارت اخرى، و اتّسعت رقعة الدولة الإسلامية، و تمدّد تبعاً لذلك وجود الشيعة فى شتى الأقطار و الأمصار. و عاشوا ظروفًا سياسية و اجتماعية تباينت درجات شدتها و ضعفها، و تنوع جوّ الانفتاح أو الكبت الذى ساد فيها تبعاً لتلك الظروف.

فكان من الطبيعى أن تؤثّر هذا الأوضاع فى علاقات الأئمة عليهم السلام، و تشعباتها و امتداداتها وسعتها و ضيقها. و كانت مكاتبات الأئمة مع أشياعهم و مواليهم من جملة الأشياء التى تأثّرت بهذه المتغيّرات؛ فقد ازدادت فى حين و تقلّصت فى أحيان اخرى، أو أنّها كان يغلب عليها طابع الخفاء و السريّة فى بعض العهود، أو ربّما كانت أفضل من ذلك الحال فى عهود اخرى.

و نظراً إلى ما تحظى به هذه المكاتيب من أهمية بالغة فى تبيين مواقف الأئمة تجاه الوقائع و الأحداث الجليّة و غيرها و التعرف على سننهم فيها و منهجهم فى التعامل معها، قام المحقق

ص: ١٩

الجليل آية الله الشيخ على الأحمدي الميانجى بإعداد موسوعة ضخمة تضم جميع ما وصل إلينا منها، و هى هذا الكتاب الذى بين أيديكم.

و بعد رحيله قمنا بتحقيق هذا الكتاب و مراجعة نصوصه و إعداده للطبع كما سنشير لاحقاً.

على العموم نودّ الإشارة إلى أنّ بعض مكاتيب الأئمة كانت قليلة جداً- أو هكذا يبدو لنا، فلربّما كانت هناك مكاتيب اخرى عفا عليها الزمن أو ضاعت فى ما ضاع من تراثنا- حتى أنّنا جمعنا مكاتيب عدّة أئمة فى مجلّد واحد، بينما مكاتيب بعضهم الآخر كثيرة إلى حدّ ما، و هذا ما جعلنا نفرّد مجلداً مستقلاً لمكاتيب إمام واحد.

و لا بدّ أيضاً من الإشارة إلى ملحوظة صغيرة اذكّر بها من يقرأ هذه الكلمات، و هى أنّ جمع و تبويب و طباعة و نشر أمثال هذه الكتب و الرسائل ما هو إلا وسيلة، و أمّا الغاية فهى الاستفادة من مضامينها و العمل بما جاء فيها حتّى و إن قلّ، و كيف يقلّ ما يُتقبّل. يضم هذا الكتاب كلّ ما أمكن العثور عليه من رسائل و مكاتيب الأئمة المعصومين عليهم السلام فى مختلف الشؤون التى كانوا يهتمون بها، سواء كانت تتعلّق بشؤون الدين أم بشؤون الدّنيا.

و قد حرصنا أشدّ الحرص على جمع كلّ ما تيسّر جمعه من مكاتيبهم، رجاءً للفوائد المعنوية التى تنشأ عن نشرها، فعسى أن يتعظ أحد بموعظة جاءت فيها، أو عسى أن يستنير مستهد بوهج قيس من قبساتها، أو يتخلّق امرؤً بنصيحة وردت بين ثناياها، أو يستفيد منها فى مجال الدراسات التاريخية و غيرها.

و حاولنا تبويب هذه المكاتيب على أفضل وجه ممكن؛ من أجل أن تظهر بما يتناسب مع شرف مصدرها، و تسهيلاً لمهمّة الباحث و القارئ، لكي يصل إلى بغيته منها بأقل جهد و أقصر وقت، و لكي لا يتشتت فكره، و يضيع في متاهات البحث و التنقيب.

و يميّز هذا الكتاب- مع أخذ عدّة خصائص بنظر الاعتبار- عن الكتب الاخرى التي جُمعت فيها هذه المكاتيب، بعدّة مزايا، هي:

١. جَمَع ما تيسّر جمعه من المكاتيب و الوصايا، و ترتيبها تحت عناوين مستقلّة.

ص: ٢٠

٢. تبويب تلك المكاتيب حسب المقاطع الزمانيّة و المكانيّة، في ضوء القرائن و الشواهد المتوقّرة.

٣. تقديم نبذة عن سيرة أصحاب و عمّال أمير المؤمنين و سائر أئمتنا عليهم السلام، خاصة من كانت له منهم صلة بشئون الكتابة؛ إذ إنّ لمعرفة سيرتهم تأثيراً مهمّاً في استجلاء ظروف و أجواء كتابة الرسائل.

٤. ذكر ما يقتضى الحال ذكره من التنبيهات و التوضيحات، من أجل تسليط الأضواء على ما يستلزم الشفافيّة و الوضوح.

٥. ضبط النصوص و إسنادها، مع الأخذ بنظر الاعتبار طبيعّة النصّ و قدّمه، و رتبهُ مصدر صدوره، و تقديمه على بقيّة المصادر، على أساس ضوابط معيّنّة سلفاً.

و في مقدّم هذه المكاتيب، مكاتيب الإمام عليّ عليه السلام، و هي تؤلّف قسماً مهمّاً منها. فإنه كان أمير المؤمنين عليه السلام قد بعث طيلة حياته، سواء في عهد خلافته، أم قبل ذلك رسائل و مكاتيب إلى بعض الأشخاص، و كان قد كتب قسماً منها بيده، و أملى القسم الآخر فكتبه غيره.

كانت هذه الرسائل- المعروفة بالمكاتيب- قد جُمعت و نشرت كُتباً من قَبَل على أيدي علماء أفاضل كالسيد الرضى رحمه الله في **نهج البلاغة**، و علم الهدى نجل الفيض الكاشاني رحمه الله في **معادن الحكمة**، و الشيخ محمد باقر المحمودى في **نهج السعادة**، و غيرهم.

اعتمد مؤلّف الكتاب على مصادر وثيقة في جمع هذه المكاتيب، و كتب أيضاً تعليقات قيّمة على كتاب **معادن الحكمة**، لمؤلّفه نجل الفيض الكاشاني.

و انطلاقاً من الرّغبة في إكمال هذا الكتاب، بادرنّا إلى الاستفادة من المجالات التي يتيحها الحاسوب لإجراء التنقيب لتتبع المزيد من رسائل و مكاتيب الأئمّة عليهم السلام، و راجعنا مصادر النصوص التي كان قد أوردها المؤلّف، و دونها في مواضعها.

و كذلك أضفنا إلى هذا الكتاب كُلَّ ما جاء في كتاب **معادن الحكمة** من مكاتيب الإمام على عليه السلام؛ ليتسنى للقراء الكرام الاطلاع على كل مكاتيبه في كتاب واحد.

ص: ٢١

يمكن تقسيم مختلف مراحل حياة الإمام على عليه السلام إلى الأدوار التالية:

الدور الأول: معاضدته لرسول الله صلى الله عليه و آله من بداية بعثته إلى رحلته.

الدور الثاني: بعد رسول الله صلى الله عليه و آله، إلى حين خلافته.

الدور الثالث: بعد خلافته عليه السلام، حتى قدومه إلى الكوفة.

الدور الرابع: من قدومه عليه السلام، إلى الكوفة إلى ما بعد معركة صفين.

الدور الخامس: من بعد معركة صفين إلى نهاية معركة النهروان.

الدور السادس: من بعد معركة النهروان إلى استشهاده عليه السلام.

و على هذا الأساس حاولنا جهد الإمكان تنظيم جميع هذا المكاتيب، وفقاً للتسلسل التاريخي لهذه الأدوار.

و أفردنا في نهاية الكتاب فصلاً آخر لمكاتيبه التي تعدّرت معرفة انتمائها إلى عهد معيّن.

و الجدير بالذكر أنّ المؤلف المحقق قد جمع المكاتيب الفقهية التي أملاها رسول الله صلى الله عليه و آله، و كتبها الإمام أمير المؤمنين على عليه السلام، و وردت في أخبار الأئمة الأطهار عبارات تشير إليها كقولهم: «إنّ في كتاب على» أو «في كتاب على» بن أبي طالب» أو «وجدنا في كتاب على» أو «قرأت في كتاب على» أو «قرأت في كتاب لعلي» أو «في صحيفه من صحف على» و أمثالها.

و قد أورد المؤلف النصوص الواصلة إلينا من هذه الكتب في الموسوعة التي اطلق عليها تسمية **مكاتيب الرسول** تحت عنوان: «الأمر الثالث»^٤ و لكنّه لم يدرج مكاتيب الإمام على عليه السلام، التي كتبها بإملاء رسول الله، في عداد مكاتيب الأئمة عليهم السلام، فمن أراد الاطلاع عليها فليراجع هناك.

تتألف محتويات هذا الكتاب من المباحث التالية:

١. المكاتيب

٤ (١). مكاتيب الرسول، ج ٢، ص ١٣٥.

ص: ٢٢

٢. الوصايا

٣. ترجمة من له علاقة بالمكتوب أو الوصية

٤. المكاتيب الفقهية

و هذا القسم الرابع من المكاتيب يبدو أول وهلة و كأن المكاتيب التي وردت فيه تبدأ من عصر الإمام الباقر عليه السلام و تتزايد في عهود باقي الأئمة عليهم السلام؛ إذ إننا لم نعثر عليها في مكاتيب الأئمة من قبله عليه السلام.

و في الختام لا بدّ أن نعرب عن جزيل شكرنا لكلّ من عاضدونا على إعداد هذا الكتاب للنشر، و خاصّة قسم إعداد الكتب في مركز البحوث، التابع لمؤسّسة دار الحديث، مع فائق امنياتنا لهم بالموفّقيّة على طريق نشر معارف أهل البيت.

مهدي الأحمدى الميانجي مجتبي فرجي

ص: ٢٣

الفصل الأوّل مكاتيبه قبل خلافته

الباب الأوّل: مكاتيبه عليه السلام في زمن رسول الله صلى الله عليه و آله

الباب الثاني: مكاتيبه عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه و آله إلى حين خلافته

ص: ٢٥

الباب الأوّل

مكاتيبه عليه السلام في زمن رسول الله صلى الله عليه و آله

يمكن تقسيم المكاتيب العلوية في تلك الحقبّة الزمنية إلى قسمين:

أ- المكاتيب التي كان الإمام عليه السلام كاتباً لها فقط.

ب- المكاتيب التي أنشأها الإمام عليه السلام بنفسه و خطّها بيده الكريمة أو أملاها على غيره.

أما القسم الأول: فهي الموارد التي كتبها الإمام طبقاً لأوامر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في الحُقب المختلفة، و بخطه الشريف و التي وصلت إلينا، و قد أوردناها مفصلاً في كتاب مكاتيب الرسول صلى الله عليه وآله؛ و هذا النوع من المكاتيب خارج عن موضوع هذا البحث كما لا يخفى، و لذا آثرنا عدم ذكرها هنا، و يمكن لمن أراد مطالعتها الرجوع إلى ذلك الكتاب.

و أما القسم الثاني: فتجدر الإشارة إلى أنه لم يصل إلينا شيء معتد به، سوى ما جاء في بعض المصادر من عناوين لبعض المكاتيب، إلا أنها تفتقر إلى نص الكتاب أو إلى النص الكامل له.

ص: ٢٦

و قد ارتأينا أن ننقل هاهنا شاهدين تاريخيين كنموذجين لما ذكرنا، دون أن نبذل كثير تتبع في هذا المجال.

النموذج الأول:

في توجيهِ رسول الله صلى الله عليه وآله سرية علي بن أبي طالب إلى اليمن في رمضان:

عن البراء بن عازب: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام، فكنت فيمن سار معه، فأقام عليه ستة أشهر لا يجيبونه إلى شيء، فبعث النبي صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب، وأمره أن يُقفل خالداً و من معه، فإن أراد أحد ممن كان مع خالد بن الوليد أن يُعقب معه تركه.

قال البراء: فُكُنْتُ فِيْمَنْ عَقَّبَ مَعَهُ، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَى أَوَائِلِ الْيَمَنِ، بَلَغَ الْقَوْمَ الْخَبْرَ، فَجَمَعُوا لَهُ، فَصَلَّى بِنَا عَلَى الْفَجْرِ، فَلَمَّا فَرَغَ صَفَّقْنَا وَاحِدًا، ثُمَّ تَقَدَّمَ بَيْنَ أَيْدِينَا، فَحَمِدَ اللَّهَ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْهِمْ كِتَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ، فَأَسْلَمَتْ هَمْدَانُ كُلُّهَا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، وَ كَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ، فَلَمَّا قَرَأَ كِتَابَهُ خَرَّ سَاجِدًا، ثُمَّ جَلَسَ، فَقَالَ:

«السَّلَامُ عَلَى هَمْدَانَ، السَّلَامُ عَلَى هَمْدَانَ».

ثُمَّ تَتَابَعُ أَهْلُ الْيَمَنِ عَلَى الْإِسْلَامِ.^٥

النموذج الثاني:

انصرف عمرو (بن معديكرب) مُرتدًا، فأغار على قوم من بني الحارث بن كعب، و مضى إلى قومه. فاستدعى رسول الله صلى الله عليه وآله و آلهم عليه و آلهم عليه بن أبي طالب عليه السلام، فأمره

ص: ٢٧

^٥ (١). تاريخ الطبري: ج ٣ ص ١٣١ و راجع: الإرشاد: ج ١ ص ٦٢؛ صحيح البخاري: ج ٥ ص ٢٠٦، دلائل النبوة: ج ٥ ص ٣٩٦، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٠٠، ذخائر العقبى: ص ١٠٩.

على المهاجرين، وأنفذه إلى بنى زُبَيْد، وأرسلَ خالدَ بنَ الوليدِ فى طائفةٍ من الأعراب، وأمره أن يقصدَ الجُعْفِيَّ، فإذا التقيا فأمريرُ النَّاسِ علىَّ بنِ أبى طالب.

فسارَ أميرُ المؤمنين، واستعمل على مُقَدَّمَتِهِ خالدَ بنِ سعيدِ بنِ العاص، واستعمل خالدٌ على مُقَدَّمَتِهِ أبا موسى الأشعريّ.

فأمَّا جُعْفِيَّ فَإِنَّهَا لَمَّا سَمِعَتْ بِالْجَيْشِ افْتَرَقَتْ فِرْقَتَيْنِ؛ فَذَهَبَتْ فِرْقَةٌ إِلَى الْيَمَنِ، وَانضَمَّتْ الْفِرْقَةُ الْآخَرَى إِلَى بَنَى زُبَيْد. فَبَلَغَ ذَلِكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَكَتَبَ إِلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ أَنْ:

«قِفْ حَيْثُ أَدْرَكَكَ رَسُولِي.»

فلم يقف، فكتب - علىَّ عليه السلام - إلى خالد بن سعيد:

«تَعَرَّضَ لَهُ حَتَّى تَحْبَسَهُ»

فاعترض له خالد حتى حبسه، وأدركه أمير المؤمنين عليه السلام، فعنّفه على خلافه.

ثم سار حتى لقي بنى زُبَيْدِ بَوَادٍ يُقَالُ لَهُ: كُشْرٌ.

فلما رآه بنو زُبَيْد، قالوا لعمرو: كيف أنت - يابا ثور^٧ - إذا لقيك هذا الغلامُ القُرَشِيُّ فأخذ منك الإتاوة^٨؟ قال: سيعلم إن لقيني.

قال: وخرج عمرو فقال: هل من مبارز؟ فنهض إليه أمير المؤمنين عليه السلام، فقام خالد بن سعيد فقال له: دعني يا أبا الحسن - بأبي أنت وأمي - ابارزه. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام:

ص: ٢٨

«إِنْ كُنْتَ تَرَى أَنَّ لِي عَلَيْكَ طَاعَةً فَقِفْ مَكَانَكَ.»

فوقف، ثم برز إليه أمير المؤمنين عليه السلام، فصاح به صيحةً فانهزم عمرو، وقُتِلَ أخوه وابنُ أخيه، واخذت امرأته رُكْنَةً بنت سلامة، وسبى منهم نسوان، وانصرف أمير المؤمنين عليه السلام، وخلف على بنى زُبَيْدِ خالد بن سعيد ليقبضَ صدقاتهم، ويؤمنَ من عاد إليه من هُرَّابِهِمْ مُسْلِمًا^٩

ص: ٢٩

^٦ (١). كُشْرٌ - بوزن زُفْرٍ: من نواحي صنعاء اليمن (معجم البلدان: ج ٤ ص ٤٦٢).

^٧ (٢). كذا في المصدر، و الصحيح: «يا أبا ثور»، فكنية عمرو، أبو ثور.

^٨ (٣). الإتاوة: الخراج (النهاية: ج ١ ص ٢٢).

^٩ (١). الإرشاد: ج ١ ص ١٥٩.

[الباب الثاني]

مكاتيبه عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله إلى حين خلافته

١ كتابه عليه السلام إلى أبي بكر

و جاء في رسالته من أمير المؤمنين عليه السلام إلى أبي بكر، لَمَّا بَلَغَهُ عَنْهُ كَلَامٌ بَعْدَ مَنَعِ الزَّهْرَاءِ عَلَيْهَا السَّلَامَ فَدَكَ:

«شَقُّوا مَتَلَطِّمَاتِ أَمْوَاجِ الْفِتَنِ بِحَيَازِيمِ سُفْنِ النَّجَاهِ، وَحَطُّوا تَيْجَانَ أَهْلِ الْفَخْرِ بِجَمْعِ أَهْلِ الْغَدْرِ، وَاسْتَضَاءَ وَابْنُورِ الْأَنْوَارِ.

وَاقْتَسَمُوا مَوَارِيثَ الطَّاهِرَاتِ الْأَبْرَارِ، وَاخْتَقَبُوا ثِقَلَ الْأَوْزَارِ، بَعْضُهُمْ نِحْلَةَ النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ.

فَكَأَنِّي بِكُمْ تَتَرَدَّدُونَ فِي الْعَمَى، كَمَا يَتَرَدَّدُ الْبَعِيرُ فِي الطَّاحُونَةِ.

أَمَّا وَاللَّهِ، لَوْ أُذِنَ لِي بِمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ، لَخَصَدْتُ رُؤُوسَكُمْ عَنْ أَجْسَادِكُمْ كَحَبِّ الْحَصِيدِ، بِقَوَاضِي مِثْلِ حَدِيدٍ، وَلَقَلَعْتُ مِنْ جَمَاجِمِ شَجَعَانِكُمْ مَا أَقْرِحُ بِهِ أَمَاقَكُمْ، وَأَوْحِشُ بِهِ مَحَالَكُمْ، فَإِنِّي - مُنْذُ عَرَفْتُ - مُرْدِي الْعَسَاكِرِ، وَمُفْنِي

ص: ٣٠

الْجَحَافِلِ، وَمُبِيدِ خَضْرَائِكُمْ، وَمُخَمِّدِ ضَوْضَائِكُمْ، وَجَزَّارِ الدَّوَارِينِ، إِذْ أَنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ مُعْتَكِفُونَ، وَإِنِّي لَصَاحِبِكُمْ بِالْأَمْسِ، لَعَمْرُ أَبِي لَنْ تُحْتَبُوا أَنْ تَكُونَ فِينَا الْخِلَافَةُ وَالنُّبُوَّةُ، وَأَنْتُمْ تَذَكَّرُونَ أَحْقَادَ بَدْرٍ، وَثَارَاتِ أَحَدٍ.

أَمَّا وَاللَّهِ، لَوْ قُلْتُ مَا سَبَقَ مِنَ اللَّهِ فِيكُمْ، لَتَدَاخَلْتُ أَضْلَاعَكُمْ فِي أَجْوَافِكُمْ كَتَدَاخُلِ أَسْنَانَ دَوَّارَةِ الرَّحَى، فَإِنْ نَطَقْتُ تَقُولُونَ: حَسَدٌ، وَإِنْ سَكَتُ فَيُقَالُ: إِنَّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ جَزَعٌ مِنَ الْمَوْتِ، هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ!! السَّاعَةَ يُقَالُ لِي هَذَا؟! وَأَنَا الْمُمَيَّتِ الْمَائِتِ، وَخَوَاضِ الْمَنَايَا فِي جَوْفِ لَيْلٍ خَالِكٍ، حَامِلِ السِّيْفِينَ الثَّقِيلَيْنِ، وَالرُّمْحَيْنِ الطَّوِيلَيْنِ، وَمُنْكَسِ الرَّيَّاتِ فِي غَطَامِطِ الْعَمَرَاتِ، وَمُفَرِّجِ الْكُرْبَاتِ عَنْ وَجْهِ خَيْرِ الْبَرِّيَّاتِ.

أَيُّهِنَّوَا! فَوَاللَّهِ، لَابْنَ أَبِي طَالِبٍ آتَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ إِلَى مَحَالِبِ أُمَّه.

هَبَلْتُمْ الْهَوَابِلُ! لَوْ بَحْتُ^{١٠} بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ فِيكُمْ، لَأُضْطَرَبْتُمْ اضْطِرَابَ الْأَرَشِيَّةِ فِي الطَّوَى الْبَعِيدَةِ، وَلَخَرَجْتُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ هَارِبِينَ، وَعَلَى وُجُوهِكُمْ هَائِمِينَ، وَلَكِنِّي أَهْوَنُ وَجَدِي حَتَّى أَلْقَى رَبِّي بِيَدٍ جَدَاءَ صَفْرَاءَ مِنْ لَدَائِكُمْ، خِلْوًا مِنْ طَخَنَاتِكُمْ، فَمَا مَثَلُ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي إِلَّا كَمَثَلِ غَيْمٍ، عَلَا فَاسْتَعْلَى ثُمَّ اسْتَعْلَطَ فَاسْتَوَى، ثُمَّ تَمَزَّقَ فَانْجَلَى، رُوَيْدًا! فَعَن قَلِيلٍ يَنْجَلِي لَكُمْ الْقَسْطَلُ^{١١}، وَتَجْنُونَ (فَتَجْدُونَ) ثَمْرَ فِعْلِكُمْ مَرًّا، وَتَحْصُدُونَ غَرَسَ أَيْدِيكُمْ دُعَافًا^{١٢} مُمْقِرًا^{١٣}، وَسَمًّا قَاتِلًا، وَكَفَى

^{١٠} (١). البوح: ظهور الشيء، باح بالشيء: أظهره (لسان العرب: ج ٢ ص ٤١٦).

^{١١} (٢). القسطل: الغبار الساطع.

^{١٢} (٣). الدعاف: السَّمُّ و طَعَامٌ مَذْعُوفٌ، أَي سَرِيعٌ يَعْجَلُ الْقَتْلَ (الصَّحاح: ج ٤ ص ١١٦).

^{١٣} (٤). الممقر: الشَّدِيدُ الْمَرَارَةُ (لسان العرب: ج ٥ ص ١٨٢).

بِاللَّهِ حَكِيمًا، وَبِرَسُولِ اللَّهِ حَصِيمًا، وَبِالْقِيَامَةِ مَوْفِعًا، فَلَا أَبْعَدُ اللَّهَ فِيهَا سِوَاكُمْ، وَلَا أَتَعَسَ فِيهَا غَيْرَكُمْ، وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ أَتْبَعَ
الهُدَى^{١٤}».

ص: ٣١

٢ كتابه عليه السلام إلى سلمان الفارسيّ

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّمَا مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَلُ الْحَيَّةِ، لَيِّنٌ مَسَّهَا، قَاتِلٌ سَمَّهَا، فَأَعْرِضْ عَمَّا يُعْجِبُكَ فِيهَا لِقَلَّةِ مَا يَصْحَبُكَ مِنْهَا، وَضَعْ عَنْكَ
هُمُومَهَا لِمَا أُيْقِنْتَ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا وَتَصَرُّفِ خَالَاتِهَا، وَكُنْ أَنْسًا مَا تَكُونُ بِهَا أَحْذَرًا مَا تَكُونُ مِنْهَا، فَإِنَّ صَاحِبَهَا كَلَّمَا اطْمَأَنَّ فِيهَا
إِلَى سُرُورٍ أَشْخَصَتْهُ عَنْهُ إِلَى مَحْذُورٍ، أَوْ إِلَى إِيْنَاسٍ أَزَالَتْهُ عَنْهُ إِلَى إِيْحَاشٍ، وَالسَّلَامُ.^{١٥}

كتابه عليه السلام إلى سلمان

قال ابن عساکر: أخبرنا أبو الحسن عليّ بن عساکر بن سرور المَقْدِسِيّ الخَشَّاب بدمشق، حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ نَصْرٍ -
ببيت المقدس-، سَنَةَ سَبْعِينَ وَ أَرْبَعِمِائَةَ، أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ طَاهِرِ الْقُرَشِيِّ، أَخْبَرَنَا أَبُو حَفْصِ عَمْرِو بْنِ الْخَضِرِ
الْتَمَانِيْنَ، حَدَّثَنَا أَبُو الْفَتْحِ الْأَزْدِيُّ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَزْدِيُّ، حَدَّثَنَا حُمَيْدُ بْنُ حَاتَمٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ فَيْرُوزَ، قَالَ:

ماتت امرأة سلمان الفارسيّ- رحمه الله تعالى- بالمداين فحزن عليها، فبلغ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضى الله
عنه، فكتب إليه:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ بَلَغَنِي يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ سَلْمَانَ مُصِيبَتَكَ بِأَهْلِكَ، وَأَوْجَعَنِي بَعْضُ مَا أَوْجَعَكَ، وَلَعَمْرِي لَمْصِيبَتِكَ تَقْدَمُ أَجْرَهَا، خَيْرٌ مِنْ نِعْمَةٍ
يُسْأَلُ عَنْ شُكْرِهَا، وَلَعَلَّكَ لَا تَقُومُ بِهَا،

ص: ٣٢

وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ».^{١٦}

سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ

سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، وَهُوَ سَلْمَانُ الْمَحْمَدِيُّ، زَاهِدٌ، ثَاقِبُ الْبَصِيرَةِ، نَقِيّ الْفِطْرَةِ، مِنْ سَلَالَةِ فَارَسِيَّةٍ^{١٧}، مَوْلِدُهُ
رَافِهُرْمُزٌ^{١٨} وَأَصْلُهُ مِنْ أَصْبَهَانَ^{١٩}.

^{١٤} (٥). الاحتجاج: ج ١ ص ٢٤٣ ح ٤٨ وراجع: بحار الأنوار: ج ٢٩ ص ١٤٠.
^{١٥} (١). نهج البلاغة: الكتاب ٦٨ وراجع: الكافي: ج ٢ ص ١٣٦، الإرشاد: ص ١٢، نزهة الناظر: ص ١٧، الحكمة الخالدة: ص ١١١، دستور معالم
الحكم: ص ٣٧ تنبيه الخواطر: ج ١ ص ١٣٣.
^{١٦} (١). تاريخ مدينة دمشق: ج ٢١ ص ٤٢٩.

صحابي^{٢٠} جليل من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله. كان يحظى بمكانة عظيمة لا تستوعبها هذه الصفحات القليلة. و كان يطوى الفياض و القفار بحثاً عن الحق.

و عند ما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة حضر عنده و أسلم^{٢١}، و أثر خدمة ذلكم السفير الإلهي العظيم بكل طواعية، و لم يألُ جهداً في ذلك. شهد الخندق و أعان المؤمنين بذكائه و خبرته بفنون القتال، و اقترح حفر الخندق، فلقي اقتراحه ترحيباً.

كان يعيش في غاية الزهد، و لمّا كان قد قطع جميع الوشائج، و أعرض عن جميع زخارف الحياة، و التحق بالحق، شرفه رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله:

«سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ»^{٢٢}.

و كان قلبه الطاهر مظهراً للألوان الإلهية، فقال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله:

ص: ٣٣

«مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ نُورَ قَلْبِهِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى سَلْمَانَ»^{٢٣}.

و كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول عن سعة علمه و اطلاعه:

«عِلْمَ الْوَالِدِ وَالْعِلْمَ الْآخِرِ، وَقَرَأَ الْكِتَابَ الْأَوَّلَ وَقَرَأَ الْكِتَابَ الْآخِرَ، وَكَانَ بَحْرًا لَا يَنْزِفُ»^{٢٤}.

و قد رعى سلمان حرمة الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، و لم يحد عن مسير الحق^{٢٥}، و كان أحد القلائد الذين قاموا في المسجد النبوي، و دافعوا عن خلافة الحق و حق الخلافة^{٢٦}. و كان من عشاق عليّ و آل البيت عليهم السلام، و من الأقلين الذين شهدوا الصلاة على السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام، و حضروا دفنها في جوف الليل الحزين^{٢٧}.

^{١٧} (٢). الطبقات الكبرى: ج ٤ ص ٧٥، تاريخ مدينة دمشق: ج ٢١ ص ٣٧٦.
^{١٨} (٣). رامهرمز: مدينة مشهورة بنواحي خوزستان (معجم البلدان: ج ٣ ص ١٧).
^{١٩} (٤). تاريخ مدينة دمشق: ج ٢١ ص ٣٨٣، سير أعلام النبلاء: ج ١ ص ٥١٥ الرقم ٩١ و راجع الطبقات الكبرى: ج ٤ ص ٧٥ و تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٣ ص ٥١٠.
^{٢٠} (٥). الطبقات الكبرى: ج ٤ ص ٨٠ و ص ٨٨، تاريخ دمشق: ج ٢١ ص ٣٧٦ الرقم ٢٥٩٩، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٣ ص ٥١١.
^{٢١} (٦). المعجم الكبير: ج ٦ ص ٢١٢ ح ٥٩٨، تاريخ مدينة دمشق: ج ٢١ ص ٣٧٦.
^{٢٢} (٧). المستدرک علی الصحیحین: ج ٣ ص ٦٩١ ح ٦٥٣٩ و ح ٦٥٤١، المعجم الكبير: ج ٦ ص ٢١٣ ح ٦٠٤٠، الطبقات الكبرى: ج ٤ ص ٨٣، تاريخ مدينة دمشق: ج ٢١ ص ٤٠٨.
^{٢٣} (١). تاريخ مدينة دمشق: ج ٢١ ص ٤٠٨ ح ٤٨٢٦.
^{٢٤} (٢). الطبقات الكبرى: ج ٤ ص ٨٦، تاريخ مدينة دمشق: ج ٢١ ص ٤٢٢، حلية الأولياء: ج ١ ص ١٨٧، المصنّف لابن أبي شيبة: ج ٧ ص ٥٣٦ ح ٣، المعجم الكبير: ج ٦ ص ٢١٣ ح ٦٠٤١، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٣ ص ٥١٥، سير أعلام النبلاء: ج ١ ص ٥٤١ الرقم ٩١ و الأربعة الأخيرة نحوه و ليس فيها « و قرأ الكتاب الأول، و قرأ الكتاب الآخر» و راجع تاريخ دمشق: ج ٢١ ص ٤٢٠.
^{٢٥} (٣). راجع: الخصال: ص ٦٠٧ ح ٩، عيون أخبار الرضا: ج ٢ ص ١٢٦ ح ١.

ولَّاهُ عمرَ على المَدائن^{٢٨}، فحفلت حكومته بالمظاهر المشرفة الباعثة على الفخر والاعتزاز، فهي حكومة تعلوها الرؤية الإلهية، و يحيطها الزهد والورع، و هدفها الحق والعدل.

ص: ٣٤

كان سلمان من المعمرين، عاش قرابة مائتين و خمسين سنة^{٢٩}، و توفى بالمَدائن^{٣٠} أيام حكومة عمر^{٣١} أو عثمان^{٣٢}.

قال رسول الله صلى الله عليه و آله:

«إِنَّ الْجَنَّةَ لَتَشْتَاقُ إِلَى ثَلَاثَةٍ: عَلِيٍّ وَعَمَّارٍ وَسُلْمَانَ»^{٣٣}.

و في حلية الأولياء عن أبي الأسود و زاذان الكندي: كنا عند علي عليه السلام ذات يوم، فوافق الناس منه طيب نفس و مزاج، فقالوا: يا أمير المؤمنين، حدثنا عن أصحابك.

قال:

عن أي أصحابي؟

قالوا: عن أصحاب محمد صلى الله عليه و آله.

قال:

كلُّ أصحابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَصْحَابِي، فَعَنَ أَيُّهِمْ؟

قالوا: عن الذين رأيناك تلتفهم بذكرك و الصلاة عليهم دون القوم، حدثنا عن سلمان، قال عليه السلام:

مَنْ لَكُمْ بِمِثْلِ لُقْمَانَ الْحَكِيمِ؟! ذَاكَ امْرُؤٌ مِمَّنَا وَإِلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ، أَدْرَكَ الْعِلْمَ

^{٢٦} (٤). راجع: الخصال: ص ٤٦٣ ح ٤، الاحتجاج: ج ١ ص ١٩٢ ح ٢، رجال البرقي: ص ٦٤.
^{٢٧} (٥). راجع: الخصال: ص ٣٦١ ح ٥٠، رجال الكشي: ج ١ ص ٣٤ الرقم ١٣، الاختصاص: ص ٥، تفسير فرات: ج ٥٧٠ ص ٧٣٣.
^{٢٨} (٦). مروج الذهب: ج ٢ ص ٣١٤، الطبقات الكبرى: ج ٤ ص ٨٧.
^{٢٩} (١). راجع: سير أعلام النبلاء: ج ١ ص ٥٥٥ الرقم ٩١، تاريخ مدينة دمشق: ج ٢١ ص ٣٧٨، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٣ ص ٥٢١.
^{٣٠} (٢). الطبقات لخليفة بن خياط: ص ٣٣ الرقم ٢٢، تاريخ دمشق: ج ٢١ ص ٣٧٨ و ص ٤٥٨، سير أعلام النبلاء: ج ١ ص ٥٥٤ الرقم ٩١.
^{٣١} (٣). المعارف لابن قتيبة: ٢٧١، تاريخ مدينة دمشق: ج ٢١ ص ٤٥٨.
^{٣٢} (٤). الطبقات الكبرى: ج ٤ ص ٩٣، تاريخ بغداد: ج ١ ص ١٧١ الرقم ١٢، المعارف لابن قتيبة: ص ٢٧١، تاريخ مدينة دمشق: ج ٢١ ص ٣٧٨ و ص ٤٥٨، سير أعلام النبلاء: ج ١ ص ٥٥٤ الرقم ٩١ و في ص ٥٥٥ «سنة ٣٣ هـ».
^{٣٣} (٥). سنن الترمذي: ج ٥ ص ٦٦٧ ح ٣٧٩٧، المستدرک علی الصحیحین: ج ٣ ص ١٤٨ ح ٤٦٦٦، المعجم الكبير: ج ٦ ص ٢١٥ ح ٦٠٤٥ و زاد فيه «و المقداد» و كلُّها عن أنس؛ الخصال: ص ٣٠٣ ح ٨٠ عن عبد الله بن محمد بن علي بن العباس الرازي عن الإمام الرضا عن أبيه عليهم السلام و زاد فيه «و أبي ذر و المقداد»، وقعة صفين: ص ٣٢٣ عن الحسن.

ص: ٣٥

الأوّلَ وَالْعِلْمَ الْآخِرَ، وَقَرَأَ الْكِتَابَ الْأَوَّلَ وَالْكِتَابَ الْآخِرَ، بَحْرًا لَا يَنْزِفُ^{٣٤}.

و فِي الْأَمَالِي لِلطُّوسِيِّ عَنْ مَنْصُورِ بْنِ بُرْجٍ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا أَكْثَرَ مَا أَسْمَعُ مِنْكَ يَا سَيِّدِي ذَكَرَ سَلْمَانَ الْفَارِسِيَّ!

فَقَالَ:

لَا تَقُلْ: الْفَارِسِيُّ، وَلَكِنْ قُلْ: سَلْمَانُ الْمُحَمَّدِيُّ، أَمْ تَدْرِي مَا كَثُرَتْ ذِكْرِي لَهُ؟

قُلْتُ: لَا.

قَالَ:

لِثَلَاثٍ خِلَالٍ: أَحَدُهَا^{٣٥}: إِبْتَارُهُ هَوَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى هَوَى نَفْسِهِ. وَالثَّانِيَةُ: حُبُّهُ لِلْفُقَرَاءِ وَاخْتِيَارُهُ إِيَّاهُمْ عَلَى أَهْلِ الثَّرْوَةِ وَالْعَدَدِ. وَالثَّلَاثَةُ: حُبُّهُ لِلْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ. إِنَّ سَلْمَانَ كَانَ عَبْدًا صَالِحًا خَنيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ^{٣٦}.

و فِي الْمُسْتَدْرَكِ عَلَى الصَّحِيحِينَ عَنْ عَوْفِ بْنِ أَبِي عُثْمَانَ التَّهْدِي: قَالَ رَجُلٌ لِسَلْمَانَ: مَا أَشَدَّ حُبَّكَ لِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ! قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ:

«مَنْ أَحَبَّ عَلِيًّا فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَبْغَضَ عَلِيًّا فَقَدْ أَبْغَضَنِي»^{٣٧}.

و فِي الطَّبَقَاتِ الْكُبْرَى عَنِ النَّعْمَانِ بْنِ حُمَيْدٍ: دَخَلْتُ مَعَ خَالِي عَلَى سَلْمَانَ بِالْمَدَائِنِ وَهُوَ يَعْمَلُ الْخَوْصَ، فَسَمِعْتَهُ يَقُولُ: أَشْتَرِي خَوْصًا بِدَرَاهِمٍ، فَأَعْمَلُهُ فَأَبِيعُهُ بِثَلَاثَةِ دَرَاهِمٍ، فَاعِيدُ دَرَاهِمًا فِيهِ، وَ أَنْفِقُ دَرَاهِمًا عَلَى عِيَالِي، وَ أَتَصَدَّقُ

ص: ٣٦

بِدَرَاهِمٍ، وَ لَوْ أَنَّ عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ نَهَانِي عَنْهُ مَا انْتَهَيْتُ^{٣٨}.

^{٣٤} (١). حلية الأولياء: ج ١ ص ١٨٧، المعجم الكبير: ج ٦ ص ٢١٣ ح ٦٠٤٢ و فيه «بمثاله» بدل «بمثل» و ليس فيه «و إلينا»، تاريخ مدينة دمشق: ج ٢١ ص ٤٢١، الطبقات الكبرى: ج ٤ ص ٨٦ عن زاذان و فيه من «مَنْ لَكُمْ بِمَثَلٍ...» و في صدره «سئل علي عن سلمان الفارسي، فقال: ذلك امرؤ منا و إلينا»؛ الغارات: ج ١ ص ١٧٧ عن أبي عمرو الكندي.

^{٣٥} (٢). هكذا في المصدر، و الصواب: إحداهما.

^{٣٦} (٣). الأمالي للطوسي: ص ١٣٣ ح ٢١٤.

^{٣٧} (٤). المستدرک على الصحيحين: ج ٣ ص ١٤١ ح ٤٦٤٨.

^{٣٨} (١). الطبقات الكبرى: ج ٤ ص ٨٩، تاريخ مدينة دمشق: ج ٢١ ص ٤٣٤ عن سمك بن حرب عن عمه نحوه، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٣ ص ٥١٨، سير أعلام النبلاء: ج ١ ص ٥٤٧.

و في **مروج الذهب** - في ذكر سلمان الفارسيّ - كان يلبس الصّوف، و يركب الحمار ببردعته^{٣٩} بغير إكاف^{٤٠}، و يأكل خبز الشعير، و كان ناسكاً زاهداً، فلما احتضر بالمداين قال له سعد بن أبي وقّاص: أوصني يا أبا عبد الله.

قال: نعم، قال: اذكّر الله عند هَمَمِكَ إذا هَمَمْتَ، و عند لسانِكَ إذا حَكَمْتَ، و عند يدِكَ إذا قَسَمْتَ.

فجعل سلمان يبكي، فقال له: يا أبا عبد الله، ما يبكيك؟

قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول:

«إِنَّ فِي الْآخِرَةِ عَقَبَةً لَا يَقْطَعُهَا إِلَّا الْمُخَفُّونَ».

و أرى هذه الأسودة حولى، فنظروا فلم يجدوا فى البيت إلّا إداوة و ركوة^{٤١} و مطهرة^{٤٢}.

و فى الطبقات الكبرى عن أبى سفيان عن أشياخه: دخل سعد بن أبى وقّاص على سلمان يعبده، قال: فبكى سلمان، فقال له سعد: ما يبكيك يا أبا عبد الله؟

توقى رسول الله صلى الله عليه و آله، و هو عنك راضٍ، و تلقى أصحابك، و ترد عليه الحوض.

قال سلمان: و الله، ما أبكى جزعاً من الموت و لا حرصاً على الدنيا، و لكن رسول الله صلى الله عليه و آله عهد إلينا عهداً فقال:

«لِتَكُنْ بُلْعَةً أَحَدِكُمْ مِنَ الدُّنْيَا مِثْلَ زَادِ الرَّكَّابِ».

و حولى هذه الأسود.

ص: ٣٧

قال: و إنّما حوله جفنة أو مطهرة أو إجانة^{٤٣}، قال: فقال له سعد: يا أبا عبد الله، اعهد إلينا بعهد نأخذه بعدك.

فقال: يا سعد، اذكّر الله عند هَمَمِكَ إذا هَمَمْتَ، و عند حُكْمِكَ إذا حَكَمْتَ، و عند يدِكَ إذا قَسَمْتَ^{٤٤}.

^{٣٩} (٢). البردعة: المجلس الذي يُلقى تحت الرجل (لسان العرب: ج ٨ ص ٨).

^{٤٠} (٣). الإكاف و الأكاف من المراكب: شبه الرّحال و الأقتاب (لسان العرب: ج ٩ ص ٨).

^{٤١} (٤). الرّكوة: إناء صغير من جلد يُشرب فيه الماء، و الجمع ركاء (النهاية: ج ٢ ص ٢٦١).

^{٤٢} (٥). مروج الذهب: ج ٢ ص ٣١٤.

^{٤٣} (١). الإجانة: واجدة الأجاجين، و هي المرْكُن (الإناء) الذي تُغسل فيه الثياب (مجمع البحرين: ج ١ ص ٢١).

^{٤٤} (٢). الطبقات الكبرى: ج ٤ ص ٩٠، حلية الأولياء: ج ١ ص ١٩٥، تاريخ مدينة دمشق: ج ٢١ ص ٤٥٢.

و في المعجم الكبير عن بَقِيرَةَ - امرأة سَلْمَانَ -: لَمَّا حَضَرَ سَلْمَانَ المَوْتَ دَعَانِي، وَ هُوَ فِي عِلْيَةَ^{٤٥} لَهَا أَرْبَعَةَ أَبْوَابٍ، فَقَالَ: افْتَحِي هَذِهِ الأَبْوَابَ يَا بَقِيرَةُ، فَإِنَّ لِي اليَوْمَ زَوْراً لَا أَدْرِي مِنْ أَىِّ هَذِهِ الأَبْوَابِ يَدْخُلُونَ عَلَيَّ، ثُمَّ دَعَا بِمَسْكِ لَهٗ، ثُمَّ قَالَ:

ادْبِغِيهِ^{٤٦} فِي تَوْرٍ، فَفَعَلْتِ، ثُمَّ قَالَ: انْضَحِيهِ حَوْلَ فِرَاشِي ثُمَّ انْزِلِي فَاْمَكْتِي، فَسَوْفَ تَطَّلَعِينَ قَرِيبَتِي^{٤٧} عَلَى فِرَاشِي، فَاطَّلَعْتَ إِذَا هُوَ قَدْ اخَذَ رُوحَهُ، فَكَأَنَّهُ نَائِمٌ عَلَى فِرَاشِهِ، أَوْ نَحْوًا مِنْ هَذَا^{٤٨}.

و في الطبقات الكبرى عن عطاء بن السائب: إِنَّ سَلْمَانَ حِينَ حَضَرْتَهُ الوَفَاءَ، دَعَا بِصِرَّةٍ مِنْ مَسْكِ كَانَ أَصَابَهَا مِنْ بَلَنْجَرٍ^{٤٩}، فَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُدْفَعَ وَ تُجَعَلَ حَوْلَ فِرَاشِهِ، وَ قَالَ: فَإِنَّهُ يَحْضُرُنِي اللَّيْلَةَ مَلَأَتْكَهُ يَجِدُونَ الرِّيحَ وَ لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ^{٥٠}.

ص: ٣٨

٣ كتابه عليه السلام إلى أبي ذرٍّ

قال سبسطُ ابنُ الجوزي: روى الشَّعْبِيُّ عن أبي أراكه، قال: لَمَّا نَفِيَ أَبُو ذَرٍّ إِلَى الرَّبْدَةِ، كَتَبَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«أَمَّا بَعْدُ، يَا أبا ذَرٍّ، فَإِنَّكَ غَضِبْتَ لِلَّهِ تَعَالَى، فَارْجُ مَنْ غَضِبْتَ لَهُ، إِنَّ القَوْمَ خَافُوكَ عَلَى دُنْيَاهُمْ، وَخِفْتَهُمْ عَلَى دِينِكَ، فَأَتْرُكُ لَهُمْ مَا خَافُوكَ عَلَيْهِ، وَاهْرُبُ مِنْهُمْ لِمَا خِفْتَهُمْ عَلَيْهِ، فَمَا أَحْوَجَهُمْ إِلَى مَا مَنَعْتَهُمْ، وَمَا أَغْنَاكَ عَمَّا مَنَعُوكَ، وَسَتَعَلَّمُ مِنَ الرَّايِحِ غَدًا، فَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا عَلَى عَبْدٍ، ثُمَّ أَتَقَى اللَّهَ لَجَعَلَ لَهُ مِنْهُمَا مَخْرَجًا، لَا يُؤَانِسُنكَ إِلَّا الحَقُّ، وَ لَا يُوحِشُنكَ إِلَّا الباطِلُ، فَلَوْ قَبِلْتَ دُنْيَاهُمْ لِأَحْبُوكَ، وَلَوْ قَرَضْتَ مِنْهَا لِأَمْنُوكَ»^{٥١}.

أقول: روى جماعة من الخاصَّة و العامَّة، أَنَّ أمير المؤمنين عليه السلام ألقى هذه الكلمة حين نفي أبو ذرٍّ، و شيعة هو و الحسنان عليهما السلام، و عقيلٌ و عَمَّارٌ^{٥٢}.

أبو ذرٍّ الغفاري^{٥٣}

جُنْدُبُ بنُ جُنَادَةَ، وَ هُوَ مشهور بكنيته. صوت الحقّ المدوّى، و صيحةُ الفضيلة و العدالة المتعالية، أحد أجلاء الصَّحابة، و السَّابِقِينَ إِلَى الإيمان، و الثَّابِتِينَ عَلَى الصَّراطِ المستقيم^{٥٤}. كان موحدًا قبل الإسلام، و ترقَّع عن

^{٤٥} (٣). عَلْيَةَ: هي بضمّ العين و كسرها: العُرْفَةُ، و الجمع الغلاليّ (النهاية: ج ٣ ص ٢٩٥).

^{٤٦} (٤). كذا في المصدر، و في بقية المصادر: «أديفيه». قال في تاج العروس: داف الشيء يديفه: أي خلطه، و في حديث سلمان رضی الله عنه: «... فقال لامرأته: أديفيه في تور». و التور: إناء صغير (ج ١٢ ص ٢١٦ و ج ٦ ص ١٣٥).

^{٤٧} (٥). كذا في المصدر، و في حلية الأولياء: «فتريني».

^{٤٨} (٦). المعجم الكبير: ج ٦ ص ٢١٥ ح ٦٠٤٣، الطبقات الكبرى: ج ٤ ص ٩٢، حلية الأولياء: ج ١ ص ٢٠٨، سبب أخبار النبلاء: ج ١ ص ٥٥٣

الرقم ٩١

^{٤٩} (٧). بلنجَر: مدينة ببلاد الخَزَر، خلف باب الأبواب، فتحها عبد الرحمن بن ربيعة (معجم البلدان: ج ١ ص ٤٨٩).

^{٥٠} (٨). الطبقات الكبرى: ج ٤ ص ٩٢.

^{٥١} (١). تذكرة الخواص: ص ١٥٦ و راجع: نهج البلاغة: الخطبة ١٣٠، كشف الغمّة: ج ٣ ص ١٣٦، بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٤١١ ح ٣٠؛ شرح

نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٨ ص ٢٥٢.

^{٥٢} (٢). راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٨ ص ٢٥٢ - ٢٦٢، الغدير: ج ٨ ص ٤١٣ - ٤٣٢.

^{٥٣} (٣). قد اختلف في اسمه و نسبه اختلافًا كثيرًا، و ما في المتن هو أكثر و أصح ما قيل فيه، و لكثته مشهور بكنيته و لقبه.

عبادة الأصنام^{٥٥}. جاء إلى مكة قادماً من البادية، واعتنق دين الحق بكل وجوده، وسمع القرآن.

عُدَّ رابع^{٥٦} من أسلم أو خامسهم^{٥٧}، واشتهر بإعلانه إسلامه، و اعتقاده بالدين الجديد، و تقصّيه الحق منذ يومه الأول^{٥٨}.

و كان فريداً فذاً في صدقه و صراحته لهجته، حتّى قال رسول الله صلى الله عليه و آله كلمته الخالدة فيه، تكريماً لهذه الصفة المحمودّة النادرة:

«مَا أَظَلَّتِ الْخَضْرَاءُ، وَمَا أَقَلَّتِ الْغَبْرَاءُ^{٥٩} عَلَى رَجُلٍ أَصْدَقَ لَهْجَةً مِنْ أَبِي ذَرٍّ^{٦٠}».

و كان من الثلثة المعدودة التي رعت حرمة الحق في خضمّ التّغيّرات التي طرأت بعد وفاة النّبيّ صلى الله عليه و آله^{٦١}، و تفانى في الدّفاع عن موقع الولاية العلويّة الرّفيعة، و جعل نفسه مجتاً للذبّ عنه، و كان أحد الثّلاثة الذين لم يفارقوا عليّاً عليه السلام قط^{٦٢}.

و لنا أن نعدّ من فضائله و مناقبه، صلّاته على الجثمان الطّاهر لسيدة نساء العالمين فاطمة عليها السلام، فقد كان في عداد من صلّى عليها في تلك اللّيلة المشوبة بالألم و الغمّ و المحنة^{٦٣}

و صرخاته بوجه الظّلم ملأت الآفاق، و اشتهرت في التّاريخ؛ فهو لم يصبر على إسراف الخليفة الثّالث و تذييره و عطاياه الشّاذّة، فانتفض ثائراً صارخاً ضدها، و لم يتحمّل التّحريف الّذي افتعلوه لدعم تلك المناقب المصطنعة، و قدح في الخليفة، و استنكر توجيه كعب الأخبار لأعماله و ممارساته. فقام الخليفة بنفى صوت العدالة هذا إلى الشّام التي كانت حديثه عهدٍ بالإسلام، غير مُلمّة بثقافته^{٦٤}.

^{٥٤} (٤). سبّير أعلام النبلاء: ج ٢ ص ٤٦ الرقم ١٠، الاستيعاب: ج ٤ ص ٢١٦ الرقم ٢٩٧٤، اسد الغابة: ج ١ ص ٥٦٣ الرقم ٨٠٠.

^{٥٥} (١). الطبقات الكبرى: ج ٤ ص ٢٢٢، حلية الأولياء: ج ١ ص ١٥٨ الرقم ٢٦، اسد الغابة: ج ١ ص ٥٦٣ الرقم ٨٠٠.

^{٥٦} (٢). المستدرك على الصحيحين: ج ٣ ص ٣٨٥ ح ٥٤٥٩، الطبقات الكبرى: ج ٤ ص ٢٢٤، اسد الغابة:

ج ١ ص ٥٦٣ الرقم ٨٠٠.

^{٥٧} (٣). الطبقات الكبرى: ج ٤ ص ٢٢٤، سبّير أعلام النبلاء: ج ٢ ص ٤٦ الرقم ١٠، اسد الغابة: ج ١ ص ٥٦٣ الرقم ٨٠٠.

^{٥٨} (٤). الطبقات الكبرى: ج ٤ ص ٢٢٥، حلية الأولياء: ج ١ ص ١٥٨ الرقم ٢٦.

^{٥٩} (٥). الخضرَاء: السّماء، و الغبْرَاء: الأرض (النهاية: ج ٢ ص ٤٢).

^{٦٠} (٦). راجع: المستدرك على الصحيحين: ج ٣ ص ٣٨٥ ح ٥٤٦١، الطبقات الكبرى: ج ٤ ص ٢٢٨، سبّير أعلام النبلاء: ج ٢ ص ٥٩ الرقم ١٠.

^{٦١} (٧). راجع: الخصال: ص ٦٠٧ ح ٩، عيون أخبار الرضا: ج ٢ ص ١٢٦ ح ١.

^{٦٢} (٨). راجع: رجال الكشي: ج ١ ص ٣٨ الرقم ١٧، الاختصاص: ص ٦.

^{٦٣} (٩). راجع: رجال الكشي: ج ١ ص ٣٤ الرقم ١٣، الاختصاص: ص ٥.

^{٦٤} (١). راجع: أنساب الأشراف: ج ٦ ص ١٦٦، مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٤٩، شرح نهج البلاغة: ج ٨ ص ٢٥٦ ح ١٣٠.

و لم يُطِقه معاويةً أيضاً؛ إذ كان يعيش في الشَّام كالمملوك، و يفعل ما يفعله القياصرة، ضارباً بأحكام الإسلام عرض الجدار، فأقضت صيحات أبي ذرٍّ مضجعه^{٦٥}. فكتب إلى عثمان يخبره باضطراب الشَّام عليه إذا بقي فيها أبو ذرٍّ، فأمر برده إلى المدينة^{٦٦}، و أرجعوه إليها على أسوأ حال.

و قدم أبو ذرٍّ المدينة، ليجد سياسة عثمان على حالها، فعاد أبو ذرٍّ إلى طريقته، فالاحتجاج كان قائماً، و الصَّيحات مستمرة، و قول الحقّ متواصلاً، فلم يتوقف أبو ذرٍّ عن كشف الانحراف. و لما لم يُجد التَّرييب و التَّرهيب معه، غيَّرت الحكومة أسلوبها معه، و ما هو إلَّا الإبعاد، لكنَّه هذه المرَّة إلى الرَّبْذَة^{٦٧}، و هي صحراء قاحلة حارقة، و أصدر عثمان تعاليمه بمنع مشايعته^{٦٨}. و لم

ص: ٤١

يتحمَّل أمير المؤمنين عليه السلام هذه الأوامر الجائرة، فخرج مع أبنائه و عدد من الصَّحابة لتوديعه^{٦٩}.

و له كلام عظيم خاطبه به و بيَّن فيه ظلامته^{٧٠}. و تكلم من كان معه أيضاً، ليعلم الناس أنَّ الَّذي أبعد هذا الصَّحابيَّ الجليل إلى الرَّبْذَة هو قول الحقّ، و مقارعة الظُّلم، لا غيرها^{٧١}، و كان إبعاد أبي ذرٍّ أحد ممهدات الثَّورة على عثمان.

و ذهب هذا الرَّجل العظيم إلى الرَّبْذَة رضى الصَّمير؛ لأنَّه لم يتنصَّل عن مسؤوليته في قول الحقّ، لكنَّ قلبه كان مليئاً بالألم؛ إذ ترك وحده، و فصل عن مرقد حبيبه رسول الله صلى الله عليه و آله.

يقول عبد الله بن حوَّاش الكعبي: رأيتُ أبا ذرٍّ في الرَّبْذَة، و هو جالس وحده في ظلِّ سقيفة، فقلت: يا أبا ذرٍّ! وحدك!

فقال: كان الأمر بالمعروف و النَّهي عن المنكر شعاري، و قول الحقّ سيرتي، و هذا ما ترك لي رقيقاً.

توفى أبو ذرٍّ سنة ٣٢ هـ^{٧٢}، و تحققت نبوءة النبي صلى الله عليه و آله في أبي ذرٍّ حيث قال صلى الله عليه و آله:

«يَرْحَمُ اللَّهُ أَبَا ذَرٍّ، يَعْيشُ وَحِدَهُ، وَيَمُوتُ وَحِدَهُ، وَيُخْشَرُ وَحِدَهُ».

^{٦٥} (٢). راجع: أنساب الأشراف: ج ٦ ص ١٦٧، شرح نهج البلاغة: ج ٨ ص ٢٥٦ الرقم ١٣٠؛ الشافعي: ج ٤ ص ٢٩٤.

^{٦٦} (٣). الطبقات الكبرى: ج ٤ ص ٢٢٦، أنساب الأشراف: ج ٦ ص ١٦٧، سبب أخبار النبلاء: ج ٢ ص ٦٣ الرقم ١٠، تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٢٨٣؛ الأماشي للمفيد: ص ١٦٢ ح ٤.

^{٦٧} (٤). راجع: الكافي: ج ٨ ص ٢٠٦ ح ٢٥١، الأماشي للمفيد: ص ١٦٤ ح ٤؛ أنساب الأشراف: ج ٦ ص ١٦٧، الطبقات الكبرى: ج ٤ ص ٢٢٧.

^{٦٨} (٥). راجع: مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٥١، شرح نهج البلاغة: ج ٨ ص ٢٥٢ الرقم ١٣٠؛ الأماشي للمفيد: ص ١٦٥ ح ٤.

^{٦٩} (١). الكافي: ج ٨ ص ٢٠٦ ح ٢٥١، من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٢٧٥ ح ٢٤٢٨، الأماشي للمفيد: ص ١٦٥ ح ٤، المحاسن: ج ٢ ص ٩٤ ح ١٢٤٧، تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ١٧٢؛ مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٥٠.

^{٧٠} (٢). الكافي: ج ٨ ص ٢٠٦ ح ٢٥١، نهج البلاغة: الخطبة ١٣٠.

^{٧١} (٣). الكافي: ج ٨ ص ٢٠٧ ح ٢٥١ و راجع من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٢٧٥ ح ٢٤٢٨، المحاسن: ج ٢ ص ٩٤ ح ١٢٤٧؛ شرح نهج البلاغة: ج ٨ ص ٢٥٣ الرقم ١٣٠.

^{٧٢} (٤). المستدرک علی الصحیحین: ج ٣ ص ٣٨١ ح ٥٤٥١، سبب أخبار النبلاء: ج ٢ ص ٧٤ الرقم ١٠؛ رجال الطوسي: ص ٣٢ الرقم ١٤٣ و فيه: «مات في زمن عثمان بالربذة».

و وصل جماعة من المؤمنين فيهم مالك الأشتَر، بعد وفاة ذلك الصحابي الكبير الصادق بالحق في زمانه، و سدوا جسده النّحيف الثّرى باحترام و تبجيل^{٧٤}.

قال رسول الله صلى الله عليه و آله:

«مَا أَظَلَّتِ الْخَضْرَاءُ، وَلَا أَقَلَّتِ الْعَبْرَاءُ عَلَى رَجُلٍ أَصْدَقَ لَهْجَةً مِنْ أَبِي ذَرٍّ»^{٧٥}.

و عنه صلى الله عليه و آله:

«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى شَبِيهِ عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ خَلْقًا وَخُلُقًا؛ فَلْيَنْظُرْ إِلَى أَبِي ذَرٍّ»^{٧٦}.

و في سنن الترمذي عن أبي ذرّ: قال رسول الله صلى الله عليه و آله:

«مَا أَظَلَّتِ الْخَضْرَاءُ، وَلَا أَقَلَّتِ الْعَبْرَاءُ، مِنْ ذِي لَهْجَةٍ أَصْدَقَ وَلَا أَوْفَى مِنْ أَبِي ذَرٍّ، شِبْهَ عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ».

فقال عمر بن الخطّاب كالحاسد: يا رسول الله أ فنعرف ذلك له؟ قال:

نَعَمْ، فاعرفوه له^{٧٧}.

و في مُسْنَدِ ابْنِ حُنْبَلٍ عن بُرَيْدَةَ: قال رسول الله صلى الله عليه و آله:

«إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ يُحِبُّ مِنْ أَصْحَابِي

^{٧٣} (١). راجع: الإصابة: ج ٧ ص ١٠٩ ح ٩٨٧٧، المستدرک علی الصحیحین: ج ٣ ص ٥٣ ح ٤٣٧٣، الطبقات الكبرى: ج ٤ ص ٢٣٤، سیر أعلام النبلاء: ج ٢ ص ٧٧ الرقم ١٠، تاریخ الطبري: ج ٤ ص ٣٠٨، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٢٦٤؛ رجال الكشي: ج ١ ص ٢٨٣ الرقم ١١٨.

^{٧٤} (٢). المشهور إنّ أبا ذرّ انتهج أسلوب كشف المساوي و البدع في أيام عثمان، كما كان ينكر بوجود الظلم و التمييز و التكلّف. من هنا لم تتحمّل الحكومة وجوده في المدينة، فنفته إلى الشام. و فيها واصل أسلوبه، و فضح معاوية و كشف قبائحه. فشكاه معاوية إلى عثمان، فردّه إلى المدينة، ثمّ أبعدّه إلى الرّيذة....

بيد أنّ بعض الباحثين ذهب إلى أنّه مكث طويلاً في الشام، اهدأ ببعض الوثائق التاريخية، و مقايسة أخبار متنوّعة في هذا المجال. أي: إنّّه توجه إلى الشام بعد موت أبي بكر، و بذّر فيها التشيع. راجع: كتاب «أبو ذرّ الغفاري» لمحمد جواد آل الفقيه: ص ٦٥.

^{٧٥} (٣). المستدرک علی الصحیحین: ج ٣ ص ٣٨٥ ح ٥٤٦١، سنن الترمذي: ج ٥ ص ٦٦٩ ح ٣٨٠١، سنن ابن ماجه:

ج ١ ص ٥٥ ح ١٥٦، سیر أعلام النبلاء: ج ٢ ص ٥٩ الرقم ١٠، كلّها عن عبد الله بن عمرو.

^{٧٦} (٤). المعجم الكبير: ج ٢ ص ١٤٩ ح ١٦٢٦ عن عبد الله بن مسعود، الطبقات الكبرى: ج ٤ ص ٢٢٨، سیر أعلام النبلاء: ج ٢ ص ٥٩ الرقم ١٠ كلاهما عن مالك بن دينار و فيهما «من سرّه أن ينظر إلى زهد عيسى فليُنظر...»، الاستيعاب: ج ١ ص ٣٢٣ الرقم ٣٤٣ عن أبي هريرة و فيه «من سرّه أن ينظر إلى تواضع عيسى فليُنظر...».

^{٧٧} (٥). سنن الترمذي: ج ٥ ص ٦٧٠ ح ٣٨٠٢.

أَرْبَعَةً، أَخْبَرَنِي أَنَّهُ يُحِبُّهُمْ، وَأَمَرَنِي أَنْ أَحِبَّهُمْ».

قالوا: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قال:

«إِنَّ عَلِيًّا مِنْهُمْ، وَأَبُو ذَرِّ الْغِفَارِيِّ، وَسَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ، وَالْمِقْدَادُ بْنَ الْأَسْوَدِ الْكِنْدِيِّ»^{٧٨}.

و في أنساب الأشراف: لما أعطى عثمان مروان بن الحكم ما أعطاه، و أعطى الحارث بن الحكم بن أبي العاص ثلاثمائة ألف درهم، و أعطى زَيْد بن ثابت الأنصاريّ مائة ألف درهم، جعل أبو ذَرِّ يقول: بشر الكانزين بعذاب أليم، و يتلو قول الله عز و جل:

«وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ»

الآية^{٧٩}.

فرفع ذلك مروان بن الحكم إلى عثمان، فأرسل - عثمان - إلى أبي ذَرِّ ناتلاً مولاه أن: أنته عما يبلغني عنك، فقال: أ ينهاني عثمان عن قراءة كتاب الله، و غيب من ترك أمر الله؟! فَوَ اللَّهُ لئن ارضى الله بِسَخَطِ عُثْمَانَ أَحَبُّ إِلَيَّ و خَيْرٌ لِي مِن أَنْ اسخِطَ اللَّهُ بِرِضَاةٍ، فَأَغْضَبَ عُثْمَانَ ذَلِكَ و أَحْفَظُهُ^{٨٠}، فَتَصَابِرَ و كَفَّ.

و قال عثمان يوماً: أ يجوز للإمام أن يأخذ من المال، فإذا أيسرَ قَضَى؟ فقال كَعْبُ الْأَخْبَارِ: لا بأس بذلك! فقال أبو ذَرِّ: يا ابن اليهوديين! أ تَعَلَّمْنَا دِينَنَا؟! فقال عثمان: مَا أَكْثَرَ أَذَاكَ لِي، و أَوْلَعَكَ بِأَصْحَابِي!^{٨١}

و في أنساب الأشراف عن كَمَيْل بن زياد: كنت بالمدينة حين أمر عثمان أبا ذَرِّ باللحاق بالشام، و كُنْتُ بِهَا فِي الْعَامِ الْمُقْبِلِ، حين سيّره إلى الرّبذة^{٨٢}

ص: ٤٤

و في تاريخ يعقوبى: بلغ عثمان أيضاً أنّ أبا ذَرِّ يقع فيه، و يذكر ما غير و بدّل من سنن رسول الله، و سنن أبي بكرٍ و عمر، فسيره إلى الشام إلى معاوية، و كان يجلس في المسجد فيقول كما كان يقول، و يجتمع إليه الناس، حتّى كثر من يجتمع إليه و يسمع منه.

^{٧٨} (١) مسند ابن حنبل: ج ٩ ص ١٤ ح ٢٣٠٢٩، سبب أعلام النبلاء: ج ٢ ص ٦١ الرقم ١٠.

^{٧٩} (٢) التوبة: ٣٤.

^{٨٠} (٣) أي: أغضبه، من الحفيظة؛ الغضب (النهاية: ج ١ ص ٤٠٨).

^{٨١} (٤) أنساب الأشراف: ج ٦ ص ١٦٦؛ الشافعي: ج ٤ ص ٢٩٣ نحوه و راجع شرح نهج البلاغة: ج ٨ ص ٢٥٦.

^{٨٢} (٥) أنساب الأشراف: ج ٦ ص ١٦٨.

و كان يقف على باب دمشق، إذا صَلَّى صلاة الصُّبح، فيقول: جاءت القَطَارُ تحمِلُ النَّارَ، لَعَنَ اللَّهُ الْأَمْرِينَ بِالْمَعْرُوفِ وَ التَّارِكِينَ لَهُ، وَ لَعَنَ اللَّهُ النَّاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ الْآتِينَ لَهُ.

و كتب معاويةً إلى عثمان: إنك قد أفسدت الشَّامَ على نفسك بأبي ذرٍّ، فكتب إليه أن: احمِلُهُ عَلَيَّ قَتَبٍ^{٨٣} بغيرِ وِطاء، فقدم به إلى المَدِينَةِ، وَ قد ذهبَ لحمٌ فخذيهِ، فلما دخل إليه و عنده جماعةُ قال: بلَغَنِي أَنْك تقول: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ:

«إِذَا كَمَلْتَ بَنُو أُمَّيَّةَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا، اتَّخَذُوا بِإِلَادِ اللَّهِ دُؤْلًا^{٨٤}، وَ عِبَادَ اللَّهِ حَوْلًا^{٨٥}، وَ دِينَ اللَّهِ دَغْلًا^{٨٦}»

فقال: نَعَمْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ ذَلِكَ. فقال لهم:

أسمعتم رسول الله يقول ذلك؟

فبعث إلى عليّ بن أبي طالب، فأثابه، فقال: يا أبا الحسن! أَسَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ ما حكاةُ أبو ذرٍّ؟ و قصّ عليه الخبرَ. فقال عليٌّ: نعم! قال: وَ كيف تشهدهُ؟ قال: لقول رسول الله صلى الله عليه و آله:

«ما أَظَلَّتِ الخِصْرَاءُ، وَ لا أَقَلَّتِ العَبْرَاءُ ذَا لَهْجَةٍ أَصْدَقَ مِنْ أَبِي ذَرٍّ».

ص: ٤٥

فلم يُقيم بالمدينة إلّا أياماً حتّى أرسل إليه عثمان: و الله لتخرُجنَّ عنها! قال:

أُتخِرْجُنِي مِنْ حَرَمِ رَسُولِ اللَّهِ؟ قال: نعم، و أنفك راغمٌ. قال: فإلى مَكَّة؟ قال:

لا، قال: فإلى البَصْرَةِ؟ قال: لا، قال: فإلى الكُوفَةِ؟ قال: لا، و لكن إلى الرَّبَذَةِ الَّتِي خَرَجْتَ مِنْهَا حَتَّى تَمُوتَ بِهَا! يا مَروانُ، أخرجِه، و لا تدع أحداً يكلمُه، حَتَّى يَخْرُجَ.

فأخرجَه على جَمَلٍ و مَعَهُ امرأتهُ و ابنتُه، فخرج و عليٌّ و الحسن و الحسين و عبد الله بن جعفر و عَمَّارُ بن ياسِرٍ ينظرون، فلما رأى أبو ذرٍّ عليّاً، قام إليه فقبِلَ يَدَهُ ثُمَّ بكى و قال: إني إذا رأيتك و رأيتُ وُلْدَكَ، ذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ، فَلَمَّ أُصِبرَ حَتَّى أبكى! فَذَهَبَ عَلَيَّ يَكَلِّمُهُ، فقال له مروان: إن أمير المؤمنين قد نهى أن يكلمه أحد، فرفع عليّ السَّوْطَ فضرب وَجَهَ ناقه مَروانَ، و قال:

تَنَحَّ، نَحَاكَ اللَّهُ إِلَى النَّارِ!

^{٨٣} (١). القَتَبُ: رَحْلُ البَعِيرِ، صغِيرٌ على قدر السَّنَامِ (مجمع البحرين: ج ٣ ص ١٤٣٧).

^{٨٤} (٢). الدُّوْلُ: جمع دُولَةٍ؛ و هو ما يُتداولُ من المال، فيكون لِقَوْمٍ دون قومٍ (النهاية: ج ٢ ص ١٤٠).

^{٨٥} (٣). حَوْلًا: أي خَدْمًا و عبيدًا، يعني أَنَّهُم يَستخدِمونهم و يَستعبدونهم (النهاية: ج ٢ ص ٨٨).

^{٨٦} (٤). دَغْلًا: أي يخدعون به الناس، و أصلُ الدَّغْلِ: الشَّجَرُ المُلْتَفُّ الَّذِي يَكْمُنُ أَهلُ الفَسادِ فيه (النهاية: ج ٢ ص ١٢٣).

ثم شيعه، فكلمه بكلام يطول شرحه، و تكلم كل رجل من القوم و انصرفوا، و انصرف مروان إلى عثمان، فجرى بينه و بين عليّ في هذا بعض الوحشه، و تلاحيا كلاماً، فلم يزل أبو ذرّ بالرّبذة حتّى توفّي^{٨٧}.

و في أنساب الأشراف: كان أبو ذرّ يُنكر على معاوية أشياء يفعلها، و بعث إليه معاوية بثلاثمائة دينار، فقال: إن كانت من عطائي الذي حرمتونيهِ عامي هذا قبلتها، و إن كانت صلة فلا حاجة لي فيها.

و بعث إليه حبيب بن مسلمة الفهريّ بمائتي دينار، فقال: أ ما وجدت أهون عليك منّي حين تبعث إليّ بمال؟ و ردّها.

و بنى معاوية الخضراء بدمشق، فقال: يا معاوية، إن كانت هذه الدار من مال

ص: ٤٦

الله فهي الخيانة، و إن كانت من مالِك فهذا الإسراف، فسكت معاوية^{٨٨}.

و في أنساب الأشراف: كان أبو ذرّ يقول: و الله لقد حدت أعمال ما أعرفها، و الله ما هي في كتاب الله، و لا سنّة نبيّه، و الله إني لأرى حقاً يظفأ، و باطلاً يحيا، و صادقاً يكذب، و أثره بغير تقيّ، و صالحاً مستأثراً عليه.

فقال حبيب بن مسلمة لمعاوية: إن أبا ذرّ مفسدٌ عليك الشّام، فتدارك أهله إن كانت لكم به حاجة، فكتب معاوية إلى عثمان فيه، فكتب عثمان إلى معاوية: أمّا بعد: فاحمل جُنْدُباً إلىّ على أغلظ مركب و أوعره، فوجه معاوية من سار به اللّيل و النهار.

فلما قدم أبو ذرّ المدينة جعل يقول: يستعمل الصّبيان، و يحمي الحمى، و يُقرّب أولاد الطّلقاء. فبعث إليه عثمان: الحقّ بأيّ أرض شئت، فقال: بمكّة، فقال: لا، قال: فببيت المقدس، قال: لا، قال: فبأحد المصيرين^{٨٩}، قال: لا، و لكنني مُسيّرٌ إلى الرّبذة، فسيره إليها، فلم يزل بها حتّى مات^{٩٠}.

و عن قتادة: تكلم أبو ذرّ بشيء كرهه عثمان فكذبّه، فقال: ما ظننت أنّ أحداً يكذبني بعد قول رسول الله صلى الله عليه و آله:

«مَا أَقَلَّتِ الْعِبْرَاءُ، وَلَا أَطْبَقَتِ الْخَضْرَاءُ، عَلَيَّ ذِي لَهْجَةٍ أَصْدَقَ مِنْ أَبِي ذَرٍّ»

! ثمّ سيره إلى الرّبذة.

فكان أبو ذرّ يقول: ما ترك الحقّ لي صديقاً، فلما سار إلى الرّبذة قال: ردّني عثمان بعد الهجرة أعرابياً^{٩١}

^{٨٧} (١). تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ١٧١؛ الفتوح: ج ٢ ص ٣٧٣ نحوه و راجع مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٥٠.

^{٨٨} (١). أنساب الأشراف: ج ٦ ص ١٦٧، شرح نهج البلاغة: ج ٨ ص ٢٥٦؛ الشافعي: ج ٤ ص ٢٩٤ و ليس فيهما من «و بعث إليه» إلى «و ردّها».

^{٨٩} (٢). هما الكوفة و البصرة (لسان العرب: ج ٥ ص ١٧٦).

^{٩٠} (٣). أنساب الأشراف: ج ٦ ص ١٦٧؛ الشافعي: ج ٤ ص ٢٩٤ نحوه.

ص: ٤٧

و فى الأمالى للطوسى عن عبد الرحمن بن أبى عمرة الأنصارى: لما قدم أبو ذرّ على عثمان، قال: أخبرنى أى البلاد أحب إليك؟ قال: مهاجرى، فقال: لست بمجاورى. قال: فألحق بحرم الله، فأكون فيه؟ قال: لا، قال: فالكوفة، أرض بها أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله، قال: لا، قال: فلست بمختار غيرهنّ. فأمره بالمسير إلى الرّبذة، فقال: إن رسول الله صلى الله عليه و آله قال لى:

«اسمع وأطع، وأنفذ حيث فادوك، ولو لعبد حبشى مجدع».

فخرج إلى الرّبذة، و أقام مدّة، ثم أتى إلى المدينة، فدخل على عثمان و الناس عنده سماطين، فقال: يا أمير المؤمنين! إنك أخرجتني من أرضى إلى أرض ليس بها زرع و لا ضرع إلا شويها، و ليس لى خادم إلا محررة^{٩٢}، و لا ظلّ يظلّنى إلا ظلّ شجرة، فاعطني خادماً و غنيمات أعش فيها، فحول وجهه عنه، فتحول عنه إلى السّماط الآخر، فقال مثل ذلك.

فقال له حبيب بن مسلمة: لك عندى يا أبا ذرّ ألف درهم و خادم و خمسمائة شاة.

قال أبو ذرّ: أعط خادمك و ألفك و شويها، من هو أحوج إلى ذلك منى؛ فإنى إنما أسأل حقى فى كتاب الله.

فجاء علىّ عليه السلام فقال له عثمان: أ لا تغنى عنّا سفیهك هذا؟

قال:

أى سفیه؟

قال: أبو ذرّ!

قال علىّ عليه السلام:

ليس بسفیه، سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: «ما أظلت الخضراء، و لا أفلت الغبراء، أصدق لهجة من أبى ذرّ» أنزله بمنزلة مؤمن آل فرعون، «وإن يك كذباً فعليه

ص: ٤٨

كذبه و وإن يك صادقاً يصبكم بغض الذى يعدكم»^{٩٣}.

^{٩١} (٤). أنساب الأشراف: ج ٦ ص ١٦٨.
^{٩٢} (١). المخرّر: الذى جعل من العبيد خراً فاعتق (النهاية: ج ١ ص ٣٦٢).
^{٩٣} (١). غافر: ٢٨.

قَالَ عُثْمَانُ: التُّرَابُ فِي فَيْكَ!

قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

بَلِ التُّرَابُ فِي فَيْكَ، أَنْشُدُ بِاللَّهِ، مَنْ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ ذَلِكَ لِأَبِي ذَرٍّ؟

فَقَامَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَ عَشْرَةٌ فَشَهِدُوا بِذَلِكَ، فَوَلَّى عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ^{٩٤}.

و فِي الكافي عن أبي جعفر الخثعمي: لَمَّا سَيرَ عُثْمَانُ أَبَا ذَرٍّ إِلَى الرَّبَذَةِ، شَيَّعَهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَ عَقِيلَ وَ الْحَسَنَ وَ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ، فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ الْوَدَاعِ، قَالَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ إِنَّمَا غَضِبْتَ لِلَّهِ عِزًّا وَ جَلًّا، فَارْجُ مَنْ غَضِبْتَ لَهُ. إِنَّ الْقَوْمَ خَافُوكَ عَلَى دُنْيَاهُمْ، وَخَفَتَهُمْ عَلَى دِينِكَ، فَأَرْحَلُوكَ عَنِ الْفِنَاءِ وَامْتَحَنُوكَ بِالْبَلَاءِ. وَوَاللَّهِ لَوْ كَانَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ عَلَى عَبْدٍ رَتَقًا، ثُمَّ اتَّقَى اللَّهَ عِزًّا وَ جَلًّا؛ جَعَلَ لَهُ مِنْهَا مَخْرَجًا، فَلَا يُؤْنِسُكَ إِلَّا الْحَقُّ، وَلَا يُوحِشُكَ إِلَّا الْبَاطِلُ^{٩٥}.

قَالَ الْإِمَامُ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

لَمَّا شَيَّعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَبَا ذَرٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَشَيَّعَهُ الْحَسَنَ وَ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَعَقِيلَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ، وَعَمَّارِينَ يَاسِرٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ اللَّهُ؛ قَالَ لَهُمْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَدَّعُوا أَخَاكُمْ؛ فَإِنَّهُ لَا بُدَّ لِلشَّأْخِصِ مِنْ أَنْ يَمْضِيَ، وَلِلْمُشَيِّعِ مِنْ أَنْ يَرْجِعَ.

قَالَ: فَتَكَلَّمَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ عَلَى حِيَالِهِ، فَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: رَحِمَكَ اللَّهُ يَا أَبَا ذَرٍّ! إِنَّ الْقَوْمَ إِنَّمَا امْتَهَنُوكَ بِالْبَلَاءِ؛ لِأَنَّكَ مَنَعْتَهُمْ دِينَكَ، وَفَمَنَعُوكَ دُنْيَاهُمْ؛ فَمَا أَحْوَجَكَ عَدًّا إِلَى مَا مَنَعْتَهُمْ، وَ أَغْنَاكَ عَمَّا مَنَعُوكَ.

فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: رَحِمَكُمُ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ! فَمَا لِي فِي الدُّنْيَا مِنْ شَجْنٍ^{٩٦} غَيْرِكُمْ، إِنِّي إِذَا ذَكَرْتُكُمْ

ص: ٤٩

ذَكَرْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ^{٩٧}.

و فِي الْأَمَالِيِّ لِلْمُفِيدِ عَنْ أَبِي جَهْضَمِ الْأَزْدِيِّ عَنْ أَبِيهِ - بَعْدَ مَعَامَلَةِ عُثْمَانَ السَّيِّئَةِ مَعَ أَبِي ذَرٍّ: بَلَغَ ذَلِكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَبَكَى حَتَّى بَلَ لِحَيْتِهِ بِدَمُوعِهِ، ثُمَّ قَالَ:

^{٩٤} (٢). الْأَمَالِيُّ لِلطُّوسِيِّ: ص ٧١٠ ح ١٥١٤.

^{٩٥} (٣). الكافي: ج ٨ ص ٢٠٦ ح ٢٥١.

^{٩٦} (٤). الشَّجْنُ: أَي قِرَابَةٌ مُشْتَبِكَةٌ كَأَشْتَبَاكَ الْعُرُوقَ (النهاية: ج ٢ ص ٤٤٧).

^{٩٧} (١). المحاسن: ج ٢ ص ٩٤ ح ١٢٤٧ عن إسحاق بن جرير الجريري عن رجل من أهل بيته، من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٢٧٥ ح ٢٤٢٨.

أَهْكَذَا يُصْنَعُ بِصَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؟! إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

ثم نهض و معه الحسن و الحسين عليهما السلام، و عبد الله بن العباس و الفضل و قثم و عبيد الله، حتّى لحقوا أبا ذرّ، فشيّعوه، فلما بصر بهم أبو ذرّ رحمه الله حنّ إليهم، و بكى عليهم، و قال: بأبي و جوه إذا رأيتها ذكرتُ بها رسولَ الله صلى الله عليه و آله، و شملتني البركة برؤيتها.

ثم رَفَعَ يديه إلى السماء و قال: اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْبَبُهُمْ، وَ لَوْ قُطِعَتْ إِرْبًا إِرْبًا فِي مَحَبَّتِهِمْ، مَا زِلْتُ عَنْهَا ابْتِغَاءً وَ جِهَةً وَ الدَّارَ الآخِرَةَ، فَارْجِعُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ، وَ اللَّهُ أَسْأَلُ أَنْ يَخْلُقَنِي فِيكُمْ أَحْسَنَ الْخِلَافَةِ. فودّعه القوم و رجعوا و هم يبكون على فراقه^{٩٨}.

و فى تاريخ اليعقوبى: لم يزل أبو ذرّ بالرَبْدَةِ حتّى توفى، و لما حضرته الوفاة قالت له ابنته: إني وحدي فى هذا الموضع، و أحاف أن تغلبني عليك السباع.

فقال: كلاً، إنه سيحضرني نفرٌ مؤمنون، فانظري أترين أحداً؟

فقالت: ما أرى أحداً!

ص: ٥٠

قال: ما حضر الوقت، ثم قال: انظري، هل ترين أحداً؟

قالت: نعم، أرى ركباً مقبلين.

فقال: الله أكبر، صدق الله و رسوله، حوّلى وجهى إلى القبلة، فإذا حضر القوم فأقرئهم منى السلام، فإذا فرغوا من أمرى، فاذبحي لهم هذه الشاة، و قولى لهم:

أقسمت عليكم إن برحتم حتّى تأكلوا، ثم قضى عليه.

فأتى القوم، فقالت لهم الجارية: هذا أبو ذرّ صاحبُ رسولِ الله قد توفى، فنزلوا، و كانوا سبعة نفر، فيهم خذيفة بن اليمان، و الأشر، فبكوا بكاءً شديداً، و غسلوه، و كفّنوه، و صلّوا عليه، و دفنوه.

ثم قالت لهم: إنه يُقسِمُ عليكم ألا تبرحوا حتّى تأكلوا، فذبحوا الشاة و أكلوا، ثم حملوا ابنته حتّى صاروا بها إلى المدينة^{٩٩}.

٤ كتابه عليه السلام إلى قيصر الروم

^{٩٨} (٢). الأمالى للمفيد: ص ١٦٥ ح ٤.
^{٩٩} (١). تاريخ اليعقوبى: ج ٢ ص ١٧٣ و راجع تاريخ الطبرى: ج ٤ ص ٣٠٨، الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ٢٦٤، الفتوح: ج ٢ ص ٣٧٧.

لمَّا جَلَسَ عُمَرُ فِي الْخِلاَفَةِ، جَرَى بَيْنَ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ يُقَالُ لَهُ: الْحَارِثُ بْنُ سِنَانِ الْأَزْدِيُّ، وَبَيْنَ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ كَلَامٌ وَ
مَنَازَعَةٌ، فَلَمْ يَنْتَصِفْ لَهُ عُمَرُ، فَلَحِقَ الْحَارِثُ بْنُ سِنَانٍ بِقَيْصَرَ، وَارْتَدَّتْ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَنَسِيَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ، إِلَّا قَوْلَهُ تَعَالَى:

«وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ»^{١٠٠}،

فَسَمِعَ قَيْصَرٌ هَذَا الْكَلَامَ، فَقَالَ:

ص: ٥١

سَأَلْتُكَ إِلَى مَلِكِ الْعَرَبِ بِمَسَائِلَ، فَإِنْ أَخْبَرَنِي عَنْهَا أَطَلَقْتُ مَا عِنْدِي مِنَ الْأَسَارِيِّ، وَإِنْ لَمْ يَخْبِرَنِي تَفْسِيرَ مَسَائِلِي، عَهَدْتُ
إِلَى الْأَسَارِيِّ، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِمُ النَّصْرَانِيَّةَ، فَمَنْ قَبِلَ مِنْهُمْ اسْتَعْبَدْتَهُ، وَمَنْ لَمْ يَقْبَلْ قَتَلْتُهُ.

فَكَتَبَ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ بِمَسَائِلَ:

أَحَدُهَا سُؤَالُهُ عَنِ تَفْسِيرِ الْفَاتِحَةِ، وَ عَنِ الْمَاءِ الَّذِي لَيْسَ مِنَ الْأَرْضِ وَ لَا مِنَ السَّمَاءِ، وَ عَمَّا يَتَنَفَّسُ وَ لَا رُوحَ فِيهِ، وَ عَنِ عَصَا
مُوسَى مِمَّنْ^{١٠١} كَانَتْ وَ مَا اسْمُهَا، وَ مَا طَوْلُهَا، وَ عَنِ جَارِيَةٍ بَكَرَ لِأَخْوَيْنِ فِي الدُّنْيَا، وَ هِيَ فِي الْآخِرَةِ لِوَاحِدٍ.

فَلَمَّا وَرَدَتْ هَذِهِ الْمَسَائِلُ عَلَى عُمَرَ لَمْ يَعْرِفْ تَفْسِيرَهَا، فَفَزِعَ فِي ذَلِكَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَكَتَبَ عَلَيْهِ
السَّلَامَ إِلَى قَيْصَرَ:

«مِنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ صِهْرٍ مُحَمَّدٍ، وَوَارِثِ عِلْمِهِ، وَأَقْرَبِ الْخَلْقِ إِلَيْهِ، وَوَزِيرِهِ، وَمَنْ حَقَّتْ لَهُ الْوِلَايَةُ، وَأَمْرَ الْخَلْقِ بِالْبِرَاءَةِ مِنْ
أَعْدَائِهِ، فَرَّةً عَيْنِ رَسُولِ اللَّهِ، وَرُوحِ ابْنَتِهِ، وَأَبُو وَوَلَدِهِ، إِلَى قَيْصَرَ مَلِكِ الرُّومِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَحْمَدُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، عَالِمِ الْخَفِيَّاتِ، وَمُنْزِلِ الْبَرَكَاتِ، مَنْ يَهْدِي اللَّهَ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّ فَلَا هَادِيَ
لَهُ؛ وَرَدَّ كِتَابَكَ، وَأَقْرَأَنِيهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ.

فَأَمَّا سُؤَالُكَ عَنِ اسْمِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ اسْمٌ فِيهِ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ، وَعَوْنٌ عَلَى كُلِّ دَوَاءٍ.

وَأَمَّا سُؤَالُكَ عَنِ «الرَّحْمَنِ»، فَهُوَ عَوْنٌ لِكُلِّ مَنْ آمَنَ بِهِ، وَهُوَ اسْمٌ لَمْ يَتَسَمَّ بِهِ غَيْرُ الرَّحْمَنِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وَأَمَّا «الرَّحِيمُ»، فَرَحِيمٌ مِّنْ عَصَى وَتَابٍ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا.

ص: ٥٢

^{١٠٠} (٢) آل عمران: ٨٥.

^{١٠١} (١) كذا في المصدر، و الصحيح: «مما كانت»؛ لأن «من» يُسألُ بها عن العاقل.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»، فَذَلِكَ ثَنَاءٌ مِنَّا عَلَى رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِمَا أَنْعَمَ عَلَيْنَا.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: «مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ»، فَإِنَّهُ يَمْلِكُ نَوَاصِيَ الْخَلْقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَكُلٌّ مَن كَانَ فِي الدُّنْيَا شَاكًّا أَوْ جَبَّارًا أَدْخَلَهُ النَّارَ، وَلَا يَمْتَنِعُ مِنَ عَذَابِ اللَّهِ عِزُّهُ وَلَا جَبَّارٌ وَلَا جَبَّارٌ، وَكُلٌّ مَن كَانَ فِي الدُّنْيَا طَائِعًا مُذْنِبًا مَخَاطِبًا، وَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ»، فَإِنَّا نَعْبُدُ اللَّهَ، وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا.

أَمَّا قَوْلُهُ: «وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ»، فَإِنَّا نَسْتَعِينُ بِاللَّهِ عِزُّهُ وَلَا نُضِلُّنَا كَمَا أَضَلَّكُمْ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: «اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ»، فَذَلِكَ الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ، مَن عَمِلَ فِي الدُّنْيَا صَالِحًا فَإِنَّهُ يَسْأَلُ عَلَى الصِّرَاطِ إِلَى الْجَنَّةِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: «صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ»، فَتِلْكَ النِّعْمَةُ الَّتِي أَنْعَمَهَا اللَّهُ عِزُّهُ وَلَا نُضِلُّنَا مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ، فَسَأَلُ اللَّهَ رَبَّنَا أَنْ يُنْعِمَ عَلَيْنَا.

وَأَمَّا قَوْلُهُ عِزُّهُ وَلَا نُضِلُّنَا مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ، فَسَأَلُ اللَّهَ رَبَّنَا أَنْ لَا يَغْضِبَ عَلَيْنَا كَمَا غَضِبَ عَلَيْهِمْ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: «وَإِنَّا لَنَحْنُ الضَّالِّينَ»، فَأَنْتَ وَأَمْثَالُكَ يَا عَابِدَ الصَّلِيبِ الْخَبِيثِ، ضَلَلْتُمْ بَعْدَ عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، نَسَأَلُ رَبَّنَا أَنْ لَا يُضِلَّنَا كَمَا ضَلَلْتُمْ.

وَأَمَّا سُؤَالُكَ عَنِ الْمَاءِ الَّذِي لَيْسَ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا مِنَ السَّمَاءِ، فَذَلِكَ الَّذِي بَعَثْتَهُ بَلْقَيْسُ إِلَى سُلَيْمَانَ، وَهُوَ عَرَقُ الْخَيْلِ إِذَا جَرَّتْ فِي الْحُرُوبِ.

وَأَمَّا سُؤَالُكَ عَمَّا يَتَنَفَّسُ وَلَا رُوحَ فِيهِ، فَذَلِكَ الصَّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ.

فَأَمَّا سُؤَالُكَ عَنِ عَصَا مُوسَى مِمَّا كَانَتْ، وَمَا طَوَّلَهَا، وَمَا اسْمُهَا، وَمَا هِيَ، فَإِنَّهَا كَانَتْ يُقَالُ

ص: ٥٣

لَهَا: «الْبَرْنِيَّةُ»، وَتَفْسِيرُ الْبَرْنِيَّةِ: الزَّابِدَةُ، وَكَانَتْ إِذَا كَانَتْ فِيهَا الرُّوحُ زَادَتْ، وَإِذَا خَرَجَ مِنْهَا الرُّوحُ نَقَصَتْ، وَكَانَتْ مِنْ عَوْسَجٍ^{١٠٢}، وَكَانَتْ عَشْرَةَ أَذْرُعٍ، وَكَانَتْ مِنَ الْجَنَّةِ، أَنْزَلَهَا جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَأَمَّا سُؤَالُكَ عَنِ جَارِيَتِهِ تَكُونُ فِي الدُّنْيَا لِأَخَوَيْنِ، وَفِي الْآخِرَةِ لِوَاحِدٍ، فَتِلْكَ النَّخْلَةُ، هِيَ فِي الدُّنْيَا لِمُؤْمِنٍ مِثْلِي وَلِكَافِرٍ مِثْلِكَ، وَنَحْنُ مِنْ وُلْدِ آدَمَ [عَلَيْهِ السَّلَامُ] وَهِيَ فِي الْآخِرَةِ لِلْمُسْلِمِ دُونَ الْمُشْرِكِ، وَهِيَ فِي الْجَنَّةِ لَيْسَتْ فِي النَّارِ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فِيهِمَا فَكِيهَةٌ وَنَخْلٌ وَرَمَانٌ»^{١٠٣}.

^{١٠٢} (١). العوسج: من شجر الشوك.

ثُمَّ طَوَى الْكِتَابَ وَ أَنْفَذَهُ إِلَيْهِ، فَلَمَّا قَرَأَهُ قَيْصَرٌ عَهْدَ إِلَى الْأَسَارَى فَأَطْلَقَهُمْ، وَ اخْتَارَهُمْ، وَ دَعَا أَهْلَ مَمْلَكَتِهِ إِلَى الْإِسْلَامِ وَ الْإِيمَانَ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ، فَاجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ النَّصَارَى، وَ هَمُّوا بِقَتْلِهِ، فَأَجَابَهُمْ، فَقَالَ:

يَا قَوْمُ، إِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أُجَرِّبَكُمْ، وَ إِنَّمَا أَظْهَرْتُ مَا أَظْهَرْتُ لِأَنْظُرَ كَيْفَ تَكُونُونَ؟

فَقَدْ حَمَدْتُ الْآنَ أَمْرَكُمْ عِنْدَ الْاِخْتِبَارِ.

فَسَكَتُوا وَ اطْمَأَنَّنُوا، فَقَالُوا: كَذَلِكَ الظَّنُّ بِكَ، وَ كَتَمَ قَيْصَرٌ إِسْلَامَهُ حَتَّى مَاتَ، وَ هُوَ يَقُولُ لَخَوَاصِّ أَصْحَابِهِ وَ مَنْ يَثِيقُ بِهِ:

إِنَّ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَبْدُ اللَّهِ وَ رَسُولُهُ، وَ كَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ نَبِيُّ بَعْدَ عَيْسَى، وَ إِنَّ عَيْسَى بَشَرٌ أَصْحَابُهُ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ، وَ يَقُولُ:

«مَنْ أَدْرَكَهُ فَلْيَقْرَأْ^{١٠٤} مِنِّي السَّلَامَ، فَإِنَّهُ أُخِي وَ عَبْدُ اللَّهِ وَ رَسُولُهُ».

وَ مَاتَ قَيْصَرٌ - عَلَى الْقَوْلِ - مُسْلِمًا، فَلَمَّا مَاتَ وَ تَوَلَّى بَعْدَهُ هِرَقْلُ، أَخْبَرُوهُ

ص: ٥٥

الفصل الثاني: مكاتيبه بعد خلافته حتى الوصول إلى الكوفة

ص: ٥٧

٦ كتابه عليه السلام إلى معاوية

نقل ابن قُتَيْبَةَ فِي الْإِمَامَةِ وَ السِّيَاسَةِ، أَوَّلَ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى مُعَاوِيَةَ قَالَ: - بَعْدَ ذِكْرِ مَا جَرَى بَعْدَ بَيْعَةِ النَّاسِ لِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَ مَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَ الْمُعْبِرَةُ، وَ مَا أَجَابَهُمَا فِي مُعَاوِيَةَ - فَكَتَبَ عَلِيٌّ إِلَى مُعَاوِيَةَ:

«أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ وَكَيْتُكَ مَا قَبْلَكَ مِنَ الْأَمْرِ وَ الْمَالِ، فَبَايَعِ مَنْ قَبْلَكَ، ثُمَّ أَقْدِمْ إِلَيَّ فِي أَلْفِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ».

فَلَمَّا أَتَى مُعَاوِيَةَ كِتَابُ عَلِيٍّ دَعَا بِطُومَارٍ فَكَتَبَ فِيهِ:

مِنْ مُعَاوِيَةَ إِلَى عَلِيٍّ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ:

^{١٠٣} (٢) الرحمن: ٦٨.
^{١٠٤} (٣) هكذا في الإرشاد، و في البحار: فليقرأه، و هو الصحيح.

أو لكن لا يخفى على مَنْ له أدنى إلمام بالتَّاريخ، أنَّ هذا الكتاب مفتعل، اختلقه

ص: ٥٨

أنصار بنى أميَّة قدحاً في أمير المؤمنين عليه السلام من جهة، و مدحاً لمعاوية من جهةٍ اخرى، أو كذبهُ من قصاص يلقى القصة و يختلقها لجلب النَّاس إليه، لأنَّ المورِّخين نقلوا: أنَّ المُغيرةَ بن شُعْبَةَ، جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام، مُظهراً للنُّصح، و طلب منه أن ينصب معاويةَ لحكومة الشَّام، حتَّى يتمَّ له الأمر، ثُمَّ يعزله بعد ذلك، فقال علىّ عليه السلام:

«لَسْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا»

أو قريباً من هذا الكلام. ثُمَّ جاء ابن عبَّاس، فسأل أمير المؤمنين عليه السلام عن مجيء المُغيرةَ، فأخبره علىّ عليه السلام بما جاء به، فصدَّق ابن عبَّاس المُغيرةَ بن شُعْبَةَ، فزجره أمير المؤمنين عليه السلام.^{١٠٦}

و قد بحث المحقِّقون حولَ هذا الأمر، و دَقَّقوا النَّظر في هذه الفكرة، و هى عدم تولية أمير المؤمنين عليه السلام مُعاويةَ و لو شهراً، حتَّى يستقرَّ أمر حكومته، و يُرسى قواعد خلافته، و ينقطع الخلاف بين المسلمين، ثُمَّ يعزله متى شاء و أراد، و لقد بحث ابن أبى الحديد بحثاً شافياً حول سياسة أمير المؤمنين عليه السلام، و الفرق بين سياسته و سياسة عمر و معاوية.^{١٠٧}

وَ غَزَلَ أمير المؤمنين عليه السلام عُمالَ عثمانَ عُموماً، و معاويةَ خصوصاً، لا يخفى على مَنْ راجع كُتُب التَّاريخ، كالطبري و مروج الذهب، و اليعقوبي، و البحار، و سفينة البحار، و الغدير، و أحاديث أم المؤمنين.^{١٠٨}

و إذا أردت أن تعرف معاويةَ، و نظر النَّبِيِّ صلى الله عليه و آله و علىّ عليه السلام و الصَّحابةَ فيه، و أعماله

ص: ٥٩

^{١٠٥} (١). الإمامة و السياسة: ج ١ ص ٦٨ و راجع: أنساب الأشراف: ج ١ ص ٢١٢، جمهرة رسائل العرب: ج ١ ص ٣٨٥ الرقم ٣٧٥ و ٣٧٦.
^{١٠٦} (١). راجع: تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٤٣٩ - ٤٤١، مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٦٣ و ٣٦٤ و ٣٨٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٠ ص ٢٣٢ - ٢٣٣.

^{١٠٧} (٢). راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٠ ص ٢١٢ و ٢٢٧ - ٢٦٠.

^{١٠٨} (٣). راجع: تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٤٣٩ - ٤٤١، مروج الذهب: ج ٣ ص ٣٦٤ و ٣٨١ و ٣٨٢، أحاديث أم المؤمنين: ص ٢٣٩؛ تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ١٦٩، سفينة البحار: ج ٢ ص ٢٩٠، الغدير: ج ١٠ ص ١٤٨ - ١٥٧.

الشَّنيعة، و جنائته على الدِّين و أهله، فراجع: **الغدِير**: الجزء العاشر و الجزء الحادى عشر، من أوْلِهِما إلى آخرهما، و اقرأهما قراءةً تحقيق و تدقيق.

مع أنّ عبائر ابن قُتَيْبَةَ حاكية عن كون النَّقل كذباً، لأنَّ ما نقله من قول علىّ عليه السلام للمُغِيرَةَ:

«سِرْ إِلَى الشَّامِ فَقَدْ وَلَّيْتَكُهَا».

و إباء المُغِيرَةَ ذلك،^{١٠٩} و قوله عليه السلام ذلك لابن عَبَّاس، و رفضه أيضاً، و ما نقله - بعد الكتاب - من كلام الحسن السَّبَّط عليه السلام لعليّ عليه السلام، و ما أجابه به فى كلام طويل جاء فى آخره:

«وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنَّ أَبَاكَ أBRَأ النَّاسِ مِنْ دَمِهِ»

فقال له الحسن عليه السلام:

«دَعْ عَنكَ هَذَا، وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَظُنُّ، بَلْ لَا أَشْكُ، أَنَّ مَا بِالْمَدِينَةِ مِنْ غَاتِقٍ وَلَا غَذْرَاءٍ وَلَا صَبِيٍّ إِلَّا وَعَلَيْهِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهِ»

إلى آخر الكلام^{١١٠}، دليلٌ على أنّ هذا الفصل قد افتعل لأمر دَبْر بليلى، مع أنّ ابن قُتَيْبَةَ نقل قول علىّ عليه السلام لابن عَبَّاس فى طَلْحَةَ و الزُّبَيْرِ،

«وَ لَوْ كُنْتُ مُسْتَعْمِلاً أَحَدًا لِضُرِّهِ وَنَفْعِهِ لاسْتَعْمَلْتُ مُعَاوِيَةَ عَلَى الشَّامِ».^{١١١}

مَعَ أَنَّ مُعَاوِيَةَ منافقٌ متجاهرٌ بالفِسق و الطُّغْيَان، منذ بدء حياته، و حَتَّى فى زَمَن عمر، إلى أن نزل به الحتف و لا يمكن لعليّ عليه السلام أن يستعمله على أىّ كورة أو قرية، و إن شئت أن تعرف حقيقة معاوية و ما يرومه، و ما طويَّته و أهدافه، و ما كان يبتغيه للإسلام و المسلمين، فراجع: «النَّصَائِح الكافية لمن يتولَّى معاوية»، و «أحاديث أمِّ المؤمنين»، و ابن أبى الحديد، و الغدير، و سفينة البحار.^{١١٢}

و كيف يولِّيه أمير المؤمنين عليه السلام، و يسلِّطه على المسلمين، و هو يقول لابن

ص: ٦٠

عَبَّاس فى كتابه إليه:

^{١٠٩} (١) .راجع: الإمامة و السياسة: ج ١ ص ٦٨، أنساب الأشراف: ص ٢٠٨، تاريخ الطبري: ج ٣ ص ٤٦١، تاريخ مدينة دمشق: ج ٥٩ ص ١٢٢، سبب أعلام النبلاء: ج ٣ ص ١٣٩.
^{١١٠} (٢) .راجع: الإمامة و السياسة: ج ١ ص ٦٩.
^{١١١} (٣) .راجع: الإمامة و السياسة: ج ١ ص ٧١.
^{١١٢} (٤) .أحاديث أمِّ المؤمنين: ص ٢٠٩ - ٢٥٨، شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ٥ ص ١٢٩ - ١٣١ و ج ١٠ ص ٢٢٧ - ٢٣١؛ الغدير ج ١٠ و ١١، سفينة البحار: ج ٢ ص ٢٩٠ - ٢٩٣.

«فَارْبِعُ أبا الْعَبَّاسِ - رَحِمَكَ اللَّهُ - فِيمَا جَرَى عَلَى لِسَانِكَ، وَيَدِكَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، فَإِنَّا شَرِيكَانِ فِي ذَلِكَ»

و قد تقدّم، و كيف يُؤَلِّيه و هو يعرفه حقّ المعرفة، و هو يسمع من رسول الله صلى الله عليه و آله ما نقله الغدير من القول في معاوية؟

و كيف يصحّ هذا الكتاب مع كتابه عليه السلام إلى معاوية:

«وَأَمَّا طَلَبُكَ إِلَى الشَّامِ، فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ لِأَعْطِيكَ مَا مَنَعْتُكَ أَمْسٍ»^{١١٣}

و الأذى أظنّه هو أنّ هذا الواضع المفترى، قد وضع ذلك الكتاب تبريراً لعمل عمر و عثمان، حيث وليا معاوية، و سلطاه على الأمة، و أطمعاه في الخلافة، و مهّدا له الأمر.

و كيف يصحّ هذا الكتاب، مع أنّ معاوية يكتب إلى طلحة و الزبير و عمّال عثمان ما نقله ابن أبي الحديد^{١١٤}، يحرضهم على جدّهم في أعمالهم، و حفظهم الأصقاع و المذنّ التي هم منصوبون عليها من قبل عثمان؟، و يحرض طلحة و الزبير على الخلافة، و يعدّهما البيعة؟^{١١٥} و كيف يصحّ هذا مع ما ورد في كتابه عليه السلام إلى جرير:

«وإنّ المُعِيرَةَ بنَ شُعْبَةَ قد كَانَ أَشَارَ عَلَيَّ أَنْ اسْتَعْمِلَ مُعَاوِيَةَ عَلَى الشَّامِ، وَأَنَا حِينئِذٍ بِالْمَدِينَةِ، فَأَبَيْتُ ذَلِكَ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَرَانِي أَتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا».

نقل البلاذري في أنساب الأشراف: قال أبو مخنف و غيره: وجّه عليّ عليه السلام

ص: ٤١

المِسْوَر بن مَخْرَمَةَ الزُّهْرِيّ إِلَى مُعَاوِيَةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - لِأَخْذِ الْبَيْعَةِ عَلَيْهِ، وَ كَتَبَ إِلَيْهِ مَعَهُ:

«إِنَّ النَّاسَ قَدْ قَتَلُوا عُثْمَانَ عَنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنِّي، وَبَايَعُوا لِي، فَبَايِعَ رَحِمَكَ اللَّهُ مُوَفَّقًا، وَوَدَّ إِلَيَّ فِي أَشْرَافِ أَهْلِ الشَّامِ».

و لم يذكر له ولاية، فلمّا ورد الكتاب عليه، أبا البيعة لعلّي و استعصى^{١١٦}

و للبلاذري كلام يعلم منه كذب ما نسب إلى ابن عباس في تولية معاوية، بل يعرف منه ما دبره معاوية و أعداء أمير المؤمنين عليه السلام، و علم ابن عباس بذلك.

^{١١٣} (١) راجع: نهج البلاغة: الكتاب ١٧، وقعة صفين: ص ٤٧١، المناقب لابن شهر آشوب: ج ٢ ص ٣٦١، كنز الفوائد: ص ٢٠١، بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٦١٢ و ج ٣٣ ص ١٠٥ و ١٣٠، الغدير: ج ١٠ ص ٣٢٤، شرح نهج البلاغة للأملّي: ج ١٨ ص ٢٤٨ - ٢٥٣؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٥ ص ١١٥، المحاسن للبيهقي: ص ٥٣، الإمامة و السياسة: ج ١ ص ١٠٣، مروج الذهب: ج ٤ ص ١٤، تاريخ الطبري: ج ٦ ص ٣٠٨٣ و ٣٠٨٦.
^{١١٤} (٢) راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٠ ص ٢٣٢ - ٢٤٧.
^{١١٥} (٣) راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١ ص ٢٣١ - ٢٤٧، أنساب الأشراف: ج ١ ص ٢٥٧.
^{١١٦} (١) أنساب الأشراف: ج ٣ ص ١٢.

قال فى أنساب الأشراف: و قال أبو مخنف و غيره: قال المغيرة بن شعبة (لعلى):

أرى أن تُقرَّ معاوية على الشام، و تُثبت ولايته، و تُولى طلحته و الزبير المصيرين، (كى) يستقيم لك الناس.

فقال عبد الله بن العباس: إن الكوفة و البصرة عين المال، و إن وليتهما إياهما، لم آمن أن يضيِّقا عليك، و إن وليت معاوية الشام لم تنفعك ولايته.

فقال المغيرة: لا أرى لك أن تنزع ملك معاوية، فإنه الآن يتهمكم بقتل ابن عمه، و إن عزلته قاتلك، فؤله و أطعنى. فأبى و قبل قول ابن عباس.^{١١٧}

و قد نقل البلاذرى الكتاب المتقدم بهذه الصورة:

«إن كان عثمان ابن عمك فأنا ابن عمك، وإن كان وصلك فأنى أصلك وقد أمرتك على ما أنت عليه فاعمل فيه بالذى لحق^{١١٨} عليك.»^{١١٩}

ص: ٦٢

٧ كتابه عليه السلام إلى معاوية

من كتاب له عليه السلام إلى معاوية فى أول ما بويغ له بالخلافة:

«من عبد الله على أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبى سفيان:

أما بعد، فقد علمت إغذارى فيكم وإغراضى عنكم، حتى كان ما لا بد منه ولا دفع له، والحديث طويل والكلام كثير، وقد أدبر ما أدبر، وأقبل ما أقبل، فبايع من قبلك، وأقبل إلى فى وفد من أصحابك والسلام.»^{١٢٠}

٨ كتابه عليه السلام إلى معاوية

من كتاب له عليه السلام - لما بويغ بالمدينة - إلى معاوية:

«أما بعد، فإن الناس قتلوا عثمان عن غير مشورة منى، وبأيعونى عن مشورة منهم واجتماع، فإذا أتاك كتابى فبايع لى، وأوفد إلى أشراف أهل الشام قبلك.»^{١٢١}

^{١١٧} (٢). أنساب الأشراف: ج ٣ ص ١٠.

^{١١٨} (٣). هكذا فى المصدر، و أظنها: «لي حق» أو «للحق» و الله أعلم.

^{١١٩} (٤). أنساب الأشراف: ج ٣ ص ١٣.

^{١٢٠} (١). نهج البلاغة: الكتاب ٧٥، جمهرة رسائل العرب: ج ١ ص ٣٨٤.

^{١٢١} (٢). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ١ ص ٢٣٠، جمهرة رسائل العرب: ج ١ ص ٣٨٥.

٩ كتابه عليه السلام إلى طَلْحَةَ و الزُّبَيْرِ

من كلام له عليه السلام كَلَّمَ به طَلْحَةُ و الزُّبَيْرِ بعد بيعته بالخلافة، و قد عتبا عليه من ترك مشورتهم، و الاستعانة في الأمور بهما:

ص: ٦٣

«لَقَدْ نَقَمْتُمَا يَسِيرًا، وَأَرْجَأْتُمَا كَثِيرًا.

أَلَا تُخْبِرَانِي أَيُّ شَيْءٍ كَانَ لَكُمَا فِيهِ حَقٌّ دَفَعْتُمَا عَنْهُ؟ أَمْ أَيُّ قَسَمٍ اسْتَأْثَرْتُمْ عَلَيَّكُمْ بِهِ؟ أَمْ أَيُّ حَقٍّ رَفَعْتُمْ إِلَيَّ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ضَعَفْتُمْ عَنْهُ أَمْ جَهَلْتُمْ أَمْ أَخْطَأْتُمْ بَابَهُ؟

والله، مَا كَانَتْ لِي فِي الْخِلَافَةِ رَغْبَةٌ، وَلَا فِي الْوِلَايَةِ رِيبَةٌ، وَلَكِنَّكُمْ دَعَوْتُمُونِي إِلَيْهَا، وَحَمَلْتُمُونِي عَلَيْهَا، فَلَمَّا أَفْضَتْ إِلَيَّ نَظَرْتُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ، وَمَا وَضَعَ لَنَا، وَأَمَرَنَا بِالْحُكْمِ بِهِ فَاتَّبَعْتُهُ، وَمَا اسْتَنْ^{١٢٢} النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَافْتَدَيْتُهُ، فَلَمْ أُحْتَجْ فِي ذَلِكَ إِلَى رَأْيِكُمَا، وَلَا رَأْيَ غَيْرِكُمَا، وَلَا وَقَعَ حُكْمٌ جَهْلْتُمْ فَاسْتَشِيرَكُمَا وَإِخْوَانِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ لَمْ أَرْغَبْ عَنْكُمَا وَلَا عَنْ غَيْرِكُمَا.

وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُمَا مِنْ أَمْرِ الْأَسْوَةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ لَمْ أَحْكَمْ أَنَا فِيهِ بِرَأْيِي، وَلَا وَليْتُهُ هَوَى مِنِّي، بَلْ وَجَدْتُ أَنَا وَأَنْتُمَا مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَدْ فَرَعَ مِنْهُ، فَلَمْ أُحْتَجْ إِلَيْكُمَا فِيمَا قَدْ فَرَعَ اللَّهُ مِنْ قَسَمِهِ، وَأَمْضَى فِيهِ حُكْمَهُ، فَلَيْسَ لَكُمَا وَاللَّهِ عِنْدِي وَلَا لِعَيْرِكُمَا فِي هَذَا عُتْبَى.

أَخَذَ اللَّهُ بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ، وَالْهَمَمْنَا وَإِيَّاكُمْ الصَّبْرَ.

ثم قال عليه السلام: رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا رَأَى حَقًّا فَأَعَانَ عَلَيْهِ، أَوْ رَأَى جَوْرًا فَرَدَّهُ، وَكَانَ عَوْنًا بِالْحَقِّ عَلَى صَاحِبِهِ^{١٢٣}.

ص: ٦٤

١٠ كتابه عليه السلام إلى بعض عمّاله

جاء في البحار: رأينا في بعض الكتب القديمة رواية في كيفية شهادته عليه السلام، أوردنا منه شيئا مما يناسب كتابنا هذا على وجه الاختصار، قال: روى أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد البكري، عن لوط بن يحيى، عن أشياخه و أسلافه، قالوا:

^{١٢٢} (١) في نسخة صحيحة الصالح: «اسْتَنْ». ^{١٢٣} (٢) نهج البلاغة: الخطبة ٢٠٥ و راجع: المناقب لابن شهر آشوب: ج ٣ ص ١٥٢، الجمل: ص ١٦٧؛ المناقب للخوارزمي: ص ١١٦، الفتوح: ج ٢ ص ٣٠٠، الإمامة و السياسة: ج ١ ص ٦٦، أحاديث أم المؤمنين: ص ١٣٨، السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٣٢٢، جمهرة رسائل العرب: ج ١ ص ٣٧٧.

لمّا توفى عُثمان، و بايع النَّاسَ أميرَ المؤمنين عليه السلام، كان رجلاً يقال له: حبيب بن المنتجب، والياً على بعض أطراف اليمَن من قِبَل عُثمان، فأقرّه علىّ عليه السلام على عمله، و كتب إليه كتاباً يقول فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله أمير المؤمنين علىّ بن أبي طالب إلى حبيب بن المنتجب.

سلام عليك، أمّا بعدُ، فإنّي أحمّد الله الذي لا إله إلاّ هو، وأصلى على محمّد عبده ورسوله.

وبعدُ فإنّي وأليّتك ما كنت عليه لمن كان من قبل، فأمسِكْ على عمليّك، وإني أوصيك بالعدل في رعيتك، والإحسان إلى أهل مملكتك.

واعلم أنّ من ولى على رقاب عشرة من المسلمين - ولم يعدل بينهم - حشرة الله يوم القيامة، ويده مغلوتان إلى عنقه، لا يفكها إلاّ عدله في دار الدنيا، فإذا ورد عليك كتابي هذا فافأره على من قبلك من أهل اليمَن، وخذ لي البيعة على من حضر من المسلمين، فإذا بايع القوم مثل بيعه الرضوان، فأمكث في عمليّك، وأنفذ إلى منهم عشرة يكونون من عقلائهم وفصحاءهم وثقاتهم، ممّن يكون

ص: ٦٥

أشدّهم عوناً من أهل الفهم والشجاعة، عارفين بالله، عالمين بأديانهم، وما لهم وما عليهم، وأجودهم رأياً، وعليك وعليهم السلام».

و طوى الكتاب و ختمه، و أرسله مع أعرابيّ، فلمّا وصل إليه قبله و وضعه على عينيه و رأسه، فلمّا قرأه، صعّد المنبر، فحمد الله و أثنى عليه ...^{١٢٤}

١١ كتابه عليه السلام إلى أبي موسى الأشعريّ

من كتاب له عليه السلام إلى أبي موسى الأشعريّ: روى أبو مخنف، قال: حدّثني الصّعب، قال: سمعت عبد الله بن جنادة، يحدث أنّ عليّاً عليه السلام لمّا نزل الرّبّدة، بعث هاشم بن عتبة بن أبي وقاص إلى أبي موسى الأشعريّ - وهو الأمير يومئذٍ على الكوفة - لينفّر إليه النَّاس، و كتب إليه معه:

«من عبد الله علىّ أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي قَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ هَاشِمَ بْنَ عَثْبَةَ، لِتُشْخِصَ إِلَيَّ مَنْ قَبْلَكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، لِيَتَوَجَّهُوا إِلَى قَوْمٍ نَكْتُوا بِيَعْتِي، وَقَتَّلُوا شَيْعَتِي، وَأُحْدِثُوا فِي الْإِسْلَامِ هَذَا الْحَدِيثَ الْعَظِيمَ، فَأُشْخِصُ بِالنَّاسِ إِلَى مَعَهُ حِينَ يَقْدِمُ عَلَيْكَ، فَإِنِّي لَمْ أُولِّكَ الْمِصْرَ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ، وَلَمْ أَقِرَّكَ عَلَيْهِ، إِلَّا لِتَكُونَ مِنْ أَعْوَانِي عَلَى الْحَقِّ، وَأَنْصَارِي عَلَى هَذَا الْأَمْرِ، وَالسَّلَامُ».^{١٢٥}

ص: ٦٦

١٢ كتابه عليه السلام إلى أبي موسى الأشعريّ

نقل مصنّف كتاب معادن الحكمة^{١٢٦} رحمه الله، كتابه عليه السلام إلى أبي موسى مع ابن عبّاس و محمد بن أبي بكر من الرّبذة، و لكنّ المسعوديّ- في مروج الذهب- نقله بنحو آخر:

«اعتزل عمّلنا يا ابن الحائك، مذموماً مدحوراً، فما هذا أول يومنا منك، وإنّ لك فينا لهنات وهنّيات».^{١٢٧}

و قد نقله الطّبري في تاريخه، هكذا:

بعث [أمير المؤمنين] قرظة بن كعب الأنصاريّ أميراً على الكوفة، و كتب معه إلى أبي موسى:

«أما بعد، فقد كنت أرى أن بُعدك من هذا الأمر الذي لم يجعل الله عز و جل لك منه نصيباً، سيمنعك من ردّ أمري، وقد بعثت الحسن بن عليّ وعمّارين ياسر يستنفران الناس، وبعثت قرظة بن كعب والياً على مصر، فاعتزل عمّلنا مذموماً مدحوراً، فإن لم تفعل، فإنّي قد أمرته أن يناديك، فإن نأبذته فظفر بك أن يقطعك أراباً».^{١٢٨}

أبو موسى الأشعريّ

هو عبد الله بن قيس بن سليم، المشهور بأبي موسى الأشعريّ. من أهل اليمن^{١٢٩}.

ص: ٦٧

و أحد صحابة النّبيّ صلى الله عليه و آله^{١٣٠}. أسلم في مكّة^{١٣١}. و كان حسن الصّوت، و اشتهر بالقراءة^{١٣٢}.

^{١٢٥} (٢). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٤ ص ٨، و راجع: الجمل: ص ٢٤٢؛ تاريخ الطبري: ج ٦ ص ٣١٧٢، أنساب الأشراف: ج ٢ ص ٢٣٤.

^{١٢٦} (١). معادن الحكمة: ج ١ ص ٣٤٤ الرقم ٥٥.

^{١٢٧} (٢). مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٦٨.

^{١٢٨} (٣). تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥٠٠، الكامل في التاريخ: ج ٣ ص ١٣٣، جمهرة رسائل العرب: ج ١ ص ٣٧٤ الرقم ٣٦٢.

^{١٢٩} (٤). تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٣ ص ٥٤٨، الفتوح: ج ٤ ص ١٩٨، الإمامة و السياسة: ج ١ ص ١٥١؛ وقعة صفين: ص ٥٠٠.

^{١٣٠} (١). تاريخ مدينة دمشق: ج ٣٢ ص ١٤، اسد الغابة: ج ٣ ص ٣٦٤ الرقم ٣١٣٧؛ رجال الطوسي: ص ٤٢ الرقم ٢٩٥.

^{١٣١} (٢). المستدرک على الصحيحين: ج ٣ ص ٥٢٦ ح ٥٩٥٣، الطبقات الكبرى: ج ٤ ص ١٠٥ و ج ٦ ص ١٦، تهذيب الكمال: ج ١٥ ص ٤٤٧ الرقم ٣٤٩١، تاريخ مدينة دمشق: ج ٣٢ ص ١٨، سبب أعلام النبلاء: ج ٢ ص ٣ الرقم ٨٢.

ولَّاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى مَنَاطِقٍ مِنَ الْيَمَنِ^{١٣٣}. وَوَلَّى الْبَصْرَةَ^{١٣٤} فِي عَهْدِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ^{١٣٥}.

عند ما كان والياً على البصرة، فتح كثيراً من مناطق إيران، منها الأهواز^{١٣٦}، و تُسْتَرَّ^{١٣٧}، و قَمَّ^{١٣٨}، و أصفهان^{١٣٩}، و جُنْدِيسَابُور^{١٤٠}. و ظلّ والياً على البصرة في

ص: ٤٨

أول خلافة عثمان^{١٤١}، ثمّ عزله عثمان و جعل مكانه عبد الله بن عامر بن كريز^{١٤٢}، الذي كان ابن خمس و عشرين سنة^{١٤٣}.

و لمّا ثار أهل الكوفة على عثمان و واليه سعيد بن العاص، و طلبوا أبا موسى، وافق عثمان على ذلك، و ولي أبو موسى الكوفة^{١٤٤}.

و عند ما تسلّم أمير المؤمنين عليه السلام مقاليد الخلافة، أبقاه في منصبه باقتراح مالك الأشتر^{١٤٥}. و هو الوالي الوحيد الذي ظلّ في منصبه من ولاة عثمان^{١٤٦}.

و كان أبو موسى يثبّت النَّاسَ عن نصره الإمام عليه السلام في فتنة أصحاب الجمل، فعزله الإمام^{١٤٧}، و أخرجه مالك الأشتر من الكوفة^{١٤٨}.

^{١٣٣} (٣). الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٣٤٤ و ج ٤ ص ١٠٧ و ١٠٨، تهذيب الكمال: ج ١٥ ص ٤٤٩ الرقم ٣٤٩١، حلية الأولياء: ج ١ ص ٢٥٦ و ص ٢٥٨، الاستيعاب: ج ٣ ص ١٠٤ الرقم ١٦٥٧، تاريخ مدينة دمشق: ج ٣٢ ص ٢٢.

^{١٣٤} (٤). تهذيب الكمال: ج ١٥ ص ٤٤٧ الرقم ٣٤٩١، تاريخ خليفة بن خياط: ص ٦١، الاستيعاب: ج ٣ ص ١٠٤ الرقم ١٦٥٧، اسد الغابة: ج ٣ ص ٣٦٥ الرقم ٣١٣٧، تاريخ مدينة دمشق: ج ٣٢ ص ١٥.

^{١٣٥} (٥). الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ١٦، تهذيب الكمال: ج ١٥ ص ٤٤٧ الرقم ٣٤٩١، تاريخ مدينة دمشق: ج ٣٢ ص ١٥ و فيهما «استعمله عمر على الكوفة و البصرة»، تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٦٩، الطبقات لخليفة بن خياط: ص ١٢٦ الرقم ٤٥٨، سبب أعلام النبلاء: ج ٢ ص ٣٨٢ الرقم ٨٢، اسد الغابة: ج ٣ ص ٣٦٥ الرقم ٣١٣٧.

^{١٣٦} (٦). تاريخ خليفة بن خياط: ص ١١١، سبب أعلام النبلاء: ج ٢ ص ٣٩٠ الرقم ٨٢، الاستيعاب: ج ٣ ص ١٠٤ الرقم ١٦٥٧، الإصابة: ج ٤ ص ١٨١ الرقم ٤٩١٦.

^{١٣٧} (٧). تاريخ خليفة بن خياط: ص ٩٤ و ص ٩٧، سبب أعلام النبلاء: ج ٢ ص ٣٩٠ الرقم ٨٢، اسد الغابة: ج ٣ ص ٣٦٥ الرقم ٣١٣٧، الإصابة: ج ٤ ص ١٨١ الرقم ٤٩١٦، معجم البلدان: ج ١ ص ٢٨٥.

^{١٣٨} (٨). تاريخ خليفة بن خياط: ص ١٠٢ و ١٠٣، تاريخ مدينة دمشق: ج ٣٢ ص ٢٢.

^{١٣٩} (٩). معجم البلدان: ج ٤ ص ٣٩٧.

^{١٤٠} (١٠). الطبقات الكبرى: ج ٤ ص ١١٠، اسد الغابة: ج ٣ ص ٣٦٥ الرقم ٣١٣٧، الإصابة: ج ٤ ص ١٨١ الرقم ٤٩١٦، تاريخ مدينة دمشق: ج ٣٢ ص ٢٠.

^{١٤١} (١١). تاريخ خليفة بن خياط: ص ٩٧.

^{١٤٢} (١). الطبقات لخليفة بن خياط: ص ١٢٦ الرقم ٤٥٨، تاريخ خليفة بن خياط: ص ١٣٣، تاريخ مدينة دمشق: ج ٣٢ ص ٢٠، سبب أعلام النبلاء: ج ٢ ص ٣٨٢ الرقم ٨٢، اسد الغابة: ج ٣ ص ٣٦٥ الرقم ٣١٣٧، الإصابة: ج ٤ ص ١٨٢ الرقم ٤٩١٦.

^{١٤٣} (٢). راجع: تاريخ خليفة بن خياط: ص ١٣٣، سبب أعلام النبلاء: ج ٢ ص ٣٩٠ الرقم ٨٢، الاستيعاب: ج ٣ ص ١٠٤ الرقم ١٦٥٧، اسد الغابة: ج ٣ ص ٣٦٥ الرقم ٣١٣٧، الإصابة: ج ٤ ص ١٨٢ الرقم ٤٩١٦.

^{١٤٤} (٣). الطبقات الكبرى: ج ٥ ص ٤٥، المستدرک علی الصحیحین: ج ٣ ص ٧٤١ ح ٦٦٩٦ و فيه «فتى من قریش» بدل «ابن خمس و عشرين سنة».

^{١٤٥} (٤). أنساب الأشراف: ج ٦ ص ١٥٩، تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٣٣٢، مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٤٧، الاستيعاب: ج ٣ ص ١٠٤ الرقم ١٦٥٧، اسد الغابة: ج ٣ ص ٣٦٥ الرقم ٣١٣٧، الإصابة: ج ٤ ص ١٨٢ الرقم ٤٩١٦.

^{١٤٦} (٥). الأمالي للمفيد: ص ٢٩٦ ح ٦، تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ١٧٩، تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٤٩٩.

^{١٤٧} (٦). تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ١٧٩.

اعتزل أبو موسى القتال في صفين^{١٤٩} وانضم إلى القاعدين. ولكن عند ما فرضَ

ص: ٤٩

التحكيم على الإمام عليه السلام، فرضَ أبو موسى حكماً عليه أيضاً، بإصرار الأشعث بن قيس، والخزرج وبلبلةم.

و كان الإمام عليه السلام يعلم أن أبا موسى سيضع الحق بمكيده عمرو بن العاص، و كذلك كان يعتقد أصحابه الأجلء كمالك الأشتر، و ابن عباس، و الأحنف بن قيس^{١٥٠}. و في آخر المطاف انخدع أبو موسى بمكيده ابن العاص، و عجز عن استخلاف عبد الله بن عمر، الذي كان صهره^{١٥١}، و كان يطمع فيها^{١٥٢}.

لقد وهم أبو موسى بظنه أنه عزل علياً عليه السلام و معاوية، و استغل ابن العاص الفرصة بمكره و كيده، فأبقى معاوية. و عبر أبو موسى بحماقته هذه عن دوره المخزي في التاريخ مرة أخرى، و ساق المجتمع الإسلامي إلى هاوية الدمار^{١٥٣}.

و يا عجباً! فإن التدقيق في حوار الرجلين، يدل على أن أبا موسى كان غير مطلع على موضوع التحكيم، و لم يعلم في الحقيقة كنه ما يريد أن يحكم فيه.

لجأ أبو موسى بعد ذلك إلى مكة^{١٥٤}. و عند ما ملك معاوية كان يتردد عليه،

ص: ٧٠

و كان معاوية يحتفي به^{١٥٥}.

و كان أمير المؤمنين عليّ عليه السلام يدعو في صلته على أبي موسى، و معاوية، و ابن العاص^{١٥٦}. و يدل التدبر في حياة أبي موسى الأشعري، و إتمام النظر فيما ذكرناه، أنه كان جامد الفكر من جهة، و متلون السلوك من جهة أخرى.

^{١٤٧} (٧). نهج البلاغة: الكتاب ٦٣، الجمل: ص ٢٤٢؛ المستدرک علی الصحیحین: ج ٣ ص ١٢٦ ح ٤٦٠٢، تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٤٩٩، مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٦٧، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٤٩، الفتوح: ج ٢ ص ٤٥٩.

^{١٤٨} (٨). الجمل: ص ٢٥٣؛ تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٤٨٧، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٢٩.

^{١٤٩} (٩). وقعة صفين: ص ٥٠٠؛ تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٥٢.

^{١٥٠} (١). راجع: وقعة صفين: ص ٥٠٠ و ص ٥٠١ و ٥٤٥؛ مروج الذهب: ج ٢ ص ٤٠٦، تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٥٢ و ص ٧٠، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٨٨، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٣ ص ٥٤٧، اسد الغابة:

ج ٣ ص ٣٦٥ الرقم ٣١٣٧.

^{١٥١} (٢). مروج الذهب: ج ٢ ص ٤٠٨.

^{١٥٢} (٣). وقعة صفين: ص ٥٤٠؛ مروج الذهب: ج ٢ ص ٤٠٨، حلية الأولياء: ج ١ ص ٢٩٣، سير أعلام النبلاء:

ج ٢ ص ٣٩٤ الرقم ٨٢، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٣ ص ٥٤٨.

^{١٥٣} (٤). راجع: وقعة صفين: ص ٥٤٦؛ مروج الذهب: ج ٢ ص ٤١٠، تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٧١، الكامل في التاريخ:

ج ٢ ص ٣٩٦، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٣ ص ٥٤٩.

^{١٥٤} (٥). وقعة صفين: ص ٥٤٦؛ مروج الذهب: ج ٢ ص ٤١٠، تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٧١، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٩٧.

^{١٥٥} (١). الغارات: ج ٢ ص ٦٥٦؛ تهذيب الكمال: ج ١٥ ص ٤٤٨ الرقم ٣٤٩١، تاريخ مدينة دمشق: ج ٣٢ ص ١٥ و فيهما «قدم دمشق على معاوية».

^{١٥٦} (٢). وقعة صفين: ص ٥٥٢؛ شرح نهج البلاغة: ج ١٣ ص ٣١٥.

فلا هو من اولى الفكر الحركى الفعال، و لا هو من أصحاب السعى اللائق المحمود.

لقد كان رجلاً ظاهر التسنك، دون الاهتداء بما يُمليه عليه العقل.

مات أبو موسى سنة ٤٢ هـ ١٥٧ و هو ابن ثلاث و ستين سنة^{١٥٨}.

قال الإمام عليّ عليه السلام- فى وصف أبى موسى الأشعريّ:-

«وَاللَّهِ مَا كَانَ عِنْدِي مُؤْتَمِنًا وَلَا نَاصِحًا، وَلَقَدْ كَانَ الَّذِينَ تَقَدَّمُونِي اسْتَوْلَوْا عَلَيَّ مَوَدَّتِهِ، وَوَلَّوهُ وَسَلَطُوهُ بِالْإِمْرَةِ عَلَيَّ النَّاسِ، وَلَقَدْ أُرِدْتُ عَزْلَهُ، فَسَأَلَنِي الْأَشْتَرُ فِيهِ أَنْ أَقْرَهُ، فَأَقْرَرْتُهُ عَلَيَّ كُرْهِ مَنِّي لَهُ، وَتَحَمَّلْتُ عَلَيَّ صَرْفِهِ مِنْ بَعْدِ^{١٥٩}».

و جاء فى مروج الذهب- فى ذكر حرب الجمل-: كاتب عليّ من الرّبذة أبا موسى

ص: ٧١

الأشعريّ ليستنفر النَّاسِ، فثبّطهم أبو موسى وَ قَالَ: إِنَّمَا هِيَ فِتْنَةٌ، فَنِمِي^{١٦٠} ذلك إلى عليّ، فَوَلَّى عَلَيَّ الْكُوفَةَ قَرَضَةً بِنِ كَعْبِ الْأَنْصَارِيِّ، وَ كَتَبَ إِلَى أَبِي مُوسَى:

«اعْتزَلْ عَمَلَنَا يَا بَنَ الْحَاكِكِ مَذْمُومًا مَدْحُورًا، فَمَا هَذَا أَوَّلَ يَوْمِنَا مِنْكَ، وَإِنْ لَكَ فِينَا لَهَنَاتٍ وَهَنِيَّاتٍ^{١٦١}».

و فى سبب أخبار النبلاء- عن شقيق:- كُنَّا مَعَ خُدَيْفَةَ جُلُوسًا، فَدَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ وَ أَبُو مُوسَى الْمَسْجِدَ، فَقَالَ: أَحَدُهُمَا مَنَافِقٌ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ أَشْبَهَ النَّاسِ هَدِيًّا وَ دَلًّا وَ سَمْتًا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ عَبْدُ اللَّهِ^{١٦٢}.

و فى شرح نهج البلاغة: روى أن عمّاراً سئل عن أبى موسى، فقال: لقد سمعت فيه من خُدَيْفَةَ قولاً عظيماً، سمعته يقول: صاحب البرئس^{١٦٣} الأسود، ثمّ كلح كلوحاً^{١٦٤}، علمت منه أنه كان ليلة العقبة بين ذلك الرّهط^{١٦٥}.

^{١٥٧} (٣). الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ١٦، تهذيب الكمال: ج ١٥ ص ٤٥٢ الرقم ٣٤٩١، سبب أخبار النبلاء: ج ٢ ص ٣٨٢ الرقم ٨٢، و فى وفاته أقوال آخر: «مات سنة ٥٠ أو ٥١ هـ» كما فى الطبقات لخليفة بن خياط: ص ١٢٦ الرقم ٤٥٨، و قيل «مات سنة ٥٢ هـ» كما فى المستدرک على الصحيحين: ج ٣ ص ٥٢٦ ح ٥٩٥٦ و الطبقات الكبرى: ج ٤ ص ١١٦ و سبب أخبار النبلاء: ج ٢ ص ٣٩٧ الرقم ٨٢.

^{١٥٨} (٤). المستدرک على الصحيحين: ج ٣ ص ٥٢٦ ح ٥٩٥٦، تهذيب الكمال: ج ١٥ ص ٤٥٢ الرقم ٣٤٩١، الإصابة: ج ٤ ص ١٨٣ الرقم ٤٩١٦.

^{١٥٩} (٥). الأمالي للمفيد: ص ٢٩٥ ح ٦.

^{١٦٠} (١). نَمِيْتُ الْحَدِيثِ: أَي رَفَعْتُهُ وَ أَبْلَغْتُهُ (النهاية: ج ٥ ص ١٢١).

^{١٦١} (٢). مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٦٨ و راجع تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٤٩٩ و ٥٠٠ و الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ٣٤٩.

^{١٦٢} (٣). سبب أخبار النبلاء: ج ٢ ص ٣٩٣ الرقم ٨٢، تاريخ مدينة دمشق: ج ٣٢ ص ٩٣، المعرفة و التاريخ: ج ٢ ص ٧٧١.

^{١٦٣} (٤). البرئس: قلنسوة طويلة كان النساك يلبسونها فى صدر الإسلام (النهاية: ج ١ ص ١٢٢).

^{١٦٤} (٥). الكلوح: العبوس (النهاية: ج ٤ ص ١٩٦).

^{١٦٥} (٦). شرح نهج البلاغة: ج ١٣ ص ٣١٥، الاستيعاب: ج ٣ ص ١٠٤ الرقم ١٦٥٧ و فيه «عزله عليّ رضى الله عنه عنها، فلم يزل واجداً منها على عليّ، حتى جاء منه ما قال حذيفة. فقد روى فيه لحذيفة كلام كرهتُ ذكره، و الله يغفر له».

و فى تاريخ مدينه دمشق عن أبى يحيى حُكيم: كنت جالساً مع عَمَّار، فجاء أبو موسى فقال: مالى و لك؟ قال: أ لستُ أحاك؟ قال: ما أدرى، إلّا أنّى سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يلعنك ليله الجمل^{١٦٦}. قال: إنّه قد استغفر لى. قال عَمَّار: قد

ص: ٧٢

شهدتُ اللّعن، و لم أشهد الاستغفار^{١٦٧}.

و فى تاريخ الطبرى عن جُوَيْرِيَّة بن أسماء: قدم أبو موسى على معاوية، فدخل عليه فى بُرْنَس أسود، فقال: السّلام عليك يا أمين الله! قال: و عليك السّلام، فلمّا خرج قال معاوية: قدم الشّيخ لأوّلّيه، و لا و الله لا أوّلّيه^{١٦٨}.

و فى الغارات عن محمّد بن عبد الله بن قارب: إنى عند معاوية لجالس، إذ جاء أبو موسى فقال: السّلام عليك يا أمير المؤمنين! قال: و عليك السّلام، فلمّا تولى قال: و الله لا يلى هذا على اثنين حتّى يموت^{١٦٩}.

و فى الطبقات الكبرى عن أبى بُرْدَة بن أبى موسى: دخلت على معاوية بن أبى سفيان حين أصابته قرحته، فقال: هلمّ يا ابن أخى تحوّل فانظر. قال:

فتحوّلتُ، فنظرتُ، فإذا هو قد سبّرت^{١٧٠} - يعنى: قرحته - فقلت: ليس عليك بأس يا أمير المؤمنين. قال: إذ دخل يزيد بن معاوية، فقال له معاوية:

إنّ وليت من أمر النّاس شيئاً، فاستوص بهذا؛ فإنّ أباه كان أحأ لى - أو خليلاً أو نحو هذا من القول - غير أنّى قد رأيت فى القتال ما لم ير^{١٧١}.

١٣ كتابه عليه السلام إلى أهل الكوفة

مُحَمَّد و طَلْحَة: لمّا قدم على الرّبذة، أقام بها و سرّح منها إلى الكوفة مُحَمّد بن

ص: ٧٣

أبى بكر و مُحَمّد بن جعفر؛ و كتب إليهم:

^{١٦٦} (٧). فى كنز العمال، و بحار الأنوار، وردت كلمة «الجبيل» بديل «الجمل». و كلاهما صحيح؛ لأنّ ذلك إشارة إلى ما وقع لرسول الله صلى الله عليه و آله قرب جبل أثناء عودته من مكّة، و كانت تتعلّق بجمل رسول الله صلى الله عليه و آله. فمن هنا جاء اختلاف التسمية و النقل.

^{١٦٧} (١). تاريخ مدينه دمشق: ج ٣٢ ص ٩٣، كنز العمال: ج ١٣ ص ٦٠٨ ح ٣٧٥٥٤.

^{١٦٨} (٢). تاريخ الطبرى: ج ٥ ص ٣٣٢، الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ٥٢٧، أنساب الأشراف: ج ٥ ص ٥٠ نحوه.

^{١٦٩} (٣). الغارات: ج ٢ ص ٦٥٦.

^{١٧٠} (٤). السّير: امتحان غور الجرح و غيره (تاج العروس: ج ٦ ص ٤٩٠).

^{١٧١} (٥). الطبقات الكبرى: ج ٤ ص ١١٢، سبّير أعلام النبلاء: ج ٢ ص ٤٠١ الرقم ٨٢، تاريخ الطبرى: ج ٥ ص ٣٣٢.

«إِنِّي اخْتَرْتُكُمْ عَلَى الْأَمْصَارِ، وَفَزَعْتُ إِلَيْكُمْ لِمَا حَدَّثَ، فَكُونُوا لِدِينِ اللَّهِ أَعْوَانًا وَأَنْصَارًا، وَأَيَّدُونَا وَانْهَضُوا إِلَيْنَا، فَإِلْصَاحُ مَا نُرِيدُ، لِتَعُونَ الْأُمَّةَ إِخْوَانًا، وَمَنْ أَحَبَّ ذَلِكَ وَأَثَرَهُ فَقَدْ أَحَبَّ الْحَقَّ وَأَثَرَهُ، وَمَنْ أَبْغَضَ ذَلِكَ فَقَدْ أَبْغَضَ الْحَقَّ وَغَمَصَهُ».^{١٧٢}

و هناك صورة أخرى لهذا الكتاب:

قال أبو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ: كَتَبَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الرَّبَذَةِ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ:

«أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنِّي قَدْ اخْتَرْتُكُمْ وَأَثَرْتُ النُّزُولَ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، لِمَا أَعْرَفُ مِنْ مَوَدَّتِكُمْ، وَحُبِّكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، فَمَنْ جَاءَ نِيَّ وَنَصْرَنِي فَقَدْ أَجَابَ الْحَقَّ، وَقَضَى الَّذِي عَلَيْهِ».^{١٧٣}

أقول: هذا ما نقله الطبري عن التستري، عن شعيب، عن سيف، عن مُحَمَّدٍ وَ طَلْحَةَ، وَ هُوَ كَمَا قَالَ الْعَلَمَاءُ الْأَمِينِي رَحِمَهُ اللَّهُ: شَوَّهَ تَارِيخَهُ بِمَكَاتِبَاتِ التُّسْتَرِيِّ الْكَذَّابِ الْوَضَّاعِ، عَنِ شُعَيْبِ الْمَجْهُولِ الَّذِي لَا يَعْرِفُ، عَنِ سَيْفِ الْوَضَّاعِ الْمَتْرُوكِ السَّاقِطِ، الْمَتَّهَمِ بِالرَّبَذَةِ، وَ قَدْ جَاءَتْ فِي صَفْحَاتِهِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ الْمَشْهُورِ.^{١٧٤} وَ أَمَّا رِوَايَةُ أَبِي مِخْنَفٍ؛ فَإِنَّهُ قَالَ: إِنَّ هَاشِمَ بْنَ عُتْبَةَ لَمَّا قَدِمَ الْكُوفَةَ، دَعَا أَبُو مُوسَى - الْأَشْعَرِي - السَّنَابَ بْنَ مَالِكِ الْأَشْعَرِيَّ فَاسْتَشَارَهُ، فَقَالَ - السَّنَابُ -: اتَّبِعْ مَا

ص: ٧٤

كتب به إليك، فأبى ذلك، و حبس الكتاب، و بعث إلى هاشم يتوعده و يخوفه.

قال السَّنَابُ: فَأَتَيْتُ هَاشِمًا فَأَخْبَرْتَهُ بِرَأْيِ أَبِي مُوسَى، فَكَتَبَ إِلَى عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

لَعَبَدَ اللَّهُ عَلِيَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مِنْ هَاشِمِ بْنِ عُتْبَةَ. أَمَّا بَعْدُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنِّي قَدِمْتُ بِكِتَابِكَ عَلَى امْرِئٍ مُشَاقٍّ بَعِيدِ الْوُدِّ، ظَاهِرِ الْعِلِّ وَ الشَّنَّانِ، فَتَهَدَّدَنِي بِالسَّجْنِ، وَ خَوَّفَنِي بِالْقَتْلِ، وَ قَدْ كَتَبْتُ إِلَيْكَ هَذَا الْكِتَابَ مَعَ الْمَحَلِّ بْنِ خَلِيفَةَ أَخِي طِيءٍ، وَ هُوَ مِنْ شِيعَتِكَ وَ أَنْصَارِكَ، وَ عِنْدَهُ عِلْمٌ مَا قَبَّلْنَا، فَاسْأَلْهُ عَمَّا بَدَأَ لَكَ، وَ اكْتُبْ إِلَيَّ بِرَأْيِكَ، وَ السَّلَامُ.

قال: فَلَمَّا قَدِمَ الْمَحَلُّ بِكِتَابِ هَاشِمِ عَلِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، سَلَّمَ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَدَّى الْحَقَّ إِلَى أَهْلِهِ، وَ وَضَعَهُ مَوْضِعَهُ؛ فَكَرِهَ ذَلِكَ قَوْمٌ قَدَّ وَ اللَّهُ كَرِهُوا نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ، ثُمَّ بَارَزُوهُ وَ جَاهَدُوهُ، فَردَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ كَيْدَهُمْ فِي نُحُورِهِمْ، وَ جَعَلَ ذَاتِرَةَ السَّوِّءِ عَلَيْهِمْ. وَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَنُجَاهِدَنَّهُمْ مَعَكَ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ، حِفْظًا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ، إِذْ صَارُوا أَعْدَاءً لَهُمْ بَعْدَهُ.

فرحّب به عليّ عليه السلام، و قال له خيرًا، ثُمَّ أَجْلَسَهُ إِلَى جَانِبِهِ، وَ قَرَأَ كِتَابَ هَاشِمِ، وَ سَأَلَهُ عَنِ النَّاسِ، وَ عَنِ أَبِي مُوسَى، فَقَالَ: وَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا أَثِقُ بِهِ وَ لَا أَمْنُهُ عَلَيَّ خِلَافِكَ إِنْ وَجَدَ مَنْ يُسَاعِدُهُ عَلَيَّ ذَلِكَ.

^{١٧٢} (١). تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٤٧٨ و راجع: الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٢٤، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد:

ج ١٤ ص ١٦، أحاديث أم المؤمنين عائشة: ج ١ ص ١٣٨.

^{١٧٣} (٢). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٤ ص ١٦.

^{١٧٤} (٣). راجع: الغنير: ج ٨ ص ٢٠١ - ٤٥٨.

فقال عليّ عليه السلام:

«وَاللَّهِ مَا كَانَ عِنْدِي بِمُؤْتَمِنٍ وَلَا نَاصِحٍ، وَلَقَدْ أَرَدْتُ غَزْلَهُ، فَأَتَانِي الْأَشْتَرُ فَسَأَلَنِي أَنْ أَقْرَهُ، وَذَكَرَ أَنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ بِهِ رَاضُونَ فَأَقْرَرْتُهُ».

وَرَوَى أَبُو مِخْنَفٍ، قَالَ: وَبَعَثَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الرَّبِذَةِ - بَعْدَ وَصُولِ الْمُحَلِّ بْنِ خَلِيفَةَ، أَخِي طَىءَ - عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ، وَ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ إِلَى أَبِي مُوسَى؛ وَ كَتَبَ مَعَهُمَا:

ص: ٧٥

«مِنَ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ، أَمَا بَعْدُ؛ يَا بَنَ الْخَائِكِ، يَا ...^{١٧٥}، فَوَ اللَّهُ إِنِّي كُنْتُ لِأَرَى أَنْ بَعْدَكَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي لَمْ يَجْعَلْ اللَّهُ لَهُ أَهْلًا، وَلَا جَعَلَ لَكَ فِيهِ نَصِيبًا، سَيَمْنَعُكَ مِنْ رَدِّ أَمْرِي، وَالْإِنْتِزَاءِ عَلَيَّ، وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ ابْنَ عَبَّاسٍ وَابْنَ أَبِي بَكْرٍ، فَخَلَّجَهُمَا وَالْمِصْرَ وَأَهْلَهُ، وَاعْتَزَلَ عَمَلْنَا مَذُومًا مَدْحُورًا.

فَإِنْ فَعَلْتَ، وَإِلَّا فَإِنِّي قَدْ أَمَرْتُهُمَا أَنْ يُنَابِذَاكَ عَلَى سِوَاءٍ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ، فَإِذَا ظَهَرَ عَلَيْكَ قَطْعَاكَ إِرْبًا إِرْبًا، وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ شَكَرَ النِّعْمَةَ، وَوَفَّى بِالْبَيْعَةِ، وَعَمِلَ بِرَجَاءِ الْعَاقِبَةِ.»

قال أبو مخنف: فلمّا أبطأ ابنُ عباسٍ و ابنُ أبي بكرٍ عن عليّ عليه السلام، و لم يدرِ ما صنعا، رحل عن الرّبذة إلى ذي قار فنزلها، فلمّا نزلَ ذا قارٍ، بعث إلى الكوفة الحسنَ ابنه عليه السلام و عمّارَ بن ياسرٍ و زَيْدَ بن صُوحانٍ و قَيْسَ بن سَعْدِ بن عبادة، و معهم كتاب إلى أهل الكوفة، فأقبلوا حتّى كانوا بالقادسيّة، فتلقاهم النّاس، فلمّا دخلوا الكوفة قرءوا كتابَ عليّ، و هو،^{١٧٦}

عمّارُ بنُ ياسرٍ

عمّارُ بنُ ياسرٍ بنِ عامرِ المذحجيّ، أبو اليقظان، و أمّه سُمَيَّة، و هي أوّل من استشهد في سبيل الله. و هو من السّابقين إلى الإيمان و الهجرة، و من الثّابتين الرّاسخين في العقيدة؛ فقد تحمّل تعذيب المشركين مع أبويه، منذ الأيّام الأولى لبزوغ شمس الإسلام، و لم يداخله ريب في طريق الحقّ لحظةً واحدةً^{١٧٧}

ص: ٧٦

شهد له رسول الله صلى الله عليه و آله بأنّه يزول مع الحقّ، و أنّه الطّيّب المطيّب، و أنّه ملئٌ إيماناً. و أكّد أنّ النّار لا تمسّه أبداً. و هو ممّن حرس - بعد رسول الله صلى الله عليه و آله - خلافة الحقّ و حقّ الخلافة، و لم يَنكَب عن الصّراط المستقيم

^{١٧٥} (١) وردت في المصدر عبارة نستبعد صدورها عن أمير المؤمنين عليه السلام.

^{١٧٦} (٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٤ ص ٩.

^{١٧٧} (٣) الطبقات الكبرى: ج ٣ ص ٢٤٦ و ص ٢٤٩، أنساب الأشراف: ج ١ ص ١٨٠-١٨٢، تهذيب الكمال: ج ٢١ ص ٢١٦ الرقم ٤١٧٤، اسد الغابة: ج ٤ ص ١٢٢ الرقم ٣٨٠٤، سبب أعلام النبلاء: ج ١ ص ٤٠٦ الرقم ٨٤؛ الجمل: ص ١٠٢.

قط^{١٧٨}، و صلى مع أمير المؤمنين عليه السلام على جنازة السيدة المطهرة فاطمة الزهراء عليها السلام^{١٧٩}، و ظل ملازماً للإمام صلوات الله عليه.

و لى الكوفة مدة في عهد عمر^{١٨٠}. و كان قائداً للجيش في فتح بعض الأقاليم^{١٨١}. و لما حكم عثمان كان من المعارضين له بجد^{١٨٢}. و انتقد سيرته مراراً حتى همّ بنفيه إلى الرّبذة لو لا تدخل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، إذ حال دون تحقيق هدفه^{١٨٣}.

ضرب بأمر عثمان لصراحته، و فعل به ذلك أيضاً عثمان نفسه، و ظلّ يعاني من آثار ذلك الضرب إلى آخر عمره^{١٨٤}

ص: ٧٧

و كان لاشتراكه الفعّال في حرب الجمل، و تصدّبه لقيادة الخيالة في جيش الإمام عليه السلام مظهر عظيم. كما تولّى في صفين قيادة رجاله الكوفة و القرّاء^{١٨٥}. تحدّث مع عمرو بن العاص و أمثاله من منّاوئى الإمام عليه السلام في غير موطن، و كسّف الحقّ بمنطقه البليغ و استدلالاته الرّصينة^{١٨٦}.

و في صفين، استشهد هذا الصحابيّ الجليل و النموذج المتألق، فتحققت بذلك النبوءة العظيمة لرسول الله صلى الله عليه و آله؛ إذ كان قد خاطبه قائلاً: تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَّةُ. و كان له من العمر - عند استشهاده - ثلاث و تسعون سنة^{١٨٧}.

نُقل إخبار النّبىّ صلى الله عليه و آله بالغيب حول قتل الفئة الباغية عمّار بن ياسر بألفاظ متشابهة، و طرق متعدّدة. و كان النّاس ينظرون إلى عمّار بوصفه المقياس في تمييز الحقّ عن الباطل. و أثر هذا الحديث بصيغته:

«تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَّةُ»

و بصيغته:

^{١٧٨} (١) راجع: علل الشرائع: ص ٢٢٣، الخصال: ص ٢٧٦، عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ٧٢ ح ٣٠١، الاحتجاج: ج ١ ص ٢٦٧، كفاية الأثر: ص ١٢٣، المناقب للكوفي: ص ٣٥١، بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٣٥.

^{١٧٩} (٢) الخصال: ص ٣٦١ ح ٥٠، رجال الكشي: ج ١ ص ٣٤ الرقم ١٣، الاختصاص: ص ٥، تفسير فرات: ص ٥٧٠ ح ٧٣٣.

^{١٨٠} (٣) المستدرک على الصحيحين: ج ٣ ص ٤٣٨ ح ٥٦٦٣، الطبقات الكبرى: ج ٣ ص ٢٥٥، أنساب الأشراف: ج ١ ص ١٨٥، تاريخ الطبري: ج ٤ ص ١٣٩ و ص ١٤٤، سير أعلام النبلاء: ج ١ ص ٤٢٣ الرقم ٨٤.

^{١٨١} (٤) تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٤١ و ص ٩٠ و ١٣٨.

^{١٨٢} (٥) الطبقات الكبرى: ج ٣ ص ٢٦٠، أنساب الأشراف: ج ١ ص ١٩٧ و ج ٦ ص ١٦٢، تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٣ ص ٤٧٣، المعارف لابن قتيبة: ص ٢٥٧.

^{١٨٣} (٦) أنساب الأشراف: ج ٦ ص ١٦٩، الفتوح: ج ٢ ص ٣٧٨؛ تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ١٧٣.

^{١٨٤} (٧) أنساب الأشراف: ج ٦ ص ١٦١-١٦٣، الفتوح: ج ٢ ص ٣٧٣.

^{١٨٥} (١) وقعة صفين: ص ٢٠٨؛ تاريخ الطبري: ج ٥ ص ١١ و ص ١٥.

^{١٨٦} (٢) وقعة صفين: ص ٣١٩ و ٣٢٠ و ص ٣٣٦-٣٣٩؛ تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٣٩.

^{١٨٧} (٣) المستدرک على الصحيحين: ج ٣ ص ٤٣٦ ح ٥٦٥٧، التاريخ الكبير: ج ٧ ص ٢٥ الرقم ١٠٧، الطبقات الكبرى: ج ٣ ص ٢٦٤، المعارف لابن قتيبة: ص ٢٥٨، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٣ ص ٥٨٢، سير أعلام النبلاء: ج ١ ص ٤٢٦ الرقم ٨٤، مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٩١، الطبقات الكبرى: ج ٣ ص ٢٥٩، أنساب الأشراف: ج ١ ص ١٩٤ و فيهما «٩١، ٩٤ سنة»، اسد الغابة: ج ٤ ص ١٢٧ الرقم ٣٨٠٤ و فيه «٩١، ٩٣، ٩٤ سنة».

«تَقْتُلُ عَمَّاراً الْفِتْنَةَ الْبَاغِيَّةَ».

و بصيغته:

«تَقْتُلُهُ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ»

على لسان سبعة و عشرين من الصَّحَابَةِ، و هم: أبو سعيد الخدري، و عَمْرُو بن العاص، و عبد الله بن عَمْرُو بن العاص، و معاوية، و أبو هريرة، و أبو رافع، و خُزَيْمَةُ بن ثَابِت، و أبو اليسر، و عَمَّار، و أمّ سلمة، و قَتَادَةُ بن النُّعْمَان، و أبو قَتَادَةَ، و عثمان بن عفان، و جابر بن سَمْرَةَ، و كَعْب بن مالك، و أنس بن مالك، و جابر بن عبد الله، و ابن مسعود، و خُذَيْفَةُ، و ابن عباس، و أبو أيوب، و عبد الله بن أبي هذيل،

ص: ٧٨

و عبد الله بن عمر، و أبو سعد، و أبو امامة، و زياد بن الفرد، و عائِشَةُ^{١٨٨}.

و صرَّح البعض بتواتره كابن عبد البر^{١٨٩}، و الذهبي^{١٩٠}، و السُّيوطي. و آثار هذا الحديث مشكّلة لمعاوية بعد استشهاد عَمَّار، فحاول توجيهه بقوله: ما نحن قتلناه و إنّما قتله مَنْ جاء به^{١٩١}! فقال الإمام عليه السلام في جوابه:

فَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ - إِذَنْ - قَاتَلُ حَمْرَةَ^{١٩٢}!

و ما من شكّ في أنّ هذه الصَّفَحَات القليلة عاجزة عن أن تفي بحقّ تلك الشَّخْصِيَّة العظيمة.

و سأختم الحديث عنه بمجموعة من الروايات و النصوص التاريخية التي بيّنت

ص: ٧٩

^{١٨٨} (١) صحيح البخاري: ج ٣ ص ١٠٣٥ ح ٢٦٥٧، صحيح مسلم: ج ٤ ص ٢٢٣٥ ح ٧٠ و ص ٢٢٣٦ ح ٧٢ و ٧٣، سنن الترمذي: ج ٥ ص ٦٦٩ ح ٣٨٠٠، مسند ابن حنبل: ج ٢ ص ٦٥٤ ح ٦٩٤٣ و ج ٦ ص ٢٢٩ ح ١٧٧٨١ و ج ٨ ص ٢٠٢ ح ٢١٩٣٢ و ج ١٠ ص ١٩٠ ح ٢٦٦٢٥، المستدرک علی الصحیحین: ج ٣ ص ٤٣٥ ح ٥٦٥٧ و ص ٤٣٦ ح ٥٦٥٩ و ص ٤٤٢ ح ٥٦٧٦، المصنّف لعبد الرزّاق: ج ١١ ص ٢٤٠ الرقم ٢٠٤٢٧ و ٢٠٤٢٦، المعجم الكبير: ج ٥ ص ٢٢١ ح ٥١٤٦ و ج ٢٣ و ص ٨٥٢-٨٥٧، خصائص أمير المؤمنين للنسائي: ص ٢٨٩-٣٠٠، الطبقات الكبرى: ج ٣ ص ٢٥١-٢٥٣ و ص ٢٥٩، مسند أبي يعلى: ج ٦ ص ٣٥٥ ح ٧١٤٠ و ص ٤٢٥ ح ٧٣٠٤ و ص ٤٢٧ ح ٧٣٠٨، مسند البزار: ج ٤ ص ٢٥٦ ح ١٤٢٨، السيرة النبوية لابن هشام: ج ٢ ص ١١٤، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٣ ص ٥٧١ و ص ٥٧٧ و ٥٧٩، حلية الأولياء: ج ٤ ص ١٧٢ و ص ٣٦١ و ج ٧ ص ١٩٧ و ١٩٨، الاستيعاب: ج ٣ ص ٢٣٠ و ص ٢٣١ الرقم ١٨٨٣ و فيه «تواترت الآثار عن النبي صلى الله عليه و آله أنّه قال: تقتل عَمَّاراً الْفِتْنَةَ الْبَاغِيَّةَ. و هذا من أصحّ الأحاديث»، اسد الغابة: ج ٤ ص ١٢٥ الرقم ٣٨٠٤، الإصابة: ج ٤ ص ٤٧٤ الرقم ٥٧٢٠ و فيه «تواترت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه و آله أنّ عَمَّاراً تقتله الفتنه الباغية، و أجمعوا على أنّه قُتِلَ مع عليّ بصفّين»، البداية و النهاية: ج ٧ ص ٢٦٧-٢٧٠.

^{١٨٩} (٢) الاستيعاب: ج ٣ ص ٢٣١ الرقم ١٨٨٣.

^{١٩٠} (٣) تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٣ ص ٥٨٠، الإصابة: ج ٤ ص ٤٧٤ الرقم ٥٧٢٠، سبب أعلام النبلاء: ج ١ ص ٤٢١ الرقم ٨٤.

^{١٩١} (٤) الأمالي للصدوق: ص ٤٨٩ ح ٦٦٥.

^{١٩٢} (٥) شرح نهج البلاغة: ج ٢٠ ص ٣٣٤ ح ٨٣٥؛ بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ١٦.

لنا غيضاً من فيض، فيما يرتبط بهذه القمّة الرفيعة شرفاً، و استقامة، و حرّية.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«إِنَّ الْجَنَّةَ لَتَشْتَاقُ إِلَى ثَلَاثَةٍ: عَلِيٍّ وَعَمَّارٍ وَسُلْمَانَ»^{١٩٣}.

و قال الإمام عليّ عليه السلام - لرسول الله صلى الله عليه وآله :-

«يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ قُلْتَ: إِنَّ الْجَنَّةَ لَتَشْتَاقُ إِلَى ثَلَاثَةٍ، فَمَنْ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ؟ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أَنْتَ مِنْهُمْ وَأَنْتَ أَوْلَهُمْ، وَسُلْمَانُ الْفَارِسِيِّ؛ فَإِنَّهُ قَلِيلُ الْكِبَرِ، وَهُوَ لَكَ نَاصِحٌ؛ فَاتَّخِذْهُ لِنَفْسِكَ، وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ، شَهِدَ مَعَكَ مَشَاهِدَ غَيْرِ وَاحِدَةٍ، لَيْسَ مِنْهَا إِلَّا وَهُوَ فِيهَا كَثِيرٌ خَيْرُهُ، ضَوْيُّ نُورَةٍ، عَظِيمٌ أَجْرُهُ»^{١٩٤}.

وَ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«جَاءَ عَمَّارٌ يَسْتَأْذِنُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ: ائْذِنُوا لِي، مَرَحَبًا بِالطَّيِّبِ الْمُطَيَّبِ»^{١٩٥}.

و قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«مُلِيَّ عَمَّارٍ إِيمَانًا إِلَى مُشَاشِهِ»^{١٩٦، ١٩٧}.

ص: ٨٠

و عنه صلى الله عليه وآله:

«ابْنُ سُمَيَّةَ، مَا عَرِضَ عَلَيْهِ أَمْرَانِ قَطُّ إِلَّا أَخَذَ بِالْأَرْشِدِ مِنْهُمَا»^{١٩٨}.

^{١٩٣} (١). راجع: سنن الترمذي: ج ٥ ص ٦٦٧ ح ٣٧٩٧، المستدرک علی الصحیحین: ج ٣ ص ١٤٨ ح ٤٦٦٦، أنساب الأشراف: ج ١ ص ١٨٢ و فيه «بلال» بدل «سلمان»، المعجم الكبير: ج ٦ ص ٢١٥ ح ٦٠٤٥ و زاد فيه «و المقداد»، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٣ ص ٥٧٤ كلها عن أنس؛ الخصال: ص ٣٠٣ ح ٨٠ عن عبد الله بن محمد بن علي بن العباس الرازي عن الإمام الرضا عن أبياته عليهم السلام عنه صلى الله عليه وآله و زاد فيه «و أبي ذرّ و المقداد»، وقعة صفين: ص ٣٢٣ عن الحسن.

^{١٩٤} (٢). رجال الكشي: ج ١ ص ١٣٧ الرقم ٥٨ عن بُرَيْدَةَ الأَسْلَمِي، روضة الواعظين: ص ٣١٤ و فيه «يشهد» بدل «شهد».

^{١٩٥} (٣). سنن الترمذي: ج ٥ ص ٦٦٨ ح ٣٧٩٨، مسند ابن حنبل: ج ١ ص ٢١٤ ح ٧٧٩، المستدرک علی الصحیحین: ج ٣ ص ٤٣٧ ح ٥٦٦٢، المصنّف لابن أبي شيبة: ج ٧ ص ٥٢٢ ح ٤١؛ وقعة صفين: ص ٣٢٣، رجال الكشي: ج ١ ص ١٤٧ الرقم ٦٦ و فيهما «ابن الطيّب» بدل «المطيب» و كلها عن هاني بن هاني.

^{١٩٦} (٤). المشاش: هي رءوس العظام، كالمرفقين و الكتفين و الركبتين (النهاية: ج ٤ ص ٣٣٣).

^{١٩٧} (٥). المستدرک علی الصحیحین: ج ٣ ص ٤٤٣ ح ٥٦٨٠ عن عمرو بن شرحبيل عن عبد الله، سنن النسائي: ج ٨ ص ١١١ عن عمرو بن شرحبيل عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله، فضائل الصحابة لابن حنبل: ج ٢ ص ٨٥٨ ح ١٦٠٠، المصنّف لابن أبي شيبة: ج ٧ ص ٥٢٢ ح ٢ كلاهما عن عمرو بن شرحبيل، حلية الأولياء: ج ١ ص ١٣٩ عن هاني بن هاني عن الإمام عليّ عليه السلام و عن ابن عباس؛ الجمل: ص ١٠٣ و فيه «عمار ملّي إيماناً و علماً»، وقعة صفين: ص ٣٢٣ عن عمرو بن شرحبيل عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله و فيه «لقد ...».

^{١٩٨} (١). المستدرک علی الصحیحین: ج ٣ ص ٤٣٨ ح ٥٦٦٤ عن عبد الله بن مسعود و ح ٥٦٦٥ نحوه، سنن الترمذي: ج ٥ ص ٦٦٨ ح ٣٧٩٩، سير أعلام النبلاء: ج ١ ص ٤١٦ الرقم ٨٤ كلها عن عائشة، المصنّف لابن أبي شيبة: ج ٧ ص ٥٢٣ ح ٤، تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٣ ص ٤٠٥ كلاهما عن عبد الله بن مسعود.

و عنه صلى الله عليه و آله:

«عَمَّارٌ خَلَطَ اللَّهُ الْإِيمَانَ مَا بَيْنَ قَرْنِهِ إِلَى قَدَمِهِ، وَخَلَطَ الْإِيمَانَ بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ، يَرُولُ مَعَ الْحَقِّ حَيْثُ زَالَ، وَكَيْسَ يَنْبَغِي لِلنَّارِ أَنْ تَأْكُلَ مِنْهُ شَيْئاً»^{١٩٩}.

و قال الإمام عليّ عليه السلام- في وصف عَمَّار:-

«ذَلِكَ أَمْرٌ خَالَطَ اللَّهُ الْإِيمَانَ بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ وَشَعْرِهِ وَبَشَرِهِ، حَيْثُ زَالَ زَالَ مَعَهُ، وَلَا يَنْبَغِي لِلنَّارِ أَنْ تَأْكُلَ مِنْهُ شَيْئاً»^{٢٠٠}.

و قال رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه و آله:

«دَمَ عَمَّارٍ وَلَحْمُهُ حَرَامٌ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَهُ أَوْ تَمْسَهُ»^{٢٠١}.

و قال الإمام عليّ عليه السلام- في وصف عَمَّار بن ياسر:- ...

«ذَاكَ أَمْرٌ حَرَّمَ اللَّهُ لَحْمَهُ وَدَمَهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَمَسَّ شَيْئاً مِنْهُمَا»^{٢٠٢}.

و قال رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه و آله:

«اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَوْلَعْتَهُمْ بِعَمَّارٍ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى النَّارِ»^{٢٠٣}.

و عنه صلى الله عليه و آله:

«مَا لَهُمْ وَلِعَمَّارٍ؟ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى النَّارِ، وَذَاكَ دَابُّ الْأَشْقِيَاءِ الْفُجَّارِ»^{٢٠٤}

ص: ٨١

و عنه صلى الله عليه و آله:

^{١٩٩} (٢). تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٣ ص ٣٩٣ عن النزال بن سبرة الهلالي عن الإمام عليّ عليه السلام.
^{٢٠٠} (٣). الغارات: ج ١ ص ١٧٧ عن أبي عمرو الكندي؛ المعجم الكبير: ج ٦ ص ٢١٤ ح ٦٠٤١ عن أبي الأسود و زاذان الكندي نحوه.
^{٢٠١} (٤). تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٣ ص ٤٠١ ح ٩٢٨٠، سبب أعلام النبلاء: ج ١ ص ٤١٥ الرقم ٨٤ و كلاهما عن أوس بن أوس عن الإمام عليّ عليه السلام، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٣ ص ٥٧٥ عن الإمام عليّ عليه السلام و ليس فيهما «أن تأكله أو تمسه».
^{٢٠٢} (٥). الاحتجاج: ج ١ ص ٦١٦ ح ١٣٩ عن الأصبغ بن نباتة.
^{٢٠٣} (٦). حلية الأولياء: ج ٤ ص ٢٠، المعجم الكبير: ج ١٢ ص ٣٠١ ح ١٣٤٥٧ نحوه و كلاهما عن ابن عمر، تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٣ ص ٤٠٣ عن مجاهد.
^{٢٠٤} (٧). فضائل الصحابة لابن حنبل: ج ٢ ص ٨٥٨ الرقم ١٥٩٨، المصنّف لابن أبي شيبة: ج ٧ ص ٥ ح ٥، سبب أعلام النبلاء: ج ١ ص ٤١٥ الرقم ٨٤، تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٣ ص ٤٠٢ كلّها عن مجاهد، مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٩١ عن عبد الله بن عمرو بن العاص و ليس فيه «و ذاك داب» و «...» وقعة صفين: ص ٣٢٣ و ليس فيه «داب»، رجال الكشي: ج ١ ص ١٤٣ الرقم ٦٢ و فيه «دار»، بدل «داب» و كلاهما عن مجاهد.

«يا عَمَّارُ بْنَ يَاسِرٍ! إِنْ رَأَيْتَ عَلِيًّا قَدْ سَلَكَ وادِيًا، وَسَلَكَ النَّاسُ وادِيًا غَيْرَهُ، فَاسْلُكْ مَعِ عَلِيٍّ؛ فَإِنَّهُ لَنْ يُدْلِيكَ فِي رَدَىٍّ، وَلَنْ يُخْرِجَكَ مِنْ هُدًى»^{٢٠٥}.

و عنه صلى الله عليه و آله:

«إِذَا اخْتَلَفَ النَّاسُ كَانَ ابْنُ سُمَيَّةَ مَعَ الْحَقِّ»^{٢٠٦}.

و فى المستدرک على الصحيحين عن حَبَّةِ العُرْنِيِّ: دخلنا مع أبى مسعود الأنصارى على حُدَيْفَةَ بن اليمان أسأله عن الفتن، فقال: دوروا مع كتاب الله حيثما دار، و انظروا الفئة ألتى فيها ابن سُمَيَّةَ فاتبعوها؛ فإنه يدور مع كتاب الله حيثما دار.

قال: فقلنا له: و من ابن سُمَيَّةَ؟

قال: عَمَّار، سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول له:

لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَقْتُلَكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَّةُ، تَشْرَبُ شَرْبَةَ ضِيَاحٍ^{٢٠٧} تَكُنْ آخِرَ رِزْقِكَ مِنَ الدُّنْيَا^{٢٠٨}.

و قال الإمام على عليه السلام:

«إِنَّ امْرَأً مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَعْظُمْ عَلَيْهِ قَتْلُ عَمَّارٍ، وَ يَدْخُلُ عَلَيْهِ بِقَتْلِهِ مُصِيبَةٌ مُوجِعَةٌ، لَغَيْرِ رَشِيدٍ، رَحِمَ اللَّهُ عَمَّارًا يَوْمَ أَسْلَمَ، وَ رَحِمَ اللَّهُ عَمَّارًا يَوْمَ قُتِلَ، وَ رَحِمَ اللَّهُ عَمَّارًا يَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا!

لَقَدْ رَأَيْتُ عَمَّارًا مَا يُذَكَّرُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ أَرْبَعَةً إِلَّا كَانَ الرَّابِعَ، وَ لَا خَمْسَةَ إِلَّا كَانَ

ص: ٨٢

الخامس، و ما كان أحدًا من أصحاب مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ يَشْكُ في أَنْ عَمَّارًا قَدْ وَجَّبت لَهُ الْجَنَّةُ فى غيرِ مَوْطِنٍ، ولا اثنين، فهنيئاً له الجنة! عَمَّار مع الحق أين دار، وقاتل عَمَّار فى النار»^{٢٠٩}.

و فى الأمالى للطوسى عن عَمَّار: لو لم يبق أحد إلا خالف على بن أبى طالب، لما خالفته، و لا زالت يدي مع يده؛ و ذلك لأنَّ عليًّا لم يزل مع الحق منذ بعث الله نبيّه صلى الله عليه و آله؛ فإننى أشهد أنه لا ينبغي لأحد أن يُفضّل عليه أحدًا^{٢١٠}.

^{٢٠٥} (١) تاريخ بغداد: ج ١٣ ص ١٨٧ الرقم ٧١٦٥، تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٢ ص ٤٧٢ و فيه «ركي» بدل «ردى»، البداية و النهاية: ج ٧ ص ٣٠٧، المناقب للخوارزمي: ص ١٠٥ الرقم ١١٠، الفردوس: ج ٥ ص ٣٨٤ ح ٨٥٠١ و زاد فيهما «ودع الناس» بعد «مع علي»، فراند السمطين: ج ١ ص ١٧٨ ح ١٤١ نحوه و كلها عن أبى أيوب الأنصاري.

^{٢٠٦} (٢) تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٣ ص ٥٧٥، سير أعلام النبلاء: ج ١ ص ٤١٦ الرقم ٨٤ كلاهما عن ابن مسعود.

^{٢٠٧} (٣) الضياع: اللبن الخائر يُصب فيه الماء ثم يُخلط النهاية: ج ٣ ص ١٠٧.

^{٢٠٨} (٤) المستدرک على الصحيحين: ج ٣ ص ٤٤٢ ح ٥٦٧٦.

^{٢٠٩} (١) أنساب الأشراف: ج ١ ص ١٩٧، الطبقات الكبرى: ج ٣ ص ٢٦٢، تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٣ ص ٤٧٦ كلاهما عن أبى الغادية.

^{٢١٠} (٢) الأمالى للطوسى: ص ٧٣١ ح ١٥٣٠.

و في أنساب الأشراف عن أبي مِخْنَفٍ: إِنَّ المَقْدَادَ بنَ عَمْرُو، و عَمَّارَ بنَ يَاسِرٍ، و طَلْحَةَ و الزُّبَيْرَ، في عدَّة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله كتبوا كتاباً، عدّدوا فيه أحداث عثمان، و خوفوه ربّه، و أعلموه أنّهم مؤثّبوه إن لم يقلع. فأخذ عَمَّار الكتاب و أتاه به، فقرأ صدرأ منه، فقال له عثمان: أ علىّ تقدم من بينهم؟

فقال عَمَّار: لأنّي أنصحهم لك، فقال: كذبت يا ابن سُمَيَّة، فقال: و أنا و الله ابن سُمَيَّة و ابن ياسر.

فأمر غلماناً له فمدّوا بيديه و رجلَيْه، ثُمَّ ضَرَبَهُ عُثْمَانُ بِرِجْلَيْه - و هي في الخفين - على مَذَاكِرِهِ، فأصابهُ الفتق، و كان ضعيفاً كبيراً، فغشى عليه^{٢١١}.

و عن أبي مِخْنَفٍ: كان في بيت المال بالمدينة سَفَطٌ^{٢١٢} فيه حُلِيٌّ و جوهر، فأخذ منه عُثْمَانُ ما حلّى به بعض أهله، فأظهر النَّاسُ الطَّعْنَ عَلَيْهِ في ذَلِكَ، و كَلَمُوهُ فيه بكلام شديد حتّى أغضبوه، فخطب فقال: لَنَاخُذَنَّ حاجتنا من هذا الفيء و إن رَغِمَتْ أنوف أقوام.

ص: ٨٣

فقال له علىّ عليه السلام:

إِذَا تَمَنَعُ مِنْ ذَلِكَ وَ يُحَالُ بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ.

و قال عَمَّار بن ياسر: اشهد الله أنّ أنفى أول راعٍمٍ من ذلك، فقال عثمان:

أ علىّ يا ابن المَتَكَاءِ^{٢١٣} تجتري؟ خذوه، فاخذ، و دخل عثمان فدعا به، فضربه حتّى غشى عليه، ثمّ اخرج فحُمِلَ حتّى اتى به منزل امّ سلمة زوج رسول الله صلى الله عليه و آله، فلم يُصَلِّ الطَّهْرَ و العصر و المغرب، فلما أفاق تَوْضاً وَ صَلَّى، وَ قَالَ: الحمد لله، ليس هذا أولَ يومٍ اودينا فيه في الله

و بلغ عائشة ما صنِعَ بعَمَّارٍ، فَغَضِبَتْ و أخرجت شعراً من شعر رسول الله صلى الله عليه و آله، و ثوباً من ثيابه، و نعلًا من نعاله، ثُمَّ قالت: ما أسرع ما تركتم سنّة نبيكم، و هذا شعره و ثوبه و نعله، و لم يبَلْ بعداً! فغضب عثمان غضباً شديداً حتّى ما درى ما يقول^{٢١٤}.

و في تاريخ اليعقوبي: لما بلغ عثمان وفاة أبي ذرّ، قال: رَحِمَ اللهُ أبا ذرّ! قال عَمَّار: نعم! رَحِمَ اللهُ أبا ذرّ من كلّ أنفُسِنَا، فغلظ ذلك على عثمان.

^{٢١١} (٣). أنساب الأشراف: ج ٦ ص ١٦٢، الرياض النضرة: ج ٣ ص ٨٥ نحوه.

^{٢١٢} (٤). السَّفَطُ: الَّذِي يُعْبَى فِيهِ الطَّيِّبُ و ما أشبهه من أدوات النساء (لسان العرب: ج ٧ ص ٣١٥).

^{٢١٣} (١). المَتَكَاءُ: هي التي لم تُخْتَن. و قيل: هي التي لا تحبس بولها. و أصله من المتك (النهاية: ج ٤ ص ٢٩٣).

^{٢١٤} (٢). أنساب الأشراف: ج ٦ ص ١٦١.

و بلغ عثمان عن عَمَّارٍ كلام، فأراد أن يُسَيِّره أيضاً، فاجتمعت بنو مخزوم إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام، و سألوه إيعانتهم، فقال عليّ عليه السلام:

لا ندعُ عثمانَ ورأيةً.

فجلس عَمَّارٌ في بيته، و بلغ عثمان ما تكلمت به بنو مخزوم، فأمسك عنه^{٢١٥}.

و في الكامل في التاريخ: خَرَجَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعَلَّمْتَ أَنِّي لَوْ أَعْلَمْتُ أَنَّ رِضَاكَ فِي أَنْ أَقْدِفَ بِنَفْسِي فِي هَذَا الْبَحْرِ لَفَعَلْتُهُ. اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعَلَّمْتَ

ص: ٨٤

أَنِّي لَوْ أَعْلَمْتُ أَنَّ رِضَاكَ فِي أَنْ أَضَعَ ظُبَّةً^{٢١٦} سِيفِي فِي بَطْنِي، ثُمَّ أَنْحَنِي عَلَيْهَا حَتَّى تَخْرُجَ مِنِّي ظَهْرِي، لَفَعَلْتُهُ. وَإِنِّي لَا أَعْلَمُ الْيَوْمَ عَمَلًا هُوَ أَرْضَى لَكَ مِنْ جِهَادِ هَؤُلَاءِ الْفَاسِقِينَ، وَ لَوْ أَعْلَمْتُ عَمَلًا هُوَ أَرْضَى لَكَ مِنْهُ لَفَعَلْتُهُ.

و اللَّهُ، إِنِّي لَأَرَى قَوْمًا، لَيَضْرِبُنَّكُمْ ضَرْبًا يَرْتَابُ مِنْهُ الْمُبْطَلُونَ، وَ أَيُّمُ اللَّهِ، لَوْ ضَرَبْنَا حَتَّى يَبْلُغُوا بِنَا سَعَفَاتِ هَجْرٍ، لَعَلِمْتُ أَنَا عَلَى الْحَقِّ وَ أَنَّهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ.

ثم قال: مَنْ يَبْتَنِي رِضْوَانَ اللَّهِ رَبِّهِ وَ لَا يَرْجِعْ إِلَى مَالٍ وَ لَا وَدٍ؟ فَأَنَاهُ عِصَابَةً، فَقَالَ: اقْضُوا بِنَا هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ الَّذِينَ يَطْلُبُونَ دَمَ عُثْمَانَ، وَ اللَّهُ، مَا أَرَادُوا الطَّلَبَ بِدَمِهِ وَ لَكِنَّهُمْ ذَاقُوا الدُّنْيَا وَ اسْتَحَبُّوْهَا، وَ عَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ إِذَا لَزِمَهُمْ حَالَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ مَا يَتَمَرَّغُونَ فِيهِ مِنْهَا، وَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ سَابِقَةٌ يَسْتَحِقُّونَ بِهَا طَاعَةَ النَّاسِ وَ الْوَلَايَةَ عَلَيْهِمْ، فَخَدَعُوا أَتْبَاعَهُمْ. وَ إِنْ قَالُوا: إِمَامُنَا قُتِلَ مَظْلُومًا، لِيَكُونُوا بِذَلِكَ جَبَابِرَةً مَلُوكًا، فَبَلَّغُوا مَا تَرَوْنَ، فَلَوْ لَا هَذِهِ مَا تَبِعَهُمْ مِنَ النَّاسِ رَجُلَانِ.

اللَّهُمَّ إِنْ تَنْصُرْنَا فَطَالَمَا نَصَرْتَ، وَ إِنْ تَجْعَلْ لَهُمُ الْأَمْرَ فَادْخِرْ لَهُمْ بِمَا أَحَدْتُوا فِي عِبَادِكَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ^{٢١٧}.

و في رجال الكشي عن حمّان بن أعين عن الإمام الباقر عليه السلام: قلت: ما تقول في عَمَّارٍ؟ قال:

«رَحِمَ اللَّهُ عَمَّارًا، - ثلاثاً! - قَاتَلَ مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَ قُتِلَ شَهِيدًا.»

قال: قلت في نفسي: ما تكون منزلة أعظم من هذه المنزلة؟ فالتفت إليّ، فقال:

«لَعَلَّكَ تَقُولُ: مِثْلُ الثَّلَاثَةِ! هِيَهَاتَ!»

^{٢١٥} (٣). تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ١٧٣؛ أنساب الأشراف: ج ٦ ص ١٦٩، الفتوح: ج ٢ ص ٣٧٨ كلاهما نحوه.

^{٢١٦} (١). ظبّة السيف: طرفه (النهاية: ج ٣ ص ١٥٥).

^{٢١٧} (٢). الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٨٠، تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٣٨ و ٣٩ نحوه و راجع حلية الأولياء: ج ١ ص ١٤٣ و البداية و النهاية: ج ٧ ص ٢٦٧ و وقعة صفين: ص ٣٢٠.

قال قلت: و ما علمه أنه يُقتل في ذلك اليوم؟

ص: ٨٥

قال:

«إنه لما رأى الحرب لا تزداد إلا شدةً، والقَتْلَ لا يزدادُ إلا كثرةً، تَرَكَ الصَّفَّ وجاءَ إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: يا أمير المؤمنين، هو هو؟ قال: ارجع إلى صفك، فقال له ذلك ثلاث مرّات، كلُّ ذلك يقولُ له: ارجع إلى صفك، فلمّا أن كان في الثالثة قال له: نعم. فرجع إلى صفه وهو يقول: اليوم ألقى الأحبّة، مُحمّداً وحزبَهُ»^{٢١٨}.

و عن الإمام عليّ عليه السلام- في الديوان المنسوب إليه ممّا أنشده في شهادة عمّار:-

أرحني فقد أفنيت كلَّ خليل

«أ لا أيها الموت الذي ليس تاركِي

كأنك تنحو نحوهم بدليل»^{٢١٩}

أراك مضيراً بالذين أحبهم

و قال رسول الله صلى الله عليه و آله:

«بشر قاتل ابنِ سُمَيَّةَ بالنار»^{٢٢٠}.

و عنه صلى الله عليه و آله- في عمّار:-

«إن قاتله وسالبه في النار»^{٢٢١}.

و عنه صلى الله عليه و آله:

^{٢١٨} (١) رجال الكشي: ج ١ ص ١٢٦ الرقم ٥٦، روضة الواعظين: ص ٣١٣ و راجع البداية و النهاية: ج ٧ ص ٢٦٨ و ٢٦٩.

^{٢١٩} (٢) الديوان المنسوب إلى الإمام عليّ عليه السلام: ص ٤٩٦ الرقم ٣٨٠، كفاية الأثر: ص ١٢٣ نحوه؛ مطالب السنول:

ص ٦٢.

^{٢٢٠} (٣) تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٣ ص ٤٧٣، الفردوس: ج ٢ ص ٢٧ ح ٢١٧٠ كلاهما عن عمرو بن العاص.

^{٢٢١} (٤) مسند ابن حنبل: ج ٦ ص ٢٣١ ح ١٧٧٩١، المستدرک علی الصحیحین: ج ٣ ص ٤ ح ٥٦٦١، أنساب الأشراف: ج ١ ص ١٩٧، سير أعلام النبلاء: ج ١ ص ٤٢٥ الرقم ٨٤ كلها عن عمرو بن العاص، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٣ ص ٥٨٢ عن عبد الله بن عمرو و فيه «قاتل عمّار و سالبه في النار»؛ الجمل: ص ١٠٣ و فيه «بشروا قاتل عمّار و سالبه بالنار».

«وَبِحَ عَمَّارًا تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَّةُ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ»^{٢٢٢}.

و في مناقب ابن شهر آشوب: كثر أصحاب الحديث على شريك^{٢٢٣}، و طالبوه بأنه يُحدثهم بقول النبي صلى الله عليه و آله:

«تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَّةُ»

فغضب و قال: أ تدررون أن لا فخر

ص: ٨٦

لعلّي أن يُقتل معه عمّار، إنّما الفخر لعمّار أن يُقتل مع عليّ عليه السلام^{٢٢٤}.

و في الكامل في التاريخ: إنّ أبا الغازية قتل عمّاراً و عاش إلى زمن الحجّاج، و دخل عليه فأكرمه الحجّاج، و قال له: أنت قتلت ابن سُمَيَّة - يعني عمّاراً؟ قال:

نعم ... ثمّ سأله أبو الغازية حاجته فلم يُجِبْه إليها، فقال - أبو الغازية -: نُوطِيّ لَهُمُ الدُّنْيَا، و لا يعطونا منها، و يزعم أنّي عظيم الباع يوم القيامة!

فقال الحجّاج: أجل و الله، من كان ضرسه مثل أحدٍ، و فخذُه مثل جبل وراقان، و مجلسُه مثل المدينة و الرّبذة، إنّهُ لعظيم الباع يوم القيامة، و الله، لو أنّ عمّاراً قتلَهُ أهلُ الأرضِ كلّهم لدخلوا كلّهم النَّارَ^{٢٢٥}.

هَاشِمُ بْنُ عُتْبَةَ

هاشم بن عُتْبَةَ بن أبي وقّاص المرقّال، يُكنّى أبا عمرو، و هو ابن أخي سعد بن أبي وقّاص و المرقّال هو العارف السّليم القلب، و أسد الحروب الباسل. كان من الفضلاء الخيار، و كان من الأبطال البُهم^{٢٢٦}. من صحابه رسول الله صلى الله عليه و آله الكبار^{٢٢٨}، و كان نصيراً و فيّاً للإمام أمير المؤمنين عليه السلام^{٢٢٩}، و من

ص: ٨٧

^{٢٢٢} (٥) صحيح البخاري: ج ١ ص ١٧٢ ح ٤٣٦ عن أبي سعيد.
^{٢٢٣} (٦) هو شريك بن عبد الله الكوفي، ولد سنة (٩٠ هـ) و مات سنة (١٧٧ هـ). ولي القضاء بواسط، ثمّ ولي الكوفة بعده و مات بها، و كان فقيهاً عالماً تهذيب التهذيب: ج ٢ ص ٤٩١ الرقم (٣٢٥٤).
^{٢٢٤} (١) المناقب لابن شهر آشوب: ج ٣ ص ٢١٧.
^{٢٢٥} (٢) الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٨٢، و الصحيح أنّ قاتل عمّار: أبو الغادية. راجع: اسد الغابة: ج ٦ ص ٢٣١ الرقم ٦١٤٧ و الإستيعاب: ج ٤ ص ٢٨٨ الرقم ٣١٤٤.
^{٢٢٦} (٣) البُهمة بالضمّ: الشجاع، و قيل: هو الفارس الذي لا يُدرى من أين يُوتى له من شدّة بأسه، و الجمع بُهم (لسان العرب: ج ١٢ ص ٥٨).
^{٢٢٧} (٤) راجع: الإستيعاب: ج ٤ ص ١٠٧ الرقم ٢٧٢٩.
^{٢٢٨} (٥) تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٤١، الإستيعاب: ج ٤ ص ١٠٧ الرقم ٢٧٢٩، الطبقات لخليفة بن خياط: ص ٢١٤ الرقم ٨٣١، المستدرک على الصحيحين: ج ٣ ص ٤٤٧ ح ٥٦٩٠.
^{٢٢٩} (٦) رجال الطوسي: ص ٨٤ الرقم ٨٥٢ و فيه «هشام بن عتبة بن أبي وقّاص المرقّال»؛ مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٨٧، اسد الغابة: ج ٥ ص ٣٥٣ الرقم ٥٣٢٨.

أسلم يوم الفتح. و ذهبت إحدى عينيه في معركة اليرموك^{٢٣١}.

ثم سارع إلى نصره عمه سعد بن أبي وقاص^{٢٣٢}. و تولّى قيادة الجيش في فتح جَلَوْلَاء^{٢٣٣}. لُقّب بالمرقال؛ لطريقته الخاصة في القتال، و في هجومه على العدو^{٢٣٤}.

شهد معركة الجمل^{٢٣٥} و صفّين^{٢٣٦}. و إنّ ملاحمه و خطبه في بيان عظمة الإمام عليّ عليه السلام، و كشفه ضلال الأمويين و سيرتهم القبيحة، كلّها كانت دليلاً على عمق تفكيره، و معرفته الحقّ. و ثباته عليه.

دفع الإمام عليّ عليه السلام رايته العظمى إليه يوم صفّين^{٢٣٧}. و تولّى قيادة رجّالهُ

ص: ٨٨

البصرة يومئذٍ^{٢٣٨}. استشهد في صفّين عند مقاتلته كتيبة أموية بقيادة ذو الكلاع^{٢٣٩}.

و أثنى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على شجاعته و شهامته و ثباته و كياسته^{٢٤٠}.

في الاستيعاب عن أبي عمر: أسلم هاشم بن عُتْبَةَ يوم الفتح، يعرف بالمرقال، و كان من الفضلاء الخيار، و كان من الأبطال البهيم، فقيمت عينه يوم اليرموك، ثم أرسله عمر من اليرموك مع خيل العراق إلى سعد، كتب إليه بذلك، فشهد القادسية و

^{٢٣٠} (١) اسد الغابة: ج ٥ ص ٣٥٣ الرقم ٥٣٢٨، الإصابة: ج ٦ ص ٤٠٤ الرقم ٨٩٣٤، المعارف لابن قتيبة: ص ٢٤١، الاستيعاب: ج ٤ ص ١٠٧ الرقم ٢٧٢٩.

^{٢٣١} (٢) المستدرک علی الصحیحین: ج ٣ ص ٤٤٧ ح ٥٦٩٣، الاستيعاب: ج ٤ ص ١٠٧ الرقم ٢٧٢٩، تاريخ بغداد:

ج ١ ص ١٩٦ الرقم ٣٤، مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٨٧.

^{٢٣٢} (٣) الاستيعاب: ج ٤ ص ١٠٧ الرقم ٢٧٢٩، تاريخ بغداد: ج ١ ص ١٩٦ الرقم ٣٤، الإصابة: ج ٦ ص ٤٠٥ الرقم ٨٩٣٤ و فيهما «حضر مع عمه حرب الفرس بالقادسية».

^{٢٣٣} (٤) الاستيعاب: ج ٤ ص ١٠٧ الرقم ٢٧٢٩، تاريخ بغداد: ج ١ ص ١٩٦ الرقم ٣٤، الإصابة: ج ٦ ص ٤٠٥ الرقم ٨٩٣٤ و فيهما «حضر مع عمه حرب الفرس بالقادسية».

^{٢٣٤} (٥) رجال الطوسي: ص ٨٤ الرقم ٨٥٢، وقعة صفّين: ص ٣٢٨؛ تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٤٤، مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٨٧، الإصابة: ج ٦ ص ٤٠٤ الرقم ٨٩٣٤، و في النهاية: ج ٢ ص ٢٥٣ «الإرقال: ضرب من العدو فوق الخبب. يقال: أرقلت الناقة تُرقل إرقالاً، فهي مُرقل و مُرقال. و أضيف في لسان العرب: ج ١١ ص ٢٩٤ «و مرقال: كثيرة الإرقال و المرقال: لقب هاشم بن عُتْبَةَ الزُّهري؛ لأنّ عليّاً عليه السلام دفع إليه الراية يوم صفّين فكان يُرقل بها إرقالاً».

^{٢٣٥} (٦) الجمل: ص ٣٢١؛ الاستيعاب: ج ٤ ص ١٠٨ الرقم ٢٧٢٩.

^{٢٣٦} (٧) الاستيعاب: ج ٤ ص ١٠٨ الرقم ٢٧٢٩؛ وقعة صفّين: ص ١٥٤.

^{٢٣٧} (٨) الأخبار الطوال: ص ١٨٣، المستدرک علی الصحیحین: ج ٣ ص ٤٤٧ ح ٥٦٩١، تاريخ الطبري: ج ٥ ص ١١ و ص ٤٠، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٣ ص ٥٨٤، الاستيعاب: ج ٤ ص ١٠٨ الرقم ٢٧٢٩؛ رجال الطوسي:

ص ٨٥ ح ٨٥٢ و فيه «كان صاحب رايته ليلة الهرير»، وقعة صفّين: ص ٢٠٥.

^{٢٣٨} (١) تاريخ الطبري: ج ٥ ص ١١، المستدرک علی الصحیحین: ج ٣ ص ٤٤٧ ح ٥٦٩٣، الاستيعاب: ج ٤ ص ١٠٨ الرقم ٢٧٢٩ و ليس فيهما «البصرة».

^{٢٣٩} (٢) وقعة صفّين: ص ٣٤٨؛ مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٩٣، تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٤١، تاريخ بغداد: ج ١ ص ١٩٦ الرقم ٣٤، الأخبار الطوال: ص ١٨٣.

^{٢٤٠} (٣) نهج البلاغة: الخطبة ٦٨، الغارات: ج ١ ص ٣٠١؛ تاريخ الطبري: ج ٥ ص ١١٠، أنساب الأشراف: ج ٣ ص ١٧٣.

أبلى بها بلاءً حسناً، و قام منه فى ذلك ما لم يقم من أحد، كان سبب الفتح على المسلمين. و كان بُهْمَهُ من البُهِمِ فاضلاً خيراً. و هو الذى افتتح جلولاء، فعقد له سَعْدُ لواءً و وجَّهه، و فتح الله عليه جلولاء و لم يشهدا سعد^{٢٤١}.

و فى **المستدرک على الصحيحين** عن محمد بن عمر: كان (هاشم بن عتبة) أعور، فقئت عينه يوم اليرموك^{٢٤٢}.

و فى **الإصابة** عن المرزبانى: لما جاء قتل عثمان إلى أهل الكوفة، قال هاشم لأبى موسى الأشعريّ: تعال يا أبا موسى بايع لخير هذه الامّة علىّ. فقال:

ص: ٨٩

لا تعجل. فوضع هاشم يده على الاخرى، فقال: هذه لعلّى و هذه لى، و قد بايعت عليّاً، و أنشد:

ابايعُ غيرَ مكرثٍ عليّاً و لا أخشى أميراً أشعريّاً

ابايعةُ و أعلم أن سارضى بذاك الله حقاً و النبياً^{٢٤٣}

و قال الإمام علىّ عليه السلام:

«وَقَدْ أَرَدْتُ تَوَلِيَّةَ مِصْرَ هَاشِمِ بْنِ عُبَيْدَةَ، وَلَوْ وَوَلِيَّتُهُ إِيَّاهَا، لَمَا خَلَى لَهُمُ الْعَرِصَةَ، وَلَا أَنْهَزَهُمُ الْفُرْصَةَ، بَلَا ذَمَّ لِمُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، وَلَقَدْ كَانَ إِلَيَّ حَبِيباً، وَكَانَ لِي رَبِيباً»^{٢٤٤}.

و عنه عليه السلام:

«رَحِمَ اللَّهُ مُحَمَّدًا، كَانَ غُلَامًا حَدَثًا، أَمَا وَاللَّهِ، لَقَدْ كُنْتُ أُرَدْتُ أَنْ أَوْلِيَ الْمِرْقَالَ هَاشِمَ بْنَ عُبَيْدَةَ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ مِصْرَ، وَاللَّهِ، لَوْ أَنَّهُ وَوَلِيَّتُهَا لَمَا خَلَى لِعَمْرُوبِ بْنِ الْعَاصِ وَأَعْوَانِهِ الْعَرِصَةَ، وَلَمَا قُتِلَ إِلَّا وَسِيفُهُ فِي يَدِهِ»^{٢٤٥}.

^{٢٤١} (٤). الاستيعاب: ج ٤ ص ١٠٧ الرقم ٢٧٢٩.
^{٢٤٢} (٥). المستدرک على الصحيحين: ج ٣ ص ٤٤٧ ح ٥٦٩٣، الاستيعاب: ج ٤ ص ١٠٧ الرقم ٢٧٢٩، اسد الغابة: ج ٥ ص ٣٥٣ الرقم ٥٣٢٨، مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٨٧ نحوه.
^{٢٤٣} (١). الإصابة: ج ٦ ص ٤٠٥ الرقم ٨٩٣٤.
^{٢٤٤} (٢). نهج البلاغة: الخطبة ٦٨؛ أنساب الأشراف: ج ٣ ص ١٧٣ نحوه.
^{٢٤٥} (٣). الغارات: ج ١ ص ٣٠١ عن مالك بن الجون؛ تاريخ الطبري: ج ٥ ص ١١٠ عن مالك بن الحور.

و في وقعة صفين عن عبد الرحمن بن عبيد بن أبي الكنود: لما أراد عليّ المسير إلى أهل الشام دعا إليه من كان معه من المهاجرين و الأنصار، فحمد الله و أثنى عليه و قال:

«أما بعد، فإنكم ميامين الرأي، مراجيح الحلم، مقاويل الحق، مباركو الفعل والأمر، وقد أردنا المسير إلى عدونا وعدوكم، فأشيروا علينا برأيكم».

فقام هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، فحمد الله و أثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أما بعد يا أمير المؤمنين، فأنا بالقوم جدّ خبير، هم لك و لأشياحك أعداء، و هم لمن يطلب حرث الدنيا أولياء، و هم مفاتلوك و مجاهدوك لا يقون جهداً،

ص: ٩٠

مُشاحّة على الدنيا، و ضناً بما في أيديهم منها، و ليس لهم إربة^{٢٤٦} غيرها، إلا ما يخذعون به الجهال من الطلب بدم عثمان بن عفان. كذبوا ليسوا بدمه يثأرون، و لكن الدنيا يطلبون، فسر بنا إليهم، فإن أجابوا إلى الحق فليس بعد الحق إلا الضلال، و إن أبوا إلا الشقاق فذلك الظن بهم. و الله، ما أراهم يبايعون و فيهم أحد ممن يطاع إذا نهى، و [لا]^{٢٤٧} يسمع إذا أمر^{٢٤٨}.

و عن هاشم بن عتبة- في جواب استنفار عليّ عليه السلام قبل حرب صفين-: سر بنا- يا أمير المؤمنين- إلى هؤلاء القوم القاسية قلوبهم، الذين نذبوا كتاب الله وراء ظهورهم، و عملوا في عباد الله بغير رضا الله، فأحلوا حرامه و حرّموا حلاله، و استولاهم الشيطان و وعدهم الأباطيل و مناهم الأمانى، حتى أزاعهم عن الهدى و قصد بهم قصد الردى، و حبب إليهم الدنيا، فهم يقاتلون على دنياهم رغبة فيها، كرهبتنا في الآخرة إنجاز موعود ربنا.

و أنت- يا أمير المؤمنين- أقرب الناس من رسول الله صلى الله عليه و آله رجباً، و أفضل الناس سابقه و قدماً. و هم- يا أمير المؤمنين- منك مثل الذي علمنا. و لكن كتب عليهم الشفاء، و مالت بهم الأهواء، و كانوا ظالمين. فأيدنا مبسوطه لك بالسمع و الطاعة، و قلوبنا منشرحة لك ببذل النصيحة، و أنفسنا تنصرك- جدلة^{٢٤٩}- على من خالفك و تولى الأمر دونك. و الله ما أحب أن لي ما في الأرض مما أقلت، و ما تحت السماء مما أظلت، و أني واليت عدواً لك، أو غاديت ولياً لك.

ص: ٩١

فقال عليّ عليه السلام:

^{٢٤٦} (١). الإربة: الحاجة (مجمع البحرين: ج ١ ص ٣٧).
^{٢٤٧} (٢). هكذا وضعت بين معقوفتين في المصدر، و الأنسب للمعنى حذف «لا» من الكلام.
^{٢٤٨} (٣). وقعة صفين: ص ٩٢.
^{٢٤٩} (٤). الجدل: الفرخ (مجمع البحرين: ج ١ ص ٢٨٠).

«اللَّهُمَّ ارزُقْهُ الشَّهَادَةَ فِي سَبِيلِكَ، وَالْمُرَافَقَةَ لِنبِيِّكَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ»^{٢٥٠}.

جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ

جابر بن عبد الله بن عمرو الأنصاري، يُكنى أبا عبد الله. صحابيٌّ ذائع الصِّيت^{٢٥١}، عمَّر طويلاً. و كان مع أبيه في تلك اللَّيلة التَّاريخيَّة المصيريَّة الَّتِي عاهد فيها أهل يثرب رسول الله صلى الله عليه وآله على الدِّفاع عنه و دعمه و نصره، و بيعتهم هي البيعة المشهورة في التَّاريخ الإسلامي ب «بيعة العَقَبَة الثَّانية»^{٢٥٢}.

و لما دخل النَّبيُّ صلى الله عليه وآله المدينة، صحبه و شهد معه حروبه^{٢٥٣} و لم يتنازل عن حراسة الحقِّ و حمايته بعده صلى الله عليه وآله، كما لم يدخر وسعاً في تبيان منزلة عليٍّ عليه السلام، و التَّنويه بها^{٢٥٤}. أثنى الأئمَّة عليهم السلام على رفيع مكانته في معرفة مقامهم عليهم السلام، و على وعيه العميق للتَّيارات المختلفة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، و معارف التَّشيع خاصَّةً، و على فهمه النَّافذ لأسرار القرآن. و أشادوا به واحداً من القلَّة الذين لم تتفرَّق بهم السُّبل بعد النَّبيِّ صلى الله عليه وآله، و لم يستبقوا الصُّراط بعده، بل ظلُّوا معتصمين متمسكين به^{٢٥٥}

ص: ٩٢

قلنا: إنَّه عمَّر طويلاً؛ لذا ورد اسمه الكريم في صحابة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام^{٢٥٦}، و الإمام الحسن عليه السلام^{٢٥٧}، و الإمام الحسين عليه السلام^{٢٥٨}، و الإمام السَّجَّاد عليه السلام^{٢٥٩}، و الإمام الباقر^{٢٦٠}، و هو الَّذِي بَلَغ الإمام الباقر عليه السلام سلام رسول الله صلى الله عليه وآله له^{٢٦١}. و كان قد شهد صفين مع الإمام عليه السلام^{٢٦٢}. و هو أوَّل من زار قبر الحسين عليه السلام، و شهداء كربلاء في اليوم الأربعين من استشهادهم، و بكى على أبي عبد الله كثيراً^{٢٦٣}.

٢٥٠ (١) وقعة صفين: ص ١١٢.
٢٥١ (٢) رجال الطوسي: ص ٣١ الرقم ١٣٤، رجال البرقي: ص ٢؛ المستدرک علی الصحیحین: ج ٣ ص ٦ ح ٦٣٩٨، المعجم الكبير: ج ٢ ص ١٨٠ ح ١٧٣٠، الطبقات الكبرى: ج ٣ ص ٥٧٤.
٢٥٢ (٣) رجال الكشي: ج ١ ص ٢٠٥-٢١٧.
٢٥٣ (٤) المستدرک علی الصحیحین: ج ٣ ص ٦٥٢ ح ٦٣٩٨، تاريخ مدينة دمشق: ج ١١ ص ٢٠٨، تهذيب الكمال: ج ٤ ص ٤٤٨ الرقم ٨٧١، سبیر أعلام النبلاء: ج ٣ ص ١٩١ الرقم ٣٨؛ رجال الطوسي: ص ٣١ الرقم ١٣٤.
٢٥٤ (٥) رجال الكشي: ج ١ ص ١٨٢.
٢٥٥ (٦) راجع: الخصال: ص ٦٠٧ ح ٩.
٢٥٦ (١) رجال الطوسي: ص ٥٩ الرقم ٤٩٨، رجال البرقي: ص ٣ وفيه «من أصفياء أمير المؤمنين عليه السلام».
٢٥٧ (٢) رجال الطوسي: ص ٩٣ الرقم ٩٢١، رجال البرقي: ص ٧.
٢٥٨ (٣) رجال الطوسي: ص ٩٩ الرقم ٩٦٤، رجال البرقي: ص ٧.
٢٥٩ (٤) رجال الطوسي: ص ١١١ الرقم ١٠٨٧، رجال البرقي: ص ٧.
٢٦٠ (٥) رجال الطوسي: ص ١٢٩ الرقم ١٣١١، رجال البرقي: ص ٩.
٢٦١ (٦) الكافي: ج ١ ص ٤٧٠ ح ٢، رجال الكشي: ج ١ ص ٢٢١ الرقم ٨٨.
٢٦٢ (٧) الاستيعاب: ج ١ ص ٢٩٣ الرقم ٢٩٠، اسد الغابة: ج ١ ص ٤٩٣ الرقم ٦٤٧.
٢٦٣ (٨) راجع: مصباح المتهدِّج: ص ٧٨٧.

و الروايات المنقولة عنه بشأن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، و ما اثر عنه من أخبار تفسيرية، و مناظراته، تدلّ كلّها على ثبات خطاه، و سلامة فكره، و إيمانه العميق، و عقيدته الراسخة. و لجابر صحيفة مشهورة أيضاً^{٢٦٤} و لأنه لم ينصر عثمان في فتنته، فقد ختم الحجاج بن يوسف على يده يريد إذلاله بذلك^{٢٦٥}.

فارق جابر الحياة سنة ٧٨ هـ ٢٦٦

ص: ٩٣

في **علل الشرائع** عن أبي الزبير المكيّ: رأيت جابراً متوكئاً على عصاه، و هو يدور في سلك الأنصار و مجالسهم، و هو يقول: علىّ خير البشر، فمن أبي فقد كفر. يا معشر الأنصار! أدبوا أولادكم على حبّ علىّ، فمن أبي فانظروا في شأن أمّه^{٢٦٧}.

و قال الإمام الصادق عليه السلام:

«إنّ جابراً بن عبد الله الأنصاريّ، كان آخر من بقي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله، وكان رجلاً منقطعاً إلينا أهل البيت»^{٢٦٨}.

١٤ كتابه عليه السلام إلى حذيفة بن اليمان

لمّا وجّه عثمان بن عفّان عمّاله في الأمصار، كان فيمن وجّه، الحارث بن الحکم إلى المدائن، فأقام فيها مدّة يتعسّف أهلها و يُسيء معاملتهم، فوفد منهم إلى عثمان، وفد يشكوه، و أعلموه بسوء ما يعاملهم به، و أغلظوا عليه في القول، فولّى حذيفة بن اليمان عليهم- و ذلك في آخر أيّامه- فلم ينصرف حذيفة بن اليمان عن المدائن إلى أن قُتل عثمان، و استُخلف علىّ بن أبي طالب عليه السلام، فأقام حذيفة عليها، و كتب إليه:

«بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله علىّ أمير المؤمنين عليه السلام إلى حذيفة بن اليمان، سلامٌ علىّك.

أمّا بعد، فإنّي قد وليتّك ما كنت عليه لمن كان قبلي من حريف المدائن، وقد

ص: ٩٤

^{٢٦٤} (٩). التاريخ الكبير: ج ٧ ص ١٨٦ ح ٨٢٧، الطبقات الكبرى: ج ٥ ص ٤٦٧.
^{٢٦٥} (١٠). تهذيب الكمال: ج ١٢ ص ١٩٠ الرقم ٢٦١٢، الاستيعاب: ج ٢ ص ٢٢٥ الرقم ١٠٩٤، اسد الغابة: ج ٢ ص ٥٧٦ الرقم ٢٢٩٤.
^{٢٦٦} (١١). المستدرک على الصحيحين: ج ٣ ص ٦٥٣ ح ٦٤٠٠، المعجم الكبير: ج ٢ ص ١٨١ ح ١٧٣٣، سبب أعلام النبلاء: ج ٣ ص ١٩٢ الرقم ٣٨؛ رجال الطوسي: ص ٣٢ ج ١٣٤ و راجع قاموس الرجال: ج ٢ ص ٥١٤ الرقم ١٣٣٦.
^{٢٦٧} (١). علل الشرائع: ج ١٤٢ ص ٤، الأمالي للصدوق: ص ١٣٥ ح ١٣٤، رجال الكشي: ج ١ ص ٢٣٦ الرقم ٩٣ و فيه «سكك المدينة» بدل «سكك الأنصار».
^{٢٦٨} (٢). الكافي: ج ١ ص ٤٦٩ ح ٢، رجال الكشي: ج ١ ص ٢١٧ الرقم ٨٨ كلاهما عن أبان بن تغلب، رجال ابن داود: ص ٦٠ الرقم ٢٨٨.

جَعَلْتُ إِلَيْكَ أَعْمَالَ الْخَرَاجِ وَالرَّسْتاقِ، وَجِبَايَةَ أَهْلِ الذَّمِّهِ، فَاجْمَعْ إِلَيْكَ ثِقَاتِكَ وَمَنْ أَحَبَبْتَ، مِمَّنْ تَرْضَى دِينَهُ وَأَمَانَتَهُ،
وَاسْتَعِينْ بِهِمْ عَلَى أَعْمَالِكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَعَزُّ لَكَ وَلِوَلِيِّكَ، وَأَكْبَتُ لِعَدُوِّكَ.

وَإِنِّي أَمْرُكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتِهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَأَحَذَّرَكَ عِقَابَهُ فِي الْمَغِيبِ وَالْمَشْهَدِ، وَأَتَقَدَّمُ إِلَيْكَ بِالْإِحْسَانِ إِلَى
الْمُحْسِنِ، وَالشَّدَّةِ عَلَى الْمُعَانِدِ، وَأَمْرُكَ بِالرَّفْقِ فِي أُمُورِكَ، وَاللِّينِ وَالْعَدْلِ عَلَى رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّكَ مَسْئُولٌ عَنِ ذَلِكَ، وَإِنْصَافِ
الْمَظْلُومِ، وَالْعَفْوِ عَنِ النَّاسِ، وَحُسْنِ السِّيَرَةِ مَا اسْتَطَعْتَ، فَإِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُحْسِنِينَ.

وَأَمْرُكَ أَنْ تُجَبِّي خَرَاجَ الْأَرْضِينَ عَلَى الْحَقِّ وَالنَّصْفَةِ، وَلَا تُجَاوِزَ مَا قَدَّمْتَ بِهِ إِلَيْكَ، وَلَا تَدَعِ مِنْهُ شَيْئاً، وَلَا تَبْتَدِعَ فِيهِ أَمْراً،
ثُمَّ اقْسِمُ بَيْنَ أَهْلِهِ بِالسَّوِيَّةِ وَالْعَدْلِ، وَاخْفِضْ لِرَعِيَّتِكَ جَنَاحَكَ، وَوَاسِ بَيْنَهُمْ فِي مَجْلِسِكَ، وَلِيَكُنَّ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ عِنْدَكَ
فِي الْحَقِّ سَوَاءً، وَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ، وَأَقِمِ فِيهِمُ بِالْقِسْطِ، وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى، وَلَا تَخَفْ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً، فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ
الَّذِينَ اتَّقَوْا، وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ.

وَقَدْ وَجَّهْتُ إِلَيْكَ كِتَاباً لَتَقْرَأَهُ عَلَى أَهْلِ مَمْلَكَتِكَ، لِيَعْلَمُوا رَأْيَنَا فِيهِمْ، وَفِي جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، فَأُخْضِرْهُمْ وَاقْرَأَهُ عَلَيْهِمْ، وَخُذْ
لَنَا الْبَيْعَةَ عَلَى الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ مِنْهُمْ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.^{٢٦٩}

١٥ كتابه عليه السلام إلى حذيفة بن اليمان

لَمَّا وَصَلَ عَهْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى حُذَيْفَةَ، جَمَعَ النَّاسَ وَصَلَّى بِهِمْ، ثُمَّ أَمَرَ بِالْكِتَابِ، فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ وَهُوَ:

ص: ٩٥

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، إِلَى مَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي هَذَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ أَمَّا بَعْدُ.

فَإِنِّي أَحْمَدُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ.

وَبَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى اخْتَارَ الْإِسْلَامَ دِيناً لِنَفْسِهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ، إِحْكَاماً^{٢٧٠} لِصُنْعِهِ وَحُسْنِ تَدْبِيرِهِ، وَنَظَرًا مِنْهُ لِعِبَادِهِ، وَاخْتَصَّ
بِهِ مَنْ أَحَبَّ مِنْ خَلْقِهِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَعَلَّمَهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ، إِكْرَاماً وَتَفَضُّلاً لِهَذِهِ الْأُمَّةِ،
وَأَدَّبَهُمْ لِكَيْ يَهْتَدُوا، وَجَمَعَهُمْ لِيَلْمُوا يَتَفَرَّقُوا، وَوَقَفَهُمْ لِيَلْمُوا يَجُورُوا، فَلَمَّا قَضَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ، مَضَى إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ
حَمِيداً مَحْمُوداً.

^{٢٦٩} (١) راجع: إرشاد القلوب: ص ٣٢١، الدرجات الرفيعة: ص ٢٨٨، بحار الأنوار: ج ٢٨ ص ٨٧ ح ٣.
^{٢٧٠} (١) في المصدر: «حكاماً»، و ما أثبتناه هو الصحيح.

ثُمَّ إِنَّ بَعْضَ الْمُسْلِمِينَ أَقَامُوا بَعْدَهُ رَجُلَيْنِ رَضُوا بِهَدَاهُمَا وَسِيرَتَيْهِمَا، قَامَا مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ تَوَقَّاهُمَا اللَّهُ جَل جلاله، ثُمَّ وَلَّوْا بَعْدَهُمَا الثَّالِثَ فَأُحْدِثَ أَحْدَاثًا، وَوَجَدَتِ الْأُمَّةُ عَلَيْهِ فِعَالًا، فَاتَّفَقُوا عَلَيْهِ، ثُمَّ نَقَمُوا مِنْهُ فَعَيَّرُوا، ثُمَّ جَاؤُونِي كَتَاتِبِ الْخَيْلِ فَبَابِعُونِي، فَأَنَا أَسْتَهْدِي اللَّهَ بِهَدَاةِ، وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى التَّقْوَى.

أَلَا وَإِنَّ لَكُمْ عَلَيْنَا الْعَمَلَ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَالْقِيَامَ عَلَيْكُمْ بِحَقِّهِ، وَإِحْيَاءَ سُنَّتِهِ، وَالنَّصْحَ لَكُمْ بِالْمَغِيبِ وَالْمَشْهَدِ، وَبِاللَّهِ نَسْتَعِينُ عَلَى ذَلِكَ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنَعْمَ الْوَكِيلُ.

وقد توليت^{٢٧١} أموركم حذيفة بن اليمان، وهو ممن أرتضى بهداه، وأرجو صلاحه، وقد أمرته بالإحسان إلى محسنيكم، والشدة على مريبكم، والرفق بجميلكم، أسأل الله لنا ولكم حسن الخيرة والإحسان، ورخصته الواسعة في الدنيا

ص: ٩٤

وَالْآخِرَةَ، وَالسَّلَامَ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةَ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ».^{٢٧٢}

حُدَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانَ

حُدَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانَ بْنِ جَابِرٍ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْعَبْسِيُّ. كَانَ مِنْ وَجْهَاءِ الصَّحَابَةِ وَأَعْيَانِهِمْ. وَكَانَ أَثْنَى عَلَيْهِ الرَّجَالِيُّونَ وَأَصْحَابُ التَّرَاجِمِ بِمَزَايَا ذِكْرِهِمَا فِي كِتَابِهِمْ، كَقَوْلِهِمْ: كَانَ مِنْ نَجَبَاءِ^{٢٧٣} وَكِبَارِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ^{٢٧٤}، وَقَوْلِهِمْ: صَاحِبُ سِرِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ^{٢٧٥}، وَقَوْلِهِمْ: وَأَعْلَمُ النَّاسِ بِالْمَنَافِقِينَ^{٢٧٦}. وَأَسْرَّ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَسْمَاءَ الْمَنَافِقِينَ^{٢٧٧} وَضَبَطَ عَنْهُ الْفِتْنَةَ الْكَائِنَةَ فِي الْأُمَّةِ^{٢٧٨} إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ^{٢٧٩}.

لم يشهد بدرًا، و شهد احداً و ما بعدها من المشاهد^{٢٨٠}. كان أحد الذين ثبتوا على العقيدة. لم يصبر على تغيير حق الخلافة، الخلافة، و خلافة الحق بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، و وقف إلى جانب علي عليه السلام بخطأ ثابتة^{٢٨١}

ص: ٩٧

^{٢٧١} (٢) كذا في إرشاد القلوب، و في البحار: «وَأَبَتْ» و هو الصحيح.
^{٢٧٢} (١) إرشاد القلوب: ص ٣٢٢ و راجع: كشف اليقين: ص ١٣٧، الدرجات الرفيعة: ص ٢٨٨، بحار الأنوار: ج ٢٨ ص ٨٨ ح ٣.
^{٢٧٣} (٢) سبب أعلام النبلاء: ج ٢ ص ٣٦١ الرقم ٧٦، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٣ ص ٤٩٤.
^{٢٧٤} (٣) الاستيعاب: ج ١ ص ٣٩٤ الرقم ٥١٠؛ رجال الطوسي: ص ٣٥ الرقم ١٧٨، رجال البرقي: ص ٢.
^{٢٧٥} (٤) صحيح البخاري: ج ٣ ص ١٣٦٨ ص ٣٥٣٣، مسند ابن حنبل: ج ١٠ ص ٤٢٨ ح ٢٧٦٠٨، سبب أعلام النبلاء: ج ٢ ص ٣٦١ الرقم ٧٦.
^{٢٧٦} (٥) المستدرک على الصحيحين: ج ٣ ص ٤٢٩ ح ٥٦٣١، سبب أعلام النبلاء: ج ٢ ص ٣٦٣ الرقم ٧٦.
^{٢٧٧} (٦) سبب أعلام النبلاء: ج ٢ ص ٣٦٤ الرقم ٧٦، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٣ ص ٤٩٤.
^{٢٧٨} (٧) سبب أعلام النبلاء: ج ٢ ص ٣٦٤ الرقم ٧٦.
^{٢٧٩} (٨) تهذيب الكمال: ج ٥ ص ٥٠٠ الرقم ١١٤٧، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٣ ص ٤٩٤.
^{٢٨٠} (٩) المستدرک على الصحيحين: ج ٣ ص ٤٢٨ ح ٥٦٢٣، الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ١٥ و ج ٧ ص ٣١٧، تاريخ بغداد: ج ١ ص ١٦١ الرقم ١١.
^{٢٨١} (١٠) الخصال: ص ٦٠٧ ح ٩، عيون أخبار الرضا: ج ٢ ص ١٢٦ ح ١.

كان حُدَيْفَةُ مَمَّنْ شَهِدَ جَنَازَةَ السَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ عَلَيْهَا السَّلَامُ، وَ صَلَّى عَلَيَّ جِشْمَانِهَا الطَّاهِرِ^{٢٨٢}.

وَلِيَ الْمَدَائِنَ فِي عَهْدِ عُمَرَ وَ عَثْمَانَ^{٢٨٣}. وَ كَانَ مَرِيضاً فِي ابْتِدَاءِ خِلَافَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ. مَعَ هَذَا كَلَّمَهُ لَمْ يُطِيقِ السُّكُوتَ عَنِ مَنَاقِبِهِ وَ فِضَائِلِهِ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ، فَصَعِدَ الْمَنْبِرَ بِرِغَمِ مَرَضِهِ، وَ أَثْنَى عَلَيْهِ أَبْلَغَ الثَّنَاءِ، وَ ذَكَرَهُ بِقَوْلِهِ: فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَعَلَى الْحَقِّ آخِرًا وَ أَوْلًا^{٢٨٤}. وَ قَوْلُهُ: إِنَّهُ لَخَيْرٌ مَن مَضَى بَعْدَ نَبِيِّكُمْ. وَ أَخَذَ لَهُ الْبَيْعَةَ^{٢٨٥}، بَعْدَ أَنْ بَايَعَهُ بِنَفْسِهِ^{٢٨٦}.

وَ أَوْصَى أَوْلَادَهُ مُؤَكِّدًا عَلَيْهِمْ أَلَّا يَقْصُرُوا فِي اتِّبَاعِهِ وَ السَّيْرِ وَرَاءَهُ^{٢٨٧}، وَ قَالَ لَهُمْ:

فَإِنَّهُ وَ اللَّهُ عَلَيَّ الْحَقُّ، وَ مَن خَالَفَهُ عَلَيَّ الْبَاطِلُ. ثُمَّ تَوَفَّى بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ مَضَتْ عَلَيَّ ذَلِكَ^{٢٨٨}. وَ قِيلَ: تَوَفَّى بَعْدَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا^{٢٨٩}.

فِي الْأَمَالِيِّ لِلطُّوسِيِّ عَنِ حُدَيْفَةَ: أَلَا مَن أَرَادَ- وَ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ- أَنْ يَنْظُرَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَقًّا حَقًّا، فَلْيَنْظُرْ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَوَازِرُوهُ

ص: ٩٨

وَ اتَّبِعُوهُ وَ انصُرُوهُ^{٢٩٠}.

وَ فِي مَرُوجِ الذَّهَبِ: كَانَ حُدَيْفَةُ عَلِيًّا بِالْكَوْفَةِ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَ ثَلَاثِينَ، فَلَبَّغَهُ قَتْلَ عَثْمَانَ وَ بَيْعَةَ النَّاسِ لِعَلِيِّ، فَقَالَ: أَخْرَجُونِي وَ ادْعُوا الصَّلَاةَ جَامِعَةً، فَوَضِعَ عَلَيَّ الْمَنْبِرَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ وَ صَلَّى عَلَيَّ النَّبِيِّ وَ عَلَيَّ آلِهِ، ثُمَّ قَالَ:

أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ النَّاسَ قَدْ بَايَعُوا عَلِيًّا؛ فَعَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَ انصُرُوا عَلِيًّا وَ وَازِرُوهُ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَعَلَى الْحَقِّ آخِرًا وَ أَوْلًا، وَ إِنَّهُ لَخَيْرٌ مَن مَضَى بَعْدَ نَبِيِّكُمْ وَ مَن بَقِيَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

ثُمَّ أَطْبَقَ يَمِينَهُ عَلَيَّ يَسَارِهِ ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ، إِنِّي قَدْ بَايَعْتُ عَلِيًّا. وَ قَالَ:

^{٢٨٢} (١). الخصال: ص ٣٦١ ح ٥٠، رجال الكشي: ج ١ ص ٣٤ الرقم ١٣، الاختصاص: ص ٥، تفسير فرات: ص ٥٧٠ ح ٧٢٣.
^{٢٨٣} (٢). تاريخ مدينة دمشق: ج ١٢ ص ٢٦١، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٣ ص ٤٩٣، تهذيب التهذيب: ج ١ ص ٥١٦ الرقم ١٣٦٧، إرشاد القلوب:

ص ٣٢١.

^{٢٨٤} (٣). راجع: مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٩٤.

^{٢٨٥} (٤). مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٩٤؛ إرشاد القلوب: ص ٣٢٢ وفيه «نعلمه» بدل «مضى».

^{٢٨٦} (٥). راجع: الأمالي للطوسي: ص ٤٨٧ ح ١٠٦٦.

^{٢٨٧} (٦). راجع: مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٩٤، الاستيعاب: ج ١ ص ٣٩٤ الرقم ٥١٠.

^{٢٨٨} (٧). مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٩٤.

^{٢٨٩} (٨). راجع: المستدرک علی الصحیحین: ج ٣ ص ٤٢٨ ح ٥٦٢٣، التاريخ الكبير: ج ٣ ص ٩٥ ح ٣٣٢، مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٩٤، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٢ ص ٢٦١.

^{٢٩٠} (١). الأمالي للطوسي: ص ٤٨٦ ح ١٠٦٥ و راجع مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٩٤.

الحمد لله الذي أبقاني إلى هذا اليوم. و قال لابنائه صفوان و سعد: احملاني، و كونا معه؛ فستكون له حروب كثيرة، فيهلك فيها خلق من الناس، فاجتهدا أن تستشهدا معه؛ فإنه و الله على الحق، و من خالفه على الباطل. و مات خذيفة بعد هذا اليوم بسبعة أيام^{٢٩١}.

و في الأمالي للطوسي عن أبي راشد: لما أتى خذيفة ببيعة على عليه السلام، ضرب بيده^{٢٩٢} واحدة على الأخرى و بايع له، و قال: هذه بيعة أمير المؤمنين حقاً، فو الله لا يباع بعده لواحد من قريش، إلا أصغر أو أبتَر يولي الحق استه^{٢٩٣}.

و في مجمع الزوائد عن سيار أبي الحكم: قالت بنو عبس لخذيفة: إن أمير المؤمنين عثمان قد قُتل، فما تأمرنا؟ قال: أمركم أن تلمزوا عمّاراً. قالوا: إن

ص: ٩٩

عمّاراً لا يفارق علياً! قال: إن الحسد هو أهلك الجسد، و إنما ينفركم من عمّار

قربة من علي! فو الله لعلّي أفضل من عمّار أبعد ما بين التراب و السحاب، و إن عمّاراً لمن الأخيار، و هو يعلم أنهم إن لمزوا عمّاراً كانوا مع علي^{٢٩٤}.

١٦ كتابه عليه السلام إلى قيس بن سعد

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أما بعد؛ فسِر إلى القوم الذين ذكرت، فإن دخلوا فيما دخل فيه المسلمون، وإلا فناجزهم، إن شاء الله»^{٢٩٥}.

أقول: إجمال القصّة، أن أمير المؤمنين عليه السلام لمّا تمّت له البيعة، أرسل إلى مصر قيس بن سعد بن عبادة والياً عليها، و كتب معه كتاباً إلى أهل مصر،^{٢٩٦} فلمّا وصل مصر قرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين عليه السلام، و خطبهم، و حتّهم على البيعة لأمير المؤمنين عليه السلام، فبايعوا إلا القليل، منهم: مسلمة بن مخلد، فدارهم قيس و ساسهم سياسة حسنة، حيث أراد المخالفون القيام للطلب بثأر عثمان، فأرسل إليهم قيس بالكف عن القتال، فكفوا على أن لا يطالبهم بالبيعة حتّى يتم الأمر، و ينجلي الغالب و المغلوب بين العراق و الشام، فقبل قيس منهم، و كفّ عنهم، و كتب قيس

ص: ١٠٠

^{٢٩١} (٢). مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٩٤.
^{٢٩٢} (٣). كذا في المصدر، و الظاهر أنها: «بيديه».
^{٢٩٣} (٤). الأمالي للطوسي: ص ٤٨٧ ح ١٠٦٦.
^{٢٩٤} (١). مجمع الزوائد: ج ٧ ص ٤٨٨ ح ١٢٠٥٨، تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٣ ص ٤٥٦ و فيه «ابن عيس» بدل «بنو عيس»، ينايع المودة: ج ١ ص ٣٨٤ الرقم ١٢، كنز العمال: ج ١٣ ص ٥٣٢ ح ٣٧٣٨٥؛ شرح الأخبار: ج ١ ص ٢١٠ ح ١٨١.
^{٢٩٥} (٢). تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥٥٤، أنساب الأشراف: ج ١ ص ٣٩٢، جبهة رسائل العرب: ج ١ ص ٥٣١ الرقم ٤٩٦؛ الغارات: ج ١ ص ٢١٨.
^{٢٩٦} (٣). راجع: تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥٤٩؛ و بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٥٤٠.

بذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أما بعد، فَإِنِّي أَخْبِرُكَ- يا أمير المؤمنين- أكرمَهُ اللهُ، أَنَّ قِبَلِي رِجَالًا مُعْتَزِلِينَ، سَأَلُونِي أَنْ أَكْفَّ عَنْهُمْ، وَأَنْ أَدْعَهُمْ عَلَى حَالِهِمْ حَتَّى يَسْتَقِيمَ أَمْرُ النَّاسِ، فَنَرَى وَيُرَوِّا رَأْيَهُمْ، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَكْفَّ عَنْهُمْ، وَأَلَّا أَتَعَجَّلَ حَرْبَهُمْ، وَأَنْ أَتَأَلَّفَهُمْ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ، لَعَلَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَقْبَلَ بِقُلُوبِهِمْ، وَيُفَرِّقَهُمْ عَن ضَلَالَتِهِمْ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.^{٢٩٧}

و كتب معاويةً إلى قيس بن سعد يستزله، و يعده الولاية له و لأهل بيته، فردّه قيس، و جرى بينهما مكاتبات، فلمّا يئس معاوية، و ثقل عليه كونه والياً على مصر لما عليم من بأسه و سياسته و نجدته. و خاف معاويةً جانبه، و علم أنّه ما دام قيس بمصر لا يتمكّن من فتحها، بل يخاف أن يحمل عليه قيس من جهته أيضاً؛ و لذلك احتال معاوية و اختلق كتاباً ادّعى أنّه من قيس، و أنّ قيساً موالٍ لمعاوية في سرّه و قرأه على الناس، و أشاع ذلك في العراق، و روجه في العراق عيون معاوية و جواسيسه، كالأشعث و أضرابه.

فلمّا وصل كتاب قيس هذا إلى أمير المؤمنين عليه السلام في الكفّ عن المعتزلين، جعلوه دليلاً على الأراجيف المفتعلة في قيس، و حتّوا جمعاً ممن لا خبرة له بأسرار الأمور و الحوادث، على الإصرار على عزله، كل ذلك كان من تدبير أذنان و أيادي معاوية الموجودين سرّاً في الكوفة، و كانت وظيفة الأشعث و أضرابه، هي إلقاء أمير المؤمنين عليه السلام إلى عزل قيس، متذرعين بهذه العناوين الباهتة، و فطن علىّ عليه السلام إلى ذلك التدبير الخبيث، فلم ير مناصاً من أن كتب إلى قيس هذا الكتاب،

ص: ١٠١

يأمره فيه بمناجزة القوم فكتب إليه قيس:

أما بعد؛ يا أمير المؤمنين، العجبُ لك! تأمرني بقتال قومٍ كافرين عنك، لم يمدّوا يداً للفتنّة، و لا أصدّوا لها، فأطعني يا أمير المؤمنين، و كفّ عنهم، فإنّ الرأى تركهم، و السّلام.^{٢٩٨}

و نقل البلاذري في **أنساب الأشراف** قال: بعث علىّ قيس بن سعد بن عبادة أميراً على مصر، فكتب إليه معاوية و عمرو بن العاص كتاباً أغلظا فيه، و شتماه، فكتب إليهما بكتاب لطيف قاربهما فيه، فكتبا إليه يذكران شرفه و فضله، فكتب إليهما بمثل جواب كتابهما الأوّل، فقالا:

^{٢٩٧} (١) تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥٥٤، جمهرة رسائل العرب: ج ١ ص ٥٣٠ الرقم ٤٩٥.
^{٢٩٨} (١) راجع: تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥٥٣، الإصابت: ج ٣ ص ٢٤٩، و أنساب الأشراف: ج ١ ص ٣٩٢ و ٤٠٥، جمهرة رسائل العرب: ج ١ ص ٥٣١ الرقم ٤٩٧ و الإبتيعاب و أسد الغاية ترجمة قيس.

إِنَّا لَا نَطِيقُ مَكْرَ قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ، وَ لَكِنَّا نَمَكِّرُ بِهِ عِنْدَ عَلِيٍّ، فَبِعَثْنَا بِكِتَابِهِ الْأَوَّلِ إِلَى عَلِيٍّ، فَلَمَّا قَرَأَهُ، قَالَ أَهْلَ الْكُوفَةِ: غَدَرَ وَاللَّهِ قَيْسٌ، فَاعْزِلْهُ.

فَقَالَ عَلِيٌّ:

«وَيَحْكُمُ، أَنَا أَعْلَمُ بِقَيْسٍ، إِنَّهُ وَاللَّهِ، مَا غَدَرَ، وَلَكِنَّهَا إِحْدَى فِعْلَاتِهِ».

قَالُوا: فَإِنَّا لَا نَرْضَى حَتَّى تَعْزِلَهُ، فَعْزِلْهُ، وَ بَعَثْ مَكَانَهُ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ.

فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ، قَالَ:

إِنَّ مَعَاوِيَةَ وَعَمْرُو سَيَمْكُرَانِ بِكَ، فَإِذَا كَتَبَا إِلَيْكَ بِكَذَا فَارْتَبِ بِكَذَا، فَإِذَا فَعَلَا كَذَا فَافْعَلْ كَذَا، وَلَا تُخَالِفْ مَا أَمُرُكَ بِهِ، فَإِنِ خَالَفْتَهُ قُتِلْتَ.^{٢٩٩}

و هَكَذَا عَزَلَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامِ قَيْسَ بْنَ سَعْدٍ، وَ بَعَثَ مَكَانَهُ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، فَوَقَعَ مَا وَقَعَ، وَ قَدْ اشْتَبَهَ الْأَمْرَ عَلَى جَمْعٍ، فَقَالُوا: إِنَّهُ بَعَثَ مَكَانَهُ الْأَشْطَرَّ؛ إِذْ قِصَّةُ قَيْسٍ كَانَتْ قَبْلَ صَفِيْنِ، وَ قِصَّةُ الْأَشْطَرِّ كَانَتْ بَعْدَ صَفِيْنِ.

ص: ١٠٢

١٧ كتابه عليه السلام إلى أهل مصر

من كتاب له عليه السلام إلى أهل مصر، كتبه مع قيس بن سعد بن عبادة، لما بعثه أميراً عليهم و حاكماً:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، إِلَى مَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي هَذَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ.

فَإِنِّي أَحْمَدُ اللَّهَ إِلَيْكُمْ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ؛ أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ بِحُسْنِ صُنْعِهِ وَتَقْدِيرِهِ وَتَدْبِيرِهِ، اخْتَارَ الْإِسْلَامَ دِيناً لِنَفْسِهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ، وَبَعَثَ بِهِ الرُّسُلَ إِلَى عِبَادِهِ، وَخَصَّ مَنْ أَنْتَجَبَ مِنْ خَلْقِهِ، فَكَانَ مِمَّا أَكْرَمَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ بِهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ، وَخَصَّهُمْ بِهِ مِنَ الْفَضِيلَةِ، أَنْ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَيْهِمْ، فَعَلَّمَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ، وَالسُّنَّةَ الْفَرَايِضَ، وَأَدَّبَهُمْ لِكَيْمَا يَهْتَدُوا، وَجَمَعَهُمْ لِكَيْمَا لَا يَتَفَرَّقُوا، وَزَكَاهُمْ لِكَيْمَا يَتَطَهَّرُوا.

فَلَمَّا قَضَى مِنْ ذَلِكَ مَا عَلَيْهِ، قَبِضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، فَعَلِيهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ، وَرَحْمَتُهُ وَرِضْوَانُهُ، إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

^{٢٩٩} (٢). راجع: أنساب الأشراف: ج ٣ ص ١٧٣، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٦ ص ٥٧-٦٣؛ الغارات: ج ١ ص ٢١١-٢١٩.

ثُمَّ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ مِنْ بَعْدِهِ اسْتَخْلَفُوا أَمْرًا، مِنْهُمْ صَالِحِينَ، عَمَلًا بِالْكِتَابِ وَأَحْسَنًا السَّيْرَةَ، وَلَمْ يَتَعَدَّ السُّنَّةَ، ثُمَّ تَوَقَّاهُمَا اللَّهُ فَرَحِمَهُمَا اللَّهُ، ثُمَّ وَلِيَ مِنْ بَعْدِهِمَا وَالٍ أَحَدَثَ أَحْدَانًا، فَوَجَدَتِ الْأُمَّةُ عَلَيْهِ مَقَالًا فَقَالُوا، ثُمَّ نَقَمُوا عَلَيْهِ فَعَيَّرُوا، ثُمَّ جَاؤُونِي فَبَايَعُونِي، فَأَسْتَهْدِي اللَّهَ الْهُدَى، وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى التَّقْوَى.

أَلَا وَإِنَّ لَكُمْ عَلَيْنَا الْعَمَلَ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ وَالْقِيَامَ بِحَقِّهِ، وَالنَّصْحَ لَكُمْ بِالْغَيْبِ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

ص: ١٠٣

وَقَدْ بَعَثْتُ لَكُمْ قَيْسَ بْنَ سَعْدِ الْأَنْصَارِيِّ أَمِيرًا، فَوَازَرُوهُ وَأَعِينُوهُ عَلَى الْحَقِّ، وَقَدْ أَمَرْتُهُ بِالْإِحْسَانِ إِلَى مُحْسِنِكُمْ، وَالشَّدَّةِ عَلَى مُرِيبِكُمْ، وَالرَّفْقِ بِعَوَامِّكُمْ وَخَوَاصِّكُمْ، وَهُوَ مِمَّنْ أَرْضَى هَدْيَهُ وَأَرْجُو صِلَاخَهُ وَنَصِيحَتَهُ، نَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمْ عَمَلًا زَكِيًّا، وَتَوَابًا جَزِيلًا، وَرَحْمَةً وَاسِعَةً، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

وَكَتَبَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَافِعٍ، فِي صَفَرِ سَنَةِ سِتِّ وَثَلَاثِينَ^{٣٠٠}.

عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَافِعٍ

أَحَدُ الْوُجُوهِ الْمَتَأَلِّقَةِ فِي تَارِيخِ التَّشْيِيعِ، وَ مِنْ السَّبَّاقِينَ إِلَى التَّأْلِيفِ وَ تَدْوِينِ الْعُلُومِ. وَ كَانَ كَاتِبَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامِ^{٣٠١}، وَ مِنْ خَاصَّتِهِ. وَ شَهِدَ مَعَهُ الْجَمَلَ^{٣٠٢}، وَ صَفَّيْنَ^{٣٠٣}، وَ النَّهْرَوَانَ^{٣٠٤}.

عَدَّهُ مَوْلُفُو التَّرَاجِمِ وَ الرَّجَالِيَّوْنَ مِنْ رِوَادِ التَّأْلِيفِ فِي الثَّقَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَ ذَكَرُوا بَعْضَ كِتَابِهِ. وَ مِنْهَا: كِتَابُ قَضَايَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَ تَسْمِيَةُ مَنْ شَهِدَ مَعِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامِ الْجَمَلَ وَ صَفَّيْنَ وَ النَّهْرَوَانَ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ^{٣٠٥}.

وَ هَذَا الْكِتَابُ مَعْلَمٌ عَلَى نِبَاهَةِ عُبَيْدِ اللَّهِ وَ وَعِيهِ لِلْوَقَائِعِ، وَ يَدُلُّ عَلَى اهْتِمَامِهِ

ص: ١٠٤

بِضَبْطِ الْحَوَادِثِ. وَ كَانَ أَخُوهُ - عَلِيُّ بْنُ أَبِي رَافِعٍ - كَاتِبًا لِلْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَيْضًا^{٣٠٦}.

^{٣٠٠} (١). الغارات: ج ١ ص ٢١٠ و راجع: بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٥٣٤؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٦ ص ٥٨، تاريخ الطبري: ج ٣ ص ٥٥٠، أنساب الأشراف: ج ٢ ص ٣٨٩، البداية و النهاية: ج ٧ ص ٢٥١.

^{٣٠١} (٢). رجال الطوسي: ص ٧١ ح ٦٥٤، الاختصاص: ص ٤؛ الطبقات الكبرى: ج ٤ ص ٧٤، تهذيب الكمال: ج ١٩ ص ٣٤ الرقم ٣٦٣٢، تاريخ خليفة بن خياط: ص ١٥١، تاريخ الطبري: ج ٣ ص ١٧٠، تاريخ بغداد: ج ١٠ ص ٣٠٤ الرقم ٥٤٥٣.

^{٣٠٢} (٣). الجمل: ص ٣٩٥ و ص ٣٩٩.

^{٣٠٣} (٤). وقعة صفين: ص ٤٧١.

^{٣٠٤} (٥). تاريخ بغداد: ج ١٠ ص ٣٠٤ الرقم ٥٤٥٣.

^{٣٠٥} (٦). الفهرست للطوسي: ص ١٧٤ الرقم ٤٦٧.

^{٣٠٦} (١). رجال النجاشي: ج ١ ص ٦٢ و ص ٦٥، رجال ابن داود: ص ٢٣٦ الرقم ٩٩١.

عَلِيُّ بْنُ أَبِي رَافِعٍ

علي بن أبي رافع. ولد في عهد النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، من خيار الشَّيْبَةِ، كانت له صحبة مع أمير المؤمنين، و كان كاتباً له، و حفظ كثيراً، و جمع كتاباً في فنون من الفقه: الوضوء، و الصَّلَاة، و سائر الأبواب^{٣٠٨}. و كان على بيت مال علي عليه السلام^{٣٠٩}، و كان كاتبه^{٣١٠}.

١٨ كتابه عليه السلام إلى امراء الأجناد

من كتاب كتبه عليه السلام - لَمَّا استخلف - إلى امراء الأجناد:

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَمْ، أَنَّهُمْ مَنَعُوا النَّاسَ الْحَقَّ فَاسْتَرَوْهُ، وَأَخَذُوهُمْ بِالْبَاطِلِ فَافْتَدَوْهُ»^{٣١١}.

١٩ كتابه عليه السلام إلى عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ الْأَنْصَارِيِّ

وقد بلغه عليه السلام أن بعض المترفين من أهل البصرة دعا عثمان إلى وليمة، فأجابته

ص: ١٠٥

و مَضَى إِلَيْهَا، (قال):

«أَمَّا بَعْدُ، يَا بَنَ حُنَيْفٍ، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا مِنْ فِتْيَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ذَعَاكَ إِلَى مَأْدِبَةٍ، فَأَسْرَعْتَ إِلَيْهَا، تُسْتَطَابُ لَكَ الْأَلْوَانُ، وَتُنْقَلُ إِلَيْكَ الْجِفَانُ، وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إِلَى طَعَامِ قَوْمٍ عَائِلِهِمْ مَجْفُوءٌ، وَغَنِيَّتُهُمْ مَدْعُوءٌ، فَانْظُرْ إِلَى مَا تَقْضِمُهُ مِنْ هَذَا الْمَقْضَمِ، فَمَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ فَالْفِظْهُ، وَمَا أَيْقَنْتَ بِطَيْبِ وَجْهِهِ فَنَلْ مِنْهُ.

أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَامًا يَقْتَدِي بِهِ، وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ.

أَلَا وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدْ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطَمْرِيهِ، وَمِنْ طَعْمِهِ بِقُرْصِيهِ.

أَلَا وَإِنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ، وَلَكِنْ أَعْيُنُونِي بِوَرَعٍ وَاجْتِهَادٍ، وَعِفَّةٍ وَسَدَادٍ، فَوَاللَّهِ مَا كَنْزْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تَبْرًا، وَلَا ادَّخَرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا وَفَرًا، وَلَا أَعْدَدْتُ لِبَالِي ثَوْبِي طِمْرًا، وَلَا حَزْتُ مِنْ أَرْضِهَا شَيْبَرًا، وَلَا أَخَذْتُ مِنْهُ إِلَّا كَقُوتِ أَتَانٍ دَبْرَةٍ، وَلِهِيَ فِي عَيْنِي أَوْهَى وَأَهْوَنُ مِنْ عَفْصَةِ مَقْرَةٍ.

^{٣٠٧} (٢). الإصابة: ج ٥ ص ٥٣ الرقم ٦٢٧٨.

^{٣٠٨} (٣). رجال النجاشي: ج ١ ص ٦٥.

^{٣٠٩} (٤). تهذيب الأحكام: ج ١٠ ص ١٥١ ح ٦٠٦؛ تاريخ الطبري: ج ٥ ص ١٥٦ وفيه «ابن أبي رافع».

^{٣١٠} (٥). تهذيب الأحكام: ج ١٠ ص ١٥١ ح ٦٠٦، رجال النجاشي: ج ١ ص ٦٢ و ص ٦٥.

^{٣١١} (٦). نهج البلاغة: الكتاب ٧٩.

بلى كانت فى أيدينا فذك من كل ما أطلتته السماء، فشحّت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس قوم آخرين، ونعم الحكّم الله. وما أصنع بذك وغير ذك، والنفس مظانها فى غدٍ جدت؛ تنقطع فى ظلمته آثارها، وتغيب أخبارها، وحفرة لو زيد فى فسختها، وأوسعت يدا حافرها، لأضعتها الحجر والمدر، وسدّ فرجها التراب المتراكم، وإنما هى نفسى أروضها بالتقوى، لتأبى آمنه يوم الخوف الأكبر، وتثبت على جوانب المزلق.

ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل، ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القر، ولكن هيهات أن يغلبنى هوى، ويقودنى جسعى إلى تخيير الأطمعة، ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له فى القرص، ولا عهد

ص: ١٠٦

له بالشبع، أو أبيت مبطاناً، وحولى بطون غرتى وأكباد حرى، أو أكون كما قال القائل:

وحسبك داء أن تبيت ببطنه
وحولك أكباد تجن إلى القيد

أفقع من نفسى بأن يقال هذا أمير المؤمنين، ولا أشاركهم فى مكاره الدهر، أو أكون أسوء لهم فى جشوبه العيش فما خلقت ليشغلنى أكل الطيبات كالبهيمة المربوطه همها علفها، أو المرسله شغلها تقمّمها، تكثرش من أغلافها، وتلهو عمّا يراذ بها، أو أترك سدى وأهمل عابثاً، أو أجرّ حبل الضلالة، أو اغتسيف طريق المتاهة.

وكأنى بقائلكم يقول: إذا كان هذا قوت ابن أبى طالب، فقد قعد به الضعف عن قتال الأقران، ومنازلة الشجعان.

ألا وإن الشجرة البرية أصلب عوداً، والروائع الخضرة أرقّ جلوداً، والتابسات العذبة أقوى وقوداً وأبطأ خموداً، وأنا من رسول الله كالصنو من الصنو، والذراع من العضد.

والله، لو تظاهرت العرب على قتالى لما وليت عنها، ولو أمكنت الفرص من رقابها لساغت إليها، وسأجهد فى أن أطهر الأرض من هذا الشخص المعكوس، والجسم المركوس، حتى تخرج المدرة من بين حبّ الحصيد.

إليك عنى يا دنيا، فحبلك على غاريك قد أنسلت من مخالك، وأقلت من حبالك، واجتنبت الذهاب فى مداحك، أين القوم الذين غررتهم بمداعبك، أين الأمم الذين فتنتهم بزخارفك؟! فهاهم رهائن القبور، ومضامين اللحد.

ص: ١٠٧

واللَّهِ، لَوْ كُنْتَ شَخْصاً مَرِيئاً، وَقَالِباً حَسِيئاً، لَأَقَمْتُ عَلَيْكَ حُدُودَ اللَّهِ فِي عِبَادِ غَرَرْتَهُمْ بِالْأَمَانِي، وَأَمِّمِ أَلْقِيَتَهُمْ فِي الْمَهَاوِي، وَمَلُوكِ أَسْلَمْتَهُمْ إِلَى التَّلْفِ، وَأُورِدْتَهُمْ مَوَارِدَ الْبَلَاءِ؛ إِذْ لَا وَرْدَ وَلَا صَدْرَ. هَيْهَاتَ، مَنْ وَطِئَ دَحْضَكَ زَلْقًا، وَمَنْ رَكِبَ لُجْجَكَ غَرِقَ، وَمَنْ ازْوَرَ عَن حِبَائِلِكَ وُفَّقَ، وَالسَّالِمُ مِنْكَ لَا يُبَالِي إِنْ ضَاقَ بِهِ مَنَاخُهُ، وَالذَّنْبِيَا عِنْدَهُ كَيَوْمِ حَانَ أَنْسِلَاخُهُ.

اغْرَبِي عَنِّي، فَوَ اللَّهُ لَا أَذِلُّ لَكَ فَتَسْتَذِلِّيَنِي، وَلَا أَسْلُسُ لَكَ فَتَقُودِيَنِي، وَأَيْمُ اللَّهِ- يَمِيناً أَسْتَشْنِي فِيهَا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ- لَأَرْوُضَنَّ نَفْسِي رِيَاضَةً تَهْشُ مَعَهَا إِلَى الْقُرْصِ إِذَا قَدَرْتَ عَلَيْهِ مَطْعُومًا، وَتَقْنَعُ بِالْمَلْحِ مَادُومًا، وَلَا دَعْنَ مُقْلَتِي كَعَيْنِ مَاءٍ نَضَبَ مَعِينُهَا، مُسْتَفْرَعَةً دُمُوعَهَا، أُنْمَتَلِي ۚ السَّائِمَةُ مِنْ رَعِيهَا فَتَبْرُكُ، وَتَشْبَعُ الرَّبِيضُ مِنْ عُشْبِهَا فَتَرِبُضُ، وَيَأْكُلُ عَلَيَّ مَنْ زَادَهُ فِيهِ هَجْعٌ؟ قَرَّتْ إِذَا عَيْنُهُ، إِذَا افْتَدَى بَعْدَ السَّنِينَ الْمَتَطَاوَلَةَ بِالْبَهِيمَةِ الْهَامِلَةِ، وَالسَّائِمَةِ الْمَرْعِيَّةِ!

طَوَّبِي لِنَفْسٍ أَدَّتْ إِلَى رَبِّهَا فَرَضَهَا، وَعَرَكَتْ بِجَنْبِهَا بُؤْسَهَا، وَهَجَرَتْ فِي اللَّيْلِ غُمُضَهَا، حَتَّى إِذَا غَلَبَ الْكَرَى عَلَيْهَا افْتَرَشَتْ أَرْضَهَا، وَتَوَسَّدَتْ كَفَّهَا، فِي مَعْشَرٍ أَسْهَرَ عْيُونَهُمْ خَوْفَ مَعَادِهِمْ، وَتَجَافَتْ عَن مَضَاجِعِهِمْ جُنُوبِهِمْ، وَهَمَّهَمَتْ بِذِكْرِ رَبِّهِمْ شِفَاهُهُمْ، وَتَفَشَّعَتْ بِطَوْلِ اسْتِغْفَارِهِمْ ذُنُوبَهُمْ «أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَّا إِنْ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»^{٣١٢}.

فَاتَّقِ اللَّهَ يَا بَنَ خُنَيْفٍ، وَلْتَكْفِفْ أَقْرَاصُكَ، لِيَكُونَ مِنَ النَّارِ خَلَاصُكَ»^{٣١٣}.

ص: ١٠٨

٢٠ كتابه عليه السلام إلى أهل الكوفة

بسم الله الرحمن الرحيم

من علي بن أبي طالب إلى أهل الكوفة:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَخْبِرُكُمْ عَن أَمْرِ عُثْمَانَ، حَتَّى يَكُونَ أَمْرُهُ كَالْعِيَانِ لَكُمْ، إِنْ النَّاسَ طَعَنُوا عَلَيْهِ، فَكُنْتُ رَجُلًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، أَكْثَرَ اسْتِعْتَابِهِ وَأَقْلَّ عِتَابِهِ، وَكَانَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ أَهْوَنُ سِيرِهِمَا فِيهِ الْوَجِيفُ، وَقَدْ كَانَ مِنْ عَائِشَةَ فِيهِ فَلْتَةٌ غَضَبٍ، فَأَتِيحَ لَهُ قَوْمٌ فَفَتَلَوْهُ، وَبَايَعَنِي النَّاسُ غَيْرَ مُسْتَكْرَهِينَ، وَلَا مُجْبَرِينَ، بَلْ طَائِعِينَ مَخِيرِينَ.

وَكَانَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ أَوْلَ مَنْ بَايَعَنِي عَلِيٌّ مَا بَايَعَا عَلَيْهِ مَنْ كَانَ قَبْلِي، ثُمَّ اسْتَأْذَنَانِي فِي الْعُمْرَةِ- وَ لَمْ يَكُونَا يُرِيدَانِ الْعُمْرَةَ- فَنَكثْنَا الْعَهْدَ، وَأَذْنَا بِالْحَرْبِ، وَأَخْرَجَا عَائِشَةَ مِنْ بَيْتِهَا يَتَّخِذَانِهَا فِتْنَةً، فَسَارَا إِلَى الْبَصْرَةِ اخْتِيَارًا لِأَهْلِهَا، وَاخْتَرْتُ السَّيْرَ إِلَيْكُمْ، وَلَعَمْرِي مَا إِنْبَايَ تُجِيبُونَ، إِنَّمَا تُجِيبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَاللَّهُ مَا قَاتَلْتُهُمْ وَفِي نَفْسِي مِنْهُمْ شَكٌّ، وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ وُلْدِي الْحَسَنَ وَعَمَّارًا وَقَيْسًا، مُسْتَنْفِرِينَ بِكُمْ، فَكُونُوا عِنْدَ ظَنِّي بِكُمْ»^{٣١٤}.

^{٣١٢} (١) المجادلة: ٢٢.

^{٣١٣} (٢) نهج البلاغة: الكتاب ٤٥ و راجع: الخرائج و الجرائح: ص ٣٤٢، المناقب لابن شهر آشوب: ج ٢ ص ١٠١، بحار الأنوار: ج ٤٠ ص ٣١٨

و ج ٧٥ ص ٤٤٨، جمهرة رسائل العرب: ج ١ ص ٣٢٨.

^{٣١٤} (١) الجمل: ص ٢٤٤ و راجع: الإمامة و السياسة: ص ٦٦.

٢١ كتابه عليه السلام إلى أهل الكوفة

عند مسيره من المدينة إلى البصرة:

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ، جَبْهَةَ الْأَنْصَارِ وَسَنَامِ الْعَرَبِ.

ص: ١٠٩

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَخْبِرُكُمْ عَنْ أَمْرِ عُثْمَانَ حَتَّى يَكُونَ سَمْعُهُ كَعِيَانِهِ.

إِنَّ النَّاسَ طَعَنُوا، فَكُنْتُ رَجُلًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أَكْثَرَ اسْتِعْتَابَهُ، وَأَقْلَّ عِتَابَهُ، وَكَانَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ أَهْوَنَ سَيْرِهِمَا فِيهِ الْوَجِيفُ، وَأَرْفَقُ حَدَائِهِمَا الْغَنِيْفُ، وَكَانَ مِنْ عَائِشَةَ فِيهِ قَلْتَةٌ غَضِبٍ، فَأَتِيحَ لَهُ قَوْمٌ قَتَلُوهُ، وَبَايَعَنِي النَّاسُ غَيْرَ مُسْتَكْرَهِيْنَ، وَلَا مُجْبَرِينَ، بَلْ طَائِعِينَ مَخْيَرِينَ.

وَاعْلَمُوا أَنَّ دَارَ الْهَجْرَةِ قَدْ قَلَعَتْ بِأَهْلِهَا، وَقَلَعُوا بِهَا، وَجَاشَتْ جَيْشَ الْمَرْجَلِ، وَقَامَتِ الْفِتْنَةُ عَلَى الْقُطْبِ، فَأَسْرَعُوا إِلَى أَمِيرِكُمْ وَبَادَرُوا جِهَادَ عَدُوِّكُمْ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.^{٣١٥}

٢٢ كتابه عليه السلام إلى عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ

مِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَتَبَهُ مِنَ الرَّبِذَةِ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ الْأَنْصَارِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، لَمَّا بَلَغَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَشَارَفَةَ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ وَعَائِشَةَ وَمَنْ مَعَهُمُ الْبَصْرَةَ:

«مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْبُعَاةَ عَاهَدُوا اللَّهَ، ثُمَّ نَكثُوا وَتَوَجَّهُوا إِلَى مِصْرِكَ، وَسَاقَهُمُ الشَّيْطَانُ لِيَطْلُبَ مَا لَا يَرْضَى اللَّهُ بِهِ، وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسَأُ وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا.

فَإِذَا قَدِمُوا عَلَيْكَ فَادْعُهُمْ إِلَى الطَّاعَةِ، وَالرُّجُوعِ إِلَى الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ الَّذِي فَارَقُونَا عَلَيْهِ، فَإِنْ أَجَابُوا فَأَحْسِنْ جِوَارَهُمْ مَا دَامُوا عِنْدَكَ، وَإِنْ أَبَوْا إِلَّا التَّمَسُّكَ

ص: ١١٠

بِحَبْلِ النَّكْثِ وَالْخِلَافِ، فَنَاجِزُهُمُ الْقِتَالَ، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ. وَكَتَبْتُ كِتَابِي هَذَا إِلَيْكَ مِنَ الرَّبِذَةِ، وَأَنَا مُعَجَّلُ الْمَسِيرِ إِلَيْكَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.»

^{٣١٥} (١). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٤ ص ٦ وراجع: الإمامة و السياسة: ج ١ ص ٦٣؛ الأماي للطوسي: ص ٣٢٩، الجمل: ص ١٣٢، المناقب لابن شهر آشوب: ج ٣ ص ١٥١.

و كتبه عبید اللہ بن أبی رافع فی سنۃ ستّ و ثلاثین.^{۳۱۶}

عُثْمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ

عثمان بن حنيفة بن واهب الأنصاريّ الأوسيّ أخو سهل بن حنيف، من صحابة النبيّ صلى الله عليه وآله و أحد الأنصار^{۳۱۷}. شهد أحدًا و ما تلاها من غزوات^{۳۱۸}. و كان أحد الاثنى عشر الذين اعترضوا على تغيير الخلافة بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله^{۳۱۹}. و تولى مساحة الأرض^{۳۲۰}، و تعيين الخراج^{۳۲۱} في أيام عمر. ولى البصرة في خلافة الإمام علىّ عليه السلام. و عند ما وصل أصحاب الجمل إلى البصرة قاتلهم في البداية، و حين أعلنت الهدنة بينهما، هجموا عليه ليلاً، و قتلوا حراس دار الإمارة و ظفروا به، و عذبوه، و نتفوا شعر لحيته^{۳۲۲}.

و تُعدُّ رسالة الإمام عليه السلام إليه حين دُعِيَ إلى وليمة^{۳۲۳} في البصرة، من الوثائق الدالّة

ص: ۱۱۱

على عظمتها الحكومة العلويّة، و ضرورة اجتناب الولاء و المسؤولين الترف

و الرفاهيّة و معاشرّة الأثرياء و المُفسدين.

توقى عثمان أيام حكومته معاوية^{۳۲۴}.

۲۳ كتابه عليه السلام إلى أهل الكوفة

فقال المفيد رحمه الله: و لمّا بلغ أمير المؤمنين عليه السلام ما قال و صنع^{۳۲۵}، غضب غضباً شديداً، و بعث الحسن عليه السلام و عمّار بن ياسر، و كتب معهم كتاباً فيه:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

^{۳۱۶} (۱). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ۹ ص ۳۱۲ و راجع: أحاديث أم المؤمنين: ص ۱۴۱، المعيار و الموازنة: ص ۶۰.

^{۳۱۷} (۲). سبب أعلام النبلاء: ج ۲ ص ۳۲۰ الرقم ۶۱، الاستيعاب: ج ۳ ص ۱۵۱ الرقم ۱۷۸۸.

^{۳۱۸} (۳). اسد الغابة: ج ۳ ص ۵۷۱ الرقم ۳۵۷۷.

^{۳۱۹} (۴). الاحتجاج: ج ۱ ص ۱۹۸ ح ۱۱.

^{۳۲۰} (۵). تاريخ خليفة بن خياط: ص ۱۰۶، تاريخ الطبري: ج ۴ ص ۱۴۴، سبب أعلام النبلاء: ج ۲ ص ۳۲۰ الرقم ۶۱، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ۳ ص ۲۲۳، الاستيعاب: ج ۳ ص ۱۵۱ الرقم ۱۷۸۸.

^{۳۲۱} (۶). سبب أعلام النبلاء: ج ۲ ص ۳۲۰ الرقم ۶۱، الاستيعاب: ج ۳ ص ۱۵۱ الرقم ۱۷۸۸.

^{۳۲۲} (۷). سبب أعلام النبلاء: ج ۲ ص ۳۲۲ الرقم ۶۱، تاريخ الطبري: ج ۴ ص ۴۶۴-۴۶۹، مروج الذهب: ج ۲ ص ۳۶۷؛ الجمل: ص ۲۸۰ و ۲۸۱، تاريخ البيهقي: ج ۲ ص ۱۸۱.

^{۳۲۳} (۸). نهج البلاغة: الكتاب ۴۵.

^{۳۲۴} (۱). سبب أعلام النبلاء: ج ۲ ص ۳۲۲ الرقم ۶۱، الإصابة: ج ۴ ص ۳۷۲ الرقم ۵۴۵۱، تاريخ خليفة بن خياط: ص ۱۷۲.

^{۳۲۵} (۲). كذا في المصدر، دون إشارة إلى القائل.

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ دَارَ الْهَجْرَةِ تَقَلَّعَتْ بِأَهْلِهَا فَانْقَلَعُوا عَنْهَا، فَجَاشَتْ جَيْشَ الْمَرْجِلِ، وَكَانَتْ فَاعِلَةً يَوْمًا مَا فَعَلَتْ، وَقَدْ رَكِبَتْ الْمَرْأَةُ الْجَمَلَ، وَنَبَحَتْهَا كِلَابُ الْخَوَاطِبِ، وَقَامَتِ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ يَقُودُهَا رِجَالٌ يَطْلُبُونَ بِدَمِ هُمْ سَفْكَوهُ، وَعَرَضُوا هُمْ شَتْمُوهُ، وَحُرْمَةُ هُمْ أَنْتَهَكُوهَا، وَأَبَاخُوا مَا أَبَاخُوا، يَعْتَذِرُونَ إِلَى النَّاسِ دُونَ اللَّهِ «يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِيَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ»^{٣٢٦}.

اعلموا- رَحِمَكُمُ اللَّهُ- أَنْ الْجِهَادَ مُفْتَرَضٌ عَلَى الْعِبَادِ، وَقَدْ جَاءَ كُمْ فِي دَارِكُمْ مَنْ

ص: ١١٢

يَحْتَنِكُمْ عَلَيْهِ، وَيَعْرِضُ عَلَيْكُمْ رُشْدَكُمْ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أُجِدْ بُدْأً مِنَ الدُّخُولِ فِي هَذَا الْأَمْرِ، وَلَوْ عَلِمْتُ أَنَّ أَحَدًا أَوْلَى بِهِ مِنِّي مَا قَدِمْتُ عَلَيْهِ، وَقَدْ بَايَعَنِي طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ طَائِعِينَ غَيْرَ مُكْرَهِينَ، ثُمَّ خَرَجَا يَطْلُبَانِ بِدَمِ عُثْمَانَ وَهُمَا اللَّذَانِ فَعَلَا بِعُثْمَانَ مَا فَعَلَا، وَعَجِبْتُ لَهُمَا! كَيْفَ أَطَاعَا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ فِي الْبَيْعَةِ، وَأَبْيَا ذَلِكَ عَلَيَّ، وَهُمَا يَعْلَمَانِ أَنِّي لَسْتُ بِذُوْنِ أَحَدٍ مِنْهُمَا، مَعَ أَنِّي قَدْ عَرَضْتُ عَلَيْهِمَا قَبْلَ أَنْ يُبَايَعَانِي، إِنْ أَحَبَّ بَايَعْتُ أَحَدَهُمَا، فَقَالَا: لَا تَنْفُسُ ذَلِكَ عَلَيْكَ، بَلْ تُبَايَعُكَ، وَنُقَدِّمُكَ عَلَيْنَا بِحَقٍّ، فَبَايَعَا ثُمَّ نَكَثَا، وَالسَّلَامُ عَلَى أَهْلِ السَّلَامِ»^{٣٢٧}.

أقول: تقدّم كتابه عليه السلام إلى أهل الكوفة مع الحسن عليه السلام و عمّار بن ياسر، عن نهج البلاغة و غيره، و نقل مصنف كتاب معادن الحكمة رحمه الله- أيضاً- كتابه عليه السلام إلى أهل الكوفة مع الحسن عليه السلام عن أمالي الشيخ الطوسي رحمه الله، و روى عن ابن ميثم: أن أمير المؤمنين عليه السلام أرسل مع الحسن عليه السلام الكتاب الذي نقله المصنف رحمه الله^{٣٢٨}؛ و هذه الروايات مع الاختلاف الشديد بينها، بحيث لا يحتمل الاتّحاد فيها جميعاً، إمّا لأجل أن أمير المؤمنين عليه السلام أرسل بعضها مع الإمام الحسن السبط الأكبر عليه السلام، و أرسل بعضها بعده، فقرأه الحسن عليه السلام على الناس كما أشار إليه المفيد رحمه الله في الجمل^{٣٢٩}.

قال: ذكر الواقدي: أن أمير المؤمنين عليه السلام كان أنفذ إلى أهل الكوفة رسلاً، و كتب إليهم كتاباً عند خروجه من المدينة، و قبل نزوله بذي قار، و قال في حديث آخر رواه: إنّه أنفذ إلى القوم من الرّبذة حين فاته ردّ طلحة و الزبير من الطريق.

ثمّ اتفق الواقدي و أبو مخنف و غيرهما من أصحاب السير على ما قدّمنا ذكره،

ص: ١١٣

من إنفاذ الرّسل، و كتّب الكتّب من ذى قار إلى أهل الكوفة، ليستنفرهم للجهاد

^{٣٢٦} (٣). التوبة: ٩٦.

^{٣٢٧} (١). الجمل: ص ٢٥٩ و راجع: المناقب لابن شهر آشوب: ج ٣ ص ١٥١.

^{٣٢٨} (٢). معادن الحكمة: ج ١ ص ٢١٢-٢١٤.

^{٣٢٩} (٣). الجمل: ص ٢٦١.

معه، و الاستعانة بهم على أعدائه الناكثين لِعَهده، الخارجين عليه لحربه ... فقال مُحَمَّد بن الحنفية رضى الله عنه لمُحَمَّد بن أبى بكر: يا أخی، ما عِنْدَ هذا خَيْرٌ فارْجِعْ بنا إلى أمير المؤمنين نُخْبِرُهُ الخبرَ، فلَمَّا رَجَعَا إليه أخبراه بالحال. و قد كان كَتَبَ معهما كتاباً إلى أبى موسى الأشعري: أن يبايع من قَبْلَهُ على السَّمْعِ و الطَّاعَةِ، و قال له فى كتابه:

«ارْفَعْ عَنِ النَّاسِ سَوْطَكَ، وَأَخْرِجْهُمْ عَن حُجْرَتِكَ، وَاجْلِسْ بِالْعِرَاقَيْنِ، فَإِن حَفَقَتْ فَأَقْبِلْ، وَإِن ثَقُلَتْ فَاقْعُدْ».^{٣٣٠}

[و غرضنا ممّا تقدّم هو الإشارة إلى أنه عليه السلام، كتب كتباً عديدة، لا كتاباً واحداً.

فلَمَّا تَمَّت الحرب، و قتل الناكثين، و هدأت الأوضاع، كتب أمير المؤمنين عليه السلام، كُتُباً متعدّدة، منها كتابه إلى أهل الكوفة و هو: [

٢٤ كتابه عليه السلام إلى من بالكوفة

«من عبد الله على أمير المؤمنين، إلى من بالكوفة من المسلمين:

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنِّي خَرَجْتُ مَخْرَجِي هَذَا؛ إِمَّا ظَالِمًا، وَإِمَّا مَظْلُومًا، وَإِمَّا بَاغِيًا، وَإِمَّا مَبْغِيًا عَلَيَّ، فَأَنْشُدُ اللَّهَ رَجُلًا بَلَغَهُ كِتَابِي هَذَا لِأَنْفَرٍ إِلَيَّ، فَإِن كُنْتُ مَظْلُومًا أَعَانِي، وَإِن كُنْتُ ظَالِمًا اسْتَعْتَبْنِي، وَالسَّلَامُ.»

قال أبو مخنف: فحدّثنى موسى بن عبد الرحمن بن أبى ليلى، عن أبيه، قال:

أقبلنا مع الحسن و عمّار بن ياسر من ذى قارٍ، حتّى نزلنا القادسيّة ... قال: فلَمَّا

ص: ١١٤

دخل الحسن و عمّار الكوفة، اجتمع إليهما النَّاسُ، فقام الحسن فاستنفر النَّاسَ ... [و قام بعده عمّار فخطب ...]، قال: فلَمَّا سمع أبو موسى خطبة الحسن و عمّار، قام فصعد المنبر، [و خطب، و جرى كلام بينه و بين عمّار ...].

قال أبو جعفر (الطبري): و أنت الأخبار علياً عليه السلام باختلاف النَّاسِ بالكوفة، فقال: للأشتر: أنت شفعت فى أبى موسى، أن أفرّه على الكوفة، فاذهب فأصلح ما أفسدت، فقام الأشتر، فشخص نحو الكوفة، فأقبل حتّى دخلها و النَّاسُ فى المسجد الأعظم، فجعل لا يمرّ بقبيلة إلّا دعاهم، و قال: أتبعونى إلى القصر حتى وصل القصر، فاقتحمه و أبو موسى يومئذ يخطب النَّاسَ على المنبر، و يتبّطهم، و عمّار يخاطبه، و الحسن عليه السلام يقول:

«اعتزلْ عملنا، وتنحَّ عن منبرنا، لا أمّ لك.»

^{٣٣٠} (١). الجمل: ص ٢٥٧ و راجع: تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٤٧٨ - ٤٨٢.

قال أبو جعفر (الطبري): فروى أبو مريم التَّقْفِيّ، قال: و اللّٰه إني لفي المسجد يومئذٍ، إذ دخل علينا غلمان أبي موسى، يشتدون و يبادرون أبا موسى: أيها الأمير، هذا الأشرّ قد جاء فدخل القصر، فضربنا و أخرجنا. فنزل أبو موسى من المنبر، و جاء حتّى دخل القصر، فصاح به الأشرّ: اخرج من قصرنا لا أمّ لك، أخرج الله نفسك! فو الله إنك لمن المنافقين قديماً. قال: أجلّنى هذه العشيّة، قال: قد أجلّتك، و لا تبيتنّ في القصر. و دخل النَّاس ينتهبون متاع أبي موسى، فمنعهم الأشرّ، و قال: إني قد أخرجته و عزلته عنكم. فكفّ النَّاس حينئذ عنه.

قال أبو جعفر (الطبري): فروى الشَّعْبِيّ عن أبي الطَّفِيل،

قال: قال عليّ عليه السلام:

يَأْتِيكُمْ مِنَ الْكُوفَةِ اثْنَا عَشَرَ رَجُلٍ وَرَجُلٌ وَاحِدٌ، فَوَ اللَّهُ لَقَعَدْتُ عَلَى نَجْفَةَ^{٣٣١} ذِي قَارٍ، فَأَحْصَيْتُهُمْ وَاحِدًا وَاحِدًا، فَمَا زَادُوا رَجُلًا، وَلَا نَقَصُوا رَجُلًا.^{٣٣٢}

ص: ١١٥

٢٥ كتابه عليه السلام إلى طَلْحَةَ و الزُّبَيْرِ

من كتاب له عليه السلام إلى طَلْحَةَ و الزُّبَيْرِ، مع عِمْرَانَ بْنِ الْحُصَيْنِ الْخُزَاعِيّ:

«أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ عَلِمْتُمَا وَإِنْ كَتَمْتُمَا، أَنِّي لَمْ أُرِدِ النَّاسَ حَتَّى أَرَادُونِي، وَلَمْ أَبَايِعْهُمْ حَتَّى بَايَعُونِي، وَإِنِّكُمْ مِمَّنْ أَرَادَنِي، وَبَايَعَنِي، وَإِنَّ الْعَامَّةَ لَمْ تُبَايَعْنِي لِسُلْطَانٍ غَالِبٍ، وَلَا لِعَرَضٍ حَاضِرٍ، فَإِنْ كُنْتُمَا بَايَعْتُمَانِي طَائِعِينَ فَارْجِعَا وَتُوبَا إِلَى اللَّهِ مِنْ قَرِيبٍ، وَإِنْ كُنْتُمَا بَايَعْتُمَانِي كَارِهَيْنِ، فَقَدْ جَعَلْتُمَا لِي عَلَيَّكَمَا السَّبِيلَ بِإِظْهَارِكُمَا الطَّاعَةَ وَإِسْرَارِكُمَا الْمَعْصِيَةَ.

وَلَعَمْرِي مَا كُنْتُمَا بِأَحَقَّ الْمُهَاجِرِينَ بِالتَّقِيَّةِ وَالكِتْمَانِ، وَإِنْ دَفَعْتُمَا هَذَا الْأَمْرَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَدْخُلَا فِيهِ، كَانَ أَوْسَعَ عَلَيَّكُمْ مِنْ خُرُوجِكُمَا مِنْهُ بَعْدَ إِفْرَارِكُمَا بِهِ. وَقَدْ رَعَمْتُمَا أَنِّي قَتَلْتُ عُثْمَانَ، فَبَيَّنِّي وَبَيَّنَّكُمْ مَنْ تَخَلَّفَ عَنِّي وَعَنْكُمْ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ يَلْزَمُ كُلُّ امْرِئٍ بِقَدْرِ مَا احْتَمَلَ، فَارْجِعَا أَيُّهَا الشَّيْخَانِ عَن رَأْيِكُمَا، فَإِنَّ الْآنَ أَغْظَمَ امْرُكُمَا الْعَارُ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَجَمَعَ الْعَارُ وَالنَّارُ، وَالسَّلَامُ».^{٣٣٣}

٢٦ كتابه عليه السلام إلى طَلْحَةَ و الزُّبَيْرِ و عائِشَةَ

^{٣٣١} (١). النجفة: المكان المشرف على ما حوله من الارض.
^{٣٣٢} (٢). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٤ ص ١٠- ٢١ و راجع: نهج البلاغة: الكتاب ٥٧، الجمل: ص ٢٤٢- ٢٥٢، الغارات: ج ٢ ص ٩٢٠؛ تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٤٧٧- ٥٠٠، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٢٤- ٣٢٩.
^{٣٣٣} (١). نهج البلاغة: الكتاب ٥٤ و راجع: كشف الغمة: ج ١ ص ٣٢٤.

أنقل مصنف كتاب معادن الحكمة كتابه إليهم^{٣٣٤}، و لكن أخرج في أحاديث أم المؤمنين^{٣٣٥} هذا الكتاب عن التذكرة، لسبب ابن الجوزي بنحو آخر، يلزم نقله هنا

ص: ١١٤

إتماماً للفائدة:]

قال: ثم إن علياً لما قارب البصرة كتب إلى طلحة، والزبير، وعائشة و من معهم كتاباً لتركيب الحجّة عليهم:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى طلحة والزبير وعائشة، سلام عليكم:

أما بعد؛ يا طلحة والزبير، قد علمتُمَا أنّي لم أرد البيعة حتّى أكرهتُ عليها، وأنتم ممن رضى ببيعتي، فإن كنتُمَا بايعتُمَا طائعين فتوبا إلى الله تعالى، وارجعا عمّا أنتمَا عليه، وإن كنتُمَا بايعتُمَا مكرهين، فقد جعلتُمَا لى السبيل عليكما بإظهاركما الطاعة وثمانينكم المعصية، وأنت يا طلحة، يا شيخ المهاجرين؛ وأنت يا زبير، فارس قريش، ودفعكما هذا الأمر قبل أن تدخل فيه، فكان أوسع لكم من خروجكما منه قبل إقراركما.

وأنت يا عائشة، فإنك خرجت من بيتك عاصية لله ولرسوله، تطلين أمراً كان عنك موضوعاً، ثم تزعمين أنك تريدين الإصلاح بين المسلمين، فخبيريني: ما للنساء، وقود الجيوش، والبروز للرجال، والوقوع بين أهل القبلة، وسفك الدماء المحرمة، ثم إنك طلبت - على زعمك - بدم عثمان، وما أنت وذاك! عثمان رجل من بنى أمية، وأنت من تيم، ثم بالأمس تقولين فى ملأ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله:

اقتلوا نعتلاً، قتله الله فقد كفر، ثم تطلين اليوم بدمه! فاتقى الله، وارجعى إلى بيتك، واسبلى عليك سترك، والسلام»^{٣٣٦}.

ص: ١١٧

٢٧ كتابه عليه السلام إلى عائشة

قال المفيد فى كتاب الجمل: ثم دعا عبد الله بن عباس، فقال:

«انطلق إليهم فناشدهم [أى طلحة والزبير وعائشة ومن تابعهم] وذكرهم العهد الذى لى فى رقابهم» ...

^{٣٣٤} (٢). معادن الحكمة: ج ١ ص ١٨٩.

^{٣٣٥} (٣). معادن الحكمة: ج ١ ص ١٣٨.

^{٣٣٦} (١). تذكرة الخواص: ص ٦٩ و راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٧ ص ١٣١، الفتوح: ج ٢ ص ٤٦٥، الإمامة و السياسة: ج ١ ص ٩٠، المناقب للخوارزمي: ص ١٨٣، أحاديث أم المؤمنين: ص ١٣٨؛ نهج البلاغة: الكتاب ٥٤، كشف الغمة: ج ١ ص ٢٣٩، بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ١٢٦.

قال [ابن عباس] فخرجتُ فرجعتُ إلى عليٍّ، و قد دخل البيوت بالبصرة، فقال:

«ما وراءك؟»

فأخبرته الخبر، فقال:

«اللَّهُمَّ افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ»

ثُمَّ قَالَ:

«ارْجِعْ إِلَى عَائِشَةَ، وَاذْكُرْ لَهَا خُرُوجَهَا مِنْ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَخَوْفُهَا مِنَ الْخِلَافِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَنَبْذِهَا عَهْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَقُلْ لَهَا: إِنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ لَا تُصْلِحُهَا النَّسَاءُ، وَإِنَّكَ لَمْ تُؤْمِرِي بِذَلِكَ، فَلَيْمَ تَرْضَى بِالْخُرُوجِ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ فِي تَبَرُّجِكِ، وَ (خُرُوجِكِ مِنْ) بَيْتِكَ الَّذِي أَمَرَكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْمُقَامِ فِيهِ، حَتَّى سِرْتِ إِلَى الْبَصْرَةِ، فَقَتَلْتَ الْمُسْلِمِينَ، وَعَمِدْتِ إِلَى عُمَالِي فَأَخْرَجْتَهُمْ، وَفَتَحْتَ بَيْتَ الْمَالِ، وَأَمَرْتِ بِالتَّنْكِيلِ بِالْمُسْلِمِينَ، وَأَبْخَتِ دِمَاءَ الصَّالِحِينَ! فَارْعَى وَرَاقِبِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَدْ تَعْلَمِينَ أَنَّكَ كُنْتِ أَشَدَّ النَّاسِ عَلَى عُثْمَانَ، فَمَا هَذَا مِمَّا مَضَى؟!»^{٣٣٧}

ص: ١١٨

٢٨ كتابه عليه السلام إلى عائشة

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكَ خَرَجْتِ مِنْ بَيْتِكَ عَاصِيَةً لِلَّهِ تَعَالَى وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، تَطْلُبِينَ أَمْرًا كَانَ عَنْكَ مَوْضُوعًا، ثُمَّ تَزْعُمِينَ أَنَّكَ تُرِيدِينَ الْإِصْلَاحَ بَيْنَ النَّاسِ، فَخَبَّرِي: مَا لِلنِّسَاءِ وَقُودِ الْعَسَاكِرِ؟

زَعَمْتِ أَنَّكَ طَالِبَةٌ بِدَمِ عُثْمَانَ، وَعُثْمَانُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أُمِّيَّةَ، وَأَنْتِ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي تَيْمِ بْنِ مُرَّةَ.

وَلَعَمْرِي إِنَّ الَّذِي عَرَّضَكَ لِلْبَلَاءِ، وَحَمَلَكَ عَلَى الْمَعْصِيَةِ لِأَعْظَمِ إِلَيْكَ ذَنْبًا مِنْ قَتْلِهِ عُثْمَانَ.

وَمَا غَضِبْتِ حَتَّى أُغْضِبْتَ، وَلَا هِجْتِ حَتَّى هُيِّجْتَ، فَاتَّقِي اللَّهَ يَا عَائِشَةُ، وَارْجِعِي إِلَى مَنْزِلِكَ، وَاسْبِلِي عَلَيْكَ سِتْرَكَ، وَالسَّلَامَ».

فجاء الجواب إليه عليه السلام:

^{٣٣٧} (١) .الجملة: ص ٣١٤ - ٣١٦.

يا بن أبي طالب، جلّ الأمر عن العتاب، و لن ندخل في طاعتك أبداً، فاقض ما أنت قاض و السّلام.^{٣٣٨}

٢٩ كتابه عليه السلام إلى أم هانئ بنت أبي طالب

و كتّب أمير المؤمنين عليه السلام إلى أم هانئ، بنت أبي طالب:

«سَلامٌ عَلَيْكَ، أَحَمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، أَمَا بَعْدُ؛ فَإِنَّا التَّقِينَا مَعَ الْبُغَاةِ وَالظَّالِمَةِ فِي الْبَصْرَةِ، فَأَعْطَانَا اللَّهُ النَّصْرَ عَلَيْهِمْ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ، وَأَعْطَاهُمْ سِنَّةَ الظَّالِمِينَ؛ فَقَتِلَ مِنْهُمْ طَلْحَةَ

ص: ١١٩

وَالزُّبَيْرُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَتَّابٍ، وَجَمَعَ لَا يُحْصَى، وَقُتِلَ مِنَّا بَنُو مَجْدُوعٍ، وَابْنَا صُوحَانَ، وَعِلْبَاءُ، وَهَنْدٌ، وَثُمَامَةُ، فِيمَنْ يُعَدُّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ رَحِمَهُمُ اللَّهُ، وَالسَّلَامُ.»^{٣٣٩}

أقول: طَلْحَةُ وَ الزُّبَيْرُ هُمَا رَأْسَا الْبُغَاةِ، وَ مُسَعَّرَا الْحَرْبِ فِي الْجَمَلِ، وَ حَالَهُمَا فِي الصَّحَابَةِ أَشْهَرُ وَ أَبْيَنُ مِنْ أَنْ يَذْكَرَ فِي هَذَا الْمُخْتَصِرِ، وَ مِنْ أَرَادَ فَلَيرَاجِعُ الْكُتُبَ الْمُؤَلَّفَةَ فِي تَرَاجِمِ الصَّحَابَةِ، كَأَسَدِ الْغَابَةِ، وَ الْإِصَابَةِ، وَ الْإِسْتِيعَابِ، بَلِ الْكُتُبِ الْمُؤَلَّفَةِ فِي التَّارِيخِ وَ السِّيَرَةِ، وَ كَذَا الْكُتُبِ الْمُؤَلَّفَةِ فِي الْكَلَامِ فِي الْإِمَامَةِ، كَالشَّافِي وَ تَلْخِيصِهِ، وَ إِحْقَاقِ الْحَقِّ، وَ كِتَابِ الْجَمَلِ لِلْمُفِيدِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

«عبد الرحمن بن عتّاب»

عبد الرحمن بن عتّاب بن أسيد القرشي الأمويّ، كان من أنصار عثمان في حياته و بعد مماته، و كان مع عائشة يوم الجمل، يصلّي بالناس بأمرها، لمّا وقع الخلاف بين طَلْحَةَ وَ الزُّبَيْرِ فِي الْإِمَامَةِ فِي الصَّلَاةِ.^{٣٤٠}

و قيل: كانت الصلّاة لعبد الله بن الزُّبَيْرِ، و لمّا استعرت نار الحرب، بارز عبد الرحمن الأشرّ فأفلت جريضا^{٣٤١}، و كان على ميسرة العسكر، فأخذ خطام الجمل و قتل.^{٣٤٣}

ص: ١٢٠

^{٣٣٨} (١). كشف الغمّة: ج ١ ص ٢٣٩ و راجع: الجمل: ص ١٦٩، المناقب لابن شهر آشوب: ج ٣ ص ١٥٢؛ الفتوح: ج ٢ ص ٣٠١، الإمامة و السياسة: ج ١ ص ٦٦، المناقب للخوارزمي: ص ١١٧، السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٣٢٢.

^{٣٣٩} (١). الجمل: ص ٣٩٧.

^{٣٤٠} (٢). و راجع: تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٤٦٠ و ٤٦١، أسد الغابة: ج ٣ ص ٤٦٧ الرقم ٣٣٥٣، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢ ص ١٤٤ و ١٤٥.

^{٣٤١} (٣). جريضا: قال ابن منظور: أفلنتي جريضا أي: مجهوداً يكاد يقضي. (لسان العرب: ج ٧ ص ١٣٠).

^{٣٤٢} (٤). راجع: تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥١٩ - ٥٢٦، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٤٣، أنساب الأشراف: ج ٣ ص ٣٩، الإصابة: ج ٥ ص ٣٥ الرقم ٦٢٤٠، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١ ص ٢٦٥.

^{٣٤٣} (٥). أحاديث أم المؤمنين عائشة: ص ١٦٩.

فقال له قائل: لَسَدًا مَا أَطْرَيْتَ هَذَا الْفَتَى مُنْذُ الْيَوْمِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ:

«إِنَّهُ قَامَ عَنِّي وَعَنَهُ نِسْوَةٌ لَمْ يَقْمَنَّ عَنكَ».^{٣٤٤}

«بنو مَخْدُوع»

«بنو مَخْدُوع» بالميم والخاء المعجمة، والدال المهملة، والواو والعين المهملة، كما في نسخة الجمل، وتكملة المنهاج. و في الطبري جاء: «بنو مَخْدُوع» بالحاء المهملة، والجيم بدل الخاء والعين^{٣٤٥}، و في موضعٍ آخر: جعل ابن مَخْدُوع البكريّ من رؤساء النافرين إلى حرب الجمل من الكوفة^{٣٤٦}.

فالصحيح هو مَخْدُوع لا مخدوع، و كما قال ابن الأثير في الكامل «و قُتِلَ رجال من بني مَخْدُوع»، و قتل من بني ذهل خمسة و ثلاثون رجلاً^{٣٤٧}، و على كل حال، فهم كما قال الطبري: كانت لهم الرئاسة من أهل الكوفة^{٣٤٨}.

و قال البلاذري: و كانت وقعة الجمل بالخريبة^{٣٤٩}، و حسان الذي ذكره (هو) - يعني الأغور الشنّي في شعره:

يَوْمَ الْخُرَيْبَةِ عِلْبَاءُ وَ حَسَّانَا

مَا قَاتَلَ اللَّهُ أَقْوَامًا هُمْ قَتَلُوا

ص: ١٢١

وَ خَيْرَ قُرَائِهِمْ زَيْدَ بْنَ صُوحَانَ

وَ ابْنَ الْمُثَنَّى أَصَابَ السَّيْفُ مَقْتَلَهُ

حَسَّانَ بْنَ مَخْدُوعَ بْنَ بَشْرَ بْنَ خُوْطٍ، كَانَ مَعَهُ لُؤَاءُ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ، فَقُتِلَ فَأَخَذَهُ أَخُوهُ خُدَيْفَةُ بْنُ مَخْدُوعٍ فَأَصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهُ بَعْدَهُ عِدَّةٌ مِنَ الْخَوَطِيِّينَ^{٣٥١}، فَقَتَلُوا حَتَّى تَحَامَوْهُ.^{٣٥٢}

^{٣٤٤} (١). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١ ص ٢٤٩ و راجع: تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥٣٨، مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٨٠.

^{٣٤٥} (٢). تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥٢٢.

^{٣٤٦} (٣). تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٤٨٨.

^{٣٤٧} (٤). الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٤٤.

^{٣٤٨} (٥). الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٥٢٢.

^{٣٤٩} (٦). الخريبة: موضع بالبصرة، يسمّى بِصَيْرَةِ الصُّغْرَى. (لسان العرب: ج ١ ص ٣٥٠)

^{٣٥٠} (٧). هكذا في المصدر، و المعنى بأباه، و أظنّ الصواب: يَا قَاتِلَ.

^{٣٥١} (١). الخوطين: بالحاء المهلة، و الأصح: «الخوطين» بالمعجمة.

^{٣٥٢} (٢). أنساب الأشراف: ج ٣ ص ٤١.

و قال ابن حَجْر: حَسَّانُ بنُ خُوَظِ بنِ مِسْعَرٍ ... نسبه ابن الكَلْبِيِّ، و قال: كان شريفاً في قومه، و كان وافيدي بكر بن وائل إلى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، و عاش حَتَّى شَهِدَ الجَمَلَ مَعَ عَلِيٍّ، و مَعَهُ ابْنَاهُ: الحارث و بشر؛ و أخوه بِشْرُ بنِ خُوَظِ و أقاربه، و كان لواء عليٍّ مَعَ حَسِينِ بنِ مَخْدُوجِ بنِ بِشْرِ بنِ خُوَظِ، فمُتِل، فأخذه أخوه حُدَيْفَةُ فمُتِل؛ فأخذه عَمَّهُما الأَسْوَدُ بنِ بِشْرِ بنِ خُوَظِ فمُتِل ... و بِشْرُ بنِ حَسَّانِ هو القاتل:

رَسُولُ بَكْرِ كَلِّهَا إِلَى النَّبِيِّ

أَنَا ابْنُ حَسَّانِ بْنِ خُوَظِ وَأَبِي

و أخرج عَمْرُو بنُ شَبَّهٍ في وقعة الجمل من طريق قتادة، قال: كانت راية بكر بن وائل في بني ذهل مع الحارث بن حسان فقتل، و قتل معه ابنه و خمسة من إخوته، و كان الحارث يقول:

لِأَلِ ذَهْلِ وَ لِأَلِ شَيْبَانَ^{٣٥٣}

أَنَا الرَّئِيسُ الْحَارِثُ بْنُ حَسَّانٍ

و جعل صاحب الغدير حسان بن مخدوج في عداد قرأء الكوفة و وجوه أهلها، مَنَّ كان يسامر سعيد بن العاص، كالأشتر، و زَيْدُ و صَعَصَعَةُ ابْنِي صُوحَانَ

ص: ١٢٢

العبيدين، و قال: هو الذي ابتدأ الكلام في تفضيل السواد على الجبل، حَتَّى انتهى الأمر إلى تسيير من سيَّره من رجال الفضل.^{٣٥٤}

و حَسَّانُ بنُ مَخْدُوجِ، كان من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، و كان معه يوم صفين، و جعل له رئاسة كِنْدَةَ لَمَّا عزل عنها الأشعث بن قيس.

و مشى الأشتر، و عدي الطائي، و زحر بن قيس، و هاني بن عروة، فقاموا إلى علي عليه السلام، فقالوا: يا أمير المؤمنين، إنَّ رئاسة الأشعث لا تصلح إلَّا لمثله، و ما حَسَّانُ بنُ مَخْدُوجِ مثل الأشعث. فغضب ربيعة ... و إنَّ حَسَّانُ بنُ مَخْدُوجِ مشى إلى الأشعث بن قيس برايته حَتَّى ركزها في داره، فقال الأشعث: إنَّ هذه الرأية عظمت على علي، و هو و الله أخفُّ عليَّ من زِفِّ النَّعَامِ^{٣٥٥} ... و الأشعث كان من أعداء أمير المؤمنين، و كان رئيس كندة و ربيعة ... فلم يشأ أمير المؤمنين أن يعطى له

^{٣٥٣} (٣). الإصابة: ج ٢ ص ٥٧، الرقم ١٧١١، أعيان الشيعة: ج ٤ ص ٦٢٢ و راجع: أسد الغابة: ج ٢ ص ١٠ الرقم ١١٥٦، الاستيعاب: ج ١ ص ٤٠٧ الرقم ٥٢٧.

^{٣٥٤} (١). راجع: الغدير: ج ٩ ص ٥٢ و ٥٣.

^{٣٥٥} (٢). الزَّفُّ بالكسر: صغار ريش النعام و الطائر. (الصاحح: ج ٤ ص ١٣٦٩)

هذه الرّئاسة؛ لما يعلم من عداوته، فجعلها لحسان ... و هذا يدلّ على مكانة حسان، و إخلاصه، و تقديمه المصلحة العامّة على المصلحة الخاصّة، و لم يقبل الأشعث ما عرضه عليه حسان، و بقيت رئاسة القبيلتين لحسان، ثمّ تلافى الأمر أمير المؤمنين عليه السلام، فولّى الأشعث على ميمنة أهل العراق.^{٣٥٦}

ذكر الشّيخ رحمه الله في رجاله^{٣٥٧}، في أصحاب عليّ عليه السلام حسان بن مخزوم، و لم يذكر هذا، و المظنون أنّه قد صحّف مخدوج بمخزوم، و إن المذكور في كلام الشّيخ هو هذا، و إنّ ابن مخزوم لا وجود له، و لا يمكن أن يكون قد صحّف مخزوم

ص: ١٢٣

بمخدوج، للتصريح في الأبيات السّابقة بأنّه ابن مخدوج.^{٣٥٨}

و ذكر ابن قتيبة- في وقعة الجمل:- أنّ عليّاً عليه السلام عقد لبكر، و تغلب، و أفناء ربيعة، رايه، و ولى عليهم مخدوج الدّهلي.^{٣٥٩}

و قال الطّبري في وقعة الجمل: و كانت رايه بكر بن وائل من أهل الكوفة في بني ذهل، كانت مع الحارث بن حسان بن خوط الدّهليّ، فقال: أبو العرفاء الرّقاشي: أبق على نفسك و قومك، فأقدم و قال: يا معشر بكر بن وائل، إنّ له لم يكن أحد من رسول الله صلى الله عليه و آله مثل منزلة صاحبكم فانصروه، فأقدم فقتل و قتل ابنه، و قتل خمسة إخوة له

و قال ابنه:

لِأَلِ ذُهَلٍ وَ لِأَلِ شَيْبَانَ

أَنْعَى الرَّئِيسَ الْحَارِثَ بْنَ حَسَّانٍ

و قتل رجل من بني مخدوج، و كانت الرّئاسة لهم من أهل الكوفة^{٣٦٠}

قال ابن خلدون في بيان النّافرين من الكوفة: و نفر النّاس مع الحسن كما قلنا، و كان الأمراء على أهل النّفر: على كنانة و أسد و تميم و الرّباب و مزيّنة، معقل بن يسار الرّياحيّ. و على قبائل قيس، سعد بن مسعود الثّقفيّ، عم المختار. و على بكر و تغلب و غلّة بن مجدوح الدّهليّ.^{٣٦١}

^{٣٥٦} (٣). راجع: وقعة صفين: ص ١٣٧ - ١٤٠.

^{٣٥٧} (٤). رجال الطوسي: ص ٦٢ الرقم ٥٤٥.

^{٣٥٨} (١). أعيان الشيعة: ج ٤ ص ٦٢٣.

^{٣٥٩} (٢). الأخبار الطوال: ص ١٤٦.

^{٣٦٠} (٣). تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥٢٢ و راجع: الاستيعاب: ج ١ ص ٤٠٧ الرقم ٥٢٧.

و قال أيضاً: و كانت رايه بكر بن وائل فى بنى ذهل، مع الحرث بن حسان،

ص: ١٢٤

فقتل فى خمسة من بنى أهله، و رجال من بنى محدوج، و خمسة و ثلاثين من بنى ذهل.^{٣٦٢}

و بشر بن حسان الذهلي الكوفي، ذكره الشيخ فى رجاله فى أصحاب الصادق عليه السلام، و فى لسان الميزان: بشر بن حسان الرملى، ذكره أبو جعفر الطوسي فى رجال الشيعة، من الرواة عن جعفر الصادق عليه السلام انتهى. و إبدال الذهلي بالرملى من تحريف النسخ أو ابن حجر.^{٣٦٣}

و الحسين بن محدوج بن بشر بن حوط بن مسعر الشيباني، قال: من جملة حاملى اللواء مع أمير المؤمنين عليه السلام فى الجمل، و قتل معه. أقول: و لم يذكر مستنده.^{٣٦٤} و «حوط» على ما ذكره ابن حجر و الأثير و أبو عمر فى معاجمهم: هو بالحاء المعجمة، و فى أنساب الأشراف و الطبقات: بالحاء المهملة.^{٣٦٥}

زيد بن صوحان

زيد بن صوحان، يقال: إن له صحبة، قال الكلبي: كان قد أدرك النبى صلى الله عليه و آله و صحبه، قال أبو عمرو: كذا قال، و لا أعلم له صحبة، و لكنه ممن أدرك النبى مسلماً. و عن الرشاطى أن له وفادة. و كان فاضلاً ديناً خيراً سيّداً فى قومه، هو

ص: ١٢٥

و إخوته، و كان معه رايه عبد القيس يوم الجمل.^{٣٦٦} و كان أكبر من صعصعة.^{٣٦٧}

و روى من وجوه، أن النبى صلى الله عليه و آله كان فى مسيره له، إذ هوّم فجعل يقول:

«زَيْدٌ وَمَا زَيْدٌ! جُنْدُبٌ وَمَا جُنْدُبٌ»

! فسئل عن ذلك، فقال:

«رَجُلَانِ مِنْ أُمَّتِي، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَتَسْبِيهُ يَدُهُ إِلَى الْجَنَّةِ، ثُمَّ يَتَّبِعُهَا سَائِرُ جَسَدِهِ...».

^{٣٦١} (٤). تاريخ ابن خلدون: ج ٢ ص ٦١٤ و راجع: تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥٠٠.
^{٣٦٢} (١). تاريخ ابن خلدون: ج ٢ ص ٦١٩ و راجع: الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ٣٢٩، أنساب الأشراف: ج ٣ ص ٣٢.
^{٣٦٣} (٢). أعيان الشيعة: ج ٣ ص ٥٧٢، رجال الطوسي: ص ١٦٨ الرقم ١٩٥٢، لسان الميزان: ج ٢ ص ٢١ الرقم ٧٣.
^{٣٦٤} (٣). أنساب الأشراف: ج ٣ ص ٣٥ و راجع: نهج البلاغة: الحكمة ٢٦٢، الأمالي للطوسي: ص ١٣٤ ح ٢١٦، تاريخ يعقوبي: ج ٢ ص ٢١٠.
^{٣٦٥} (٤). أنساب الأشراف: ج ٣ ص ٣٥، طبقات الكبرى: ج ١ ص ٣١٥، الإصابة: ج ٢ ص ٥٧ الرقم ١٧١١، أسد الغابة: ج ٢ ص ١٠ الرقم ١١٥٦، الاستيعاب: ج ١ ص ٤٠٧ الرقم ٥٢٧.
^{٣٦٦} (١). أسد الغابة: ج ٢ ص ٣٦٤ الرقم ١٨٤٨، الاستيعاب: ج ٢ ص ١٢٤ الرقم ٨٥٧، الإصابة: ج ٢ ص ٥٠٤ الرقم ٢٩١٧ و ص ٥٣٢ الرقم ٣٠٠٤.
^{٣٦٧} (٢). تنقيح المقال: ج ١ ص ٤٦٦.

و كانت بيده رايه عبد القيس يوم الجمل.^{٣٦٨}

و روى من وجوه أنه قال: شدوا على ثيابي، و لا تنزعوا عني ثوباً، و لا تغسلوا عني دماً، فأني رجلٌ مخاصم. - أو قال: فأنا قوم مخاصمون.^{٣٦٩}

و عن قدامه قال: كنت في جيشٍ عليهم سلمان، فكان زيد بن صوحان يؤمهم بأمره بدون سليمان.^{٣٧٠}

و عن عبد الرحمن بن مسعود العبدى، قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه و آله:

«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظَرَ إِلَى رَجُلٍ يَسْبِقُهُ بَعْضُ أَعْضَائِهِ إِلَى الْجَنَّةِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى زَيْدِ بْنِ صُوحَانَ».

و تحقق هذا الكلام النبوى الذى كان فضيلة عظيمة لزيد فى حرب

ص: ١٢٦

جولاء^{٣٧٣}.

و قد قطعت يد زيد يوم القادسية^{٣٧٤}، أو جولاء^{٣٧٥}، و عاش بعد ذلك عشرين سنة^{٣٧٦}.

كان زيد فيمن سيره عثمان من أهل الكوفة إلى الشام^{٣٧٧}، و جرى بينهم و بين معاوية كلام حتى أغلظ على الأشرى فحبسه، فقام عمرو بن زُرارة، فقال: لئن حبسته لتجدن من يمنعه، فأمر بحبس عمرو، فتكلم القوم، و قالوا: أحسن جوابنا يا معاوية، و تكلم فى هذا المضمار، صعصعة بن صوحان، فجيئه معاوية بكلام غليظ و قال معاوية يوماً فيما قال: إن قريشاً قد عرفت أن أبا سفيان أكرمها، و ابن أكرمها، إلا ما جعل الله لنبيه صلى الله عليه و آله، فإنه انتجبه و أكرمه، و لو أن أبا سفيان ولد الناس كلهم، لكانوا حلماً.

فقال له صعصعة بن صوحان: كذبت، قد ولدهم خير من أبى سفيان، من خلقه الله بيده، و نفع فيه من روجه، و أمر الملائكة فسجدوا له، فكان فيهم البر و الفاجر و الكيس و الأحمق.

^{٣٦٨} (٣). أسد الغابة: ج ٢ ص ٣٦٤ الرقم ١٨٤٨، الاستيعاب: ج ٢ ص ١٢٥ الرقم ٨٥٧، و راجع: الإصابة: ج ٢ ص ٥٣٣؛ أعيان الشيعة: ج ٧ ص ١٠٣.

^{٣٦٩} (٤). الاستيعاب: ج ٢ ص ١٢٥ الرقم ٨٥٧، المصنّف لعبد الرزاق: ج ٥ ص ٢٧٤ الرقم ٩٥٨٧، أنساب الأشراف: ج ٣ ص ٤١، طبقات الكبرى: ج ٦ ص ١٢٥، تاريخ بغداد: ج ٨ ص ٤٤٠، الإصابة: ج ٢ ص ٥٣٣؛ أعيان الشيعة: ج ٧ ص ١٠٥ كلها نحوه.^{٣٧٠} (٥). هكذا في المصدر، و لعل الصواب: بدون سلمان.

^{٣٧١} (٦). الاستيعاب: ج ٢ ص ١٢٥ الرقم ٨٥٧، طبقات الكبرى: ج ٦ ص ١٢٤.^{٣٧٢} (١). جولاء: طسوج من طساسيج السواد في طريق خراسان، و الطسوج: النّاحية (معجم البلدان: ج ٢ ص ١٥٦).

^{٣٧٣} (٢). مسند أبى يعلى: ج ١ ص ٢٦٧ ح ٥٠٧، الإصابة: ج ٢ ص ٥٣٢ الرقم ٣٠٠٤، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٩ ص ٤٣٤ الرقم ٤٥٤١ و ٤٥٤٢ و ٤٥٤٣، كنز العمال: ج ١١ ص ٦٨٥ ح ٣٣٣٠٩؛ قاموس الرجال: ج ٤ ص ٥٥٩، الغدير: ج ٩ ص ٦٧.

^{٣٧٤} (٣). راجع: الإصابة: ج ٢ ص ٥٣٣ الرقم ٣٠٠٤؛ أعيان الشيعة: ج ٧ ص ١٠٣.^{٣٧٥} (٤). الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ١٢٣، الاستيعاب: ج ٢ ص ١٢٥، الإصابة: ج ٢ ص ٣٦٤؛ أعيان الشيعة: ج ٧ ص ١٠٣.

^{٣٧٦} (٥). تاريخ مدينة دمشق: ج ١٩ ص ٤٣٦؛ أعيان الشيعة: ج ٧ ص ١٠٣.^{٣٧٧} (٦). الإصابة: ج ٢ ص ٥٣٣ الرقم ٣٠٠٤؛ أعيان الشيعة: ج ٧ ص ١٠٣.

ص: ١٢٧

قال: و من المجالس التي دارت بينهم: إن معاوية قال لهم: أيتها القوم، ردوا خيراً، و اسكنوا و تفكروا، و انظروا فيما ينفعكم و المسلمين، فاطلبوه و أطيعوني.

فقال له صَعَصَعَةُ: لست بأهلٍ لذلك، و لا كرامته لك أن تطاع في معصية الله.

فقال: إن أول كلام ابتدأت به أن أمرتكم بتقوى الله، و طاعة رسوله، و أن تعتصموا بحبل الله جميعاً و لا تفرقوا.

فقال صَعَصَعَةُ: بل أمرت بالفرقة، و خلاف ما جاء به النبي صلى الله عليه و آله.

فقال: إن كنت فعلتُ فإني الآن أتوب، و أمركم بتقوى الله و طاعته، و لزوم الجماعة، و أن توقروا أئمتكم و تطيعوهم.

فقال صَعَصَعَةُ: إذا كنت تبت، فإننا نأمرك أن تعتزل أمرك، فإن في المسلمين من هو أحقّ به منك، ممّن كان أبوه أحسن أثراً في الإسلام من أبيك، و هو أحسن قدماً في الإسلام منك.

فقال معاوية: إن لي في الإسلام لقدماً، و إن كان غيري أحسن قدماً مني، لكنّه ليس في زمانى أحد أقوى على ما أنا فيه مني، و لقد رأى ذلك عمر بن الخطّاب، فلو كان غيري أقوى مني، لم يكن عند عمر هواده لي و لغيري، و لا حدث ما ينبغي له أن اعتزل عملي^{٣٧٨}.

فتكلّم زيد في بعض هذه المجالس فقال: إن كنا ظالمين فنحن نتوب، و إن كنا مظلومين فنحن نسأل الله العافية، فقال له معاوية: يا زيد، إنك امرؤ صدق، و أذن له بالرجوع إلى الكوفة ...

ص: ١٢٨

كان زيد بن صوحان يحبّ سلمان، فمن شدة حبه له اكتنى أبا سلمان، و كان يُكنّى أبا عبد الله، و يقال: أبا عائشة^{٣٧٩}.

كان زيد بن صوحان يقوم بالليل و يصوم النهار، و إذا كانت ليلة الجمعة أحيائها، فإن كان ليكرهها إذا جاءت ممّا كان يلقي فيها، فبلغ سلمان ما كان يصنع، فأتاه فقال: أين زيد؟ قالت امرأته: ليس هاهنا، قال: فإني أقسم عليك لما صنعت طعاماً، و لبست محاسن ثيابك، ثمّ بعثت إلى زيد، قال فجاء زيد، فقرب الطعام، فقال سلمان: كلّ يا زبيد، قال: إنني صائم، قال: كلّ يا زبيد لا ينقص - أو تنقص - دينك، إن شرّ السّير الحقيقه^{٣٨٠}، إنّ لعينك عليك حقاً، و إنّ لزوجتك عليك حقاً، كلّ يا زيد فأكل، و ترك ما كان يصنع. و قد خاطبه: يا زبيد بالتّصغير، ليُشعره بخطأ ما كان عليه^{٣٨١}.

^{٣٧٨} (١) الغدير: ج ٩ ص ٣٤ - ٣٥ و راجع: تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٣٢٣ و ٣٢٤، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٢٧٠.

^{٣٧٩} (١) الاصابة: ج ٢ ص ٥٣٣ الرقم ٣٠٠٤.

^{٣٨٠} (٢) سير الحقيقه: و هي المتعب من السّير، قيل: أن تحمل الذّابة على ما لا تطيقه (النهاية).

^{٣٨١} (٣) راجع: تاريخ بغداد: ج ٨ ص ٤٣٩، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٩ ص ٤٤٠؛ أعيان الشيعة: ج ٧ ص ١٠٣.

عن أبي سُلَيْمان قال: لَمَّا ورد علينا سُلَمان الفارسيّ، أتيناها نستقرئُه القرآن، فقال: إِنَّ القرآنَ عربيٌّ فاستقرئوه رجلاً عربياً، فكان يُقرئنا زَيْد بن صُوحان، و يأخذ عليه سُلَمان، فإذا أخطأ ردّ عليه سُلَمان^{٣٨٢}.

قال سُلَمان لزَيْد: كيف أنت يا زَيْد إذا اقتتل القرآن و السلطان؟ قال: أكون مع القرآن، قال: نِعَمَ الزَيْدُ أنت إذا^{٣٨٣}.

قال زَيْد ذلك، و عمل به طيلة حياته بعد الرّسول صلى الله عليه و آله، إلى أن غربت شمس

ص: ١٢٩

وجوده في البصرة، في حرب الجمل، حينما اقتتل السلطان و القرآن، فنصر زَيْد القرآن و قتل دونه.

كان زَيْد من أمراء السّائرين إلى عثمان من الكوفة مع الأشتر^{٣٨٤}.

لَمَّا خرج النّاكثون إلى البصرة، و خرج أمير المؤمنين عليه السلام على أثرهم، كتبت عائشةُ إلى زَيْد من البصرة، و كان زَيْد وقتئذٍ بالكوفة:

مِنَ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى ابْنِهَا الْخَالِصِ زَيْدِ بْنِ صُوحَانَ، سَلَامٌ عَلَيْكَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فإِنَّ أَبَاكَ كَانَ رَأْسًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَ سَيِّدًا فِي الْإِسْلَامِ، وَ إِنَّكَ مِنْ أَيْبِكَ بِمَنْزِلَةِ الْمُصَلِّيِّ مِنَ السَّابِقِ، يُقَالُ: كَادَ أَوْ لَحِقَ، وَ قَدْ بَلَغَكَ الَّذِي كَانَ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ مِصَابِ عُثْمَانَ بْنِ عُفَّانَ، وَ نَحْنُ قَادِمُونَ عَلَيْكَ، وَ الْعِيَانُ أَشْفَى لَكَ مِنَ الْخَبْرِ، فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي هَذَا، فَتَبَّطِ النَّاسَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَ كُنْ مَكَانَكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي، وَ السَّلَامُ.

فكتب إليها: مِّنَ زَيْدِ بْنِ صُوحَانَ إِلَى عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، سَلَامٌ عَلَيْكَ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكَ أَمَرْتِ بِأَمْرٍ وَ أَمَرْنَا بِغَيْرِهِ، أَمَرْتِ أَنْ تَقْرِي فِي بَيْتِكَ، وَ أَمَرْنَا أَنْ نُقَاتِلَ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً. فَتَرَكْتِ مَا أَمَرْتِ بِهِ، وَ كَتَبْتِ تَنْهِينًا عَمَّا أَمَرْنَا بِهِ، وَ السَّلَامُ^{٣٨٥}.

[و لَمَّا تَبَّطِ أَبُو مُوسَى النَّاسَ عَنْ نَصْرِهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامِ، وَ أَخَذَ يَجَادِلُ مَعَ عَمَّارٍ وَ الْحَسَنِ السَّبَّطِ عَلَيْهِ السَّلَامِ] وَ جَعَلَ أَبُو مُوسَى يُكْفِكِفُ النَّاسَ، ثُمَّ انْطَلَقَ حَتَّى

ص: ١٣٠

^{٣٨٢} (٤). تاريخ مدينة دمشق: ج ١٩ ص ٤٣٩؛ أعيان الشيعة: ج ٧ ص ١٠٣.

^{٣٨٣} (٥). تاريخ مدينة دمشق: ج ١٩ ص ٤٤١؛ أعيان الشيعة: ج ٧ ص ١٠٣.

^{٣٨٤} (١). راجع: تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٣٢٦ و الغدير: ج ٩ ص ٢٣٧ و ٢٥٩ و ٣٠٩.

^{٣٨٥} (٢). العقد الفريد: ج ٣ ص ٣١٧ و راجع: تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٤٧٦ و ٤٧٧ و ٤٨٣، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٦ ص ٢٢٦؛ رجال الكشي: ج ١ ص ٢٨٤، قاموس الرجال: ج ٤ ص ٥٥٨، تنقيح المقال: ج ١ ص ٤٦٦، بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ١٢٥ ح ١٠٢ و ص ١٤٠.

أتى المنبر، و سَكَنَ النَّاسَ، و أَقْبَلَ زَيْدٌ عَلَى حِمَارٍ حَتَّى وَقَفَ بِيَابَ الْمَسْجِدِ، و مَعَهُ الْكِتَابَانِ: مِنْ عَائِشَةَ إِلَيْهِ، و إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ، و قَدْ كَانَ طَلَبَ كِتَابِ الْعَامَّةِ، فَضَمَّهُ إِلَى كِتَابِهِ، فَأَقْبَلَ بِهِمَا، و مَعَهُ كِتَابُ الْخَاصَّةِ و كِتَابُ الْعَامَّةِ:

أَمَّا بَعْدُ، فَتَبَطَّوْا أَيُّهَا النَّاسُ، و اجْلِسُوا فِي بُيُوتِكُمْ إِلَّا عَنْ قَتْلِهِ عَثْمَانَ بْنِ عُقَّانَ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الْكِتَابِ قَالَ: أَمِرْتُ بِأَمْرٍ، و أَمِرْنَا بِأَمْرٍ، أَمِرْتُ أَنْ تَقْرَأَ فِي بَيْتِهَا، و أَمِرْنَا أَنْ نَقَاتِلَ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً؛ فَأَمَرْتَنَا بِمَا أَمِرْتُ بِهِ، و رَكِبْتُ مَا أَمِرْنَا بِهِ.

[فأجابهُ] شَبَثُ بْنُ رَبِيعٍ، ثُمَّ تَكَلَّمَ أَبُو مُوسَى، يَأْمُرُ النَّاسَ بِالْكَفِّ عَنِ النَّفْرِ إِلَى الْجِهَادِ، فَقَامَ زَيْدٌ فَشَالَ يَدَهُ الْمَقْطُوعَةَ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ؛ رَدَّ الْفِرَاتَ عَنِ دِرَاجِهِ، أَرَدَدَهُ مِنْ حَيْثُ يَجِيءُ حَتَّى يَعُودَ كَمَا بَدَأَ، فَإِنْ قَدَرْتَ عَلَى ذَلِكَ فَسْتَقْدِرْ عَلَى مَا تَرِيدُ؛ فَدَعَّ عَنْكَ مَا لَسْتَ مَدْرِكُهُ. ثُمَّ قَرَأَ:

«الْمُؤْمِنُونَ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ»^{٣٨٦}.

سيروا إلى أمير المؤمنين، و سيّد المسلمين، و انفروا إليه أجمعين تصيبوا الحق^{٣٨٧}.

فنفّر النَّاسَ و كان من رؤسائهم زَيْدُ بْنُ صُوحَانَ، و كان معه رايَةُ عَبْدِ الْقَيْسِ، و كان زيد مع علي عليه السلام قدّامَ الجمل، فقال له رجل من قومه: تنحّ إلى قومك، مالك و لهذا الموقف! أ لست تعلم أنّ مضرَ بحيالِك، و أنّ الجمل بين يديك، و أنّ الموت دونهُ!

ص: ١٣١

فقال: الموتُ خَيْرٌ مِنَ الْحَيَاةِ، الْمَوْتُ مَا أَرِيدُ، فَأَصِيبُ^{٣٨٨}.

قال زَيْدٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا أَرَانِي إِلَّا مَقْتُولًا.

قال له - عليّ عليه السلام -:

«وَمَا عَلِمَكَ بِذَلِكَ يَا أَبَا سَلَيْمَانَ؟»

قال: رأيت يدي نزلت من السَّمَاءِ، و هي تستشيلني^{٣٨٩}.

لمّا صرع زَيْدُ بْنُ صُوحَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْجَمَلِ، جَاءَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى جَلَسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ:

^{٣٨٦} (١). العنكبوت: ١ و ٢. ^{٣٨٧} (٢). تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٤٨٣ - ٤٨٤؛ الجمل: ص ٢٤٨ و فيه من قوله «فقام زيد فشال يده» نحوه، الغارات: ج ٢ ص ٩١٩ - ٩٢٠ و راجع: المناقب لابن شهر آشوب: ج ٣ ص ١٥١ و شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٤ ص ١٩ و ص ٢٠ و الفتوح: ج ٢ ص ٤٥٩ و ص ٤٦٠، البداية و النهاية: ج ٧ ص ٢٣٧. ^{٣٨٨} (١). تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥١٤، تاريخ مدينة دمشق: ج ٢٥ ص ١١١. ^{٣٨٩} (٢). المعارف لابن قتيبة: ص ٤٠٢؛ الغدير: ج ٩ ص ٦٨، قاموس الرجال: ج ٤ ص ٥٥٨.

«رَحِمَكَ اللَّهُ يَا زَيْدٌ، قَدْ كُنْتَ خَفِيفَ الْمُؤْنَةِ، عَظِيمَ الْمَعُونَةِ».

قال: فرجع زَيْدُ رأسه إليه، و قال: و أنت، فجزاك اللَّهُ خيراً يا أمير المؤمنين، فو اللَّهُ، ما عَلِمْتُكَ إِلَّا بِاللَّهِ عَليماً، و في أم الكتابِ عَلِماً حَكِماً، و إِنَّ اللَّهَ في صَدْرِكَ لَعَظِيمٌ، و اللَّهُ، ما قَاتَلْتُ مَعَكَ عَلَيَّ جَهَالَةً، و لَكِنِّي سَمِعْتُ أُمَّ سَلَمَةَ، زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ تَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ يَقُولُ:

مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَى مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ، وَانصُرْ مَنْ نَصَرَهُ، وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ،

فَكَرِهْتُ وَ اللَّهُ، أَنْ أَخْذَلَكَ فَيَخْذُلَنِي اللَّهُ.

قال الفضل بن شاذان: ... ثُمَّ عَرَفَ النَّاسَ بَعْدَهُ، فَمِنَ التَّابِعِينَ وَرُؤَسَائِهِمْ وَ زُهَّادِهِمْ زَيْدُ بْنُ صُوحَانَ^{٣٩٠}.

أو زيد فيمن عدّه ابن أبي الحديد من القائلين بتفضيل عليّ عليه السلام فقال: من قال

ص: ١٣٢

بتفضيله على الناس كافة من التابعين فخلق كثير، كأويس القرني، و زَيْدُ بْنُ صُوحَانَ^{٣٩١}.

و قد عدّه الشيخ رحمه الله، في رجاله، من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْأَبْدَالِ، قَتَلَ يَوْمَ الْجَمَلِ^{٣٩٢}. و في الاختصاص عن أبي جعفر عليه السلام قال:

«شَهِدَ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ التَّابِعِينَ، ثَلَاثَةً نَفَرٍ بَصِيفَيْنِ، شَهِدَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ بِالْجَنَّةِ، وَلَمْ يَرَهُمْ:

أويسُ القرني، و زَيْدُ بْنُ صُوحَانَ العبدى، و جُنْدُبُ الْأَزْدِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ^{٣٩٣}.

و عن الأصغر بن نباتة قال: لَمَّا أَنْ أُصِيبَ زَيْدُ بْنُ صُوحَانَ يَوْمَ الْجَمَلِ، أَتَاهُ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ بِهِ رَمَقٌ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَهُوَ لِمَا بِهِ فَقَالَ:

«رَحِمَكَ اللَّهُ يَا زَيْدُ فَوَاللَّهِ مَا عَرَفْنَاكَ إِلَّا خَفِيفَ الْمُؤْنَةِ كَثِيرَ الْمَعُونَةِ».

^{٣٩٠} (٣). رجال الكشي: ج ١ ص ٢٨٤ الرقم ١١٩ و ١٢٠، الغارات: ج ٢ ص ٨٩٤ إلى قوله «و الله في صدرك عظيم»، الاختصاص: ص ٧٩ إلى قوله «فيخذلني الله»، قاموس الرجال: ج ٤ ص ٥٥٧ الرقم ٣٠٤٨، تنقيح المقال: ج ١ ص ٤٦٦، معجم رجال الحديث: ج ٧ ص ٣٤٢ الرقم ٤٨٦٠.

^{٣٩١} (١). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢٠ ص ٢٢٦.

^{٣٩٢} (٢). رجال الطوسي: ص ٦٤ الرقم ٥٦٦.

^{٣٩٣} (٣). الاختصاص: ص ٨١ و ٨٢، قاموس الرجال: ج ٤ ص ٥٥٩، بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٦١٨ ح ٤٨٤.

قال: فرفع إليه رأسه، فقال: وَأَنْتَ يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَوَاللَّهِ مَا عَرَفْتُكَ إِلَّا بِاللَّهِ عَالِمًا، وَبِآيَاتِهِ عَارِفًا، وَاللَّهِ، مَا قَاتَلْتُ مَعَكَ مِنْ جَهْلٍ، وَ لَكِنِّي سَمِعْتُ حُدَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ:

«عَلَى أَمِيرِ الْبُرَّةِ، وَقَاتِلِ الْفَجْرَةَ، مَنْصُورٌ مَن نَصْرَهُ، مَخْذُولٌ مَن خَذَلَهُ، أَلَا وَإِنَّ الْحَقَّ مَعَهُ، أَلَا وَإِنَّ الْحَقَّ مَعَهُ يَتَّبِعُهُ، أَلَا فَمِيلُوا مَعَهُ»^{٣٩٤}.

أنقل في المعيار و الموازنة كلاماً له في الكوفة، يقرظ علياً عليه السلام و يستنفر قال:

ثُمَّ قَامَ زَيْدُ بْنُ صُوحَانَ: فَحَمَدَ اللَّهَ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ، وَ صَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، ثُمَّ قَالَ:

ص: ١٣٣

أَيُّهَا النَّاسُ، مَا فِي اللَّهِ وَ لَا فِي نَبِيِّهِ مِنْ شَكٍّ، وَ لَا بِالْحَقِّ وَ الْبَاطِلِ مِنْ خِفَاءٍ، وَ إِنَّا نَكْمُ عَلَى أَمْرِ جَدِّدٍ، وَ صِرَاطِ قِيَمٍ، إِنَّ بَيْعَةَ عَلِيٍّ بَيْعَةٌ مَرْضِيَّةٌ، لَا تُقْبَضُ عَنْهَا يَدٌ مُوقِنٍ وَ لَا يَبْسُطُ إِلَيْهَا مُخْطِئٌ كَفَّةً.

أَيُّهَا النَّاسُ، هَلْ تَعْلَمُونَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ مِنْ خَلْفٍ؟ هَلْ تَنْقَمُونَ لَهُ سَابِقَةً؟

أَوْ تَذَمُّونَ لَهُ لِاحِقَةً؟ أَوْ تَرَوْنَ بِهِ أَوْدًا؟ أَوْ تَخَافُونَ مِنْهُ جَهْلًا؟ أَوْ لَيْسَ هُوَ صَاحِبَ الْمَوَاطِنِ الَّتِي مِنْ فَضْلِهَا لَا تَعْدِلُونَ بِهِ؟ فَمَنْ عَمُودُ هَذَا الْأَمْرِ وَ نِظَامُهُ إِلَّا هُوَ؟ وَ قَدْ جَاءَنَا أَمْرُ اللَّهِ، وَ سَمِعْنَاهُ قَبْلَ مَجِيئِهِ، وَ لَا بَدَّ لَهُ مِنْ أَنْ يَتِمَّ كَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَيْهِ.

ثُمَّ رَفَعَ صَوْتَهُ يِنَادِي: عِبَادَ اللَّهِ، إِنِّي لَكُمْ نَاصِحٌ، وَ عَلَيْكُمْ مُشْفِقٌ، أَحِبُّ أَنْ تَرْتُدُّوا وَ لَا تَغُوءُوا، وَ إِنَّهُ لَا بَدَّ لِهَذَا الدِّينِ مِنْ وَالٍ يُنْصِفُ الضَّعِيفَ مِنَ الشَّدِيدِ، وَ يَأْخُذُ لِلْمَظْلُومِ بِحَقِّهِ مِنَ الظَّالِمِ، وَ يُقِيمُ كِتَابَ اللَّهِ، وَ يُحْيِي سُنَّةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

أَلَا وَ إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَفْقَهُ فِي دِينِ اللَّهِ، وَ لَا أَعْلَمَ بَكِتَابِ اللَّهِ، وَ لَا أَقْرَبَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَانْفِرُوا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَ سَيِّدِ الْمُسْلِمِينَ، وَ سَيِّرُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ، فَإِنَّا سَائِرُونَ،

«أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَ هُمْ لَا يُفْتَنُونَ»^{٣٩٥ ٣٩٦}.

و في الطبقات في ترجمته صَعَصَعَةً: وَ كَانَ خَطِيبًا، وَ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَ شَهِدَ مَعَهُ الْجَمْلَ، هُوَ وَ أَخُوهُ زَيْدٌ وَ سِيحَانُ ابْنَا صُوحَانَ، وَ كَانَ سِيحَانُ الْخَطِيبَ قَبْلَ صَعَصَعَةَ، وَ كَانَتْ الرَّأْيَةُ يَوْمَ الْجَمْلِ فِي يَدِهِ، فَقَتَلَ فَأَخَذَهَا زَيْدٌ فَقَتَلَ، فَأَخَذَهَا صَعَصَعَةُ^{٣٩٧}.

^{٣٩٤} (٤). المناقب للخوارزمي: ص ١٧٧ ح ٢١٥؛ كشف الغمة: ج ١ ص ١٤٧، الطرائف: ج ١ ص ١٠٣ الرقم ١٥١، بحار الأنوار: ج ٣٨ ص ٣٥ ح

١٠.

^{٣٩٥} (١). العنكبوت: ٢.

^{٣٩٦} (٢). المعيار و الموازنة: ص ١٢٠.

^{٣٩٧} (٣). الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ٢٢١.

قال المسعودى فى مروج الذهب: فقال ابن عباس له [أى لصعصعة]:

فأين أخواك منك يا بن صوحان؟ صِفْهُمَا لِأَعْرِفَ وَرَتِّكُم، قال: أمَّا زَيْدٌ فَمَا قَالَ أَخُو غَنِيٍّ:

فَتْنِي لَا يُبَالِي أَنْ يَكُونَ بِوَجْهِهِ إِذَا سَدَّ خَلَّتِ الْكِرَامِ شُحُوبُ

إِذَا مَا تَرَاهُ الرَّجَالُ تَحَفَّطُوا فَلَمْ يَنْطِقُوا الْعَوَاءَ وَ هُوَ قَرِيبُ

حَلِيفُ النَّدَى يَدْعُو النَّدَى فَيَجِيبُهُ إِلَيْهِ وَ يَدْعُوهُ النَّدَى فَيَجِيبُ

بَيْتِ النَّدَى يَا أُمَّ عَمْرُو ضَجِيعُهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْمُنْقِيَاتِ حَلُوبُ

كَأَنَّ بُيُوتَ الْحَيِّ مَا لَمْ يَكُنْ بِهَا بَسَابِسُ مَا يُلْفَى بِهِنَّ عَرِيبُ

فى أبيات، كان و الله، يا بن عباس عظيم المروءة، شريف الاخوة، جليل الخطر، بعيد الأثر، كمش العروة، أليف البدوة، سليم جوانح الصدر، قليل وساوس الدهر، ذاكراً لله طرفي النهار و زلفاً من الليل، الجوع و الشبع عنده سبان، لا ينافس فى الدنيا، و أقل أصحابه من ينافس فيها، يطيل السكوت، و يحفظ الكلام، و إن نطق نطق بعقام، يهرب منه الدغار الأشرار، و يألفه الأحرار الأخيار، فقال ابن عباس: ما ظنك برجل من أهل الجنة، رحم الله زيدا^{٣٩٨}.

زيد بن صوحان بن حُجْر العبدى أخو صَعَصَعَة و سيحان. كان خطيباً^{٣٩٩} مصقياً و شجاعاً ثابت الخُطى^{٤٠٠}، و كان من العظماء، و الزَّهَّاد، و الأبدال^{٤٠١}، و من

ص: ١٣٥

أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام الأوفياء^{٤٠٢}.

أسلم في عهد النبي صلى الله عليه و آله فعدَّ من الصحابة^{٤٠٣}. و له وفادة على النبي صلى الله عليه و آله^{٤٠٤}.

و كان لزيد لسان ناطق بالحقّ مبين للحقائق، فلم يُطق عثمان وجوده بالكوفة، فنفاه إلى الشام^{٤٠٥}. و عند ما بلور الثوار تحرّكهم المناهض لعثمان، التحق بهم أهل الكوفة في أربع مجاميع؛ كان زيد على رأس أحدها^{٤٠٦}. و اشترك في حرب الجمل^{٤٠٧}، و أخبر بشهادته^{٤٠٨}. كتبت إليه عائشة تدعوه إلى نصرتها، فلما قرأ كتابها نطق بكلام رائع نابه ...^{٤٠٩}.

كان لساناً ناطقاً معبراً في الدفاع عن أمير المؤمنين عليه السلام، و كان له باعٌ في دعمه و حمايته^{٤١٠}.

و في تاريخ مدينة دمشق عن أبي سليمان: لما ورد علينا سلمان الفارسيّ أتيناها

ص: ١٣٦

نستقرئه القرآن، فقال: إن القرآن عربى فاستقرؤه رجلاً عربياً. و كان يقرئنا زيد بن صوحان، و يأخذ عليه سلمان، فإذا أخطأ ردّ عليه سلمان^{٤١١}.

و عن أبي قدامة: كان سلمان علينا بالمدائن، و هو أميرنا، فقال: إننا امرنا أن لا نؤمكم، تقدّم يا زيد، فكان زيد بن صوحان يؤمنا و يخطبنا^{٤١٢}.

و في الطبقات الكبرى عن ملحان بن ثروان: إن سلمان كان يقول لزيد بن صوحان يوم الجمعة: قم فذكّر قومك^{٤١٣}.

^{٣٩٩} (٢). تاريخ مدينة دمشق: ج ١٩ ص ٤٤٠، البرصان و العرجان: ص ٣٩٩.

^{٤٠٠} (٣). رجال الطوسي: ص ٦٤ الرقم ٥٦٦؛ البرصان و العرجان: ص ٣٩٩.

^{٤٠١} (٤). تاريخ بغداد: ج ٨ ص ٤٣٩ الرقم ٤٥٤٩، سبب أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٥٢٥ الرقم ١٣٣، الاستيعاب:

ج ٢ ص ١٢٤ الرقم ٨٥٧، اسد الغابة: ج ٢ ص ٣٦٤ الرقم ١٨٤٨، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٣ ص ٥٠٩.

^{٤٠٢} (١). رجال الطوسي: ص ٦٤ الرقم ٥٦٦.

^{٤٠٣} (٢). سبب أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٥٢٥ الرقم ١٣٣، الاستيعاب: ج ٢ ص ١٢٤ الرقم ٨٥٧، اسد الغابة: ج ٢ ص ٣٦٤ الرقم ١٨٤٨.

^{٤٠٤} (٣). تاريخ مدينة دمشق: ج ١٩ ص ٤٢٩.

^{٤٠٥} (٤). أنساب الأشراف: ج ٦ ص ١٥٥، الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ١٢٤، تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٣٢٦، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٩ ص ٤٢٩.

^{٤٠٦} (٥). أنساب الأشراف: ج ٦ ص ١٥٥، الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ١٢٤، تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٣٢٦، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٩ ص ٤٢٩.

^{٤٠٧} (٦). الاستيعاب: ج ٢ ص ١٢٥ الرقم ٨٥٧، اسد الغابة: ج ٢ ص ٣٦٤ الرقم ١٨٤٨، سبب أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٥٢٦ الرقم ١٣٣.

^{٤٠٨} (٧). سبب أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٥٢٦ الرقم ١٣٣، الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ١٢٣.

^{٤٠٩} (٨). رجال الكشي: ج ١ ص ٢٨٤ الرقم ١٢٠؛ تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٤٧٦، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣١٩ كلاهما نحوه.

^{٤١٠} (٩). رجال الكشي: ج ١ ص ٢٨٤ الرقم ١١٩، الاختصاص: ص ٧٩.

^{٤١١} (١). تاريخ مدينة دمشق: ج ١٩ ص ٤٣٩.

^{٤١٢} (٢). تاريخ مدينة دمشق: ج ١٩ ص ٤٣٩ و راجع الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ١٢٤.

و عن ابن أبي الهذيل: دعا عمر بن الخطّاب زَيْد بن صوحان فضفّنه^{٤١٤} على الرّحل كما تَضفنون^{٤١٥} امراءكم، ثمّ التفت إلى النَّاس فقال: اصنعوا هذا بزید و أصحاب زَيْد^{٤١٦}.

عن عبد الله بن أبي الهذيل: إنّ وفد أهل الكوفة قدموا على عمر، و فيهم زَيْد بن صوحان ... و جعل عمر يرحل لزید، و قال: يا أهل الكوفة، هكذا فاصنعوا بزید و إلّا عذبّتكم^{٤١٧}.

و عن إبراهيم: كان زَيْد بن صوحان يُحدّث، فقال أعرابي: إنّ حديثك

ص: ١٣٧

ليُعجبني، و إنّ يدك لتُربيني. فقال: أ و ما تراها الشّمال؟

فقال: و الله ما أدري، اليمين يقطعون أم الشّمال؟

فقال زَيْد: صدق الله

«الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَ نِفَاقًا وَ أَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ»^{٤١٨}.

و في البرصان و العرجان: زَيْد بن صوحان العبدى، الخطيب الفارس القائد، و في الحديث المرفوع:

«يَسِيقُهُ عُضْوٌ مِنْهُ إِلَى الْجَنَّةِ».

و زَيْد هو الَّذى قال لعلّى بن أبى طالب رحمة الله عليهما: إنّى مقتولٌ غدًا.

قال:

«وَلِمَ؟»

قال: رأيت يدي في المنام، حتّى نزلت من السّماء فاستشلت يدي.

^{٤١٣} (٣). الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ١٢٤، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٩ ص ٤٤٠.
^{٤١٤} (٤). الضفون: ضفون الشيء على ناقته: حمل إياه عليها (تاج العروس: ج ١٨ ص ٣٤٧).
^{٤١٥} (٥). تَضفنون: ضفون على ناقته: حمل عليها.
^{٤١٦} (٦). الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ١٢٤، سِير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٥٢٧ الرقم ١٣٣، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٩ ص ٤٣٨.
^{٤١٧} (٧). الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ١٢٤، سِير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٥٢٦ الرقم ١٣٣، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٩ ص ٤٣٨ و ليس فيه «و إلّا عذبّتكم».
^{٤١٨} (١). التوبة: ٩٧.
^{٤١٩} (٢). الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ١٢٣، سِير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٥٢٦ الرقم ١٣٣، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٩ ص ٤٣٧، البرصان و العرجان: ص ٤٠٠ نحوه.

فلما قتله عمير بن يثربى مبارزة، و مرّ به عليّ بن أبي طالب و هو مقتول، فوقف و قال:

«أما واللّه ما علّمتك إلّاحضير المَعُونَةِ، خَفِيفِ المَوْوَنَةِ»^{٤٢٠}.

أُوَيْسُ القَرْنِيِّ

هو اويس بن عامر بن جزء المرادى القرنى. كان طاهر الفطرة، سليم الفكرة، و وجهاً متألّقاً فى التّاريخ الإسلامى. أسلم على عهد النّبىّ صلى الله عليه و آله، لكنّه ما رآه^{٤٢١}. لذا عدّ فى التّابعين.

ص: ١٣٨

وصفه رسول الله صلى الله عليه و آله بأنّه أفضل التّابعين و أعلاهم شأنًا^{٤٢٢}، و صرّح بأنّه يشفع لخلق كثيرين يوم القيامة^{٤٢٣}. و كان فى عداد الزّهّاد المشهورين^{٤٢٤}، و أحد ثمانيتهم المعروفين^{٤٢٥}. لم يكن له حضور مشهور فى القضايا الاجتماعيّة، و كان نصيباً^{٤٢٦} فى العبادة، و نُقل أنّه ربّما أمضى اللّيل كلّه ساجداً. شهد مع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الجمل، و صفّين، و عاهده على الشّهادة فى صفّين. و فيها نال ذلك الوسام مخضباً بدمه، و دُفن هناك^{٤٢٧}.

و قد وصف الإمام موسى بن جعفر عليه السلام اويساً، و صفاً يبيّن منزلته الرّفيعه، حين قال:

«إذا كانَ يومُ القيامةِ نادى مُنادٍ ... أينَ حوارِبو عليّ بنِ أبي طالبٍ ... فيقومُ عمروبنُ الحمِق ... و اويسُ القَرْنِيُّ»^{٤٢٨}.

قال رسول الله صلى الله عليه و آله:

«خَلِيلِي مِنْ هَذِهِ الامّةِ اويسُ القَرْنِيُّ»^{٤٢٩}

ص: ١٣٩

^{٤٢٠} (٣). البرصان و العرجان: ص ٣٩٩، المعارف لابن قتيبة: ص ٤٠٢ نحوه و ليس فيه من «و مرّ به عليّ ...».
^{٤٢١} (٤). راجع: تاريخ مدينة دمشق: ج ٩ ص ٤١٥، حلية الأولياء: ج ٢ ص ٨٦، اسد الغابة: ج ١ ص ٣٣٢ الرقم ٣٣١؛ رجال الكشي: ج ١ ص ٣١٦ الرقم ١٥٦.
^{٤٢٢} (١). راجع: صحيح مسلم: ج ٤ ص ١٩٦٨ ح ٢٢٤، الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ١٦٣، المستدرك على الصحيحين: ج ٣ ص ٤٥٥ ح ٥٧١٧، تاريخ مدينة دمشق: ج ٩ ص ٤١٣ و فيه «من خير التابعين»؛ رجال الكشي: ج ١ ص ٣١٥ الرقم ١٥٥.
^{٤٢٣} (٢). راجع: المستدرك على الصحيحين: ج ٣ ص ٥٨ ح ٥٧٢١، المصنّف لابن أبي شيبة: ج ٧ ص ٥٣٩ ح ٥٠، دلائل النبوّة للبيهقي: ج ٦ ص ٣٧٨، الإرشاد: ج ١ ص ٣١٦، رجال الكشي: ج ١ ص ٣١٦ الرقم ١٥٦.
^{٤٢٤} (٣). اسد الغابة: ج ١ ص ٣٣٢ الرقم ٣٣١، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٣ ص ٥٥٥.
^{٤٢٥} (٤). تهذيب الكمال: ج ٢٤ ص ٢١٩ الرقم ٤٩٩٦، تاريخ مدينة دمشق: ج ٥٠ ص ٢٥٠.
^{٤٢٦} (٥). نصيب الرجل: أعيان و تعيب (لسان العرب: ج ١ ص ٧٥٨).
^{٤٢٧} (٦). راجع: المستدرك على الصحيحين: ج ٣ ص ٤٥٥، اسد الغابة: ج ١ ص ٣٣٣ الرقم ٣٣١؛ رجال الكشي: ج ١ ص ٣١٦ الرقم ١٥٦، وقعة صفّين: ص ٣٢٤.
^{٤٢٨} (٧). رجال الكشي: ج ١ ص ٤١ الرقم ٢٠، الاختصاص: ص ٦١ كلاهما عن أسباط بن سالم، روضة الواعظين: ص ٣٠٩.
^{٤٢٩} (٨). الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ١٦٣، تاريخ مدينة دمشق: ج ٩ ص ٤٤٢ كلاهما عن سلام بن مسكين عن رجل.

و في صحيح مسلم عن اسير بن جابر: كان عمر بن الخطّاب إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن، سألهم: أ فيكم اويس بن عامر؟ حتّى أتى على اويس، فقال: أنت اويس بن عامر؟ قال: نعم، قال: من مُراد، ثمّ من قَرَن؟ قال: نعم، قال: فكان يك برص فبرأت منه إلّا موضع درهم؟ قال: نعم. قال: لك والده؟ قال: نعم.

قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول:

«يأتى عليكم اويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مُراد، ثمّ من قَرَن، كان به برص فبرأ منه إلّا موضع درهم، له والده هو بها برّ، لو أقسم على الله لأبره؛ فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل»

فاستغفر لي، فاستغفر له.

فقال له عمر: أين تريد؟ قال: الكوفة، قال: أ لا أكتب لك إلى عاملها؟ قال:

أكون في غبراء^{٤٣٠} الناس أحب إليّ.

قال: فلمّا كان من العام المقبل حجّ رجل من أشرافهم، فوافق عمر، فسأله عن اويس، قال: تركته رثّ البيت، قليل المتاع^{٤٣١}.

و في المستدرک على الصحيحين عن عبد الرحمن بن أبي ليلى: لمّا كان يوم صَفِين نادى منادٍ من أصحاب معاوية أصحاب عليّ: أ فيكم اويس القرنيّ؟ قالوا: نعم، فضرب دابته حتّى دخل معهم، ثمّ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول:

«خَيْرُ التَّابِعِينَ اُويُسُ الْقُرْنِيِّ»^{٤٣٢}

ص: ١٤٠

و في حلية الأولياء عن أصبغ بن زُيد: إنّما منع اويساً أن يقدم على رسول الله صلى الله عليه و آله برّه بأمّه^{٤٣٣}.

و في خصائص الأئمة- عن الأصبغ بن نباتة-: كنت مع أمير المؤمنين عليه السلام بصَفِين فبايعه تسعة و تسعون رجلاً، ثمّ قال:

^{٤٣٠} (١). غبراء الناس: أي فقراؤهم، و منه قيل للمحاييج: بنو غبراء، كأنهم نُسبوا إلى الأرض و التراب (النهاية: ج ٣ ص ٣٣٨).
^{٤٣١} (٢). صحيح مسلم: ج ٤ ص ١٩٦٩ ح ٢٢٥، المستدرک على الصحيحين: ج ٣ ص ٤٥٦ ح ٥٧١٩، اسد الغاية: ج ١ ص ٣٣٢ الرقم ٣٣١، الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ١٦٣ و ص ١٦٢، تاريخ مدينة دمشق: ج ٩ ص ٤١٧ كلاهما نحوه و راجع المصنّف لابن أبي شيبة: ج ٧ ص ٥٣٩ ح ٢ و رجال الكشي: ج ١ ص ٣١٦ الرقم ١٥٦.
^{٤٣٢} (٣). المستدرک على الصحيحين: ج ٣ ص ٤٥٥ ح ٥٧١٧، الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ١٦٣ و فيه «إنّ من خير» بدل «خير»، تاريخ مدينة دمشق: ج ٩ ص ٤٤٢، حلية الأولياء: ج ٢ ص ٨٦ و فيه «اويس القرني خير التابعين بإحسان» بدل «خير التابعين...»؛ رجال الكشي: ج ١ ص ٣١٥ الرقم ١٥٥ و ص ٣١٦ الرقم ١٥٦ و الثلاثة الأخيرة نحوه.
^{٤٣٣} (١). حلية الأولياء: ج ٢ ص ٨٧.

أَيْنَ تَمَامِ الْمَنَّةِ؟ فَقَدَ عَهْدَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ يُبَايِعُنِي فِي هَذَا الْيَوْمِ مِئَةَ رَجُلٍ، فَقَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ عَلَيْهِ قَبَاءٌ صَوْفٌ، مُتَقَلِّدٌ سَيْفِينَ، فَقَالَ: هَلَمْ يَدُكُ ابْيَاعُكَ، فَقَالَ عَلِيٌّ مَا تَبَايَعُنِي؟ قَالَ: عَلِيٌّ بَذَلَ مَهْجَةً نَفْسِي دُونَكَ.

قَالَ: وَمَنْ أَنْتَ، قَالَ: أُوَيْسُ الْقُرْنِيِّ، فَبَايَعَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُقَاتِلُ بَيْنَ يَدَيْهِ حَتَّى قُتِلَ، فَوُجِدَ فِي الرَّجَالِ مَقْتُولًا^{٤٣٤}.

وَقَالَ الْإِمَامُ الْكَاطِمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ... يُنَادَى مُنَادٍ: أَيْنَ حَوَارِيُّو عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَصِيَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؟ فَيَقُومُ عَمْرُوبُ بْنُ الْحَمِقِ الْخَزَاعِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَمَيْثَمُ بْنُ يَحْيَى التَّمَّارُ مَوْلَى بَنِي أَسَدٍ، وَأُوَيْسُ الْقُرْنِيُّ»^{٤٣٥}.

و فِي الْأَمَالِيِّ لِلطُّوسِيِّ: قِيلَ لِأُوَيْسِ بْنِ عَامِرِ الْقُرْنِيِّ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا أَبَا عَامِرٍ؟

قَالَ: مَا ظَنَنْتُكُمْ بَعْدَ أَنْ يَرِحَ إِلَى الْآخِرَةِ كُلِّ يَوْمٍ مَرِحَلَةً، لَا يَدْرِي إِذَا انْقَضَى سَفَرُهُ أَعَلَى جَنَّةٍ يَرِدُ أَمْ عَلَى نَارٍ؟^{٤٣٦}

ص: ١٤١

و فِي حَلِيَّةِ الْأَوْلِيَاءِ عَنْ أَصْبَغِ بْنِ زَيْدٍ: كَانَ أُوَيْسُ الْقُرْنِيُّ إِذَا أَمْسَى يَقُولُ: هَذِهِ

لَيْلَةُ الرَّكُوعِ، فَيُرْكَعُ حَتَّى يُصْبِحَ.

وَ كَانَ يَقُولُ إِذَا أَمْسَى: هَذِهِ لَيْلَةُ السُّجُودِ، فَيَسْجُدُ حَتَّى يُصْبِحَ.

وَ كَانَ إِذَا أَمْسَى تَصَدَّقَ بِمَا فِي بَيْتِهِ مِنَ الْفَضْلِ مِنَ الطَّعَامِ وَ الثِّيَابِ، ثُمَّ يَقُولُ:

اللَّهُمَّ مِنْ مَاتَ جَوْعًا فَلَا تُؤَاخِذْنِي بِهِ، وَ مِنْ مَاتَ عَرِيَانًا فَلَا تُؤَاخِذْنِي بِهِ^{٤٣٧}.

سَيِّحَانُ بْنُ صُوحَانَ الْعَبْدِيُّ

بِالسِّينِ الْمَهْمَلَةُ، وَ الْيَاءِ الْمَثْنَاءُ مِنْ تَحْتِ، وَ الْحَاءِ الْمَهْمَلَةُ كَمَا فِي الْقَامُوسِ عَنْ ابْنِ الْأَثِيرِ فِي الْكَامِلِ، وَ سَبْحَانَ: بِالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ بَدَلَ الْيَاءِ كَمَا عُنُونُهُ أَيْضًا فِي التَّنْقِيحِ وَ الْقَامُوسِ^{٤٣٨}، وَ الصَّحِيحُ الْأَوَّلُ كَمَا صَرَّحَ بِهِ الْجَزْرِيُّ، وَ يُؤَيِّدُهُ نَسْخَةُ الطَّبَقَاتِ.

^{٤٣٤} (٢). خصائص الأنفة عليهم السلام: ٥٣، رجال الكشي: ج ١ ص ٣١٥ الرقم ١٥٦ و راجع الإرشاد: ج ١ ص ٣١٥ و إعلام الوری: ج ١ ص ٣٣٧ و المستدرک علی الصحیحین: ج ٣ ص ٤٥٥ ح ٥٧١٨.

^{٤٣٥} (٣). رجال الكشي: ج ١ ص ٤١ الرقم ٢٠، الاختصاص: ص ٦١ كلاهما عن أسباط بن سالم، روضة الواعظین: ص ٣٠٩.

^{٤٣٦} (٤). الأمالي للطوسي: ص ٦٤١ ح ١٣٢٨.

^{٤٣٧} (١). حلية الأولياء: ج ٢ ص ٨٧.

^{٤٣٨} (٢). راجع قاموس الرجال: ج ٤ ص ٦٢٠ الرقم ٣١٠٤، تنقيح المقال: ج ٢ ص ٧ و ٧٨، الغارات: ج ٢ ص ٨٨٧، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٥١، الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ٢٢١.

كان أحد الأمراء في قتال أهل الردّة، و قد تقدّم أنّهم كانوا لا يؤمّرون إلّا الصّحابة، و يقال: إنّ سيّحان قتل يوم الجمل^{٤٣٩}.

كان هو و إخوته خطباء، خطب هو يوم استنفر أهل الكوفة إلى الجمل، و قال:

«أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَا بُدَّ لِهَذَا الْأَمْرِ، وَ هَؤُلَاءِ النَّاسِ مِنْ وَالٍ يَدْفَعُ الظَّالِمَ، وَ يُعِزُّ الْمَظْلُومَ، وَ يَجْمَعُ النَّاسَ، وَ هَذَا وَالِيكُمْ، يَدْعُوكُمْ لِيَنْظُرَ فِيمَا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ صَاحِبِيهِ، وَ هُوَ الْمَأْمُونُ عَلَى الْأُمَّةِ، الْفَقِيهَ فِي الدِّينِ، فَمَنْ نَهَضَ إِلَيْهِ فَإِنَّا سَائِرُونَ مَعَهُ»^{٤٤٠}

ص: ١٤٢

من خطبائهم- عبد القيس- المشهورين: صعصعة بن صوحان و زَيْد بن صوحان و سيّحان بن صوحان^{٤٤١}.

و قد تقدّم عن الطّباقات: أنّ سيّحان كان الخطيب قبل صعصعة، و كان ممّا قال معاوية في أبناء صوحان: أنّهم مخاريق الكلام^{٤٤٢}.

قال الطّبري- في أخبار المرتدّين بعد النّبىّ صلى الله عليه و آله-: و قد رأى المسلمون الخلل، و رأى المشركون الظّفر، جاءت المسلمين مواضعهم العظمى من بنى ناجية، و عليهم الخريّت بن راشد، و من عبد القيس و عليهم سيّحان بن صوحان ...^{٤٤٣}.

و دفن مع أخيه زَيْد في قبرٍ واحدٍ^{٤٤٤}.

صُعَصَعَةُ بنِ صُوحَانَ العَبْدِيُّ

هو صعصعة بن صوحان بن حَجْر ... بن لَكِيْز بن أَفْصَى بن عبد القيس الرّبعيّ العبديّ، كان مسلماً على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله، و لم يلقه، صَغُرَ عن ذلك^{٤٤٥}.

عدّه الشّيخ رحمه الله من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، و عدّه البرقيّ من خواصّ أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام^{٤٤٦}.

ص: ١٤٣

^{٤٣٩} (٣). راجع: تاريخ الطبري: ج ٣ ص ٣١٥، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٤٣، الإصابة: ج ٣ ص ٣٧٥، الاستيعاب: ج ٢ ص ٢٧٣.

^{٤٤٠} (٤). تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٤٨٤، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٢٨؛ أعيان الشيعة: ج ٧ ص ٣٢٥.

^{٤٤١} (١). الغارات: ج ٢ ص ٧٨٩.

^{٤٤٢} (٢).. راجع: مواقف الشيعة: ج ١ ص ٢٣٢.

^{٤٤٣} (٣). تاريخ الطبري: ج ٣ ص ٣١٥، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٤٣ و راجع: الإصابة: ج ٣ ص ٣٧٥ الرقم ٤١٥٣.

^{٤٤٤} (٤). الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ١٢٥، سير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٥٢٨ الرقم ١٣٤، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٩ ص ٤٤٥.

^{٤٤٥} (٥). راجع: الاستيعاب: ج ٢ ص ٢٧٣ الرقم ١٢١٦، أسد الغابة: ج ٣ ص ٢١، الإصابة: ج ٣ ص ٣٤٨، تهذيب التهذيب: ج ٢ ص ٥٤٦؛ تنقيح المقال: ج ٢ ص ٩٨، أعيان الشيعة: ج ٧ ص ٣٨٧-٣٨٨.

^{٤٤٦} (٦). راجع: قاموس الرجال: ج ٥ ص ٤٩٢، تنقيح المقال: ج ٢ ص ٩٩، معجم رجال الحديث: ج ٢ ص ١٠٤-١٠٥.

قال أبو عبد الله عليه السلام:

«ما كان مع أمير المؤمنين عليه السلام من يعرف حقه إلا، صعصعته وأصحابه^{٤٤٧}.

و كان صعصعته من الذين قالوا بتفضيل عليّ عليه السلام على الناس كافة^{٤٤٨}.

كان سيّداً من سادات قومه عبد القيس، و كان فصيحاً، خطيباً، عاقلاً، لسيناً، ديناً، فاضلاً، بليغاً، يُعدّ في أصحاب عليّ عليه السلام، و له مع معاوية مواقف، قال الشعبي: كنت أتعلّم منه الخطب^{٤٤٩}.

و قال الجاحظ: و شأن عبد القيس عجب، و ذلك: أنّهم بعد مُحارَبَةِ إِيَادٍ تفرّقوا فرقتين، ففرقة وقعت بعُمان، و شقّ عُمان، و هم خطباء العرب ... و من خطبائهم المشهورين، صعصعة بن صوحان، و زيد بن صوحان و سيحان بن صوحان^{٤٥٠}.

و كان يضرب بخطبته المثل، و يقال هو أخطب من صعصعة^{٤٥١}.

و قد مدحه أمير المؤمنين عليه السلام بالفصاحة، فقال فيه: «هذا الخطيب الشّحشح» يريد به: الماهر بالخطبة الماضي فيها، و قال ابن أبي الحديد: هذه الكلمة قالها عليّ عليه السلام لصعصعة بن صوحان العبدى رحمه الله، و كفى صعصعة بها فخراً، أن يكون مثل

ص: ١٤٤

عليّ عليه السلام يثنى عليه بالمهارة و فصاحة اللسان، و كان صعصعة من أفصح الناس^{٤٥٢}.

حضر صعصعة مجلس عمر بن الخطّاب، و هو يشاور أصحابه في مال أرسله أبو موسى، و كان ألف ألف درهم، فقسّمه و فضل منه فضله، ما ذا يصنع به؟ فقام صعصعة - و هو غلام شاب - فقال: يا أمير المؤمنين، إنّما تُشاورُ النَّاسَ فيما لم ينزل فيه قرآن، فأما ما نزل به القرآن، فضعه مواضعه التي وضعه الله - عز و جل - فيها.

فقال: صدقت^{٤٥٣}.

^{٤٤٧} (١). الغارات: ج ٢ ص ٨٨٨ - ٨٩١ (التعليقة ٦٠)، رجال الكشي: ج ١ ص ٦٨ الرقم ١٢٢، تنقيح المقال: ج ٢ ص ٩٩، سفينة البحار: ج ٥ ص ١٠٦.

^{٤٤٨} (٢). راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢٠ ص ٢٢٦.

^{٤٤٩} (٣). راجع: الاستيعاب: ج ٢ ص ٢٧٣ الرقم ١٢١٦، أسد الغابة: ج ٣ ص ٢١، الإصابة: ج ٣ ص ٣٤٨، تهذيب التهذيب: ج ٢ ص ٥٤٦؛ الغارات: ج ٢ ص ٨٨٧ (التعليقة ٦٠).

^{٤٥٠} (٤). البيان و التبيين: ج ١ ص ٩٦ - ٩٧، الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ٢٢١؛ الغارات: ج ٢ ص ٨٨٧ (التعليقة ٦٠)، سفينة البحار: ج ٥ ص ١١٠. و راجع: بحار الأنوار: ج ٤١ ص ١٤٧.

^{٤٥١} (٥). البيان و التبيين: ج ١ ص ٣٢٧، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٣ ص ٢٩٨؛ قاموس الرجال: ج ٥ ص ٤٩٥.

^{٤٥٢} (١). راجع: الغارات: ج ٢ ص ٨٩٠ - ٨٩١ (التعليقة ٥٢٤)؛ سفينة البحار: ج ٥ ص ١٠٧.

^{٤٥٣} (٢). أسد الغابة: ج ٣ ص ٢١ الرقم ٢٥٠٥، الاستيعاب: ج ٢ ص ٢٧٣، تهذيب التهذيب: ج ٢ ص ٥٤٦، الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ٢٢١، تهذيب الكمال: ج ١٣ ص ١٦٩؛ تنقيح المقال: ج ٢ ص ٩٩، قاموس الرجال: ج ٥ ص ٤٩٥، الغدير: ص ٩ ص ٦٩ - ٧٠.

و فى الغدير للأمينى: لمّا عزل عثمان الوليد بن عُقْبَةَ عن الكوفه، ولّاهما سعيد بن العاص، و أمره بمداراه أهلها، فكان يجالس قرآءها، و وجوه أهلها، و يسامرهم، فيجتمع عنده منهم: مالك بن الحارث الأشرّ النَّخَعِيّ، و زَيْد و صَعَصَعَةُ ابنا صُوحان العبدَيان ... فإنّهم لعنده و قد صلّوا العصر، إذ تذاكروا السّواد و الجبل، ففضّلوا السّواد، و قالوا: هو ينبت ما ينبت الجبل و له هذا النّخل، و كان حَسّان بن مَحْدُوج الدّهْلِيّ، الّذى ابتدأ الكلام فى ذلك، فقال عبد الرّحمن بن خُنيس الأسدَى - صاحب شرطه -: لوددت أنّه للأمير، و إنّ لكم أفضل منه. فقال له الأشرّ: تمنّ للأمير أفضل منه، و لا تمنّ له أموالنا.

فقال عبد الرّحمن: ما يضرّك من تمنّى حتّى تزوى ما بين عينيك، فو الله لو شاء كان له. فقال الأشرّ: و الله لو رام ذلك ما قدر عليه. فغضب سعيد، و قال:

إنّما السّواد بستان لقريش.

ص: ١٤٥

فقال الأشرّ: أ تجعل مراكز رماحنا، و ما أفاء الله علينا، بستاناً لك و لقومك؟

و الله، لو رامه أحد لقرع قرعاً يتصاصاً^{٤٥٤} منه. و وثب بابن خنيس فأخذته الأيدى.

فكتب سعيد بن العاص بذلك إلى عثمان، و قال: إني لا أملك من الكوفه مع الأشرّ و أصحابه ... فكتب إليه (عثمان) أن: سيّرههم إلى الشّام ... فسير سعيد الأشرّ، و من كان وثب مع الأشرّ، و هم: زَيْد و صَعَصَعَةُ ابنا صُوحان ... (فنزّلوا دمشق) فبرّهم معاوية و أكرمهم، ثمّ إنّ جرى بينه و بين الأشرّ قول، حتّى تغالطا فحبسه معاوية ...

فقال لهم معاوية: إنّكم قوم من العرب، ذووا أسنان و ألسنة، و قد أدركتم بالإسلام شرفاً ... و قد بلغنى أنّكم ذمتم قريشاً، و نقمتم على الولاة فيها، و لو لا قريش لكنتم أدلّة، إنّ أنتمتكم لكم جنة، فلا تفرّقوا عن جنتكم

فقال له صَعَصَعَةُ بن صُوحان: أمّا قريش، فإنّها لم تكن أكثر العرب، و لا أمنعها فى الجاهليّة، و إنّ غيرها من العرب لأكثر منها و أمنع.

فقال معاوية: إنّك لخطيب القوم، و لا أرى لك عقلاً، و قد عرفتمكم الآن، و علمت أنّ الذى أغراكم قلّة العقول

و روى الحسن المدائنى: أنّه كان لهم مع معاوية بالشّام مجالس طالت فيها المحاورات و المخاطبات بينهم، و إنّ معاوية قال لهم فى جملة ما قاله: إنّ قريشاً قد عرفت أنّ أباً سفيان أكرمها، و ابن أكرمها، إلّا ما جعل الله لنبيّه صلى الله عليه و آله، فإنّه انتجبه، و أكرمه، و لو أنّ أباً سفيان ولد النّاس كلّهم لكانوا حلماً.

فقال له صَعَصَعَةُ بن صُوحان: كذبت، و قد ولدهم خير من أبى سفيان، من

^{٤٥٤} (١). الصّاصاً: الفرع الشديد. (لسان العرب: ج ١ ص ١٠٧).

خلقه الله بيده و نفخ فيه من روحه، و أمر الملائكة فسجدوا له، فكان فيهم البرُّ و الفاجر، و الكيس و الأحمق.

قال: و من المجالس التي دارت بينهم، أن معاوية قال لهم: أيها القوم ردوا خيراً، و اسكنوا، و تفكروا، و انظروا فيما ينفعكم و المسلمين، فاطلبوه و أطيعوني.

فقال له صَعَصَعَةُ: لست بأهل لذلك، و لا كرامة لك أن تطاع في معصية الله.

فقال: إنَّ أوَّلَ كلام ابتدأت به أن أمرتكم بتقوى الله، و طاعة رسوله، و أن تعتصموا بحبل الله جميعاً و لا تفرقوا.

فقال صَعَصَعَةُ: بل أمرت بالفرقة، و خلاف ما جاء به النبي صلى الله عليه و آله.

فقال: إن كنت فعلت فإني الآن أتوب، و أمركم بتقوى الله، و طاعته، و لزوم الجماعة، و أن توقروا أئمتكم، و تطيعوهم.

فقال صَعَصَعَةُ: إذا كنت تبت، فإننا نأمرك أن تعتزل أمرك؛ فإن في المسلمين من هو أحقُّ به منك، ممَّن كان أبوه أحسن أثراً في الإسلام من أبيك، و هو أحسن قدماً في الإسلام منك.

فقال معاوية: إن لي في الإسلام لقدماء، و إن كان غيري أحسن قدماً مني، لكنَّه ليس في زمانى أحدٌ أقوى على ما أنا فيه مني، و لقد رأى ذلك عمر بن الخطَّاب، فلو كان غيري أقوى مني، لم يكن عند عمر هواده لي و لغيري ...^{٤٥٥}.

[و عند ما] حبس معاوية صَعَصَعَةَ بن صُوحان العبدى، و عبد الله بن الكواء اليشكري، و رجالاً من أصحاب عليّ، مع رجال من قريش. فدخل عليهم معاوية يوماً، فقال: نَشَدْتُكُمْ بِاللَّهِ إِيَّا مَا قُلْتُمْ حَقًّا و صدقاً، أي الخلفاء رأيتُموني؟

فقال ابن الكواء: لو لا أنك عزمت علينا، ما قلنا، لأنك جبارٌ عنيد، لا تراقب الله في قتل الأخيار، و لكننا نقول: إنك ما علمنا واسع الدنيا، ضيق الآخرة، قريب الثرى، بعيد المرعى، تجعل الظلمات نوراً، و النور ظلمات، فقال معاوية: إن الله أكرم هذا الأمر بأهل الشام الذَّابِّينَ عن بَيْضَتِهِ، التَّارِكِينَ لمحارمه، و لم يكونوا كأمثال أهل العراق

ثم تكلم صَعَصَعَةُ فقال: تكلمت يا بن أبي سُفْيَانَ فأبلغت، و لم تقصُر عما أردت، و ليس الأمر على ما ذكرت، أتى يكون الخليفة من ملك الناس قهراً، و دأنهم كبراً، و استولى بأسباب الباطل كذباً و مكرًا؟ أما و الله، ما لك في يوم بدرٍ مضرب و لا مرمى، و ما كنت فيه إلا كما قال القائل: «لا حلى و لا سيري»، و لقد كنت أنت و أبوك في العير و النغير ممَّن أجلب

على رسول الله صلى الله عليه وآله، وإِنَّمَا أَنْتَ طَلِيقٌ ابْنُ طَلِيقٍ، أطلقكما رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، فَأَتَى تَصَلِحُ
الْخِلَافَةَ لِطَلِيقٍ؟

فقال معاوية: لو لا آتى أرجع إلى قول أبى طالب حيث يقول:

قَابَلْتُ جَهْلَهُمْ حِلْمًا وَمَغْفِرَةً و العفو عن قُدْرَةٍ ضَرَبَ مِنْ الْكَرَمِ^{٤٥٦}

قال الأحمدي عفى الله عنه: و لِيَصْغَعَةَ مَوَاقِفُ سَاعِيَهُ مَعَ مَعَاوِيَةَ فِي خِلَافَةِ عَثْمَانَ، حِينَمَا نَفَى إِلَى الشَّامِ، وَ فِي خِلَافَةِ عَلِيٍّ
عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَمَا أَرْسَلَهُ مَعَ الْكِتَابِ لِلِاحْتِجَاجِ، أَوْ أَرْسَلَهُ فِي صَفِّينَ حِينَ مَنَعَ مَعَاوِيَةَ الْمَاءَ، وَ بَعْدَ شَهَادَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ،
بَعْدَ دُخُولِ عَلَيْهِ السَّلَامِ مَعَاوِيَةَ الْكُوفَةَ، وَ حِينَمَا قَدِمَ وَفَدَّ الْعِرَاقَ إِلَى الشَّامِ^{٤٥٧}

ص: ١٤٨

كما أن له موقفاً مع عثمان بن عفان.^{٤٥٨} و سيأتي في مكانه إن شاء الله.

شَهِدَ صَعَّعَةَ مَشَاهِدَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ كُلِّهَا^{٤٥٩}، وَ جَرَحَ فِي الْجَمَلِ، وَ كَانَ عَلِيٌّ عَبْدَ الْقَيْسِ فِي صَفِّينَ^{٤٦٠}.

قال المسعودي: لَمَّا انصرفت عليٌّ من الجمل قال لأذنيه:

«مَنْ بِالْبَابِ مِنْ وُجُوهِ الْعَرَبِ؟» قَالَ: مُحَمَّدٌ بْنُ عَمِيرِ بْنِ عَطَارِدِ التَّيْمِيِّ، وَالْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ، وَصَعَّعَةُ بْنُ صُوحَانَ الْعَبْدِيُّ،
فِي رِجَالِ سَمَاهِمٍ، فَقَالَ: إِذْذَنْ لَهُمْ، فَدَخَلُوا فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ، فَقَالَ لَهُمْ: أَنْتُمْ وَجُوهُ الْعَرَبِ عِنْدِي، وَرُؤَسَاءُ أَصْحَابِي،
فَأَشِيرُوا عَلَيَّ فِي أَمْرِ هَذَا الْغُلَامِ الْمُتَرَفِّ - يَعْنِي مَعَاوِيَةَ - فَافْتَتَتْ بِهِمُ الْمَشُورَةُ عَلَيْهِ، فَقَالَ صَعَّعَةُ:

إِنَّ مَعَاوِيَةَ أَتْرَفَهُ الْهَوَى، وَحُبَّبَتْ إِلَيْهِ الدُّنْيَا، فَهَانَتْ عَلَيْهِ مَصَارِعُ الرِّجَالِ، وَابْتَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاهُمْ، فَإِنْ تَعَمَّلَ فِيهِ بِرَأْيٍ تَرَشُدُ
وَتَصِيبُ، إِنَّ شَاءَ اللَّهُ، وَالتَّوْفِيقُ بِاللَّهِ، وَبِرَسُولِهِ، وَبِكَيْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَالرَّأْيُ أَنْ تُرْسِلَ لَهُ عَيْنًا مِنْ عُيُونِكَ، وَثِقَةً مِنْ ثِقَاتِكَ
بِكِتَابٍ تَدْعُوهُ إِلَى بَيْعَتِكَ، فَإِنْ أَجَابَ وَأَنَابَ كَانَ لَهُ مَالِكٌ، وَعَلَيْهِ مَا

^{٤٥٦} (١) مروج الذهب: ج ٣ ص ٥٠، الغدير: ج ١٠ ص ١٧٥.
^{٤٥٧} (٢) راجع: الأمالي للطوسي: ص ٥ ح ٤، رجال الكشي: ج ١ ص ٦٩، الغارات: ج ٢ ص ٨٨٨ (التعليقة ٦٠)، الاختصاص: ص ٦٤-٦٥، وقعة
صفين: ص ١٦٠-١٦١، الغدير: ج ١٠ ص ٤٨-٤٧-٢٤٨، أعيان الشيعة:
ج ٧ ص ٣٨٨، قاموس الرجال: ج ٥ ص ٤٩٤، بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ١٢٣ ح ١٤ و ص ١٣٢ ح ٢١ و ج ٣٣ ص ٢٤٤ ح ٥٢١؛ مروج الذهب:
ج ٣ ص ٥١-٥٢، تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥٧١-٥٧٢، الإصليّة: ج ٣ ص ٣٧٣، البيان و التبيين: ج ١ ص ١٣٣ و ج ٢ ص ١٨١، شرح نهج
البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢ ص ١٣٠-١٣٢ و ج ٣ ص ٣١٨-٣١٩.
^{٤٥٨} (١) راجع: الغدير: ج ٩ ص ٢١١، أعيان الشيعة: ج ٧ ص ٣٨٨، سفينة البحار: ج ٥ ص ١٠٦، قاموس الرجال: ج ٥ ص ٤٩٦.
^{٤٥٩} (٢) أسد الغابة: ج ٣ ص ٢١ الرقم ٢٥٠٥.
^{٤٦٠} (٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٤ ص ٢٦-٢٧، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٣٩؛ وقعة صفين:
ص ٢٠٦.

عَلَيْكَ، وَإِلَّا جَاهَدْتَهُ وَصَبِرْتَ لِقَضَاءِ اللَّهِ، حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ، فَقَالَ عَلِيٌّ:

«عَزَمْتُ عَلَيْكَ يَا صَعَصَعَةُ، إِذَا كَتَبْتَ الْكِتَابَ بِيَدِيكَ، وَتَوَجَّهْتَ بِهِ إِلَى مُعَاوِيَةَ، وَاجْعَلْ صَدْرَ الْكِتَابِ تَحْذِيرًا وَتَخْوِيفًا، وَعَجْزَةً اسْتِنَابَةً وَاسْتِنَابَةً، وَلِيَكُنْ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مُعَاوِيَةَ، سَلَامٌ عَلَيْكَ، أَمَّا بَعْدُ: ثُمَّ اكْتُبْ مَا أَسْرَتْ بِهِ عَلِيٌّ، وَاجْعَلْ عُنْوَانَ الْكِتَابِ: «أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ»^{٤٦١}».

قال: اغْفِينِي مِنْ ذَلِكَ.

قال: «عَزَمْتُ عَلَيْكَ لَتَفْعَلَنَّ».

قال: أفعَل، فخرج بالكتاب، وتجهَّزَ وسارَ حَتَّى وردَ دمشق، فأَتى بابَ معاويةَ، فقال لِأذنه: استأذِن لرسولِ أميرِ المؤمنينِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ - وبالبابِ أَرْفَلُهُ^{٤٦٢} من بنى أميَّة - فَأَخَذَتْهُ الْأَيْدِي وَالنَّعَالُ لِقَوْلِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: «أَتَقْتَلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّي اللَّهُ»، وَكَثُرَتْ الْجَلْبَةُ وَاللَّعْطُ، فَاتَّصَلَ ذَلِكَ بِمُعَاوِيَةَ، فَوَجَّهَ مَنْ يَكْشِفُ النَّاسَ عَنْهُ، فَكَشَفُوا، ثُمَّ أَذِنَ لَهُمْ فَدَخَلُوا.

فقال لهم: مَنْ هَذَا الرَّجُلُ؟

فقالوا: رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ، يُقَالُ لَهُ: صَعَصَعَةُ بْنُ صُوحَانَ، مَعَهُ كِتَابٌ مِنْ عَلِيٍّ.

فقال: وَاللَّهِ، لَقَدْ بَلَغَنِي أَمْرُهُ، هَذَا أَحَدُ سَهَامِ عَلِيٍّ، وَخُطْبَاءِ الْعَرَبِ، وَلَقَدْ كُنْتُ إِلَى لِقَائِهِ شَيْقًا، أَذِنَ لَهُ يَا غُلَامُ.

فدخل عليه فقال: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بَنَ أَبِي سُفْيَانَ، هَذَا كِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ.

فقال معاوية: أَمَا إِنَّهُ لَوْ كَانَتْ الرُّسُلُ تُقْتَلُ فِي جَاهِلِيَّةٍ أَوْ إِسْلَامٍ لَقَتَلْتُكَ، ثُمَّ

اعترضه مُعَاوِيَةُ فِي الْكَلَامِ، وَأَرَادَ أَنْ يَسْتَخْرِجَهُ لِيَعْرِفَ قَرِيحَتَهُ أَطْبَعًا أَمْ تَكَلَّفًا، فَقَالَ: مِمَّنِ الرَّجُلُ؟

قال: مِنْ نَزَارٍ.

^{٤٦١} (١). الشورى: ٥٣.
^{٤٦٢} (٢). أي: الجماعة.

قال: وما كان نزاراً؟

قال: كان إذا غزا نكس^{٤٦٣}، وإذا لقي افترس، وإذا انصرف احترس.

قال: فمن أىّ أولاده أنت؟

قال: من ربيعة.

قال: وما كان ربيعة؟

قال: كان يُطيلُ النَّجادَ^{٤٦٤}، وَيَعُولُ العبادَ، وَيَضْرِبُ ببقاعِ الأرضِ العِمَادَ.

قال: فمن أىّ أولاده أنت؟

قال: من جديلة.

قال: وما كان جديلة؟

قال: كان في الحربِ سَيْفًا قاطِعًا، وفي المَكْرُماتِ غَيْثًا نافعًا، وفي اللِّقاءِ لَهْبًا ساطعًا.

قال: فمن أىّ أولاده أنت؟

قال: من عبدِ القيس.

قال: وما كان عبدُ القيس؟

قال: كان خصيباً^{٤٦٥} خضرمًا^{٤٦٦} أبيضاً وهاباً لضيّفه ما يجد، ولا يسأل عمّا فقد،

ص: ١٥١

كثيرَ المَرَقِ، طيبَ العَرَقِ، يَقومُ للناسِ مقامَ الغيثِ مِنَ السَّماءِ.

^{٤٦٣} (١). النُّكْسُ: قلبُ الشيءِ على رأسه. (لسان العرب: ج ٦ ص ٢٤١).

^{٤٦٤} (٢). النَّجادُ: حمائلُ السيفِ [كناية عن طول قامته]. (الصحاح: ج ٢ ص ٥٤٣).

^{٤٦٥} (٣). خصيباً: الرجل إذا كان كثيرَ خير المنزل، يقال: إنّه خصيب الرّجل. (لسان العرب: ج ١ ص ٣٥٦).

^{٤٦٦} (٤). الخُضْرُمُ - بالكسر -: الجواد الكثير العطية. (لسان العرب: ج ١٢ ص ١٨٥).

قال: ويحك يا بن صوحان! فما تركت لهذا الحيّ من قريش مجداً ولا فخراً.

قال: بلى والله، يا بن أبي سفيان، تركت لهم ما لا يصلح إلابهم، ولهم، تركت الأبيض والأحمر، والأصفر والأشقر، والسريير والمنبر، والمُلك إلى المحشر، وأتّى لا يكون ذلك كذلك، وهم منارُ الله في الأرض، ونجومه في السماء؟

ففرح معاوية، وظنَّ أن كلامه يشتمل على قريش كلها، فقال: صدقت يا بن صوحان، إنَّ ذلكَ لكذلك.

فَعَرَفَ صَعَصَعَةً ما أراد، فقال: ليس لك ولا لقومك في ذلك إصدار ولا إيراد، بَعُدْتُمْ عَن أَنْفِ المَرَعَى، وَعَلَوْتُمْ عَن غَدَبِ المَاءِ.

قال: فلم ذلك؟ ويلك يا بن صوحان؟

قال: الويلُ لأهل النَّارِ، ذلكَ لِبَنِي هاشِمٍ.

قال: قُمْ، فَأَخْرَجُوهُ.

فقال صَعَصَعَةً: الصَّدقُ يُنبِئُ عَنكَ لا الوَعِيدُ، من أراد المشاجرة قبل المحاورة.

فقال معاوية: لشيء ما سوّده قومُهُ، وَدَدْتُ وَاللَّهِ، أَنِّي من صُلْبِهِ، ثُمَّ التَفَتَ إلى بَنِي أُمِّيَّة، فقال: هكذا فلتكنِ الرِّجالُ ...^{٤٦٧}.

قال معاوية يوماً- وعنده صَعَصَعَةٌ، وكان قدم عليه بكتاب عليّ، وعنده وجوه النَّاسِ -: الأَرْضُ لِلَّهِ، وَأَنَا خَلِيفَةُ اللَّهِ، فما آخِذُ مِن مالِ اللَّهِ فهو لِي، وما تركتُ مِنْهُ كان جائزاً لِي.

ص: ١٥٢

فقال صَعَصَعَةً:

نُ جَهْلًا مُعَاوِيَ لا تَأْتِم

تُمَنِّيكَ نَفْسُكَ ما لا يَكُو

فقال معاوية: يا صَعَصَعَةُ، تعلّمتَ الكلامَ.

قال: العِلْمُ بالتَّعلُّمِ، وَمَن لا يَعْلَمُ يَجْهَلُ.

^{٤٦٧} (١). مروج الذهب: ج ٣ ص ٤٧-٤٩؛ مواقف الشيعة: ج ١ ص ٢٥٢.

قال معاوية: ما أَحْوَجَكَ إِلَى أَنْ أُذِيْقَكَ وَبَالَ أَمْرِكَ!

قال: ليس ذَلِكَ بِيَدِكَ، ذَلِكَ بِيَدِ الَّذِي لَا يُؤَخِّرُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا.

قال: وَمَنْ يَحْوُلُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ؟

قال: الَّذِي يَحْوُلُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ.

قال معاوية: اتَّسَعَ بَطْنُكَ لِلْكَلامِ كَمَا اتَّسَعَ بَطْنُ الْبَعِيرِ لِلشَّعِيرِ.

قال: اتَّسَعَ بَطْنُ مَنْ لَا يَشْبَعُ، وَدَعَا عَلَيْهِ مَنْ لَا يَجْمَعُ^{٤٦٨}.

شَهِدَ صَعْصَعَةُ بْنُ صُوحَانَ وَقَعَةَ صِفِّينَ، وَكَانَ عَلَى عَبْدِ الْقَيْسِ، وَأَرْسَلَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى مَعَاوِيَةَ حِينَما كان معه الماء^{٤٦٩}.

أَرْسَلَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْخِوَارِجِ قَبْلَ وَقَعَةِ النَّهْرَوَانِ؛ إِتْمَامًا لِلْحُجَّةِ^{٤٧٠}.

وفى الاختصاص: - عن مِسْمَعِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَصْرِيِّ عَنِ رَجُلٍ: - لَمَّا بَعَثَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ صَعْصَعَةَ بْنَ صُوحَانَ إِلَى الْخِوَارِجِ قَالُوا لَهُ: أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ

ص: ١٥٣

على معنى فى موضعنا أكون معه؟

قال: نعم.

قالوا: فأنت إذا مُقِلِّدٌ عَلَيًّا دِينَكَ، أَرْجِعْ فَلَا دِينَ لَكَ.

^{٤٦٨} (١). مروج الذهب: ج ٣ ص ٥٢؛ الغدير: ج ٨ ص ٤٨٧، مواقف الشيعة: ج ١ ص ٢٥٦.
^{٤٦٩} (٢). راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٣ ص ٣١٨ - ٣١٩، تهذيب التهذيب: ج ٢ ص ٥٤٦، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٦٤ - ٣٦٥، تهذيب الكمال: ج ١٣ ص ١٦٨؛ وقعة صفين: ص ١٦٠ - ١٦٢، تنقيح المقال: ج ٢ ص ٩٩.
^{٤٧٠} (٣). راجع: الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٤٦٠، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٢٧٨؛ وقعة صفين: ص ٢٠٦، أعيان الشيعة: ج ٧ ص ٣٨٨؛ العقد الفريد: ج ٣ ص ٣٤٥.

فقال لهم صَعَصَعَةُ: وَيَلَكُمْ، أَلَا أَقْلَدُ مِنْ قَلَدِ اللَّهِ فَأَحْسَنَ التَّقْلِيدَ، فَاضْطَلَعَ بِأَمْرِ اللَّهِ صِدِّيقًا، لَمْ يَزَلْ أَوْلَمَ يَكُنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِذَا اشْتَدَّتْ الْحَرْبُ قَدَمَهُ فِي لَهَوَاتِهَا فَيَطُّ صِمَاخَهَا بِأَخْمَصِهِ^{٤٧١}، وَيُخْمِدُ لَهَبَهَا بِحَدِّهِ، مَكْدُودًا فِي ذَاتِ اللَّهِ، عَنْهُ يَعْبُرُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَالْمُسْلِمُونَ، فَأَنَّى تَصْرَفُونَ؟ وَأَيْنَ تَذْهَبُونَ؟ وَإِلَى مَنْ تَرْغَبُونَ؟

وَعَمَّنْ تَصَدُقُونَ؟ عَنِ الْقَمَرِ الْبَاهِرِ، وَالسَّرَاجِ الزَّاهِرِ، وَصِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ، وَسَبِيلِ اللَّهِ الْمَقِيمِ^{٤٧٢}، فَاتَلَّكُمْ اللَّهُ، أَنَّى تُؤْفَكُونَ؟ أَفَى الصِّدِّيقِ الْأَكْبَرِ، وَالْغَرَضِ الْأَقْصَى تَرْمُونَ؟ طَاشَتْ عُقُولُكُمْ، وَغَارَتْ حُلُومُكُمْ، وَشَاهَتِ وَجُوهُكُمْ، لَقَدْ غَلَوْتُمْ الْقَلَّةَ مِنَ الْجَبَلِ، وَبَاعَدْتُمْ الْعَلَّةَ مِنَ النَّهْلِ، أَنْتَسْتَهْدِفُونَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَوَصَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؟ لَقَدْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ خُسْرَانًا مَبِينًا.

فَبُعْدًا وَسُحْقًا لِلْكَفْرَةِ الظَّالِمِينَ، عَدَلَ بِكُمْ عَنِ الْقَصْدِ الشَّيْطَانُ، وَعَمَى لَكُمْ عَنِ وَاضِحِ الْحُجَّةِ الْحِرْمَانُ.

فقال عبد الله بن وهب الراسبي: نطقت يا بن صوحان بشقشقه بعير، وهدرت فأطنبت في الهدير، أبلغ صاحبك، أنا مقاتلوه على حُكم الله والتَّنزيل ...

فقال صَعَصَعَةُ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْكَ يَا أَخَا رَاسِبٍ، مُتْرَمًّا بِدِمَائِكَ، يَحْجَلُ

ص: ١٥٤

الطَّيْرُ بِأَشْلَايِكَ^{٤٧٣}، لَا تُجَابُ لَكُمْ دَاعِيَةً، وَلَا تُسْمَعُ لَكُمْ وَاعِيَةً، يَسْتَحِلُّ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِمَامٌ هَدَى ...^{٤٧٤}.

(قال أحمد بن النضر: كنت عند أبي الحسن الثاني - الرضا - عليه السلام، قال: ولا أعلم إلَّا قام ونفض الفراش بيده، ثمَّ قال: لى يا أحمد، إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَادَ صَعَصَعَةَ بِنِ صُوحَانَ فِي مَرَضِهِ، فَقَالَ: «يَا صَعَصَعَةُ، لَا تَتَّخِذْ عِيَادَتِي لَكَ أَبْهَةً عَلَى قَوْمِكَ».)

قال: فَلَمَّا قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَصَعَصَعَةَ هَذِهِ الْمَقَالَةُ، قَالَ صَعَصَعَةُ: بَلَى وَاللَّهِ، أَعَدُّهَا مِنِّي مِنَ اللَّهِ عَلَيَّ وَفَضْلًا.

قال: فقال له أمير المؤمنين عليه السلام:

«إِنْ كُنْتَ - مَا عَلِمْتِكَ - لَخَفِيفَ الْمَوْوَنَةِ حَسَنَ الْمَعُونَةِ».

قال: فقال صَعَصَعَةُ: وَأَنْتَ وَاللَّهِ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا عَلِمْتِكَ إِلَّا بِاللَّهِ عَلِيمًا، وَبِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفًا رَحِيمًا^{٤٧٥}.

^{٤٧١} (١). يطأ صمآخها بأخمصه: الأخمص من باطن القدم ما لم يبلغ الأرض، وهو كناية عن الاستيلاء على الحرب وإذلال أهلها.

^{٤٧٢} (٢). وردت في المصدر: «وحسان الأعد المقيم»، وما أثبتناه من البحار، وهو الصحيح.

^{٤٧٣} (١). أي الأعضاء.

^{٤٧٤} (٢). الاختصاص: ص ١٢١ - ١٢٢، بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٤٠١ ح ٦٢٤، قاموس الرجال: ج ٥ ص ٤٩٨.

و إليك صورة أخرى للحديث:

عن ابن نباتة قال: خرجنا مع أمير المؤمنين عليه السلام، حتّى انتهينا إلى صَعَصَعَةَ بن صُوحان، فإذا هو على فراشه، فلمّا رأى عَلِيًّا عليه السلام خَفَّ لَهُ؛ فقال عليّ عليه السلام:

«لا تَتَّخِذَنَّ زِيَارَتَنَا إِيَّاكَ فَخْرًا عَلَى قَوْمِكَ».

قال: لا؛ يا أمير المؤمنين، و لكن دُخْرًا و أجرًا.

فقال لَهُ- عليه السلام:-

«وَاللَّهِ مَا كُنْتُ عَلِمْتُكَ إِلَّا خَفِيفَ الْمَوْوَنَةِ، كَثِيرَ الْمَعُونَةِ».

فقال صَعَصَعَةُ: و أنت و الله، يا أمير المؤمنين، ما عَلِمْتُكَ إِلَّا أَنَّكَ بِاللَّهِ لَعَلِيمٌ، و إِنَّ اللَّهَ فِي عَيْنِكَ لَعَظِيمٌ، و أَنَّكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ، و أَنَّكَ بِالْمُؤْمِنِينَ

ص: ١٥٥

رعوفٌ رحيمٌ^{٤٧٦}.

و لمّا ضرب ابن ملجم أمير المؤمنين عليه السلام، جاء صَعَصَعَةُ عائداً، فلم يكن له عليه إذنٌ، فقال صَعَصَعَةُ لِلأَذْنِ: قل له: يَرْحَمُكَ اللَّهُ يا أمير المؤمنين، حيّاً و ميّتاً، فو الله، لقد كانَ اللَّهُ في صَدْرِكَ عَظِيماً، و لقد كُنْتَ بِذَاتِ اللَّهِ عَليماً، فأبْلَغَهُ الأَذْنَ مَقَالَهُ صَعَصَعَةَ، فقال له عليّ عليه السلام:

قُلْ لَهُ: و أنتَ يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَلَقَدْ كُنْتَ خَفِيفَ الْمَوْوَنَةِ، كَثِيرَ الْمَعُونَةِ^{٤٧٧}.

(قال الرأوى:) و لمّا الحد أمير المؤمنين عليه السلام، وقف صَعَصَعَةُ بن صُوحان العبدى رضى الله عنه على القبر، و وضع إحدى يديه على فؤاده، و الأخرى قد أخذ بها التراب و يضرب به رأسه، ثمّ قال: بأبى أنت و أمى يا أمير المؤمنين، ثمّ قال:

هنيئاً لك يا أبا الحسن، فلقد طاب مَوْلِدُكَ، و قَوَى صَبْرُكَ، و عَظُمَ جِهَادُكَ، و ظَفَرْتَ بِرَأْيِكَ، و رِبَحْتَ تِجَارَتَكَ، و قَدِمْتَ عَلَى خَالِقِكَ، فَتَلَقَّاكَ اللَّهُ بِبِشَارَتِهِ، و حَفَّتَكَ مَلَائِكَتُهُ، و اسْتَقَرَّرْتَ فِي جِوَارِ المِصْطَفَى، فَأَكْرَمَكَ اللَّهُ بِجِوَارِهِ، و لَحِقَتْ بِدَرْجِهِ أَخِيكَ المِصْطَفَى، و شَرِبْتَ بِكَاسِهِ الأَوْفَى، فَاسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَمُنَّ عَلَيْنَا بِاقْتِفَائِنَا أَثْرَكَ و العملِ بِسِيرَتِكَ، و المِوَالاةِ لأَوْلِيائِكَ، و

^{٤٧٥} (٣). رجال الكشي: ج ١ ص ٢٨٤ الرقم ١٢١، الغارات: ج ٢ ص ٨٨٨، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢ ص ٢١٢ ح ١٩، قرب الإسناد: ص ٣٧٨ ح ١٣٣٣ كلاهما نحوه، بحار الأنوار: ج ٤٢ ص ١٤٥ ح ٣.

^{٤٧٦} (١). الغارات: ج ٢ ص ٨٩٣، تأويل الآيات الظاهرة: ج ٢ ص ٥٥٣ الرقم ٤، بحار الأنوار: ج ٢٣ ص ٢١١ ح ١٩.

^{٤٧٧} (٢). مقاتل الطالبين: ص ٥٠، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٦ ص ١١٩؛ الغارات: ج ٢ ص ٨٩٢ (التعليقة ٦٠)، بحار الأنوار: ج ٤٢ ص ٢٣٤، سفينة البحار: ج ٥ ص ١٠٩، أعيان الشيعة: ج ٧ ص ٣٨٨.

المعاداة لأعدائِك، و أن يحشرنا في زُمره أُوليائِك، فَقَد نِلتَ ما لَمْ يَنْلُهُ أَحَدٌ، و أدركتَ ما لَمْ يُدْرِكْهُ أَحَدٌ، و جاهدتَ في سبيلِ رَبِّكَ- بَيْنَ يَدَيِ أَخِيكَ الْمُصْطَفَى - حَقَّ جِهَادِهِ، و قُمتَ بِدينِ اللَّهِ حَقَّ القِيامِ، حَتَّى أَقمتَ السُّننَ، و أَبرتَ الفتنَ^{٤٧٨}، و استقامَ الإسلامَ، و انتظمتَ الإيمانَ، فَعَلَيْكَ مِنِّي أَفضلُ الصَّلَاةِ و السَّلَامِ، بِكَ اشْتَدَّ ظَهْرُ الْمُؤْمِنِينَ، و انْضَحَتْ

ص: ١٥٦

أعلامُ السُّبُلِ، و أَقيمتَ السُّننُ، و ما جُمِعَ لِأَحَدٍ مَنَاقِبُكَ و خِصَالُكَ، سَبقتَ إلى إِجابَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ و آلِهِ مُقَدِّمًا مُؤَثِّرًا، و سارَعْتَ إلى نُصرتِهِ، و وَقَّيتَهُ بِنَفْسِكَ، و رَمَّيتَ سَيْفَكَ ذا الفِئارِ في مواطنِ الخوفِ و الحذرِ، فَصَمَّ اللَّهُ بِكَ كُلَّ جَبَّارٍ عَنيدٍ، و دَلَّ بِكَ كُلَّ ذِي بَأْسٍ شَدِيدٍ، و هَدَمَ بِكَ حُصُونَ أَهلِ الشُّرْكِ و الكُفْرِ و العَدوانِ و الرَّدَى، و قَتَلَ بِكَ أَهلَ الضَّلَالِ مِنَ العَدَى، فَهنيئًا لَكَ يا أَميرَ المُؤْمِنِينَ، كُنتَ أَقربَ النَّاسِ مِن رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ و آلِهِ قَرَبًا، و أَوْلَهُم سَلَمًا، و أَكثَرَهُم عِلْمًا و فَهْمًا، فَهنيئًا لَكَ يا أبا الحَسَنِ، لَقَد شَرَفَ اللَّهُ مَقامَكَ، و كُنتَ أَقربَ النَّاسِ إلى رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ و آلِهِ نَسَبًا، و أَوْلَهُم إِسلامًا، و أَوْفاهُم يَقينًا و أَشَدَّهُم قَلبًا، و أَبَدَلَهُم لِنَفْسِهِ مُجاهِدًا، و أعظَمَهُم في الخَيْرِ نَصيبًا، فلا حَرَمنا اللَّهُ أَجْرَكَ، و لا أَذَلنا بَعْدَكَ، فو اللَّهُ، لَقَد كانتَ حَيائِكَ مَفاتِحَ للخَيْرِ و مِغالِقَ للشرِّ، و إِنَّ يَومَكَ هذا مَفتاحُ كُلِّ شرٍّ و مِغلاقُ كُلِّ خَيْرٍ، و لو أَنَّ النَّاسَ قَبِلوا مِنكَ لِأَكْلاوا مِن فَوْقِهِم و مِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم، و لَكَنَّهُم آثروا الدُّنيا على الآخِرَةِ.

ثُمَّ بَكَى بِكاءٍ شَدِيدًا، و أَبكى كُلَّ مَن كانَ مَعَهُ ...^{٤٧٩}

عن عاصم بن أبي النجود، عَمَّن شَهِدَ ذلكَ: أَنَّ مَعاوِيَةَ حينَ قَدِمَ الكِوفَةَ، دَخَلَ عَليه رِجالٌ مِنَ أَصحابِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، و كانَ الحَسَنُ عَليه السَّلَامُ قَد أَخذَ الأمانَ لِرِجالٍ مِنْهُم، مُسَمِّينَ بِأَسْمائِهِم و أَسْماءِ آبائِهِم، و كانَ فيهِم صَعَصَعَةُ.

فَلَمَّا دَخَلَ عَليه صَعَصَعَةُ، قالَ مَعاوِيَةُ لَصَعَصَعَةَ: أَمَّا و اللَّهُ، أَنِّي كُنتَ لِأَبْغَضِ أَنْ تَدخُلَ في أمانِي، قالَ: و أنا و اللَّهُ، أَبْغَضُ أَنْ أَسْمِيكَ بِهذا الاسمِ، ثُمَّ سَلَّمَ عَليه بالخِلافَةِ.

ص: ١٥٧

قال: فقال معاوية: إن كنت صادقاً فاصعد المنبر فالعن علياً.

قال: فصعد المنبر، و حمدَ اللَّهَ و أَثنى عَليه، ثُمَّ قالَ: أَيُّها النَّاسُ، أَتَيْتُكُمْ مِن عِنْدِ رَجُلٍ قَدَّمَ شَرَّةً، و أَخَّرَ خَيْرَهُ، و أَنَّهُ أَمَرَنِي أَنْ أَلْعَنَ عَلِيًّا، فَالعَنوهُ لعنَهُ اللَّهُ، فَضجَّ أَهلُ المَسجِدِ بِأَمينِ.

فَلَمَّا رَجَعَ إِلَيهِ فَأخْبَرَهُ بِما قالَ، قالَ: لا و اللَّهَ، ما عَنيتَ غَيرِي، ارجع حَتَّى تَسْمِيَهُ بِاسمِهِ.

^{٤٧٨} (٣). أَبْرَ الأَثَرُ: عَفَى عَليه الترابُ، و التَّأبِيرُ: التَّعْفِيَةُ و مَحو الأَثَرِ. (لسان العرب: ج ٤ ص ٥).
^{٤٧٩} (١). بحار الأنوار: ج ٤٢ ص ٢٩٥ نقلاً عن بعض الكتب القديمة، سفينة البحار: ج ٥ ص ١٠٩.

فرجع و سعد المنبر، ثم قال: أيُّها النَّاسُ، إنَّ أميرَ الْمُؤْمِنِينَ أمرني أن ألعنَ عليَّ بنَ أبي طالب، فالعنوا من لعنَ عليَّ بنَ أبي طالب.

قال: فضجّوا بآمين.

قال: فلمَّا خبر معاوية، قال: لا والله، ما عنى غيري، أخرجوه، لا يُساكنني في بلد، فأخرجوه^{٤٨٠}.

ذكر الغلائِيُّ في أخبار زياد: أنَّ المُغِيرَةَ نفى صَعَصَعَةَ - بأمر معاوية - من الكوفة إلى الجزيرة، أو إلى البحرين، وقيل: إلى جزيرة ابن كافان، فمات بها^{٤٨١}.

روى سبط ابن الجوزيَّ مسنداً عن عمرو بن يحيى، قال: مرَّ صَعَصَعَةُ على المُغِيرَةَ، فقال له: من أين أقبلت؟

قال: من عند الوليِّ التَّقِيِّ، الجوادِ الحيِّ، الحلِيمِ الوفيِّ، الكريمِ الخفيِّ، المانعِ بسيفه، الجوادِ بكفه، الوريِّ زنده، الكثيرِ رفده، الذي هو من ضئضئي^{٤٨٢} أشرافٍ

ص: ١٥٨

أمجادٍ ليوثٍ أنجادٍ، ليس بأقعادٍ^{٤٨٣} و لا أنكادٍ^{٤٨٤}، ليس في أمره بوعدٍ، و لا في قوله فندٌ، ليس بالطائشِ النَّزقِ، و لا بالرأثِ^{٤٨٥} المذقِ^{٤٨٦}، كريمِ الآباءِ، شريفِ الأبناءِ، حسنِ البلاءِ، ثاقبِ السَّناءِ، مُجربٌ مشهورٌ، و شجاعٌ مذكورٌ، زاهدٌ في الدُّنيا راغبٌ في الأخرى.

فقال المُغِيرَةُ: هذه صفات الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام^{٤٨٧}.

و قال صَعَصَعَةُ أيضاً- في مدح عليّ عليه السلام -: كان فينا كأحدنا، لينَ جانبٍ، و شدَّةَ تواضعٍ، و سهولةً قيادٍ، و كُنَّا نَهَابُهُ مَهَابَةَ الأَسِيرِ المَرْبُوطِ، للسِّيفِ الواقِفِ على رأسِهِ^{٤٨٨}.

أقول: هؤلاء أبناء صُوحان - رضوان الله عليهم - كلَّهم خطباء، فصحاء، علماء، أبرار أتقياء، و هم كما قال عقيل - على رواية المسعودي - قال معاوية لعقيل: و إنما أردتُ أن أسألكَ عن أصحابِ عليٍّ، فإنَّكَ ذو معرفةٍ بهم.

^{٤٨٠} (١). رجال الكشي: ج ١ ص ٢٨٥ الرقم ١٢٣، الغارات: ج ٢ ص ٨٨٨، قاموس الرجال: ج ٥ ص ٤٩٤، تنقيح المقال: ج ٢ ص ٩٩، سفينة البحار: ج ٥ ص ١٠٧.

^{٤٨١} (٢). الإصابة: ج ٣ ص ٣٧٣ الرقم ٤١٥٠.

^{٤٨٢} (٣). الضئضئي: الأصل. (الصحاح: ج ١ ص ٦٠).

^{٤٨٣} (١). الإقعاد: قلة الآباء والأجداد، و هو مذموم. (لسان العرب: ج ٣ ص ٣٦٢).

^{٤٨٤} (٢). أنكاد: الأنكد، المشووم، و ناقة نكداء: لا يعيش لها ولد. (الصحاح: ج ٢ ص ٥٤٥).

^{٤٨٥} (٣). الرأث: راث عليّ خيرك يريث ريثاً، إذا أبطأ. (الصحاح: ج ١ ص ٢٨٤).

^{٤٨٦} (٤). المذق: رجل مذق، بيّن المذاق، ملول. و في الصحاح: غير مُخلص. (لسان العرب: ج ١٠ ص ٣٤٠).

^{٤٨٧} (٥). قاموس الرجال: ج ٥ ص ٤٩٦ الرقم ٣٦٧٩؛ تنكرة الخواص: ص ١١٨.

^{٤٨٨} (٦). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١ ص ٢٥.

فقال عَقِيل: سل عمًا بدا لك.

فقال: مَيِّز لى أصحاب علىّ، و ابدأ بآل صُوْحان؛ فإنَّهم مخاريق الكلام^{٤٨٩}

ص: ١٥٩

قال: أمَّا صَعَصَعَةُ، فعظيم الشَّان، غضب اللِّسان، قائد فرسان، قاتل أقران، يرتق ما فتق، و يفتق ما رتق، قليل التَّظير.

و أمَّا زَيْد و عبد الله، فإنَّهما نهران جاريان، يصب فيهما الخُلجان، و يغاث بهما البلدان، رَجُلًا جِدًّا لا لَعِبَ معه، و بنو صُوْحان كما قال الشَّاعر:

أَسوداً تَخْلِسُ الأَسدَةَ النَّفوسا

إِذَا نَزَلَ العَدُوُّ فَإِنَّ عِنْدِي

فَاتَّصَلَ كَلَامَ عَقِيلِ بَصَعَصَعَةَ فَكُتِبَ إِلَيْهِ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ؛ ذَكَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، وَ بِهِ يَسْتَفْتِحُ المُسْتَفْتِحُونَ، وَ أَنْتُمْ مَفَاتِيحُ الدُّنْيَا وَ الآخِرَةِ؛ أمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَ مَوْلَاكَ كَلَامُكَ لِعِدْوِ اللَّهِ وَ عِدْوِ رَسولِهِ، فَحَمَدْتُ اللَّهَ عَلَى ذَلِكَ، وَ سَأَلْتَهُ أَنْ يَفِيءَ بِكَ إِلَى الدَّرَجَةِ العَلِيَا، وَ القَضِيبِ الأَحْمَرِ، وَ العَمودِ الأَسودِ، فَإِنَّهُ عَمودٌ مَن فارقَهُ فارقَ الدِّينِ الأَزْهَرِ، وَ لئن نَزَعْتَ بِكَ نَفْسَكَ إِلَى مَعاوِيَةَ طَلِباً لِمَا لَهُ، إِنَّكَ لَذُو عِلْمٍ بِجَمِيعِ خِصَالِهِ، فَاحْذَرِ أَنْ تَعْلُقَ بِكَ نَارُهُ، فَيُضَلِّكَ عَنِ الحِجَّةِ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ رَفَعَ عَنكُمْ - أَهْلَ البَيْتِ - مَا وَضَعَهُ فِي غَيْرِكُمْ، فَمَا كَانَ مِنْ فَضْلِ أَوْ إِحْسَانٍ، فَبِكُمْ وَصَلَ إِلَيْنَا، فَأَجَلَّ اللَّهُ أَقْدَارَكُمْ، وَ حَمَى أخطارَكُمْ، وَ كَتَبَ آثَارَكُمْ، فَإِنَّ أَقْدَارَكُمْ مَرَضِيَّةٌ، وَ أخطارَكُمْ مَحْمِيَّةٌ، وَ آثَارَكُمْ بَدْرِيَّةٌ، وَ أَنْتُمْ سَلِمَ اللَّهُ إِلَى خَلْقِهِ، وَ وَسَّيَلْتُهُ إِلَى طُرُقِهِ، وَ أَيْدٍ عَلِيَّةٌ، وَ وَجُوهُ جَلِيَّةٌ، وَ أَنْتُمْ كَمَا قَالَ الشَّاعر:

تَوَارَتْهُ أَبَاءُ آبَائِهِمْ قَبْلُ

فَمَا كَانَ مِنْ خَيْرٍ أَتَوْهُ فَإِنَّمَا

وَ تُعْرَسُ إِلا فِي مَنابِتِهَا النَّخْلُ...^{٤٩٠}

وَ هَلْ يُنْبِتُ الخَطِيءُ إِلا وَشِيجَةً

^{٤٨٩} (٧). قال ابن الأثير: و في حديث عليّ «البرقُ مخاريق الملائكة» هي جمع مخراق، و هو في الأصل ثوب يلفّ و يضرب به الصبيان بعضهم بعضاً، أراد أنه آلة تزرع بها الملائكة السحاب و تسوقه (النهاية: ج ٢ ص ٢٦).

فالمراد هنا: أن أبناء صُوْحان يسوقون الكلام حيثما أرادوا و هذا كلام بليغ في فصاحتهم و سلطتهم على لغة العرب.

^{٤٩٠} (١). مروج الذهب: ج ٣ ص ٤٦ - ٤٧.

و من شعر صَعَصَعَةَ:

ص: ١٦٠

عِنْدَ الشَّفَاعَةِ وَ الْبَابِ ابْنُ صُوحَانَ

هَلَّا سَأَلْتَ بَنِي الْجَارُودِ: أَيُّ فِتْيٍ

عَقَّتْ وَ لَمْ تُجْزَ بِالْإِحْسَانِ إِحْسَانًا

كُنَّا وَ كَانُوا كَأَمْ أَرْضَعْتَ وَ لَدَا

و قوله يرثى على بن أبي طالب عليه السلام:

وَ مَنْ لِي أَنْ أُبَيِّنَكَ مَا لَدَيْتَا؟

أَلَا مَنْ لِي بِإِنْسِيكَ يَا أَحْيَا؟

لِذَاكَ خُطُوبُهُ نَشْرًا وَ طَيًّا

طَوَّتَكَ خُطُوبُ دَهْرٍ قَدْ تَوَالَى

شَكُوتُ إِلَيْكَ مَا صَنَعْتَ إِلَيَّا

فَلَوْ نَشَرْتَ قُورَاكَ لِي الْمَنَايَا

فَلَمْ يُغْنِ الْبُكَاءُ عَلَيْكَ شَيْئًا

بَكَيْتُكَ يَا عَلِيُّ بِدُرِّ عَيْنِي

كَفَى حُزْنًا بِدَفْنِكَ ثُمَّ إِنَّي

نَفَضْتُ تُرَابَ قَبْرِكَ مِنْ يَدَيَا

و كَانَتْ فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَاتٌ

و أَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعِظُ مِنْكَ حَيًّا

فِيَا أَسْفَى عَلَيْكَ وَ طُولَ شَوْقِي

أَلَا لَوْ أَنَّ ذَلِكَ رَدَّ شَيْئًا

و قوله يرثيه أيضاً:

هَلْ خَبَّرَ الْقَبْرُ سَائِلِيهِ

أَمْ قَرَّ عَيْنًا بِزَائِرِيهِ

أَمْ هَلْ تَرَاهُ أَحَاطَ عِلْمًا؟

بِالْجَسَدِ الْمُسْتَكِينِ فِيهِ

لَوْ عَلِمَ الْقَبْرُ مَنْ يُوَارِي

تَاهَ عَلَى كُلِّ مَنْ يَلِيهِ

يَا مَوْتُ مَاذَا أَرَدْتَ مِنِّي

حَقَّقْتَ مَا كُنْتُ اتَّقِيهِ

يَا مَوْتُ لَوْ تَقَبَّلُ افْتِدَاءً

لَكُنْتُ بِالرُّوحِ افْتَدِيهِ

ص: ١٦١

أو الذي يظهر لمن يتتبع كتاب «الغارات» و كتاب «وقعة صفين»، أن صَعَصَعَهُ هو أحد رواة وقعة صفين، و غيرها من الحوادث في عصر عليّ عليه السلام.

و قال في التَّنْقِيح: و هو [صعصعة] الذي روى عهد عليّ عليه السلام، لمالك بن الحارث الأشرّ رضوانُ الله عليه.

و صَعَصَعَهُ: بصادين مُهْمَلَتَيْنِ مفتوحتين، بعد كُلِّ صادٍ عَيْنٌ مُهْمَلَةٌ، أولاهما ساكنة و الثانية مفتوحة.

و كان صَعَصَعَهُ من شهود وصيته صلوات الله عليه، في أمواله و صدقاته.^{٤٩٢}

و لما يبيع أمير المؤمنين صلوات الله عليه بالخلافة، قام صَعَصَعَهُ بن صُوحان فقال: و الله- يا أمير المؤمنين- لقد زينتَ الخِلافةَ و ما زانتك، و رَفَعْتَهَا و ما رَفَعْتك، و لَهِيَ إِلَيْكَ أَحْوَجُ مِنْكَ إِلَيْهَا^{٤٩٣}. و كان صَعَصَعَهُ رسول أمير المؤمنين عليه السلام إلى طَلْحَةَ و الزُّبَيْرِ.

و كان من كبار أصحاب الإمام عليّ عليه السلام^{٤٩٤}، و من الذين عرفوه حق معرفته، كما هو حقّه^{٤٩٥}.

قال عنه الجاحظ في البيان و التبيين: و إنما أردنا بهذا الدلالة على تقديم صعصعة بن صوحان في الخطب، و أدلُّ من كلِّ دلالة، استنطاقُ عليّ بن أبي طالب عليه السلام له^{٤٩٦}

ص: ١٦٢

أثنى عليه أصحاب التَّراجم بقولهم: كان شريفاً، أميراً، فصيحاً، مفوّهاً، خطيباً، لساناً، ديناً، فاضلاً^{٤٩٧}.

^{٤٩١} (١) أعيان الشيعة: ج ٧ ص ٣٨٨.

^{٤٩٢} (١) راجع: رجال النجاشي: ج ١ ص ٤٤٨ الرقم ٥٤٠، تنقيح المقال: ج ٢ ص ٩٨، قاموس الرجال: ج ٥ ص ٤٩٥.

^{٤٩٣} (٢) راجع: تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ١٧٩ و راجع: أسد الغابة: ج ٤ ص ١٠٧، تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٢ ص ٤٤٥.

^{٤٩٤} (٣) سبب أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٥٢٨ الرقم ١٣٤.

^{٤٩٥} (٤) رجال الكشي: ج ١ ص ٢٨٥ الرقم ١٢٢.

^{٤٩٦} (٥) البيان و التبيين: ج ١ ص ٣٢٧ و ص ٢٠٢.

^{٤٩٧} (١) سبب أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٥٢٩ الرقم ١٣٤، اسد الغابة: ج ٣ ص ٢١ الرقم ٢٥٠٥.

و عند ما ثار الناس على عثمان، و اتفقوا على خلافة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، قام هذا الرجل الذي كان عميق الفكر، قليل المثيل في معرفة عظمة عليّ عليه السلام- و كان خطيباً مصقلاً- فعبر عن اعتقاده الصريح الرائع بإمامه.

و عند ما أشعل موقدو الفتنة فتيل الحرب على أمير المؤمنين عليه السلام في الجمل، كان إلى جانب الإمام عليه السلام، و راوى وقائع صفين^{٤٩٨}.

و كذلك وقف إلى جانبه عليه السلام في حرب النهروان، و احتج على الخوارج بأحقية إمامه و ثباته^{٤٩٩}. و جعله الإمام عليه السلام شاهداً على وصيته^{٥٠٠}، فسجل بذلك فخرأ عظيماً لهذا الرجل. و نطق صغصعة بفضائل الإمام و مناقبه، أمام معاوية و أجلاف بنى امية مراراً، و كان يُنشد ملحمة عظمته أمام عيونهم المحملقة، و يكشف عن قبائح معاوية و مثالبه بلا وجل^{٥٠١}.

و كم أراد منه معاوية أن يطعن في عليّ عليه السلام، لكنّه لم يلقَ إلّا الخزي و الفضيحة، إذ جوبه بخطبه البليغة الأخاذة^{٥٠٢}.

آمنه معاوية- مكرهاً- بعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام، و صلح الإمام الحسن عليه السلام^{٥٠٣}، فاستثمر صغصعة هذه الفرصة ضدّ معاوية. و كان معاوية

ص: ١٤٣

دائم الامتعاظ من بيان صغصعة الفصيح المعبر، و تعابيره الجميلة في وصف فضائل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، و لم يخف هذا الامتعاظ^{٥٠٤}. توقى صغصعة أيام حكمه معاوية^{٥٠٥}.

في الأمالي للطوسي عن صغصعة بن صوحان: دخلت على عثمان بن عفان في نفر من المصريّين، فقال عثمان: قدّموا رجلاً منكم يكلمني، فقدّموني، فقال عثمان: هذا!! و كأنّه استحدثني.

فقلت له: إنّ العلم لو كان بالسنّ، لم يكن لي و لا لك فيه سَهْمٌ، و لكنّهُ بالتعلّم.

فقال عثمان: هات.

فقلت: بسم الله الرحمن الرحيم

^{٤٩٨} (٢). وقعة صفين: ص ٤٥٧ و ص ٤٨٠.

^{٤٩٩} (٣). راجع: الاختصاص: ص ١٢١.

^{٥٠٠} (٤). الكافي: ج ٧ ص ٥١ ح ٧.

^{٥٠١} (٥). مروج الذهب: ج ٣ ص ٥٠، ديوان المعاني: ج ٢ ص ٤١.

^{٥٠٢} (٦). رجال الكشي: ج ١ ص ٢٨٥ الرقم ١٢٣.

^{٥٠٣} (٧). رجال الكشي: ج ١ ص ٢٨٥ الرقم ١٢٣.

^{٥٠٤} (١). رجال الكشي: ج ١ ص ٢٨٥ الرقم ١٢٣؛ مروج الذهب: ج ٣ ص ٤٩ و ص ٥١.

^{٥٠٥} (٢). الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ٢٢١، تاريخ مدينة دمشق: ج ٢٤ ص ٨٥، اسد الغابة: ج ٣ ص ٢١ الرقم ٢٥٠٥.

«الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَآمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَ لِلَّهِ غَاقِبَةُ الْأُمُورِ»^{٥٠٦}.

فقال عثمان: فينا نزلت هذه الآية.

فقلت له: فَمُرَّ بالمعروف و أنه عن المنكر.

فقال عثمان: دع هذا، و هات ما معك.

فقلت له: بسم الله الرحمن الرحيم

«الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ»^{٥٠٧}

إلى آخر الآية.

فقال عثمان: و هذه أيضاً نزلت فينا، فقلت له: فأعطينا بما أخذت من الله.

ص: ١٦٤

فقال عثمان: يا أيها النَّاس، عليكم بالسمع و الطَّاعة، فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ، و إِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْفِتْنَةِ^{٥٠٨}، فلا تستمعوا إلى قول هذا، و إنَّ هذا، لا يدري مَنْ الله، و لا أين الله.

فقلت له: أمَّا قولك: عليكم بالسمع و الطَّاعة»، فَإِنَّكَ تريد منَّا أن نقول غداً:

«رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَ كُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا»^{٥٠٩}

و أمَّا قولك: أنا لا أدري مَنْ الله، فَإِنَّ اللَّهَ رَبُّنَا وَ رَبُّ آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ، و أمَّا قولك: إني لا أدري أين الله، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بالمرصاد.

قال: فغضب و أمر بصرفنا و غلق الأبواب دُونَنَا^{٥١٠}.

و في ديوان المعاني عن محمد بن عباد: تكلم صَعَصَعَةً عند معاوية بكلام أحسن فيه، فحسده عمرو بن العاص، فقال: هذا بالتمر أبصر منه بالكلام!

^{٥٠٦} (٣). الحج: ٤١.

^{٥٠٧} (٤). الحج: ٤٠.

^{٥٠٨} (١). الفذ: الواحد. و قد فذَّ الرجلُ عن أصحابه إذا شدَّ عنهم و بقي فرداً (النهاية: ج ٣ ص ٤٢٢).

^{٥٠٩} (٢). الأحزاب: ٦٧.

^{٥١٠} (٣). الأمالي للطوسي: ص ٢٣٦ ح ٤١٨.

قال صَعَصَعَةً: أجل! أجودُهُ ما دَقَّ نَوَاهُ، و رَقَّ سَحَاؤُهُ^{٥١١} و عَظُمَ لِحَاؤُهُ^{٥١٢}، و الرِّيحُ تَنْفِجُهُ^{٥١٣}، و الشَّمْسُ تُنْضِجُهُ، و البرد يَدْمِجُهُ، و لكنك يا ابن العاص لا تمرأاً تَصِفُ، و لا الخَيْرَ تَعْرِفُ، بل تَحْسُدُ فَتُقْرِفُ.

فقال معاوية (لعمرؤ): رغماً! فقال عمرو: أضعافُ الرَّغْمِ لَكَ! و ما بي إلَّا بعض ما بِكَ^{٥١٤}

ص: ١٦٥

و في تاريخ الطبري عن الشَّعْبِيِّ- في ذكر قيام الكوفيَّين على سعيد بن العاص-: فكتب سعيد إلى عثمان يخبره بذلك و يقول: إنَّ رهطاً من أهل الكوفة- سمَّاهم له عشرة- يؤلَّبون و يجتمعون على عيبك و عيبي، و الطَّعن في ديننا، و قد خشيت إن ثبت أمرهم أن يكثرُوا. فكتب عثمان إلى سعيد أن: سيِّرهم إلى معاوية- و معاوية يومئذٍ على الشَّام-

فسيِّرهم- و هم تسعة نفر- إلى معاوية، فيهم: مالك الأَشْتَر، و ثابت بن قَيْس بن مُنْغِق، و كُمَيْل بن زياد النَّخَعِي، و صَعَصَعَةُ بن صُوحان^{٥١٥}

و في العقد الفريد: دخل صَعَصَعَةُ بن صُوحان على معاوية، و معه عَمْرؤ بن العاص، جالس على سريره، فقال: وسَّع له على ترابيَّة فيه.

فقال صَعَصَعَةُ: إنِّي و الله لترابيِّ، منه خلقت و إليه أعود، و منه ابعث، و إنك لمارج^{٥١٦} من مارج من نار^{٥١٧}.

و في تاريخ الطبري عن مُرَّة بن مُنْغِذ بن النُّعْمان- في ذكر خروج الخوارج في زمن معاوية، و سعى المُغْبِرَةَ لتعيين قائد الجند-: لقد كان صَعَصَعَةُ بن صُوحان قام بعد مَعْقِل بن قَيْس، و قال: ابعثنى إليهم أيُّها الأمير، فأنا و الله، لدمائهم مستحلّ، و بحملها مستقلّ.

فقال: اجلس، فإنَّما أنت خطيب. فكان أحفظه ذلك، و إنَّما قال ذلك؛ لأنَّه بلغه أنه يعيب عثمان بن عفَّان، و يُكثر ذكر عليّ و يفضِّله، و قد كان دعاه، فقال:

إِيتَاكَ أَنْ يَبْلُغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ تُعِيبُ عِثْمَانَ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، وَ إِتَاكَ أَنْ يَبْلُغَنِي

ص: ١٦٦

^{٥١١} (٤). أي: قِسْرُهُ (لسان العرب: ج ١٤ ص ٣٧٢).
^{٥١٢} (٥). اللحاء: هو ما كسا النواذ (لسان العرب: ج ١٥ ص ٢٤٢).
^{٥١٣} (٦). نفجت الشيء: أي عظمته (مجمع البحرين: ج ٣ ص ١٨٠٨).
^{٥١٤} (٧). ديوان المعاني: ج ٢ ص ٤١؛ قاموس الرجال: ج ٥ ص ٤٩٧.
^{٥١٥} (١). تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٣٢٣ و راجع تاريخ مدينة دمشق: ج ٢٤ ص ٩٢ و شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢ ص ١٣١ و البداية و النهاية: ج ٧ ص ١٦٥.
^{٥١٦} (٢). المارج: اللهب المختلط بسواد النَّار. (لسان العرب: ج ٢ ص ٣٦٥).
^{٥١٧} (٣). العقد الفريد: ج ٣ ص ٣٥٥.

عنك أنك تُظهر شيئاً من فضل عليّ علانية، فإنّك لست بذاكر من فضل عليّ

شيئاً أجهله، بل أنا أعلم بذلك، و لكنّ هذا السلطان قد ظهر، و قد أخذنا بإظهار عيبه للناس، فنحن ندع كثيراً ممّا امرنا به، و نذكر الشّيء الذي لا نجد منه بدءاً، ندفع به هؤلاء القوم عن أنفسنا تقيّةً، فإنّ كنت ذاكرًا فضله، فاذكره بينك و بين أصحابك، و في منازلكم سرّاً، و أمّا علانيةً في المسجد، فإنّ هذا لا يحتمله الخليفة لنا، و لا يعذرنا به.

فكان يقول له: نعم أفعل، ثمّ يبلغه أنّه قد عاد إلى ما نهاه عنه، فلمّا قام إليه، و قال له: ابعثنى إليهم، وجد المُعيرة قد حقد عليه، لخلافه إياه، فقال: اجلس، فإنّما أنت خطيب، فأحفظه.

فقال له: أ و ما أنا إلّا خطيب فقط؟! أجل و الله، إني للخطيب الصّليب الرّئيس، أما و الله، لو شهدتني تحت راية عبد القيس يوم الجمل، حيث اختلفت القنا، فشؤون^{٥١٨} تُفري، و هامة تُختلي، لعلمت أنّي أنا اللّيث الهزبر. فقال: حسبك الآن، لعمرى لقد اوتيت لساناً فصيحاً^{٥١٩}.

و في مروج الدّهب: وفد عليه (أى معاوية) عقيلُ بن أبي طالب منتجعاً و زائراً، فرحّب به معاوية، و سرّ بوروده، لاختياره إياه على أخيه، و أوسعه حلاً و احتمالاً، فقال له: يا أبا يزيد، كيف تركت عليّاً؟!

فقال: تركته على ما يحبّ الله و رسوله، و ألفيتك على ما يكره الله و رسوله.

فقال له معاوية: لو لا أنّك زائر، منتجع جنابنا، لرددت عليك أبا يزيد جواباً تألم منه، ثمّ أحبّ معاوية أن يقطع كلامه، مخافة أن يأتي بشيء يخفضه، فوثب

ص: ١٤٧

عن مجلسه، و أمر له بنزل^{٥٢٠}، و حمل إليه مالاً عظيماً، فلما كان من غد جلس، و أرسل إليه فأتاه، فقال له: يا أبا يزيد، كيف تركت عليّاً أخاك؟!

قال: تركته خيراً لنفسه منك، و أنت خير لى منه.

فقال له معاوية: أنت و الله، كما قال الشّاعر:

فالمجدُ منهم في بنى عتّاب

و إذا عددت فخار آلٍ مُحرقٍ

^{٥١٨} (١). الشّأن: واجد الشّؤون، و هي موايل قبائل الرّأس و مُلتقاه، و منها تجيء الدّموع (مجمع البحرين):

ج ٢ ص ٩٢٢).

^{٥١٩} (٢). تاريخ الطبري: ج ٥ ص ١٨٨.

^{٥٢٠} (١). الرّزل: ما هبّ للضيف إذا نزل عليه. (لسان العرب: ج ١١ ص ٦٥٨).

فمحلّ المجد من بنى هاشم منوط فيك يا أبا يزيد، ما تغيّرك الأيام و اللّيالى.

فقال عَقِيل:

لا بُدَّ أن تَصَلَى بِحَامِيهَا

اصْبِرْ لِحَرْبِ أَنْتَ جَانِيهَا

و أنت و الله، يا بن أبى سُفْيَان كما قال الآخر:

يوماً فَخَرْتُهُمْ بِأَلِ مُجَاشِعِ

و إذا هَوَازِنُ أَقْبَلْتَ بِفَخَارِهَا

و الضَّارِبِينَ الْهَامَ يَوْمَ الْفَارِعِ

بِالْحَامِلِينَ عَلَى الْمَوَالِي غُرْمَهُمْ

و لكن أنت يا معاوية، إذا افتخرت بنو أمية فبمن تفخر؟

فقال معاوية: عزمت عليك- أبا يزيد- لمّا أمسكت، فإتى لم أجلس لهذا، و إنّما أردت أن أسألك عن أصحاب على؛ فإنك ذو معرفة بهم.

فقال عَقِيل: سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ.

فقال: ميّز لى أصحاب على، و ابدأ بأل صوحان، فإنّهم مخاريقُ الكلام ...^{٥٢١}

ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ

ثابت بن قَيْسِ بن الخَطِيمِ الأنصاريّ الطَّفَرِيّ. أحد الصّحابة. كان مع

ص: ١٦٨

^{٥٢١} (٢). مروج الذهب: ج ٣ ص ٤٦.

النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي أَحَدٍ^{٥٢٢}، وَيُقَالُ: إِنَّهُ جُرِحَ فِيهَا اثْنَتَيْ عَشْرَةَ جِرَاحَةً^{٥٢٣}، وَسَمَّاهُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: الْحَاسِرُ. وَاشْتَرَكَ فِي الْغَزَوَاتِ الَّتِي تَلَتْهَا أَيْضاً^{٥٢٤}، وَكَانَ ثَابِتَ الْخَطِيءِ، شَدِيدَ النَّفْسِ^{٥٢٥}.

عِنْدَ مَا ثَارَ النَّاسُ عَلَى عَثْمَانَ، وَاسْتَدْعَى وِلَاتَهُ عَلَى الْأَمْصَارِ إِلَى الْمَدِينَةِ لِلْمَشُورَةِ، اسْتَخْلَفَ سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ - وَالِي الْكُوفَةِ - يَوْمَئِذٍ ثَابِتاً عَلَيْهَا^{٥٢٦}. وَذَكَرَ الْمُؤَرِّخُونَ أَنَّ الْإِمَامَ عَلِيّاً عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَّاهُ عَلَى الْمَدَائِنِ^{٥٢٧}. وَكَانَ مَعَاوِيَةَ يَهَابُهُ^{٥٢٨}. وَظَلَّ عَلَى الْمَدَائِنِ - إِلَى أَنْ اسْتَعْمَلَ مَعَاوِيَةَ الْمُغْيِرَةَ عَلَى الْكُوفَةِ، فَغَزَاهُ^{٥٢٩}.

كَانَ ثَابِتٌ مَعَ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي حُرُوبِهِ الثَّلَاثِ^{٥٣٠}.

فِي تَارِيخِ بَغْدَادٍ - فِي ذِكْرِ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ الْخَطِيمِ -: شَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَحَدًا وَالْمَشَاهِدَ بَعْدَهَا. وَيُقَالُ: إِنَّهُ جُرِحَ يَوْمَ أَحَدِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ جِرَاحَةً. وَعَاشَ إِلَى خِلَافَةِ مَعَاوِيَةَ، وَاسْتَعْمَلَهُ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَى الْمَدَائِنِ^{٥٣١}.

وَفِي اسْدِ الْغَابَةِ: شَهِدَ ثَابِتٌ مَعَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْجَمْلَ وَصَفِّينَ وَالتَّهْرَوَانَ^{٥٣٢}

ص: ١٦٩

وَفِي تَارِيخِ بَغْدَادٍ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَّارَةَ بْنِ الْقِدَاحِ: كَانَ ثَابِتٌ بْنُ قَيْسِ بْنِ الْخَطِيمِ شَدِيدَ النَّفْسِ، وَكَانَ لَهُ بَلَاءٌ مَعَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَاسْتَعْمَلَهُ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَى الْمَدَائِنِ، فَلَمْ يَزَلْ عَلَيْهَا حَتَّى قَدِمَ الْمُغْيِرَةَ بْنِ شُعْبَةَ الْكُوفَةِ، وَكَانَ مَعَاوِيَةُ يَتَّقِي مَكَانَهُ^{٥٣٣}.

عَلْبَاءُ بْنُ الْهَيْثَمِ السَّدُوسِيُّ مِنْ رَبِيعَةَ

بِكَسْرِ أَوَّلِهِ وَسُكُونِ اللَّامِ بَعْدَهَا مُوَحَّدَةً، أَيْ: بِكَسْرِ الْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ، وَاللَّامِ السَّاكِنَةِ، وَالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ الْمَفْتُوحَةِ، وَالْأَلْفِ وَالْهَمْزَةِ. قَالَ فِي الْقَامُوسِ: وَ عَلْبَا بِالْكَسْرِ مَمْدُوداً اسْمُ رَجُلٍ، أَدْرَكَ عَلْبَاءُ الْجَاهِلِيَّةَ وَالْإِسْلَامَ، وَ شَهِدَ الْفَتْوحَ فِي عَهْدِ عَمْرِو، ثُمَّ شَهِدَ الْجَمْلَ فَاسْتَشْهَدَ بِهَا^{٥٣٤}.

^{٥٢٢} (١). تَارِيخِ بَغْدَادٍ: ج ١ ص ١٧٥ الرَّقْم ١٥.

^{٥٢٣} (٢). تَارِيخِ بَغْدَادٍ: ج ١ ص ١٧٥ الرَّقْم ١٥، الْإِصَابَةُ: ج ١ ص ٥١٠ الرَّقْم ٩٠٤.

^{٥٢٤} (٣). الْإِصَابَةُ: ج ١ ص ٥١٠ الرَّقْم ٩٠٤.

^{٥٢٥} (٤). تَارِيخِ بَغْدَادٍ: ج ١ ص ١٧٦ الرَّقْم ١٥.

^{٥٢٦} (٥). الْإِصَابَةُ: ج ١ ص ٥٠٩ الرَّقْم ٩٠٤.

^{٥٢٧} (٦). تَارِيخِ بَغْدَادٍ: ج ١ ص ١٧٥ الرَّقْم ١٥، الْإِصَابَةُ: ج ١ ص ٥١٠ الرَّقْم ٩٠٤.

^{٥٢٨} (٧). تَارِيخِ بَغْدَادٍ: ج ١ ص ١٧٦ الرَّقْم ١٥.

^{٥٢٩} (٨). تَارِيخِ بَغْدَادٍ: ج ١ ص ١٧٦ الرَّقْم ١٥، الْإِصَابَةُ: ج ١ ص ٥١٠ الرَّقْم ٩٠٤.

^{٥٣٠} (٩). اسْدِ الْغَابَةِ: ج ١ ص ٤٥٠ الرَّقْم ٥٦٨.

^{٥٣١} (١٠). تَارِيخِ بَغْدَادٍ: ج ١ ص ١٧٥ الرَّقْم ١٥.

^{٥٣٢} (١١). اسْدِ الْغَابَةِ: ج ١ ص ٤٥٠ الرَّقْم ٥٦٨.

^{٥٣٣} (١). تَارِيخِ بَغْدَادٍ: ج ١ ص ١٧٦ الرَّقْم ١٥.

^{٥٣٤} (٢). رَاجِعِ: الْإِصَابَةُ: ج ٥ ص ١٠٤.

عن الأصمعي: حدّثني شيخ في مجلس أبي عمرو بن العلاء، أنّ أهل الكوفة أوفدوا علباء بن الهيثم السدوسيّ إلى عمر، فرأى هيئة رثّة، فلمّا تكلم في حاجته أحسن؛ فقال: لكلّ أناس في جملةم خير.^{٥٣٥} [أو المعنى: أنّ خبره فوق منظره].

كان علباء من الذين ثاروا على عثمان حتّى قتلوه^{٥٣٦}.

إنّ عليّاً عليه السلام قال:

«مَنْ يَحْمِلُ عَلِيَّ الْجَمَلِ؟».

فانتدب له هند بن عمرو الجمليّ المراديّ، فاعترضه عمّار بن يثربى، فقتله. ثمّ حمل علباء بن الهيثم فاعترضه ابن

ص: ١٧٠

يثربى فقتله.^{٥٣٧} و لكن قال الطبري: إنّ عليّاً قال:

«مَنْ رَجُلٌ يَحْمِلُ عَلِيَّ الْجَمَلِ؟»

فحمل هند بن عمرو، ثمّ سيحان بن صوحان، ثمّ علباء بن الهيثم^{٥٣٨}.

و قال ابن عبد ربّه: و قُتل من أصحاب عليّ خمسمائة رجل، لم يُعرف منهم إلّا علباء بن الهيثم، و هند الجمليّ، قتلتهما ابن
اليثربى^{٥٣٩}.

و قال ابن أعثم: خرج عمرو بن يثربى من أصحاب الجمليّ، حتّى وقف بين الصقيين قريباً من الجمليّ، ثمّ دعا إلى البراز، و
سأل النزال، فخرج إليه علباء بن الهيثم، من أصحاب عليّ رضى الله عنه، فشدّ عليه عمرو، فقتله^{٥٤٠}.

قال ابن أبي الحديد: [في الجواب عن الطعن في سياسة عليّ عليه السلام، بمفارقة أصحابه إيّاه]، و الجواب: إنّنا أوّلًا، لا ننكر
أن يكون كلّ من رغب في حطام الدنيا، و زخرفها، و أحبّ العاجل من ملاذّها و زينتها، يميل إلى معاوية الذي يبذل منها
كلّ مطلوب، و يسمّح بكلّ مأمولٍ، و يطعم خراج مصر عمرو بن العاص، و يضمّن لذي الكلاع، و حبيب بن مسلمة - ما يوفى
على الرّجاء و الاقتراح.

^{٥٣٥} (٣). الاصابة: ج ٥ ص ١٠٤ الرقم ٦٤٦٥، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٢ ص ١٦٩؛ قاموس الرجال: ج ٧ ص ٢٥٣.

^{٥٣٦} (٤). تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٤٩٣.

^{٥٣٧} (١). أعيان الشيعة: ج ٨ ص ١٤٩.

^{٥٣٨} (٢). راجع: تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥٢٩، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١ ص ٢٥٨.

^{٥٣٩} (٣). العقد الفريد: ج ٣ ص ٣٢٤.

^{٥٤٠} (٤). الفتوح: ج ٢ ص ٤٧٧.

و عليّ عليه السلام، لا يعدل - فيما هو أمينّ عليه من مال المسلمين - عن قضية الشريعة، و حكم الملة، حتّى يقول خالد بن معمر السدوسي، لعليّ بن الهيثم - و هو يحمله على مفارقة عليّ عليه السلام، و اللّحاق بمعاوية:-

أتقّ الله يا عليّ في عشيرتك، و انظر لنفسك و لرحمك، ما ذا تؤمّل عند رجل أردته على أن يزيد في عطاء الحسن و الحسين دريهماتٍ يسيرة، ريثما يرأبان بها

ص: ١٧١

ظَلَفَ عَيْشِهِمَا، فَأَبَى وَ غَضِبَ، فَلَمْ يَفْعَلْ^{٥٤١}.

[هذه القضية - إن صحّت - إنّما تدلّ على عظم إخلاص الَّذِينَ اتَّبَعُوا عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ، و وازروه، و نصره حتّى قُتِلُوا دونه. و منهم عليّ بن الهيثم السدوسي رضى الله عنه.

يمكن أن يشكل أحد فيقول: إنّ عليّ مات يوم الجمل، كما في هذا الكتاب و الكتاب المتقدم، و هو ما نقله أرباب السير و التراجم، كما في ترجمته في قاموس الرجال، و الطبري، و أنساب الأشراف، و الإصابة، و ابن أبي الحديد^{٥٤٢}.

فكيف نصدّق بما دار بين السدوسي و بين عليّ؟ و الحال أنّ لحوق المنافقين بمعاوية كان بعد وقعة الجمل، بل بعد وقعة صفين؟ و الجواب هو: أنّ لحوق المنافقين بمعاوية، لم يحدّد بفترة ما بعد الجمل و صفين، بل يجد المتتبع أنّ أهل الدنيا ملذّاتها، مضافاً إلى الذين كانوا ينصرون عثمان بن عفّان، قد التحقوا بمعاوية من مختلف الأمصار كالمدينة و الكوفة و البصرة و غيرها منذ البداية، أي قبل حرب الجمل، و حتى آخر أيام حياته، عليه أفضل الصلاة و السلام].

هِنْدُ بْنُ عَمْرٍو الْجَمَلِيُّ

بفتح الجيم، أدرك الجاهليّة، و ولّاه عمر على نصارى بنى تغلب سنة سبع عشرة، و كان قاتلُ هند عبد الله بن يثربيّ الضّبّيّ، و في ذلك يقول:

قَاتِلُ عَلِيًّا وَ هِنْدُ الْجَمَلِيُّ^{٥٤٣}

إِن تَقْتُلُونِي فَأَنَا ابْنُ يَثْرِبِي

^{٥٤١} (١). شرح نهج البلاغة: ج ١٠ ص ٢٥٠؛ قاموس الرجال: ج ٧ ص ٢٥٣.

^{٥٤٢} (٢). راجع: تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥٣٠ - ٥٣١، أنساب الأشراف: ج ٣ ص ٤٠، الإصابة: ج ٥ ص ١٠٤، شرح نهج البلاغة: ج ١ ص ٢٥٨؛

قاموس الرجال: ج ٧ ص ٢٥٣.

^{٥٤٣} (٣). كذا ورد في المصدر، و هو خطأ فاحشٌ فحلّ باللغة و الشعر، و الصحيح هو كما أثبتّه ابن الأثير في تاريخه:

قَاتِلُ عَلِيًّا وَ هِنْدُ الْجَمَلِيُّ

أَنَا لِمَنْ يَنْكُرُنِي ابْنُ يَثْرِبِي

ص: ١٧٢

و قتل يوم الجمل مع عليّ، و استدركه ابن فتحون^{٥٤٤}.

قال السمعاني: هند بن عمرو الجَمَلِيّ، كان مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام يوم الجمل، و قتل معه، قتله ابن يثربى^{٥٤٥}.

قال الطَّبْرِيّ: فقال عليّ:

«مَنْ رَجُلٌ يَحْمِلُ عَلَيَّ الْجَمَلَ؟»

فانتدب له هند بن عمرو المراديّ، فاعترضه ابن يثربى، فاختلفا ضربتين، فقتله ابن يثربى^{٥٤٦}.

و عدّ الطَّبْرِيّ هنداً من رؤساء النافرين من الكوفة إلى حرب الجمل، قال: فكان رؤساء الجماعة: القعقاع بن عمرو، و سعر بن مالك، و هند بن عمرو و ...^{٥٤٧}.

قال في القاموس: و في جمل المفيد رحمه الله، و الإمامة و السّياسة: أنّ أمير المؤمنين عليه السلام، استعمل على ساقته^{٥٤٨} هنداً المراديّ، ثمّ الجَمَلِيّ، و هو الَّذِي قال فيه عمر: سيّد أهل الكوفة، اسمه اسمُ امرأة^{٥٤٩}. و في معارف ابن قتيّبة أنّه قتل في صفّين^{٥٥٠}، [أو هو خطأ].

[و] لما بعث أمير المؤمنين عليه السلام الحسن عليه السلام إلى الكوفة، لاستنفار النَّاسِ إلى الجمل، فخطبهم و حضّمهم على الجهاد ... فقام هند بن عمرو، فقال: إنّ

ص: ١٧٣

أمير المؤمنين قد دعانا، و أرسل إلينا رسله حتّى جاءنا ابنه، فاسمعوا إلى قوله، و انتهوا إلى أمره، و انفروا إلى أميركم، فانظروا معه في هذا الأمر، و أعينوه برأيكم^{٥٥١}.

^{٥٤٤} (١). الإصابة: ج ٦ ص ٤٥١ الرقم ٩٠٧٥، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٤٠.
^{٥٤٥} (٢). الأنساب للسمعاني: ج ٢ ص ٨٧، اللباب في تهذيب الأنساب: ج ١ ص ٢٩٢.
^{٥٤٦} (٣). راجع: تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥٢٩، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٤٠، أنساب الأشراف: ج ٣ ص ٤٠، شرح نهج البلاغة: ج ١ ص ٢٥٨، لسان العرب: ج ١١ ص ١٢٤؛ الجمل: ص ٣٤٥، وقعة صفين: ص ٥٥٧، المناقب لابن شهر آشوب: ج ٣ ص ١٥١-١٥٢، أعيان الشيعة: ج ١٠ ص ٢٧٢.
^{٥٤٧} (٤). راجع: تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٤٨٨، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٣٠؛ المناقب لابن شهر آشوب: ج ٣ ص ١٥١.
^{٥٤٨} (٥). ساقّة الجيش: مؤخره (لسان العرب: ج ١٠ ص ١٦٧).
^{٥٤٩} (٦). الجمل: ص ٣١٩، قاموس الرجال: ج ٩ ص ٣٧٢؛ الإمامة و السياسة: ج ١ ص ٩٠.
^{٥٥٠} (٧). المعارف لابن قتيّبة: ص ١٠٦؛ قاموس الرجال: ج ٩ ص ٣٧٢.
^{٥٥١} (٨). الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٢٩.

أمر عُمر نعيماً- بعد فتح الرّي- أن يرسل أخاه سُويد بن مقرن، و معه هند بن عُمرو الجَمَلِيّ، و غيره إلى قوميس. فهو شهد فتح الرّي و قوميس.^{٥٥٢}

قال البلاذري: و كان هند الجَمَلِيّ يقول و هو يقاتل حتّى قتل:

أضربُهُم جَهْدِي بِحَدِّ الْمُنْصَلِ و الْمَوْتُ دُونَ الْجَمَلِ الْمُجَلِّ

إِنْ تَحْمِلُوا قُدَمَا عَلَيَّ أَحْمِلُ.^{٥٥٣}

أو مهما يكن من أمر، فإنّ حضور هؤلاء الصفوة في حرب الجمل، تحت راية أمير المؤمنين عليه السلام، و قتلهم دونه، دليل على مقامهم المعنوي السّامى، و على شدّة وعيهم و نضجهم، هذا مضافاً إلى أنّهم كانوا من رؤساء النّافرين إليه، و من الخطباء الدّاعين إليه، الأمرين بالمعروف و النّاهين عن المنكر، الأمر الذى جعله- صلوات الله عليه- يذكرهم في كتابيه إلى الكوفة و المدينة، كل ذلك دليل على سُمُوّ مقامهم فى المجتمع الإسلامى، و فى كلا المصرين، حيث خصّهم بالذكر دون سائر الشّهداء الكبار، رحمة الله عليهم جميعاً.

خَالِدُ بْنُ مَعْمَرٍ

خالد بن المَعْمَر بن سُلَيْمَانَ السّدوسى. كان من أصحاب الإمام علىّ، و من كبار قبيلة ربيعة^{٥٥٤}. شهد الجمل. و كان من رؤساء البصرة الاوّل الذين استجابوا

ص: ١٧٤

للإمام عليه السلام، عند عزمه على قتال معاوية، و أسرعوا إلى نصرته^{٥٥٥}.

و كانت قبيلة ربيعة من كبار القبائل الّتى شهدت حرب صفّين، و لها فيها دور أساسى مهم^{٥٥٦}.

[حاول معاوية ترغيبه، و كاتبه، و وعده بولاية خراسان، و لكنّ الإمام عليه السلام لم يعر ذلك اهتماماً، و استمرّ خالد قائداً لربيعة، إلّا أنّ تضععه فى الأحداث اللاحقة للحرب كان واضحاً].

^{٥٥٢} (٢). راجع: تاريخ الطبرى: ج ٤ ص ١٥١-١٥٢.

^{٥٥٣} (٣). أنساب الأشراف: ج ٣ ص ٤٠-٤١.

^{٥٥٤} (٤). رجال الطوسى: ص ٦٣ الرقم ٥٥٤.

^{٥٥٥} (١). الأخبار الطوال: ص ١٦٥، الإصابة: ج ٢ ص ٢٩٩ الرقم ٢٣٢٦.

^{٥٥٦} (٢). راجع: الإصابة: ج ٢ ص ٢٩٩ الرقم ٢٣٢٦؛ وقعة صفّين: ص ٤٨٤ و راجع الأخبار الطوال: ص ١٧١.

و عند ما رُفعت المصاحف على الرّماح، قال خالد للإمام عليه السلام: ما البقاء إلّا فيما دعا القوم إليه، إن رأيتّه. و إن لم تره فرأيك أفضل^{٥٥٧}.

و خان خالد الإمام الحسن عليه السلام^{٥٥٨}، و ذهب إلى معاوية و بايعه. فكّرّمه و ولاه على أرمينية. و قيل في هذا المجال:

مُعَاوِيَ أَمْرُ خَالِدِ بْنِ مُعَمَّرٍ فَإِنَّكَ لَوْ لَا خَالِدٌ لَمْ تُؤَمَّرَا

و مات خالد قبل وصوله إليها^{٥٥٩}.

و جاء في بعض المصادر أنّه مدح الإمام عليّاً عليه السلام بمحضر معاوية، و قال في حبه إياه: احبّه و اللّهُ، على حلمه إذا غَضِبَ، و وفائه إذا عقد، و صدقه إذا أكَدَّ، و عدله إذا حَكَمَ^{٥٦٠}.

ص: ١٧٥

٣٠ كتابه عليه السلام لِمَاهُوِيَه

نقل الطّبري، عن عليّ بن محمّد المدائني، عن أبي زكريّا العجلاني، عن أبي إسحاق، عن أشياخه، قال: قدم ماهويه أبراز- مرزبان مرو- على عليّ بن أبي طالب عليه السلام بعد الجمل مقرأ بالصّلح، فكتب له عليّ كتاباً إلى ذهاقين مرو، و الأساورة، و الجند سلارين، و من كان في مرو:

«بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ مَاهُوِيَه أَبْرَاز- مَرْزَبَانَ مَرُو- جَاءَنِي، وَأِنِّي رَضِيْتُ عَنْهُ».

و كتب سنة ست و ثلاثين^{٥٦١}.

٣١ كتابه عليه السلام إلى أبي موسى الأشعريّ

^{٥٥٧} (٣). الأخبار الطوال: ص ١٨٩، الإمامة و السياسة: ج ١ ص ١٤٠؛ وقعة صفين: ص ٤٨٥ كلاهما نحوه.
^{٥٥٨} (٤). تاريخ مدينة دمشق: ج ١٦ ص ٢٠٦.
^{٥٥٩} (٥). الإصابة: ج ٢ ص ٢٩٩ الرقم ٢٣٢٦، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٦ ص ٢٠٦.
^{٥٦٠} (٦). تاريخ مدينة دمشق: ج ١٦ ص ٢٠٨، الصواعق المحرقة: ص ١٣٢، الفصول المهمة: ص ١٢٧؛ الأمالي للطوسي: ص ٥٩٤ ح ١٢٢٩، تنبيه الخواطر: ج ٢ ص ٧٥، كشف الغمّة: ج ٢ ص ٣٦ كلّها نحوه.
^{٥٦١} (١). تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥٥٧ و راجع: الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٥٧، تاريخ الخلفاء: ص ٣٦؛ تاريخ اليعقوبي: ص ١٨٣.

من كتاب له عليه السلام إلى أبي موسى الأشعري، و هو عامله على الكوفة، و قد بلغه عنه تشبيطه الناس عن الخروج إليه،
لمّا نذّبهم لحرب أصحاب الجمل:

«مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ.

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَّغَنِي عَنْكَ قَوْلٌ، هُوَ لَكَ وَعَلَيْكَ، فَإِذَا قَدِمَ رَسُولِي عَلَيْكَ فَارْفَعْ ذَلِكَ، وَاشْدُدْ مِئْزَرَكَ، وَاخْرُجْ مِنْ جُحْرِكَ،
وَإِنْدُبْ مَنْ مَعَكَ، فَإِنَّ حَقَّقْتَ فَأَنْفَعْتُ، وَإِنْ تَفَشَّلتَ فَأَبْعُدْ، وَإِيْمُ اللَّهِ لَتُؤْتِيَنَّ حَيْثُ أَنْتَ، وَلَا تُتْرَكَ حَتَّى يُخْلَطَ زُبْدُكَ بِخَائِرِكَ،
وَدَائِبُكَ بِجَامِدِكَ، وَحَتَّى تُعْجَلَ عَنْ فِعْدَتِكَ، وَتُحَذَرَ مِنْ أَمَامِكَ

ص: ١٧٤

كَحَذَرَكَ مِنْ خَلْفِكَ، وَمَا هِيَ بِالْهُوَيْنَى الَّتِي تَرْجُوهُ، وَلَكِنَّهَا الدَّاهِيَةُ الْكُبْرَى، يُرَكَّبُ جَمَلُهَا، وَيُذَلَّلُ صَعْبُهَا، وَيُسَهَّلُ جَبَلُهَا،
فَاعْقِلْ عَقْلَكَ، وَامْلِكْ أَمْرَكَ، وَخُذْ نَصِيْبَكَ وَحَظَّكَ، فَإِنْ كَرِهْتَ فَتَنَحَّ إِلَى غَيْرِ رَحْبٍ، وَلَا فِي نَجَاةٍ، فَبِالْحَرَى لَتَكْفَيْنَنَّ وَأَنْتَ
نَائِمٌ، حَتَّى لَا يُقَالَ: أَيْنَ فُلَانٌ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَحَقَّ مَعَ مُحِقٍّ، وَمَا أَبَالِي مَا صَنَعَ الْمُلْجِدُونَ، وَالسَّلَامُ».^{٥٦٢}

٣٢ كتابه عليه السلام إلى أهل المدينة

[أروى المفيد رحمه الله كتابه عليه السلام إلى أهل المدينة، بعد وقعة الجمل]

قال: ثُمَّ رَجَعَ إِلَى خَيْمَتِهِ، فَاسْتَدْعَى عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي رَافِعٍ - كَاتِبَهُ - وَ قَالَ:

«اكتب إلى أهل المدينة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ. فَإِنِّي أَحْمَدُ اللَّهَ إِلَيْكُمْ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ اللَّهَ بِمَنِّهِ، وَفَضْلِهِ،
وَحَسَنِ بَلَايِهِ عِنْدِي وَعِنْدَكُمْ، حَكَمٌ عَدْلٌ، وَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ - وَقَوْلُهُ الْحَقُّ -: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَبْغِي بِرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا
بِأَنْفُسِهِمْ وَ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ»^{٥٦٣}.

وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنَّا، وَعَمَّنْ سَرْنَا إِلَيْهِ مِنْ جُمُوعِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، وَمَنْ سَارَ إِلَيْهِمْ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ مَعَ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ، وَنَكْتِهِمَا
عَلَى^{٥٦٤} مَا قَدْ عَلِمْتُمْ مِنْ بَيْعَتِي، وَهُمَا

ص: ١٧٧

^{٥٦٢} (١) نهج البلاغة: الكتاب ٦٣ و راجع: الجمل: ص ١٣٣.

^{٥٦٣} (٢) الرعد: ١١.

^{٥٦٤} (٣) كذا في المصدر و الأرجح أنها: «عَلِيٍّ» فتكون الفاصلة قيل: «و نكثهما».

طائعان، غير مكرهين، فخرجت من عنديكم فيمن خرجت، ممن سارع إلى بيعتي، وإلى الحق^{٥٦٥} حتى نزلت ذا قار، فنفر معي من نفر من أهل الكوفة، وقدم طلحة والزبير البصرة، وصنعا بعاملي عثمان بن حنيف ما صنعا! فقدمت إليهم الرسل، وأعدت كل الإغدار.

ثم نزلت ظهر البصرة، فأعدت بالدعاء، وقدمت الحجّة، وأفلت العثرة، والزلة، واستتبتتتهما ومن معهما من نكثهم بيعتي، ونقضهما عهدي، فأبوا إلّا قتالي وقتال من معي، والتّمادى في العي، فلم أجد بداً من مناصفتهم لي، فناصرتهم بالجهاد، فقتل الله من قتل منهم ناكثاً، وولّى من ولّى منهم، وعمدت السيوف عنهم، وأخذت بالعفو فيهم، وأجريت الحق والسنة في حكمهم، واخترت لهم عاملاً استعمله عليهم، وهو عبد الله بن العباس، وإنّي سائر إلى الكوفة إن شاء الله تعالى.»

و كتب عبيد الله بن أبي رافع، في جمادى الأولى من سنة ست و ثلاثين من الهجرة^{٥٦٦}.

و قال العلّامة الأملي: و لعلّ الوجه في عدم ذكر الرضى - كتابه عليه السلام إلى أهل المدينة- في النهج، كان ذلك، أعنى أنّ كتابه إلى أهل المدينة، كان قريباً من كتابه إلى أهل الكوفة في ألفاظه و معانيه.^{٥٦٧} [أقول: لعلّ مراده من قوله إنّ علّة عدم نقل السيّد الرضى هذا، هو علّة عدم نقله كتابه إلى أهل الكوفة؛ لأنّ الشريف الرضى لم ينقل الكتابين معاً، و إنّما نقل جملاً من كتابه إلى أهل الكوفة.]

ص: ١٧٨

٣٣ كتابه عليه السلام إلى أهل الكوفة

كتابه عليه السلام إلى أهل الكوفة بعد فتح البصرة:

«وَجَزَأَكُمُ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ مِصْرٍ - عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ - أَحْسَنَ مَا يَجْزِي الْعَامِلِينَ بِطَاعَتِهِ، وَالشَّاكِرِينَ لِنِعْمَتِهِ، فَقَدْ سَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ، وَدُعِيْتُمْ فَأَجِبْتُمْ»^{٥٦٨}.

[و قد نقلنا هذا الكتاب بتمامه في موضع آخر من هذا الكتاب، نقلًا عن كتاب الجمل للمفيد رحمه الله، و اكتفينا هنا بموضع الحاجة منه.]

٣٤ كتابه عليه السلام إلى قرظة بن كعب

كتابه عليه السلام إلى قرظة بن كعب و أهل الكوفة:

^{٥٦٥} (١). كذا في المصدر، و الظاهر أنّها: «و إلى».

^{٥٦٦} (٢). الجمل: ص ٣٩٥ و راجع: بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٣٣٤، تلخيص الشافي: ج ٤ ص ١٣٧.

^{٥٦٧} (٣). شرح نهج البلاغة للأملي: ج ١٧ ص ١٧.

^{٥٦٨} (١). نهج البلاغة: الكتاب ٢، بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٢٥٣ ح ١٩٨ و راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٤ ص ٢٦.

رَوَى عَمْرُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ يَزِيدِ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ، عَنْ عَامِرِ الْأَسَدِيِّ: أَنَّ عَلِيًّا كَتَبَ بِفَتْحِ الْبَصْرَةِ- مَعَ عَمْرُو بْنِ سَلَمَةَ الْأَرْحَبِيِّ- إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ:

«مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى قَرْظَةَ بْنِ كَعْبٍ وَمَنْ قَبْلَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ؛ فَإِنِّي أَحْمَدُ اللَّهَ إِلَيْكُمْ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّا لَقِينَا الْقَوْمَ النَّكَاثِينَ لِبَيْعَتِنَا، الْمُفَرِّقِينَ لِحِمَامَتِنَا، الْبَاغِينَ عَلَيْنَا مِنْ أُمَّتِنَا، فَحَاجَّجْنَاهُمْ إِلَى اللَّهِ، فَنَصَرْنَا اللَّهَ عَلَيْهِمْ، وَقَتِلَ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرُ، وَقَدْ تَقَدَّمَتْ إِلَيْهِمَا بِالْمَعْذِرَةِ، وَاسْتَشْهَدَتْ عَلَيْهِمَا صَلْحَاءُ الْأُمَّةِ، وَنَكَّيْتُهُمَا^{٥٦٩} بِالْبَيْعَةِ؛ فَمَا أَطَاعَا الْمُرْشِدِينَ، وَلَا

ص: ١٧٩

أَجَابَا النَّاصِحِينَ، وَلَا ذَا أَهْلِ الْبَصْرَةِ بِعَائِشَةَ، فَقَتِلَ حَوْلَهَا عَالِمٌ جَمٌّ لَا يُحْصَى عَدَدُهُمْ إِلَّا اللَّهُ، ثُمَّ ضَرَبَ اللَّهُ وَجْهَ بَقِيَّتِهِمْ فَأَدْبَرُوا، فَمَا كَانَتْ نَاقَةُ الْحِجْرِ بِأَشَامَ مِنْهَا عَلَى أَهْلِ ذَلِكَ الْمِصْرِ، مَعَ مَا جَاءَتْ بِهِ مِنَ الْخُوبِ^{٥٧٠} الْكَبِيرِ فِي مَعْصِيَتِهَا لِرَبِّهَا وَنَبِيِّهَا، وَأَغْتَرَّارَ مِنْ اغْتَرَّ بِهَا، وَمَا صَنَعْتَهُ مِنَ التَّفْرِيقَةِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَسَفْكَ دِمَائِ الْمُسْلِمِينَ بِلَا بَيْنَةٍ وَلَا مَعْذِرَةٍ وَلَا حُجَّةٍ لَهَا.

فَلَمَّا هَزَمَهُمُ اللَّهُ أَمَرْتُ أَنْ لَا يُقْتَلَ مُدْبِرٌ، وَلَا يُجَهَّزَ عَلَى جَرِيحٍ، وَلَا يَكْشَفَ عَوْرَةً وَلَا يُهْتَكَ سِتْرٌ، وَلَا يُدْخَلَ دَارًا إِلَّا بِإِذْنِ أَهْلِهَا، وَقَدْ أَمَنْتُ النَّاسَ. وَقَدْ اسْتَشْهَدَ مِنَّا رِجَالٌ صَالِحُونَ، ضَاعَفَ اللَّهُ لَهُمُ الْحَسَنَاتِ، وَرَفَعَ دَرَجَاتِهِمْ، وَأَثَابَهُمْ ثَوَابَ الصَّابِرِينَ، وَجَزَاهُمْ مِنْ أَهْلِ مِصْرِ عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّهِمْ أَحْسَنَ مَا يَجْزَى الْعَامِلِينَ بِطَاعَتِهِ، وَالشَّاكِرِينَ لِنِعْمَتِهِ، فَقَدْ سَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ وَدَعَيْتُمْ فَأَجَبْتُمْ، فَنِعْمَ الْإِخْوَانُ وَالْأَعْوَانُ عَلَى الْحَقِّ أَنْتُمْ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ».

كتب عبيد الله بن أبي رافع، في رجب سنة ست و ثلاثين.^{٥٧١}

صورة أخرى من الكتاب المتقدم إلى قرظة بن كعب و أهل الكوفة:

الطبري عن السري، عن شعيب، عن سيف، عن مُحَمَّدٍ وَ طَلْحَةَ، قَالَا:

كتب عليّ بالفتح- فتح البصرة- إلى عامله بالكوفة حين كتب في أمرها، و هو يومئذ بمكة:

«مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّا التَّقِينَا فِي النِّصْفِ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ بِالْخَرِيبَةِ، فَنَاءً مِنْ أَفْنِيَةِ الْبَصْرَةِ، فَأَعْطَاهُمُ اللَّهُ عِزًّا وَ جَلًّا سَنَةَ الْمُسْلِمِينَ، وَقَتِلَ مِنَّا

ص: ١٨٠

^{٥٦٩} (٢). كذا في المصدر، و الصواب هو علي الأرحج: «و نكثا».

^{٥٧٠} (١). الخوب- بالضم-: الإثم. و يُقَالُ: حُبْتُ بِكَذَا، أَي: أَثِمْتُ. (الصحاح: ج ١ ص ١١٦).

^{٥٧١} (٢). الجمل: ص ٤٠٣ و راجع: الشافي في الإمامة: ج ٤ ص ٣٣٠، بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٢٥٢ ح ١٩٨؛ أنساب الأشراف: ج ٣ ص ٥٨.

ومنهم قتلى كثيرة، وأصيب ممن أصيب منّا: ثُمَامَةُ بنُ الْمُثَنَّى، وهِنْدُبُنُ عَمْرُو، وَعَلْبَاءُ بنُ الْهَيْثَمِ، وَسِيحَان، وَزَيْدُ ابْنَا صُوحَانَ، وَمَخْدُوجُ».

و كتب عبد الله بن رافع، و كان الرسول زفر بن قيس إلى الكوفة، بالبشارة في جمادى الآخرة.^{٥٧٢}

أقول: تقدّم الكلام في سند هذا الكتاب، و بعض ألفاظه، ما لا يخفى ما فيه من الإجمال، و عدم وضوح بعض الفقرات، كقوله عليه السلام: «فأعطاهمُ اللهُ سنَّةَ المُسلمينَ»، إذ لو رجع الضمير إلى أهل البصرة و طلحة و الزبير - كما هو الظاهر - فأمر المؤمنين عليه السلام أقر بأن الله تعالى أعطى مخالفه سنّة المسلمين. و لو رجع الضمير إلى «أهل الكوفة» الذين هم أنصاره عليه السلام، فالأنسب أن يقول: أعطانا. و لو رجع الضمير إلى المتحاربين من عسكره و عسكر مخالفه، فهو إقرار بأن أعداءه مسلمون، و أنهم أعطوا سنّة المسلمين. ثمّ ما المراد من سنّة المسلمين؟ أ هو الشّهادة؟ أو نصر الله الموعود به في القرآن الكريم؟ و الصّحيح - في رأينا - ما يأتي في كتابه عليه السلام إلى أمّ هاني:

«فأعطانا اللهُ النَّصرَ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ وَأَعْطَاهُمْ سُنَّةَ الظَّالِمِينَ».

قَرظَةُ بن كَعْبِ الأَنْصَارِيِّ الخَزْرَجِيِّ

و يقال: قَرظَةُ بن عَمْرُو بن كَعْبٍ؛ و هو أحد العشرة الذين وجههم عمر إلى الكوفة من الأنصار - و كان فاضلاً - ليفقه الناس. شهد قَرظَةُ مشاهد النّبىّ صلى الله عليه و آله، أخذ و ما بعدها، و هو آخر من فتح الرّيّ في ولاية أبي موسى الكوفة لعثمان، هذا نقله البلاذري، و قال الآخرون: و هو الذي فتح الرّيّ سنة ثلاث و عشرين، و سكن الكوفة. شهد قَرظَةُ مشاهد عليّ كلّها، و ولّاه عليّ عليه السلام الكوفة حين سار إلى حرب

ص: ١٨١

الجمال، و عزل أبا موسى عنها، و لمّا خرج إلى صفين حمله معه، و ولّاه أبا مسعود الأنصاري.^{٥٧٣} و بعد رجوعه عليه السلام عن البصرة بعثه إلى البيهقيّادات^{٥٧٤، ٥٧٥}.

و قال ابن أبي الحديد: و هو كاتب عين التمر، يجبي خراجها لعلّي عليه السلام. و في الغارات: و هو بجانب عين التمر، يجبي خراجها لعلّي عليه السلام.^{٥٧٦} [و نقل في الغارات - أيضاً - قصّة، لعلّها تدلّ على خيانتة لعلّي عليه السلام].

٣٥ كتابه عليه السلام إلى عبد الله بن عباس

^{٥٧٢} (١). راجع: تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥٤٢، جمهرة رسائل العرب: ج ١ ص ٣٣٤.
^{٥٧٣} (١). راجع: أنساب الأشراف: ج ٣ ص ٣٣، مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٦٨، تهذيب التهذيب: ج ٤ ص ٥٢٧، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٤٩، أسد الغابة: ج ٤ ص ٣٨٠، الإصابة: ج ٥ ص ٣٢٨، الإستيعاب: ج ٣ ص ٣٦٥، فتوح البلدان: ص ٤٤٦؛ الغارات: ج ٢ ص ٧٧٧ - التعليقة: ص ٤١.
^{٥٧٤} (٢). البيهقيّادات: هنّ ثلاث بهقيّادات، ذكرها ياقوت في معجمه. ثلاث كور ببغداد، منسوبة إلى قباذ بن فيروز والد أنو شيروان. و في الأصل: البيهقيّادات، مُحَرَفَةٌ (راجع: معجم البلدان: ج ١ ص ٥١٦).
^{٥٧٥} (٣). وقعة صفين: ص ١١.
^{٥٧٦} (٤). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٣٠٢، الغارات: ج ٢ ص ٤٤٧.

و هو عامله على البصرة:

«واعلم أن البصرة مهبط إبليس، ومغرس الفتن، فحادث أهلها بالإحسان إليهم، واخلل عقدة الخوف عن قلوبهم، وقد بلغني تنمرک لبني تميم، وغلطتک عليهم، وإن بنى تميم لم يغب لهم نجم الأطلع لهم آخر، وإنهم لم يسبوا بوعم^{٥٧٧} في جاهليته ولا إسلام، وإن لهم بنا رحماً ماسةً، وقرابة خاصةً، نحن مأجورون على صلتها، ومأزورون على قطيعتها، فارتع أبا العباس - رحمتك الله - فيما جرى على

ص: ١٨٢

لسانك، ويدك من خيرٍ وشرٍّ، فإننا شريكان في ذلك. وكُن عند صالح ظني بك، ولا يفيلن^{٥٧٨} رأبي فيك، والسلام»^{٥٧٩}.

[أو قد نقل ابن ميثم صدره هكذا:]

«أما بعد؛ خير الناس عند الله غداً، أعملهم بطاعته فيما عليه وله، وأفواهم بالحق وإن كان مرأً، أ لا وإنه - بالحق - قامت السموات والأرض فيما بين العباد، فلتكن سريرتك فعلاً، وليكن حُكمك واحداً، وطريقتك مستقيمة. واعلم أن البصرة مهبط إبليس»^{٥٨٠}.

[هذا، و لكن نقل نصر، أن علياً عليه السلام، كتب إلى عبد الله بن عامر ما يقارب صدره، قال:]

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من عبد الله على أمير المؤمنين، إلى عبد الله بن عامر، أما بعد؛ فإن خير الناس عند الله عز و جل، أقومهم لله بالطاعة فيما له وعليه، وأقولهم بالحق ولو كان مرأً، فإن الحق، به قامت السموات والأرض، ولتكن سريرتك كعلائيتك، وليكن حُكمك واحداً، وطريقتك مستقيمة؛ فإن البصرة مهبط الشيطان، فلا تفتحن على يد أحدٍ منهنم باباً، لا نطق سده نحن ولا أنت، والسلام»^{٥٨١}.

[أقول: قال المفيد رحمه الله في كتاب الجمل:]

ص: ١٨٣

و روى أبو مخنف - لوط بن يحيى - قال: لما استعمل أمير المؤمنين عليه السلام عبد الله بن العباس على البصرة، خطب الناس فحمد الله، وأثنى عليه، وصلى على رسوله، ثم قال:

^{٥٧٧} (٥). الوغم: القتال. (لسان العرب: ج ١٢ ص ٦٤٢).
^{٥٧٨} (١). قال رأبه يفيل فيلولة: أخطأ و ضغف. (لسان العرب: ج ١١ ص ٥٣٤).
^{٥٧٩} (٢). نهج البلاغة: الكتاب ١٨، بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٤٩٢ ح ٦٩٩؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٥ ص ١٢٥.
^{٥٨٠} (٣). شرح نهج البلاغة للبحراني: ج ٤ ص ٣٩٥.
^{٥٨١} (٤). وقعة صفين: ص ١٠٦.

«يا معاشر الناس، قد استخلفت عليكم عبد الله بن العباس، فاسمعوا له، وأطيعوا أمره، ما أطاع الله ورسوله، فإن أحدث فيكم أو زاع^{٥٨٢} عن الحق، فأعلموني أعزله عنكم؛ فإنني أرجو أن أجده عفيفاً تقياً ورعاً، وإنني لم أوله عليكم، إلا وأنا أظن ذلك به؛ غفر الله لنا ولكم»^{٥٨٣}.

[أو نقل الكليني رحمه الله خطبة له عليه السلام- بعد انقضاء حرب الجمل- و لعل ما نقله المفيد رحمه الله شطر منه، و لذلك نوردها هنا:]

مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عَيْسَى، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ النُّعْمَانَ أَبِي جَعْفَرِ الْأَحْوَلِ، عَنِ سَلَامِ بْنِ الْمُسْتَنِيرِ، عَنِ أَبِي جَعْفَرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَمَّا انْقَضَتِ الْقِصَّةُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ طَلْحَةَ وَ الزُّبَيْرِ وَ عَائِشَةَ بِالْبَصْرَةِ، صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ وَ صَلَّى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ ثُمَّ قَالَ:

«يا أيها الناس، إن الدنيا حُلُوهٌ خَصِرَةٌ، تَفْتِنُ النَّاسَ بِالشَّهَوَاتِ، وَتُزِينُ لَهُمْ بِعَاجِلِهَا، وَأَيْمُ اللَّهِ إِنَّهَا لَتَغُرُّ مَنْ أَمَلَهَا، وَتُخْلِفُ مَنْ رَجَاهَا، وَتَسْتَوْرِثُ أَقْوَاماً النَّدَامَةَ وَالحَسْرَةَ بِأَقْبَالِهِمْ عَلَيْهَا، وَتَنَافِسِيهِمْ فِيهَا، وَحَسَدِهِمْ، وَبَغْيِهِمْ عَلَى أَهْلِ الدِّينِ وَالفَضْلِ فِيهَا، ظُلْمًا وَعُدْوَانًا، وَبَغْيًا وَأَشْرًا وَبَطْرًا، وَبِاللَّهِ، إِنَّهُ مَا عَاشَ قَوْمٌ - قَطُّ - فِي غَضَارَةٍ مِنْ كَرَامَةِ نِعَمِ اللَّهِ فِي مَعَاشِ دُنْيَا، وَلَا دَائِمِ تَقْوَى فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَالشُّكْرِ لِنِعْمِهِ، فَأَزَالَ ذَلِكَ عَنْهُمْ، إِلَّا مِنْ بَعْدِ تَغْيِيرٍ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَتَحْوِيلٍ عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ، وَالحَادِثِ مِنْ ذُنُوبِهِمْ، وَقَلْبِهِ مُحَافِظَةً، وَتُرِكَ مُرَاقِبَةُ اللَّهِ جَلًّا وَعَزًّا وَتَهَاوُنًا بِشُكْرِ نِعْمَةِ اللَّهِ، لِأَنَّ

ص: ١٨٤

اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ يَقُولُ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ»^{٥٨٤}.

وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْمَعَاصِي، وَ كَسَبَةَ الذُّنُوبِ، إِذَا هُمْ حَذَرُوا زَوَالَ نِعَمِ اللَّهِ، وَ حُلُولَ نِقْمَتِهِ، وَ تَحْوِيلَ غَافِيَتِهِ، أُيْقِنُوا أَنَّ ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ - بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيهِمْ -، فَأَقْلَعُوا وَ تَابُوا، وَ فَرَعُوا إِلَى اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ، بِصِدْقٍ مِنْ نِيَّاتِهِمْ، وَ إِفْرَارٍ مِنْهُمْ بِذُنُوبِهِمْ، وَ إِسَاءَتِهِمْ، لَصَفَحَ لَهُمْ عَنْ كُلِّ ذَنْبٍ، وَ إِذَا لَأَقَالَ لَهُمْ كُلَّ عَثْرَةٍ، وَ لَرَدَّ عَلَيْهِمْ كُلَّ كَرَامَةٍ نِعْمَةٍ، ثُمَّ أَعَادَ لَهُمْ مِنْ صَلَاحِ أَمْرِهِمْ، وَ مِمَّا كَانَ أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ، كُلَّ مَا زَالَ عَنْهُمْ، وَ أَفْسِدَ عَلَيْهِمْ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا النَّاسُ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَ اسْتَشْعِرُوا خَوْفَ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ، وَ أَخْلِصُوا الْيَقِينَ، وَ تَوَبُّوا إِلَيْهِ مِنْ قَبِيحِ مَا اسْتَفْزَكُمُ الشَّيْطَانُ مِنَ قِتَالِ وَليِّ الْأُمْرِ، وَ أَهْلِ الْعِلْمِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ، وَ مَا تَعَاوَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ تَفْرِيقِ الْجَمَاعَةِ، وَ تَشْتِيتِ الْأَمْرِ وَ فَسَادِ صَلَاحِ ذَاتِ النَّبِيِّ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ، وَ يَغْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ، وَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ»^{٥٨٥}.

^{٥٨٢} (١). زاع عن الطريق: إذا عدل عنه. (لسان العرب: ج ٨ ص ٤٣٢).

^{٥٨٣} (٢). الجمل: ص ٤٢٠.

^{٥٨٤} (١). الرعد: ١١.

^{٥٨٥} (٢). الكافي: ج ٨ ص ٢٥٦ ح ٣٦٨.

[أو نقل المفيد رحمه الله هذه الخطبة بنحو آخر، و هي هكذا:]

من كلامه عليه السلام بالبصرة، حينَ ظهرَ على القوم، بعدَ حمدِ اللّهِ و الثّناءِ عليه:

«أما بعد؛ فإنَّ اللهَ ذو رَحْمَةٍ واسِعَةٍ، وَمَغْفِرَةٍ دائِمَةٍ، و عَفْوٍ جَمٍّ، و عِقَابٍ أليمٍ؛ قَضَى أَنْ رَحِمْتَهُ و مَغْفِرْتَهُ و عَفْوَهُ لأهل طاعته من خلقه، و برَحْمَتِهِ اهتدى المهتدونَ، و قَضَى أَنْ نَقَمْتَهُ و سَطَوَاتِهِ و عِقَابَهُ على أهلِ مَعْصِيَتِهِ من خلقه، و بعدَ الهدى و البيّناتِ ما ضلَّ الصّالِّونَ. فما ظنُّكم- يا أهل البصرة- و قد نكثتم بيعتي، و ظاهرتُم على عَدْوِي؟»

فقامَ إليه رجلٌ، فقال: نَظُنُّ خيراً، و نَراك قد ظَفِرْتَ و قَدَرْتَ، فإنَّ عاقبتَ فقد اجترمنا ذلك، و إن عفوتَ فالعفوُ أحبُّ إلى اللّهِ.

ص: ١٨٥

فقال:

«قَدْ عَفَوْتُ عَنْكُمْ، فَإِيَّاكُمْ و الْفِتْنَةَ، فَإِنَّكُمْ أَوْلُ الرّعيَّةِ نَكَثَ البيعةَ، و شقَّ عَصَا هذه الأُمَّةِ.»

قال: ثمَّ جلسَ للناسِ فبايعوه.^{٥٨٤}

[أو روى السيّد الرضیّ فی النهج كلامه عليه السلام فی ذمّ أهل البصرة بعد وقعة الجمل:]

«كُنْتُمْ جُنْدَ الْمَرْأَةِ، و أَتْبَاعَ الْبَهِيمَةِ، رَعَا فَأَجَبْتُمْ، و عُقِرَ فَهَرَبْتُمْ، أَخْلَاقُكُمْ دِقَاقٌ، و عَهْدُكُمْ شِفَاقٌ، و دِينُكُمْ نِفَاقٌ، و مَاؤُكُمْ زُعَاقٌ، و الْمُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مُرْتَهَنٌ بِدَنْبِهِ، و الشّاحِصُ عَنْكُمْ مُتَدَارِكٌ بِرَحْمَةٍ من رَبِّهِ، كَأَنِّي بِمَسْجِدِكُمْ كَجَوْجُو سَفِينَةٍ، قد بَعَثَ اللهُ عَلَيْهَا الْعَذَابَ من فَوْقِهَا و من تَحْتِهَا، و غَرِقَ مَنْ فِي ضِمْنِهَا.

و فی رِوَايَةٍ: و أَيُّمَ اللهُ، لَتَعْرِقَنَّ بِلَدَّتِكُمْ، حَتَّى كَأَنِّي أَنْظِرُ إِلَى مَسْجِدِهَا كَجَوْجُو سَفِينَةٍ أَوْ نَعَامَةٍ جَانِمَةٍ.^{٥٨٧}

قال المسعودی: و خطب النَّاسَ خطبةً طويلاً، يقول فيها:

«يا أهلَ السَّبْحَةِ، يا أهلَ الْمُؤْتَفِكَةِ، ائْتَفَكْتَ بِأَهْلِكَ مِنَ الدَّهْرِ ثَلَاثًا، و على اللّهِ تَمَامُ الرَّابِعَةِ، يا جُنْدَ الْمَرْأَةِ، يا أَتْبَاعَ الْبَهِيمَةِ...»^{٥٨٨}

قال المفيد رحمه الله:

^{٥٨٦} (١). الإرشاد: ج ١ ص ٢٥٧، بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٢٣٠ ح ١٨٢ و راجع: الجمل: ص ٤٠٧.
^{٥٨٧} (٢). نهج البلاغة: الخطبة ١٣، بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٢٤٥ ح ١٩٤ و راجع: مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٧٧، الأخبار الطوال: ص ١٥١، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١ ص ٢٥١.
^{٥٨٨} (٣). مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٧٧.

و رَوَى أَبُو مَخْنَفٍ لُوطُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ رَجَالِهِ، قَالَ: لَمَّا أَرَادَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ التَّوَجُّهَ إِلَى الْكُوفَةِ، قَامَ فِي أَهْلِ الْبَصْرَةِ، فَقَالَ:

«مَا تَنْقِمُونَ عَلَيَّ يَا أَهْلَ الْبَصْرَةِ؟» وَأَشَارَ إِلَى قَمِيصِهِ وَرَدَائِهِ، فَقَالَ: - وَاللَّهِ، إِنَّهُمَا لَمِنْ غَزَلٍ

ص: PAGE=١٨٦ص:

أَهْلِي، مَا تَنْقِمُونَ مِنِّي يَا أَهْلَ الْبَصْرَةِ؟» وَأَشَارَ إِلَى صُرَّةٍ فِي يَدِهِ فِيهَا نَفَقَتُهُ، فَقَالَ: - وَاللَّهِ، مَا هِيَ إِلَّا مِنْ غَلَّتِي بِالْمَدِينَةِ؛ فَإِنِ أَنَا خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِكُمْ بِأَكْثَرِ مِمَّا تَرَوْنَ، فَأَنَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْخَائِنِينَ.^{٥٨٩}

[و] نقل السيّد الرضیّ رحمه الله: أنّه عليه السلام أوصى إلى ابن عبّاس عند استخلافه إيّاه على البصرة:

«سَعِ النَّاسَ بِوَجْهِكَ، وَمَجْلِسِكَ وَحُكْمِكَ، وَإِيَّاكَ وَالْغَضَبَ، فَإِنَّهُ طَيْرَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَا قَرَّبَكَ مِنَ اللَّهِ، يُبَاعِدُكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا بَاعَدَكَ مِنَ اللَّهِ، يُقَرِّبُكَ مِنَ النَّارِ.»^{٥٩٠}

و قال المفيد رحمه الله:

رَوَى الْوَاقِدِيُّ عَنْ رَجَالِهِ، قَالَ: لَمَّا أَرَادَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْخُرُوجَ مِنَ الْبَصْرَةِ اسْتَخْلَفَ عَلَيْهَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْعَبَّاسِ، وَ أَوْصَاهُ، فَكَانَ فِي وَصِيَّتِهِ لَهُ أَنْ قَالَ:

«يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالْعَدْلِ بِمَنْ وُئِيَتْ عَلَيْهِ، وَأَنْ تَبْسُطَ لِلنَّاسِ وَجْهَكَ، وَتُوسِّعَ عَلَيْهِمْ مَجْلِسَكَ، وَتَسَعِّهِمْ بِحِلْمِكَ، وَإِيَّاكَ وَالْغَضَبَ، فَإِنَّهُ طَيْرَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَإِيَّاكَ وَالْهَوَى، فَإِنَّهُ يَصُدُّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَا قَرَّبَكَ مِنَ اللَّهِ، فَهُوَ مُبَاعِدُكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا بَاعَدَكَ مِنَ اللَّهِ، فَهُوَ مُقَرِّبُكَ مِنَ النَّارِ، وَادْكُرِ اللَّهَ كَثِيرًا، وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ.»^{٥٩١}

[و] رَوَى أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ كَانَ قَدْ أَضْرَبَ بِنِي تَمِيمٍ، حِينَ وُلِّيَ الْبَصْرَةَ مِنْ قِبَلِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لِذَلِكَ عَرَفَهُمْ بِهِ مِنَ الْعَدَاوَةِ يَوْمَ الْجَمَلِ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ شِيعَةِ طَلْحَةَ ٦ أَعْلَامَ طَلْحَةَ، ٥٥ وَ الزُّبَيْرِ وَ عَائِشَةَ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَ أَقْصَاهُمْ، وَ تَنَكَّرَ عَلَيْهِمْ، وَ عَيَّرَهُمْ بِالْجَمَلِ، حَتَّى كَانَ يَسْمِيهِمْ: شِيعَةَ الْجَمَلِ، وَ أَنْصَارَ عَسْكَرٍ، وَ هُوَ - عَسْكَرُ -

ص: ١٨٧

اسم جملٍ عائِشَةَ، وَ حَزْبِ الشَّيْطَانِ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى نَفَرٍ مِنْ شِيعَةِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامِ، مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، مِنْهُمْ حَارِثَةُ بْنُ قُدَامَةَ، وَ غَيْرُهُ، فَكَتَبَ بِذَلِكَ حَارِثَةُ إِلَى عَلِيٍّ، يَشْكُو إِلَيْهِ ابْنَ عَبَّاسٍ. فَكَتَبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ هَذَا الْكِتَابَ.^{٥٩٢}

^{٥٨٩} (١) الجمل: ص ٤٢٢.

^{٥٩٠} (٢) نهج البلاغة: الكتاب ٧٦، بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٤٩٨ ح ٧٠٤؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٨

ص ٧٠.

^{٥٩١} (٣) الجمل: ص ٤٢٠ و راجع: الإمامة و السياسة: ج ١ ص ١٠٥.

و هنا أمور ينبغى التنبيه عليها

الأول: قوله عليه السلام:

«اعلم أنّ البصره مهبط إبليس»

أى: موضع هبوطه، و هذا إمّا أن يكون:

حينما أخرج من الجنّة، و أهبط إلى الأرض، عند قوله تعالى:

«فقال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فأخرج منك من الصغرين»^{٥٩٣}.

أو لأنّ البصره بعيدة عن العلم و العلماء، و لأجل ذلك صار كأنّها مهبط إبليس و مأواه، و فيها فرخ و درج.

أو لأنّها لكثرة المعاصى و الفجور و الفسوق، صارت كأنّها مأوى إبليس و موطنه.

أو لأنّ فيها خواصّ طبيعّية، أوجبت كثرة أسباب العصيان، و صارت كأنّها مأوى إبليس، كما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام، حينما خرج من البصره:

«الحمد لله الذى أخرجنى من أحبّ البلاد وأخسّنها تراباً، وأسرعها خراباً، وأقربها من الماء، وأبعدّها من السّماء، بها مغيضُ الماء، وبها تسعةُ أغشار الشّرّ، وهى مسكنُ الجنّ»^{٥٩٤}.

أو أنّها موطن شياطين الإنس، من أعوان الشّيطان.

ص: ١٨٨

أو قوله عليه السلام:

«فخاديتُ أهلها بالإحسان إليهم»

أى بعد أن كان حال البصره ذلك، من نفوذ إبليس فيهم فتعهدهم بالإحسان، و احلل عقده الخوف عنهم، و دارهم بما تخمد به الفتنة، و تبدّل به الأضغان و الأحقاد، بالحبّ و الوداد و المؤانسة و الألفه، و لا تدع مجالاً لوساوس الشّيطان الرّجيم].

^{٥٩٢} (١). شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٤ ص ٣٩٥، بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٤٩٣.

^{٥٩٣} (٢). الأعراف: ١٣.

^{٥٩٤} (٣). راجع: الجمل: ص ٤٢٢ و راجع: مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٧٧.

قال ابن الأثير: «حادثوا هذه القلوب بذكر الله، فإنَّها سريعةُ الدثور، أى اجلوها و اغسلوا الدَّرن عنها، و تعاودوها بذلك...»^{٥٩٥}. ففى المقام أمره الأمير عليه السلام، أن يجلو قلوب أهلها، و يغسل دَرْنَ الأحقادِ و الضَّعائن، و رين الوسوس المؤذيةِ المُؤذيةِ عنها بصقال الإحسان و ماء البرِّ.

و التَّنَمَّر على القوم: الغِلظةُ عليهم، و المعاشرةُ معهم بأخلاق النَّمر، و النَّمر: سَبْع معروف، أصغر من الأسد و أخبث و أجراء منه، و تنمَّر له: أى تنكَّر له و تغيَّر.

و الوُعْم - بالفتح فسكون -: الحَرْب و القِتال و التِّرَة و الدَّحل الثَّقيل.

و فى التَّنْهائِة: و فى حديث علىّ عليه السلام:

«إِنَّ بَنِي تَمِيمٍ لَمْ يُسَبِّقُوا بُوْعْمٍ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ.»

الوغم: التِّرَة، يعنى أنَّهم كانوا أهل بأس و قوَّة و شجاعه و حميَّة، أى: لا ينبغى التَّنَمَّر و الغِلظةُ على طائفة بلغوا فى البأس و النَّجدةُ هذه المرتبة.

أو أنَّهم لم يسبقوا بوغم فى جاهليَّة و لا إسلام، أى: لم يسبقهم أحد كان له حقد و غيظ عليهم، فتنكَّر لهم و غلظ عليهم، تشقياً منهم و نكايه بهم؛ لقوتهم و قهرهم.

و يمكن أن يكون المراد: أنَّهم لشجاعتهم يقتحمون و يأخذون بالتِّرَة و الدَّحل، فلا يجوز تهيجهم، و إثارة غيظهم.^{٥٩٦}

ص: ١٨٩

و قوله:

«إِنَّ بَنِي تَمِيمٍ لَمْ يَغِبْ لَهُمْ نَجْمٌ إِلَّا طَلَعَ لَهُمْ آخَرٌ.»

كتى عليه السلام بالنَّجم عن أشرف تميم و ساداتهم، الَّذِينَ يقتدى و يهتدى بهم و بفعالهم، و المراد: أن بنى تميم قوم فيهم من السَّادة العظماء، و الرِّجال الكبار كثيرون، بحيث لم يمت منهم أحد من عظمائهم، إلَّا طلع فيهم آخر، فأثار و أضاء.

فكلَّ قوم فيهم الرِّجال الكبار، ذوو الفضائل و الفواضل، لا ينبغى الشَّدَّة و التَّنَمَّر لهم لوجود هؤلاء، أو لأنَّ قوماً يولد و ينشأ فيهم هؤلاء، ينبغى أن يكرموا.

و يبدو أن هذه الأسباب هى التى دعت أمير المؤمنين عليه السلام، أن يحذّر ابن عباس منهم، و يأمره بإكرامهم^{٥٩٧}.

^{٥٩٥} (١). النهاية: ج ١ ص ٣٥١.

^{٥٩٦} (٢). راجع: النهاية: ج ٥ ص ٢٠٩، منهاج البراعة: ج ١٨ ص ٣١٠ و ٣١٢ و ٣١٧.

الثَّانِي: إِنَّ قَوْلَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّهُمْ لَمْ يُسَبِّقُوا بِوَعْمٍ» يَشْعِرُ بِكَثْرَةِ حُرُوبِهِمْ، وَ مَا تَمْتَازُ بِهِ هَذِهِ الْقَبِيلَةُ مِنْ تَارِيخِ حَرْبِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَ الْإِسْلَامِ، وَ لَهُمْ أَيَّامٌ مَعْرُوفَةٌ فِي التَّارِيخِ، لَا بِأَسْ بِذِكْرِهَا مُخْتَصَرًا:

١- يَوْمُ النَّسَارِ: (بِالنُّونِ الْمَكْسُورَةِ وَ السَّيْنِ) كَانَ بَيْنَ ضَبَّةَ وَ تَمِيمِ، قَادَهَا حَاجِبُ بْنُ زُرَّارَةَ.

٢- يَوْمُ الْفِجَارِ: كَانَ بَيْنَ بَكْرٍ وَ تَمِيمِ.

٣- يَوْمُ الْفِجَارِ: (بِكَسْرِ الْفَاءِ وَ فَتْحِ الْجِيمِ)، وَ كَانَ أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ وَ يَوْمٌ وَاحِدٌ مِنْهَا بَيْنَ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ وَ تَمِيمِ.

٤- يَوْمُ الْغُضَالِيِّ: يَوْمُ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ وَ تَمِيمِ، وَ هُوَ آخِرُ أَيَّامِهِمْ، (وَ قِيلَ يَوْمُ الْفُضَالِ).

ص: ١٩٠

٥- يَوْمُ الصَّفْفَةِ: يَوْمٌ أَمَرَ كَسْرَى هُوْدَةَ بْنُ عَلِيٍّ بِالْإِقْبَاعِ بِنِي تَمِيمِ، بِسَبَبِ عَيْرِ كَسْرَى الَّتِي كَانَ يَجْرِيهَا هُوْدَةُ بْنُ عَلِيٍّ، فَلَمَّا سَارَتْ بِبِلَادِ حَنْظَلَةَ اقْتَطَعُوهَا بِرَأْيِ صَعْصَعَةَ وَ نَاجِيَةَ، جَدًّا الْفَرَزْدَقِ، فَأَوْقَعَ بِهِمْ هُوْدَةَ، فَقَتَلَهُمْ خَدْعَةً.

٦- يَوْمُ الْقُصَيْبَةِ: وَ هُوَ يَوْمٌ كَانَ لِعَمْرُو بْنِ هِنْدٍ عَلَى تَمِيمِ، فَانْتَصَرَ عَلَيْهِمْ وَ أَحْرَقَ مِنْهُمْ.

٧- يَوْمُ جَزَعِ ظِلَالٍ: كَانَ بَيْنَ فَرَّارَةَ وَ تَمِيمِ.

٨- يَوْمُ الْغَبِيطِ: كَانَ لِشَيْبَانَ مِنْ رَبِيعَةَ، عَلَى بَنِي يَرْبُوعٍ مِنْ تَمِيمِ، وَ قِيلَ كَانَ لِتَمِيمِ عَلَى شَيْبَانَ.

٩- يَوْمُ الْكُفَّافَةِ: كَانَ بَيْنَ فَرَّارَةَ وَ بَنِي عَمْرُو، وَ بَنِي تَمِيمِ.

١٠- يَوْمُ بُسَيَانَ: كَانَ لِبَنِي فَرَّارَةَ عَلَى تَمِيمِ.

١١- يَوْمُ النَّبَاجِ: كَانَ لِبَنِي تَمِيمِ عَلَى شَيْبَانَ؛ وَ فِي الْكَامِلِ: عَلَى بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ.

١٢- يَوْمُ الزَّوِيرِينَ: كَانَ لِشَيْبَانَ عَلَى تَمِيمِ.

١٣- يَوْمُ رَحْرَحَانَ الثَّانِي: كَانَ بَيْنَ تَمِيمِ وَ بَنِي عَامِرِ.

١٤- يَوْمُ طَخْفَةَ: كَانَ لِبَنِي يَرْبُوعٍ (مِنْ تَمِيمِ)، عَلَى قَابُوسِ، الْمُنْذِرِ بْنِ مَاءِ السَّمَاءِ.

١٥- يَوْمُ أَرَامٍ: كَانَ لِتَغْلِبِ عَلَى بَنِي يَرْبُوعِ.

- ١٦- يوم عاقل: كان بين جُشَم، و بين بنى حَنْظَلَةَ من تَمِيم.
- ١٧- يوم قُرَاقِر: كان لمجاشع من تميم، على بكر بن وائل.
- ١٨- يوم أَوَارَةَ الثَّانِي: كان بين بنى عَمْرُو بن هند و بنى تميم.
- ١٩- يوم الصُّلَيْب: كان بين بكر بن وائل، و بنى تميم.

ص: ١٩١

- ٢٠- يوم ظهر: كان بين عَمْرُو بن تَمِيم و ضَبَّة.
- ٢١- الفزعاء: كان بين بنى مالك، و بنى يَرْبُوع.
- ٢٢- يوم مَلْهَم: كان بين بنى تَمِيم، و بنى حنيفَةَ.
- ٢٣- يوم داب: كان لبنى يَرْبُوع على بنى كلاب.
- ٢٤- يوم زَرُود: كان بين بنى تَعْلِب، و بنى يَرْبُوع.
- ٢٥- يوم الوقد: كان لبنى تَمِيم، على بنى عامر.
- ٢٦- يوم الهَرِير: كان لبنى تَمِيم، على بكر بن وائل.
- ٢٧- يوم نَجْران: كان لبنى تَمِيم على بنى الحارث بن كَعْب.
- ٢٨- يوم الفَرُوق: كان لقيس، على سَعْد تَمِيم.
- ٢٩- يوم الكَلاب^{٥٩٨} الأَوَّل: لتَمِيم، على مَذْحِج.
- ٣٠- يوم الوَقِيظ: لبكر - من ربيعة - على تَمِيم.
- ٣١- يوم ثَيْتَل: لتَمِيم على بكر، و ثَيْتَل، ماء على مراحل من البصرة.
- ٣٢- يوم جَدود: لبنى مَنقَر - من تَمِيم - على بكر من ربيعة.

^{٥٩٨} (١). الكَلاب: بضم الكاف، اسم ماء كانت عنده وقعة للعرب، و قالوا: الكَلابُ الأَوَّل، و الكَلابُ الثَّانِي، و هما يومان مشهوران للعرب. (لسان العرب: ج ١ ص ٧٢٧).

٣٣- يوم ذى طُلوع: لبني يَرُبوع- من تَميم- على بَكر- من ربيعهُ-

٣٤- يوم الإياد: لبني يَرُبوع- من تَميم- على بَكر، و يسمّى: يوم العطالى، و يوم الإفاقه، و يوم مليحه، و يوم أعشاش.

٣٥- يوم زُبَاله: و هو لشَيبان على تَميم.

ص: ١٩٢

٣٦- يوم مُبايض: و هو- أيضاً- لشَيبان على تَميم.

٣٧- يوم الشَّيطين: لبَكر على تَميم، و الشَّيطان واديان.

٣٨- يوم الوَقَبى: لتَميم على بَكر.

٣٩- يوم الشَّباك: لبني القَاصف- من تَميم- على تَميم الله بن ثَعْلَبه من بَكر.

٤٠- يوم شِعْب جَبَله: لعامر من قَيْس و حلفائهم على تَميم و حلفائهم.

٤١- يوم ذى نَجَب: لبني تَميم على بني عامر.

٤٢- يوم الصَّرائم: بين عَيس و يَرُبوع.

٤٣- يوم الرِّغام: لبني يَرُبوع- من تَميم- على كُلاب بن قَيْس.

٤٤- يوم المروءة: لتَميم، على عامر بن قَيْس.

٤٥- يوم صُور: لبني حَنْظَله على بني رِيح، و كلاهما من تَميم.

٤٦- يوم ذى أختال: لبني تَميم مع بَكر بن وائل.

٤٧- يوم الغول الأوّل: بين تَميم، و بَكر بن وائل.

٤٨- يوم الغول الثّانى: بين تَميم و بني غَسَّان.

٤٩- يوم الجبات: بين تَميم و بَكر بن وائل.

٥٠- يوم إراب: بين تَعْلِب، و بني تَميم.

٥١- يوم الوتدّة: بين بنى تميم، و عامر بن صعصعة.

٥٢- يوم ملزق: كان لبنى تميم، على عامر و عبس.

٥٣- يوم الشعبيّة.

٥٤- يوم الكلاب الثاني: لبنى تميم، مع بنى الحارث بن كعب.

ص: ١٩٣

٥٥- يوم مسلحة: لبنى تميم، على عجل، غزا فيه قيس بن عاصم، و بنو غيرة بالنجاج نيتل إلى جنب مسلحة.

٥٦- يوم الرخبخ: لتمام على اليمن.

٥٧- يوم جهجوه.

٥٨- يوم الرحمن.

٥٩- يوم ذات الشقوق: لبنى تميم و أسد.

٦٠- يوم شوير.

٦١- يوم صعفوق: لبكر على تميم.

٦٢- يوم فيحان: بين تميم و ربيعة.

٦٣- يوم سفوان: بين تميم و شيبان و مازن.

٦٤- يوم الشقيق: لبكر على تميم.

٦٥- يوم تقا: بين تميم و شيبان.

٦٦- يوم مخطط: لبنى يرؤوع على بكر.

٦٧- يوم جدود: بين بكر بن وائل، و بنى منقر من تميم.

٦٨- يوم خو: بين أسد و بنى يرؤوع.

٦٩- يوم السّتار: بين تَمِيم و بَكر.

٧٠- يوم سَفار: بين تَمِيم و بَكر.

٧١- يوم نَعف قُشاوَة: بين شَيْبان و تَمِيم.

٧٢- يوم بارق: بين تَمِيم و تَغلب و النّمر.

ص: ١٩٤

٧٣- يوم اقرن: بين تَمِيم و عبّس.

٧٤- يوم قُلج: لبَكر بن وائل على تَمِيم.^{٥٩٩}

و فضائل تَمِيم كثيرة:

منها: كثرة عددهم، و أكثرهم في بنى كَعْب بن سَعْد.

و منها: الإفاضة في الجاهليّة، كان ذلك في بنى عَطارد، و هم يتوارثونه كابراً عن كابر، حتّى جاء الإسلام.

و منها: إنّ منهم بيوتاً شريفةً، و رجالاً كباراً، منهم: قَيْس بن عاصم، أذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه و آله: (

هذا سيّد أهل الوبر

).

و منهم: زُرارة بن عدس، يقال عنه: إنّهُ أشرف البيوت في بنى تَمِيم، و كان حكيماً من قضاء تَمِيم، و كان رئيسهم يوم شويحط.^{٦٠١}

و منهم: حاجب بن زُرارة، أذى وفد على كسرى، و تكلمّ عنده، هو و أكثمُ بن صَيْفِيّ. و وفد ثانياً- لمّا منع كسرى تَمِيماً من ريف^{٦٠٢} العراق- و تكلمّ بما أعجب

^{٥٩٩} (١). راجع: نهاية الإرب للقلقشندي: ص ٤١٤-٤٢٥، العقد الفريد: ج ٤ ص ١١٢-٢٤٩، الكامل في التاريخ: ج ١ ص ٣٥٤-٤٢٧، عيون الأخبار لابن قتيبة: ج ١ ص ١٧٣، معجم قبائل العرب: ج ١ ص ١٢٧-١٢٩، معجم البلدان: ج ١ ص ١٠٨-٤٢٣ و ج ٢ ص ٨٩-٤٠٧ و ج ٣ ص ٣٦-٤٢٢ و ج ٤ ص ٦١-٤٧٣ و ج ٥ ص ١١١-٤٠٣، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ج ٥ ص ٣٥٢-٣٨٦.

^{٦٠٠} (٢). راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٥ ص ١٢٨-١٣١، الكامل في التاريخ: ج ١ ص ٣٩٩ و ٤٠٧ و ٤٢٥، أسد الغابة: ج ٤ ص ٤١١؛ الأماشي للسيد المرتضى: ج ١ ص ٧٢.

^{٦٠١} (٣). راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٥ ص ١٢٨، الكامل في التاريخ: ج ١ ص ٣٥٣-٣٦٣، البيان و التبيين: ج ٤ ص ٢٥.

^{٦٠٢} (٤). ريف: هو الخصب و المرعى في الأصل، و هو هاهنا السّواد و المزارع، و محدقة محيطية، و محدقة غزيرة، و الغدق الماء الكثير.

كسرى، ثمَّ رهنَّ عندهُ قوسه، ليفى بما وعده من الشرط للإذن بالدخول فى ريف العراق. و سُمى: أوفى العرب، و وفد إلى النَّبىِّ صلى الله عليه و آله مع تميم.^{٦٠٣}

و منهم: عطار بن حاجب بن زُرارة، وفد على كسرى فطلب قوس أبيه، و وفد على النَّبىِّ صلى الله عليه و آله، و هو رئيس تميم، فأسلم على يديه، و أهدى إليه صلى الله عليه و آله تلك القوس فلم يقبلها، فباعها من رجل بأربعة آلاف درهم.

قال الجاحظ: و من خطباء العرب، عطار بن حاجب بن زُرارة، و هو كان الخطيب عند النَّبىِّ صلى الله عليه و آله، و قال فيه الفرزدق:

و منّا خطيب لا يعاب و حامل
أغرّ إذا التفت عليه المجمع

وفد إلى رسول الله صلى الله عليه و آله سنة تسع، و قيل: سنة عشر، و الأوّل أصح، و أهدى إليه ثوب ديباج كساه إياه كسرى، و استعمله النَّبىُّ صلى الله عليه و آله على الصدقات فى بنى تميم.^{٦٠٤}

و منهم: صعصعة بن ناجية، و هو أوّل من أحيا الموءدات قبل الإسلام، و قد اشترى ثلاثمائة موءودة، فأعتقهنَّ و ربّاهنَّ، و قرى مائة ضيف، و كان من أشرف بنى مجاشع فى الجاهليّة و الإسلام.^{٦٠٥}

و منهم: غالب بن صعصعة، و هو أبو الفرزدق، و هو الذى قرى مائة ضيف، و احتمل عشر ديات، لقوم لا يعرفهم، و فيه قال الفرزدق:

فَلَيْهِ عينا مَنْ رَأى مِثْلَ غالِبٍ
قَرى مائةً ضَيْفاً و لَمْ يَتَكَلَّم

^{٦٠٣} (١) .راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٥ ص ١٢٨ - ١٣٠، الكامل فى التاريخ: ج ١ ص ٦٤٢، العقد الفريد: ج ١ ص ٢٧٣ و ٢٧٥ و ٢٨٠، الإصابة: ج ٤ ص ٤١٩.

^{٦٠٤} (٢) .راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١ ص ٤٧، الكامل فى التاريخ: ج ١ ص ٦٤٢، أسد الغابة: ج ٤ ص ٤٠، الإصابة: ج ٤ ص ٤١٩.

^{٦٠٥} (٣) .راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٥ ص ١٢٨ و ١٢٩، أسد الغابة: ج ٣ ص ٢٢، الإصابة: ج ٣ ص ٣٤٧، البداية و النهاية: ج ٨ ص ٦٣.

و لقي عليًا بالبصرة، و أدخل عليه الفرزدق، و كان مشهوراً بالجدود.^{٦٠٦}

و منهم: خالد بن عتّاب، الذي كان في الجاهليّة أجود العرب، قال ذلك الفرزدق عند سُلَيْمان، فلم ينكره.^{٦٠٧}

و منهم: أحلم العرب أحنف بن قيس، يضرب به المثل حليماً، و له كلمات قصار، و خطب، و له مواقف مع معاوية، و زياد، و طلحة، و الزبير، و له نصائح لقومه، و دفاع عن العجم، و له موقف مع عمر.^{٦٠٨}

و منهم: الحريش بن هلال السعدي، يقال فيه: أنه كان أشجع العرب، ذكره الفرزدق عند سُلَيْمان مُفَاخَرَةً، فلم ينكره.

و منهم: عتّيب بن الحارث بن شهاب اليربوعي، و لو ذكره الفرزدق لسُلَيْمان، و قال: إنّه أشجع العرب، لكان غير مدافع. قالوا: كانت العرب تقول: لو وقع القمر إلى الأرض، لما التقفه إلّا عتّيب بن الحارث، لمهارته بالرّمح، و كان يقال له: صياد الفوارس، و سمّ الفوارس. و هو الذي أسر بسطام بن قيس ... و هو المُقَدّم على فرسان العرب كلّها ...^{٦٠٩}

و منهم: هند بن أبي هالة، أكرم الناس عمّاً و عمّةً و جدّاً و جدّةً، ابن خديجة عليها السلام،

ص: ١٩

من أبي هالة، فتبناه النبيّ صلى الله عليه و آله، قتل مع عليّ عليه السلام يوم الجمل، و هو الذي روى الحسن و الحسين عليهما السلام عنه أوصاف النبيّ صلى الله عليه و آله.^{٦١٠}

و منهم: أكثم بن صيفي، أحكم العرب في الجاهليّة، أحد بني أسد بن عمرو بن تميم، كان أكثر أهل الجاهليّة حكماً و مثلاً و موعظةً سائرة. و كتب إلى النبيّ صلى الله عليه و آله، و أجابه رسول الله صلى الله عليه و آله.^{٦١١}

و منهم: ذو الأعواز، كان له خراج على مضر، خراج تؤدّيه إليه حتّى شاخ، فكان يحمل على سرير، فيطاف به على مياه العرب؛ فيؤدّي إليه الخراج.

و منهم: هلال بن أحوز المازني، الذي ساد تميمًا كلّها في الإسلام، و لم يسدها غيره.^{٦١٢}

و منهم: لقيط بن زُرارة، الذي قاد تميمًا يوم جَبَلَة.^{٦١٣}

^{٦٠٦} (١). راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٥ ص ١٢٨ و ١٢٩، الإصابة: ج ٥ ص ٢٠٦.
^{٦٠٧} (٢). راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٥ ص ١٣١، عيون الأخبار لابن قتيبة: ج ٣ ص ٩٤، تاريخ الطبري: ج ٦ ص ٢٧١ - ٣٠٠، البيان و التبیین: ج ٣ ص ٢٣٦.
^{٦٠٨} (٣). راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٥ ص ١٣٠، أسد الغابة: ج ١ ص ١٧٨، الإصابة: ج ١ ص ٣٣١.
^{٦٠٩} (٤). راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٥ ص ١٣١، الكامل في التاريخ: ج ١ ص ٣٩١، عيون الأخبار لابن قتيبة: ج ١ ص ١٢٤.
^{٦١٠} (١). راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٥ ص ١٣١، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٥٠، أسد الغابة: ج ٥ ص ٣٩٠، الاستيعاب: ج ٤ ص ١٠٥.
^{٦١١} (٢). راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٥ ص ١٠٦ و ١١٥ و ١٣٢، العقد الفريد: ج ١ ص ٢٧٣ - ٢٧٥، أسد الغابة: ج ١ ص ٢٧٢، الإصابة: ج ١ ص ٣٥٠، نهاية الإرب: ص ٤١؛ كنز الفوائد: ج ٢ ص ١٢٣، بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٨٧.
^{٦١٢} (٣). راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٥ ص ١٣٢، فتوح البلدان: ج ٣ ص ٥٤٠.

و منهم: قعقاع بن مَعْبُد بن زُرَّارَةَ، له صحبة، كان يقال له: تيّار الفرات؛ لسخائه، و كان من سادات تميم.^{٦١٤}

ص: ١٩٨

و منهم: قعقاع بن عَمْرُو التَّمِيمِيّ، أخو عاصِم، كان من الشُّجْعان الفُرَّسان.^{٦١٥}

و منهم: مُحَمَّد بن عُمَيْر بن عَطَّارِد بن حَاجِب بن زُرَّارَةَ، و هو مَمَّن كتب إلى الحسين عليه السلام، و كان أحد أمراء عليّ عليه السلام بصفّين.^{٦١٦}

و منهم: ضِرَّار بن القعقاع من بني دارم، في قصّة حكاها الأَصْمَعِيّ، إلى أن قال:

لَمَّا دخل ضِرَّار المسجد، فلم تبق حبوّه إلَّا حَلَّتْ إِعْظاماً له، ثُمَّ جلس فتحمَّل جميع ما كان بين الأحياء في ماله، ثُمَّ انصرف، و هو من رؤساء بني تميم.^{٦١٧}

و منهم: عَتَّاب بن هرمى بن رياح، من بني رِيَّاح بن يَرْبُوع، كانت له ردافَةُ الملوك، ملوك آل المُنْذِر، و ورث ذلك بنوه كابراً عن كابر، حتّى قام الإسلام.^{٦١٨}

و منهم: عَتَّاب بن وَرْقاء، يقال: أنّه أحلم العرب، و هو من أجود العرب، و هو شجاع فاتك.^{٦١٩}

و منهم: عَمْرُو بن الأَهْتَم المِنْقَرِيّ، الخطيب عند رسول الله صلى الله عليه و آله، و عند عمر بن الخطّاب، و كان شاعراً، و قال رسول الله صلى الله عليه و آله - لَمَّا أعجبه كلام عمرو:-

«إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا».

و يضرب به المثل في البلاغة، و قد عدّه الجاحظ: مَمَّن يجمع الشّعْر و الخطابة، و كان يُدعى المُكْحَل؛ لجماله، و هو الَّذي قيل فيه: إنّما

ص: ١٩٩

^{٦١٣} (٤). راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٥ ص ١٣٣، الكامل في التاريخ: ج ١ ص ٣٨٠-٣٨٣؛ الأمالي للسيد المرتضى: ج ٣ ص

^{٦١٤} ١٥٤. (٥). راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٥ ص ١٣٣، أسد الغابة: ج ٤ ص ٣٩٠، الإصابة: ج ٥ ص ٣٤٤، البيان و التبیین: ج ٢ ص

^{٦١٥} ٢٧٣. (١). راجع: الإصابة: ج ٥ ص ٣٤٢، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٢٧.

^{٦١٦} (٢). راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٥ ص ١٣٣، تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٣٥٣، أنساب الأشراف:

ج ٣ ص ٢٧٠، الإصابة: ج ٦ ص ٢٧١.

^{٦١٧} (٣). راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٥ ص ١٣٣ و ١٣٤، الكامل في التاريخ: ج ١ ص ٤١١، عيون الأخبار لابن قتيبة: ج ١ ص

^{٦١٨} ٣٣٢ و ٣٣٣. (٤). راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٥ ص ١٣٠.

^{٦١٩} (٥). راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٤ ص ١٦٦ و ١٦٣ و ٢٦٣، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٦١٤، البيان و التبیین: ج ٣ ص

^{٦٢٠} ٢٠٦.

شعره حُلٌّ منتشرة بين أيدي الملوك، تأخذه منه ما شاءت، و لم يكن في بادية العرب أخطب منه.^{٦٢٠}

و منهم: الأقرع بن حابس، وفد إلى النبي صلى الله عليه وآله مع عطارد بن حاجب، وزبرقان بن بدر، وقيس بن عاصم، وغيرهم من الأشراف، وهم الذين نادوا رسول الله صلى الله عليه وآله من وراء الحُجرات، وجاءوا إليه بخطيبهم و شاعرهم للمفاخرة، و كان شريفاً في الجاهلية و الإسلام، و كان حَكماً في الجاهلية، و كان من المؤلفة قلوبهم، و كان رئيساً في يوم لشيبان على تميم، و يفتخر الفرزدق بشجاعته.^{٦٢١}

و منهم: زبرقان بن بدر، كان من الوافدين إلى النبي صلى الله عليه وآله، و جعله على صدقات عوف و الرباب، و كان شاعراً يعادل بالحطية و المخبّل. و كان له ثلاثة أسماء: منها القمر، و سُمي بذلك لصفرة عمامته و لسودده و سخائه، و هو شاعر وفد تميم عند النبي صلى الله عليه وآله، و كان سيّداً في الجاهلية، و عظيم القدر في الإسلام.^{٦٢٢}

و منهم: الحُتات - بشر - بن يزيد المشاجعي التميمي الدارمي، كان من الوافدين إلى النبي صلى الله عليه وآله، و كان أعرف الناس بمواقع العيوب، و أبصرهم بدقيقها و جليلها.^{٦٢٣}

ص: ٢٠٠

و منهم: أحيمر بن خلف بن بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم. و لما قال المُنذر بن المُنذر بن ماء السماء ذات يوم - و عنده و فودُ العرب -، و دعا ببردَى أبيه محرق بن المُنذر، فقال: ليلبس هذين أعزُّ العرب، و أكرمهم حسَباً، فأحجم الناس، فقال أحيمر بن بهدلة ... بن تميم: أنا لهما، قال الملك:

بما ذا؟ قال: بأن مضر أكرم العرب، و أعزها و أكثرها غديداً، و أن تميماً كاهلها و أكثرها، و أن بيتها و عددها في بني بهدلة بن عوف، و هو جدّي، ... و قال: أنا أبو عشرة، و أخو عشرة و عم عشرة ...^{٦٢٤}

و منهم: قيس بن عاصم المنقري، فهو في سادات بني منقر من تميم، و يعدّ من سادات أهل الوبر، و من حُلماء تميم، و ممّن حرّم الخمر على نفسه في الجاهلية.^{٦٢٥} **و منهم:** جارية بن قدامة، و حارثة بن بدر، و زيد بن جبلة، و أعين بن ضبيعة، و أحيمر بن عبد الله، و نعيم بن زيد.

^{٦٢٠} (١). راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٣ ص ١٥، الكامل في التاريخ: ج ١ ص ٦٤٢، أسد الغابة: ج ٤ ص ١٨٤، الإصابة: ج ٤ ص ٤٩٧، نهاية الإرب للقلقشندي: ص ٣٨٨.

^{٦٢١} (٢). راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١ ص ٤٧ و ج ١٧ ص ٩١ و ٢٢٦، الكامل في التاريخ: ج ١ ص ٦٤٢ و ٦٣٠، أسد الغابة: ج ١ ص ٢٦٤، الإصابة: ج ١ ص ٢٥٢، البيان و التبيين: ج ١ ص ٢٩٠.

^{٦٢٢} (٣). راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٣ ص ١٥، عيون الأخبار لابن قتيبة: ج ١ ص ٢٢٢ - ٢٢٦، الكامل في التاريخ: ج ١ ص ٦٤٢ و ٦٣٠، أسد الغابة: ج ٢ ص ٣٠٣ و ٣٠٤، الإصابة: ج ٢ ص ٤٥٤، البيان و التبيين: ج ١ ص ٥٣ و ٢٤٠ و ٣٤٩.

^{٦٢٣} (٤). راجع: الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٤٨٥، أسد الغابة: ج ١ ص ٦٨٧، الإصابة: ج ٢ ص ٢٥، البيان و التبيين: ج ١ ص ٥٩ و ج ٢ ص ٢٣٧.

^{٦٢٤} (١). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٥ ص ١٢٧.

^{٦٢٥} (٢). راجع: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ج ٥ ص ٣٦٦، أسد الغابة: ج ٤ ص ٤١١ و ٤١٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٥ ص ١٢٧.

قال الجاحظ: و لإياد و تميم في الخطب خصلة- ثم نقل كلام قيس بن ساعدة و عمرو بن الأهتم و الأحنف- و قال: و من خطباء بني تميم عمرو بن الأهتم ...

و صفوان بن عبد الله بن الأهتم، و عبد الله بن عبد الله بن الأهتم ... و محمد الأحول بن خاقان، و معمر بن خاقان، و مؤمل بن خاقان، و خاقان بن المؤمل بن خاقان، و صباح بن خاقان، و الحكم بن النضر، و هو أبو الغلاء المنقري، و الخرزج بن الصدي، و عمارة بن سليمان، و عبد الله وجبر، ابنا حبيب، و عبد الله

ص: ٢٠١

و عباس ابنا روبة و خدّاش بن ليبيد.^{٦٢٦}

و في شجاعة بني تميم، قال دغفل النسابة: «حُجْرٌ أَحْسَنُ، إِنْ دَنُوتَ مِنْهُ آذَاكَ، وَ إِنْ تَرَكْتَهُ خَلَاكَ».^{٦٢٧}

هؤلاء جمع من رجال تميم، فمن أراد تفصيل تراجمهم و بلاغتهم و فصاحتهم و علمهم و سخائهم و شجاعتهم، فليراجع المصادر المتقدمة.

هؤلاء فيهم الجواد و الشجاع، و الحليم و الحكيم، و الخطيب في الجاهلية و الإسلام. و قد عبّر أمير المؤمنين عليه السلام عن هؤلاء، بالنجوم، مدحا لهم بما فيهم من كرائم الأخلاق و الصفات الفاضلة، و إن كان منهم أتباع مسيلمة و سجاح، و منهم أتباع بني أمية، و قتلة سيد الشهداء، أبي عبد الله الحسين عليه السلام، و كان منهم أتباع طلحة و الزبير و عائشة، و أتباع عبد الله بن الحضرمي. و في الحقيقة مدح عليه السلام الصفات الفاضلة و المواقف الكريمة، لأن الفضائل ممدوحة، و لو كانت في فاسق أو فاجر ...

الثالث: إن في بيان قوله عليه السلام

«و إن لهم بنا رحماً ماسّة»

إلى آخر قوله عليه السلام

«مأزورون على قطيعتها»

لا بُدَّ من بيان أمور:

الأول: إن من المعلوم- و بنص القرآن الكريم- وجوب صلة الأرحام، و حرمة قطعها، قال الله عز و جل:

^{٦٢٦} (١) راجع: البيان و التبيين: ج ١ ص ٥٢ و ٣٥٥، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٤ ص ٢٧.

^{٦٢٧} (٢) راجع: البيان و التبيين: ج ٢ ص ٨٠.

«وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ»^{٦٢٨}،

و قال

ص: ٢٠٢

سبحانه:

«فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ»^{٦٢٩} و «وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَسِرُونَ»^{٦٣٠}.

و يدلُّ عليه من السُّنَّةِ، الأحاديث المتواترة و منها:

ما روى عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث:

«أَلَا إِنَّ فِي التَّبَاغُضِ الْحَالِقَةَ، لَا أَعْنِي حَالِقَةَ الشَّعْرِ، وَلَكِنْ حَالِقَةَ الدِّينِ»^{٦٣١}.

و عن أبي عبد الله عليه السلام:

اتَّقُوا الْحَالِقَةَ، فَإِنَّهَا تُمِيتُ الرِّجَالَ. قُلْتُ: وَمَا الْحَالِقَةُ؟ فَقَالَ قَطِيعَةُ الرَّحِمِ»^{٦٣٢}.

[أو نقل] عُثْمَانُ بْنُ عِيسَى، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قُلْتُ لَهُ: إِنَّ إِخْوَتِي وَبَنِي عَمِّي قَدْ ضَيَّقُوا عَلَيَّ الدَّارَ، وَالْجُنُونِي مِنْهَا إِلَى بَيْتِي، وَ لَوْ تَكَلَّمْتُ أَخَذْتُ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، قَالَ: فَقَالَ لِي:

«اصْبِرْ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيَجْعَلُ لَكَ فَرَجًا».

قال:

فَانصَرَفْتُ، وَ وَقَعَ الْوَبَاءُ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَ ثَلَاثِينَ وَ مِائَةٍ، فَمَاتُوا وَاللَّهِ كُلُّهُمْ، فَمَا بَقِيَ مِنْهُمْ أَحَدٌ. قَالَ: فَخَرَجْتُ فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ، قَالَ:

«مَا خَالَ أَهْلَ بَيْتِكَ؟»

^{٦٢٨} (٣). النساء: ٢.

^{٦٢٩} (١). محمّد: ٢٢.

^{٦٣٠} (٢). البقرة: ٢٧.

^{٦٣١} (٣). الكافي: ج ٢ ص ٣٤٦ ح ١، الأمالي للمفيد: ص ١٧٠ ح ٢، بحار الأنوار: ج ٧٤ ص ١٣٢ ح ١٠١.

^{٦٣٢} (٤). الكافي: ج ٢ ص ٣٤٦ ح ٢، مشكاة الأنوار: ص ٢٨٧ ح ٨٦٤، بحار الأنوار: ج ٧٤ ص ١٣٣ ح ١٠٢.

قال: قُلْتُ لَهُ:

قد مَاتُوا وَ اللّٰهُ كَلَّمَهُمْ، فَمَا بَقِيَ مِنْهُمْ أَحَدٌ. فَقَالَ:

«هُوَ بِمَا صَنَعُوا بِكَ، وَبِعُقُوبِهِمْ إِيَّاكَ، وَقَطَعَ رَحِمِهِمْ بُتْرُوا، أ تُحِبُّ أَنَّهُمْ بَقُوا وَأَنْتُمْ ضَيِّقُوا عَلَيَّ؟»

قال: قُلْتُ: إِي وَ اللّٰهُ. ٦٣٣

و عن أبي جعفر عليه السلام:

«فِي كِتَابِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ثَلَاثُ خِصَالٍ لَا يَمُوتُ صَاحِبُهَا أَبَدًا حَتَّى

ص: ٢٠٣

يَرَى وَبِأَلْفِئَةِ النَّبِيِّ، وَقَطِيعَةَ الرَّحِمِ، وَالْيَمِينَ الْكَاذِبَةَ يُبَارِزُ اللّٰهُ بِهَا، وَإِنَّ أَجَلَ الطَّاعَةِ ثَوَابًا لِّصَلَةِ الرَّحِمِ، وَإِنَّ الْقَوْمَ لَيَكُونُونَ فُجَّارًا، فَيَتَوَاصَلُونَ فَتَنَمِي أَمْوَالُهُمْ وَيُثْرُونَ، وَإِنَّ الْيَمِينَ الْكَاذِبَةَ وَقَطِيعَةَ الرَّحِمِ، لَتَذَرَانِ الدِّيَارَ بِلَاقِعٍ مِنْ أَهْلِهَا، وَتَنْقُلُ الرَّحِمَ، وَإِنَّ نَقْلَ الرَّحِمِ انْقِطَاعُ النَّسْلِ». ٦٣٤

و عن أبي حمزة الثمالي قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته:

«أَعُوذُ بِاللّٰهِ مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي تُعَجِّلُ الْفَنَاءَ».

فَقَامَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللّٰهِ بْنُ الْكَوَّاءِ الْيَشْكُرِيُّ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ تَكُونُ ذُنُوبٌ تُعَجِّلُ الْفَنَاءَ؟

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«نَعَمْ وَبِئْسَ قَطِيعَةُ الرَّحِمِ، إِنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ لَيَجْتَمِعُونَ وَيَتَوَاصُونَ وَهُمْ فَجْرَةٌ، فَيَرِزُقُهُمُ اللّٰهُ، وَإِنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ لَيَتَفَرَّقُونَ وَيَقْطَعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَيَحْرِمُهُمُ اللّٰهُ وَهُمْ أَتَقِيَاءُ». ٦٣٥

و قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«إِذَا قَطَعُوا الْأَرْحَامَ، جُعِلَتْ الْأَمْوَالُ فِي أَيْدِي الْأَشْرَارِ». ٦٣٦

٦٣٣ (٥). الكافي: ج ٢ ص ٣٤٦ ح ٣، بحار الأنوار: ج ٧٤ ص ١٣٣ ح ١٠٣.

٦٣٤ (١). الكافي: ج ٢ ص ٣٤٧ ح ٤، الخصال: ص ١٢٤ ح ١١٩، بحار الأنوار: ج ٧٤ ص ١٣٤ ح ١٠٤.

٦٣٥ (٢). الكافي: ج ٢ ص ٣٤٧ ح ٧.

٦٣٦ (٣). الكافي: ج ٢ ص ٣٤٨ ح ٨.

و عن رسول الله صلى الله عليه وآله - في وصيته لعلّى عليه السلام :-

قال الله جل جلاله: وعزّتي وجلالي، لا يدخلها مُدْمِنٌ خَمْرٍ، ولا نَمَامٌ، ولا دَبْوثٌ، ولا شُرْطَىٌّ، ولا مُخَنَّثٌ ولا نَبَّاشٌ، ولا عَشَّارٌ، ولا قاطِعٌ رَحِمٍ»،

الحديث. ٦٣٧

و عن رسول الله صلى الله عليه وآله:

«ثلاثة لا يدخلون الجنة: مُدْمِنٌ خَمْرٍ، ومُدْمِنٌ سِحْرٍ، وقاطع رَحِمٍ» ... ٦٣٨

و عنه صلى الله عليه وآله قال:

«أخبرني جبرئيل عليه السلام، أنّ ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام، ما يجدها عاقٌ ولا قاطعٌ رَحِمٍ» ... ٦٣٩

ص: ٢٠٤

إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة الدالة على حرمة قطع الرحم، و كونه معصية كبيرة من الكبائر. و إن أردت الوقوف على الأحاديث الواردة عن النبي العظيم صلى الله عليه وآله و عترته الطاهرة عليهم السلام، فراجع المصادر التي أشرنا إليها في الهامش؛ حتّى تتقف على أهميّة صلة الرحم، و خطورة القطيعة، و آثارهما الدنيويّة، و الأخرويّة، و الفرديّة، و الاجتماعيّة، و الماديّة، و المعنويّة؛ أعاذنا الله - تبارك و تعالى - من القطيعة، و وقفنا لصلّة الأرحام، إن شاء الله. ٦٤٠

الثاني: ما المراد من الرحم و الأرحام في هذا المقام؟ و من هم؟ فهل يقتصر على بطن أو بطون معيّنة أم لا؟

قال شيخنا البهائي قدس سره: قصر العلماء الرحم على من يحرم نكاحه، و الظاهر أنّه كل من عُرف بنسبته و إن بُعد، و يؤيده ما رواه عليّ بن إبراهيم في تفسير قوله تعالى:

«فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ» ٦٤١

أنّها نزلت في بني أميّة، و ما صدر عنهم، بالنسبة إلى أئمة أهل البيت عليهم السلام. ٦٤٢

٦٣٧ (٤). من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٣٥٦ ح ٥٧٦٢، وسائل الشيعة: ج ١١ ص ١٧٢ ح ١٤.
٦٣٨ (٥). معاني الأخبار: ص ٣٣٠ ح ١، وسائل الشيعة: ج ١١ ص ٢٧٥ ح ١٩.
٦٣٩ (٦). معاني الأخبار: ص ٣٣٠ ح ١، وسائل الشيعة: ج ١١ ص ٢٧٥ ح ٢٠.
٦٤٠ (١). راجع: بحار الأنوار: ج ٧٤ ص ٨٧-١٣٩، وسائل الشيعة: ج ١١ ص ٣٩٣-٦٠٠، المحجّة البيضاء: ج ٣ ص ٤٢٧-٤٤٤، مجمع البيان: ج ٣ ص ٦، تفسير نور الثقلين: ج ٥ ص ٤٠ و ٤١، ميزان الحكمة: ج ٢ ص ١٠٥٤-١٠٥٨؛ تفسير الطبري: ج ٤ ص ٢٢٦-٢٢٨، تفسير القرطبي: ج ٥ ص ٦ و ٧، تفسير الفخر الرازي: ج ٩ ص ١٧١ و ١٧٢.
٦٤١ (٢). محمّد: ٢٢.
٦٤٢ (٣). راجع: رياض السالكين: ص ١٩٩، تفسير القمي: ج ٢ ص ٣٠٨.

و لا يخفى كم من البعد بين الأئمة عليهم السلام و بنى أميئة من النسب. و قال العلامة السيّد في شرح الصحيفة، في شرح الرّوضة الثّانية: سُمّيت القرابة رَحِمًا؛ لكونهم يرجعون إلى رحم واحدة، و اختلف العلماء في تحقيق معناها، فقيل: هي خلاف الأجنبي، فتعمّ القرابة و الوصلة من الولاء، ذكره القيومي في المصباح.

ص: ٢٠٥

و قيل: هي قرابة الرّجل من طرفيه: آبائه و إن علوا، و أبناؤه و إن سفّلوا، و ما

يتّصل بالطرفين من الأعمام و العمّات و الإخوة و الأخوات و أولادهم.

و قيل: هي الرّحم التي تجب صلتها، كلّ رحم بين اثنين، لو كان ذكراً لم يتناكحها، فعلى هذا، لا يدخل أولاد الأعمام و أولاد الأخوال.

و قيل: هي - الرحم - نسبة و اتصال بين المنتسبين اللّذين تجمعهما رحم واحدة.

قيل: و هذا يشبه أن يكون دورياً، و ليس بدورياً، لأنّ الرّحم الواقعة في التّعريف، بمعنى موضع تكوين الولد فلا دور، هذا معنى قول بعضهم: الرحم تعمّ كل من يجمع بينك و بينه نسب و إن بُعد، و هو أقرب إلى الصّواب، و يدلّ عليه ما رواه عليّ بن إبراهيم، في تفسير قوله تعالى:

«فَهَلْ عَسَيْتُمْ ...»

- و ذكر الرواية المتقدّمة - ٦٤٣.

و قال العلامة القرطبي في تفسيره: الرّحم اسم لكافة الأقارب، من غير فرق بين المحرّم و غيره. و أبو حنيفة يعتبر الرّحم المحرّم، في منع الرجوع في الهبة، و يجوز الرجوع في حقّ بنى الأعمام، مع أنّ القطيعة موجودة و القرابة حاصلّة ... ٦٤٤

و روى الشّيوطي فقال: و أخرج الطيالسي و الحاكم و صحّحه، و البيهقي عن ابن عبّاس رحمه الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله:

«اعرفوا أنسابكم، تصلوا أرحامكم، فإنّه لأقرب لرحم إذا قطعت وإن كانت قريبة، ولا بعد لها إذا وصلت وإن كانت بعيدة» ٦٤٥.

ص: ٢٠٦

٦٤٣ (١) راجع: رياض السالكين: ص ٧٥، تفسير نور الثقلين: ج ٥ ص ٤٠، تأويل الآيات الظاهرة: ج ٢ ص ٥٨٥ الرقم ١٢، البرهان في تفسير القرآن: ج ٥ ص ٦٦، بحار الأنوار: ج ٧٤ ص ١٠٩؛ شواهد التنزيل: ج ٢ ص ٢٤٦ الرقم ٨٨٢، تفسير الثعالبي: ج ٥ ص ٢٣٨. ٦٤٤ (٢) تفسير القرطبي: ج ٥ ص ٧. ٦٤٥ (٣) الدر المنثور: ج ٧ ص ٥٠٠.

و عن الإمام الرضا عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«لَمَّا أُسْرِيَ بِي إِلَى السَّمَاءِ رَأَيْتُ رَجِمًا مُتَعَلِّقًا بِالْعَرْشِ، تَشْكُو رَجِمًا إِلَى رَبِّهَا، فَقُلْتُ لَهَا: كَمْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا مِنْ أَبٍ؟ فَقَالَتْ:

نلتقى في أربعين أباً».^{٦٤٦}

و عن داوود بن كثير الرقي، قال: كنت جالساً عند أبي عبد الله عليه السلام، إذ قال مبتدئاً من قبل نفسه:

«يا داوُد، لَقَدْ عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ يَوْمَ الْخَمِيسِ، فَرَأَيْتُ فِيمَا عُرِضَ عَلَيَّ مِنْ عَمَلِكَ، صِلْتَكِ لَابِنِ عَمِّكَ فُلَانٍ، فَسَرَّنِي ذَلِكَ» ...

الحديث.^{٦٤٧}

عن ميسر قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:

يا ميسرُ، لَقَدْ زِيدَ فِي عَمْرِكَ، فَأَيَّ شَيْءٍ تَعْمَلُ؟ قَالَ:

كنت أجيراً- وأنا غلامٌ- بخمسة دراهم فكنت أجريها على خالي.^{٦٤٨ ٦٤٩}

عن سالمه، مولاة أبي عبد الله عليه السلام قالت: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام، حين حضرته الوفاة، فأغمرى عليه، فلما أفاق، قال:

أعطوا الحسن بن علي بن الحسين و- هو- الأفتس سبعين ديناراً ... يا سالمه إن الله خلق الجنة وطيبها وطيب ريحها، وإن ريحها لتوجد من مسيرة ألفي عام، ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم.^{٦٥٠}

و قال الشهيد رحمه الله: التَّوَجُّبُ فِي صَلَةِ الْأَرْحَامِ، وَ الْكَلَامُ فِيهَا فِي مَوَاضِعَ الْأَوَّلِ:

ما الرَّحْمُ؟ الظَّاهِرُ أَنَّهُ الْمَعْرُوفُ بِنَسَبِهِ وَ إِنْ بَعْدَهُ، إِنْ كَانَ بَعْضُهُ آكِدٌ مِنْ بَعْضٍ، ذَكَرْنَا كَانَ أَوْ أَنْثَى، وَ قَصْرُهُ بَعْضُ الْعَامَّةِ عَلَى الْمَحَارِمِ الَّذِينَ يَحْرُمُ التَّنَاحُكُ بَيْنَهُمْ، إِنْ كَانُوا ذَكَورًا وَ إِنْ أَنْثَى، وَ إِنْ كَانُوا مِنْ قَبِيلٍ يَقْدَرُ أَحَدُهُمَا ذَكَرًا وَ الْآخَرُ أَنْثَى، فَإِنْ حَرَّمَ التَّنَاحُكُ فَهُوَ الرَّحْمُ

ص: ٢٠٧

^{٦٤٦} (١). الخصال: ص ٥٤٠ ح ١٢، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١ ص ٢٥٥ ح ٥، بحار الأنوار: ج ٧٤ ص ٩١ ح ١٣.

^{٦٤٧} (٢). الأمالي للطوسي: ص ٤١٣ ح ٩٢٩، بحار الأنوار: ج ٧٤ ص ٩٣ ح ٢٠.

^{٦٤٨} (٣). في المصدر: «حالي»، و التصويب من بحار الأنوار.

^{٦٤٩} (٤). بصائر الدرجات: ص ٢٦٥ ح ١٤، بحار الأنوار: ج ٧٤ ص ٩٦ ح ٢٨.

^{٦٥٠} (٥). الكافي: ج ٧ ص ٥٥ ح ١٠، الغيبة للطوسي: ص ١٩٦ ح ١٦١، بحار الأنوار: ج ٧٤ ص ٩٦ ح ٢٩.

و هذا بالإعراض عنه حقيق، فإنَّ الوضع اللُّغوى يقتضى ما قلناه، و العرف أيضاً و الأخبار دلّت عليه، و فيها تباعد بأباء كثيرة و قوله تعالى:

«فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ»^{٦٥١}،

عن علىّ عليه السلام: أنّها نزلت في بنى أميّة، أوردته علىّ بن إبراهيم رحمه الله في تفسيره، و هو يدلّ على تسمية القرابة المتباعدة رحماً.^{٦٥٢} و قال النّراقى رحمه الله: المراد بالرّحم الذى يحرم قطعه و تجب صلته، و لو وهب له شيء لا يجوز الرجوع عنه، هو مطلق القريب المعروف بالنّسب، و إن بعد النّسب و جاز النّكاح.^{٦٥٣}

و فى حديث طويل قال الصادق عليه السلام، للمنصور الدّوانيقى:

«فَصِلْ رَحِمَكَ يَزِدِ اللَّهُ فِي عُمْرِكَ، وَيُخَفِّفْ غَنَكَ الْحِسَابَ يَوْمَ حَشْرِكَ».

فقال المنصور:

قد صَفَحْتُ غَنَكَ لِقَدْرِكَ، و تَجَاوَزْتُ غَنَكَ لِصِدْقِكَ ...^{٦٥٤}

و لمّا أحضره المنصور، حدّثه عليه السلام بحديث عن رسول الله صلى الله عليه و آله:

«الرَّحِمُ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ، يَقُولُ: مَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ...»

الحديث.^{٦٥٥}

و عنه عليه السلام - فيما أوردته على المنصور -:

«إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ قَالَ: رَأَيْتُ رَحِمًا مَتَعَلِّقَةً بِالْعَرْشِ، تَشْكُو إِلَى اللَّهِ تَعَالَى عِزَّ وَ جَلَّ قَاطِعَهَا، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِئِيلُ كَمْ بَيْنَهُمْ؟ قَالَ: سَبْعَةٌ أَبَاءَ...».

و عنه عليه السلام - فيما قال للمنصور أيضاً -:

«أَنْتَ ابْنُ عَمِّي وَأَمْسُ الْخَلْقِ بِي رَحِمًا».^{٦٥٦}

^{٦٥١} (١). محمّد: ٢٢.

^{٦٥٢} (٢). القواعد و الفوائد: ج ٢ ص ٥١، بحار الأنوار: ج ٧٤ ص ١١٠.

^{٦٥٣} (٣). جامع السعادات: ج ٢ ص ٢٦١ و راجع: جواهر الكلام: ج ٢٨ ص ١٨٥.

^{٦٥٤} (٤). الأمالي للصدوق: ص ٧١١ ح ٩٧٨، بحار الأنوار: ج ٤٧ ص ١٦٨ ح ٩.

^{٦٥٥} (٥). عوالي اللئالي: ج ١ ص ٣٦٢ ح ٤٥، بحار الأنوار: ج ٤٧ ص ١٨٧ ح ٣٥.

^{٦٥٦} (٦). مهج الدعوات: ص ٢٣٧ و ٢٤١، بحار الأنوار: ج ٤٧ ص ١٩٤ و ص ١٩٦ ح ٣٩ و ٤٠.

ص: ٢٠٨

و عنه عليه السلام عند ما وقع بينه و بين عبد الله بن الحسن كلام، ارتفعت فيه أصواتهما، فبكر عليه السلام و خرج إلى عبد الله، و قال:

«إِنِّي مَرَرْتُ الْبَارِحَةَ بَأْيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَأَقْلَقَنِي، قَالَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: «وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ»^{٦٥٧}...»^{٦٥٨}.

و في كلام الحسين عليه السلام المعروف أنه قال لعمر بن سعد:

«قَطَعَ اللَّهُ رَحِمَكَ ...

كما قَطَعَتْ رَحِمِي»^{٦٥٩}.

و قال صلى الله عليه و آله:

تَعَلَّمُوا مِنْ أَسْبَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ، فَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ فِي الْأَهْلِ، مَثْرَاءٌ فِي الْمَالِ، مَنْسَأَةٌ فِي الْأَثْرِ.^{٦٦٠}

أقول: «الرَّحِم» ليس في معناها حقيقة شرعية، و لا متشرعية، بل تطلق على معناها اللغوية، و الظاهر منها: هو إنَّ الرَّحِمِ نسبةٌ بين اثنين تجمعها رحم واحدة، كما اختاره السيّد في الشرح، و الشهيد في القواعد، و القرطبي في تفسيره، و ما نقل عن شيخنا البهائي رحمه الله.

قال في القاموس: الرَّحِمُ بالكسر كَكَتِفٍ، بَيْتٌ مَنْبِتِ الْوَلَدِ، وَوَعَاؤُهُ، وَ الْقَرَابَةُ أَوْ أَصْلُهَا وَ أَسْبَابُهَا.^{٦٦١}

قال الرَّاعِبُ: الرَّحِمُ، رَحِمُ الْمَرْأَةِ، وَ امْرَأَةٌ رَحُومٌ تَشْتَكِي رَحِمَهَا، وَ مِنْهُ اسْتَعِيرَ الرَّحِمُ لِلْقَرَابَةِ، لِكُونِهِمْ خَارِجِينَ مِنْ رَحِمِ وَاحِدَةٍ.^{٦٦٢}

ص: ٢٠٩

و يؤيد ما ذكرنا ما جاء في الحديث: أن رسول الله صلى الله عليه و آله قال:

«لَمَّا أُسْرِيَ بِي إِلَى السَّمَاءِ، رَأَيْتُ رَحِمًا مُتَعَلِّقًا بِالْعَرْشِ تَشْكُو رَحِمًا إِلَى رَبِّهَا، فَقُلْتُ لَهَا: كَمْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا مِنْ أَبٍ؟

^{٦٥٧} (١). الرعد: ٢١.

^{٦٥٨} (٢). تفسير العياشي: ج ٢ ص ٢٠٩ ح ٣١، بحار الأنوار: ج ٧٤ ص ٩٨ ح ٤١ و راجع: الكافي: ج ٢ ص ١٥٥ ح ٢٣.

^{٦٥٩} (٣). نفس المهموم: ص ٢٧٩، بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ٤٤؛ الفتوح: ج ٥ ص ١١٤.

^{٦٦٠} (٤). سنن الترمذي: ج ٤ ص ٣٥١ ح ١٩٧٩، مسند ابن حنبل: ج ٣ ص ٣١٠ ح ٨٨٧٧، كنز العمال: ج ٣ ص ٣٥٨ ح ٦٩٢٦.

^{٦٦١} (٥). القاموس المحيط: ج ٤ ص ١١٨.

^{٦٦٢} (٦). مفردات ألفاظ القرآن: ص ٣٤٧.

فقلت: نلتقى فى أربعين أباً».^{٦٦٣}

يؤيد ما تقدّم من الحديث:

«فقلت: يا جبرئيل كم بينهم؟»

قال: سبعة آباء»،

و ما تقدّم أيضاً من تفسير الآية

«... وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ...»^{٦٦٤}

بأنّها نزلت فى بنى أميّة مع بُعد ما بين أميّة، كعواوية و يزيد، و الحسين عليه السلام من النسب.

و يؤيد ذلك، الأمر بمعرفة الأنساب لصلّة الأرحام، إذ لو كان المراد القريب منهم لم يحتج إلى تعلّم الأنساب، و كذا يؤيد كونها أعمّ من العمودين، و شمولها لبنى الأعمام و الأخوال، ما تقدّم أيضاً من الروايات.

قال فى لسان العرب - بعد ذكر اشتقاقها -: و أصلها الرّحم الّتى هى منبِت الولد و هى الرّحم. [أو عن] الجوهري: الرّحم القراية ... قال ابن الأثير: ذوو الرّحم هم الأقارب، و يقع على كل من يجمع بينك و بينه نسب.^{٦٦٥}

ثمّ أخذ فى بيان اختلاف الفقهاء فى من ينعق على الإنسان، و ما قيل من القيود خارج عن المعنى الحقيقى، و القيود الّتى أخذت فى موضوع الحكم شرعاً أو عقلاً فى ملك الأرحام أو الهبة للأرحام أو الوقف أو الوصية للأرحام، و كذلك تقييد الشّهيد رحمه الله و الشّيخ البهائى بقوله: المعروف بنسبه، تقييد عقلى، لأنّ المجهول لا يقع مورداً للتكليف، إن كان المراد الجهل المركب أو البسيط الّذى لا يمكن رفعه، و تقييد شرعى، إذا قلنا بعدم وجوب حفظ الأنساب البعيدة - كما هو كذلك-].

ص: ٢١٠

[و يؤيد ما ذكرنا قوله عليه السلام فى هذا الكتاب:

«وإنّ لهم بنا رَحِمًا ماسَّةً وقرايةً خاصَّةً»،

^{٦٦٣} (١). الخصال: ص ٥٤٠ ح ١٣، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١ ص ٢٥٥ ح ٥، بحار الأنوار: ج ٧٤ ص ٩١ ح ١٣ و راجع: أسد الغاية: ج ١ ص ٦٧٧ الرقم ١٠٥٥، الإصابة: ج ٢ ص ١٨ الرقم ١٥٩٢.

^{٦٦٤} (٢). محمد: ٢٢.

^{٦٦٥} (٣). لسان العرب: ج ١٢ ص ٢٣٢ و ٢٣٣.

إذ المراد ظاهراً أنّ نسب كل واحد من بنى هاشم و بنى تميم، ينتهى إلى إلياس بن مضر، لأنّ هاشماً هو ابن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، كما في ترجمه رسول الله صلى الله عليه و آله من **أسد الغابة**، و نهاية الإرب للقلقشندي، و سيره ابن هشام^{٦٦٦}، و **البحار**^{٦٦٧} عن المناقب لابن شهر آشوب^{٦٦٨}، أنّه أسقط كعباً^{٦٦٩} بين مرة و لؤي، كما أنّ في معجم القبائل^{٦٧٠} ذكر النسب و أسقط كنانة، و كلاهما سهو؛ لما تقدم من نقل الأعظم، و لما ذكره و شرحه الحلبي في السيرة^{٦٧١}، و دحلان أيضاً في السيرة بهامش الحلبي، و ابن الأثير في الكامل^{٦٧٢}، و في البداية و النهاية^{٦٧٣} ناقلاً ذلك عن النبي صلى الله عليه و آله و **مروج الذهب**^{٦٧٤}.

و تميم هو ابن مرة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر، كما في **نهاية الإرب**^{٦٧٥}، و معجم القبائل^{٦٧٦}، و بين أمير المؤمنين و الحسن و الحسين عليهم السلام و بين مضر ما

ص: ٢١١

يقرب من عشرين أباً، و مع ذلك اعتبرها على عليه السلام رحماً ماسّة.

كما إنّ الحسين عليه السلام قال لعمر بن سعد:

«قُطعت رَحِمِي».

مع أنّه - عمر - ابن سعد بن أبي وقاص بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة، و هم يلتقون مع هاشم في كلاب بن مرة.

قال العلامة المجلسي رحمه الله في **البحار** - بعد نقل جمّ من الأخبار -: اعلم إنّ العلماء اختلفوا في الرّحم التي يلزم صلتها، فقيل: الرّحم و القرابة نسبةً و اتصال بين المنتسبين يجمعها رحم واحدة، و قيل: الرّحم عبارة عن قرابة الرّجل من جهة طرفيه: أبائه و إن علوا، و أولاده و إن سفلوا، و ما يتصل بالطرفين من الإخوان و الأخوات و أولادهم و الأعمام و العمّات.

٦٦٦ (١). راجع: السيرة النبوية: ج ١ ص ١ و ٢.

٦٦٧ (٢). بحار الأنوار: ج ١٥ ص ١٠٥ ح ٤٩.

٦٦٨ (٣). راجع: المناقب لابن شهر آشوب: ج ١ ص ١٥٤ و ١٥٥.

٦٦٩ (٤). في المصدر: «كعب»، و ما أثبتناه هو الصحيح.

٦٧٠ (٥). راجع: معجم القبائل العرب: ج ٣ ص ١٢٠٧.

٦٧١ (٦). راجع: السيرة الحلبية: ج ١ ص ١ و ٤ و ١٢ و ١٨ - ٢٠.

٦٧٢ (٧). راجع: الكامل في التاريخ: ج ١ ص ٤٥٦ و ٤٥٧.

٦٧٣ (٨). راجع: البداية و النهاية: ج ٢ ص ٢٥٥.

٦٧٤ (٩). راجع: مروج الذهب: ج ٢ ص ٢٧٢.

٦٧٥ (١٠). نهاية الإرب للقلقشندي: ص ١٧٧ - ٢٩٧.

٦٧٦ (١١). معجم القبائل العرب: ج ١ ص ١٢٥ و ١٢٦.

و قيل: الرَّحْمُ الَّتِي تَجِبُ صَلَاتُهَا، كُلُّ رَحِمٍ بَيْنَ اثْنَيْنِ، لَوْ كَانَ ذَكَرًا لَمْ يَتَنَاكَحَا فَلَا يَدْخُلُ فِيهِمْ أَوْلَادُ الْأَعْمَامِ وَالْأَخْوَالِ، وَ قِيلَ: هِيَ عَامٌّ فِي كُلِّ ذِي رَحِمٍ مِنْ ذَوِي الْأَرْحَامِ الْمَعْرُوفِينَ بِالنَّسَبِ مُحَرَّمَاتٍ أَوْ غَيْرِ مُحَرَّمَاتٍ، وَ إِنْ بَعَدُوا، وَ هَذَا أَقْرَبُ إِلَى الصَّوَابِ، بِشَرَطِ أَنْ يَكُونُوا فِي الْعَرَفِ مِنَ الْأَقْرَابِ، وَ إِلَّا فَجَمِيعُ النَّاسِ يَجْمَعُهُمْ آدَمُ وَ حَوَاءُ.

وَ أَمَّا الْقِبَائِلُ الْعَظِيمَةُ كَبَنِي هَاشِمٍ فِي هَذَا الزَّمَانِ، هَلْ يَعْذُونَ أَرْحَامًا؟ فِيهِ إِشْكَالٌ وَ يَدُلُّ عَلَى دَخُولِهِمْ فِيهَا، مَا رَوَاهُ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى:

«فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ»^{٦٧٧}

أَنَّهُمَا نَزَلَتْ فِي بَنِي أُمَيَّةَ، وَ مَا صَدَرَ مِنْهُمْ بِالنَّسَبِ إِلَى أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي النَّهَائِيَّةِ: فِيهِ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَطُولَ عَمْرُهُ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ، وَ قَدْ تَكَرَّرَ فِي الْحَدِيثِ ذِكْرُ صَلَةِ الرَّحِمِ، وَ هِيَ كِنَايَةٌ عَنِ الْإِحْسَانِ إِلَى الْأَقْرَبِينَ مِنْ ذَوِي

ص: ٢١٢

النَّسَبِ وَالْأَصْهَارِ، وَ التَّعَطُّفِ عَلَيْهِمْ، وَ الرَّفْقِ بِهِمْ، وَ الرَّعَايَةِ لِأَحْوَالِهِمْ، وَ كَذَلِكَ إِنْ بَعَدُوا وَ أَسَاءُوا، وَ قَطَعَ الرَّحِمَ ضِدَّ ذَلِكَ كَلَّةً، يُقَالُ: وَ صَلَّى رَحِمَهُ يَصِلُهَا وَصَلًّا وَ صَلَةً، وَ الْهَاءُ فِيهَا عَوْضٌ مِنَ الْوَاوِ الْمَحذُوفَةِ، فَكَأَنَّهُ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ قَدْ وَصَلَ مَا بَيْنَهُ وَ بَيْنَهُمْ مِنْ عِلَاقَةِ الْقَرَابَةِ وَ الصَّهْرِ، انْتَهَى.

وَ قَالَ الشَّهِيدُ الثَّانِي رَحِمَهُ اللَّهُ: اخْتَلَفَ الْأَصْحَابُ فِي أَنَّ الْقَرَابَةَ مِنْ هُمْ؟ لِعَدَمِ النَّصِّ الْوَارِدِ فِي تَحْقِيقِهِ، فَالْأَكْثَرُ أَحْوَالُهُ عَلَى الْعَرَفِ، وَ هُمْ الْمَعْرُوفُونَ بِنَسَبِهِ عَادَةً سِوَا فِي ذَلِكَ الْوَارِثِ وَ غَيْرِهِ.

وَ لِلشَّيْخِ قَوْلٌ بِانْصِرَافِهِ إِلَى مَنْ يَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ، إِلَى آخِرِ أَبٍ وَ أُمِّ فِي الْإِسْلَامِ، وَ لَا يَرْتَقِي إِلَى آبَاءِ الشَّرْكَ، وَ إِنْ عَرَفُوا بِقَرَابَتِهِ عَرَفَاءً، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ:

«قَطَعَ الْإِسْلَامُ أَرْحَامَ الْجَاهِلِيَّةِ»،

وَ قَوْلُهُ تَعَالَى لِنُوحٍ عَنِ ابْنِهِ:

«إِنَّهُ وَلَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ»^{٦٧٨}.

وَ قَالَ ابْنُ الْجَنِيدِ: مَنْ جَعَلَ وَصِيَّتَهُ لِقَرَابَتِهِ وَ ذَوِي رَحِمِهِ - غَيْرِ مَسْمُومِينَ - كَانَتْ لِمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيْهِ مِنْ جِهَةِ وَلَدِهِ أَوْ وَالِدِيهِ، وَ لَا أُخْتَارَ أَنْ يَتَجَاوَزَ بِالتَّفَرُّقَةِ وَلَدَ الْأَبِ الرَّابِعِ؛ لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ لَمْ يَتَجَاوَزْ ذَلِكَ فِي تَفَرُّقَةِ سَهْمِ ذَوِي الْقُرْبَى

^{٦٧٧} (١) محمد: ٢٢.

^{٦٧٨} (١) هود: ٤٦.

من الخمس، ثُمَّ على أَى معنى حمل يدخل فيه الذَّكر و الأُنثى، و القريب و البعيد، و الوارث و غيره، و لا فرق بين ذوى القرابة و ذوى الرِّحم، انتهى.

فإذا عرفت هذا فاعلم أنَّه لا ريب فى حسن صلَّة الأرحام، و لزومها فى الجملة، و لها درجات متفاوتة بعضها فوق بعض، و أدناها الكلام و السَّلام، و ترك المهاجرة، و يختلف ذلك أيضاً باختلاف القدرة عليها، و الحاجة إليها. فمن الصَّلَّة ما يجب و منها ما يستحبُّ، و الفرق بينهما مشكل، و الاحتياط ظاهر، و من وصل بعض الصَّلَّة و لم يبلغ أقصاها و من قصر عن بعض ممَّا ينبغى أو عمَّا يقدر عليه،

ص: ٢١٣

هل هو واصل أو قاطع؟ فيه نظر؛ و بالجملة، التَّمييز بين المراتب الواجبة و المستحبة فى غاية الإشكال، و الله أعلم بحقيقة الحال، و الاحتياط طريق النِّجاة.^{٦٧٩}

قلت: أتضح ممَّا تقدَّم ما فى كلام المجلسى رحمه الله من النَّظر، لأنَّ القيود التَّعليقية أو الشرعيَّة المستفادَّة من الدَّلِيل الشرعى، لا توجب الضيق فى المفهوم، نعم إذا ثبت قيد أخذنا به، و إلَّا يجب الأخذ بإطلاق الدَّلِيل ما لم أن يسقط الوجوب بالخرج.

و أمَّا ما ذكره ابن الأثير من شموله للمصاهرة، و جعله العلامَّة الشَّارح الآملى احتمالاً بقوله: و يمكن أن تكون إشارة إلى المصاهرة التى كانت بين الأمير عليه السلام و بين بنى تميم، فإنَّ إحدى زوجاته كانت ليلى بنت مسعود الحنظليَّة، من بنى تميم، و ولدت له عبید الله، و أبا بكر كما فى تاريخ اليعقوبى.^{٦٨٠}

ففيه: أنَّ الأرحام لا تشمل المصاهرة مفهوماً، مع أنَّ مصاهرة على عليه السلام مع بنى تميم، لا تعدّ قرابة لابن عبَّاس، يعنى أنَّ صهر إنسان لا يعدّ قريباً و رحماً لابن عمِّه، و الظَّاهر من الكلام أنَّ الرِّحم لهما، و الصَّلَّة لازمة عليهما.

الثَّالث: إنَّ قطع الرِّحم حرام قطعاً، و الصَّلَّة إذا كان عدمها محققاً للقطع تكون واجبة، و أمَّا الزَّائد عن هذا الحدِّ، كما إذا كان بين رحمين صلَّة كاملة، و لكنَّ أحدهما يطلب من الآخر شيئاً أزيد من ذلك، بحيث لو لم يعطه لم يعدّ قاطعاً مطلقاً، فهل هذا حرام، و الإعطاء واجب؟ لأنَّه قطع نسبى أم لا؟ و قد تقدَّم كلام العلامَّة المجلسى رحمه الله و تردده فى ذلك.

و قال العلامَّة النِّراقى رحمه الله: و المراد بقطعه: أن يؤذيه بالقول أو الفعل، أو كان له

ص: ٢١٤

^{٦٧٩} (١) بحار الأنوار: ج ٧٤ ص ١٠٨ - ١١٠.
^{٦٨٠} (٢) راجع: تاريخ اليعقوبى: ج ٢ ص ٢١٣.

شدّة احتياج إلى ما يقدر عليه زيادة على حاجته، من سكنى و ملبوس و مأكول فيمنعه، أو أمكنه أن يدفع عنه ظلم الظالم و لم يفعل، أو هاجره غيظاً و حقدًا من دون أن يعود إذا مرض، أو يزوره إذا قدم من سفره، و أمثال ذلك، فإنّ جميع ذلك، و أمثالها قطع للرحم، و أصدادها من دفع الأذية، و مواساته بماله، و زيارته، و إعانتته باللسان و اليد و الرجل و الجاه و غير ذلك صلة. ثمّ الظاهر تحقيق الواسطة بين القطع و الصلّة، إذ كلُّ إحسان و لو كان ممّا لا يحتاج إليه قريبه، و هو محتاج إليه يسمّى صلة، و عدمه لا يسمّى قطعاً.^{٦٨١}

قوله عليه السلام:

«فَارْبَعُ أبا عَبَّاسٍ»

يعنى قف و تثبتت فى جميع ما يصدر منك من قول أو فعل، و لا تعجل، من رَّبَعٍ كَمَنَعٍ: وقف و انتظر و تحبّس، و منه قولهم:

أربع عليك، أو على نفسك، أو على ظلمك^{٦٨٢}، و قوله: أبا العباس، تكريم له حيث ذكره بالكنية.

و قوله عليه السلام:

«لا يَفِيلَنَّ رَأْيِي فَيْكَ»

مِنْ فَيْلٍ رَأْيِهِ تَفْيِيلًا، إِذَا قَبَّحَهُ وَ ضَعَّفَهُ وَ خَطَّأَهُ.

يعنى: حيث أنّ أمير المؤمنين عليه السلام رآه أهلاً لهذا المقام الخطير، فإنّ عمله على خلاف الحقّ، يوجب ضعف رأيه عليه السلام فيه.

و قوله عليه السلام:

«فَأَنَا شَرِيكَانِ فِي ذَلِكَ»

عَلَّهُ لِقَوْلِهِ:

«فَارْبَعُ»

و هذا يعطى معنى لطيفاً فى الأمر و المأمور، من نسبة الأفعال التّسببِيَّةِ إلى المسبّب، و نسبة فعل المأمور إلى الأمر. و إنّما كان الأمير عليه السلام شريكه فيه، لأنّه كان سبباً بعيداً فيما جرى على يد ابن عبّاس و لسانه، و هو كان نائباً عنه، و

^{٦٨١} (١) جامع السعادات: ج ٢ ص ٢٦١.
^{٦٨٢} (٢) راجع: قاموس الرجال: ج ٣ ص ٢٤.

سبباً قريباً في أفعاله و أقواله و كل ما صنع بالرعيّة، فإنّما هو مستند له عليه السلام، و إلّا لما كان له مكنة و قدرة على ذلك.^{٦٨٣}

ص: ٢١٥

أقول: التّسبب إذا كان عن قصد و إرادة من المسبّب، تُعدّ أفعال المأمور فعلاً للمسبّب و الأمر، و يعاقب به و يثاب عليه في الدّنيا و الآخرة، و لكن إذا كان الأمير عليه السلام نصبه للعدل، و إجراء أحكام الإسلام، لا يُعدّ فعله - عرفاً - فعلاً للأمير عليه السلام، فكيف عدّ فعله فعلاً له، و صار شريكاً معه في الأجر و الوزر؟

و يحتمل أن يكون التّسبب - و لو من دون قصد - في خصوص الحكومة الإسلامية و عمّالها موجباً للوزر أو الأجر عند الله، تشديداً في المؤاخذه، كى يكون ذلك باعثاً للأنّمة على الدّقة البالغة، و الاهتمام الأكيد، و الفحص و البحث في نصب العمّال، و استعمال الأشخاص في الأمور المرتبطة بالحكومة، كما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه إلى الأشتر رضى الله عنه بقوله:

«فاستعملهم اختياراً، ولا تولّهم محاباةً و أثره، فإنّهما جماعٌ من شُعب الجور و الخيانة ... ثمّ تفقّد أعمالهم، و ابعث العيون من أهل الصدق و الوفاء عليهم ... فإنّ أحدّ منهم بسطَ يده إلى خيانه اجتمعت بها عليه عندك أخبارٌ عُيونك، اكتفيت بذلك شاهداً، فبسّطت عليه العقوبة في بدنه (يديه) و أخذته بما أصاب من عمله ...»^{٦٨٤}

و في عهد رسول الله صلى الله عليه و آله لعلّى عليه السلام على ما ادّعاه القاضى النّعمان فى الدّعائم:

مما ينبغى أن ينظر فيه الوالى من أمر عمّاله: انظر فى أمور عمّالك الذين تستعملهم، فليكنّ استعمالك إيّاهم اختياراً، و لا يكنّ محاباةً، و لا إيثاراً، فإنّ الأثرة بالأعمال، و المحاباة بها جماعٌ من شُعب الجور و الخيانة لله، و إدخال الضرر على الناس، و ليستّ تصلح أمور الناس و لا أمور الولاة، إلّا بصلاح من يستعينون به على أمورهم ... ثمّ لا تدع مع ذلك تفقّد أعمالهم، و بعثه العيون عليهم من أهل الأمانة و الصدق.^{٦٨٥}

ص: ٢١٦

أو يمكن أن يقال: إنّ الفعل الصّادر عن العامل المنصوب، فعل تسيبىّ للأمير، و إن لم يعاقب عليه، لعدم رضاه بذلك و نهيه عنه، و له آثار طبيعيّة و وضعيّة لا يتفاوت بالعلم و الجهل و الرضا و عدمه، فهو عليه السلام يحذر ابن عبّاس عن عمل قبيح هو عليه السلام شريكه فيه، من جهة أنّه عليه السلام هو الذى نصبه عاملاً، و قدرة ابن عبّاس و صلاحياته ناشئة عن هذا التنصيب.

^{٦٨٣} (٣) راجع: منهاج البراعة: ج ١٨ ص ٣١٩.

^{٦٨٤} (١) نهج البلاغة: الكتاب ٥٣، بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٦٠٥ ح ٧٤٤.

^{٦٨٥} (٢) دعائم الإسلام: ج ١ ص ٣٦١.

و من الآثار الوضعيَّة آثاره الاجتماعيَّة، حيث إنَّ تنمره يورث غيظاً و حنقاً و عداوةً بين تميم، و بين الحكومَة الحقَّة، و بينهم و بين عليّ عليه السلام. و كذا سائر أعمال ابن عبَّاس، إمَّا تُوجب حسن نظر النَّاس و ميلهم إلى أمير المؤمنين عليه السلام، و انجذابهم إلى الحكومَة الإلهيَّة، و إمَّا تُوجب شناعة و صورة شوهاء تجاه الحكومَة العلويَّة، و بغضاً و عداوةً لأمير المؤمنين عليه السلام.

و يحتمل أن يكون المراد شركته عليه السلام في أعمال ابن عبَّاس، من جهة إيجاب الاحتياط من قِبَل الشَّارع، و المؤاخذه على ترك الاحتياط، لا مشاركته في العقاب المترتب على هذا الفعل.

٣٦ كتابه عليه السلام إلى معاوية

قال الشَّيخ الأديب أبو بكر بن عبد العزيز البُستي، بالأسانيد الصَّحاح، أنَّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام لمَّا رَجع من وَقَعَة الجَمَل، كَتَبَ إليه معاوية بن أبي سفيان عليه اللعنة:

بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم

من عبد الله و ابن عبد الله معاوية بن أبي سفيان، إلى عليّ بن أبي طالب.

ص: ٢١٧

أَمَّا بَعْدُ، فقد اتَّبعْتَ ما يَضُرُّكَ، و تركْتَ ما يَنْفَعُكَ، و خالفتَ كِتَابَ اللَّهِ و سُنَّةَ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ، و قد انْتَهَى إِلَيَّ ما فعلتَ بخَوَارِييَ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ: طَلْحَةَ، وَ الزُّبَيْرَ، وَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ، فَوَ اللهُ، لأرْمِيَنَّكَ بِشِهَابٍ لا تُطْفِئُهُ المِياهُ، وَ لا تُزْعِرُهُ الرِّياحُ، إِذا وَقَعَ وَقَبٌ، وَ إِذا وَقَبَ ثَقَبٌ، وَ إِذا ثَقَبَ نَقَبٌ، وَ إِذا نَقَبَ التَّهَبُ، فلا تَغْرَنَّكَ الجُيُوشُ وَ اسْتَعِدِّ لِلْحَرْبِ، فَإِنِّي مُلَاقِيكَ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَكَ بِهَا، وَ السَّلَامُ.

فلَمَّا وَصَلَ الكِتَابَ إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وَ فَكَّه وَ قَرَأَهُ، وَ دَعَا بِدَوَاهٍ وَ قِرطَاسٍ، وَ كَتَبَ إِلَيْهِ:

«بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم

مِنَ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنِ عَبْدِهِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، أَخِي رَسُولِ اللَّهِ، وَابْنِ عَمِّهِ، وَوَصِيِّهِ، وَمُعَسِّلِهِ، وَمُكَفِّنِهِ، وَقَاضِي دِينِهِ، وَزَوْجِ ابْنَتِهِ الْبَتُولِ، وَأَبِي سَيْطِيهِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ، إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَفْنَيْتُ قَوْمَكَ يَوْمَ بَدْرٍ، وَقَتَلْتُ عَمَّكَ وَخَالَكَ وَجَدَّكَ، وَالسَّيْفُ الَّذِي قَتَلْتَهُمْ بِهِ مَعِي، يَحْمِلُهُ سَاعِدِي بِثَبَاتٍ مِنْ صَدْرِي، وَقُوَّةٍ مِنْ بَدَنِي، وَنُصْرَةٍ مِنْ رَبِّي، كَمَا جَعَلَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ فِي كَفِّي.

فواللَّهِ، ما اخْتَرْتُ عَلَى اللَّهِ رَبًّا، ولا عَلَى الإِسْلامِ دِينًا، ولا عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَبِيًّا، ولا عَلَى السَّيْفِ بَدَلًا، فَبَالِغُ من رَأْيِكَ، فَاجْتَهِدْ ولا تُقَصِّرْ، فَقد اسْتَحْوَذَ عَلَيْكَ الشَّيْطانُ، واسْتَفْزَكَ الجَهْلُ والطَّغْيَانُ، وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ، والسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، وَخَشِيَ عَوَاقِبَ الرَّدى». ^{٦٨٦}

ص: ٢١٨

٣٧ كتابه عليه السلام إلى معاوية

نقل ابن قتيبة في كتاب الإمامة:

أنَّهُ لَمَّا فَرَعَ عَلَيْهِ السَّلَامُ من وَقَعَةِ الجَمَلِ، بايَعَ لَهُ القَوْمَ جَمِيعًا، و بايَعَ لَهُ أَهْلَ العِراقِ، و اسْتَقامَ لَهُ الأَمْرُ بِهَا، فَكُتِبَ إِلى مَعاوِيَةَ:

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ القِضاءَ السَّابِقَ، وَالقَدَرَ النَّافِذَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ كَقَطْرِ المَطَرِ، فَتَمُضِي أَحكامُهُ عِزٌّ و جَلٌّ، وَتَنْفِذُ مَشِيئَتِهِ بِغَيْرِ تَحَابٍّ المَحْلُوقِينَ، وَلا رِضا الأَدَمِيِّينَ، وَقَدْ بَلَغَكَ ما كانَ مِنْ قَتْلِ عُثْمَانَ وَبَيْعَةِ النَّاسِ عَامَّةً إِيايَ، وَمِصارِعِ النَّاكِثِينَ لِي، فَادْخُلْ فِي ما دَخَلَ النَّاسُ فِيهِ، وَإِلَّا فَأَنَا الَّذِي عَرَفْتَ، وَحَوْلِي مَنْ تَعَلَّمَهُ، والسَّلَامُ». ^{٦٨٧}

[هذا الكتاب كتبه أمير المؤمنين عليه السلام إلى معاوية بعد وقعة الجمل، كما صرح به المؤرخون، و يدلُّ عليه مضمون الكتاب، و الشَّارحُ الأملِيُّ جَعَلَ الكتابَ الَّذِي نَقَلَهُ مُصَنَّفَ كتابِ **معادن الحكمة** ^{٦٨٨} رَحِمَهُ اللهُ، وَ هَذَا الكتابِ، أَوَّلَ كتابِ كُتِبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلى مَعاوِيَةَ، قال: وَ يَمْكَنُ أَنْ يَكُونَ هَذِهِ الكُتُبُ الثَّلَاثُ كُتابًا واحِداً فَتَفَرِّقُ، كما قَدَّمنا كَثيراً مِنْ نِظائِرِهِ، وَ مِمَّا يُوَيِّدُهُ، أَنَّ الدَّيْنُورِيَّ بَعْدَ نَقْلِ الكتابِ، قال: ثُمَّ إِنَّ مَعاوِيَةَ اِنتَخَبَ رَجُلًا مِنْ عِباسِ، وَ كانَ لَهُ لِسانٌ، فَكُتِبَ إِلى عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ كُتاباً، عِنوانُهُ: مِنْ مَعاوِيَةَ إِلى عَلِيٍّ، وَ داخِلُهُ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، لا غَيْرَ؛ فَلَمَّا قَدِمَ الرَّسُولُ، دَفَعَ الكتابَ إِلى عَلِيٍّ، فَعَرَفَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ما فِيهِ، وَ أَنَّ مَعاوِيَةَ مُحارِبٌ لَهُ، وَ أَنَّهُ لا يَجيبُهُ إِلى شَيْءٍ مِمَّا يَريدُ، وَ قَد نَقَلنا قَريباً مِنْ هَذَا الكِلامِ الشَّارِحِ المَعْتزَلِيَّ فِي شِرحِ النِّهْجِ، وَ هُوَ:

ص: ٢١٩

فلَمَّا جِاءَهُ - مَعاوِيَةَ - هَذَا الكِتابُ - يَعبُى بِهِ الكِتابُ المَذکورُ فِي النِّهْجِ - وَصَلَ بَينَ طومايِرِنَ أبيضينَ، ثُمَّ طواهُما وَ كُتِبَ عِنوانُهُما مِنْ مَعاوِيَةَ بَنِ أبايَ سَفيانِ إِلى عَلِيٍّ بَنِ أبايَ طالِبِ، قالَ جَريرِ: وَ دَفَعَهُما مَعاوِيَةَ إِلىَّ لا أَعْلَمُ ما فِيهِما، وَ لا أَظنُّهُما إِلاَّ جِواباً، وَ بَعَثَ مَعِيَ رَجُلًا مِنْ بَنِي عِباسِ لا أَدْرى ما مَعَهُ، فَخَرَجنا حَتَّى قَدِمنا إِلى الكُوفَةِ، وَ اجْتَمَعَ النَّاسُ فِي المَسْجِدِ لا يَشْكُونُ أَنَّها بَيعَةُ أَهْلِ الشَّامِ، فَلَمَّا فَتَحَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ الكِتابَ لَمْ يَجِدْ شَيْئاً ... وَ اللهُ العالِمُ. وَ قَد رَوى أَنَّهُ كُتِبَ إِلى مَعاوِيَةَ مَعَ جَريرِ:

^{٦٨٦} (١) بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٢٨٩ ح ٥٥٠ و راجع: الاختصاص: ص ١٣٨ - ١٤١.

^{٦٨٧} (١) الإمامة و السياسة: ج ١ ص ١٠٢، جمهرة رسائل العرب: ج ١ ص ٣٨٥، منهاج البراعة: ج ١٨ ص ٢٤٨ - ٢٥٣.

^{٦٨٨} (٢) راجع: معادن الحكمة: ج ١ الرقم ١٨ و ٢٩.

أني قد غزيتك ففوض الأمر إلى جرير، والسلام.^{٦٨٩}

قلت: كلامه هذا مبني على أن أمير المؤمنين عليه السلام لم يكتب إلى معاوية شيئاً إلى انقضاء حرب الجمل، مع أنه عليه السلام كتب إلى معاوية بعد بيعه الناس له من المدينة كما في الطبري^{٦٩٠}، و نقل إرسال العباسي حينئذ ابن أبي الحديد^{٦٩١}، و نقله مصنف معادن الحكمة^{٦٩٢}، مع أن الحكم باتحاد هذه الكتب الثلاثة أيضاً بعيداً، لأن ما ذكره المصنف كتاب معادن الحكمة برقم ٢٩، و قد صرح السيد في نهج البلاغة أنه كتبت في أول ما بويع له، و ما ذكره مصنف كتاب معادن الحكمة برقم ١٨، و ذكره في نهج البلاغة برقم ٦، و ذكر نصر^{٦٩٣} أنه أرسله مع جرير بعد وروده عليه السلام الكوفة، و أورده ابن أبي الحديد عنه^{٦٩٤}، و هذا الكتاب كتبه إليه بعد وقعة الجمل، و لعله كتبه من البصرة، و لا وجه للاتحاد أصلاً، و نقل ابن أبي الحديد^{٦٩٥}: إن أول كتاب كتب إلى معاوية:

ص: ٢٢٠

«أما بعد، فإن الناس قتلوا عثمان...»

إلى آخر ما نقله مصنف معادن الحكمة^{٦٩٦}. و لا غرو في أن يكتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى معاوية كتباً متعددة، يدعوها إلى البيعة.^{٦٩٧}]

٣٨ كتابه عليه السلام إلى معاوية

«أما بعد، فوالله ما قتل ابن عمك غيرك، وإنني أرجو أن أحيي بك به على مثل ذنبه وأعظم من خطيئته، وإن السيف الذي ضربت به أباك وأهلك لمعي دائم، والله ما استحدثت ديناً، ولا استبدلت نبياً، وإنني على المنهاج الذي تركتموه طائعين، وأدخلتم فيه كارهين.»^{٦٩٨}

٣٩ كتابه عليه السلام إلى معاوية

نقل المفيد رحمه الله في الاختصاص:

كتب معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب صلوات الله عليه:

٦٨٩ (١) راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٤ ص ٣٩.
٦٩٠ (٢) تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٤٤٤.
٦٩١ (٣) راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١ ص ٢٣٠ وفيه «بني غميس» بدل «عبس».
٦٩٢ (٤) معادن الحكمة: ج ١ ص ١٧٨.
٦٩٣ (٥) وقعة صفين: ص ٢٩.
٦٩٤ (٦) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٣ ص ٧٥.
٦٩٥ (٧) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١ ص ٢٣٠.
٦٩٦ (١) معادن الحكمة: ج ١ ص ٢٩٤ الرقم ٣٠.
٦٩٧ (٢) راجع: مروج الذهب: ج ٣ ص ٤٧ و ٤٨.
٦٩٨ (٣) العقد الفريد: ج ٣ ص ٣٣٠.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ؛

أَمَا بَعْدُ، يَا عَلِيُّ، لِأَضْرِبَنَّكَ بِشِهَابٍ قَاطِعٍ، لَا يَذْكِيهِ الرَّيْحُ، وَلَا يَطْفِئُهُ الْمَاءُ، إِذَا اهْتَزَّتْ وَقْعٌ، وَإِذَا وَقَعَ نَقَبٌ، وَالسَّلَامُ.

فَلَمَّا قَرَأَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ كِتَابَهُ، دَعَا بِدَوَاةٍ وَ قِرطاسٍ، ثُمَّ كَتَبَ:

ص: ٢٢١

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَمَا بَعْدُ يَا مُعَاوِيَةَ، فَقَدْ كَذَّبْتِ، أَنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَأَنَا أَبُو الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ، قَاتِلُ جَدِّكَ، وَعَمَّكَ، وَخَالِكَ، وَأَبِيكَ، وَأَنَا الَّذِي أَفْنَيْتُ قَوْمَكَ فِي يَوْمِ بَدْرٍ، وَيَوْمِ فَتْحِ، وَيَوْمِ أُحُدٍ، وَذَلِكَ السَّيْفُ بِيَدِي تَحْمِلُهُ سَاعِدِي بِجُرْأَةِ قَلْبِي، كَمَا خَلَفَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ بِكَفِّ الْوَصِيِّ، لَمْ أُسْتَبْدِلْ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ نَبِيًّا، وَبِالسَّيْفِ بَدَلًا، وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ أَتَبَعَ الْهُدَى».^{٦٩٩}

٤٠ كتابه عليه السلام إلى أشعث بن قيس

من كتاب له عليه السلام إلى أشعث بن قيس عامل أذربيجان:

«وَإِنَّ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ بِطُعْمَةٍ، وَلَكِنَّهُ فِي عُنُقِكَ أَمَانَةٌ، وَأَنْتَ مُسْتَرْعَى لِمَنْ فَوْقَكَ، لَيْسَ لَكَ أَنْ تَفْتَاتَ فِي رَعِيَّتِهِ، وَلَا تُخَاطِرَ إِلَّا بِوَثِيقَتِهِ، وَفِي يَدَيْكَ مَالٌ مِنْ مَالِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ، وَأَنْتَ مِنْ خَزَائِنِهِ حَتَّى تُسَلِّمَهُ إِلَيَّ، وَلَعَلِّي أَلَّا أَكُونَ شَرًّا وَلَا تِكَ لَكَ، وَالسَّلَامُ».^{٧٠٠}

قال نصر: محمد بن عبيد الله، عن الجرجاني، قال: لما بويج عليٌّ و كتب إلى العمال، كتب إلى الأشعث بن قيس مع زياد بن مَرَحَبِ الهَمْدَانِيِّ، وَ الْأَشْعَثُ عَلِيُّ أذربيجان عامل لعثمان، و قد كان عمرو بن عثمان تزوج ابنة الأشعث بن قيس قبل ذلك، فكتب إليه عليٌّ:

«أَمَا بَعْدُ، فَلَوْلَا هُنَاتُ كُنَّ فِيكَ، كُنْتَ الْمَقْدَمَ فِي هَذَا الْأَمْرِ قَبْلَ النَّاسِ، وَلَعَلَّ

ص: ٢٢٢

أمرک یخملُ بعضُهُ بعضاً إِنْ اتَّقَيْتَ اللَّهَ، ثُمَّ إِنَّهُ كَانَ مِنْ بَيْعَةِ النَّاسِ إِتْيَاءً مَا قَدْ بَلَغَكَ، وَكَانَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ مِمَّنْ بَايَعَانِي، ثُمَّ نَقَضَا بَيْعَتِي عَلَيَّ غَيْرَ حَدَثٍ، وَأَخْرَجَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ وَسَارَا إِلَى الْبَصْرَةِ، فَسَرْتُ إِلَيْهِمَا فَالْتَقَيْتُهُمَا، فَدَعَوْتُهُمَا إِلَى أَنْ يَرْجِعُوا فِيمَا

^{٦٩٩} (١). الاختصاص: ص ١٣٨، بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٢٨٦.

^{٧٠٠} (٢). نهج البلاغة: الكتاب ٥.

خَرَجُوا مِنْهُ فَأَبَوْا، فَأَبْلَغْتُ فِي الدَّعَاءِ، وَأَحْسَنْتُ فِي الْبَقِيَّةِ، وَإِنَّ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ بِطُعْمَةٍ، وَلَكِنَّهُ أَمَانَةٌ، وَفِي يَدَيْكَ مَالٌ مِنْ مَالِ اللَّهِ، وَأَنْتَ مِنْ خُزَانِ اللَّهِ عَلَيْهِ حَتَّى تُسَلِّمَهُ إِلَيَّ، وَلَعَلِّي أَلَّا أَكُونَ شَرًّا وَلَا تَيْكَ لَكَ إِنْ اسْتَقَمْتُ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ».^{٧٠١}

٤١ كتابه عليه السلام إلى الأشعث

قال اليعقوبي: وكتب إلى عماله يستحثهم بالخراج، فكتب إلى الأشعث بن قيس، و كان عامله بأذربيجان:

«أَمَا بَعْدُ؛ إِنَّمَا غَرَّكَ مِنْ نَفْسِكَ، وَجَرَّأَكَ عَلَى آخِرِكِ إِمْلَاءُ اللَّهِ لَكَ، إِذْ مَا زِلْتَ قَدِيمًا تَأْكُلُ رِزْقَهُ، وَتُلْجِدُ فِي آيَاتِهِ، وَتَسْتَمْتِعُ بِخِلَافِكَ، وَتُذْهِبُ بِحَسَنَاتِكَ إِلَى يَوْمِكَ هَذَا، فَإِذَا أَتَاكَ رَسُولِي بِكِتَابِي هَذَا فَأَقْبِلْ وَاحْمِلْ مَا قَبْلَكَ مِنْ مَالِ الْمُسْلِمِينَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ».^{٧٠٢}

أقول: نقل المصنّف كتابه لأمير المؤمنين عليه السلام إلى الأشعث بن قيس، يخبره بما جرى من حرب الجمل، و يطالبه بالمال، و في لهجته عليه السلام لين و موعظة، كما في قوله: و أنّه لو لا هتات كنّ منك كنت المقدّم في هذا الأمر. و نقله- الكتاب ذاته-

ص: ٢٢٣

النّهج برقم ٤٨، و لكنّ كتابه عليه السلام هذا فيه تشديد و توبيخ، و يحتمل أنّه قد صدر من الأشعث فيما بين هذين الكتابين ما يوجب هذا التوبيخ، و لكنّي لم أجد العمل الذي ارتكبه.

و لقد كان الأشعث بن قيس قد اعترض على أمير المؤمنين بقوله: يا أمير المؤمنين هذه عليك لا لك.

أو من كلام له عليه السلام قاله للأشعث بن قيس و هو على منبر الكوفة يخطب، فمضى في بعض كلامه شيء اعترضه الأشعث فيه، فقال: يا أمير المؤمنين، هذه عليك لا لك، فخفض عليه السلام إليه بصره ثمّ قال:

«مَا يُدْرِيكَ مَا عَلَيَّ مِمَّا لِي؟ عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ وَلَعْنَةُ اللَّاعِنِينَ، خَائِكُ ابْنُ خَائِكٍ مُنَافِقُ ابْنُ كَافِرٍ، وَاللَّهِ لَقَدْ أَسْرَكَ الْكُفْرَ مَرَّةً، وَالْإِسْلَامَ أُخْرَى، فَمَا فِدَاكَ مِنْ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَالِكَ، وَلَا حَسْبُكَ وَإِنَّ أَمْرًا ذَلَّ عَلَى قَوْمِهِ السَّيْفَ وَسَاقَ إِلَيْهِمُ الْخَتْفَ، لَحْرِيٌّ أَنْ يَمُقَّتَهُ الْأَقْرَبُ، وَلَا يَأْمَنَهُ الْأَبْعَدُ».

قال السيّد الشّريف رحمه الله: يريد عليه السلام أنّه أسر في الكفر مرّة، و في الإسلام مرّة. و أمّا قوله: دلّ عليه السلام على قومه السيّف، فأراد به حديثاً كان للأشعث مع خالد بن الوليد باليمامة، غرّ فيه قومه، و مكر بهم حتّى أوقع بهم خالد، و كان قومه بعد ذلك يسمّونه عرف النّار، و هو اسم للغادر عندهم.

^{٧٠١} (١). وقعة صفين: ص ٢٠؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٤ ص ٣٤، العقد الفريد: ج ٤ ص ٣٣٠، الإمامة و السياسة: ج ١ ص ٨٣، الفتوح: ج ٢ ص ٣٦٧، جمهرة رسائل العرب: ج ١ ص ٣٨٢.
^{٧٠٢} (٢). تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٢٠٠، و راجع: أنساب الأشراف: ج ١ ص ١٥٩.

الأسر الأول، كان قبل الإسلام حين خرج الأشعث يطلب ثاراً، لمّا قتلت «مراد» الأشجج^{٧٠٣}، فأسر الأشعث، ففدى بثلاثة آلاف بعير، كما قيل.

و أمّا الأسر الثاني في الإسلام، فإنّ رسول الله صلى الله عليه و آله لمّا قدّمت كِنْدَةَ حُجَّاجاً قبل الهجرة، عرض رسول الله صلى الله عليه و آله نفسه عليهم، كما كان يعرض نفسه على أحياء

ص: ٢٢٤

العرب، فدفعه بنو وليعة - من بنى عمرو بن معاوية - و لم يقبلوه، فلمّا هاجر صلى الله عليه و آله و تمهدت دعوتُهُ، و جاءته وفود العرب، جاءه وفد كِنْدَةَ، فيهم الأشعث و بنو وليعة، فأسلموا، فأطعم رسول الله صلى الله عليه و آله بنو وليعة طعمَةً من صدقات حَضْرَمُوت، و كان قد استعمل على حَضْرَمُوت زياد بن لبيد البياضى الأنصارى، فدفعها زياد إليهم فأبوا أخذها، و قالوا: لا ظهّر لنا فابعث بها إلى بلادنا على ظهّر من عندك، فأبى زياد، و حدّث بينهم و بين زياد شرّاً، كاد يكون حرباً، فرجع منهم قوم إلى رسول الله صلى الله عليه و آله، و كتب زياد إليه يشكوهم.

و في هذه الوقعة كان الخبر المشهور عن رسول الله صلى الله عليه و آله، إذ قال لبني وليعة:

«لَتَنْتَهَنَّ يا بني وليعة، أو لأبعثنّ عليكم رجلاً عدّيل نفسى، يقتل مقاتلتكم، ويسبى ذراريكم».

قال عمر بن الخطّاب: فما تمنيت الإمارة إلّا يومئذ، و جعلت أنصب له صدرى رجاء أن يقول: هو هذا، فأخذ بيد علىّ عليه السلام، و قال: هو هذا.

ثمّ كتب لهم رسول الله صلى الله عليه و آله إلى زياد فوصلوا إليه بالكتاب، و قد توفى رسول الله صلى الله عليه و آله، و طار الخبر بموته إلى قبائل العرب، فارتدت بنو وليعة، و غنّت بغاياهم، و خضبن له أيديهنّ. أو أعانهم الأشعث فوقع بينهم و بين المسلمين حرب أسر فيها الأشعث، و سلّم قومه إلى السيف، و قتل منهم ثمانمائة، و لعنه لذلك المسلم و الكافر، و لقب بعرف النّار.^{٧٠٤} و كان الأشعث من المنافقين في خلافة علىّ عليه السلام، و هو في أصحاب

ص: ٢٢٥

أمير المؤمنين عليه السلام، كما كان عبد الله بن أبى بن سؤل في أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله، كل واحد منهما رأس النفاق في زمانه.^{٧٠٥}

^{٧٠٣} (١) سمى الأشجج، لأنّه شجّ في بعض حروبهم.

^{٧٠٤} (١) راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١ ص ٢٩٢-٢٩٧ و راجع: تاريخ الطبري: ج ٣ ص ٣٣٣-٣٣٨، الإصابة: ج ١ ص ١٠٩.

^{٧٠٥} (١). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١ ص ٢٩٧.

و عزله علىّ عليه السلام عن رئاسة كِنْدَةَ، ثُمَّ طال الكلام في ذلك، فولّاه ميمنته، و هي ميمنة أهل العراق.^{٧٠٦}

و غلب على الماء في صَفِّين حميّة.^{٧٠٧}

و عبّر أمير المؤمنين عليه السلام بآبن الخمارة.^{٧٠٨}

و قال عليه السلام:

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الْأَشْعَثَ لَا يَزِينُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَإِنَّهُ أَقَلُّ فِي دِينِ اللَّهِ مِنْ عَفْطَةٍ عَنزٍ.^{٧٠٩}

و قال ابن أبي الحديد: كلُّ فساد كان في خلافة علىّ عليه السلام، و كل اضطراب حَدَثَ فأصله الأشعث.^{٧١١}

بايع و سلّم على الضّبّ بإمارة المؤمنين.^{٧١٢}

و ألزم أمير المؤمنين عليه السلام بالتحكيم، بل هو الذي أسسه.^{٧١٣}

و شرك الأشعث في قتل أمير المؤمنين عليه السلام، و ابنته في قتل الحسن عليه السلام، و ولده

ص: ٢٢٤

محمد في قتل مسلم بن عقيل، و قيس بن الأشعث في قتل الحسين عليه السلام.^{٧١٤}

و في أنساب الأشراف: و يقال: ولّاه- بعد قدومه من أذربيجان- حلوانَ و نواحيها، فكتب إليه هذا الكتاب و هو فيها.^{٧١٥}

الأشعثُ بنُ قيس

الأشعثُ بنُ قيسُ بنُ معديكربِ الكِنْدِيِّ، يُكنى أبا محمّد، و اسمه معديكربُ ^{٧١٦}. من كبار اليمن، و أحد الصحابة ^{٧١٧}. غورت عينه في حرب اليرموك ^{٧١٨}. و هو وجه مشبوه مُريب متلون، ردىء الطبع، سيئ العمل في التاريخ الإسلامي.

^{٧٠٦} (٢). وقعة صفين: ص ١٣٧ و ١٤٠.

^{٧٠٧} (٣). وقعة صفين: ص ١٦٧؛ مروج الذهب: ج ٣ ص ٣٨٦.

^{٧٠٨} (٤). الاحتجاج: ج ١ ص ٢٨٠، بحار الأنوار: ج ٢٩ ص ٤١٩.

^{٧٠٩} (٥). العفطة من الشاة: كالعطس من الإنسان (تاج العروس: ج ١٠ ص ٣٣٩ «عطف»).

^{٧١٠} (٦). الاحتجاج: ج ١ ص ٤٥١ ح ١٠٤، بحار الأنوار: ج ٢٩ ص ٤٢٠.

^{٧١١} (٧). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٢٨٠.

^{٧١٢} (٨). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٤ ص ٧٥ و قاموس الرجال.

^{٧١٣} (٩). راجع: وقعة صفين: ص ٤٨٠-٥١٦، تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ١٧٨؛ مروج الذهب: ج ٣ ص ٤٠٠.

^{٧١٤} (١). راجع: مقاتل الطالبين: ص ٢٠ و ٣٣، تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٣٣٠؛ الإرشاد: ج ٢ ص ٩٨.

^{٧١٥} (٢). أنساب الأشراف: ج ٢ ص ٣٨٨.

^{٧١٦} (٣). سبب أعلام النبلاء: ج ٢ ص ٣٨ الرقم ٨، اسد الغابة: ج ١ ص ٢٤٩ الرقم ١٨٥.

^{٧١٧} (٤). سبب أعلام النبلاء: ج ٢ ص ٣٨ الرقم ٨، تاريخ الطبري: ج ٣ ص ١٣٨، تاريخ مدينة دمشق: ج ٩ ص ١١٦ و ص ١١٩.

ارتدّ بعد رسول الله صلى الله عليه وآله عن الدّين وأسِر، فعفا عنه أبو بكر، و زوجته اخته^{٧١٩}.

و كان أبو بكر يُعرب عن ندمه، و يتأسّف لعفوه^{٧٢٠}.

زوَّج بنته لابن عثمان في أيام خلافته^{٧٢١}. و نصبه عثمان والياً على

ص: ٢٢٧

آذربايجان^{٧٢٢}. و كان يهبه مائة ألف درهم من خراجها سنويّاً^{٧٢٣}.

عزل الإمام عليّ عليه السلام الأشعث عن آذربايجان، و دعاه إلى المدينة^{٧٢٤}، فهمّ بالفرار في البداية، ثمّ قدم المدينة بتوصية أصحابه، و وافى الإمام عليه السلام^{٧٢٥}.

تولّى رئاسة قبيلته كِنْدَةَ في حرب صفّين^{٧٢٦}، و كان على ميمنة الجيش^{٧٢٧}.

و تزعم الأشعث التّيّار الذي فرض التّحكيم^{٧٢٨} و فرض أبا موسى الأشعريّ على الإمام عليه السلام. و عارض اختيار ابن عباس و مالك الأشتر حكّمين عن الإمام عليه السلام بصراحة^{٧٢٩}، و نادى بيمينته أحد الحكمين^{٧٣٠}. و له يدٌ في نشوء الخوارج، كما كان له دور كبير في إيقاد حرب النهروان، مع أنّه كان في جيش الإمام عليه السلام^{٧٣١}. و هو ممّن كان يعارض الإمام عليه السلام و أعماله داخل الجيش بكلّ ما يستطيع^{٧٣٢}، حتّى عدّت

ص: ٢٢٨

^{٧١٨} (٥). تهذيب الكمال: ج ٣ ص ٢٨٨ الرقم ٥٣٢، اسد الغابة: ج ١ ص ٢٥٠ الرقم ١٨٥، تاريخ مدينة دمشق: ج ٩ ص ١١٩.

^{٧١٩} (٦). الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ٢٢، تهذيب الكمال: ج ٣ ص ٢٩٠ الرقم ٥٣٢، تاريخ الطبري: ج ٣ ص ٣٣٩، سير أعلام النبلاء: ج ٢ ص ٣٩ الرقم ٨؛ الأمالي للطوسي: ص ٢٦٢ ح ٤٨٠، تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ١٣٢.

^{٧٢٠} (٧). تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ١٣٧؛ تاريخ الطبري: ج ٣ ص ٤٣٠.

^{٧٢١} (٨). وقعة صفّين: ص ٢٠؛ الأخبار الطوال: ص ١٥٦.

^{٧٢٢} (١). وقعة صفّين: ص ٢٠؛ تهذيب الكمال: ج ٣ ص ٢٨٩ الرقم ٥٣٢، سير أعلام النبلاء: ج ٢ ص ٤١ الرقم ٨، تاريخ مدينة دمشق: ج ٩ ص ١٤٠، مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٨١.

^{٧٢٣} (٢). الغارات: ج ١ ص ٣٦٥؛ تاريخ الطبري: ج ٥ ص ١٣٠.

^{٧٢٤} (٣). وقعة صفّين: ص ٢٠، تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٢٠٠؛ مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٨١.

^{٧٢٥} (٤). وقعة صفّين: ص ٢١؛ الإمامة و السياسة: ج ١ ص ١١٢.

^{٧٢٦} (٥). وقعة صفّين: ص ٢٢٧؛ تاريخ مدينة دمشق: ج ٩ ص ١٢٠، الأخبار الطوال: ص ١٨٨.

^{٧٢٧} (٦). وقعة صفّين: ص ٢٠٥؛ تاريخ خليفة بن خياط: ص ١٤٥، سير أعلام النبلاء: ج ٢ ص ٤٠ الرقم ٨، تاريخ مدينة دمشق: ج ٩ ص ١٣٦.

^{٧٢٨} (٧). وقعة صفّين: ص ٤٨٢، تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ١٨٩؛ تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٥١، سير أعلام النبلاء: ج ٢ ص ٤٠ الرقم ٨، مروج الذهب: ج ٢ ص ٤٠٠.

^{٧٢٩} (٨). وقعة صفّين: ص ٤٩٩؛ تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٥١، مروج الذهب: ج ٢ ص ٤٠٢.

^{٧٣٠} (٩). وقعة صفّين: ص ٥٠٠؛ الفتوح: ج ٤ ص ١٩٨.

^{٧٣١} (١٠). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٢٧٩، تاريخ مدينة دمشق: ج ٩ ص ١٢٠ و فيه «حضر قتال الخوارج بالنهروان».

^{٧٣٢} (١١). نهج البلاغة: الخطبة ١٩، الغارات: ج ٢ ص ٤٩٨؛ الكامل للمبرّد: ج ٢ ص ٥٧٩، تاريخ مدينة دمشق: ج ٩ ص ١٣٥، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٤ ص ٧٥.

مواقفه أصل كلّ فساد و اضطراب^{٧٣٣}. و كان شرساً إلى درجة أنّه هدّد الإمام عليه السلام مرّةً بالقتل^{٧٣٤}. و سمّاه الإمام عليه السلام منافقاً و لعنه^{٧٣٥}.

و كان ابن ملجم يتردّد على داره^{٧٣٦}، و هو الَّذي أشار على المذكور بالإسراع يوم عزمه على قتل الإمام عليه السلام^{٧٣٧}. و نحن و إن لم نمتلك دليلاً تاريخياً قطعياً على صلته السريّة بمعاوية، لكن لا بدّ من الالتفات إلى أنّ الأيادي الخفيّة تعمل بحذر تامّ و كتمان شديد، و لذا لم تنكشف إلّا نادراً. لكنّ ملفّ جنایات هذا البيت المشؤوم يمكن عدّه وثيقه معتبرة على علاقته، بل و علاقة أسرته بأعداء أهل البيت عليهم السلام، و ممّا يعزّز ذلك تعبير الإمام عنه بالمنافق.

قامت بنته جعدّه بسمّ الإمام الحسن عليه السلام^{٧٣٨}. و تولّى ابنه محمّد إلقاء القبض على مسلم بن عقيل بالكوفة، بعد أن آمنه زوراً، ثمّ غدر به^{٧٣٩} و كلّ إناء بالَّذي فيه ينضح. و كان ابنه الآخر قيس^{٧٤٠} من امراء جيش عمر بن سعد بكر بلاء، و لم يقلّ عن أبيه ضعفاً و نذالاً؛ إذ سلب قطيفة الإمام الحسين عليه السلام، فاشتهر بقيس القطيفة^{٧٤١}.

هلك الأشعث سنة ٤٠ هـ^{٧٤٢}، فختّم ملفّ حياته الدّيس الملوّث بالعار.

ص: ٢٢٩

في شرح نهج البلاغة عن الأغمش: إنّ جريراً و الأشعث خرجا إلى جبان^{٧٤٣} الكوفة، فمرّ بهما صبّ يعدو، و هما في ذمّ عليّ عليه السلام، فنادياه: يا أبا حسّل، هلمّ يدك نبايعك بالخلافة، فبلغ عليّاً عليه السلام قولهما، فقال:

أما إنّهما يُحشران يوم القيامة وإمامهما صبّ^{٧٤٤}.

و قال الإمام الصادق عليه السلام:

«إنّ الأشعث بن قيس شرك في دم أمير المؤمنين عليه السلام، وابنته جعدّه سمّت الحسن عليه السلام، و محمّد ابنه شرك في دم الحسين عليه السلام^{٧٤٥}».

(١) ٧٣٣. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٢٧٩.

(٢) ٧٣٤. سبب أعلام النبلاء: ج ٢ ص ٤٠ الرقم ٨، تاريخ مدينة دمشق: ج ٩ ص ١٣٩، مقاتل الطالبين: ص ٤٨.

(٣) ٧٣٥. نهج البلاغة: الخطبة ١٩؛ الأغاني: ج ٢١ ص ٢٠، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٤ ص ٧٥.

(٤) ٧٣٦. الإرشاد: ج ١ ص ١٩ و فيه «و كانوا قبل ذلك ألقوا إلى الأشعث بن قيس ما في نفوسهم من العزيمة على قتل أمير المؤمنين عليه السلام و إبطاهم عليه».

(٥) ٧٣٧. أنساب الأشراف: ج ٣ ص ٢٥٤؛ الإرشاد: ج ١ ص ١٩، المناقب لابن شهر آشوب: ج ٣ ص ٣١٢.

(٦) ٧٣٨. راجع الكافي: ج ٨ ص ١٦٧ ح ١٨٧؛ أنساب الأشراف: ج ٣ ص ٢٩٥، اسد الغابة: ج ١ ص ٢٥١ الرقم ١٨٥.

(٧) ٧٣٩. تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٣٧٤؛ الإرشاد: ج ٢ ص ٥٨.

(٨) ٧٤٠. تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٤٢٢.

(٩) ٧٤١. تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٤٥٣.

(١٠) ٧٤٢. سبب أعلام النبلاء: ج ٢ ص ٤٢ الرقم ٨، تاريخ مدينة دمشق: ج ٩ ص ١٤٤، اسد الغابة: ج ١ ص ٢٥١ الرقم ١٨٥.

(١) ٧٤٣. الجبّان و الجبّانة: الصحراء، و تسمّى بهما المقابر، لأنّها تكون في الصحراء، تسمية للشيء بموضعه (النهاية: ٢٣٦/١).

(٢) ٧٤٤. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٤ ص ٧٥.

و فى تاريخ مدينة دمشق عن إبراهيم: ارتد الأشعث بن قيس و ناس من العرب لما مات نبي الله صلى الله عليه و آله فقالوا: نصلى و لا نؤدى الزكاة، فأبى عليهم أبو بكر ذلك، قال: لا أحلّ عقده عقدها^{٧٤٦} رسول الله صلى الله عليه و آله، و لا أعقد عقده حلها رسول الله صلى الله عليه و آله، و لا أنقضكم شيئاً مما أخذ منكم رسول الله صلى الله عليه و آله، و لأجاهدكم، و لو منعتوني^{٧٤٧} عقلاً مما أخذ منكم نبي الله صلى الله عليه و آله، لجاهدكم عليه، ثم قرأ:

«وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ»^{٧٤٨}

الآية.

فتحصن الأشعث بن قيس هو و ناس من قومه فى حصن، فقال الأشعث:

اجعلوا لسبعين مئاً أماناً فجعل لهم، فنزل بعد سبعين، و لم يدخل نفسه فيهم، فقال أبو بكر: إنه لا أمان لك، إنا قاتلوك، قال: أ فلا أدلك على خير من ذلك؟

ص: ٢٣٠

تستعين بى على عدوك، و تزوجنى اختك، ففعل^{٧٤٩}.

و فى الأخبار الطوال: كان (الأشعث) مقيماً بأذربيجان طول ولاية عثمان بن عفان، و كانت ولايته مما عتب الناس فيه على عثمان؛ لأنه ولّاه عند مصاهرته إياه، و تزويج ابنه الأشعث من ابنة^{٧٥٠}.

و فى وقعة صفين عن الأشعث بن قيس - من خطبته فى أذربيجان بعد بيعه الناس مع على عليه السلام -: أيها الناس! إن أمير المؤمنين عثمان ولّانى أذربيجان، فهلك و هى فى يدي، و قد بايع الناس عليّاً، و طاعتنا له كطاعة من كان قبله، و قد كان من أمره و أمر طلحة و الزبير ما قد بلغكم، و علىّ المأمون على ما غاب عنّا و عنكم من ذلك الأمر.

فلما أتى منزله دعا أصحابه فقال: إن كتاب علىّ قد أوحشنى، و هو أخذ بمال أذربيجان، و أنا لاحق بمعاوية.

فقال القوم: الموت خير لك من ذلك، أ تدع مصرّك و جماعة قومك و تكون ذنباً لأهل الشام؟!!

فاستحيى فسار حتّى قدم على علىّ^{٧٥١}.

^{٧٤٥} (٣). الكافي: ج ٨ ص ١٦٧ ح ١٨٧ عن سليمان كاتب عليّ بن يقطين عمّن ذكره.

^{٧٤٦} (٤) فى المصدر: «عقد»، و الصحيح ما أثبتناه كما فى تهذيب الكمال.

^{٧٤٧} (٥) فى المصدر: «منعوني»، و الصحيح ما أثبتناه كما فى تهذيب الكمال.

^{٧٤٨} (٦) آل عمران: ١٤٤.

^{٧٤٩} (١). تاريخ مدينة دمشق: ج ٩ ص ١٣٤، تهذيب الكمال: ج ٣ ص ٢٩٠ الرقم ٥٣٢؛ الأمالي للطوسي: ص ٢٦٢ ح ٤٨٠ كلّها عن إبراهيم النخعي.

^{٧٥٠} (٢). الأخبار الطوال: ص ١٥٦ و راجع: وقعة صفين: ص ٢٠.

^{٧٥١} (٣). وقعة صفين: ص ٢١؛ الإمامة و السياسة: ج ١ ص ١١٢ نحوه.

و فى تاريخ اليعقوبى - فى كتابه وثيقه التحكيم و اختلافهم فى تقديم الإمام و تسميته بإمره المؤمنين :- فقال أبو الأعور السلمى: لا نُقدّم علياً، و قال أصحاب عليّ: و لا نُغيّر اسمه و لا نكتب إلّا بإمره المؤمنين، فتنازعا على ذلك منازعه شديده حتّى تضاربوا بالأيدى، فقال الأشعث: امحوا هذا الاسم، فقال له الأشر:

ص: ٢٣١

و الله- يا أعور!- لهمت أن أملاً سيفى منك، فلقد قتلت قوماً ما هم شرّ منك، و إني أعلم أنك ما تحاول إلّا الفتنة، و ما تدور إلّا على الدنيا و إثارها على الآخرة!^{٧٥٢}

و قال الإمام عليّ عليه السلام:

«أما هذا الأعور- يعنى الأشعث- فإنّ الله لم يرفع شرفاً إلّا حسده، ولا أظهر فضلاً إلّا عابه، وهو يمنى نفسه و يخذعها، يخاف ويرجو، فهو بينهما لا يثق بواحد منهما، وقد منّ الله عليه بأن جعله جباناً، ولو كان شجاعاً لقتله الحق^{٧٥٣}».

و قال الإمام الصادق عليه السلام:

«حدّثنى امرأة منّا، قالت: رأيت الأشعث بن قيس دخل على عليّ عليه السلام فأغلظ له علىّ، فعرض له الأشعث بأن يفتك به.

فقال له عليّ عليه السلام: ألاموت تهدّنى؟! فوالله ما ابالى و وقعت على الموت، أو وقع الموت على^{٧٥٤}».

و فى تاريخ مدينة دمشق عن قيس بن أبى حازم: دخل الأشعث بن قيس على عليّ فى شىء، فتهدّده بالموت، فقال عليّ:

بالموت فتهدّدى! ما ابالى سقط علىّ أو سقطت عليه. هاتوا له جامعاً وقيداً،

ثمّ أوما إلى أصحابه فطلبوا إليه فيه، قال: فتركه^{٧٥٥}.

و فى شرح نهج البلاغة: كلّ فساد كان فى خلافة عليّ عليه السلام، و كلّ اضطراب حدث فأصله الأشعث، و لو لا محاقته^{٧٥٦} أمير المؤمنين عليه السلام فى معنى الحكومه

ص: ٢٣٢

^{٧٥٢} (١) تاريخ اليعقوبى: ج ٢ ص ١٨٩.

^{٧٥٣} (٢) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ٢٠ ص ٢٨٦ ح ٢٧٧؛ نثر الدر: ج ١ ص ٣٢٥ نحوه.

^{٧٥٤} (٣) مقاتل الطالبين: ص ٤٧ عن سفيان بن عيينة.

^{٧٥٥} (٤) تاريخ مدينة دمشق: ج ٩ ص ١٣٩، بيّن أعلام النبلاء: ج ٢ ص ٤٠ الرقم ٨ و ليس فيه «ما ابالى سقط عليّ أو سقطت عليه».

^{٧٥٦} (٥) احتقّ القوم: قال كلّ واحد منهم: الحقّ فى يدي (لسان العرب: ج ١٠ ص ٤٩) و المراد هنا: المحاجة و المجادلة.

في هذه المرّة، لم تكن حرب التّهروان، و لكن أمير المؤمنين عليه السلام ينهض بهم إلى معاوية، و يملك الشّام؛ فإنّه صلوات الله عليه حاول أن يسلك معهم مسلك التعريض و المواربة^{٧٥٧}.

و في المثل التّبويّ صلوات الله على قائله:

الحربُ خُدعةٌ،

و ذاك أنّهم قالوا له:

تُب إلى الله ممّا فعلت كما تُبنا ننهض معك إلى حرب أهل الشّام، فقال لهم كلمة مجملّة مرسلّة يقولها الأنبياء و المعصومون، و هي قوله: أستغفر الله من كلّ ذنب، فرضوا بها، و عدّوها إجابة لهم إلى سؤالهم، و صفت له عليه السلام نيّاتهم، و استخلص بها ضمائرهم، من غير أن تتضمّن تلك الكلمة اعترافاً بكفر أو ذنب.

فلم يتركه الأشعث، و جاء إليه مستفسراً و كاشفاً عن الحال، و هاتكاً ستر التّورية و الكناية، و مخرجاً لها من ظلمة الإجمال و ستر الحيلة إلى تفسيرها بما يُفسد التّدبير، و يُوغر الصّدور، و يُعيد الفتنة، و لم يستفسره عليه السلام عنها إلّا بحضور من لا يمكنه أن يجعلها معه هُدنة على دَخَن^{٧٥٨}، و لا تريقاً عن صَبوح^{٧٥٩}، و ألجأه بتضييق الخناق عليه إلى أن يكشف ما في نفسه، و لا يترك الكلمة على احتمالها، و لا يطويها على غرّها^{٧٦٠}، فخطب بما صدع به عن صورة ما عنده مجاهرة،

ص: ٢٣٣

فانتقض ما دبره، و عادت الخوارج إلى شبهتها الاولى، و راجعوا التّحكيم و المروق.

و هكذا الدّول التي تظهر فيها أمارات الانقضاء و الزّوال، يُتاح لها أمثال الأشعث من اولى الفساد في الأرض

«سُنَّةُ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا»^{٧٦١}.

٤٢ كتابه عليه السلام إلى معاوية

إِنَّهُ بَايَعَنِي الْقَوْمَ الَّذِينَ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ عَلَيَّ مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ، وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَرُدَّ، وَإِنَّمَا الشُّورَى لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَيَّ رَجُلٍ وَسَمَوَهُ إِمَامًا كَانَ ذَلِكَ لِلَّهِ رِضًا، فَإِنْ خَرَجَ عَنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ

^{٧٥٧} (١) المواربة: المداهاة و المخاتلة، و التوريب: أن تُورّي عن الشّيء بالمعارضات و المباحات (لسان العرب: ج ١ ص ٧٩٦).
^{٧٥٨} (٢) الهدنة: اللّين و السكون، و منه قيل للمصالحة: المهادنة؛ لأنها ملاينة أحد الفريقين. و الدّخَن: تغيّر الطعم من الدّخان) مجمع الأمثال: ج ٣ ص ٤٦٠ الرقم ٤٤٦٤).

^{٧٥٩} (٣) أصل المثل: «عن صَبوح تُرْفِقُ» الصبوح: ما يُشرب صباحاً، و تريق الكلام: تزيينه و تحسينه. يُضرب لمن كفى عن شيء و هو يريد غيره) مجمع الأمثال: ج ٢ ص ٣٤٨ الرقم ٢٤٥١).

^{٧٦٠} (٤) أصل المثل: طويّته على غرّه، غرّ الثوب: أثر تكسره، يُضرب لمن يؤكل إلى رأيه) مجمع الأمثال: ج ٢ ص ٢٩٠ الرقم ٢٢٩٨).

^{٧٦١} (١) الأحزاب: ٦٢.

^{٧٦٢} (٢). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٢٧٩.

بَطْنٍ أَوْ بَدْعَهُ رَدُّهُ إِلَى مَا خَرَجَ مِنْهُ، فَإِنْ أَبِي قَاتَلُوهُ عَلَى اتِّبَاعِهِ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَلَّاهُ اللَّهُ مَا تَوَلَّى، وَلَعَمْرِي يَا مُعَاوِيَةَ لَئِنْ نَظَرْتُ بِعَقْلِكَ دُونَ هَوَاكَ لَتَجِدْتَنِي أُبْرَأَ النَّاسِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ، وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِّي كُنْتُ فِي غَزْوَةٍ عَنْهُ، إِلَّا أَنْ تَتَّجِنَنِي، فَتَجَنَّ مَا بَدَأَ لَكَ وَالسَّلَامُ.^{٧٦٣}

هذا الكتاب من كتبه عليه السلام مع جرير بن عبد الله البجليّ إلى معاوية، حين نزعه من همدان.

قال ابن عساکر: أخبرنا أبو عبد الله البلخي، أخبرنا أحمد بن الحسن بن

ص: ٢٣٤

خيرون، أخبرنا الحسن بن أحمد بن إبراهيم، أخبرنا أحمد بن إسحاق الطيّبيّ، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن الحسين، أخبرنا أبو سعيد يحيى بن سليمان الجعفيّ، أخبرنا نصر بن مزاحم، أخبرنا عمر بن سعد الأسديّ عن نُمَيْرِ بْنِ وَعْلَةَ، عَنْ عَامِرِ الشَّعْبِيِّ، أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ قَدِمَ مِنَ الْبَصْرَةِ نَزَعَ جَرِيرًا هَمْدَانِيًّا، فَجَاءَ حَتَّى نَزَلَ الْكُوفَةَ، فَأَرَادَ عَلِيٌّ أَنْ يَبِيعَهُ إِلَى مُعَاوِيَةَ رَسُولًا.

فقال له جرير: ابعتني إلى معاوية، فإنه لم يزل لي مستنصحا، وودًا فاتيه فأدعوه عليّ أن يسلم لك هذا الأمر و يجامعك على الحق، عليّ أن يكون أميراً من أمرائك، و عاملاً من عمالك ما عمل بطاعة الله، و أتبع ما في كتاب الله، و أدعو أهل الشام إلى طاعتك و ولايتك، و جلهم قومي و أهل بلادي، و قد رجوت ألا يعصوني.

فقال له الأشرّ: لا تبعته ودعه لا تصدقه، فوالله، إنّي لأظنُّ أن هواه هواهم، و نيته نيتهم.

فقال له عليّ:

دعه حتّى ننظر ما يرجع به إلينا،

فبعته عليّ عليه السلام، و قال له حين أراد أن يبعته:

«إِنَّ حَوْلِي مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ مِنْ أَهْلِ الدِّينِ وَالرَّأْيِ مَنْ قَدْ رَأَيْتَ، وَقَدْ اخْتَرْتُكَ عَلَيْهِمْ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ فِيكَ: إِنَّكَ مِنْ خَيْرِ ذِي يَمَنِ، آيَةُ مُعَاوِيَةَ بِكِتَابِي، فَإِنْ دَخَلَ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ، وَإِلَّا فَاَنْبِذْ إِلَيْهِ، وَأَعْلَمْهُ أَنِّي لَا أَرْضَى بِهِ أَمِيرًا، وَأَنَّ الْعَامَّةَ لَا تَرْضَى بِهِ خَلِيفَةً».

فانطلق جرير حتّى أتى الشام و نزل بمعاوية فدخل عليه، فحمد الله و أثنى عليه، و قال: أمّا بعد، يا معاوية فإنه قد اجتمع لابن عمك أهل الحرمين، و أهل المصريين، و أهل الحجاز، و أهل اليمن، و أهل مصر، و أهل العروص و عمان، و أهل البحرين، و اليمامة، فلم يبق إلّا أهل هذه الحصون التي أنت فيها لو سال

عليها سيل من أوديته غرقها، و قد أتيتك أدعوك إلى ما يرشدك و يهديك، إلى مبايعه هذا الرجل، و دفع إليه كتاب على بن أبي طالب و فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد، فإن بيعتي بالمدينة لزمته وأنت بالشام، لأنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بويعوا عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يرده، وإنما السورى للمهاجرين والأنصار، فإذا اجتمعوا على رجل فسّموه إماماً كان ذلك لله رضاء، فإن خرج عن أمرهم خارجاً بطعن أو رغبة رذوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على أتباعه غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى، ويصليه جهنم وساءت مصيراً.

وإن طلحة والزبير بايعاني، ثم نقضا بيعتي، وكان نقضهما كردهما، فجاهدتهما على ذلك حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون، فادخل فيما دخل فيه المسلمون، فإن أحب الأمور إلى فيك العافية، إلا أن تتعرض للبلاء، فإن تعرضت له قاتلتك واستعنت الله عليك.

وقد أكثرت في قتله عثمان، فادخل فيما دخل فيه المسلمون، ثم حاكم القوم إلى أحملك وإياهم على كتاب الله، فأما تلك التي تريدتها فخذعة الصبي عن اللبن.

ولعمري لئن نظرت بعقلك ذون هواك، لتجدني أبراً قريش من دم عثمان.

واعلم أنك من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة، ولا تعرض فيهم السورى، وقد أرسلت إليك وإلى من قبلك جريبن عبداً لله، وهو من أهل الإيمان والهجرة، فبايع، ولا قوة إلا بالله.^{٧٦٤}

٤٣ كتابه عليه السلام إلى معاوية

من كتاب له عليه السلام أجاب به معاوية لما وصل رد كتابه إليه عليه السلام:

«أما بعد، فقد أتانا كتابك، كتاب امرئ ليس له بصراً يهديه، ولا قائداً يرشده، دعاه الهوى فأجاب، وقاده فاتبه، زعمت أنك إنما أفسد عليك بيعتي خفوري لعثمان.

^{٧٦٤} (١). وقعة صفين: ص ٢٧ و راجع: العقد الفريد: ج ٣ ص ١٠٦، و الإمامة و السياسة: ج ١ ص ٩٣، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٣ ص ٧٥، تاريخ مدينة دمشق: ج ٥٦ ص ٩٧٤.

وَلَعَمْرِي مَا كُنْتُ إِلَّارَجُلًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، أُورِدْتُ كَمَا أُورِدُوا، وَأُصْدِرْتُ كَمَا أُصْدَرُوا، وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَجْمَعَهُمْ عَلَى ضَلَالَةٍ، وَلَا لِيُضْرِبَهُم بِالْعَمَى، وَمَا أَمَرْتُ فَلَزِمْتَنِي خَطِيئَةُ الْأَمْرِ، وَلَا قَتَلْتُ فَأَخَافُ عَلَى نَفْسِي قِصَاصَ الْقَاتِلِ.

وَأَمَّا قَوْلِكَ: إِنَّ أَهْلَ الشَّامِ هُمْ حُكَّامُ أَهْلِ الْحِجَازِ؛ فَهَاتِ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ يُقْبَلُ فِي الشُّورَى، أَوْ تَحِلُّ لَهُ الْخِلَافَةُ، فَإِنْ سَمَّيْتَ كَذَّبَكَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ وَنَحْنُ نَأْتِيكَ بِهِ مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ.

وَأَمَّا قَوْلِكَ: إِدْفَعْ إِلَيَّ قَتْلَةَ عُثْمَانَ؛ فَمَا أَنْتَ وَذَاكَ وَهَاهُنَا بَنُو عُثْمَانَ، وَهُمْ أَوْلَى بِذَلِكَ مِنْكَ، فَإِنْ زَعَمْتَ أَنَّكَ أَقْوَى عَلَيَّ طَلَبَ دَمِ عُثْمَانَ مِنْهُ فَارْجِعْ إِلَى الْبَيْعَةِ الَّتِي لَزِمْتَكِ، وَحَاكِمِ الْقَوْمِ إِلَيَّ.

وَأَمَّا تَمْيِيزُكَ بَيْنَ أَهْلِ الشَّامِ وَالْبَصْرَةَ وَبَيْنَ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ، فَلَعَمْرِي مَا الْأَمْرُ هُنَاكَ إِلَّا وَاحِدٌ، لِأَنَّهَا بَيْعَةٌ عَامَّةٌ لَا يَتَأْتِي فِيهَا النَّظَرُ، وَلَا يُسْتَأْنَفُ فِيهَا الْخِيَارُ.

وَأَمَّا قَرَابَتِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَقَدِيمِي فِي الْإِسْلَامِ فَلَوْ اسْتَطَعْتَ دَفْعَهُ لَدَفَعْتَهُ.^{٧٦٥}

ص: ٢٣٧

٤٤ كتابه عليه السلام إلى جرير بن عبد الله

فقال نصر: حدثني مُحَمَّد بن عُبَيْدِ اللَّهِ عن الجرجاني قال: لما قدم عليٌّ عليه السلام الكوفة بعد انقضاء أمر الجمل، كاتب العمال، فكتب إلى جرير بن عبد الله البجليّ مع زحر بن قيس الجعفيّ، و كان جرير عاملاً لعثمان على ثغر همدان:

«أَمَّا بَعْدُ؛ إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ»^{٧٦٤} وَإِنِّي أَخْبِرُكَ عَنْ نَبَأٍ مَنْ سَرِنَا إِلَيْهِ مِنْ جُمُوعِ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ عِنْدَ نَكْثِهِمْ بَيْعَتِي، وَمَا صَنَعُوا بِعَامِلِي عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ، إِنِّي نَهَضْتُ مِنَ الْمَدِينَةِ بِالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِالْعَدِيبِ، بَعَثْتُ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ، وَعَمَّارِينَ يَاسِرَ، وَقَيْسَ بْنَ عَبَّادَةَ، فَاسْتَنْفَرْتُهُمْ فَأَجَابُوا، فَسِرْتُ بِهِمْ حَتَّى نَزَلْتُ بِظَهْرِ الْبَصْرَةِ، فَأَعْذَرْتُ فِي الدُّعَاءِ وَأَقْلَتُ الْعَثْرَةَ، وَنَاشَدْتُهُمْ عَهْدَ بَيْعَتِهِمْ، فَأَبَوْا إِلَّا الْقِتَالَ، فَاسْتَعْنَتْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، فَقُتِلَ مَنْ قُتِلَ، وَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ إِلَى مِصْرِهِمْ، وَسَأَلُونِي مَا كُنْتُ دَعْوَتُهُمْ إِلَيْهِ قَبْلَ اللَّقَاءِ، فَقَبِلْتُ الْعَافِيَةَ، وَرَفَعْتُ السَّيْفَ، وَاسْتَعْمَلْتُ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ، وَسَرْتُ إِلَى الْكُوفَةِ؛ وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ زَحْرَ بْنَ قَيْسٍ، فَسَأَلَهُ عَمَّا بَدَأَ لَكَ وَالسَّلَامُ»^{٧٦٧}.

قال: فلما قرأ جرير الكتاب، قام فقال: أيها الناس، هذا كتاب أمير المؤمنين

^{٧٦٥} (١). العقد الفريد: ج ٣ ص ٣٢٩ وراجع: وقعة صفين: ص ٤٩٩؛ الفتوح: ج ٢ ص ٤٣١، الإمامة والسياسة: ص ١٠٢، جمهرة رسائل العرب: ج ١ ص ٤٠٠.

^{٧٦٦} (١) الرعد: ١١.

^{٧٦٧} (٢) و زاد ابن أعثم: «و اقرأ كتابي على المسلمين، و أقبل إليّ بخيلك و رجلك، فأني عازم على المسير إلى الشام إن شاء الله تعالى، لا قوة إلا بالله»؛ قال: ثم طوى الكتاب و عنوانه و ختمه بخاتمه و دفعه إلى زحر بن قيس و أمره بالمسير إلى جرير.

على بن أبي طالب عليه السلام، و هو المأمون على الدّين و الدّنيا، و قد كان من أمره و أمر عدوّه ما نحمدُ الله عليه، و قد بايعه النَّاسُ الأوَّلون من المهاجرين و الأنصار و التّابعين بإحسان، و لو جعل هذا الأمر شورى بين المسلمين كان أحقّهم بها، ألا و إنّ البقاء فى الجماعة، و الفناء فى الفرقة، و إنّ عليّاً حاملكم على الحقّ ما استقمتم، فإن ملتّم أقام ميلكم. فقال النَّاسُ: سمعاً و طاعةً، رضينا رضينا.

فكتب جرير إلى على عليه السلام جواب كتابه بالطاعة ...^{٧٦٨}

ثمّ نقل ما جرى من شعر ابن أخت جرير، و خطبة زحر بن قيس، و شعر جرير، نصّ فيه أنّ عليّاً عليه السلام هو وصيّ النّبىّ صلى الله عليه و آله و أشعار من غيرها.

قال نصر: فقبل الأشعث البيعة و سمع و أطاع، و أقبل جرير سائراً من ثغر همدان حتّى ورد على عليه السلام الكوفة فبايعه، و دخل فيما دخل فيه النَّاسُ من طاعته و لزوم أمره.^{٧٦٩}

أقول: لكنّ فى أشعار ابن أخت جرير إيحاء إلى اتهامه جريراً بعدم الإخلاص له، و ميله إلى العثمانيين.

قال ابن أبي الحديد: قالوا: و كان الأشعث بن قيس الكندى، و جرير بن عبد الله البجليّ يبغضانه، و هدم على عليه السلام دار جرير بن عبد الله.

قال إسماعيل بن جرير: هدم على دارنا مرتين.

و روى الحارث بن حصّين، أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله دفع إلى جرير بن عبد الله نعلين من نعاله، و قال: احتفظ بهما فإنّ ذهابهما ذهاب دينك فلمّا كان يوم الجمل ذهب إحداهما، فلمّا أرسله على عليه السلام إلى معاوية ذهب الأخرى، ثمّ فارق عليّاً و ...

عن الأعمش أنّ جريراً و الأشعث خرجا إلى جبان الكوفة، فمرّ بهما ضبّ يعدو و هما فى ذم على عليه السلام فنادياها: يا أبا حسل؛ هلمّ يدك نبايعك بالخلافة فبلغ عليّاً عليه السلام قولهما، فقال:

«أما إنّهما يحشران يوم القيامة وإمامهما ضبّ».^{٧٧٠}

^{٧٦٨} (١). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٣ ص ٧٠، وقعة صفين: ص ١٥، الفتوح: ج ٢ ص ٥٠٠، الإمامة و السياسة: ج ١ ص ١١٠، جمهرة رسائل العرب: ج ١ ص ٣٣٦ الرقم ٣٧٢؛ بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٣٥٩ ح ٣٣٩.

^{٧٦٩} (٢). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٣ ص ٧١ - ٧٤.

^{٧٧٠} (١). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٤ ص ٧٤.

فقال الآبي: قال بعض قريش: أتيت الكوفة فتبوتت بها منزلاً، ثم خرجت أريد علياً عليه السلام، فلقيني في الطريق و هو بين الأشعث بن قيس، و جرير بن عبد الله، فلماً رأني خرج من بينهما فسلم عليّ، فلماً سكت قلت: يا أمير المؤمنين، من هذان؟

و ما رأيهما؟

فقال:

«أما هذا الأعور- يعنى الأشعث- فإن الله لم يرفع شرفاً إلّا حسده، ولم يسنّ ديناً إلّا بغاه، وهو يمّنى نفسه ويخدعها، فهو بينهما لا يثقُ بواحدةٍ منهما، ومنّ الله عليه أن جعله جباناً، ولو كان شجاعاً لقد قتله الحقّ بعد. وأما هذا الأَكشَفُ- يعنى جريراً- عبد الجاهليّة، فهو يرى أن كلّ أحدٍ يحقره، فهو مُمتليءٌ بأوا^{٧٧١}، وهو فى ذلك يألُبُ^{٧٧٢} حُجراً يؤويه، ومنصباً يُغنيه. وهذا الأعور يُغويه ويطغيه، إن حدثته كذبه، وإن قام دونه نكص عنه، فهما كالشيطانِ «إذ قال للإنسِ اكفّر فلماً كفر قال إنى برىء منك إني أخاف الله ربّ العلمين»^{٧٧٣}.

قال: فقلت له: و الله يا أمير المؤمنين لقد نزلت بشرّ منزل، ما أنت إلّا بين الكلب و الذئب.

ص: ٢٤٠

قال:

«هو عمّلكم يا معشر قريش، والله ما خرجت منكم إلّا أنى خفت أن تلجؤا بي فألج بكم»^{٧٧٤}.

قال نصر:

فلما أراد عليّ عليه السلام أن يبعث إلى معاوية رسولاً، فقال له جرير: ابعثنى يا أمير المؤمنين إليه؛ فإنه لم يزل لى مستخصّاً و ودّاً، آتية فأدعوه، على أن يسلم لك هذا الأمر، و يجمعك على الحقّ، على أن يكون أميراً من أمرائك، و عاملاً من عمالك، ما عمل بطاعة الله، و اتبع ما فى كتاب الله، و أدعو أهل الشّام إلى طاعتك و ولايتك فجلبهم قومي و أهل بلادى، و قد رجوت إلّا يعصونى.

فقال له الأشرّ: لا تبعه و لا تصدّقه؛ فو الله إنى لأظنّ هواه هواهم، و نيّته نيّتهم.

فقال له عليّ عليه السلام:

^{٧٧١} (٢) البأور: الكبر و التعظيم. (النهاية: ج ١ ص ٩١ «بأو»).

^{٧٧٢} (٣) الألوّب: الذي يُسرع، يُقال: ألب يألُب و يألُب. (لسان العرب: ج ١ ص ٢١٥ «ألب»).

^{٧٧٣} (٤) الحشر: ١٦.

^{٧٧٤} (١). نثر الدر: ج ١ ص ٣٢٤، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢٠ ص ٢٨٦ الرقم ٢٧٧ نحوه مختصراً.

«دَعَا حَتَّى نَنْظُرَ مَا يَرْجِعُ بِهِ إِلَيْنَا».

[أقول: أراد أمير المؤمنين عليه السلام أن يرسل جريراً إلى معاوية فخالفه الأشتراً]

فبعثه علىّ عليه السلام، و قال له حين أراد أن يبعثه:

«إِنَّ حَوْلِي مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ مِنْ أَهْلِ الرَّأْيِ وَالِدِّينِ مَنْ قَدْ رَأَيْتَ، وَقَدْ اخْتَرْتَكَ عَلَيْهِمْ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ فِيكَ: إِنَّكَ مِنْ خَيْرِ ذِي يَمَنِ، اثْتِ مَعَاوِيَةَ بَكْتَابِي، فَإِنْ دَخَلَ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ، وَإِلَّا فَاَنْبِذْ إِلَيْهِ وَأَعْلَمْهُ أَنِّي لَا أَرْضَى بِهِ أَمِيرًا، وَأَنَّ الْعَامَّةَ لَا تَرْضَى بِهِ خَلِيفَةً».

فانطلق جرير حَتَّى أَتَى الشَّامَ وَ نَزَلَ بِمَعَاوِيَةَ ...^{٧٧٥}

الجرجاني قال: كان معاوية قد أتى جريراً قبل ذلك في منزله، فقال له: يا جرير؛ إني قد رأيت رأياً، قال: هاته، قال: اكتب إلى صاحبك يجعل لى الشام و مصر جباية، فإذا حضرته الوفاة لم يجعل لأحد بعده فى عنقى بيعة، و أسلم له هذا الأمر؛ و أكتب إليه بالخلافة. فقال جرير: اكتب ما أردت أكتب معك.

ص: ٢٤١

فكتب معاوية بذلك إلى علىّ، فكتب علىّ عليه السلام إلى جرير:

«أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّمَا أَرَادَ مُعَاوِيَةَ أَلَّا يَكُونَ لِي فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، وَأَنْ يَخْتَارَ مِنْ أَمْرِهِ مَا أَحَبَّ، وَأَرَادَ أَنْ يَرِيثَكَ وَيَبْطِئَكَ حَتَّى يَذُوقَ أَهْلَ الشَّامِ؛ وَإِنَّ الْمُغْيِرَةَ بْنَ شُعْبَةَ قَدْ كَانَ أَشَارَ عَلِيَّ أَنْ أَسْتَعْمِلَ مُعَاوِيَةَ عَلَى الشَّامِ، وَأَنَا حِينئذٍ بِالْمَدِينَةِ، فَأَبَيْتُ ذَلِكَ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَكُنْ لِلَّهِ لِيْرَانِي أَتَّخِذَ الْمُضْلِينَ عَضُدًا، فَإِنْ بَايَعَكَ الرَّجُلُ؛ وَإِلَّا فَأَقْبِلْ وَالسَّلَامَ».

[أقول: أبطأ جرير عند معاوية حَتَّى اتَّهَمَهُ النَّاسُ، وَ قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

وَقَّتَ الرَّسُولَ وَقْتًا لَا يُقِيمُ بَعْدَهُ إِلَّا مَخْدُوعًا أَوْ عَاصِبًا.

و أبطأ علىّ علىّ عليه السلام حَتَّى أَيْسَ مِنْهُ.]

فقال نصر: و فشا كتاب معاوية فى العرب، فبعث إليه الوليد بن عُقْبَةَ:

بِشَامِكَ لَا تُدْخِلُ عَلَيْكَ الْأَفَاعِيَا^{٧٧٤}

مُعَاوِيَةَ إِنَّ الشَّامَ شَامُكَ فَاعْتَصِمِ

^{٧٧٥} (٢). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٣ ص ٧٤؛ وقعة صفين: ص ٢٧.
^{٧٧٦} (١). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٣ ص ٨٤ و راجع: تاريخ مدينة دمشق: ج ٥٩ ص ١٣١، الفتوح: ج ٢ ص ٥١٥ و زاد في آخره «و لا تكن رخو الجنان و السلام»؛ وقعة صفين: ص ٢٧، بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٣٧٨.

٤٥ كتابه عليه السلام إلى مُحَمَّد بن أَبِي بَكْر

عن كَعْب قال: كنت مع مُحَمَّد بن أَبِي بَكْر حيث قدم مصر، فلمَّا أتاها قرأ عليهم عهده:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا ما عهد عبد الله على أمير المؤمنين إلى مُحَمَّد بن أَبِي بَكْر حين ولَّاه مصر:

أمره بتقوى الله والطاعة له في السرِّ والعلانيَّة، وخوف الله في المغيب والمشهد، وأمره باللين للمسلم، وبالغلظة على الفاجر، وبالعدل على أهل الذمَّة، وبالإنصاف

ص: ٢٤٢

للمظلوم، وبالشدَّة على الظالم، وبالغفو عن النَّاس، وبالإحسان ما استطاع، والله يَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَيُعَذِّبُ الْمُجْرِمِينَ.

وأمره أن يدعُو مَنْ قَبْلَهُ إِلَى الطَّاعَةِ وَالْجَمَاعَةِ؛ فَإِنَّ لَهُمْ فِي ذَلِكَ مِنَ الْعَاقِبَةِ وَعَظِيمِ الْمَثُوبَةِ مَا لَا يُقَدَّرُونَ قَدْرَهُ، وَلَا يَعْرِفُونَ كُنْهَهُ، وَأَمْرَهُ أَنْ يَجِبِيَ خَرَجَ الْأَرْضِ عَلَى مَا كَانَتْ تُجَبِي عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ، وَلَا يَنْتَقِصُ مِنْهُ وَلَا يَبْتَدِعُ فِيهِ، ثُمَّ يَقْسِمُهُ بَيْنَ أَهْلِهِ كَمَا كَانُوا يَقْسِمُونَهُ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ.

وأمره أن يُلِينَ لَهُمْ جَنَاحَهُ، وَأَنْ يُسَاوِيَ بَيْنَهُمْ فِي مَجْلِسِهِ وَوَجْهِهِ، وَلِيُكُنَّ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ عِنْدَهُ فِي الْحَقِّ سَوَاءً، وَأَمْرَهُ أَنْ يَخْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ، وَأَنْ يَقُومَ بِالْقِسْطِ، وَلَا يَتَّبِعِ الْهَوَى، وَلَا يَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمًا، فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ مَنْ اتَّقَاهُ، وَأَثَرَ طَاعَتَهُ عَلَى مَا سِوَاهُ، وَالسَّلَامُ».

و كتبه عُبيدُ اللَّهِ بنُ أَبِي رَافِعٍ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ لِعُرَّةِ شَهْرِ رَمَضَانَ، سَنَةَ سِتِّ وَ ثَلَاثِينَ.^{٧٧٧}

مُحَمَّدُ بنُ أَبِي بَكْر

هو مُحَمَّد بن عبد الله بن عثمان، و هو مُحَمَّد بن أَبِي بَكْر بن أَبِي قُحَافَةَ، وَ أُمُّهُ أَسْمَاءُ بِنْتُ عَمَيْسٍ، وَوُلِدَ فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ (سنة ١٠ هـ) بذي الحليفة^{٧٧٨}، في وقت كان رسول الله صلى الله عليه وآله قد تهيأ مع جميع أصحابه لأداء حجة الوداع.

ص: ٢٤٣

^{٧٧٧} (١) الغارات: ج ١ ص ٢٢٤ و راجع: تحف العقول: ص ١٧٦، بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٥٤٠، تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥٥٦، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٤ ص ٦٥، أنساب الأشراف: ج ٣ ص ١٦٤.
^{٧٧٨} (٢) صحيح مسلم: ج ٢ ص ٨٨٧ ح ١٤٧، التاريخ الكبير: ج ١ ص ١٢٤ ح ٣٦٩، أنساب الأشراف: ج ١ ص ٤٧٤، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٣ ص ٦٠٠، الاستيعاب: ج ٣ ص ٤٢٢ الرقم ٢٣٤٨.

أمه أسماء بنت عميس. كانت في البداية زوجة جعفر بن أبي طالب^{٧٧٩}، وهاجرت معه إلى الحبشة^{٧٨٠}. و بعد استشهاد جعفر تزوجها أبو بكر^{٧٨١}، و بعد موته تزوجها أمير المؤمنين عليه السلام. فانتقلت إلى بيته مع أولادها، و فيهم محمد الذي كان يومئذ ابن ثلاث سنين^{٧٨٢}.

نشأ في حجر الإمام عليه السلام^{٧٨٣} إلى جانب الحسن و الحسين عليهما السلام، و امتزجت روحه بمعرفة و حب أهل البيت عليهم السلام و كان الإمام عليه السلام يقول أحياناً ملاطفاً:

«مُحَمَّدٌ ابْنِي مِنْ صُلْبِ أَبِي بَكْرٍ»^{٧٨٤}.

و كان محمد في مصر أيام حكومة عثمان، و بدأ فيها تعنيفه و انتقاده له^{٧٨٥}، و اشترك في الثورة عليه^{٧٨٦}. و كان إلى جانب الإمام عليه السلام بعد تصديده للخلافة. و هو الذي حمل كتابه إلى أهل الكوفة قبل نشوب حرب الجمل^{٧٨٧}، و كان على الرِّجَالِ

ص: ٢٤٤

فيها^{٧٨٨}. و بعد غلبة الإمام عليه السلام تولى متابعة الشؤون المتعلقة بعائشة بأمر الإمام عليه السلام^{٧٨٩}، و أعادها إلى المدينة^{٧٩٠}.

كان محمد مجدداً في الجهاد و العبادة، و لجدته في عبادته سُمي عابد قريش^{٧٩١}.

و هو جد الإمام الصادق عليه السلام من الأمهات^{٧٩٢}.

^{٧٧٩} (١) . اسد الغابة: ج ١ ص ٥٤٤ الرقم ٧٥٩، الاستيعاب: ج ١ ص ٣١٣ الرقم ٣٣١، مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٠٦، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٦ ص ٥٣.
^{٧٨٠} (٢) . شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٦ ص ٥٣.
^{٧٨١} (٣) . مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٠٧، اسد الغابة: ج ٥ ص ٩٧ الرقم ٤٧٥١، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٦ ص ٥٣.
^{٧٨٢} (٤) . مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٠٧، الاستيعاب: ج ٣ ص ٤٢٢ الرقم ٢٣٤٨، أنساب الأشراف: ج ٣ ص ١٧٣.
^{٧٨٣} (٥) . الاستيعاب: ج ٣ ص ٤٢٢ الرقم ٢٣٤٨، اسد الغابة: ج ٥ ص ٩٨ الرقم ٤٧٥١، الإصابة: ج ٦ ص ١٩٤ الرقم ٨٣١٣، مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٠٧ و فيه «رباه علي بن أبي طالب».
^{٧٨٤} (٦) . شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٦ ص ٥٣.
^{٧٨٥} (٧) . تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٢٩٢، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٢٥٤.
^{٧٨٦} (٨) . الطبقات الكبرى: ج ٣ ص ٧٣، أنساب الأشراف: ج ٦ ص ١٦٣، تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٣٥٧ و ٣٧٢، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٣ ص ٦٠١، اسد الغابة: ج ٥ ص ٩٨ الرقم ٤٧٥١؛ تاريخ يعقوبي: ج ٢ ص ١٧٥.
^{٧٨٧} (٩) . تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٤٧٧، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٢٦.
^{٧٨٨} (١) . الجمل: ص ٣١٩؛ تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٣ ص ٤٨٥، العقد الفريد: ج ٣ ص ٣١٤، الاستيعاب: ج ٣ ص ٤٢٢ الرقم ٢٣٤٨، اسد الغابة: ج ٥ ص ٩٨ الرقم ٤٧٥١.
^{٧٨٩} (٢) . تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥٣٤، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٤٨.
^{٧٩٠} (٣) . الأخبار الطوال: ص ١٥٢، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٤٨.
^{٧٩١} (٤) . مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٠٧، المعارف لابن قتيبة: ص ١٧٥، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٦ ص ٥٤ و فيهما «كان محمد من نسائك قريش».
^{٧٩٢} (٥) . مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٠٧، سير أعلام النبلاء: ج ٦ ص ٢٥٥، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٦ ص ٥٤، الكافي: ج ١ ص ٤٧٢ ح ١، الإرشاد: ج ٢ ص ١٨٠، عمدة الطالب: ص ١٩٥.

ولَّاهُ الإمام عليه السلام على مصر سنة ٣٦ هـ بعد عزل قَيْسِ بنِ سَعْدٍ عنها^{٧٩٣}. ولَمَّا تَخاذَلَ أصحابُ الإمام عن نصرته عليه السلام، و تركوه وحيداً، اغتنم معاوية هذه الفرصة و استطاع أن يغتال هذا النَّصير المخلص بأسلوب غادر خبيث، و استطاع حينئذٍ أن يسخر مصر تحت قدرته.

كان الإمام عليه السلام يُثنى عليه و يذكره بخير في مناسبات مختلفة و يقول:

«لَقَدْ كَانَ إِلَيَّ حَبِيبًا، وَكَانَ لِي رَبِيبًا^{٧٩٤}، فَعِنْدَ اللَّهِ نَحْتَسِبُهُ وَوَدَّأَ نَاصِحًا وَعَامِلًا كَادِحًا، وَسَيْفًا قَاطِعًا، وَرُكْنًا دَافِعًا»^{٧٩٥}

ص: ٢٤٥

في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله الأنصاريّ في ذكر حجّة الوداع:- حتّى أتينا ذا الحليفة فولدت أسماء بنت عميس محمّد بن أبي بكر^{٧٩٦}.

و في اسد الغابة- في ذكر محمّد بن أبي بكر:- كان له فضل و عبادة، و كان عليّ يُثنى عليه، و هو أخو عبد الله بن جعفر لأمّه، و أخو يحيى بن عليّ لأمّه^{٧٩٧}.

و في ذكر محمّد بن أبي بكر: تزوّج عليّ بأمّه أسماء بنت عميس بعد وفاة أبي بكر، و كان أبو بكر تزوّجها بعد قتل جعفر بن أبي طالب، و كان ربيبه في حجره. و شهد مع عليّ الجمل، و كان على الرّجاله، و شهد معه صفين، ثمّ ولّاه مصر فقتل بها^{٧٩٨}.

و في شرح نهج البلاغة: كان محمّد ربيبه و خريجه، و جاريّاً عنده مجرى أولاده، رضع الولاء و التّشيع مُذ زمن الصّبا، فنشأ عليه، فلم يكن يعرف له أباً غير عليّ، و لا يعتقد لأحدٍ فضيلةً غيره، حتّى قال عليّ عليه السلام:

محمّد ابني من صلب أبي بكر^{٧٩٩}.

و عن الإمام عليّ عليه السلام- في ذكر محمّد بن أبي بكر و التّفجّع عليه: إنّه كان لي ولداً، و لولدي و ولد أخي أخاً^{٨٠٠}.

٤٦ كتابه عليه السلام إلى محمّد بن أبي بكر

يُحتمل أنّ المأثور عن الإمام الصادق عليه السلام: «ولدي أبو بكر مرتين» يعود إلى أنّ أمّه أم فروة هي بنت القاسم بن محمّد بن أبي بكر، و أمّها هي أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر.

^{٧٩٣} (٦). تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥٥٤، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٥٦؛ الغارات: ج ١ ص ٢١٩.

^{٧٩٤} (٧). نهج البلاغة: الخطبة ٦٨، الغارات: ج ١ ص ٣٠١ و ليس فيه «إليّ حبيباً».

^{٧٩٥} (٨). نهج البلاغة: الكتاب ٣٥.

^{٧٩٦} (١). صحيح مسلم: ج ٢ ص ٨٨٧ ح ١٤٧.

^{٧٩٧} (٢). اسد الغابة: ج ٥ ص ٩٨ الرقم ٤٧٥١ و راجع الطبقات الكبرى: ج ٤ ص ٣٤.

^{٧٩٨} (٣). اسد الغابة: ج ٥ ص ٩٧ الرقم ٤٧٥١.

^{٧٩٩} (٤). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٦ ص ٥٣.

^{٨٠٠} (٥). تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ١٩٤؛ أنساب الأشراف: ج ٣ ص ١٧٣ نحوه.

كتابه عليه السلام إلى مُحَمَّد بن أبي بكر و أهل مصر:

ص: ٢٤٤

فقال إبراهيم: فحدثنا يحيى بن صالح، فقال حدثنا مالك بن خالد الأسدّي، عن الحسن بن إبراهيم، عن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، عن عباية. أن علياً- عليه السلام- كتب إلى مُحَمَّد بن أبي بكر و أهل مصر:

«أما بعد؛ فإنّي أوصيك بتقوى الله في سرّ أمرِك وعلانيته وعلى أيّ حالٍ كُنْتَ عَلَيْهَا، واعلم أنّ الدنيا دارٌ بلاءٍ وفناءٍ، والآخرة دارٌ بقاءٍ وجزاءٍ؛ فإنّ استطعتَ أن تُؤثّرَ ما يبقى على ما يفنى فافعل، فإنّ الآخرة تبقى وإنّ الدنيا تفنى، رزقنا الله وإياك بصراً لِمَا بَصَرْنَا، وفهماً لِمَا فَهَمْنَا حتّى لا نقصّرَ عمّا أمرنا به، ولا نتعدّى إلى ما نهانا عنه، فإنّه لا بدّ لك من نصيبك من الدنيا وأنّت إلى نصيبك من الآخرة أحوجّ، فإنّ عرضَ لك أمران: أحدهما للآخرة والآخرة للدنيا فابدأ بأمر الآخرة، ولتعظّم رغبَتك في الخير، ولتحسّن فيه نيّتك، فإنّ الله عز و جل يُعطي العبدَ على قدرِ نيّته، وإذا أحبّ الخيرَ وأهله ولم يعملْه كانَ إن شاء الله كمن عملْه، فإنّ رسولَ الله صلى الله عليه و آله فقال حين رجع من تبوك: لقد كانَ بالمدينة أقبامٌ ما سيرتُم من مسيرٍ ولا هبطتُم من وادٍ إلّا كانوا معكم، ما حبسهم إلّا المرَضُ، يقول: كانت لهم نيّةٌ.

ثمّ اعلم يا مُحَمَّد، أنّي وليّتك أعظمَ أجنادي في نفسي أهل مصر، وإذ وليّتك ما وليّتك من أمرِ الناس، فأنتَ محقّقٌ أن تخافَ فيه على نفسك وتحذّرَ فيه على دينك ولو كانَ ساعةً من نهارٍ، فإن استطعتَ أن لا تسخطَ فيها ربّك لِرِضى أحدٍ من خلقه فافعل، فإنّ في الله خلفاً من غيره وليسَ في شيءٍ غيره خلفٌ منه، فاشتدّ على الظالم، ولن لأهلِ الخيرِ وقربهم إليك واجعلهم بطانتك وإخوانك، والسّلام»^{٨١}.

ص: ٢٤٧

أقول: نقل مصنّف كتاب معادن الحكمة كتابه إلى مُحَمَّد بن أبي بكر، حين قلّده مصرَ عن النهج، و لكنّه قسّم منه جزءاً من كتابه المفصل المشتمل على مسائل كثيرة، الّذى نقله المصنّف، من قوله عليه السلام:

«واعلم يا مُحَمَّد بن أبي بكر، قد وليّتك ...

وليس في شيءٍ سواه خلف منه»،

و قسّم أيضاً جزءاً منه نقله المصنّف

«واعلموا عباد الله أنّ المتقين ذهبوا ...»،

^{٨١} (١). الغارات: ج ١ ص ٢٢٨ و راجع: نهج البلاغة: الكتاب ٢٧، الأمالي للمفيد: ص ٢٦٦، الأمالي للطوسي: ص ٢٩، تحف العقول: ص ١٧٨، بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٥٨٧؛ تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥٥٦، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٦ ص ٦٧.

على اختلاف فى الألفاظ و مواضع الجملات، و يأتى نقله بعد هذا أيضاً و لعل السيّد كانت عنده رواية لم تصل إلينا.

و ما ذكرناه نحن عن الغارات أيضاً، ذيله موجود فى الكتاب الطويل، و فى شرح المعتزلى نقل هذا الكتاب عن إبراهيم الثقفى فى الغارات، و قال: كتب علىّ عليه السلام إلى أهل مصر لمّا بعث مُحَمَّد بن أبى بكر إليهم كتاباً يخاطبهم به، و يخاطب مُحَمَّد أيضاً، ثُمَّ نقل الكتاب، و الضمائر فيه بخطاب الجمع، كقوله

«أوصيكم، أمركم، منكم و ...»

و مراده من مخاطبته مُحَمَّداً قوله عليه السلام:

«ثُمَّ اعلم يا مُحَمَّد ...»

[٤٧ كتابه عليه السلام لمُحَمَّد بن أبى بكر و أهل مصر

قال إبراهيم الثقفى: كتب مُحَمَّد بن أبى بكر إلى علىّ بن أبى طالب عليه السلام و هو إذ ذاك بمصر، عاملها لعلّى عليه السلام، يسأله جوامع من الحرام و الحلال و السنن و المواعظ؛ فكتب إليه:

لعبد الله أمير المؤمنين من مُحَمَّد بن أبى بكر؛ سلامٌ عليكِ فإنى أحمدُ إليك الله الذى لا إله إلا هو، أمّا بعد؛ فإن رأى أمير المؤمنين - أَرانا الله و جماعته المسلمين فيه أفضل سرورنا و أملنا فيه - أن يكتب لنا كتاباً فيه فرائض، و أشياء مما يبتلى به مثلى من القضاء بين الناس فَعَل؛ فإنَّ الله يُعظّمُ لِأَمير المؤمنين الأجر،

ص: ٢٤٨

و يُحسِنَ لَهُ الذَّخِرَ. فكتب إليه علىّ عليه السلام:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من عبد الله أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب، إلى مُحَمَّد بن أبى بكر و أهل مصر؛ سلامٌ عليكم، فإنى أحمدُ إليكم الله الذى لا إله إلا هو، أمّا بعد؛ فقد وصلَ إلىّ كتابك، فقرأته و فهمت ما سألتنى عنه، وأعجبنى اهتمامك بما لا بدّ لك منه، وما لا يصلح المسلمين غيره، و ظننت أن الذى ذلك عليه نيّةٌ صالحه، و رأى غير مدخولٍ ولا خسيسٍ، وقد بعثت إليك أبواب الأفضية جامعاً لك فيها، ولا قوّة إلا بالله، و حسبنا الله و نعم الوكيل».

و كتب إليه عمّا سأله من القضاء، و ذكر الموت، و الحساب، و صفه الجنّة و النار، و كتب فى الإمامة، و فى الوضوء، و مواقيت الصلاة، و فى الرُّكوع و السُّجود، و فى الأدب، و فى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، و فى الصّوم و الاعتكاف، و فى الزنادقة، و فى نصرانىّ فجر بامرأة مسلمة، و فى أشياء كثيرة لم يحفظ منها غير هذه الخصال؛ و حدّثنا ببعض ما كتب إليه. ثُمَّ نقل إبراهيم الكتاب المتقدم إلى مُحَمَّد بن أبى بكر و أهل مصر، ثُمَّ قال:

عن عبد الله بن الحسن، عن عباية قال: كتب عليّ عليه السلام إلى مُحَمَّدٍ و أهل مصر:

«أَمَا بَعْدُ؛ فَإِنِّي أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالْعَمَلِ بِمَا أَنْتُمْ عَنْهُ مَسْئُولُونَ، فَأَنْتُمْ بِهِ رَهْنٌ وَأَنْتُمْ إِلَيْهِ صَائِرُونَ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ يَقُولُ: «كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ»^{٨٠٢} وَقَالَ:

«وَيُخَذَّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَوَالِي اللَّهِ الْمَصِيرُ»^{٨٠٣} وَقَالَ: «فَوَرَبِّكَ لَنَسَلْتَهُمْ أَجْمَعِينَ

ص: ٢٤٩

عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ»^{٨٠٤}.

فَاعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ اللَّهَ سَائِلُكُمْ عَنِ الصَّغِيرِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ وَالْكَبِيرِ، فَإِنْ يُعَذِّبُ فَنَحْنُ أَظْلَمُ، وَإِنْ يَعْفُو فَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. وَاَعْلَمُوا أَنَّ أَقْرَبَ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ إِلَى الرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ حِينَ يَعْمَلُ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَمُنَاصَحَتِهِ فِي التَّوْبَةِ، فَعَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ، فَإِنَّهَا تَجْمَعُ مِنَ الْخَيْرِ مَا لَا يَجْمَعُ غَيْرُهَا، وَيُدْرِكُ بِهَا مِنَ الْخَيْرِ مَا لَا يُدْرِكُ بِغَيْرِهَا؛ خَيْرُ الدُّنْيَا وَخَيْرُ الْآخِرَةِ، يَقُولُ اللَّهُ: «وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَ لَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَ لَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ»^{٨٠٥}.

وَاَعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ، أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَعْمَلُ لِنِثْلَاثٍ: إِمَّا لِحَيْرِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ اللَّهَ يُثِيْبُهُ بِعَمَلِهِ فِي الدُّنْيَا، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: «وَءَاتَيْنَاهُ أُجْرَهُ وَفِي الدُّنْيَا وَآئِنَهُ وَفِي الْآخِرَةِ لِمَنِ الصَّالِحِينَ»^{٨٠٦} فَمَنْ عَمِلَ لِلَّهِ تَعَالَى أَعْطَاهُ أُجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَكَفَاهُ الْمُهْمَ فِيهِمَا، وَقَدْ قَالَ: «بِعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَ أَرْضُ اللَّهِ وَسَعَةٌ إِنَّمَا يُؤَفِّقِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ»^{٨٠٧} فَمَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا لَمْ يُحَاسِبْهُمْ بِهِ فِي الْآخِرَةِ، قَالَ: «لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَ زِيَادَةٌ»^{٨٠٨} فَالْحُسْنَى هِيَ الْجَنَّةُ، وَ الزِّيَادَةُ هِيَ الدُّنْيَا، وَإِمَّا لِحَيْرِ الْآخِرَةِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يَكْفُرُ عَنْهُ بِكُلِّ حَسَنَةٍ سَيِّئَةً، يَقُولُ: «إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي

ص: ٢٥٠

^{٨٠٢} (١) المذثر: ٣٨.

^{٨٠٣} (٢) آل عمران: ٢٨.

^{٨٠٤} (١) الحجر: ٩٢ و ٩٣.

^{٨٠٥} (٢) النحل: ٣٠.

^{٨٠٦} (٣) العنكبوت: ٢٧.

^{٨٠٧} (٤) الزمر: ١٠.

^{٨٠٨} (٥) يونس: ٢٦.

لِلذِّكْرِينَ»^{٨٠٩} حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ حُسِبَتْ لَهُمْ حَسَنَاتُهُمْ، وَأَعْطُوا بِكُلِّ وَاحِدَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِئَةٍ ضِعْفٍ؛ فَهُوَ الَّذِي يَقُولُ: «جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا»^{٨١٠} ويقولُ عز و جل: «فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءٌ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَ هُمْ فِي الْعُرْفَاتِ ءَأَمِنُونَ»^{٨١١} فَارْغَبُوا فِيهِ، وَاعْمَلُوا بِهِ، وَتَخَاضُوا عَلَيْهِ.

وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ ذَهَبُوا بِعَاجِلِ الْخَيْرِ وَأَجَلِهِ، شَارَكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ، وَلَمْ يُشَارِكْهُمْ أَهْلُ الدُّنْيَا فِي آخِرَتِهِمْ، يَقُولُ اللَّهُ عز و جل: «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ»^{٨١٢} سَكَنُوا الدُّنْيَا بِأَفْضَلِ مَا سَكِنَتْ، وَأَكَلُوا بِأَفْضَلِ مَا أَكَلَتْ، شَارَكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ؛ أَكَلُوا مِنْ أَفْضَلِ مَا يَأْكُلُونَ، وَشَرِبُوا مِنْ أَفْضَلِ مَا يَشْرَبُونَ، وَلَبَسُوا مِنْ أَفْضَلِ مَا يَلْبَسُونَ، وَسَكَنُوا بِأَفْضَلِ مَا يَسْكُنُونَ، وَتَزَوَّجُوا مِنْ أَفْضَلِ مَا يَتَزَوَّجُونَ، وَرَكَبُوا مِنْ أَفْضَلِ مَا يَرَكَبُونَ، أَصَابُوا لَذَّةَ الدُّنْيَا مَعَ أَهْلِ الدُّنْيَا، مَعَ أَنَّهُمْ غَدَاً مِنْ جِيرَانِ اللَّهِ عز و جل يَتَمَنُّونَ عَلَيْهِ، فَيُعْطِيهِمْ مَا يَتَمَنُّونَ، لَا يَرُدُّ لَهُمْ دَعْوَةً وَلَا يَنْقُصُ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ لَذَّةٍ، فَإِلَى هَذَا يَشْتَقُّ مَنْ كَانَ لَهُ عَقْلٌ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ، أَنَّكُمْ إِنْ اتَّقَيْتُمْ رَبَّكُمْ وَحَفِظْتُمْ نَبِيَّكُمْ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ فَقَدْ عَبْدْتُمُوهُ بِأَفْضَلِ مَا عَبَدَ، وَذَكَرْتُمُوهُ بِأَفْضَلِ مَا ذَكَرَ، وَشَكَرْتُمُوهُ بِأَفْضَلِ مَا شَكَرَ، وَأَخَذْتُمْ بِأَفْضَلِ الصَّبْرِ، وَجَاهَدْتُمْ بِأَفْضَلِ الْجِهَادِ، وَإِنْ كَانَ غَيْرُكُمْ أَطْوَلَ صَلَاةً مِنْكُمْ، وَأَكْثَرَ

ص: ٢٥١

صِيَاماً؛ إِذْ كُنْتُمْ أَتَقَى لِلَّهِ، وَأَنْصَحَ لِأَوْلِيَاءِ الْأَمْرِ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ وَأَخْشَعَ.

وَاحْذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ الْمَوْتَ وَنُزُولَهُ، وَخُذُوا لَهُ عِدَّتَهُ، فَإِنَّهُ يَدْخُلُ بِأَمْرِ عَظِيمٍ، خَيْرٌ لَا يَكُونُ مَعَهُ شَرٌّ أَبَدًا، وَشَرٌّ لَا يَكُونُ مَعَهُ خَيْرٌ أَبَدًا، فَمَنْ أَقْرَبَ إِلَى الْجَنَّةِ مِنْ عَامِلِيهَا؟! وَمَنْ أَقْرَبَ إِلَى النَّارِ مِنْ عَامِلِيهَا؟! إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ تَفَارِقُ رُوحَهُ جَسَدَهُ حَتَّى يَعْلَمَ إِلَى أَيِّ الْمَنْزِلَيْنِ يَصِيرُ! إِلَى الْجَنَّةِ أَوْ إِلَى النَّارِ؟ أَعْدُوْهُ هُوَ لِلَّهِ أَمْ هُوَ وَلِيُّ لَهْ؟

فَإِنْ كَانَ وَلِيًّا لِلَّهِ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَشُرِعَتْ لَهُ طُرُقُهَا، وَرَأَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ فِيهَا، فَفَرَّغَ مِنْ كُلِّ شَعْلٍ، وَوَضَعَ عَنْهُ كُلَّ ثِقَلٍ، وَإِنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ النَّارِ، وَشُرِعَتْ لَهُ طُرُقُهَا، وَنَظَرَ إِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ فِيهَا، فَاسْتَقْبَلَ كُلَّ مَكْرُوهِ، وَتَرَكَ كُلَّ سُرُورٍ؛ كُلُّ هَذَا يَكُونُ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَعِنْدَهُ يَكُونُ بَيِّقِينَ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

^{٨٠٩} (١) هود: ١١٤.
^{٨١٠} (٢) النبا: ٣٦.
^{٨١١} (٣) سبأ: ٣٧.
^{٨١٢} (٤) الأعراف: ٣٢.

«الَّذِينَ تَتَوَقَّلُونَ - هُمْ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ»^{٨١٣} ويقول: «الَّذِينَ تَتَوَقَّلُونَ - هُمْ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقُوا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ»^{٨١٤}.

واعلموا عباد الله أن الموت ليس منه قوت، فاحذروه قبل وقوعه، وأعدوا له عدته، فإنكم طرداء^{٨١٥} الموت وجدوا للثواب، إن أقمتم له أخذكم، وإن هربتم منه أدرركم، فهو ألزم لكم من ظلكم، معقود بنواصيبيكم، والدنيا تطوى من خلفكم، فأكثرُوا ذِكْرَ الْمَوْتِ عِنْدَمَا تَنَازَعُكُمْ إِلَيْهِ أَنْفُسُكُمْ مِنَ الشَّهَوَاتِ، فَإِنَّهُ كَفَى بِالْمَوْتِ

ص: ٢٥٢

واعظاً، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله كثيراً ما يوصي أصحابه بذكر الموت فيقول: أكثرُوا ذِكْرَ الْمَوْتِ فَإِنَّهُ هَادِمٌ اللَّذَاتِ، حَائِلٌ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الشَّهَوَاتِ.

واعلموا عباد الله، أن ما بعد الموت أشد من الموت لمن لم يغير الله له ويرحمه، واحذروا القبر وضمته وضيقة وظلمته وغرْبته، فإن القبر يتكلم كل يوم، ويقول: أنا بيت التراب، وأنا بيت الغربة، وأنا بيت الدود، والهوام، والقبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار، إن المسلم إذا دفن قالت له الأرض: مرحباً وأهلاً، قد كنت ممن أحب أن يمشى على ظهري، فإذا وليتكم فستعلم كيف صنعى بك؛ فيتسبح له مد البصر، وإذا دفن الكافر قالت له الأرض: لا مرحباً ولا أهلاً، قد كنت ممن أبغض أن يمشى على ظهري، فإذا وليتكم فستعلم كيف صنعى بك؛ فتنضم عليه حتى تلتقى أضلاعه، واعلموا أن المعيشة الضنك التي قال الله تعالى: «فإن له ومعيشة ضنكاً»^{٨١٦} هي عذاب القبر، وإنه ليسلط على الكافر في قبره تسعة وتسعين تيناً تنهش لحمه حتى يبعث، لو أن تيناً منها نفخ في الأرض ما أنبتت ريعها أبداً.

واعلموا عباد الله أن أنفسكم وأجسادكم الرقيقة الناعمة التي يكفيها اليسير من العقاب ضعيفة عن هذا؛ فإن استطعتم أن ترحموا أنفسكم وأجسادكم مما لا طاقة لكم به ولا صبر لكم عليه، فتعملوا بما أحب الله سبحانه، وتركوا ما كره؛ فافعلوا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

واعلموا عباد الله أن ما بعد القبر أشد من القبر، يوم يشيب فيه الصغير، ويسكر فيه الكبير، ويسقط فيه الجنين، وتذهل كل مرضعة عما أرضعت، واحذروا يوماً

^{٨١٣} (١) النحل: ٣٢.

^{٨١٤} (٢) النحل: ٢٨ و ٢٩.

^{٨١٥} (٣) في النهاية: كنت أطارد حية، أي أخادعها لاصيدها، منه طراد الصيد.

^{٨١٦} (١) طه: ١٢٤.

عَبُوسًا قَمَطِرِيرًا، يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا، أَمَا إِنَّ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَقَزَعَهُ اسْتَطَارَ، حَتَّى فَرَعَتْ مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ لَيْسَتْ لَهُمْ ذُنُوبٌ، وَالسَّبْعُ الشَّدَادُ، وَالْجِبَالُ الْأَوْتَادُ، وَالْأَرْضُونَ الْمِيهَادُ، وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَنُذٍ وَاهِيَةٌ، وَتَغَيَّرَتْ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدَّهَانِ، وَكَانَتْ الْجِبَالُ سَرَابًا بَعْدَمَا كَانَتْ صُمًَّا صِلَابًا، يَقُولُ سُبْحَانَهُ: «وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ»^{٨١٧} فَكَيْفَ بِمَنْ يَعْصِيهِ بِالسَّمْعِ وَالْبَصْرِ وَاللِّسَانِ وَالْيَدِ وَالرَّجْلِ وَالْفَرْجِ وَالْبَطْنِ، إِنْ لَمْ يَغْفِرِ اللَّهُ وَيَرْحَمْ.

وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ مَا بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَشَدُّ وَأَدْهَى عَلَى مَنْ لَمْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَإِنَّهُ يَقْضَى وَيَصِيرُ إِلَى غَيْرِهِ؛ إِلَى نَارٍ قَعْرُهَا بَعِيدٌ، وَخَرُّهَا شَدِيدٌ، وَعَذَابُهَا جَدِيدٌ، وَشَرَابُهَا صَدِيدٌ، وَمَقَامُهَا حَدِيدٌ، لَا يَفْتَرُّ عَذَابُهَا، وَلَا يَمُوتُ سَاكِنُهَا، دَارٌ لَيْسَتْ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ فِيهَا رَحْمَةٌ، وَلَا يُسْمَعُ فِيهَا دَعْوَةٌ.

وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ مَعَ هَذَا رَحْمَةَ اللَّهِ الَّتِي وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ لَا تَعْجِزُ عَنِ الْعِبَادِ، وَجَنَّةٌ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَعَدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ، خَيْرٌ لَا يَكُونُ مَعَهُ شَرٌّ أَبَدًا، وَشَهْوَةٌ لَا تَنْفَدُ أَبَدًا، وَلَذَّةٌ لَا تَفْنَى أَبَدًا، وَمَجْمَعٌ لَا يَتَفَرَّقُ أَبَدًا، قَوْمٌ قَدْ جَاوَرُوا الرَّحْمَنَ، وَقَامَ بَيْنَ أَيْدِيهِمُ الْعِلْمَانُ، بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ فِيهَا الْفَاكِهَةُ وَالرَّيْحَانُ.

فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، إِنِّي أَحِبُّ الْخَيْلَ، أَمْ فِي الْجَنَّةِ خَيْلٌ؟ - قَالَ: نَعَمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنْ فِيهَا خَيْلًا مِنْ يَاقُوتٍ أَحْمَرَ عَلَيْهَا يَرْكَبُونَ، فَتَدْفِتُ بِهِمْ خِلَالَ وَرَقِ الْجَنَّةِ. قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، إِنِّي يُعْجِبُنِي الصَّوْتُ الْحَسَنُ؛ أَمْ فِي الْجَنَّةِ

الصَّوْتُ الْحَسَنُ؟ - قَالَ: نَعَمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنْ اللَّهُ لَيَأْمُرُ لِمَنْ أَحَبَّ ذَلِكَ مِنْهُمْ بِشَجَرٍ يُسْمَعُهُ صَوْتًا بِالتَّسْبِيحِ مَا سَمِعْتَ الْأَذَانَ بِأَحْسَنَ مِنْهُ قَطًّا.

قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، إِنِّي أَحِبُّ الْإِبِلَ، أَمْ فِي الْجَنَّةِ إِبِلٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنْ فِيهَا نَجَائِبٌ مِنْ يَاقُوتٍ أَحْمَرَ، عَلَيْهَا رِحَالُ الدَّهَبِ، قَدْ أَلْحَفَتْ بِنَمَارِقِ الدِّيَابِجِ، يَرْكَبُونَ فَتَرْفُ بِهَيْمٍ خِلَالَ وَرَقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ فِيهَا صُورَ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ يَرْكَبُونَ مَرَآكِبَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا أَعْجَبَ أَحَدُهُمُ الصُّورَةَ قَالَ: اجْعَلْ صُورَتِي مِثْلَ هَذِهِ الصُّورَةِ، فَيَجْعَلُ صُورَتَهُ عَلَيْهَا، وَإِذَا أَعْجَبَتْهُ صُورَةُ الْمَرْأَةِ قَالَ: رَبِّ اجْعَلْ صُورَةَ فُلَانَةَ زَوْجَتِي مِثْلَ هَذِهِ الصُّورَةِ، فَيَرْجِعُ وَقَدْ صَارَتْ صُورَةُ زَوْجَتِهِ عَلَى مَا اشْتَهَى.

وإنَّ أهلَ الجنَّةِ يزورونَ الجَبَّارَ كُلَّ جُمُعَةٍ، فيكونُ أقربُهُمَ مِنهُ عَلَى مَنَابِرَ مِن نُورٍ، وَالَّذِينَ يُلُونَهُمَ عَلَى مَنَابِرَ مِن يَاقُوتٍ، وَالَّذِينَ يُلُونَهُمَ عَلَى مَنَابِرَ مِن زَبَرَجَدٍ، وَالَّذِينَ يُلُونَهُمَ عَلَى مَنَابِرَ مِن مِسْكِ، فَبَيْنَا هُمُ كَذَلِكَ يَنْظُرُونَ إِلَى نُورِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ، وَيَنْظُرُ اللَّهُ فِي وُجُوهِهِمْ، إِذْ أَقْبَلَتْ سَحَابَةٌ تَغْشَاهُمْ فَتَمْطِرُ عَلَيْهِمُ مِنَ النُّعْمَةِ وَاللَّذَّةِ وَالسَّرُورِ وَالْبَهْجَةِ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَهُ.

ثُمَّ قَالَ: بلى إنَّ مَعَ هذا ما هُوَ أَفْضَلُ مِنهُ، رِضْوَانُ اللَّهِ الأَكْبَرُ، فلو أَنَّنَا لَمْ يُخَوِّفْنَا بِبَعْضِ ما خَوَّفْنَا، لَكُنَّا مُحَقَّقِينَ أَن يَشْتَدَّ خَوْفُنَا مِمَّا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ، وَلَا صَبْرَ لَنَا عَلَيْهِ، وَأَنْ يَشْتَدَّ شَوْقُنَا إِلَى ما لَا غِنَى لَنَا عَنْهُ، وَلَا بَدَأَ لَنَا مِنهُ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ عِبَادَ اللَّهِ أَنْ يَشْتَدَّ خَوْفُكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ، وَيَحْسُنَ بِهِ ظَنُّكُمْ فَافْعَلُوا، فَإِنَّ العَبْدَ إِنَّمَا تَكُونُ طَاعَتُهُ عَلَى قَدْرِ خَوْفِهِ، إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ طَاعَةَ لِلَّهِ أَشَدَّهُمْ لَهُ خَوْفاً.

في الصَّلَاةِ وَ الوُضوءِ:

انظرْ يا مُحَمَّدُ، صَلَاتَكَ كَيْفَ تُصَلِّيها، فَإِنَّمَا أَنْتَ إِمَامٌ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تُتِمَّها وَأَنْ

ص: ٢٥٥

تَحْفَظَها بِالْأَرْكَانِ، وَلَا تُخَفِّفَها، وَأَنْ تُصَلِّيها لَوَقْتِها، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ إِمَامٍ يُصَلِّي بِقَوْمٍ فَيَكُونُ فِي صَلَاتِهِمْ نَقْصٌ إِلَّا كَانَ إِنْهُمْ ذَلِكَ عَلَيْهِ، وَلَا يُنْقِصُ ذَلِكَ مِنْ صَلَاتِهِمْ شَيْئاً.

ثُمَّ الوُضوءُ، فَإِنَّهُ مِنْ تَمَامِ الصَّلَاةِ، اغْسِلْ كَفَّيْكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَتَمَضَّمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَاسْتَنْشِقْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَاغْسِلْ وَجْهَكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ يَدَكَ الْيَمْنَى ثَلَاثَ مَرَّاتٍ إِلَى المِرْفَقِ، ثُمَّ يَدَكَ الشَّمَالِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ إِلَى المِرْفَقِ، ثُمَّ امْسَحْ رَأْسَكَ، ثُمَّ اغْسِلْ رِجْلَكَ الْيَمْنَى ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ اغْسِلْ رِجْلَكَ الْيُسْرَى ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَإِنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله هَكَذَا كَانَ يَتَوَضَّأُ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله: الوُضوءُ نِصْفُ الإِيْمَانِ.

انظر صَلَاةَ الظُّهْرِ فَصَلِّها لَوَقْتِها، لَا تَعْجَلْ بِها عَنِ الوَقْتِ لِفِرَاعٍ، وَلَا تُؤَخِّرْها عَنِ الوَقْتِ لِشُغْلٍ، فَإِنْ رَجُلًا جَاءَ إِلَى رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله فَسَأَلَهُ عَنِ وَقْتِ الصَّلَاةِ، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله:

أَتَانِي جَبْرئيلُ فَأَرَانِي وَقْتِ الصَّلَاةِ، فَصَلَّى الظُّهْرَ حِينَ رَأَتْ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّى العَصْرَ، وَهِيَ بِيضَاءُ نَقِيَّةٌ، ثُمَّ صَلَّى المَغْرِبَ حِينَ غَابَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّى العِشَاءَ حِينَ غَابَ الشَّفَقُ، ثُمَّ صَلَّى الصُّبْحَ فَأَغْلَسَ^{١٨} بِهِ والنُّجُومَ مُشْتَبِكَةً، كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله كَذَا يُصَلِّي قَبْلَكَ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ أَنْ تَلْتَزِمَ السَّنَةَ المَعْرُوفَةَ، وَتَسْلِكَ الطَّرِيقَ الواضِحَ الَّذِي أَخَذُوا؛ فَافْعَلْ، لَعَلَّكَ تَقْدِمُ عَلَيْهِمْ غَدًا.

^{١٨} (١) في النهاية: أَنَّهُ كَانَ يَصَلِّي الصُّبْحَ بِغُلَسٍ؛ وَ الغُلَسُ ظِلْمَةٌ آخِرُ اللَّيْلِ إِذَا اخْتَلَطَتْ بِضوءِ الصُّبْحِ، وَ مِنْهُ حَدِيثُ الإِفَاضَةِ: كُنَّا نَغْلَسُ مِنْ جَمْعٍ إِلَى مَنَى، أَي نَسِيرِ إِلَيْها فِي ذَلِكَ الوَقْتِ، وَ قَدْ غَلَسَ يَغْلِسُ تَغْلِيسًا.

ثُمَّ انظر رُكُوعَكَ وَسُجُودَكَ، فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ أْتَمَّ النَّاسِ صَلَاةً، وَأَحْفَظَهُمْ لَهَا، وَكَانَ إِذَا رَكَعَ قَالَ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَإِذَا رَفَعَ صُلْبَهُ قَالَ:

سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ؛ اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، مِلْءَ سَمَاوَاتِكَ وَمِلْءَ أَرْضِكَ وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ؛ فَإِذَا سَجَدَ قَالَ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى وَبِحَمْدِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

اعْلَمْ يَا مُحَمَّدُ، أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ عَمَلِكَ يَتَّبِعُ صَلَاتِكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ ضَيَّعَ الصَّلَاةَ

ص: ٢٥٦

فَهُوَ لِعَيْرِهَا أَضْيَعُ، أَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي يَرَى وَلَا يُرَى وَهُوَ بِالْمَنْظَرِ الْأَعْلَى أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكَ مِمَّنْ يُحِبُّ وَيَرْضَى حَتَّى يَبْعَثَنَا وَإِيَّاكُمْ عَلَى شُكْرِهِ، وَذِكْرِهِ، وَحُسْنِ عِبَادَتِهِ، وَأَدَاءِ حَقِّهِ، وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ اخْتَارَهُ لَنَا مِنْ دُنْيَانَا وَدِينِنَا وَأَوْلَانَا وَأَخْرَانَا، جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ «لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ»^{١١٩}.

في الوصية:

إِنْ اسْتَطَعْتُمْ يَا أَهْلَ مِصْرَ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ أَنْ يُصَدِّقَ قَوْلَكُمْ فِعْلَكُمْ وَسِرِّكُمْ غَلَابَتِكُمْ، وَلَا تُخَالِفُوا أَلْسِنَتِكُمْ قُلُوبَكُمْ فافْعَلُوا، عَصَمْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِالْهُدَى، وَسَلَكْنَا بِهَا وَبِكُمْ الْمَحَجَّةَ الْوُسْطَى، وَإِيَّاكُمْ وَدَعْوَةَ الْكُذَّابِ ابْنِ هَنْدٍ، وَتَأْمَلُوا وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا سِوَاءَ إِمَامٍ الْهُدَى، وَإِمَامِ الرَّدَى، وَوَصِيِّ النَّبِيِّ، وَعَدُوِّ النَّبِيِّ، جَعَلْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ يُحِبُّ وَيَرْضَى، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: إِنَّي لَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مُؤْمِنًا وَلَا مُشْرِكًا، أَمَّا الْمُؤْمِنُ، فَيَمْنَعُهُ اللَّهُ بِإِيْمَانِهِ وَأَمَّا الْمُشْرِكُ، فَيُخْزِيهِ اللَّهُ بِشُرْكِهِ، وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ كُلَّ مُنَافِقٍ عَالِمِ اللِّسَانِ، يَقُولُ مَا تَعْرِفُونَ، وَيَعْمَلُ مَا تُنْكِرُونَ، لَيْسَ بِهِ خَفَاءٌ، وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَاتُهُ وَسَاءَتْ تَهْ سَيِّئَاتُهُ فَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ حَقًّا، وَقَدْ كَانَ يَقُولُ:

خِصْلَتَانِ لَا تَجْتَمِعَانِ فِي مُنَافِقٍ، حُسْنُ سَمْتٍ، وَفِقَّةٌ فِي سُنَّةٍ.

اعْلَمْ يَا مُحَمَّدُ: أَنَّ أَفْضَلَ الْفِقْهِ: الْوَرَعُ فِي دِينِ اللَّهِ، وَالْعَمَلُ بِطَاعَتِهِ، أَعَانَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ عَلَى شُكْرِهِ، وَذِكْرِهِ، وَأَدَاءِ حَقِّهِ، وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ.

ثُمَّ إِنِّي أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي سِرِّ أَمْرِكَ وَغَلَابَتِيهِ، وَعَلَى أَيِّ حَالٍ كُنْتَ عَلَيْهَا؛ جَعَلْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ مِنَ الْمُتَّقِينَ، ثُمَّ أُوصِيكَ بِسَبْعِ هُنَّ جَوَامِعُ الْإِسْلَامِ: اخْشَ اللَّهَ وَلَا تَخْشَ النَّاسَ فِي اللَّهِ، فَإِنَّ خَيْرَ الْقَوْلِ مَا صَدَّقَهُ الْعَمَلُ، وَلَا تَقْضِ فِي أَمْرٍ وَاحِدٍ

ص: ٢٥٧

^{١١٩} (١) يونس: ٦٢.

بقضاء بين مُخْتَلَفَيْنِ فَيَتَنَاقَضُ أَمْرُكَ وَتَزِيغُ عَنِ الْحَقِّ، وَأَحِبَّ لِعَامَّةِ رَعِيَّتِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ وَأَهْلِ بَيْتِكَ، وَاكْرَهَ لَهُمْ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ وَأَهْلِ بَيْتِكَ وَالزَّمِ الْحُجَّةَ عِنْدَ اللَّهِ، وَأَصْلِحْ أَحْوَالَ رَعِيَّتِكَ، وَخُصِ الْعَمْرَاتِ إِلَى الْحَقِّ، وَلَا تَخَفْ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمًا، وَانصَحْ لِمَنْ اسْتَشَارَكَ، وَاجْعَلْ نَفْسَكَ أَسْوَأَ لِقَرِيبِ الْمُسْلِمِينَ وَبَعِيدِهِمْ.

في الصوم والاعتكاف:

وعليك بالصَّوْمِ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَكَفَ عَامًا فِي الْعَشْرِ الْأَوَّلِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَعَكَفَ فِي الْعَامِ الْمُقْبِلِ فِي الْعَشْرِ الْأَوْسَطِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، فَلَمَّا كَانَ الْعَامَ الثَّلَاثَ رَجَعَ مِنْ بَدْرِ فَقَضَى اعْتِكَافَهُ فَنَامَ، فَرَأَى فِي مَنَامِهِ لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، كَأَنَّهُ يَسْجُدُ فِي مَاءٍ وَطِينٍ فَلَمَّا اسْتَبَقِظَ رَجَعَ مِنْ لَيْلَتِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَأَنَاسٍ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ إِنَّهُمْ مَطَرُوا لَيْلَةً ثَلَاثَ وَعِشْرِينَ فَصَلَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حِينَ أَصْبَحَ، فَرَأَى فِي وَجْهِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الطَّيْنَ، فَلَمْ يَزَلْ يَعْتَكِفُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ.

وقال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ صَامَ سِتَّةَ أَيَّامٍ مِنْ شَوَّالٍ فَكَأَنَّمَا صَامَ السَّنَةَ، جَعَلَ اللَّهُ خَلَّتْنَا وَوَدَّانَا خَلَّةَ الْمُتَّقِينَ، وَوَدَّ الْمُخْلِصِينَ، وَجَمَعَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ فِي دَارِ الرِّضْوَانِ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَحْسِنُوا يَا أَهْلَ مِصْرَ مُؤَاذِرَةَ مُحَمَّدٍ، وَابْتُوتُوا عَلَى طَاعَتِكُمْ تَرِدُوا حَوْضَ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ». ^{٨٢٠}

قال إبراهيم: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَثْمَانَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي سَيْفٍ، عَنْ أَصْحَابِهِ؛ أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَمَّا أَجَابَ مُحَمَّدٌ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بِهَذَا الْجَوَابِ، كَانَ

ص: ٢٥٨

يَنْظُرُ فِيهِ وَيَتَعَلَّمُهُ وَيَقْضِي بِهِ، فَلَمَّا ظَهَرَ عَلَيْهِ وَقِيلَ، أَخَذَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ كِتَابَهُ أَجْمَعَ، فَبِعَثَ بِهَا إِلَى مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، وَكَانَ مَعَاوِيَةَ يَنْظُرُ فِي هَذَا الْكِتَابِ وَيَعْجَبُهُ، فَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ وَهُوَ عِنْدَ مَعَاوِيَةَ - لَمَّا رَأَى إِعْجَابَ مَعَاوِيَةَ بِهِ -: مُرْ بِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ أَنْ تَحْرُقَ، فَقَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ: مَهْ يَا بَنَ بْنَ أَبِي مَعِيظٍ، إِنَّهُ لَا رَأْيَ لَكَ، فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ: إِنَّهُ لَا رَأْيَ لَكَ، أَمْ مِنْ الرَّأْيِ أَنْ يَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّ أَحَادِيثَ أَبِي تَرَابٍ عِنْدَكَ؟! تَتَعَلَّمُ مِنْهَا وَتَقْضِي بِقَضَائِهِ؟! فَعَلَامَ تَقَاتَلُهُ؟!

فَقَالَ مَعَاوِيَةُ: وَيْحَكَ، أَمْ تَأْمُرُنِي أَنْ أَحْرُقَ عِلْمًا مِثْلَ هَذَا؟! وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ بَعْلَمَ أَجْمَعَ مِنْهُ وَلَا أَحْكَمَ وَلَا أَوْضَحَ، فَقَالَ الْوَلِيدُ: إِنْ كُنْتَ تَعْجَبُ مِنْ عِلْمِهِ وَقَضَائِهِ، فَعَلَامَ تَقَاتَلُهُ؟

فَقَالَ مَعَاوِيَةُ: لَوْ لَا أَنَّ أَبَا تَرَابٍ قَتَلَ عَثْمَانَ، ثُمَّ أَفْتَانَا لِأَخْذِنَا عَنْهُ، ثُمَّ سَكَتَ هَنِيئَةً ثُمَّ نَظَرَ إِلَى جِلْسَائِهِ فَقَالَ: إِنَّا لَا نَقُولُ: إِنْ هَذِهِ مِنْ كِتَابِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَ لَكِنَّا نَقُولُ: إِنْ هَذِهِ مِنْ كِتَابِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ كَانَتْ عِنْدَ ابْنِهِ مُحَمَّدٍ، فَنَحْنُ نَقْضِي بِهَا وَنَفْتِي.

^{٨٢٠} (١) الغارات: ج ١ ص ٢٢٧ - ٢٥٠ و راجع: الأمالي للمفيد: ص ٢٦٠، نهج البلاغة: الكتاب ٢٧، الأمالي للطوسي: ص ٢٥، تحف العقول: ص ١٧٦، بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٥٤١؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٥ ص ١٦٣.

فلم تزل تلك الكتب في خزائن بنى أمية، حتّى ولى عمر بن عبد العزيز، فهو أظهر أنّها من أحاديث عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فلمّا بلغ عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّ ذلك الكتاب صار إلى معاوية اشتدّ ذلك عليه.

قال أبو إسحاق: فحدثنا بكر بن بكّار، عن قيس بن الربيع، عن ميسرة بن حبيب، عن عمرو بن مرّة، عن عبد الله بن سلمة؛ قال: صلى بنا عليّ عليه السلام، فلمّا انصرف قال:

سَوْفَ أَكْسِرُ بَعْدَهَا وَ أَسْتَمِرُّ

لقد عثرتُ عُثْرَةً لا أعتذرُ

و أجمعُ الأمرَ الشّتيّتَ المنتشرُ

ص: ٢٥٩

قلنا: ما بالك يا أمير المؤمنين؟ - سمعنا منك كذا؟ - قال:

«إنّي استعملت مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ عَلَى مِصْرَ، فَكَتَبَ إِلَيَّ أَنَّهُ لَا عِلْمَ لِي بِالسُّنَّةِ، فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ كِتَابًا فِيهِ السُّنَّةُ، فَقَتَلَ وَأَخَذَ الْكِتَابَ». ^{٨٢١}

فقال ابن ابى الحديد: قلت: الأليق أن يكون الكتاب الذى كان معاوية ينظر فيه و يعجب منه و يفتى به و يقضى بقضاياه و أحكامه، هو عهد عليّ عليه السلام إلى الأشرّ، فإنّه نسيج وحده، و منه تعلّم النّاس الآداب و القضايا و الأحكام و السّياسة، و هذا العهد صار إلى معاوية لمّا سمّ الأشرّ، و مات قبل وصوله إلى مصر، فكان ينظر فيه و يعجب منه، و حقيق من مثله أن يقتنى فى خزائن الملوك. ^{٨٢٢}

٤٨ عهد له عليه السلام إلى محمّد بن أبي بكر

من عهد له عليه السلام إلى محمّد بن أبي بكر، حين قلّده مصر:

«فَأَخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ، وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ، وَابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ، وَأَسِرْ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظَرَةِ، حَتَّى لَا يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ لَهُمْ، وَلَا يَبْئَسَ الضَّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُسَائِلُكُمْ مَعَشَرَ عِبَادِهِ عَنِ الصَّغِيرَةِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ، وَالْكَبِيرَةِ وَالظَّاهِرَةِ الْمَسْتُورَةِ، فَإِنْ يُعَذِّبْ فَأَنْتُمْ أَظْلَمُ، وَإِنْ يَغْفُ فَهِيَ أَكْرَمُ.»

^{٨٢١} (١). الغارات: ج ١ ص ٢٥١ و راجع: بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٥٥١؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٦ ص ٧٢.

^{٨٢٢} (٢). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٦ ص ٧٢.

وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ، أَنَّ الْمُتَّقِينَ ذَهَبُوا بِعَاجِلِ الدُّنْيَا وَآجِلِ الْآخِرَةِ، فَشَارَكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ، وَلَمْ يُشَارِكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي آخِرَتِهِمْ، سَكَنُوا الدُّنْيَا بِأَفْضَلِ مَا سَكِنَتْ، وَأَكَلُوهَا بِأَفْضَلِ مَا أَكَلْتُمْ، فَحَظُّوا مِنَ الدُّنْيَا بِمَا حَظَى بِهِ الْمُتَرَفُّونَ، وَأَخَذُوا

ص: ٢٦٠

مِنْهَا مَا أَخَذَهُ الْجَبَابِرَةُ الْمُتَكَبِّرُونَ، ثُمَّ انْقَلَبُوا عَنْهَا بِالزَّادِ الْمُبْلَغِ، وَالْمَتَجَرِّ الرَّابِحِ، أَصَابُوا لَدَّةَ زُهْدِ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ، وَتَيَقَّنُوا أَنَّهُمْ جِيرَانُ اللَّهِ عَدَا فِي آخِرَتِهِمْ، لَا تُرَدُّ لَهُمْ دَعْوَةٌ وَلَا يَنْقُصُ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ لَدَّةِ.

فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ الْمَوْتَ وَقُرْبَهُ، وَأَعِدُّوا لَهُ عِدَّتَهُ، فَإِنَّهُ يَأْتِي بِأَمْرٍ عَظِيمٍ، وَخَطْبٍ جَلِيلٍ، بِخَيْرٍ لَا يَكُونُ مَعَهُ شَرٌّ أَبَدًا، أَوْ شَرٌّ لَا يَكُونُ مَعَهُ خَيْرٌ أَبَدًا، فَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى الْجَنَّةِ مِنْ غَامِلِهَا، وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى النَّارِ مِنْ غَامِلِهَا، وَأَنْتُمْ طُرْدَاءُ الْمَوْتِ، إِنْ أَقَمْتُمْ لَهُ أَحَدَكُمْ، وَإِنْ فَرَرْتُمْ مِنْهُ أَذْرَكْتُمْ، وَهُوَ أَلْزَمُ لَكُمْ مِنْ ظِلِّكُمْ، الْمَوْتُ مَعْفُودٌ بِنَوَاصِيكُمْ، وَالدُّنْيَا تَطْوَى مِنْ خَلْفِكُمْ.

فَاحْذَرُوا نَارًا قَعْرُهَا بَعِيدٌ، وَحَرُّهَا شَدِيدٌ، وَعَذَابُهَا جَدِيدٌ، دَارٌ لَيْسَ فِيهَا رَحْمَةٌ، وَلَا تُسْمَعُ فِيهَا دَعْوَةٌ، وَلَا تُفْرَجُ فِيهَا كُرْبَةٌ، وَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ يَشْتَدَّ خَوْفُكُمْ مِنَ اللَّهِ، وَأَنْ يَحْسُنَ ظَنُّكُمْ بِهِ فَاجْمَعُوا بَيْنَهُمَا، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِنْمَا يَكُونُ حَسَنُ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ عَلَى قَدْرِ خَوْفِهِ مِنْ رَبِّهِ، وَإِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ ظَنًّا بِاللَّهِ أَشَدَّهُمْ خَوْفًا لِلَّهِ.

وَاعْلَمُوا يَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، أَنِّي قَدْ وَلَيْتُكَ أَعْظَمَ أَجْنَادِي فِي نَفْسِي أَهْلَ مِصْرَ، فَأَنْتَ مَحْفُوقٌ أَنْ تُخَالَفَ عَلَيَّ نَفْسِي، وَأَنْ تُتَافِحَ عَنِّي دِينِي، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلَّا سَاعَةٌ مِنَ الدَّهْرِ. وَلَا تُسْخِطِ اللَّهَ بِرِضَا أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، فَإِنَّ فِي اللَّهِ خَلْفًا مِنْ غَيْرِهِ، وَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ خَلْفٌ فِي غَيْرِهِ.

صَلِّ الصَّلَاةَ لِقَوْتِهَا الْمُؤَقَّتِ لَهَا، وَلَا تَعْجَلْ وَقْتَهَا لِفِرَاقِ، وَلَا تُؤَخِّرْهَا عَن وَقْتِهَا لِاسْتِغَالِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ عَمَلِكُمْ تَبِعَ لِصَلَاتِكُمْ.

ومنه: فَإِنَّهُ لَا سِوَاءَ إِمَامٍ الْهُدَى وَإِمَامِ الرَّدَى، وَوَلِيِّ النَّبِيِّ وَعَدُوِّ النَّبِيِّ، وَلَقَدْ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: إِنْ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْكُمْ عَلَى أُمَّتِي مُؤْمِنًا وَلَا مُشْرِكًا، أَمَا الْمُؤْمِنُ فَيَمْنَعُهُ اللَّهُ بِإِيمَانِهِ، وَأَمَا الْمُشْرِكُ فَيَقْتُلُهُ اللَّهُ بِشِرْكِهِ، وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ كُلَّ مُنَافِقِ الْجَنَانِ

ص: ٢٦١

عَالِمِ اللِّسَانِ، يَقُولُ مَا تَعْرِفُونَ، وَيَفْعَلُ مَا تُنْكِرُونَ».^{٨٢٣}

٤٩ كتابه عليه السلام إلى مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ

^{٨٢٣} (١) نهج البلاغة: الكتاب ٢٧ وراجع: الأمالي للمفيد: ص ٢٦٠، الأمالي للطوسي: ص ٢٥، تحف العقول: ص ١٧٦، الغارات: ج ١ ص ٢٢٧-٢٥٠، بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٥٤١؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٥ ص ١٦٣، أنساب الأشراف: ج ٢ ص ٣٩٢.

عن قاموس بن مُخَارِق: إِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ كَتَبَ إِلَى عَلِيٍّ، سَأَلَهُ عَنِ الْمُسْلِمِينَ تَزُنْدَقًا، وَ عَنِ مُسْلِمِ زَنَى بِنَصْرَانِيَّةٍ، وَ عَنِ مَكَاتِبِ مَاتَ وَ تَرَكَ بَقِيَّةَ كِتَابَتِهِ، وَ تَرَكَ وُلْدًا أَحْرَارًا، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«أَمَّا اللَّذَانِ تَزُنْدَقَا، فَإِنَّ تَابَا، وَإِلَّا فَاضْرِبْ أَعْنَاقَهُمَا، وَأَمَّا الْمُسْلِمُ فَأَقِمْ عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَادْفَعْ النَّصْرَانِيَّةَ إِلَى أَهْلِ ذِمَّتِهَا، وَأَمَّا الْمَكَاتِبُ فَيُؤَدَّى بَقِيَّةُ كِتَابَتِهِ، وَمَا بَقِيَ فَلِوُلْدِهِ الْأَحْرَارِ».^{٨٢٤}

[صورة أخرى لنقل الغارات:]

الحارث عن أبيه قال: بعث عليّ عليه السلام مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ أَمِيرًا عَلَى مِصْرَ، فَكَتَبَ إِلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَسْأَلُهُ عَنِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ فَجَرَ بِأَمْرِهِ نَصْرَانِيَّةً، وَ عَنِ زَنَادِقَةٍ فِيهِمْ مِنْ يَعْبُدُ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ، وَ فِيهِمْ مِنْ يَعْبُدُ غَيْرَ ذَلِكَ، وَ فِيهِمْ مَرْتَدٌّ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَ كَتَبَ يَسْأَلُهُ عَنِ مَكَاتِبِ مَاتَ وَ تَرَكَ مَالًا وَ وُلْدًا، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«أَنْ أَقِمِ الْحَدَّ فِيهِمْ عَلَى الْمُسْلِمِ الَّذِي فَجَرَ بِالنَّصْرَانِيَّةِ، وَادْفَعْ النَّصْرَانِيَّةَ إِلَى

ص: ٢٤٢

النَّصَارَى يَقْضُونَ فِيهَا مَا شَاءَ وَآءٍ، وَأَمْرُهُ فِي الزَّنَادِقَةِ أَنْ يَقْتُلَ مَنْ كَانَ يَدْعَى الْإِسْلَامَ وَيَتْرَكَ سَائِرَهُمْ يَعْبُدُونَ مَا شَاءَ وَآءٍ، وَأَمْرُهُ فِي الْمَكَاتِبِ إِنْ كَانَ تَرَكَ وَفَاءً لِمَكَاتِبَتِهِ فَهُوَ غَرِيمٌ بِيَدِ مَوَالِيهِ يَسْتَوْفُونَ مَا بَقِيَ مِنْ مَكَاتِبَتِهِ وَمَا بَقِيَ فَلَوْلَدِهِ».^{٨٢٥}

٥٠ كتابه عليه السلام إلى مُحَمَّد بن أبي بكر

روى الشَّيْخُ فِي التَّهْذِيبِ: أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدَ بْنِ عَيْسَى، عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَيْسَى، عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُغِيرَةَ، عَنِ إِسْمَاعِيلِ بْنِ أَبِي زِيَادٍ، عَنِ جَعْفَرٍ، عَنِ أَبِيهِ، عَنِ آبَائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ:

أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ كَتَبَ إِلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَسْأَلُهُ عَنِ الرَّجُلِ يَزْنِي بِالْمَرْأَةِ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ، فَكَتَبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَيْهِ:

«إِنْ كَانَ مُحْصِنًا فَارْجَمْهُ، وَإِنْ كَانَ بِكَرًّا فَاجْلِدْهُ مِئَةَ جَلْدَةٍ، ثُمَّ أَنْفِهِ، وَأَمَّا الْيَهُودِيَّةُ فَابْعَثْ بِهَا إِلَى أَهْلِ مِلَّتِهَا فَلْيَقْضُوا فِيهَا مَا أَحْبَبُوا».^{٨٢٦}

٥١ كتابه عليه السلام إلى عبد الله عمر

^{٨٢٤} (٢). كنز العمال: ج ٥ ص ٤٣٣ ح ١٣٥٢٦ وراجع: السنن الكبرى: ج ٨ ص ٣٥٠ ح ١٦٨٥٣، المصنّف لعبد الرزّاق: ج ١٠ ص ٣٢١ الرقم ١٩٢٣٦، المصنّف لابن أبي شيبة: ج ٥ ص ٢٠٨ ح ٣.
^{٨٢٥} (١). الغارات: ج ١ ص ٢٣٠، بحار الأنوار: ج ١٠٤ ص ٢٠٣ ح ١٢.
^{٨٢٦} (٢). تهذيب الأحكام: ج ١٠ ص ١٥ ح ٣٦.

أنَّه قطع (أمير المؤمنين عليه السلام) العطاءَ عَمَّن لم يشهد معه، و أقامهم مقام أعراب المسلمين، و إنَّ ابن عمر كتَب إليه، يسأله العطاء، فكتَب إليه علىّ عليه السلام:

«شَكَتَ فِي حَرْبِنَا، فَشَكَكْنَا فِي عَطَائِكَ».^{٨٢٧}

ص: ٢٤٣

٥٢ كتابه عليه السلام إلى أسامة بن زيد

قال ابن أبي الحديد: روى عاصم بن أبي عامر البجليّ، عن يحيى بن عروة، قال: كان أبي إذا ذكر عليّاً نال منه، و قال لي مرّة: يا بُنَيَّ و الله، ما أحجم النَّاسُ عنه إلّا طلباً للدُّنيا، لقد بعث إليه أسامة بن زيد، أن ابعث إليّ بعثائي، فو الله، إنَّك لتعلم أنَّك لو كنت في فَم أسد لدخلتُ معك، فكتَب إليه:

«إنَّ هذا المال لمن جاهد عليه، ولكنَّ لي مالاً بالمدينة فأصِب منه ما شئت».^{٨٢٨}

الظَّاهر أنَّه عليه السلام كتَب إليه الكتاب، ثمَّ اعتذر إليه أسامة بيمينه على أن لا يقتل من يشهد الشَّهادتين، كما في قاموس الرِّجال، و أسد الغابة، فقبل منه العذر، فكتَب إلى عامله بالمدينة ما تقدّم؛ و يحتمل أن يكون المراد عطاءه الَّذي عيَّنه عمر - خمسة آلاف - فيكون الَّذي كتبه إلى العامل يتعلَّق بإعطائه العطاء الَّذي فرضه هو له، و ما منعه إيَّاه فهو ما فرضه عمر له.^[٨٢٩]

٥٣ كتابه عليه السلام إلى ابن عباس

في اختلاف أهل البصرة:

و كان علىّ قد استخلف ابن عبَّاس على البصرة، فكتَب عبد الله بن عبَّاس إلى علىّ، يذكر له اختلاف أهل البصرة، فكتَب إليه علىّ:

ص: ٢٤٤

«من عبد الله علىّ أمير المؤمنين، إلى عبد الله بن عبَّاس، أمّا بعد؛ فالحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيّدنا مُحَمَّدٍ عبده ورسوله.

أمّا بعد؛ فقد قدّم علىّ رسولك، و ذكرت ما رأيت وبلغك عن أهل البصرة بعد انصرافي، وسأخبرك عن القوم:

^{٨٢٧} (٣) دعائم الإسلام: ج ١ ص ٣٩١.

^{٨٢٨} (١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٤ ص ١٠٢ و راجع: الغارات: ج ٢ و ٥٧٦ و ٥٧٧.

^{٨٢٩} (٢) راجع: قاموس الرجال: ج ١ ص ٧١٦ - ٧٢١ الرقم ٦٧٠؛ أسد الغابة: ج ١ ص ١٩٤ - ١٩٧.

هُمْ بَيْنَ مُقِيمٍ لِرَغْبَةٍ يَرْجُوهَا، أَوْ عُقُوبَةٍ يَخْشَاهَا. فَأَرْغَبُ رَاغِبَهُم بِالْعَدْلِ عَلَيْهِ، وَالْإِنصَافِ لَهُ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، وَحُلَّ عَقْدَةَ الْخَوْفِ عَنْ قُلُوبِهِمْ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ لِأَمْرَاءِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فِي قُلُوبِهِمْ عِظَمٌ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ. وَانْتَهَى إِلَى أَمْرِي وَلَا تَعُدُّهُ، وَأَحْسِنُ إِلَى هَذَا الْحَيِّ مِنْ رَبِيعَةَ، وَكُلَّ مَنْ قَبْلَكَ، فَأَحْسِنُ إِلَيْهِمْ مَا اسْتَطَعْتَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَالسَّلَامُ».

و كتب عبد الله بن أبي رافع في ذى القعدة، سنة سبع و ثلاثين.^{٨٣٠}

٥٤ كتابه عليه السلام إلى مِخْنَفِ بْنِ سُلَيْمٍ:

عن عليّ عليه السلام أنّه استعمل مِخْنَفِ بْنِ سُلَيْمٍ عَلَى صَدَقَاتِ بَكْرِ بْنِ وائِلٍ، وَ كَتَبَ لَهُ عَهْدًا كَانَ فِيهِ:

«فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِنَا مِنْ أَهْلِ الْجَزِيرَةِ، وَفِيهَا بَيْنَ الْكُوفَةِ وَأَرْضِ الشَّامِ، فَادَّعَى أَنَّهُ أَدَّى صَدَقَتَهُ إِلَى عُمَالِ الشَّامِ وَهُوَ فِي حَوْرَتِنَا مَمْنُوعٌ قَدْ حَمَتُهُ خَيْلُنَا وَرِجَالُنَا، فَلَا تُجْزِ لَهُ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ الْحَقُّ عَلَى مَا زَعَمَ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَهُ أَنْ يَنْزِلَ بِلَادِنَا وَيُؤَدِّيَ صَدَقَةَ مَالِهِ إِلَى عَدُوِّنَا».^{٨٣١}

ص: ٢٦٥

مِخْنَفُ بْنُ سُلَيْمٍ

مِخْنَفُ بْنُ سُلَيْمٍ بْنُ الْحَارِثِ الْأَزْدِيُّ الْغَامِدِيُّ، كَانَ مِنْ صَحَابَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ^{٨٣٢}، وَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ^{٨٣٣}. وَ كَانَ يَحْمَلُ رَايَةَ قَبِيلَتِهِ الْأَزْدِ - يَوْمَ الْجَمَلِ^{٨٣٤}، وَ قَدْ جَرَحَ فِي هَذِهِ الْحَرْبِ^{٨٣٥}. وَ قَبْلَ صَفِيِّنَ طَلَبَ مِنْهُ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَأْتِيَ إِلَى الْكُوفَةِ، وَ يَرِافِقَهُ فِي مَسِيرِهِ إِلَى صَفِيِّنَ. وَ تَوَلَّى قِيَادَةَ قَبِيلَتِهِ^{٨٣٦} وَ بَعْضَ الْقَبَائِلِ الْآخَرَى فِي حَرْبِ صَفِيِّنَ^{٨٣٧}.

وَلَّاهُ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى أَصْفَهَانَ^{٨٣٨} وَ هَمْدَانَ^{٨٣٩}. وَ كَلَّفَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَرَّةً بَجْمَعِ الضَّرَائِبِ فِي أَرْضِ الْفَرَاتِ حَتَّى مَنطِقَةَ بَكْرِ بْنِ وائِلٍ، وَ ظَلَّ مَسْئُولًا عَلَيْهَا بُرْهَةً. وَ كَتَبَ إِلَيْهِ فِي هَذِهِ الْمَهْمَةِ تَعْلِيمَاتٍ رَفِيعَةً، هِيَ فِي غَايَةِ الرَّوْعَةِ وَ الْقِيَمَةِ وَ الْوَعظِ وَ التَّدْكِيرِ^{٨٤٠}.

^{٨٣٠} (١). وقعة صفين: ص ١٠٥، بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٤٠٠؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٣ ص ١٨٣، جملرة رسائل العرب: ج ١ ص ٤٠٣ الرقم ٤٢٨ كلها نحوه و راجع: أنساب الأشراف: ج ٢ ص ٣٨٧؛ نثر الدر: ص ٣٢٢، نزهة الناظر و تنبيه الخواطر: ص ٦٣.

^{٨٣١} (٢). دعائم الإسلام: ج ١ ص ٢٥٩، بحار الأنوار: ج ٩٦ ص ٧٠ ح ٤٥.

^{٨٣٢} (١). التاريخ الكبير: ج ٨ ص ٥٢ ح ٢١٢٢، الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ٣٥، المعجم الكبير: ج ٢٠ ص ٣١٠ ح ٧٣٨، تاريخ أصبهان: ج ١ ص ١٠٠ الرقم ١٦، اسد الغابة: ج ٥ ص ١٢٣ الرقم ٤٨٠٤.

^{٨٣٣} (٢). رجال الطوسي: ص ٨١ الرقم ٨٠٨، رجال البرقي: ص ٦.

^{٨٣٤} (٣). تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥٢١، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٤٣.

^{٨٣٥} (٤). الفتوح: ج ٢ ص ٤٧٤.

^{٨٣٦} (٥). الاستيعاب: ج ٤ ص ٣٠ الرقم ٢٥٦٣، اسد الغابة: ج ٥ ص ١٢٣ الرقم ٤٨٠٤.

^{٨٣٧} (٦). وقعة صفين: ص ١١٧؛ الأخبار الطوال: ص ١٤٦.

^{٨٣٨} (٧). وقعة صفين: ص ١١ و ص ١٠٥؛ تاريخ أصبهان: ج ١ ص ١٠١ الرقم ١٦، الاستيعاب: ج ٤ ص ٣٠ الرقم ٢٥٦٣، اسد الغابة: ج ٥ ص ١٢٣ الرقم ٤٨٠٤.

^{٨٣٩} (٨). وقعة صفين: ص ١١ و ص ١٠٥.

^{٨٤٠} (٩). دعائم الإسلام: ج ١ ص ٢٥٩.

و مِخْنَفٌ هَذَا هُوَ الْجَدُّ الْأَعْلَى لِلْمَوْزَخِ الشَّيْبِيِّ الْجَلِيلِ أَبِي مِخْنَفٍ^{٨٤١}. وَ نَقَلْتُ

ص: ٢٦٦

عَنِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَلِمَاتٍ فِي مَدْحِهِ وَ ذَمِّهِ^{٨٤٢}.

فِي **اسد الغابة**: مِخْنَفٌ بْنُ سُلَيْمٍ، لَهُ صَحْبَةٌ. وَ اسْتَعْمَلَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَلَى مَدِينَةِ أَصْفَهَانَ، وَ شَهِدَ مَعَهُ صَفَّيْنِ، وَ كَانَ مَعَهُ رَايَةُ الْأَزْدِ^{٨٤٣}.

٥٥ كتابه عليه السلام إلى عامله بالموصل

ابن مَجْبُوبٍ، عَنِ مَالِكِ بْنِ عَطِيَّةَ، عَنِ أَبِيهِ، عَنِ سَلْمَةَ بْنِ كَهَيْلٍ، قَالَ: أَتَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَرَجَلٌ قَدْ قَتَلَ رَجُلًا خَطَأً، فَقَالَ لَهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«مَنْ عَشِيرَتُكَ وَقَرَابَتُكَ؟»

فَقَالَ مَا لِي بِهَذِهِ الْبَلَدَةِ عَشِيرَةٌ، وَ لَا قَرَابَةٌ.

قال فقال:

«فَمِنْ أَىِّ أَهْلِ الْبُلْدَانِ أَنْتَ؟»

فَقَالَ: أَنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَوْصِلِ، وَوُلِدْتُ بِهَا وَ لِي بِهَا قَرَابَةٌ، وَ أَهْلُ بَيْتِي.

قال: فَسَأَلَ عَنْهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَمْ يَجِدْ لَهُ بِالْكَوْفَةِ قَرَابَةً، وَ لَا عَشِيرَةً.

قال: فَكَتَبَ إِلَى عَامِلِهِ عَلَى الْمَوْصِلِ:

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ فُلَانَ بْنَ فُلَانَ وَحَلِيَّتَهُ كَذَا وَكَذَا، قَتَلَ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَطَأً، فَذَكَرَ أَنَّهُ رَجُلٌ مِنَ الْمَوْصِلِ، وَأَنَّ لَهُ بِهَا قَرَابَةً، وَأَهْلُ بَيْتِي وَقَدْ بَعَثْتُ بِهِ إِلَيْكَ مَعَ رَسُولِي فُلَانَ بْنَ فُلَانَ، وَحَلِيَّتَهُ كَذَا وَكَذَا، فَإِذَا وَرَدَ عَلَيْكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَقَرَأْتَ كِتَابِي فَأُفْخِصْ عَنْ أَمْرِهِ، وَ سَلْ عَنْ قَرَابَتِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْمَوْصِلِ، مِمَّنْ

ص: ٢٦٧

^{٨٤١} (١٠). الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ٣٥، الاستيعاب: ج ٤ ص ٣٠ الرقم ٢٥٦٣، اسد الغابة: ج ٥ ص ١٢٣ الرقم ٤٨٠٤، الإصابة: ج ٦ ص ٤٦ الرقم ٧٨٦٥.

^{٨٤٢} (١). وقعة صفين: ص ١١.

^{٨٤٣} (٢). اسد الغابة: ج ٥ ص ١٢٢ الرقم ٤٨٠٤.

وُلِدَ بِهَا، وَأَصَبَتْ لَهُ بِهَا قَرَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَاجْمَعَهُمْ إِلَيْكَ، ثُمَّ انظُرْ فَإِنْ كَانَ مِنْهُمْ رَجُلٌ يَرِثُهُ لَهُ سَهْمٌ فِي الْكِتَابِ، لَا يَحْجُبُهُ عَنْ مِيرَاثِهِ أَحَدٌ مِنْ قَرَابَتِهِ، فَأَلْزِمَهُ الدِّيَةَ وَحُدُّهُ بِهَا نُجُومًا فِي ثَلَاثِ سِنِينَ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ قَرَابَتِهِ أَحَدٌ لَهُ سَهْمٌ فِي الْكِتَابِ، وَكَانَ قَرَابَتُهُ سِوَاءَ فِي النَّسَبِ، وَكَانَ لَهُ قَرَابَةٌ، مِنْ قِبَلِ أَبِيهِ، وَأُمِّهِ فِي النَّسَبِ سِوَاءَ فَفُضَّ الدِّيَةَ عَلَى قَرَابَتِهِ مِنْ قِبَلِ أَبِيهِ، وَعَلَى قَرَابَتِهِ مِنْ قِبَلِ أُمِّهِ مِنَ الرَّجَالِ الْمُدْرِكِينَ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى قَرَابَتِهِ مِنْ قِبَلِ أَبِيهِ ثَلَاثَ الدِّيَةِ، وَاجْعَلْ عَلَى قَرَابَتِهِ مِنْ قِبَلِ أُمِّهِ ثَلَاثَ الدِّيَةِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ قَرَابَةٌ مِنْ قِبَلِ أَبِيهِ فَفُضَّ الدِّيَةَ عَلَى قَرَابَتِهِ مِنْ قِبَلِ أُمِّهِ مِنَ الرَّجَالِ الْمُدْرِكِينَ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ حُدُّهُمْ بِهَا وَاسْتَأْذِهِمُ الدِّيَةَ فِي ثَلَاثِ سِنِينَ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ قَرَابَةٌ مِنْ قِبَلِ أُمِّهِ وَلَا قَرَابَةٌ مِنْ قِبَلِ أَبِيهِ فَفُضَّ الدِّيَةَ عَلَى أَهْلِ الْمَوْصِلِ مِمَّنْ وُلِدَ بِهَا وَنَشَأَ، وَلَا تُدْخِلَنَّ فِيهِمْ غَيْرَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ، ثُمَّ اسْتَأْذِ ذَلِكَ مِنْهُمْ فِي ثَلَاثِ سِنِينَ، فِي كُلِّ سَنَةٍ نَجْمًا حَتَّى تَسْتَوْفِيَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِفُلَانِ بْنِ فُلَانٍ قَرَابَةٌ مِنْ أَهْلِ الْمَوْصِلِ وَلَا يَكُونُ مِنْ أَهْلِهَا، وَكَانَ مُبْطِلًا فَرَدَّهُ إِلَى مَعَ رَسُولِي فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَأَنَا وَلِيُّهُ، وَالْمَوْدَى عَنْهُ وَلَا أُبْطِلُ دَمَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ.^{٨٤٤}

٥٦ كتابه عليه السلام إلى معاوية

«مِنَ عَبْدِ اللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِلَى مَعَاوِيَةَ.

أَمَّا بَعْدُ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، خَلَقَ الْخَلْقَ، وَاخْتَارَ خَيْرَهُ مِنْ

ص: ٢٤٨

خَلْقِهِ، وَاصْطَفَى صَفْوَةً مِنْ عِبَادِهِ، يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ، وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ، فَأَمَرَ الْأَمْرَ، وَشَرَعَ الدِّينَ، وَقَسَمَ الْقِسْمَ عَلَى ذَلِكَ، وَهُوَ فَاعِلُهُ وَجَاعِلُهُ، وَهُوَ الْخَالِقُ، وَهُوَ الْمُصْطَفَى، وَهُوَ الْمُشَرَّعُ، وَهُوَ الْقَاسِمُ، وَهُوَ الْفَاعِلُ لِمَا يَشَاءُ، لَهُ الْخَلْقُ وَلَهُ الْأَمْرُ، وَلَهُ الْخَيْرَةُ وَالْمَشِيئَةُ وَالْإِرَادَةُ، وَالْقُدْرَةُ وَالْمُلْكُ وَالسُّلْطَانُ.

أَرْسَلَ رَسُولَهُ خَيْرَتَهُ وَصَفْوَتَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ فِيهِ تَبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ شَرَائِعِ دِينِهِ، فَبَيَّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ، وَقَرَضَ فِيهِ الْفَرَائِضَ، وَقَسَمَ فِيهِ سِهَامًا أَحَلَّ بَعْضَهَا لِبَعْضٍ، وَحَرَّمَ بَعْضَهَا لِبَعْضٍ.

بَيَّنَّهَا يَا مَعَاوِيَةُ، إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ الْحِجَّةَ، وَضَرَبَ أَمْثَالًا لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ، فَأَنَا سَائِلُكَ عَنْهَا أَوْ بَعْضِهَا إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ، وَاتَّخَذَ الْحِجَّةَ بَارَبَعَةً أَشْيَاءَ عَلَى الْعَالَمِينَ، فَمَا هِيَ يَا مَعَاوِيَةُ، وَلِمَنْ هِيَ؟

وَاعْلَمَ أَنَّهُنَّ حِجَّةٌ لَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ عَلَى مَنْ خَالَفَنَا وَنَارَعَنَا وَفَارَقَنَا وَبَغَى عَلَيْنَا، وَالْمُسْتَعَانُ اللَّهُ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ، وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ.

^{٨٤٤} (١) الكافي: ج ٧ ص ٣٦٤ ح ٢، تهذيب الأحكام: ج ١٠ ص ١٧١ ح ٦٧٥، من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ١٣٩ ح ٥٣٠٨، المناقب لابن شهر آشوب: ج ٢ ص ٣٧٤، بحار الأنوار: ج ١٠٤ ص ٤١٠ ح ١٥.

وكانت جُمْلَةُ تَبْلِيغِهِ رِسَالَةَ رَبِّهِ فِيمَا أَمَرَهُ وَشَرَعَ وَفَرَضَ وَقَسَمَ جُمْلَةَ الدِّينِ، يَقُولُ اللَّهُ: «أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ»^{٨٤٥}، هِيَ لَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ، لَيْسَتْ لَكُمْ.

ثُمَّ نَهَى عَنِ الْمُنَازَعَةِ وَالْفُرْقَةِ، وَأَمَرَ بِالتَّسْلِيمِ وَالْجَمَاعَةِ، فَكُنْتُمْ أَنْتُمْ الْقَوْمَ الَّذِينَ أَقْرَرْتُمْ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ بِذَلِكَ فَأَخْبَرَكُمْ اللَّهُ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمْ يَكُ «أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَ لَكِن رَسُولَ اللَّهِ وَ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ»^{٨٤٦}، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: «أَفَايِنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَيَّ

ص: ٢٦٩

أَعْقَبِكُمْ»^{٨٤٧}، فَأَنْتَ وَشُرَكَائُكَ يَا مَعَاوِيَةُ، الْقَوْمُ الَّذِينَ انْقَلَبُوا عَلَيَّ أَعْقَابِهِمْ، وَارْتَدُّوا وَنَقَضُوا الْأَمْرَ وَالْعَهْدَ فِيمَا عَاهَدُوا اللَّهَ، وَنَكَبُوا الْبَيْعَةَ، وَلَمْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا.

أَلَمْ تَعْلَمْ يَا مَعَاوِيَةُ، أَنَّ الْأَنْمَةَ مِنَّا لَيْسَتْ مِنْكُمْ، وَقَدْ أَخْبَرَكُمْ اللَّهُ أَنَّ أَوْلَى الْأَمْرِ الْمُسْتَنْبِطُ الْعِلْمِ، وَأَخْبَرَكُمْ أَنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ يُرَدُّ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أَوْلَى الْأَمْرِ الْمُسْتَنْبِطِ الْعِلْمِ، فَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَجِدُ اللَّهَ مُوفِيًا بَعْدِهِ، يَقُولُ اللَّهُ: «وَ أَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفِ بَعْدِكُمْ وَ إِيَّيَ فَارْهَبُونِ»^{٨٤٨}، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ:

«أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَاهُمْ آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا»^{٨٤٩}.

و قَالَ لِلنَّاسِ بَعْدَهُمْ: «فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ»^{٨٥٠}، فَتَبَوَّأَ مَقْعَدَكَ مِنْ جَهَنَّمَ «وَ كَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا»^{٨٥١}، نَحْنُ آلُ إِبْرَاهِيمَ الْمَحْسُودُونَ وَ أَنْتَ الْحَاسِدُ لَنَا، خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ بِيَدِهِ، وَ نَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، وَ أَسْجَدَ لَهُ الْمَلَائِكَةُ، وَ عَلَّمَهُ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا، وَ اصْطَفَاهُ عَلَى الْعَالَمِينَ، فَحَسَدَهُ الشَّيْطَانُ، فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ، وَ نُوْحًا حَسَدَهُ قَوْمُهُ إِذْ قَالُوا: «مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ»^{٨٥٢}، ذَلِكَ حَسَدًا مِنْهُمْ لِنُوْحٍ أَنْ يُفَرِّقُوا لَهُ بِالْفَضْلِ وَ هُوَ بَشَرٌ، وَ مِنْ بَعْدِهِ حَسَدُوا هُوْدًا إِذْ يَقُولُ قَوْمُهُ: «مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَ يَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ* وَ لَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ»^{٨٥٣}، قَالُوا ذَلِكَ حَسَدًا أَنْ يُفَضَّلَ اللَّهُ مَنْ

ص: ٢٧٠

^{٨٤٥} (١) النساء: ٥٩.

^{٨٤٦} (٢) الأحزاب: ٤٠.

^{٨٤٧} (١) آل عمران: ١٤٤.

^{٨٤٨} (٢) البقرة: ٤٠.

^{٨٤٩} (٣) النساء: ٥٤.

^{٨٥٠} (٤) و. النساء: ٥٥.

^{٨٥١} (٥) و. النساء: ٥٥.

^{٨٥٢} (٦) المؤمنون: ٢٤.

^{٨٥٣} (٧) المؤمنون: ٣٣ و ٣٤.

يَشَاءُ، وَيَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ، وَمِنْ قَبْلِ ذَلِكَ ابْنُ آدَمَ قَابِلٌ قَتَلَ هَابِيلَ حَسَدًا، فَكَانَ مِنَ الْخَاسِرِينَ، وَطَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ «إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ آلِهِمْ ائْتِنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^{٨٥٤}.

فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ لَهُمْ طَالُوتَ مَلِكًا حَسَدُوهُ وَقَالُوا «أَتَى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا»^{٨٥٥}، وَزَعَمُوا أَنَّهُمْ «أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ»^{٨٥٦}، كُلُّ ذَلِكَ نَقْصٌ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ، وَعِنْدَنَا تَفْسِيرُهُ وَعِنْدَنَا تَأْوِيلُهُ «وَ قَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى»^{٨٥٧}، وَنَعْرِفُ فِيكُمْ شِبْهَهُ وَأَمْثَالَهُ «وَ مَا تُغْنِي الْآيَةُ وَ النَّذْرُ عَنْ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ»^{٨٥٨}.

وَكَانَ نَبِيِّنَا صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، فَلَمَّا جَاءَ هُمْ كَفَرُوا بِهِ حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، حَسَدًا مِنَ الْقَوْمِ عَلَى تَفْضِيلِ بَعْضِنَا عَلَى بَعْضٍ.

أَلَا وَنَحْنُ أَهْلُ الْبَيْتِ، آلُ إِبْرَاهِيمَ الْمَحْسُودُونَ، حُسِدْنَا كَمَا حُسِدَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلِنَا، سُنَّةً وَمَثَلًا، قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى -: «وَأَلُ إِبْرَاهِيمَ، وَأَلُ لُوطَ، وَأَلُ عِمْرَانَ، وَأَلُ يَعْقُوبَ، وَأَلُ مُوسَى، وَأَلُ هَارُونَ، وَأَلُ دَاوُودَ؛ فَنَحْنُ آلُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ».

أَلَمْ تَعْلَمْ يَا مُعَاوِيَةَ «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا»^{٨٥٩}، وَنَحْنُ أَوْلَا الْأَرْحَامِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ أَرْوَاجُهُمْ وَأُمَّهَاتُهُمْ وَأَوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ»^{٨٦٠}.

ص: ٢٧١

نَحْنُ أَهْلُ الْبَيْتِ اخْتَارَنَا اللَّهُ، وَاصْطَفَانَا، وَجَعَلَ النَّبُوَّةَ فِينَا، وَالْكِتَابَ لَنَا، وَالْحِكْمَةَ، وَالْعِلْمَ، وَالْإِيمَانَ، وَبَيْتَ اللَّهِ، وَمَسْكَنَ إِسْمَاعِيلَ، وَمَقَامَ إِبْرَاهِيمَ؛ فَالْمُلْكُ لَنَا - وَتِلْكَ - يَا مُعَاوِيَةُ، وَنَحْنُ أَوْلَى بِإِبْرَاهِيمَ، وَنَحْنُ آلُهُ وَأَلُ عِمْرَانَ، وَأَوْلَى بِعِمْرَانَ، وَأَلُ لُوطَ، وَنَحْنُ أَوْلَى بِلُوطَ، وَأَلُ يَعْقُوبَ، وَنَحْنُ أَوْلَى بِيَعْقُوبَ، وَأَلُ مُوسَى، وَأَلُ هَارُونَ وَأَلُ دَاوُودَ، وَأَوْلَى بِهِمْ، وَأَلُ مُحَمَّدٍ، وَأَوْلَى بِهِ.

وَ نَحْنُ أَهْلُ الْبَيْتِ الَّذِي أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُمْ الرَّجْسَ وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيرًا، وَلِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ فِي خَاصَّةِ نَفْسِهِ وَذُرِّيَّتِهِ وَأَهْلِهِ، وَلِكُلِّ نَبِيٍّ وَصِيَّةٌ فِي آلِهِ.

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ أَوْصَى بِابْنِهِ يَعْقُوبَ، وَيَعْقُوبَ أَوْصَى بِبَنِيهِ إِذْ حَضَرَ الْمَوْتَ، وَإِنَّ مُحَمَّدًا أَوْصَى إِلَى آلِهِ سُنَّةً إِبْرَاهِيمَ وَالنَّبِيِّينَ؛ افْتِدَاءً بِهِمْ، كَمَا أَمَرَ اللَّهُ، لَيْسَ لَكَ مِنْهُمْ وَلَا مِنْهُ سُنَّةُ النَّبِيِّينَ، وَفِي هَذِهِ الذَّرِيَّةِ الَّتِي بَعْضُهَا مِنْ بَعْضِ قَالَ اللَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ، وَهَمَا يَرْفَعَانِ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ: «رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ»^{٨٦١}، فَ نَحْنُ

^{٨٥٤} (١) البقرة: ٢٤٦.

^{٨٥٥} (٢) و. البقرة: ٢٤٧.

^{٨٥٦} (٣) و. البقرة: ٢٤٧.

^{٨٥٧} (٤) طه: ٦١.

^{٨٥٨} (٥) يونس: ١٠١.

^{٨٥٩} (٦) آل عمران: ٦٨.

^{٨٦٠} (٧) الأحزاب: ٦.

^{٨٦١} (١) البقرة: ١٢٨.

الْأُمَّةَ الْمُسْلِمَةَ، وَقَالَا: «رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَ يُزَكِّيهِمْ»^{٨٦٢}، فَنَحْنُ أَهْلُ هَذِهِ الدَّعْوَةِ.

وَرَسُولُ اللَّهِ مِنَّا، وَنَحْنُ مِنْهُ، وَبَعْضُنَا مِنْ بَعْضٍ، وَبَعْضُنَا أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي الْوِلَايَةِ وَالْمِيرَاثِ «ذُرِّيَّتَهُم بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ»^{٨٦٣}.

وَعَلَيْنَا نَزَلَ الْكِتَابُ، وَفِينَا بُعِثَ الرَّسُولُ، وَعَلَيْنَا تَلِيَتْ الْآيَاتُ، وَنَحْنُ

ص: ٢٧٢

الْمُنْتَجِلُونَ لِلْكِتَابِ وَالشَّهَادَةِ عَلَيْهِ، وَالذُّعَاءُ إِلَيْهِ، وَالْقَوَامُ بِهِ، «فَبَأَىٰ حَدِيثٍ مَّ بَعْدَهُ وَيُؤْمِنُونَ»^{٨٦٤}.

أَفَعَيَّرَ اللَّهُ يَا معاويةُ تَبَغَيْ رَبًّا، أَمْ غَيَّرَ كِتَابَهُ كِتَابًا، أَمْ غَيَّرَ الْكُفْبَةَ - بَيْتُ اللَّهِ وَمَسْكَنُ إِسْمَاعِيلَ وَمَقَامُ إِبْرَاهِيمَ - تَبَغَى قِبَلَهُ، أَمْ غَيَّرَ مِلَّتَهُ تَبَغَى دِينًا، أَمْ غَيَّرَ اللَّهُ تَبَغَى مَلِكًا؟

فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ فِينَا، فَقَدْ أَبْدَيْتَ عِدَاوَتَكَ لَنَا وَحَسَدَكَ وَبُغْضَكَ وَنَقَضَ عَهْدَ اللَّهِ، وَتَحْرِيفَكَ آيَاتِ اللَّهِ، وَتَبْدِيلَكَ قَوْلَ اللَّهِ، قَالَ اللَّهُ لإِبْرَاهِيمَ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ»^{٨٦٥}، أَفْتَرَعَبُ عَنْ مِلَّتِهِ وَقَدْ اصْطَفَاهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الصَّالِحِينَ، أَمْ غَيَّرَ الْحَكْمَ تَبَغَى حَكْمًا، أَمْ غَيَّرَ الْمُسْتَحْفِظَ مَنَّا تَبَغَى إِمَامًا.

الإمامة لإِبْرَاهِيمَ وَذُرِّيَّتِهِ، وَالْمُؤْمِنُونَ تَبَعٌ لَهُمْ لَا يَرْعُبُونَ عَنْ مِلَّتِهِ، قَالَ: «فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي»^{٨٦٦}.

أَدْعُوكَ يَا معاويةُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَكِتَابِهِ، وَوَلِيِّ أَمْرِهِ، الْحَكِيمِ مِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَإِلَى الَّذِي أَقْرَرْتَ بِهِ - رَعَمْتَ - إِلَى اللَّهِ، وَ الْوَفَاءِ بَعْدِهِ، «وَ مِيثَقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَ أَطَعْنَا»^{٨٦٧}، «وَ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَ اخْتَلَفُوا»^{٨٦٨} «مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ»^{٨٦٩}، «وَ لَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا

ص: ٢٧٣

^{٨٦٢} (٢) البقرة: ١٢٩.

^{٨٦٣} (٣) آل عمران: ٣٤.

^{٨٦٤} (١) الأعراف: ١٨٥ و المرسلات: ٥٠.

^{٨٦٥} (٢) البقرة: ١٣٢.

^{٨٦٦} (٣) إبراهيم: ٣٦.

^{٨٦٧} (٤) المائدة: ٧.

^{٨٦٨} (٥) آل عمران: ١٠٥.

^{٨٦٩} (٦) آل عمران: ١٩.

تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخْلَامَ بَيْنِكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ^{٨٧٠}، فَنَحْنُ الْأُمَّةُ الْأَرْبَىٰ، «وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ»^{٨٧١}.

إِتَّبَعْنَا وَاقْتَدَيْتَنَا، فَإِنَّ لَنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ عَلَى الْعَالَمِينَ مُفْتَرَضٌ، فَإِنَّ الْأَقْدَةَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ تَهْوَى إِلَيْنَا، وَذَلِكَ دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ، فَهَلْ تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا، وَاقْتَدَيْتَنَا، وَاتَّبَعْنَا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ^{٨٧٢}.

فكتب معاوية:

مِن مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، قَدْ انْتَهَى إِلَيَّ كِتَابُكَ، فَأَكْثَرْتَ فِيهِ ذِكْرَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَأَدَمَ وَنُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ، وَذَكَرَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَقَرَابَتَكُمْ مِنْهُ وَمَنْزِلَتَكُمْ وَحَقَّكَ، وَلَمْ تَرْضَ بِقَرَابَتِكَ مِنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَتَّى انْتَسَبْتَ إِلَى جَمِيعِ النَّبِيِّينَ.

أ لَا وَإِنَّمَا كَانَ مُحَمَّدٌ رَسُولًا مِنَ الرُّسُلِ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، فَبَلَّغَ رِسَالَاتِ رَبِّهِ، لَا يَمْلِكُ شَيْئًا غَيْرَهُ.

أ لَا وَإِنَّ اللَّهَ ذَكَرَ قَوْمًا جَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا، وَقَدْ خَفْتُ عَلَيْكَ أَنْ تَضَارِعَهُمْ.

أ لَا وَإِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ فِي كِتَابِهِ أَنَّهُ «لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الدُّلِّ»^{٨٧٣}، فَأَخْبَرْنَا مَا فَضَّلَ قَرَابَتِكَ؟ وَمَا فَضَّلَ حَقَّكَ؟ وَأَيْنَ

ص: ٢٧٤

وجدت اسمك في كتاب الله، ومُلكك وإمامتك وفضلك؟

أ لَا وَإِنَّمَا نَقْدَى بِمَنْ كَانَ قَبْلَنَا مِنَ الْأُمَّةِ وَالْخُلَفَاءِ، الَّذِينَ اقْتَدَيْتَ بِهِمْ، فَكُنْتَ كَمَنْ اخْتَارَ وَرَضَى، وَلَسْنَا مِنْكُمْ.

قُتِلَ خَلِيفَتُنَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَانَ بْنَ عَفَّانَ، وَقَالَ اللَّهُ: «وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا»^{٨٧٤}، فَنَحْنُ أَوْلَىٰ بِعَثْمَانَ وَذُرِّيَّتِهِ، وَأَنْتُمْ أَخَذْتُمُوهُ عَلَى رِضَىٍّ مِنْ أَنْفُسِكُمْ، جَعَلْتُمُوهُ خَلِيفَةً وَسَمِعْتُمْ لَهُ وَأَطَعْتُمْ.

فأجابه عليّ عليه السلام:

^{٨٧٠} (١) النحل: ٩٢.
^{٨٧١} (٢) الأنفال: ٢١.
^{٨٧٢} (٣) الغارات: ج ١ ص ١٩٥ - ٢٠١، بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ١٣٣، إثبات الهداة: ج ٣، ص ٩٥.
^{٨٧٣} (٤) الإسراء: ١١١.
^{٨٧٤} (١) الإسراء: ٣٣.

«أَمَا الَّذِي عَيَّرْتَنِي بِهِ يَا مُعَاوِيَةَ مِنْ كِتَابِي وَكَثْرَةَ ذِكْرِ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَالنَّبِيِّينَ، فَإِنَّهُ مَنْ أَحَبَّ آبَاءَهُ أَكْثَرَ ذِكْرِهِمْ، فَذَكَرَهُمْ حُبُّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَنَا أُعَيِّرُكَ بِبُغْضِهِمْ، فَإِنَّ بُغْضَهُمْ بُغْضُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأُعَيِّرُكَ بِحُبِّكَ آبَاءَكَ، وَكَثْرَةَ ذِكْرِهِمْ، فَإِنَّ حُبَّهُمْ كُفْرٌ».

وَأَمَا الَّذِي أَنْكَرْتَ مِنْ نَسَبِي مِنْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ، وَقَرَابَتِي مِنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَفَضْلِي وَحَقِّي وَمُلْكِي وَإِمَامَتِي، فَإِنَّكَ لَمْ تَزَلْ مُنْكَرًا لِذَلِكَ، لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ قَلْبُكَ، أَلَا وَإِنَّمَا نَحْنُ أَهْلَ الْبَيْتِ كَذَلِكَ، لَا يُحِبُّنَا كَافِرٌ وَلَا يُبْغِضُنَا مُؤْمِنٌ».

وَالَّذِي أَنْكَرْتَ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا»^{٨٧٥}، فَأَنْكَرْتَ أَنْ يَكُونَ فِينَا فَقَدْ قَالَ اللَّهُ: «النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَ أَرْوَاجُهُ وَأُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ»^{٨٧٦}، وَنَحْنُ أَوْلَى بِهِ.

ص: ٢٧٥

وَالَّذِي أَنْكَرْتَ مِنْ إِمَامَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، زَعَمْتَ أَنَّهُ كَانَ رَسُولًا، وَلَمْ يَكُنْ إِمَامًا، فَإِنَّ أَنْكَارَكَ عَلَى جَمِيعِ النَّبِيِّينَ الْأَتْمَةِ، وَلَكِنَّا نَشْهَدُ أَنَّهُ كَانَ رَسُولًا نَبِيًّا إِمَامًا، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَلِسَانُكَ ذَلِيلٌ عَلَى مَا فِي قَلْبِكَ، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنَهُمْ؟ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَלَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَ لَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَلَكُمْ»^{٨٧٧}.

أَلَا وَقَدْ عَرَفْنَاكَ قَبْلَ الْيَوْمِ، وَعَدَاوَتَكَ وَحَسَدَكَ وَمَا فِي قَلْبِكَ مِنَ الْمَرَضِ الَّذِي أَخْرَجَهُ اللَّهُ.

وَالَّذِي أَنْكَرْتَ مِنْ قَرَابَتِي وَحَقِّي، فَإِنَّ سَهْمَنَا وَحَقَّنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ قَسَمَهُ لَنَا مَعَ نَبِيِّنَا فَقَالَ: «وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِلَّذِي الْقُرْبَى»^{٨٧٨}، وَقَالَ: «وَأَتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ»^{٨٧٩} أَوْ لَيْسَ وَجَدْتَ سَهْمَنَا مَعَ سَهْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَسَهْمَكَ مَعَ الْأَبْعَدِينَ لَا سَهْمَ لَكَ إِنْ فَارَقْتَهُ، فَقَدْ أَثْبَتَ اللَّهُ سَهْمَنَا وَأَسْقَطَ سَهْمَكَ بِفِرَاقِكَ.

وَأَنْكَرْتَ إِمَامَتِي وَمُلْكِي، فَهَلْ تَجِدُ فِي كِتَابِ اللَّهِ قَوْلَهُ لِآلِ إِبْرَاهِيمَ: وَاصْطَفَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ^{٨٨٠}، فَهُوَ فَضَّلَنَا عَلَى الْعَالَمِينَ، أَوْ تَزَعَمُ أَنَّكَ لَسْتَ مِنَ الْعَالَمِينَ، أَوْ تَزَعَمُ أَنَّا لَسْنَا مِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ، فَإِنَّ أَنْكَرْتَ ذَلِكَ لَنَا فَقَدْ أَنْكَرْتَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَهُوَ مِنَّا وَنَحْنُ مِنْهُ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تُفَرِّقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَإِسْمَاعِيلَ

ص: ٢٧٦

^{٨٧٥} (٢) النساء: ٥٤.
^{٨٧٦} (٣) الأحزاب: ٦.
^{٨٧٧} (١) محمد: ٢٩ و ٣٠.
^{٨٧٨} (٢) الإسراء: ٢٦.
^{٨٧٩} (٣) الإسراء: ٢٦.
^{٨٨٠} (٤) اقتباس من الآية ٣٣ من سورة آل عمران: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَ نُوحًا وَ آلَ إِبْرَاهِيمَ وَ آلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ».

وَمُحَمَّدٍ وَآلِهِ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَافْعَلْ».^{٨٨١}

٥٧ كتابه عليه السلام إلى معاوية

قال الحافظ ابن عساكر: أخبرنا أبو القاسم المُستملَى، أنبأنا أبو بكر البيهقي، أنبأنا أبو عبد الله الشَّحامي الحافظ، حدَّثني أبو منصور محمَّد بن عبد الله الفقيه الرَّاهِد، أنبأنا أبو عمرو أحمد بن محمَّد النَّحوي، بإسناد له: أنَّ يَحْيَى بن خالد البرمكيَّ لمَّا حَبَس، كَتَب من الحَبْس إلى الرَّشيد: إنَّ كلَّ يوم يمضي من بؤس^{٨٨٢} يمضي من نعمتك مثله، و الموعد المحشر، و الحكم الدَّيان، و قد كتبت إليك بأبيات كتب بها أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، إلى معاوية بن أبي سفيان:

أما و اللّٰه إنّ الظّلم شؤمٌ و ما زال المسّيء هو الظّلم

إلى الدّيان يوم الدّين نمضي و عند اللّٰه يجتمع الخُصوم

تنام و لم تنم عنك المنايا تنبّه للمنيّة يا نووم

لأمر ما تصرّمت اللّياي لأمر ما تحرّكت النّجوم^{٨٨٣}

[أقول: هذه الأبيات موجودة في الدّيان بزيادات و هي:]

«أما و اللّٰه إنّ الظّلم شؤمٌ و لا زال المسّيء هو الظّلم

^{٨٨١} (١) الغارات: ج ١ ص ٢٠٢، بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ١٣٩.

^{٨٨٢} (٢) كذا في المصدر، و الظاهر أنّ الصواب: «بؤسي».

^{٨٨٣} (٣) تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٢ ص ٤٥٩.

إلى الديان يوم الدين نمضي

و عند الله يجتمع الخصوم

ستعلم في الحساب إذا التقينا

غداً عند المليك من العشوم

ص: ٢٧٧

ستنقطع اللذائذ عن أناسي

من الدنيا و تنقطع الهوموم

لأمر ما تصرفت الليالي

لأمر ما تحركت النجوم

سل الأيام عن أمم تقضت

ستخبرك المعالم و الرسوم

تروم الخلد في دار المنايا

فكم قد رام مثلك ما تروم

تنام و لم تتم عنك المنايا

تنبه للمنيه يا نووم

لهوت عن الفناء و أنت تفنى

فما شيء من الدنيا يدوم

تَموتُ غَدًا و أنتَ قَريرٌ عَينِ

مِنَ العَضَلاتِ في لُججِ تَعُومٌ^{٨٨٤}»

كتابه عليه السلام إلى معاوية

روى أبو عبيدة: قال كتب معاوية إلى أمير المؤمنين عليه السلام: إنَّ لي فضائل كثيرة:

كان أبى سيِّداً في الجاهليَّة، و صرْتُ مَلِكاً في الإسلام، و أنا صهرُ رسولِ اللَّهِ صلى اللهُ عليه و آله، و خال المؤمنين، و كاتب الوحي.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام:

«أَبالْفَضائلِ يَبغى عَلَيَّ ابنُ أَكِلَةَ الأَكبادِ، اكتبِ إليهِ يا غَلامُ:

وحمزَةَ سيِّدِ الشُّهداءِ عَمِّي

مُحمَّدَ النَّبِيِّ أَخِي و صِنوِي

يَطيرُ مَعَ المَلائِكَةِ ابنُ أُمِّي

وجنَّفِرَ الأذى يَضجِي و يَمسِي

مَسوطٌ لَحْمُها بِدَمي و لَحْمِي

و بنْتُ مُحمَّدٍ سَكَنِي و عِرْسِي

فأَيُّكُمْ لَهُ سَهْمٌ كَسَهْمِي

و سَبَطُ أَحْمَدٍ و لَدائِ مِناها

^{٨٨٤} (١). الديوان المنسوب إلى الإمام علي عليه السلام: ص ٥٦٠ الرقم ٤٢٧.

سَبَقْتُكُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ طَرًّا

عُلَامًا مَا بَلَغَتْ أَوَانَ جِلْمِي

وَصَلَّيْتُ الصَّلَاةَ وَكُنْتُ طِفْلًا

مُقِرًّا بِالنَّبِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّي

ص: ٢٧٨

وَأَوْجَبَ لِي وِلَايَتَهُ عَلَيَّكُمْ

رَسُولُ اللَّهِ يَوْمَ غَدِيرِ حُجْمٍ

أَنَا الرَّجُلُ الَّذِي لَا تُنْكِرُوهُ

لِيَوْمِ كَرِيهِهِ وَلِيَوْمِ سَلِيمٍ

فَوَيْلٌ لَكُمْ ثُمَّ وَيْلٌ لَكُمْ ثُمَّ وَيْلٌ

لِمَنْ يَلْقَى الْإِلَهَ عَدَاً بِظُلْمِي.»

فقال معاوية: أخفوا هذا الكتاب، لا يقرؤه أهل الشام فيميلوا إلى ابن أبي طالب.^{٨٨٥}

٥٨ كتابه عليه السلام إلى معاوية

عن الجاحظ في كتاب الغرّة، قال: كتب عليّ عليه السلام إلى معاوية:

«غَرَّكَ عِزُّكَ، فَصَارَ قِصَارُ ذَلِكَ ذَلِكَ، فَاحْشَ فَاحِشَ فَعَلَيْكَ، فَعَلَّكَ تُهْدِي بِهِذَا.»^{٨٨٦}

^{٨٨٥} (١) الاحتجاج: ج ١ ص ٤٢٩ ح ٩٣ و راجع: الفصول المختارة: ص ٧٠ المناقب لابن شهر آشوب: ج ٢ ص ١٧٠، كنز الفوائد: ص ١٢٢؛
التذكرة لابن الجوزي: ص ١١٥.

«أما بعد، فإن الدنيا حُلُوهٌ خَصْرَةٌ، ذاتُ زِينَةٍ وَبَهْجَةٍ، لم يَصُبْ إليها أَحَدٌ إِلَّا وَسَّغَلَتْه بِزِينَتِهَا عَمَّا هُوَ أَنْفَعُ لَهُ مِنْهَا، وبِالْآخِرَةِ أَمْرُنَا، وَعَلَيْهَا حُثْنًا، فَدَعُ - يَا مُعَاوِيَةَ - مَا يَفْنَى، وَاغْمَلْ لِمَا يَبْقَى، وَاخْذِرَ الْمَوْتَ الَّذِي إِلَيْهِ مَصِيرُكَ، وَالْحِسَابَ

ص: ٢٧٩

الَّذِي إِلَيْهِ عَاقِبَتُكَ.

وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَرَادَ بَعْدَ خَيْرٍ حَالًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يَكْرَهُ، وَوَقَّعَهُ لَطَاعَتِهِ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ سُوءًا أَوْ أَعْرَاهُ بِالدُّنْيَا وَأَنْسَاهُ الْآخِرَةَ، وَبَسَّطَ لَهُ أَمَلَهُ، وَعَاقَهُ عَمَّا فِيهِ صَلاَحُهُ.

وَقَدْ وَصَلَنِي كِتَابُكَ فَوَجَدْتُكَ تَرْمِي غَيْرَ غَرَضِكَ، وَتَنْشُدُ غَيْرَ ضَالَّتِكَ، وَتَخْبِطُ فِي عَمَائِي، وَتَتِيَهُ فِي ضَلَالِي، وَتَعْتَصِمُ بِغَيْرِ حُجَّةٍ، وَتَلُودُ بِأَضْعَفِ شَبْهَةٍ.

فَأَمَّا سُؤَالُكَ الْمُتَارِكَةَ وَالْإِفْرَارَ لَكَ عَلَى الشَّامِ، فَلَوْ كُنْتُ فَاعِلًا ذَلِكَ الْيَوْمَ، لَفَعَلْتُهُ أَمْسًا.

وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّ عَمْرَ وَوَلَّاهُ، فَقَدْ عَزَلَ مَنْ كَانَ وَوَلَّاهُ صَاحِبِيهِ، وَعَزَلَ عَثْمَانَ مَنْ كَانَ عَمْرَ وَوَلَّاهُ، وَلَمْ يُنْصَبْ لِلنَّاسِ إِمَامٌ إِلَّا لِيَرَى مِنْ صَلاَحِ الْأُمَّةِ إِمَامًا قَدْ كَانَ ظَهَرَ لِمَنْ قَبْلَهُ، أَوْ أَخْفَى عَنْهُمْ عَيْبَهُ وَالْأَمْرُ يَحْدُثُ بَعْدَهُ الْأَمْرُ، وَلِكُلِّ رَأْيٍ وَاجْتِهَادٍ.

فَسُبْحَانَ اللَّهِ، مَا أَشَدَّ لُزُومَكَ لِلْأَهْوَاءِ الْمُبْتَدِعَةِ، وَالْحَيْرَةَ الْمُتَّبِعَةِ، مَعَ تَضْيِيعِ الْحَقَائِقِ، وَاطِّرَاحِ الْوَثَائِقِ، الَّتِي هِيَ لِلَّهِ طَلِبَةٌ، وَعَلَى عِبَادِهِ حُجَّةٌ.

فَأَمَّا إِكْتِسَابُكَ الْحِجَاجَ عَلَى عَثْمَانَ، وَقَتْلَتِهِ، فَإِنَّكَ إِنَّمَا نَصَرْتَ عَثْمَانَ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَكَ، وَخَذَلْتَهُ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَهُ وَالسَّلَامُ»^{٨٨٧}.

و من كلام له عليه السلام في معنى قتل عثمان، و هو حكم له على عثمان، و عليه و على الناس بما فعلوا، و براءة له من
دمه:

«لَوْ أَمَرْتُ بِهِ لَكُنْتُ قَاتِلًا، أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ لَكُنْتُ نَاصِرًا، غَيْرَ أَنَّ مَنْ نَصَرَ لَا

ص: ٢٨٠

^{٨٨٦} (٢). المناقب لابن شهر آشوب: ج ٢ ص ٤٨، مطالب السنول: ص ١٧٦، بحار الأنوار: ج ٤٠ ص ١٦٣؛ سبب أعلام النبلاء: ج ١٦ ص ٣٠٨.
^{٨٨٧} (١) راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٦ ص ١٥٣، جمهرة الرسائل العرب: ج ١ ص ٤٧١؛ نهج البلاغة: الكتاب ٣٧.

يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ: خَذَلَهُ مَنْ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ، وَمَنْ خَذَلَهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ: نَصَرَهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي، وَأَنَا جَامِعٌ لَكُمْ أَمْرَهُ، اسْتَأْثَرَ فَأَسَاءَ الْأَثَرَةَ، وَجَزَعْتُمْ فَأَسَأْتُمْ الْجَزَعَ، وَلِلَّهِ حُكْمٌ وَقَعَ فِي الْمُسْتَأْثِرِ وَالْجَزَاعِ»^{٨٨٨}.

٦٠ كتابه عليه السلام إلى معاوية

و من كتاب له عليه السلام إلى معاوية جوابا، و هو من محاسن الكتب:

«أَمَا بَعْدُ، فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُكَ تَذَكَّرُ فِيهِ اصْطِفَاءَ اللَّهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِدِينِهِ وَتَأْيِيدَهُ إِتْيَاهُ بِمَنْ أَيْدَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَلَقَدْ خَبَأَ لَنَا الدَّهْرُ مِنْكَ عَجَبًا، إِذْ طَفِقْتَ تُخْبِرُنَا بِبِلَاءِ اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَنَا، وَنِعْمَتِهِ عَلَيْنَا فِي نَبِيِّنَا، فَكُنْتَ فِي ذَلِكَ كَنَاقِلِ التَّمْرِ إِلَى هَجْرَةٍ، أَوْ دَاعِي مُسَدِّدِهِ إِلَى النَّضَالِ، وَزَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الْإِسْلَامِ فُلَانٌ وَفُلَانٌ، فَذَكَرْتَ أَمْرًا إِنْ تَمَّ اغْتَرَاكَ كَلُّهُ، وَإِنْ نَقَصَ لَمْ يَلْحَقَكَ تَلْمُهُ.

وَمَا أَنْتَ وَالْفَاضِلَ وَالْمَفْضُولَ، وَالسَّائِسَ وَالْمَسُوسَ، وَمَا لِلطَّلْقَاءِ وَأَبْنَاءِ الطَّلْقَاءِ وَالتَّمْيِيزَ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ، وَتَرْتِيبَ دَرَجَاتِهِمْ، وَتَعْرِيفَ طَبَقَاتِهِمْ، هَيْهَاتَ لَقَدْ حَنَّ قِدْحَ لَيْسَ مِنْهَا، وَطَفِقَ يَحْكُمُ فِيهَا مَنْ عَلَيْهِ الْحُكْمُ لَهَا.

أَلَا تَرُبُّعُ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ عَلَى ظُلْمِكَ، وَتَعْرِفُ قُصُورَ ذُرْعِكَ، وَتَتَأَخَّرُ حَيْثُ أُخْرِكَ الْقَدْرُ، فَمَا عَلَيْكَ غَلْبَةُ الْمَغْلُوبِ، وَلَا ظَفْرُ الظَّافِرِ، وَإِنَّكَ لَدَهَابٌ فِي التِّيهِ، رَوَّاعٌ عَنِ الْقَصْدِ.

أَلَا تَرَى - غَيْرَ مُخْبِرٍ لَكَ، وَلَكِنْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ أَحَدْتُ - أَنْ قَوْمًا اسْتَشْهَدُوا فِي

ص: ٢٨١

سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَالْأَنْصَارِ، وَلِكُلِّ فَضْلٍ حَتَّى إِذَا اسْتَشْهَدَ شَهِيدًا قِيلَ: سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ، وَخَصَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً عِنْدَ صَلَاتِهِ عَلَيْهِ، أَوْ لَا تَرَى أَنْ قَوْمًا قَطَعَتْ أَيْدِيَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - وَلِكُلِّ فَضْلٍ - حَتَّى إِذَا فَعِلَ بِوَاحِدِنَا مَا فَعِلَ بِوَاحِدِهِمْ، قِيلَ: الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ وَذُو الْجَنَاحَيْنِ، وَلَوْلَا مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنْ تَرْكِيهِ الْمَرْءِ نَفْسَهُ لَذَكَرَ ذَاكِرٌ فَضَائِلَ جَمَّةٍ تَعْرِفُهَا قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا تَمُجُّهَا آذَانُ السَّامِعِينَ، فَدَعَّ عَنْكَ مَنْ مَالَتْ بِهِ الرَّمِيَّةُ^{٨٨٩}، فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبَّنَا، وَالنَّاسُ بَعْدَ صَنَائِعِ لَنَا، لَمْ يَمْنَعْنَا قَدِيمِ عَزَّنَا، وَلَا عَادِي طَوْلِنَا عَلَى قَوْمِكَ أَنْ خَلَطْنَاكُمْ بِأَنْفُسِنَا، فَنَكْحُنَا وَأُنْكَحُنَا فِعْلَ الْأَكْفَاءِ، وَلَسْتُمْ هُنَاكَ، وَأَنْتَى يَكُونُ ذَلِكَ، وَمِنَّا النَّبِيُّ وَمِنْكُمْ الْمُكَذِّبُ، وَمِنَّا أَسَدُ اللَّهِ وَ مِنْكُمْ أَسَدُ الْأَخْلَافِ، وَمِنَّا سَيِّدَا سَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمِنْكُمْ صَبِيئَةُ النَّارِ، وَمِنَّا خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، وَمِنْكُمْ حَمَالَةُ الْحَطَبِ فِي كَثِيرٍ مِمَّا لَنَا وَعَلَيْكُمْ.

فَإِسْلَامُنَا قَدْ سُمِعَ، وَجَاهِلِيَّتُنَا لَا تُدْفَعُ، وَكِتَابُ اللَّهِ يَجْمَعُ لَنَا مَا شَدَّ عَنَّا، وَهُوَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: «وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ»^{٨٩٠}.

^{٨٨٨} (١) نهج البلاغة: الخطبة ٣٠.

^{٨٨٩} (١) الرَّمِيَّةُ: الصيد الذي ترميه فتقصده، فينفذ فيه سهمك. (النهاية: ج ٢ ص ٢٦٨ «رمي»).

^{٨٩٠} (٢) الأحزاب: ٦.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ»^{٨٩١}، فَنَحْنُ مَرَّةً أَوْلَى بِالْقُرَابَةِ، وَتَارَةً أَوْلَى بِالطَّاعَةِ، وَلَمَّا احْتَجَّ الْمُهَاجِرُونَ عَلَى الْأَنْصَارِ يَوْمَ السَّقِيْفَةِ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَلَجُّوا عَلَيْهِمْ، فَإِنْ يَكُنِ الْفَلَجُ بِهِ، فَالْحَقُّ لَنَا دُونَكُمْ، وَإِنْ يَكُنْ بَعْضُهُ فَالْأَنْصَارُ عَلَى دَعْوَاهُمْ.

وَزَعَمْتُ أَنِّي لِكُلِّ الْخُلَفَاءِ حَسَدْتُ، وَعَلَى كُلِّهِمْ بَغَيْتُ، فَإِنْ يَكُنْ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَلَيْسَتْ الْجِنَايَةُ عَلَيْكَ، فَيَكُونُ الْعُذْرُ إِلَيْكَ. وَتِلْكَ شِكَاةٌ ظَاهِرَةٌ عِنْدَكَ غَارُهَا.

ص: ٢٨٢

وَقُلْتُ: إِنِّي كُنْتُ أَقَادُ كَمَا يَقَادُ الْجَمَلُ الْمَخْشُوشُ حَتَّى أَبَايَعُ، وَلَعَمْرُ اللَّهِ لَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ تَذُمَّ فَمَدَحْتَ، وَأَنْ تَفْضَحَ فَأَفْتَضَحْتَ، وَمَا عَلَى الْمُسْلِمِ مِنْ غَضَاضَةٍ فِي أَنْ يَكُونَ مَظْلُومًا، مَا لَمْ يَكُنْ شَاكًا فِي دِينِهِ، وَلَا مُرْتَابًا بِبِقِيْنِهِ، وَهَذِهِ حُجَّتِي إِلَى غَيْرِكَ قَصْدُهَا، وَلَكِنِّي أَطْلَقْتُ لَكَ مِنْهَا بِقَدْرِ مَا سَنَحَ مِنْ ذِكْرِهَا.

ثُمَّ ذَكَرْتُ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي وَأَمْرِ عُثْمَانَ فَلَكَ أَنْ تُجَابَ عَنْ هَذِهِ لِرَحِمِكَ مِنْهُ، فَأَيْنَا كَانَ أَعْدَى لَهُ، وَأَهْدَى إِلَى مَقَاتِلِهِ؟ أَمْ مِنْ بَدَلٍ لَهُ نُصْرَتَهُ فَاسْتَقْعَدَهُ وَاسْتَكْفَفَهُ؟ أَمْ مِنْ اسْتَنْصَرَهُ فَتَرَاحَى عَنْهُ، وَبَثَّ الْمُنُونَ إِلَيْهِ، حَتَّى أَتَى قَدْرَهُ عَلَيْهِ؟ كَلَّا وَاللَّهُ لَقَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعْوِقِينَ مِنْكُمْ، وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ: هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا.

وَمَا كُنْتُ لِأَعْتَذِرَ مِنْ أَنْتِي كُنْتُ أَنْقِمُ عَلَيْهِ أَحْدَاثًا، فَإِنْ كَانَ الذَّنْبُ إِلَيْهِ إِرْشَادِي وَهِدَايَتِي لَهُ، فَرُبَّ مَلُومٍ لَا ذَنْبَ لَهُ. وَقَدْ يَسْتَفِيدُ الظَّنَّ الْمُتَنَصِّحُ.

وَمَا أَرَدْتُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ، وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ.

وَذَكَرْتُ أَنَّهُ لَيْسَ لِي وَلَا صُحَابِي عِنْدَكَ إِلَّا السَّيْفُ، فَلَقَدْ أَضْحَكْتَ بَعْدَ اسْتِعْبَارِي! مَتَى الْفَيْتَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَنِ الْأَعْدَاءِ نَاكِلِينَ وَبِالسَّيْفِ مَخَوِّفِينَ؟!

فَلَبَّثْتُ قَلِيلًا يَلْحَقُ الْهَيْجَا حَمَلُ

فَسَيَطْلُبُكَ مَنْ تَطْلُبُ، وَيَقْرُبُ مِنْكَ مَا تَسْتَبْعِدُ، وَأَنَا مُرْقِلٌ نَحْوَكَ فِي جَحْفَلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، شَدِيدٍ زِحَامُهُمْ، سَاطِعٍ قَتَامُهُمْ، مُتَسَرِّبِلِينَ سَرَابِيلَ الْمَوْتِ، أَحَبُّ اللَّقَاءِ إِلَيْهِمْ لِقَاءَ رَبِّهِمْ، وَقَدْ صَحِبْتَهُمْ ذُرِّيَّةً بَدْرِيَّةً، وَسُيُوفَ هَاشِمِيَّةً، قَدْ عَرَفْتَ مَوَاقِعَ نِصَالِهَا فِي أُخْيِكَ وَخَالِكَ وَجَدِّكَ وَأَهْلِكَ،

^{٨٩١} (٣) آل عمران: ٦٨.

«وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ»^{٨٩٢ ٨٩٣}.

٦١ كتابه عليه السلام إلى معاوية

أنقل مصتف كتاب معادن الحكمة كتابه عليه السلام إلى معاوية عن نهج البلاغة، ثم نقل عن الشارح البحراني، أن الكتاب المنقول ملتقط من كتاب ذكر السيّد رحمه الله منه فصلاً سابقاً برقم «٩»، ثم نقل الكتاب بتمامه عن البحراني، ثم نقل فصلاً من الكتاب عن ابن أبي الحديد^{٨٩٤}، مصرحاً بأنّ بين نقله و نقل البحراني اختلافاً كبيراً؛ فأحببنا نقله عن ابن أبي الحديد بتمامه، تكميماً و تعميماً للفائدة.

فقال ابن الحديد: بعد نقله كتاب معاوية بن أبي سفيان إلى أمير المؤمنين عليه السلام، مع أبي مسلم الخولاني، و ما جرى بينه و بين أبي مسلم الخولاني و كان جوابه عليه السلام:

«أَمَا بَعْدُ؛ فَإِنَّ أَخَا خَوْلَانَ قَدِمَ عَلَيَّ بِكِتَابٍ مِنْكَ تَذَكَّرُ فِيهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ، وَ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِ مِنْ الْهُدَى وَ الْوَحْيِ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَهُ الْوَعْدَ، وَ أَيْدَهُ بِالنَّصْرِ، وَ مَكَّنَ لَهُ فِي الْبِلَادِ، وَ أَظْهَرَهُ عَلَى أَهْلِ الْعَدَاوَةِ وَ الشَّنَّانِ مِنْ قَوْمِهِ، الَّذِينَ وَتَبُوا عَلَيْهِ، وَ شَنَفُوا لَهُ، وَ أَظْهَرُوا تَكْذِيبَهُ، وَ بَارَزُوهُ بِالْعَدَاوَةِ، وَ ظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِهِ وَ عَلَى إِخْرَاجِ أَصْحَابِهِ وَ أَهْلِهِ، وَ أَلْبَسُوا عَلَيْهِ الْعَرَبَ، وَ جَادَلُوهُمْ عَلَى حَرْبِهِ،

وَ جَهَدُوا فِي أَمْرِهِ كُلِّ الْجَهْدِ، وَ قَلَبُوا لَهُ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَ ظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَ هُمُ كَارِهُونَ، وَ كَانَ أَشَدَّ النَّاسِ عَلَيْهِ تَأْلِيبًا وَ تَحْرِيسًا أَسْرَتَهُ، وَ الْأَدْنَى فَالْأَدْنَى مِنْ قَوْمِهِ، إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ.

وَ ذَكَرْتُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى اجْتَبَى لَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَعْوَانًا أَيْدَهُ اللَّهُ بِهِمْ، فَكَانُوا فِي مَنَازِلِهِمْ عِنْدَهُ عَلَى قَدْرِ فَضَائِلِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ، فَكَانَ أَفْضَلُهُمْ - زَعَمْتُ - فِي الْإِسْلَامِ، وَ أَنْصَحَهُمْ لِلَّهِ وَ لِرَسُولِهِ الْخَلِيفَةَ، وَ خَلِيفَةَ الْخَلِيفَةَ، وَ لِعَمْرِي إِنَّ مَكَانَهُمَا فِي الْإِسْلَامِ لِعَظِيمٍ، وَ إِنَّ الْمُصَابَ بِهِمَا لَجُرْحٌ فِي الْإِسْلَامِ شَدِيدٌ، فَرَحِمَهُمَا اللَّهُ، وَ جَزَاهُمَا أَحْسَنَ مَا عَمِلَا!

وَ ذَكَرْتُ أَنَّ عَثْمَانَ كَانَ فِي الْفَضْلِ تَالِيًا، فَإِنَّ يَكَّ عُثْمَانَ مُحْسِنًا فَسَيَجْزِيهِ اللَّهُ بِإِحْسَانِهِ، وَ إِنَّ يَكَّ مُسِينًا فَسَيَلْقَى رَبًّا غَفُورًا لَا يَتَعَاظَمُهُ ذَنْبٌ أَنْ يَغْفِرَهُ، وَ لِعَمْرِي إِنِّي لِأَرْجُو إِذَا أَعْطَى اللَّهُ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ فَضَائِلِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ، وَ نَصِيحَتِهِمْ لِلَّهِ وَ لِرَسُولِهِ، أَنْ يَكُونَ نَصِيبُنَا فِي ذَلِكَ الْأَوْفَرِ.

^{٨٩٢} (١) هود: ٨٣.
^{٨٩٣} (٢) نهج البلاغة: الكتاب ٢٨ و راجع: الفصول المختارة: ج ٢ ص ٢٣٣، وقعة صفين: ص ٨٨، المناقب لابن شهر آشوب: ج ٣ ص ١٦٥؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٥ ص ٧٣، الفتوح: ج ٢ ص ٤٧٧، العقد الفريد: ج ٤ ص ٣٣٥، أنساب الأشراف: ج ٢ ص ٢٧٩.
^{٨٩٤} (٣) معادن الحكمة: ج ١ ص ١٣٦-١٤٨.

إِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمَّا دَعَا إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالتَّوْحِيدِ لَهُ، كُنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ، أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ وَصَدَّقَهُ فِيمَا جَاءَ، فَبِتْنَا أَحْوَالًا كَامِلَةً مُجْرَمَةً^{٨٩٥} تَامَّةً، وَمَا يُعْبَدُ اللَّهُ فِي رُبْعِ سَاكِنٍ مِنَ الْعَرَبِ غَيْرِنَا، فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا، وَاجْتِيَا حَاصِلِنَا، وَهَمُّوا بِنَا الْهَمُومَ، وَفَعَلُوا بِنَا الْأَفَاعِيلَ، وَمَنَعُونَا الْمِيرَةَ^{٨٩٦}، وَأَمْسَكُوا عَنَّا الْعَذْبَ، وَأَحْلَسُونَا الْخَوْفَ.

وَجَعَلُوا عَلَيْنَا الْأَرْصَادَ وَالْعِيُونَ، وَاضْطَرُّونَا إِلَى جَبَلٍ وَعَرٍ وَأَوْقَدُوا لَنَا نَارَ الْحَرْبِ، وَكَتَبُوا بَيْنَهُمْ كِتَابًا لَا يُوَاكِلُونَنَا وَلَا يُشَارِبُونَنَا، وَلَا يَنَاكِحُونَنَا، وَلَا يُبَايِعُونَنَا،

ص: ٢٨٥

وَلَا نَأْمَنُ مِنْهُمْ حَتَّى نَدْفَعَ إِلَيْهِمْ مُحَمَّدًا فَيَقْتُلُوهُ وَيَمْتَلُوا بِهِ، فَلَمْ نَكُنْ نَأْمَنُ فِيهِمْ إِلَّا مِنْ مَوْسِمٍ إِلَى مَوْسِمٍ، فَعَزَمَ اللَّهُ لَنَا عَلَى مَنَعِهِ، وَالذَّبَّ عَنِ حَوْزَتِهِ، وَالرَّمَى مِنْ وَرَاءِ حُرْمَتِهِ، وَالْقِيَامَ بِأَسْيَافِنَا ذُونَةَ فِي سَاعَاتِ الْخَوْفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فَمُؤْمِنُنَا يَرْجُو بِذَلِكَ الثَّوَابَ، وَكَافِرُنَا يُحَامِي عَنِ الْأَصْلِ، وَأَمَّا مَنْ أَسْلَمَ مِنْ قُرَيْشٍ فَإِنَّهُمْ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ خَلَاءٌ، مِنْهُمْ الْحَلِيفُ الْمَمْنُوعُ، وَمِنْهُمْ ذُو الْعَشِيرَةِ الَّتِي تُدْفِعُ عَنْهُ، فَلَا يَبْغِيهِ أَحَدٌ مِثْلَ مَا بَغَانَا بِهِ قَوْمُنَا مِنَ التَّلْفِ، فَهُمْ مِنَ الْقَتْلِ بِمَكَانٍ نَجْوَةٍ وَأَمْنٍ، فَكَانَ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ.

ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ بِالْهَجْرَةِ، وَأَذِنَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي قِتَالِ الْمُشْرِكِينَ، فَكَانَ إِذَا أَحْمَرَ الْبَأْسُ، وَدُعِيَتْ نَزَالِ^{٨٩٧} أَقَامَ أَهْلَ بَيْتِهِ، فَاسْتَفْدَمُوا، فَوَقَى أَصْحَابَهُ بِهِمْ حَدَّ الْأَسْتَنِ وَالسِّيُوفِ، فَقُتِلَ غَبِيدَةُ يَوْمَ بَدْرٍ، وَحَمْرَةُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَجَعْفَرُ وَزَيْدٌ يَوْمَ مُؤْتَةَ، وَأَرَادَ مَنْ لَوْ شِئَتْ ذَكَرَتْ اسْمَهُ مِثْلَ الَّذِي أَرَادُوا مِنَ الشَّهَادَةِ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ غَيْرَ مَرَّةٍ، إِلَّا أَنْ أَجَالَهُمْ عَجَلَتْ، وَمَنْيَتَهُ أُخِّرَتْ، وَاللَّهُ وَلِيُّ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ، وَالْمِنَّةِ عَلَيْهِمْ، بِمَا أَسْلَفُوا مِنْ أَمْرِ الصَّالِحَاتِ، فَمَا سَمِعْتُ بِأَحَدٍ، وَلَا رَأَيْتُهُ هُوَ أَنْصَحُ فِي طَاعَةِ رَسُولِهِ، وَلَا لِنَبِيِّهِ، وَلَا أَصْبَرَ عَلَى اللَّأْوَاءِ^{٨٩٨} وَالسَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ، وَمَوَاطِنِ الْمَكْرُوهِ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ الَّذِينَ سَمَّيْتُ لَكَ، وَفِي الْمَهَاجِرِينَ خَيْرٌ كَثِيرٌ يُعْرَفُ، جَزَاهُمْ اللَّهُ خَيْرًا بِأَحْسَنِ أَعْمَالِهِمْ.

وَذَكَرْتُ حَسَدِي الْخُلَفَاءِ وَإِبْطَائِي عَنْهُمْ، وَبَغْيِي عَلَيْهِمْ؛ فَأَمَّا الْبَغْيُ فَمَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ، وَأَمَّا الْإِبْطَاءُ عَنْهُمْ وَالْكَرَاهِيَةُ لِأَمْرِهِمْ، فَلَسْتُ أَعْتَدُّرُ إِلَى النَّاسِ مِنْ ذَلِكَ؛ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ لَمَّا قَبِضَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

ص: ٢٨٦

قَالَتْ قُرَيْشٌ: مَنَّا أَمِيرٌ، وَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: مَنَّا أَمِيرٌ؛ فَقَالَتْ قُرَيْشٌ: مَنَّا مُحَمَّدٌ، نَحْنُ أَحَقُّ بِالْأَمْرِ، فَعَرَفَتْ ذَلِكَ الْأَنْصَارُ، فَسَلَّمَتْ لَهُمُ الْوِلَايَةَ وَالسُّلْطَانَ، فَإِذَا اسْتَحَقُّوهُا بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ دُونَ الْأَنْصَارِ، فَإِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِمُحَمَّدٍ أَحَقُّ بِهِ مِنْهُمْ، وَإِلَّا فَإِنَّ الْأَنْصَارَ أَعْظَمُ الْعَرَبِ فِيهَا نَصِيْبًا، فَلَا أَدْرِي: أَصْحَابِي سَلِمُوا مِنْ أَنْ يَكُونُوا حَقِّي أَخْدُوا، أَوِ الْأَنْصَارُ ظَلَمُوا؟ بَلْ عَرَفْتُ أَنَّ حَقِّي هُوَ الْمَأْخُودُ، وَقَدْ تَرَكَتُهُ لَهُمْ تَجَاوُزًا لِلَّهِ عَنْهُمْ.

^{٨٩٥} (١) حَوْلٌ مُجْرَمٌ، وَسَنَةٌ مُجْرَمَةٌ، أَي: تَامَّةٌ. (الصَّحَاحُ: ج ٥ ص ١٨٨٥ «جَرَمٌ»).

^{٨٩٦} (٢) الْمِيرَةُ: الطَّعَامُ يَمْتَارُهُ الْإِنْسَانُ، وَفِي التَّهْذِيبِ: وَقَدْ مَارَ عِيَالَهُ وَهُلَّهُ يَمِيرُهُمْ مِيرًا. (لسان العرب: ج ٥ ص ١٨٨ «مور»).

^{٨٩٧} (١) أَي: تَنَازَلُوا لِلْحَرْبِ (مَجْمَعُ الْبَحْرِينَ: ج ٣ ص ١٧٧٤ «نَزَلَ»).

^{٨٩٨} (٢) اللَّأْوَاءُ: الشَّدَّةُ، وَضَيْقُ الْمَعِيشَةِ (النَّهْجِيَّةُ: ج ٤ ص ٢٢١ «لأواء»).

وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ أَمْرِ عُثْمَانَ، وَقَطِيعَتِي رَحِمَهُ، وَتَأَلِيبي عَلَيْهِ، فَإِنَّ عُثْمَانَ عَمَلٌ مَا قَدْ بَلَغَكَ، فَصَنَعَ النَّاسُ بِهِ مَا رَأَيْتَ، وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنِّي قَدْ كُنْتُ فِي غَزْوِهِ عَنْهُ إِلَّا أَنْ تَتَجَنَّبَنِي؛ فَتَجَنَّبَ مَا بَدَأَ لَكَ.

وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ أَمْرِ قَتْلِهِ عُثْمَانَ، فَإِنِّي نَظَرْتُ فِي هَذَا الْأَمْرِ، وَضَرَبْتُ أَنْفَهُ وَعَيْنَهُ، فَلَمْ أَرَ دَفْعَهُمْ إِلَيْكَ وَلَا إِلَى غَيْرِكَ، وَلِعَمْرِي لَئِنْ لَمْ تُنَزِعْ عَنْ غَيْكَ وَشِقَاقِكَ لَتَعْرِفَنَّاهُمْ عَنْ قَلِيلٍ يَطْلُبُونَكَ لَا يُكَلِّفُونَكَ أَنْ تَطْلُبَهُمْ فِي بَرٍّ وَلَا بَحْرٍ، وَلَا سَهْلٍ وَلَا جَبَلٍ، وَقَدْ أَتَانِي أَبُوكَ حِينَ وَلَّى النَّاسُ أَبَا بَكْرٍ، فَقَالَ: أَنْتَ أَحَقُّ بِمَقَامِ مُحَمَّدٍ وَأَوْلَى النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ، وَأَنَا زَعِيمٌ لَكَ بِذَلِكَ عَلَى مَنْ خَالَفَ، ابْسُطْ يَدَكَ أَبَايَعُكَ؛ فَلَمْ أَفْعَلْ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ أَبَاكَ قَدْ قَالَ ذَلِكَ وَأَرَادَهُ، حَتَّى كُنْتُ أَنَا الَّذِي أُبَيِّتُ؛ لِقُرْبِ عَهْدِ النَّاسِ بِالْكَفْرِ مَخَافَةَ الْفُرْقَةِ بَيْنَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَأَبُوكَ كَانَ أَعْرَفُ بِحَقِّي مِنْكَ، فَإِنْ تَعْرِفُ مِنْ حَقِّي مَا كَانَ أَبُوكَ يَعْرِفُ تُصِيبُ رُشْدَكَ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَسُيْغِنِي اللَّهُ عَنْكَ، وَالسَّلَامُ.»^{٨٩٩}

و في المناقب: ذكر قسماً لم يوجد في معادن الحكمة، قال:

جاء أبو مسلم الخولاني بكتاب من عنده - يعني معاوية - إلى أمير المؤمنين عليه السلام

ص: ٢٨٧

يذكر فيه: و كان أنصحهم لله خليفته، ثم خليفته خليفته، ثم الخليفة الثالث المقتول ظلماً، فكلمهم حسدته، و على كلهم بغيت ... إلى آخر ما سيأتي، فلما وصل الخولاني و قرأ الكتاب على الناس قالوا: كلنا قاتلون، و لأفعاله منكرون، فكان جواب أمير المؤمنين عليه السلام:

«وَبِعْدُ؛ أَنِّي رَأَيْتُ قَدْ أَكْثَرْتَ فِي قَتْلِهِ عُثْمَانَ، فَادْخُلْ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ مِنْ بَيْعَتِي، ثُمَّ حَاكِمِ الْقَوْمَ إِلَيَّ أَحْمِلُكَ، وَإِيَّاهُمْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.»

وَأَمَّا تِلْكَ الَّتِي تُرِيدُهَا فَإِنَّهَا خُدْعَةُ الصَّبِيِّ عَنِ اللَّبَنِ، وَلِعَمْرِي لَئِنْ نَظَرْتَ بِعَقْلِكَ دُونَ هَوَاكَ لَعَلِمْتَ أَنِّي مِنْ أَبْرَأِ النَّاسِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّكَ مِنْ أَبْنَاءِ الطَّلَقَاءِ الَّذِينَ لَا تَحِلُّ لَهُمُ الْخِلَافَةُ.»^{٩٠٠}

٦٢ كتابه عليه السلام إلى معاوية

روى العلامة المجلسي رحمه الله في البحار، عن تاريخ ابن أعثم الكوفي كتاباً، أظنُّ كونه جملاً مختصرةً من كتابه عليه السلام إلى معاوية مع أخى خولان المتقدم ذكره، و لكن حيث كان معاوية الذي هذا الكتاب جوابه مخالف للكتاب الذي جاء به أخو خولان، أحببنا إيراده هنا أولاً، ثمَّ إيراد كتاب معاوية.

^{٨٩٩} (١). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٥ ص ٧٦-٧٨ و راجع: عقد الفريد: ج ٣ ص ٣٣١، المناقب للخوارزمي:

ص ٢٥٢؛ نهج البلاغة: الكتاب ٩، وقعة صفين: ص ٨٨-٩١، بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ١١٠-١١٣.

^{٩٠٠} (١). المناقب لابن شهر آشوب: ج ٣ ص ١٦٥، بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٥٧٠ و راجع: نهج البلاغة: الكتاب ٦، وقعة صفين: ص ٢٩؛ أنساب الأشراف: ج ٣ ص ٩٩٢، عقد الفريد: ج ٣ ص ٣٣٠، الإمامة و السياسة: ج ١ ص ١١٤، تاريخ مدينة دمشق: ج ٥٩ ص ١٢٨.

نصّ كتاب أمير المؤمنين عليه السلام:

«أما بعد؛ فإنه أتاني كتابك تذكر فيه حسدى للخلفاء وإبطائي عليهم، والتكبير

ص: ٢٨٨

لأمرهم، فليست أعتدّز من ذلك إليك ولا إلى غيرك، وذلك أنه لما قبض النبي صلى الله عليه وآله، واختلف الأمة، قالت قريش: منّا الأمير، وقالت الأنصار: بل منّا الأمير؛ فقالت قريش: مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله مِنَّا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْأَمْرِ مِنْكُمْ فَسَلِّمَتِ الْأَنْصَارُ لِقُرَيْشِ الْوِلَايَةَ وَالسُّلْطَانَ، فَإِنَّمَا تَسْتَحِقُّهَا قُرَيْشٌ بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله دُونَ الْأَنْصَارِ، فَنَحْنُ - أَهْلَ الْبَيْتِ - أَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ غَيْرِنَا - إِلَى قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَقَدْ كَانَ أَبُوكَ أَبُو سَفْيَانَ جَاءَ نِي فِي الْوَقْتِ الَّذِي بَايَعَ النَّاسُ فِيهِ أَبَا بَكْرٍ، فَقَالَ لِي: أَنْتَ أَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ غَيْرِكَ، وَأَنَا يَذُكَ عَلَى مَنْ خَالَفَكَ، وَإِنْ شِئْتَ لِأَمْلَانِ الْمَدِينَةَ خَيْلًا وَرَجُلًا عَلَى ابْنِ أَبِي قُحَافَةَ، فَلَمْ أَقْبَلْ ذَلِكَ، وَاللَّهِ يَعْلَمُ أَنَّ أَبَاكَ قَدْ فَعَلَ ذَلِكَ، فَكُنْتُ أَنَا الَّذِي أَبَيْتُ عَلَيْهِ مَخَافَةَ الْفُرْقَةِ بَيْنَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَإِنْ تَعْرِفَ مِنْ حَقِّي مَا كَانَ أَبُوكَ يَعْرِفُهُ لِي فَقَدْ أَصَبْتَ رُشْدَكَ، وَإِنْ أَبَيْتَ فَبِهَا أَنَا قَاصِدٌ إِلَيْكَ، وَالسَّلَامُ.»^{٩١}

نصّ كتاب معاوية:

أما بعد؛ فإنّ الحسد عشرة أجزاء، تسعة منها فيك، وواحد منها في سائر الناس، وذلك أنه لم تكن أمور هذه الأمة لأحد بعد النبي صلى الله عليه وآله إلا وله قد حسدت، وعلبه قد بغيت، عرفنا ذلك منك في نظرك الشرر، وقولك الهجر، و تنفسيك الصعداء، وإبطائك على الخلفاء، تقاد إلى البيعة كما يقاد الجمل الشارد، حتى تباع وأنت كاره، ثم إنى لا أنسى فعلك بعثمان بن عفان في البر والبحر والجبال والرمال، حتى تقتلهم أو لتلحقن أرواحنا بالله. والسلام.^{٩٢}

ص: ٢٨٩

٦٣ كتابه عليه السلام إلى معاوية

من كتاب له عليه السلام إلى معاوية جواباً عن كتاب منه:

«أما بعد، فإننا كنا نحن وأنتم على ما ذكرت من الألفه والجماعه، ففرق بيننا وبينكم أمس، أنا آمننا وكفرتهم، واليوم أنا استقمنا وفترتهم، وما أسلم مسلمكم إلا كرهاً، وبعد أن كان أنف الإسلام كله لرسول الله صلى الله عليه وآله حرباً.

^{٩١} (١) بحار الأنوار: ج ٢٩ ص ٦٣٢ ح ٤٧ و راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٥ ص ٧٦-٧٨، العقد الفريد: ج ٣ ص ٣٣١، المناقب للخوارزمي: ص ٢٥٢؛ وقعة صفين: ص ٨٨-٩١، بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ١١٠-١١٣.
^{٩٢} (٢) كتاب الفتوح: ج ٢ ص ٥٥٨ و راجع: بحار الأنوار: ج ٢٩ ص ٦٣٢ ح ٤٧، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٥ ص ٧٦-٧٨، العقد الفريد: ج ٣ ص ٣٣١، المناقب للخوارزمي: ص ٢٥٢؛ وقعة صفين: ص ٨٨-٩١.

وَذَكَرْتُ أَنِّي قَتَلْتُ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ، وَشَرَدْتُ بِعَائِشَةَ وَنَزَلْتُ بَيْنَ الْمِصْرَيْنِ، وَذَلِكَ أَمْرٌ غَبْتُ عَنْهُ، فَلَا عَلَيْكَ، وَلَا الْعَذْرُ فِيهِ إِلَيْكَ، وَذَكَرْتُ أَنَّكَ زَائِرِي فِي الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَقَدْ انْقَطَعَتْ الْهَجْرَةُ يَوْمَ أُسِرَ أَخُوكَ، فَإِنْ كَانَ فِيهِ عَجَلٌ فَاسْتَرْفِهِ^{٩٠٣}، فَإِنِّي إِنْ أُرْزِكَ فَذَلِكَ جَدِيرٌ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ إِنَّمَا بَعَثَنِي إِلَيْكَ لِلنَّقْمَةِ مِنْكَ، وَإِنْ تَزُرُّنِي فَكَمَا قَالَ أَخُو بَنِي أُسْدٍ:

بِحَاصِبِ بَيْنِ أَعْوَارٍ وَجُلْمُودٍ

مُسْتَقْبِلِينَ رِيَّاحِ الصَّيْفِ تَضْرِبُهُمْ

وَعِنْدِي السَّيْفُ الَّذِي أُغْضَضْتَهُ بِجَدِّكَ وَخَالِكَ وَأَخِيكَ فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ، وَإِنَّكَ وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ الْأَغْلَفُ الْقَلْبِ، الْمُقَارِبُ الْعَقْلِ، وَالْأَوْلَى أَنْ يُقَالَ لَكَ: إِنَّكَ رَقِيتَ سَلْمًا أَطْلَعَكَ مَطْلَعِ سَوْءٍ عَلَيْكَ لَا لَكَ، لِأَنَّكَ نَشَدْتَ غَيْرَ ضَالَّتِكَ، وَرَعَيْتَ غَيْرَ سَائِمَتِكَ، وَطَلَبْتَ أَمْرًا لَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ، وَلَا فِي مَعْدِنِهِ، فَمَا أَبْعَدَ قَوْلَكَ مِنْ فِعْلِكَ؟

وَقَرِيبٌ مَا أَشْبَهْتَ مِنْ أَعْمَامٍ وَأَخْوَالٍ حَمَلْتَهُمُ الشَّقَاوَةَ وَتَمَنَّى الْبَاطِلَ عَلَى الْجُحُودِ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَصُرِعُوا مَصَارِعَهُمْ حَيْثُ عَلِمْتَ، لَمْ يَذْفَعُوا عَظِيمًا وَلَمْ يَمْنَعُوا حَرِيمًا، بِوَقْعِ سَيُْوفٍ مَا خَلَا مِنْهَا الْوَعْيَ، وَلَمْ تُمَاشِهَا الْهُوَيْنَى، وَقَدْ أَكْثَرْتَ فِي

ص: ٢٩٠

قَتَلَهُ عُثْمَانُ، فَادْخُلْ فِيَمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ، ثُمَّ حَاكِمِ الْقَوْمَ إِلَى أَحْمَلِكَ، وَإِيَّاهُمْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَأَمَّا تِلْكَ الَّتِي تُرِيدُ، فَإِنَّهَا خُدْعَةُ الصَّبِيِّ عَنِ اللَّبَنِ فِي أَوَّلِ الْفِصَالِ، وَالسَّلَامُ لِأَهْلِهِ.^{٩٠٤}

٦٤ كتابه عليه السلام إلى معاوية

«مِنَ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا دَارُ تِجَارَةٍ، وَرِبْحُهَا أَوْ خُسْرُهَا الْآخِرَةُ، فَالْسَّعِيدُ مَنْ كَانَتْ بِضَاعَتُهُ فِيهَا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ، وَمَنْ رَأَى الدُّنْيَا بَعَيْنِهَا، وَقَدَّرَهَا بِقَدَرِهَا، وَإِنِّي لِأَعْطُكَ مَعَ عِلْمِي بِسَابِقِ الْعِلْمِ فِيكَ مِمَّا لَا مَرَدَّ لَهُ دُونَ نَفَاذِهِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخَذَ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَنْ يُؤَدُّوا الْأَمَانَةَ، وَأَنْ يُنْصَحُوا الْعَوِيَّ وَالرَّشِيدَ، فَاتَّقِ اللَّهَ، وَلَا تَكُنْ مِمَّنْ لَا يَرْجُو لِلَّهِ وَقَارًا، وَمَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْغَدَابِ، فَإِنَّ اللَّهَ بِالْمِرْصَادِ.

^{٩٠٣} (١) أرفه: أقلام و استراخ كاسترفه (تاج العروس: ج ١٩ ص ٣٩ «رفه»).

^{٩٠٤} (١). نهج البلاغة: الكتاب ٦٤ و راجع: الاحتجاج: ج ١ ص ٢٦٣؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٧ ص ٢٥٠، الإمامة و السياسة: ج ١ ص ١٠٣، جمهرة رسائل العرب: ج ١ ص ٤١٨.

وإنَّ ذُنُوبَكَ سَتَدْبِرُ عَنْكَ، وَسَتَعُودُ حَسْرَةً عَلَيْكَ، فَاقْلَعْ عَمَّا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنَ الْعَيِّ وَالضَّلَالِ عَلَى كِبَرِ سِنَّكَ، وَفَنَاءِ عُمْرِكَ، فَإِنَّ حَالَكَ الْيَوْمَ كَحَالِ الثُّوبِ الْمَهِيلِ الَّذِي لَا يُصْلِحُ مِنْ جَانِبٍ إِلَّا فُسِدَ مِنْ آخَرَ.

وقد أُرْدِيَتْ جِيلًا مِنَ النَّاسِ كَثِيرًا خَدَعْتَهُمْ بِعَيْكَ، وَالْقَيْتَهُمْ فِي مَوْجِ بَحْرِكَ، تَغْشَاهُمُ الظُّلُمَاتُ، وَتَتَلَطَّمُ بِهِمُ الشُّبُهَاتُ، فَجَاؤُوا عَنْ وَجْهِتِهِمْ، وَنَكَصُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ، وَتَوَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ، وَعَوَّلُوا عَلَى أَحْسَابِهِمْ، إِلَّا مَنْ فَاءَ مِنْ أَهْلِ الْبَصَائِرِ،

ص: ٢٩١

فَأْتَيْتَهُمْ فَارْتَفُوكَ بَعْدَ مَعْرِفَتِكَ، وَهَرَبُوا إِلَى اللَّهِ مِنْ مُوَازَرَتِكَ، إِذْ حَمَلْتَهُمْ عَلَى الصَّعْبِ، وَعَدَلْتَ بِهِمْ عَنِ الْقَصْدِ.

فَاتَّقِ اللَّهَ يَا مُعَاوِيَةَ فِي نَفْسِكَ، وَجَاذِبِ الشَّيْطَانَ قِيَادَكَ، فَإِنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ عَنْكَ، وَالْآخِرَةُ قَرِيبَةٌ مِنْكَ، وَالسَّلَامُ».^{٩٠٥}

٦٥ كتابه عليه السلام إلى معاوية

من كتاب له عليه السلام إلى معاوية أيضاً، و لما بلغ كتاب معاوية إلى أمير المؤمنين عليه السلام، كتب عليه السلام إليه مجيباً له:

«أما بعد، فإنَّ ما أتيت به من ضلالتك ليس ببعيد الشبه مما أتى به أهلُك وقومك الذين حملهم الكفر، وتمنى الأباطيل على حسد محمد صلى الله عليه و آله، حتى صرعوا مصارعهم حيث علمت، لم يمنعوا حريماً ولم يدفَعوا عظيمًا، وأنا صاحبهم في تلك المواطن، الصالى بحربهم والغال لِحَدِّهم، والقاتل لرؤوسهم ورؤوس الضلالة، والمُتَّبِعُ - إن شاء الله - خَلَفَهُمْ بِسَلْفِهِمْ، فَبِئْسَ الْخَلْفُ خَلَفَ أَتْبَعَ سَلْفًا مَحَلَّهُ وَمَحَطَّهُ النَّارَ، وَالسَّلَامُ».^{٩٠٦}

٦٦ كتابه عليه السلام إلى معاوية

«من عبد الله على أمير المؤمنين، إلى معاوية بن صخر، أما بعد؛ فإنك من كافرٍ

ص: ٢٩٢

وُلِدَتْ فَقَرَبَتْ وَأَشْبَهَتْ أَبَاءَ كَ وَأَجْدَادَكَ وَعَمَّكَ وَأَحَاكَ وَخَالَكَ، إِذْ حَمَلَهُمُ الشُّكُّ وَتَمَنَّى الْأَبَاطِيلُ بِالْجُحُودِ عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَصَرَعُوا مَصَارِعَهُمْ حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ، لَمْ يَمْنَعُوا حَرِيماً، وَلَا دَفَعُوا عَظِيماً، وَأَنَا صَاحِبُهُمْ فِي تِلْكَ الْمَوَاطِنِ، وَالْغَالُ لِحَدِّهِمْ، وَالْقَاتِلُ لِصِنَادَيْهِمْ صِنَادِيدَ الضَّلَالَةِ وَمُتَابِعِي الْجَهَالَةِ، وَأَنْتَ خَلَفَهُمْ فَبِئْسَ الْخَلْفُ يَتَّبِعُ السَّلْفَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ.»

[أقول هذا جواب لكتاب من معاوية و هو:]

^{٩٠٥} (١) راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٦ ص ١٣٣، جمهرة رسائل العرب: ج ١ ص ٢٤٠؛ نهج البلاغة: الكتاب ٣٢.
^{٩٠٦} (٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٦ ص ١٣٥.

قال: فكتب إليه معاوية: أما بعد؛ فقد أبيت في العيِّ إلّا تمادياً لابن السّوداءِ عمّارِ بنِ ياسرٍ و أصحابه، فقد علمتُ بأنّه إنّما (لا) يدعوك إلى ذلك إلّا مصرعك و حينك الذي لا بدّ لك منه، فإن كنت غير منتهٍ فزدني غيًّا، فطاش في المطاوله حلمك، و عزب عن الحقّ فهمك، و أنت راكبٌ لأسوأ الأمور، و مفضّلٌ عن الحقّ بغير فكره في الدين و لا رويّه، ثمّ تكون العاقبه لغيرك - و السلام.^{٩٠٧}

٦٧ كتابه عليه السلام إلى معاوية

«من عبد الله على أمير المؤمنين إلى معاوية بن صخر. أما بعد؛ فالعجب لما تتمنى وما يبلغني عنك، وما أعرفتني بمنزلة التي أنت إليها كائن، وليس إبطائي عنك إلّ الوقت أنا به مُصدقٌ وأنت به مُكذبٌ، وكأني بك وأنت تُعج في الحرب عجيح الجمال بأثقالها، وكأني بك وأنت تدعوني يابن أكله الأكياد جرعاً من النفاق المتتابع والقضاء الواقع ومصارع بين مصارع، إلى كتاب الله، وأنتم به كافرون، ولحدوده جاحدون».

ص: ٢٩٣

[هذا الكتاب، جواب لكتاب من معاوية، هذا هو:]

أما بعد؛ فقد طال في العيِّ إدراجك، وعن الحرب إبطاؤك، وعن النفاق تقاعسك، وعن الوقوف جداتك، وتوعد وعيد البطل المحامي، وتروع وروغان الثعلب الموارى، ما أعدك لكتاب! وأكلك عن الضراب الذي لا بدّ لك فيه من لقاء أسباب، صادقة نيّاتهم، شديدة بصائرهم، يضرّبون عن الحقّ من التوى، ويوفون بالعهد من إليهم ضوى، وما أقرب ما تعرف إن لم يتداركك الله منه برحمته، ويخرجك من أثر الغواية التي طال فيها تجبرك، وعن قريب تعرف عاقبة فعلك، وكفى بالله عليك رقيباً - والسلام.^{٩٠٨}

[صورة أخرى للكتاب المتقدم، على رواية المعتزلي عن المدائني:]

«أما بعد؛ فما أعجب ما يأتيني منك، وما أعلمني بما أنت إليه صائر! وليس إبطائي عنك إلّا ترقباً لما أنت له مُكذبٌ، وأنا به مُصدقٌ، وكأني بك عداً وأنت تضحج من الحرب ضجيج الجمال من الأثقال، وستدعوني أنت وأصحابك إلى كتاب تعظمونه بالسنتكم وتجدونه بقلوبكم، والسلام»^{٩٠٩}

٦٨ كتابه عليه السلام إلى معاوية

«ليتتمنّ الثور على كرهك، ولينفذنّ العلم بصغارك، ولتجازينّ بعملك، فعث في دنياك المنقطع عنك ما طاب لك، فكأنك بباطلك وقد انقضى، وبعملك وقد هوى، ثمّ تصير إلى لظى، لم يظلمك الله شيئاً، وما ربك بظلام للعبيد»^{٩١٠}

^{٩٠٧} (١). الفتوح: ج ٢ ص ٥٣٦.

^{٩٠٨} (١). الفتوح: ج ٢ ص ٥٣٧ و راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٥ ص ٨٠.

^{٩٠٩} (٢). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٦ ص ١٣٤؛ بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٨٦ ح ٤٠١.

٦٩ كتابه عليه السلام إلى معاوية

من كتابه عليه السلام إلى معاوية لما بلغه عليه السلام كتاب معاوية:

«أَمَا بَعْدُ، فَإِنَّ مَسَاوِيكَ مَعَ عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى فِيكَ، حَالَتْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَنْ يَصْلَحَ لَكَ أَمْرُكَ، وَأَنْ يُرْغَوَى قَلْبُكَ.

يَأْبُنَ الصَّخْرِ اللَّعِينِ زَعَمْتَ أَنْ يَزِنَ الْجِبَالَ حِلْمُكَ، وَيَفْصِلَ بَيْنَ أَهْلِ الشَّكِّ عِلْمُكَ، وَأَنْتَ الْجِلْفُ الْمُنَافِقُ الْأَعْلَفُ الْقَلْبُ، الْقَلِيلُ الْعَقْلُ، الْجَبَانُ الرَّذْلُ، فَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا فِيمَا تَسْطُرُ، وَيُعِينُكَ عَلَيْهِ أَخُو بَنِي سَهْمٍ، فَدَعِ النَّاسَ جَانِبًا، وَتَيْسَّرْ لِمَا دَعَوْتَنِي إِلَيْهِ مِنَ الْحَرْبِ، وَالصَّبْرِ عَلَى الضَّرْبِ، وَأَغْفِ الْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْقِتَالِ، لِيُعَلِّمَ أَئِنَّا الْمَرِينُ عَلَى قَلْبِهِ، الْمُعْطَى عَلَى بَصَرِهِ، فَأَنَا أَبُو الْحَسَنِ، قَاتِلُ جَدِّكَ وَأَخِيكَ وَخَالِكَ، وَمَا أَنْتَ مِنْهُمْ بِبَعِيدٍ، وَالسَّلَامُ».^{٩١١}

٧٠ كتابه عليه السلام إلى معاوية

«أَمَا بَعْدُ، فَطَالَ مَا دَعَوْتَ أَنْتَ وَأَوْلِيَاؤُكَ أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ الْحَقِّ أَسَاطِيرَ، وَنَبَذْتُمُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ، وَحَاوَلْتُمْ إِطْفَاءَ هَذَا بِأَفْوَاهِكُمْ، وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ وَوَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ».^{٩١٢}

وَلَعَمْرِي لَيُنْفِذَنَّ الْعِلْمُ فِيكَ، وَلَيَتِمَّنَّ النُّورُ بِصَغْرِكَ وَقَمَاءِ تِكِ، وَلَتُخْسَأَنَّ طَرِيدًا

مَدْحُورًا، أَوْ قَتِيلًا مَثُورًا، وَلَتُجْزَيْنَنَّ بَعْمَلِكَ حَيْثُ لَا نَاصِرَ لَكَ، وَلَا مُصْرِحَ عِنْدَكَ، وَقَدْ أُسْهَبَتْ فِي ذِكْرِ عَثْمَانَ، وَلَعَمْرِي مَا قَتَلَهُ غَيْرُكَ، وَلَا خَذَلَهُ سِوَاكَ، وَلَقَدْ تَرَبَّصْتُ بِهِ الدَّوَائِرَ، وَتَمَنَّيْتُ لَهُ الْأَمَانِيَّ طَمَعًا فِيمَا ظَهَرَ مِنْكَ، وَدَلَّ عَلَيْهِ فِعْلُكَ، وَإِنِّي لِأَرْجُو أَنْ أَلْحِقَكَ بِهِ عَلَى أَعْظَمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَأَكْبَرَ مِنْ خَطِيئَتِهِ.

فَأَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ صَاحِبِ السَّيْفِ، وَإِنَّ قَائِمَهُ لَفِي يَدِي، وَقَدْ عَلِمْتَ مَنْ قَتَلْتُ بِهِ مِنْ صَنَادِيدِ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، وَفِرَاعِنَهُ بَنِي سَهْمٍ وَجَمَحَ، وَبَنِي مَخْزُومٍ، وَأَيْتَمْتُ أَبْنَاءَهُمْ، وَأَيْتَمْتُ نِسَاءَهُمْ، وَأَذْكَرْتُ مَا لَسْتُ لَهُ نَاسِيًا يَوْمَ قَتَلْتُ أَخَاكَ حَنْظَلَةَ، وَجَرَزْتَ بِرِجْلِهِ إِلَى الْقَلِيبِ، وَأَسْرَتُ أَخَاكَ عَمْرًا، فَجَعَلْتُ غُنْقَهُ بَيْنَ سَاقِيهِ رِبَاطًا، وَطَلَبْتُكَ فَفَرَرْتَ وَلَكَ حُصَاصٌ، فَلَوْلَا أَنِّي لَا أَتَّبِعُ فَارًّا لَجَعَلْتُكَ ثَالِثَهُمَا، وَأَنَا أَوْلَى لَكَ بِاللَّهِ أَلْيَهُ بَرَّةً غَيْرَ فَاجِرَةٍ، لَئِنْ جَمَعْتَنِي وَإِيَّاكَ جِوَامِعَ الْأَقْدَارِ، لَأَتْرُكَنَّكَ مَثَلًا يَتَمَثَّلُ بِهِ النَّاسُ أَبَدًا، وَلَا جَعَجَعَنَّ بِكَ فِي مَنَاخِكَ، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ.

^{٩١٠} (٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٦ ص ١٣٥.

^{٩١١} (١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٦ ص ١٣٥، الفتوح: ج ٢ ص ٤٣٥، جبهة رسائل العرب: ج ١ ص ٤٢٧.

^{٩١٢} (٢) التوبة: ٣٢.

ولئن أنسا الله في أجلى قليلاً لأعزيتك سرايا المسلمين، ولأنهدن إليك في جحفل من المهاجرين والأنصار، ثم لا أقبل لك مخررة ولا شفاعاً، ولا أجيبتك إلى طلب وسؤال، ولترجعن إلى تحيرك وترددك وتلددك فقد شاهدت وأبصرت، ورأيت سحر الموت كيف هطلت عليك بصيبيها، حتى اعتصمت بكتاب أنت وأبوك أول من كفر وكذب بنزوله، ولقد كنت تفرستها وأذنتك إنك فاعلها وقد مضى منها ما مضى، وانقضى من كيدك فيها ما انقضى، وأنا سائر نحوك على أثر هذا الكتاب.

فاختر لنفسك وانظر لها، وتداركها، فإنك إن فطرت واستمررت على غيبك وغلوئك حتى ينهد إليك عباد الله، أريجت عليك الأمور، ومنعت أمراً هو اليوم

ص: ٢٩٦

منك مقبول.

يا بن حرب، إن لجاجك في منازعة الأمر أهله من سifah الرأى، فلا يطمعنك أهل الضلال، ولا يوبقنك سفه رأى الجهال. فوالذي نفس على بيده لئن برقت في وجهك بارقة من ذى الفقار، لتضعن صغفة لا تفيق منها حتى ينفخ في الصور، النفخة التي يئست منها «كما يئس الكفار من أصحاب القبور»^{٩١٣}»^{٩١٤}.

٧١ كتابه عليه السلام إلى عبد الله بن عامر

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من عبد الله على أمير المؤمنين إلى عبد الله بن عامر: أما بعد؛ فإن خير الناس عند الله عز و جل أقومهم لله بالطاعة فيما له و عليه، و أقولهم بالحق و لو كان مرأ، فإن الحق به قامت السماوات و الأرض، و لتكن سريرتك كعلايتك، و ليكن حكمك واحداً، و طريقك مستقيمة؛ فإن البصرة مهبط الشيطان، فلا تفتحن على يد أحد منهم باباً لا نطبق سده نحن و لا أنت، و السلام»^{٩١٥}.

أقول: عبد الله بن عامر هذا، إن كان هو عبد الله بن عامر بن كريز، ابن خال عثمان، عامل عثمان على البصرة، و قد قتل عثمان و هو عليها، و من الممكن أن يكتب إليه الإمام عليه السلام بعد ذلك و قبل عزله. و لكن ظاهر كلام نصر، أن هذا الكتاب

ص: ٢٩٧

^{٩١٣} (١) الممتحنة: ١٣.
^{٩١٤} (٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٥ ص ٨٣ و راجع: جمهرة رسائل العرب: ج ١ ص ٤٢٤.
^{٩١٥} (٣) وقعة صفين: ص ١٠٦.

كان بعد وقعة الجمل، حين كتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى عمّاله، فلقى طَلْحَةَ و الزُّبَيْرَ و رجع معهما إلى البصرة فلا مجال لأن يكتب عليه السلام إليه، مع أن مضمون الكتاب لا يناسب عبد الله. و إن كان عبد الله غيره فلم أعر عليه، و الذي أظن أن عبد الله بن عامر تصحيف، و الصحيح عبد الله بن العباس، و الظاهر أنه خطأ النَّسَّاجُ أو سهو الرواء، و الصواب: إلى عبد الله بن عباس، إذ لم يولَّ أمير المؤمنين عليه السلام عبد الله بن عامر ساعة، بل و لا أنا على البصرة، بل عزله و جميع عمّال عثمان. الخ. ٩١٦]

٧٢ كتابه عليه السلام إلى أهل الكوفة

لَمَّا ظَهَرَ عَلَى الْقَوْمِ بِالْبَصْرَةِ، كَتَبَ بِالْفَتْحِ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ:

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ حَكَمَ عَدْلًا لَا يُعَيِّرُ مَا بَقِيَ حَتَّى يُعَيِّرُوا مَا بَأْنَفْسِهِمْ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ، وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ.

أَخْبَرَكُمْ عَنَّا وَعَمَّن سَبَّحْنَا إِلَيْهِ مِنْ جُمُوعِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، وَمَنْ تَأَسَّبَ إِلَيْهِمْ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ مَعَ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ، وَنَكَيْتِهِمْ صَفْقَةً أَيْمَانِهِمْ، فَهَضَمْتُ مِنَ الْمَدِينَةِ حَيْثُ أَنْتَهَى إِلَيَّ خَبْرٌ مَنِ سَارَ إِلَيْهَا وَجَمَاعَتِهَا، وَمَا صَنَعُوا بِعَامِلِي عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ حَتَّى قَدِمْتُ ذَا قَارٍ، فَبَعَثْتُ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ، وَعَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ، وَقَيْسَ بْنَ سَعْدٍ،

ص: ٢٩٨

فَاسْتَنْفَرْتُكُمْ بِحَقِّ اللَّهِ وَحَقِّ رَسُولِهِ وَحَقِّي، فَأَقْبَلَ إِلَيَّ إِخْوَانُكُمْ سِرَاعًا حَتَّى قَدِمُوا عَلَيَّ، فَسَبَرْتُ بِهِمْ حَتَّى نَزَلَتْ ظَهْرَ الْبَصْرَةِ، فَأَعْذَرْتُ بِالذُّعَاءِ، وَقُمْتُ بِالْحُجَّةِ، وَأَقْلَتُ الْعَثْرَةَ وَالزَّلَّةَ مِنْ أَهْلِ الرَّدَّةِ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ، وَاسْتَبْتَبْتُهُمْ مِنْ نَكَيْتِهِمْ بَيْعَتِي وَعَهْدِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، فَأَبَوْا إِلَّا قِتَالِي وَقِتَالَ مَنْ مَعِيَ، وَالتَّمَادَى فِي الْبَغْيِ، فَنَاهَضْتُهُمْ بِالْجِهَادِ، فَقَتَلَ اللَّهُ مَنْ قَتَلَ مِنْهُمْ نَاكِثًا، وَوَلَّى مَنْ وَلَّى إِلَى مِصْرِهِمْ، وَقَتَلَ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ عَلَى نَكَيْتِهِمَا وَشِقَاقِهِمَا، وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ عَلَيْهِمْ أَشْأَمَ مِنْ نَاقَةِ الْحِجْرِ، فَخَذَلُوا وَأَذْبَرُوا وَتَقَطَّعَتْ بِهِمِ الْأَسْبَابُ، فَلَمَّا رَأَوْا مَا حَلَّ بِهِمْ سَأَلُونِي الْعَفْوَ، فَاقْبَلْتُ مِنْهُمْ، وَعَمَدْتُ السَّيْفَ عَنْهُمْ، وَأَجْرِيْتُ الْحَقَّ وَالسُّنَّةَ بَيْنَهُمْ، وَاسْتَعْمَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ عَلَى الْبَصْرَةِ، وَأَنَا سَائِرٌ إِلَى الْكُوفَةِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ زَحْرَبَانَ قَيْسِي

الجُعْفِيُّ، لِتَسْأَلُوهُ فَيُخْبِرُكُمْ عَنَّا وَعَنْهُمْ، وَرَدَّاهُمْ الْحَقَّ عَلَيْنَا، وَرَدَّ اللَّهُ لَهُمْ وَهُمْ كَارِهُونَ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ».^{٩١٧}

٧٣ كتابه عليه السلام إلى مروان

[جمع معاوية النَّاسِ ...] حَتَّى نَزَلَ بِأَوَّلِ مَنْزِلٍ مِنْ دِمَشْقٍ، فَضْرَبَ عَسْكَرَهُ هُنَالِكَ لِكَيْ تَتَلَحَّقَ بِهِ النَّاسُ، وَكَتَبَ مَرْوَانَ إِلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَبِياتاً مِنَ الشَّعْرِ يَقُولُ مَطْلَعُهَا:

لَنَعْلَمَ مَا فِي السَّبْرِ مِنْ شَرَفِ الْقَتْلِ

نَسِيرٌ إِلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ وَآنَا

فَلَمَّا وَرَدَ هَذَا الشَّعْرُ عَلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ، عَلِمَ عَلِيٌّ وَأَصْحَابُهُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ فَصَلَ مِنْ دِمَشْقَ إِلَى مَا قَبْلَهُ، فَقَالَ لِلنَّجَاشِيِّ بْنِ الْحَارِثِ:

«أَجِبْ مَرْوَانَ عَلَى شِعْرِهِ هَذَا»؛

فَأَجَابَهُ

ص: ٢٩٩

النَّجَاشِيُّ وَهُوَ يَقُولُ شِعْرًا مَطْلَعُهَا:

وَإِنْ كَانَ فِيمَا بَيْنَنَا شَرَفُ الْقَتْلِ^{٩١٨}

نَسِيرٌ إِلَيْكُمْ بِالْقَبَائِلِ وَالْقَنَا

٧٤ كتابه عليه السلام إلى معاوية

قال ابن قُتَيْبَةَ فِي الْإِمَامَةِ وَالسِّيَاسَةِ، بَعْدَ نَقْلِهِ كِتَابَ مُعَاوِيَةَ الْآتِي: فَأَجَابَهُ عَلِيٌّ:

^{٩١٧} (١). الإرشاد: ج ١ ص ٢٥٨ وراجع: الجمل: ص ٢١٣.

^{٩١٨} (١). الفتوح: ج ٢ ص ٥٣٧.

«أَمَا بَعْدُ، فَقَدِّرِ الْأُمُورَ تَقْدِيرَ مَنْ يَنْظُرُ لِنَفْسِهِ دُونَ جُنْدٍ، وَلَا يَسْتَعِيلُ بِالْهَزْلِ مِنْ قَوْلِهِ، فَلَعَمْرِي لَئِنْ كَانَتْ قُوَّتِي بِأَهْلِ الْعِرَاقِ، أَوْتَقُّ عِنْدِي مِنْ قُوَّتِي بِاللَّهِ وَمَعْرِفَتِي بِهِ، فَلَيْسَ عِنْدَهُ بِاللَّهِ تَعَالَى يَقِينٌ مَنْ كَانَ عَلَى هَذَا. فَنَاجِ نَفْسَكَ مُنَاجَاةً مَنْ يَسْتَعِينِي بِالْجِدِّ دُونَ الْهَزْلِ، فَإِنَّ فِي الْقَوْلِ سَعَةً، وَلَنْ يُعَذَّرَ مِثْلَكَ فِيمَا طَمَحَ إِلَيْهِ الرَّجَالُ.»

وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ أَنَا كُنَّا وَإِيَّاكُمْ يَدَا جَامِعَةً، فَكُنَّا كَمَا ذَكَرْتَ، فَفَرَّقُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ اللَّهَ بَعَثَ رَسُولَهُ مِنَّا، فَأَمَّا بِهِ وَكَفَرْتُمْ.

ثُمَّ زَعَمْتَ أَنِّي قَتَلْتُ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ، فَذَلِكَ أَمْرٌ غِيبَتْ عَنْهُ وَلَمْ تَحْضُرْهُ، وَلَوْ حَضَرْتَهُ لَعَلِمْتَهُ، فَلَا عَلَيْكَ، وَلَا الْعِذْرُ فِيهِ إِلَيْكَ، وَزَعَمْتَ أَنَّكَ زَائِرِي فِي الْمُهَاجِرِينَ، وَقَدْ انْقَطَعَتِ الْهَجْرَةُ حِينَ أُسِرَ أَخُوكَ، فَإِنَّ يَكُ فِيكَ عَجَلٌ فَاسْتَرْفِهِ^{٩١٩}، وَإِنْ أُرْزِكَ فَجَدِيرٌ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ بِعَشْنِي عَلَيْكَ لِلنَّقِمَةِ مِنْكَ، وَالسَّلَامُ.»

[نصّ كتاب معاوية إلى أمير المؤمنين عليه السلام، والذي كان هذا الكتاب جواباً له:]

سلام الله على من أتبع الهدى، أَمَا بَعْدُ، فَإِنَّا كُنَّا نَحْنُ وَإِيَّاكُمْ يَدَا جَامِعَةً، وَ أَلْفَةً

ص: ٣٠٠

أَلَيْفَةً، حَتَّى طَمَعْتَ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ فَتَغَيَّرْتَ، وَ أَصْبَحْتَ تُعِدُّ نَفْسَكَ قَوِيًّا عَلَى مَنْ عَادَاكَ، بَطْغَامِ أَهْلِ الْحِجَازِ، وَ أُوْبَاشِ أَهْلِ الْعِرَاقِ، وَ حَمَقَى الْفُسْطَاطِ، وَ غَوَّاءِ السَّوَادِ، وَ أَيْمِ اللَّهِ، لَيَنْجِلِينَ عَنْكَ حَمَقَاهَا، وَ لَيَنْقَشِعَنَّ عَنْكَ غَوَّاءُهَا انْقِشَاعَ السَّحَابِ عَنِ السَّمَاءِ.

قَتَلْتَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ، وَ رَقِيتَ سَلْمًا، أَطَّلَعَكَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَطْلَعِ سُوءٍ عَلَيْكَ لَا لَكَ. وَ قَتَلْتَ الزُّبَيْرَ وَ طَلْحَةَ، وَ شَرَدْتَ بِأَمْرِكَ عَائِشَةَ، وَ نَزَلْتَ بَيْنَ الْمِصْرَيْنِ، فَتَمَنَّيْتَ وَ تَمَنَّيْتَ، وَ خِيَلْتَ لَكَ أَنَّ الدُّنْيَا قَدْ سُخِّرَتْ لَكَ بِخِيَلِهَا وَ رَجْلِهَا، وَإِنَّمَا تَعْرِفُ أَمْنِيَّتَكَ لَوْ قَدْ زُرْتُكَ فِي الْمُهَاجِرِينَ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ بَقِيَّةِ الْإِسْلَامِ، فَيُحِيطُونَ بِكَ مِنْ وَرَائِكَ، ثُمَّ يَقْضِي اللَّهُ عِلْمَهُ فِيكَ، وَ السَّلَامُ عَلَى أَوْلِيَاءِ اللَّهِ.^{٩٢٠}

٧٥ كتابه عليه السلام إلى معاوية

«أَمَا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَعَلَ الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا، وَابْتَلَى فِيهَا أَهْلَهَا لِيَعْلَمَ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا، وَلسْنَا لِلدُّنْيَا خُلُقْنَا، وَلَا بِالسَّعْيِ فِيهَا أَمْرُنَا، وَإِنَّمَا وَضَعْنَا فِيهَا لِنُبْتَلَى بِهَا، وَقَدْ ابْتَلَانِي اللَّهُ بِكَ وَابْتَلَاكَ بِي، فَجَعَلَ أَحَدَنَا حُجَّةً عَلَى الْآخَرِ، فَعَدَوْتُ عَلَى الدُّنْيَا بِتَأْوِيلِ الْقُرْآنِ، فَطَلَبْتَنِي بِمَا لَمْ تَجْنِ يَدِي وَلَا لِسَانِي، وَعَصَيْتَهُ أَنْتَ وَأَهْلُ الشَّامِ بِي، وَاللَّبَّ غَالِمُكُمْ جَاهِلُكُمْ، وَقَائِمُكُمْ قَاعِدُكُمْ، فَاتَّقِ اللَّهَ فِي نَفْسِكَ، وَنَازِعِ الشَّيْطَانَ قِيَادَكَ، وَاصْرِفْ إِلَى الْآخِرَةِ وَجْهَكَ، فَهِيَ طَرِيقُنَا وَطَرِيقُكَ، وَاحْذَرْ أَنْ يُصِيبَكَ اللَّهُ مِنْهُ بِعَاجِلٍ قَارِعَةٍ تَمَسُّ الْأَصْلَ وَتَقْطَعُ الدَّابِرَ، فَإِنِّي أُولَى لَكَ بِاللَّهِ أَلِيَّةً^{٩٢١}»

^{٩١٩} (٢) استترفه: فعل أمر، أي استرح و لا تستعجل.

^{٩٢٠} (١) الإمامة و السياسة: ج ١ ص ١٠٠، جمهرة رسائل العرب: ج ١ ص ٤١٣ الرقم ٤٠٤ و ٤٠٥.

^{٩٢١} (٢) ألى يولي إيلاء: أقسم و حلف (تاج العروس: ج ١٩ ص ١٦٤ «ألى»).

غَيْرَ فَاجِرَةٍ، لَيْنُ جَمَعْتَنِي وَإِيَّاكَ جَوَامِعُ الْأَقْدَارِ، لَا أَزَالُ بِبَاحْتِكَ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا، وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (و السَّلَام)».^{٩٢٢}

٧٦ كتابه عليه السلام إلى معاوية

من كتاب له عليه السلام إلى معاوية جواباً عن كتاب منه:

«وَأَمَّا طَلَبَكَ إِلَى الشَّامِ، فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ لِأَعْطِيكَ الْيَوْمَ مَا مَنَعْتِكَ أَمْسٍ. وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّ الْحَرْبَ قَدْ أَكَلَتْ الْعَرَبَ إِلَّا حَشَاشَاتِ أَنْفُسٍ بَقِيَتْ، أَوْ لَا وَمَنْ أَكَلَهُ الْحَقُّ، فَإِلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ أَكَلَهُ الْبَاطِلُ فَإِلَى النَّارِ.

وَأَمَّا اسْتِوَاؤُنَا فِي الْحَرْبِ وَالرِّجَالِ، فَلَسْتُ بِأَمْضَى عَلَى الشَّكِّ مِثِّي عَلَى الْبِقِيْنِ، وَلَيْسَ أَهْلُ الشَّامِ بِأَحْرَصَ عَلَى الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ عَلَى الْآخِرَةِ.

وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ فَكَذَلِكَ نَحْنُ، وَلَكِنْ لَيْسَ أَمِيَّةُ كَهَاشِمٍ، وَلَا حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَلَا أَبُو سُفْيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ وَلَا الْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيْقِ، وَلَا الصَّرِيْحُ كَالصَّيْقِ، وَلَا الْمُحِقُّ كَالْمُبْطِلِ، وَلَا الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ، وَلَيْسَ الْخَلْفُ خَلْفٌ يَتَّبِعُ سَلْفًا هُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ!

وَفِي أَيِّدِنَا بَعْدَ فَضْلِ النَّبُوَّةِ الَّتِي أَذَلَّلْنَا بِهَا الْعَزِيْزَ، وَنَعَشْنَا بِهَا الدَّلِيْلَ، وَلَمَّا أَدْخَلَ اللَّهُ الْعَرَبَ فِي دِيْنِهِ أَفْوَاجًا، وَأَسْلَمَتْ لَهُ هَذِهِ الْأُمَّةُ طَوْعًا وَكَرْهًا، كُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي الدِّيْنِ إِمَّا رَغْبَةً وَإِمَّا رَهْبَةً، عَلَى حِيْنٍ فَازَ أَهْلُ السَّبْقِ بِسَبْقِهِمْ، وَذَهَبَ الْمُهَاجِرُونَ الْأَوْلُونَ بِفَضْلِهِمْ، فَلَا تَجْعَلَنَّ لِلشَّيْطَانِ فِيكَ نَصِيْبًا، وَلَا عَلَى نَفْسِكَ

سَبِيْلًا، وَالسَّلَامُ».^{٩٢٣}

٧٧ كتابه عليه السلام إلى معاوية

«أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ أَنْ لَكَ أَنْ تَنْتَفِعَ بِاللَّمْحِ الْبَاصِرِ مِنْ عِيَانِ الْأُمُورِ، فَقَدْ سَلَكْتَ مَدَارِجَ أَسْلَافِكَ بِأَدْعَائِكَ الْبَاطِلِيَّةِ، وَافْتِحَامِكَ غُرُورِ الْمُؤْمِنِ وَالْأَكَاذِيْبِ، وَبِانْتِحَالِكَ مَا قَدْ عَلَا عَنْكَ، وَابْتِرَازِكَ لِمَا قَدْ اخْتَرَنَ دُونَكَ فِرَارًا مِنَ الْحَقِّ، وَجُحُودًا لِمَا هُوَ الْزَمَ لَكَ مِنْ لَحْمِكَ وَدَمِكَ، مِمَّا قَدْ وَغَاهُ سَمْعُكَ، وَمُلِيَ بِهِ صَدْرُكَ، فَمَآذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ الْمُؤْمِنُ، وَبَعْدَ الْبَيَانِ إِلَّا اللَّبْسُ؟!»

^{٩٢٢} (١) نهج البلاغة: الكتاب ٥٥ وراجع: جمهرة رسائل العرب: ج ١ ص ٤٣٥، المعيار و الموازنة: ص ١٣٨.
^{٩٢٣} (١) نهج البلاغة: الكتاب ١٧ وراجع: وقعة صفين: ص ٤٧١، المناقب لابن شهر آشوب: ج ٣ ص ١٧٩، كتاب سليم بن قيس: ص ١٩٣؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٥ ص ١٢٣، المحاسن و المساوي: ص ٥٣، المناقب للخوارزمي: ص ١٧٩، الإمامة و السياسة: ص ١٠٣، الفتح: ج ٣ ص ٢٥٩، مروج الذهب: ج ٣ ص ٢٢.

فَاخَذَرَ الشُّبْهَةَ وَأَشِيمَالَهَا عَلَى لُبْسِيهَا، فَإِنَّ الْفِتْنَةَ طَالَمَا أَعْدَفَتْ جَلَابِيهَا، وَأَعَشَّتِ الْأَبْصَارَ ظَلَمَتَهَا، وَقَدْ أَتَانِي كِتَابٌ مِنْكَ ذُو
أَقَانِينَ مِنَ الْقَوْلِ ضَعَفَتْ قُوَاهَا عَنِ السَّلْمِ، وَأَسَاطِيرَ لَمْ يَحْكُمَا مِنْكَ عِلْمٌ وَلَا حِلْمٌ، أَصْبَحْتَ مِنْهَا كَالْخَائِضِ فِي الدَّهَاسِ^{٩٢٤}،
وَالْخَابِطِ فِي الدِّيْمَاسِ^{٩٢٥}، وَتَرَقَّيْتَ إِلَى مَرْقَبَةٍ بَعِيدَةِ الْمَرَامِ، نَازِحَةَ الْأَعْلَامِ، تَقْصُرُ دُونَهَا الْأَنْوُقُ^{٩٢٦}، وَيُحَاذِي بِهَا الْعَبُوقُ^{٩٢٧}!

وَحَاشَ لِلَّهِ أَنْ تَلِيََ لِلْمُسْلِمِينَ بَعْدِي صَدْرًا أَوْ وَرْدًا، أَوْ أُجْرَى لَكَ عَلَى أَحَدٍ

ص: ٣٠٣

مِنْهُمْ عَقْدًا أَوْ عَهْدًا، فَمِنَ الْآنَ فَتَدَارَكَ نَفْسَكَ وَانظُرْ لَهَا، فَإِنَّكَ إِنْ فَرَطْتَ حَتَّى يَنْهَدَ إِلَيْكَ عِبَادُ اللَّهِ أُرْنِجْتَ عَلَيْكَ الْأُمُورُ،
وَمُنِعْتَ أَمْرًا هُوَ مِنْكَ الْيَوْمَ مَقْبُولٌ، وَالسَّلَامُ»^{٩٢٨}.

٧٨ كتابه عليه السلام إلى معاوية

«أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي عَلَى التَّرَدُّدِ فِي جَوَابِكَ، وَالِاسْتِمَاعِ إِلَى كِتَابِكَ لِمَوْهَنْ رَأْيِي، وَمُخْطَئِي فِرَاسَتِي، وَإِنَّكَ إِذْ تُحَاوِلُنِي الْأُمُورَ،
وَتُرَاجِعُنِي السُّطُورَ، كَالْمُسْتَثْقِلِ النَّائِمِ تَكْذِيبُهُ أَحْلَامُهُ، وَالْمُتَحَيِّرِ الْقَائِمِ يَبْهَظُهُ مَقَامُهُ، لَا يَدْرِي أَلَهُ مَا يَأْتِي أَمْ عَلَيْهِ، وَلَسْتَ بِهِ
غَيْرَ أَنَّهُ بِكَ شَبِيهٌ.

وَأُقْسِمُ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَوْ لَا بَعْضُ الْاسْتِنْقَاءِ لَوْصَلَتْ إِلَيْكَ مِنِّي قَوَارِعُ تَقَرُّعِ الْعِظَمِ، وَتَهْلِسُ اللَّحْمِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ تَبَطَّكَ عَنْ أَنْ تُرَاجِعَ أَحْسَنَ أُمُورِكَ، وَتَأْذَنَ لِمَقَالِ نَصِيحَتِكَ، وَالسَّلَامُ لِأَهْلِهِ»^{٩٢٩}

٧٩ كتابه عليه السلام إلى معاوية

«أَمَا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا مَشْغَلَةٌ عَنْ غَيْرِهَا، وَلَمْ يُصِبْ صَاحِبُهَا مِنْهَا شَيْئًا، إِلَّا فَتَحَتْ لَهُ حِرْصًا عَلَيْهَا وَلَهْجًا بِهَا، وَلَنْ يَسْتَعْنِيَ
صَاحِبُهَا بِمَا نَالَ فِيهَا عَمَّا لَمْ يَبْلُغْهُ مِنْهَا،

ص: ٣٠٤

وَمِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ فِرَاقٌ مَا جَمَعَ، وَنَقْضٌ مَا أُبْرِمَ، وَلَوْ اعْتَبَرْتَ بِمَا مَضَى حَفِظْتَ مَا بَقِيَ، وَالسَّلَامُ»^{٩٣٠}.

^{٩٢٤} (٢) الدَّهَاسُ وَالدَّهْسُ: مَا سَهْلٌ وَلَا مِنْ الْأَرْضِ، وَ لَمْ يَبْلُغْ أَنْ يَكُونَ رَمْلًا. (النهاية: ج ٢ ص ١٤٥)

^{٩٢٥} (٣) دِيمَاسٌ، هُوَ بِالْفَتْحِ وَ الْكسْرِ: الْكِنُّ، أَي: كَأَنَّهُ مَخْذَرٌ لَمْ يَرِ شَمْسًا، وَ فِيهِ: «كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ».

^{٩٢٦} (٤) أَنْوُقٌ، جَمْعُ فُلَّةٍ لِنَاقَةٍ. (النهاية: ج ٥ ص ١٢٩)

^{٩٢٧} (٥) الْعَبُوقُ: نَجْمٌ أَحْمَرٌ مَضِيءٌ فِي طَرَفِ الْمَجْرَةِ الْأَيْمَنِ، يَتَلَوُّ الثُّرَيَّا لَا يَتَقَدَّمُهُ. (لسان العرب: ج ١٠ ص ٢٨٠)

^{٩٢٨} (١) نَهْجُ الْبِلَاغَةِ: الْكِتَابُ ٦٥؛ شَرَحَ نَهْجَ الْبِلَاغَةِ لِابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ: ج ١٨ ص ٢٧.

^{٩٢٩} (٢) نَهْجُ الْبِلَاغَةِ: الْكِتَابُ ٧٣.

^{٩٣٠} (١) نَهْجُ الْبِلَاغَةِ: الْكِتَابُ ٤٩ وَ رَاجِعْ: وَقَعَةُ صَفِينِ: ص ١١٠؛ شَرَحَ نَهْجَ الْبِلَاغَةِ لِابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ: ج ٢ ص ٢٢٧ وَ ج ١٧ ص ١٥، الْفَتْوح: ج ٣

ص ٣٢٣.

٨٠ كتابه عليه السلام إلى أهل البصرة

«وَقَدْ كَانَ مِنْ انْتِشَارِ حَبْلِكُمْ وَشِقَاقِكُمْ مَا لَمْ تَغْبُوا عَنْهُ، فَعَفَوْتُ عَنْ مُجْرِمِكُمْ، وَرَفَعْتُ السَّيْفَ عَنْ مُدْبِرِكُمْ، وَقَبِلْتُ مِنْ مُقْبِلِكُمْ، فَإِنْ خَطَّتْ بِكُمْ الْأُمُورُ الْمُرْدِيَّةُ، وَسَفَهُ الْإِرَاءِ الْجَائِرَةُ، إِلَى مُنَابَذَتِي وَخِلَافِي، فَهَذَا أَنَا ذَا قَدْ قَرَّبْتُ جِيَادِي، وَرَحَلْتُ رِكَابِي، وَلَيْنَ الْجَائِثُمُونِي إِلَى الْمَسِيرِ إِلَيْكُمْ، لِأَوْعِنَ بِكُمْ وَفَعَلَهُ لَا يَكُونُ يَوْمَ الْجَمَلِ إِلَيْهَا إِلَّا كَلْعَفَهُ لَاعِقِي، مَعَ أَنِّي عَارِفٌ لِذِي الطَّاعَةِ مِنْكُمْ فَضْلُهُ، وَلِذِي النَّصِيحَةِ حَقُّهُ، غَيْرُ مُتَجَاوِزٍ مَتَّهَمًا إِلَى بَرِيٍّ، وَلَا نَاكِثًا إِلَى وَفِيٍّ».^{٩٣١}

٨١ كتابه عليه السلام إلى عمرو بن العاص

«فَإِنَّكَ قَدْ جَعَلْتَ دِينَكَ تَبَعًا لِدُنْيَا امْرِئٍ ظَاهِرٍ غَيْبُهُ، مَهْتُوكٍ سِتْرُهُ، يَشِينُ الْكَرِيمَ بِمَجْلِسِهِ، وَيُسَفِّهُ الْحَلِيمَ بِخِلَاطَتِهِ، فَاتَّبَعْتَ أَثْرَهُ، وَطَلَبْتَ فَضْلَهُ، اتَّبَعَ الْكَلْبُ لِلضَّرْعَامِ يَلُودُ بِمَخَالِبِهِ، وَيَنْتَظِرُ مَا يُلْقَى إِلَيْهِ مِنْ فَضْلِ فَرِيَسْتِهِ، فَأَذْهَبْتَ دُنْيَاكَ

ص: ٣٠٥

وَآخِرَتَكَ وَلَوْ بِالْحَقِّ أَخَذْتَ أَدْرَكَتَ مَا طَلَبْتَ، فَإِنْ يُمَكِّنِي اللَّهُ مِنْكَ وَمِنْ ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ أَجْرِكُمْ بِمَا قَدَّمْتُمْ، وَإِنْ تُعْجِزَا وَتَبْقِيَا فَمَا أَمَامَكُمْ شَرٌّ لَكُمْ، وَالسَّلَامُ».^{٩٣٢}

٨٢ كتابه عليه السلام إلى معاوية

الحسين بن عبد الله السكيني: عن أبي سعيد البجليّ (النحليّ)، عن عبد الملك بن هارون، عن أبي عبد الله عليه السلام عن آبائه عليهم السلام، قال:

لَمَّا بَلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمْرُ مَعَاوِيَةَ، وَأَنَّهُ فِي مِئَةِ أَلْفٍ، قَالَ: مِنْ أَيِّ الْقَوْمِ؟ قَالُوا: مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا تَقُولُوا: مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، وَلَكِنْ قُولُوا: مِنْ أَهْلِ الشُّؤْمِ، هُمْ مِنْ أَبْنَاءِ مُضَرَ، لُعِنُوا عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ، فَجَعَلَ اللَّهُ مِنْهُمْ الْقِرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ».

ثُمَّ كَتَبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى مَعَاوِيَةَ:

«لَا تَقْتُلِ النَّاسَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَ (لَكِنْ) هَلُمَّ إِلَى الْمُبَارَزَةِ، فَإِنْ أَنَا قَتَلْتُكَ فَإِلَى النَّارِ أَنْتَ، وَتَسْتَرِيحُ النَّاسُ مِنْكَ وَمِنْ ضَالَّتِكَ، وَإِنْ قَتَلْتَنِي فَأَنَا إِلَى الْجَنَّةِ، وَيُعْمَدُ عَنْكَ السَّيْفُ الَّذِي لَا يَسْعُنِي غَمْدُهُ حَتَّى أُرَدَّ مَكْرَكَ وَبَدَعَتَكَ».

^{٩٣١} (٢). نهج البلاغة: الكتاب ٢٩ و راجع: الغارات: ج ١ ص ٤٠٣؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٤ ص ٤٩، الكامل لابن الأثير: ج ٣ ص ١٨٢، تاريخ الطبري: ج ٩ ص ٦٣، أنساب الأشراف: ص ٤١٢، جمهرة رسائل العرب: ج ١ ص ٥٧٥.
^{٩٣٢} (١). نهج البلاغة: الكتاب ٣٩ و راجع: الاحتجاج: ج ١ ص ٢٦٨، الغدير: ج ٢ ص ١٣٠، جمهرة رسائل العرب: ج ١ ص ٤٨٦.

وَأَنَا الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ اسْمَهُ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ بِمُوازِنَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ بَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فِي قَوْلِهِ: «لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ»^{٩٣٣}»^{٩٣٤}.

ص: ٣٠٦

٨٣ كتابه عليه السلام إلى معاوية

«فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا، وَاجْتِيَا حَاضِرِنَا، وَهَمُّوا بِنَا الْهَمُومَ، وَفَعَلُوا بِنَا الْأَفَاعِيلَ، وَمَنَعُونَا الْعَذْبَ، وَأَخْلَسُونَا الْخَوْفَ، وَاضْطَرُّونَا إِلَى جَبَلٍ وَعَرِيٍّ، وَأَوْقَدُوا لَنَا نَارَ الْحَرْبِ، فَعَزَمَ اللَّهُ لَنَا عَلَى الذَّبِّ عَنْ حَوْزَتِهِ، وَالرَّمْيِ مِنْ وَرَاءِ حُرْمَتِهِ.

مُؤْمِنُنَا يَبْغِي بِذَلِكَ الْأَجْرَ، وَكَافِرُنَا يُحَامِي عَنِ الْأَصْلِ، وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قُرَيْشٍ خَلَوْا مِمَّا نَحْنُ فِيهِ بِحِلْفٍ يَمْنَعُهُ، أَوْ عَشِيرَةٍ تَقُومُ دُونَهُ، فَهُوَ مِنَ الْقَتْلِ بِمَكَانٍ أَمْنٍ.

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: إِذَا احْمَرَّتِ الْبَأْسُ، وَأَحْجَمَ النَّاسُ، قَدَّمَ أَهْلَ بَيْتِهِ فَوْقَى بِهِمْ أَصْحَابَهُ حَرَّ السَّيْفِ وَالْأَسِنَّةِ، فَقَتَلَ عَبِيدَةَ بْنَ الْحَارِثِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَقَتَلَ حَمْرَةَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَقَتَلَ جَعْفَرَ يَوْمَ مُؤْتَةَ.

وَأَرَادَ مَنْ لَوْ شِئْتُ ذَكَرْتُ اسْمَهُ مِثْلَ الَّذِي أَرَادُوا مِنَ الشَّهَادَةِ، وَلَكِنْ أَجَالَهُمْ عَجَلَتْ، وَمَنْبَيْتُهُ أَجَلَتْ، فَيَا عَجَبًا لِلدَّهْرِ، إِذْ صِرْتُ يُقْرَنُ بِي مَنْ لَمْ يَسْعَ بِقَدَمِي، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ كَسَابِقَتِي الَّتِي لَا يُدْلِي أَحَدٌ بِمِثْلِهَا، إِلَّا أَنْ يَدْعَى مُدْعٍ مَا لَا أَعْرِفُهُ، وَلَا أَظُنُّ اللَّهَ يَعْرِفُهُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ.

وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ مِنْ دَفْعِ قَتْلَةِ عُثْمَانَ إِلَيْكَ، فَإِنِّي نَظَرْتُ فِي هَذَا الْأَمْرِ فَلَمْ أَرَهُ يَسْعُنِي دَفْعُهُمْ إِلَيْكَ، وَلَا إِلَى غَيْرِكَ، وَلَعَمْرِي لَئِنْ لَمْ تُنْزِعْ عَنْ غَيْبِكَ وَشِقَاقِكَ، لَتَعْرِفْتَهُمْ عَنْ قَلِيلٍ يَطْلُبُونَكَ، لَا يُكَلِّفُونَكَ طَلَبَهُمْ فِي بَرٍّ وَلَا بَحْرٍ، وَلَا جَبَلٍ وَلَا سَهْلٍ، إِلَّا أَنَّهُ طَلَبٌ يَسْوُوكَ وَجِدَانُهُ، وَزَوْرٌ لَا يَسْرُكُ لُفْيَانُهُ، وَالسَّلَامُ لِأَهْلِهِ»^{٩٣٥}.

ص: ٣٠٧

٨٤ كتابه عليه السلام إلى معاوية

«أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ قَرَأْتُ كِتَابَكَ فَكَثُرَ مَا يُعْجِبُنِي مِمَّا حَظَّتْ فِيهِ يَدُكَ، وَأَطْنَبْتَ فِيهِ مِنْ كَلَامِكَ، وَمِنَ الْبَلَاءِ الْعَظِيمِ، وَالخَطْبِ الْجَلِيلِ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ، أَنْ يَكُونَ مِثْلَكَ يَتَكَلَّمُ، أَوْ يَنْظُرُ فِي غَامَّةِ أَمْرِهِمْ، أَوْ خَاصَّتِهِ وَأَنْتَ مَنْ تَعَلَّمَ، وَابْنُ مَنْ قَدْ عَلِمْتَ، وَأَنَا مَنْ قَدْ عَلِمْتُ، وَابْنُ مَنْ تَعَلَّمَ.

^{٩٣٣} (٢) الفتح: ١٨.
^{٩٣٤} (٣) تفسير القمّي: ج ٢ ص ٢٦٨ وراجع: الاحتجاج: ص ٢٦٩، وقعة صفين: ص ١٣٢، بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ١٣٣؛ المحاسن و المساوي للبيهقي: ص ٥٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٣ ص ١٨٨، مروج الذهب: ج ٣ ص ٢١، أنساب الأشراف: ج ٢ ص ٣٩٨.
^{٩٣٥} (١) نهج البلاغة: الكتاب ٩.

وسأجيبك فيما قد كتبت بجواب لا أظنك تعقله أنت، ولا وزيرك ابن النابغة عمرو، الموافق لك كما وافق شن طبقة، فإنه هو الذي أمرك بهذا الكتاب، وزينه لك، أو حصركما فيه إبليس ومردة أصحابه - وفي رواية أخرى: ومردة أبلستيه -.

وإن رسول^{٩٣٦} صلى الله عليه وآله قد كان خبرني أنه رأى على منبره إثني عشر رجلاً أئمة ضاللة من قريش، يصعدون على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله، وينزلون على صورة القروذ، يردون أئمة على أديارهم عن الصراط المستقيم.

اللهم وقد خبرني بأسمائهم رجلاً رجلاً، وكم يملك كل واحد منهم، واحد بعد واحد، عشرة منهم من بنى أمية، ورجلين من حيين مختلفين من قريش، عليهما مثل أوزار الأمة جميعاً إلى يوم القيامة، ومثل جميع عذابهم، فليس دم يهراق في غير حقه، ولا فرج يُعشى، ولا حكم بغير حق، إلا كان عليهما وزر.

وسمعته يقول: إن بنى أبي العاص إذا بلغوا ثلاثين رجلاً جعلوا كتاب الله دخلاً، وعباد الله خولاً، ومال الله دؤلاً.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أخى إنك لست كمثلى، إن الله أمرني أن أصدع بالحق.

ص: ٣٠٨

وأخبرني أنه يعصمني من الناس، فأمرني أن أجاهد ولو بنفسى، فقال: «فقتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك»^{٩٣٧} وقال: «حرض المؤمنين على القتال»^{٩٣٨}، وقد مكثت بمكة ما مكثت لم أؤمر بقتال، ثم أمرني بالقتال، لأنه لا يعرف الدين إلا بى، ولا الشرايع، ولا السنن والأحكام والحدود والحلال والحرام، وإن الناس يدعون بعدى ما أمرهم الله به، وما أمرهم فيك من ولايتك، وما أظهرت من محبتك متعمدين غير جاهلين، مخالفة لما أنزل الله فيك، فإن وجدت أعواناً عليهم فجاهدوهم، فإن لم تجد أعواناً فاكف يدك، واحقن دمك، فإنك إن نابذتهم قتلوك، وإن تابعوك وأطاعوك فاحملهم على الحق، وإلا فادع الناس، فإن استجابوا لك ووازرؤك فجاهدوهم، وإن لم تجد أعواناً فاكف يدك واحقن دمك.

واعلم أنك إن دعوتهم لم يستجيبوا لك، فلا تدعن عن أن تجعل الحجة عليهم، إنك يا أخى لست مثلى، إنى قد أقمت حجتك، وأظهرت لهم ما أنزل الله فيك، وإنه لم يعلم أنى رسول الله، وأن حقى وطاعتى واجبان حتى أظهرت ذلك، وأما أنت فإنى كنت قد أظهرت حجتك، وقمت بأمرك، فإن سكت عنهم لم تأثم غير أنه أحب أن تدعوهم، وإن لم يستجيبوا لك، ولم يقبلوا منك، وتظاهرت عليك ظلمة قريش فدعهم، فإنى أخاف عليك إن ناهضت القوم، ونابذتهم، وجاهدتهم، من غير أن يكون معك فئة تقوى بهم أن يقتلوك، والتقية من دين الله، ولا دين لمن لا تقية له.

وإن الله قضى الاختلاف، والفرقة على هذه الأمة، ولو شاء لجمعهم على الهدى، ولم يختلف إثنان منها، ولا من خلقه، ولم يتنازع فى شىء من أمره، ولم

^{٩٣٦} (١) هكذا فى المصدر، و يبدو أن فيها سقطاً، و هو لفظ الجلالة «الله».

^{٩٣٧} (١) النساء: ٨٤.

^{٩٣٨} (٢) الأنفال: ٦٥.

يَجِدَ الْمَفْضُولُ ذَا الْفَضْلِ فَضْلَهُ، وَلَوْ شَاءَ عَجَّلَ مِنْهُ النِّقْمَةَ، وَكَانَ مِنْهُ التَّغْيِيرُ حِينَ يَكْذِبُ الظَّالِمُ، وَيَعْلَمُ الْحَقُّ أَيْنَ مَصِيرُهُ، وَاللَّهُ جَعَلَ الدُّنْيَا دَارَ الْأَعْمَالِ، وَجَعَلَ الْآخِرَةَ دَارَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، «لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسُوا بِمَا عَمِلُوا وَ يُجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى»^{٩٣٩}، فَقُلْتُ شُكْرًا لِلَّهِ عَلَى نِعْمَائِهِ، وَصَبْرًا عَلَى بَلَائِهِ، وَتَسْلِيمًا وَرَضِيًّا بِقَضَائِهِ.

ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: يَا أُخِي، أَبَشِرْ فَإِنَّ حَيَاتَكَ وَمَوْتَكَ مَعِي، وَأَنْتَ أُخِي، وَأَنْتَ وَصِيِّي، وَأَنْتَ وَزِيرِي، وَأَنْتَ وَارِثِي، وَأَنْتَ تُقَاتِلُ عَلَى سُنَّتِي، وَأَنْتَ مَنِي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، وَلَكَ بِهَارُونَ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ، إِذَا اسْتَضَعَفَهُ أَهْلُهُ، وَتَظَاهَرُوا عَلَيْهِ، وَكَادُوا يَقْتُلُونَهُ، فَاصْبِرْ لِظُلْمِ قُرَيْشِ إِثْبَاكَ، وَتَظَاهَرُهُمْ عَلَيْكَ، فَإِنَّهَا ضَعَائِنُ فِي صُدُورِ قَوْمٍ لَهُمْ أَحْقَادُ بَدْرٍ، وَتِرَاتُ أُحُدٍ.

وَإِنَّ مُوسَى أَمَرَ هَارُونَ حِينَ اسْتَخْلَفَهُ فِي قَوْمِهِ، إِنْ ضَلُّوا فَوَجِدْ أَعْوَانًا أَنْ يَجَاهِدَهُمْ بِهِمْ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ أَعْوَانًا أَنْ يَكْفَ يَدَهُ وَيَحْقِنَ دَمَهُ، وَلَا يُفَرِّقَ بَيْنَهُمْ فَافْعَلِ أَنْتَ كَذَلِكَ، إِنْ وَجَدْتَ عَلَيْهِمْ أَعْوَانًا فَجَاهِدْهُمْ، وَإِنْ لَمْ تَجِدْ أَعْوَانًا فَاكْفُفْ يَدَكَ، وَاحْقِنْ دَمَكَ، فَإِنَّكَ إِنْ نَابَذْتَهُمْ قَتَلُوكَ.

وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنْ لَمْ تَكْفُفْ يَدَكَ وَتَحْقِنَ دَمَكَ، إِذَا لَمْ تَجِدْ أَعْوَانًا تَخَوَّفْتُ عَلَيْكَ أَنْ يَرْجِعَ النَّاسُ إِلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، وَالْجُحُودِ بِأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، فَاسْتَظْهِرْ بِالْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، وَدَعُهُمْ لِيَهْلِكَ النَّاصِبُونَ لَكَ وَالْبَاغُونَ عَلَيْكَ، وَيَسْلَمَ الْعَامَّةُ وَالْخَاصَّةُ، فَإِذَا وَجَدْتَ يَوْمًا أَعْوَانًا عَلَى إِقَامَةِ كِتَابِ اللَّهِ وَالسُّنَّةِ، فَقَاتِلْ عَلَى تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ، كَمَا قَاتَلْتَ عَلَى تَنْزِيلِهِ، فَإِنَّمَا يَهْلِكُ مِنَ الْأُمَّةِ مَنْ نَصَبَ لَكَ، أَوْ لِأَخِيٍّ مِنْ أَوْصِيَائِكَ، وَعَادَى وَجَدَّ وَدَانَ بِخِلَافِ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ.

وَلَعَمْرِي يَا مُعَاوِيَةَ، لَوْ تَرَحَّمْتُ عَلَيْكَ، وَعَلَى طَلْحَةَ، وَالزُّبَيْرِ، كَانَ تَرَحُّمِي عَلَيْكُمْ، وَاسْتِغْفَارِي لَكُمْ لَعْنَةُ عَلَيْكُمْ وَعَذَابًا، وَمَا أَنْتَ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ بِأَعْظَمَ جُرْمًا، وَلَا أَصْعَرَ ذَنْبًا، وَلَا أَهْوَنَ بَدْعَةً وَضَلَالَةً مِنَ الَّذِينَ أَسَّسَا لَكَ وَصَاحِبِكَ الَّذِي تَطْلُبُ بِدَمِهِ، وَوَطْنَا لَكُمْ ظَلَمْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ، وَحَمَلْنَاكُمْ عَلَى رِقَابِنَا، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَنَصِيرًا * أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَأَيُّوتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا * أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا ءَاتَىٰ - هُمْ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ»^{٩٤٠}، فَنَحْنُ النَّاسُ، وَنَحْنُ الْمَحْسُودُونَ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «فَقَدْ ءَاتَيْنَا ءَالَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا»^{٩٤١}، فَالْمُلْكُ الْعَظِيمُ أَنْ جَعَلَ مِنْهُمْ أُمَّةً، مِّنْ أَطَاعَهُمْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمِنْ عَصَاهُمْ عَصَى اللَّهَ، وَالْكِتَابَ، وَالْحِكْمَةَ، وَالنَّبُوَّةَ، فَلَيْمَ يَقْرُونُ بِذَلِكَ فِي آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَيَنْكُرُونَهُ فِي آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

٩٣٩ (١) النجم: ٣١.

٩٤٠ (١) النساء: ٥١-٥٤.

٩٤١ (٢) النساء: ٥٤.

يا معاوية، فإن تكفر بها أنت وصاحبك ومن قبلك من طغام أهل الشام واليمن والأعراب، أعراب ربيعة ومضرة جفاه الأمة: فقد وكل الله بها قوماً ليسوا بها بكافرين^{٩٤٢}.

يا معاوية إن القرآن حق، ونور، وهدي، ورحمة، وشفاء للمؤمنين، والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر، وهو عليهم عمى^{٩٤٣}.

ص: ٣١١

يا معاوية إن الله لم يدع صنفاً من أصناف الضلالة والدعاة إلى النار، إلا وقد ردّ عليهم، واحتجّ عليهم في القرآن، ونهى عن اتباعهم، وأنزل فيهم قرآناً ناطقاً، علمه من علمه وجهله من جهله، إنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ليس من القرآن آية إلا أولها ظهر وبطن، وما من حرف إلا أوله تأويل: «وما يعلم تأويله وإلا الله والرسخون في العلم»^{٩٤٤}.

و في رواية أخرى: «و ما منه حرف إلا و له حدّ مطّلع على ظهر القرآن و بطنه و تأويله: «و ما يعلم تأويله وإلا الله و الرسخون في العلم»، الراسخون في العلم، نحن آل محمد، و أمر الله سائر الأمة، أن يقولوا آمناً به كل من عند ربنا، و ما يدكر إلا أولو الأبواب، و أن يسلموا إلينا، و يردّوا الأمر إلينا، و قد قال الله: «و لو ردّوه إلى الرسول و إلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستتم - بطونهم و منهم»^{٩٤٥}، هم الذين يسألون عنه و يطلبونه.

و لعمري لو أن الناس حين قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلموا لنا، و اتبعونا، و قلّدونا أمورهم، لأكلوا من فوقهم و من تحت أرجلهم، و لما طمعت أنت يا معاوية، فما فاتهم منا أكثر ممّا فاتنا منهم.

و لقد أنزل الله فيّ و فيك آيات من سورة خاصة الأمة يؤولونها على الظاهر، و لا يعلمون ما الباطن، و هي في سورة الحاقة: فأما من أوتى كتابه بيمينه ... و أما من أوتى كتابه بشماله ... و ذلك أنه يدعى^{٩٤٦} بكل إمام ضلالة، و إمام هدى، و مع كل واحد منهما أصحابه، الذين بايعوه فيدعى بي و بك.

ص: ٣١٢

يا معاوية، وأنت صاحب السلسلة الذي يقول: «يليتني لم أوت كتبيّة* و لم أذر ما حسابيّة»^{٩٤٧}، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ذلك، وكذلك كل إمام ضلالة كان قبلك أو يكون بعدك، له مثل ذلك من خزي الله و عذابه.

ونزل فيكم قول الله عز و جل: «و ما جعلنا الرؤيا التي أرينك إلا فتنة للناس و الشجرة الملعونة في القرءان»^{٩٤٨}، وذلك إن رسول الله رأى إثنى^{٩٤٩} عشر إماماً من أئمة الضلالة على منبره، يردّون الناس على أديارهم القهقري، رجّلان من قريش،

^{٩٤٢} (٣) اقتباس من الآية «٨٩» من سورة الأنعام، و نصّها: «فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين».

^{٩٤٣} (٤) إشارة إلى الآية «٤٤» من سورة فصلت: «قل هو للذين آمنوا هدى و شفاء و الذين لا يؤمنون في آذانهم و قر و هو عليهم عمى».

^{٩٤٤} (١) آل عمران: ٧.

^{٩٤٥} (٢) النساء: ٨٣.

^{٩٤٦} (٣) في المصدر: «يدعي»، و التصويب من كتاب سليم بن قيس الهلالي.

^{٩٤٧} (١) الحاقة: ٢٥ و ٢٦.

^{٩٤٨} (٢) الإسراء: ٦٠.

وَعَشْرَةَ مِنْ بَنِي أُمِّيَّةَ، أَوَّلُ الْعَشْرَةِ صَاحِبُكَ الَّذِي تَطَلَّبُ بِدَمِهِ، وَأَنْتَ وَابْنُكَ وَسَبْعَةٌ مِنْ وُلْدِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ، أَوْلَهُمْ مَرَوَانُ، وَقَدْ لَعَنَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَطَرَدَهُ وَمَا وَكَدَ، حِينَ أَسْمَعَ نَبِيَّنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ٩٥٠.

إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ، اخْتَارَ اللَّهُ لَنَا الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا، وَلَمْ يَرْضَ لَنَا الدُّنْيَا ثَوَابًا، وَقَدْ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ، أَنْتَ وَوَزِيرُكَ وَصُؤَيْجُوكَ يَقُولُ: إِذَا بَلَغَ بَنُو أَبِي الْعَاصِ ثَلَاثِينَ رَجُلًا اتَّخَذُوا كِتَابَ اللَّهِ دَخَلًا، وَعِبَادَ اللَّهِ حَوْلًا، وَمَالَ اللَّهِ دَوْلًا.

يَا مُعَاوِيَةَ، إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ زَكَرِيَّا نَشَرَ بِالْمِنْشَارِ، وَيَحْيَى ذُبِحَ وَقَتْلُهُ قَوْمُهُ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ عِزُّهُ وَجَلُّهُ، وَذَلِكَ لِيَهْوَانَ الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ، إِنَّ أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ قَدْ حَارَبُوا أَوْلِيَاءَ الرَّحْمَنِ، قَالَ اللَّهُ: «إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بَايَتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ» ٩٥١.

ص: ٣١٣

يَا مُعَاوِيَةَ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَدْ أَخْبَرَنِي أَنَّ أُمَّتَهُ سَيَخْضِبُونَ لِحْيَتِي مِنْ دَمِ رَأْسِي، وَإِنِّي مُسْتَشْهَدٌ، وَسَتَلِي الْأُمَّةَ مِنْ بَعْدِي، وَأَنْتَ سَتَقْتُلُ ابْنَ الْحَسَنِ عَدْرًا بِالسُّمِّ، وَأَنَّ ابْنَكَ يَزِيدُ لَعْنَهُ اللَّهُ سَيَقْتُلُ ابْنَ الْحُسَيْنِ، يَلِي ذَلِكَ مِنْهُ ابْنُ زَيْنَبٍ، وَأَنَّ الْأُمَّةَ سَيَلِيهَا مِنْ بَعْدِكَ سَبْعَةٌ مِنْ وُلْدِ أَبِي الْعَاصِ، وَوُلْدِ مَرَوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، وَخَمْسَةٌ مِنْ وُلْدِهِ تَكْمَلُهُ إِثْنِي ٩٥٢ عَشْرَ إِمَامًا. قَدْ رَأَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ يَتَوَاتَبُونَ عَلَى مَنْبَرِهِ تَوَاتَبَ الْقِرَدَةِ، يَرُدُّونَ أُمَّتَهُ عَنِ دِينِ اللَّهِ عَلَى أَدْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَى، وَأَنْتُمْ أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَّ اللَّهَ سَيُخْرِجُ الْخِلَافَةَ مِنْهُمْ بِرَايَاتِ سُودٍ، تُقْبَلُ مِنَ الْمَشْرِقِ يُذَلِّهِمُ اللَّهُ بِهِمْ، وَيَقْتُلُهُمْ تَحْتَ كُلِّ حَجَرٍ.

وَأَنَّ رَجُلًا مِنْ وُلْدِكَ مَيْسُومٌ وَمَلْعُونٌ، جِلْفٌ جَافٍ، مَنَكُوسُ الْقَلْبِ، فَظٌّ غَلِيظٌ قَاسٍ، قَدْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِهِ الرَّأْفَةَ وَالرَّحْمَةَ، وَأَحْوَالُهُ مِنْ كَلْبٍ. كَانِي أَنْظَرُ إِلَيْهِ، وَلَوْ شِئْتُ لَسَمَّيْتُهُ وَوَصَفْتُهُ، وَابْنُ كَمِّ هُوَ، فَيَبْعَثُ جَيْشًا إِلَى الْمَدِينَةِ فَيَدْخُلُونَهَا، فَيَسْرِفُونَ فِيهَا فِي الْقَتْلِ وَالْفَوَاحِشِ، وَيَهْرَبُ مِنْهُمْ رَجُلٌ مِنْ وُلْدِي زَكِيٌّ تَقِيٌّ الَّذِي يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا وَقِسْطًا كَمَا مَلَأَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا. وَإِنِّي لِأَعْرِفُ اسْمَهُ وَابْنَ كَمِّ هُوَ يَوْمَئِذٍ، وَعَلَامَتُهُ، وَهُوَ مِنْ وَلَدِ ابْنِي الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِي يَقْتُلُهُ ابْنُكَ يَزِيدُ، وَهُوَ التَّائِرُ بِدَمِ أَبِيهِ فِيهِرَبُ إِلَى مَكَّةَ، وَيَقْتُلُ صَاحِبَ ذَلِكَ الْجَيْشِ رَجُلًا مِنْ وُلْدِي زَكِيًّا بَرِيئًا عِنْدَ أَحْجَارِ الزَّيْتِ، ثُمَّ يَصِيرُ ذَلِكَ الْجَيْشُ إِلَى مَكَّةَ، وَإِنِّي لِأَعْلَمُ اسْمَ أَمِيرِهِمْ، وَعَدَّتَّهُمْ، وَأَسْمَاءَهُمْ، وَسِمَاتِ خِيُولِهِمْ.

فَإِذَا دَخَلُوا الْبِيدَاءَ، وَاسْتَوَتْ بِهِمُ الْأَرْضُ خُسِيفَ بِهِمْ قَالَ اللَّهُ عِزُّهُ وَجَلُّهُ: «وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ» ٩٥٣، قَالَ: مِنْ تَحْتِ أَقْدَامِهِمْ، فَلَا يَبْقَى مِنْ

ص: ٣١٤

٩٤٩ (٣) فِي الْمَصْدَرِ: «اِثْنَا»، وَ مَا أُثْبِتْنَاهُ مِنْ كِتَابِ سُلَيْمِ بْنِ قَيْسٍ هُوَ الصَّوَابُ.
٩٥٠ (٤) هَكَذَا فِي الْمَصْدَرِ، وَ لَا مَعْنَى لَهَا، وَ فِي كِتَابِ سُلَيْمِ بْنِ قَيْسٍ الْهَلَالِي: «حِينَ اسْتَمَعَ لِنِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» وَ هُوَ الصَّوَابُ.
٩٥١ (٥) آلِ عَمْرَانَ: ٢١.
٩٥٢ (١) فِي الْمَصْدَرِ: «تَكْلِمَةُ اِثْنَا» وَ مَا أُثْبِتْنَاهُ مِنْ كِتَابِ سُلَيْمِ بْنِ قَيْسٍ وَ هُوَ الصَّحِيحُ.
٩٥٣ (٢) سِبَا: ٥١.

ذَلِكَ الْجَيْشُ أَحَدٌ غَيْرُ رَجُلٍ وَاحِدٍ، يَقْلِبُ اللَّهُ وَجْهَهُ مِنْ قِبَلِ قَفَاهُ، وَيَبْعَثُ اللَّهُ لِلْمَهْدِيِّ أَقْوَاماً يُجْمَعُونَ مِنْ أَطْرَافِ الْأَرْضِ قَرْعَ كَفْرَعِ الْخَرِيفِ.

وَاللَّهِ إِنِّي لِأَعْرِفُ أَسْمَاءَ هُمْ، وَاسْمَ أَمِيرِهِمْ، وَمُنَاحَ رِكَابِهِمْ فَيَدْخُلُ الْمَهْدِيُّ الْكَعْبَةَ، وَيَبْكِي وَيَتَضَرَّعُ، قَالَ جَلَّ وَعَزَّ: «أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ»^{٩٥٤}، هَذَا لَنَا خَاصَّةً أَهْلَ الْبَيْتِ.

أما والله يا معاوية، لقد كتبت إليك هذا الكتاب، وإني لأعلم أنك لا تنتفع به، وأنت ستفرح إذا أخبرتك أنك ستلى الأمر وأبنتك بعدك، لأن الآخرة ليست من بالك، وأنت بالآخرة لمن الكافرين، وستندم كما ندم من أسس هذا الأمر لك، وحملك على رقابنا حين لم تنفعه الندامة.

ومما دعاني إلى الكتاب بما كتبت به، إني أمرت كاتبى أن ينسخ ذلك لشييعتى وأصحابى، لعل الله أن ينفعهم بذلك، أو يقرأه واحد من قبلك فخرج الله به من الضلالة إلى الهدى، ومن ظلمك، وظلم أصحابك، وفتنتكم، وأحببت أن أحتج عليك.

فكتب إليه معاوية: هنيئاً لك يا أبا الحسن تملك الآخرة، و هنيئاً لنا تملك الدنيا.^{٩٥٥}

[هذا الكتاب لا يخلو عن الاضطراب فى المتن و التكرار، كما لا يخفى على من تدبره].

ص: ٣١٥

الفصل الثالث: مكاتيبه من الكوفة إلى نهاية حرب صفين

ص: ٣١٧

٨٥ كتابه عليه السلام إلى معاوية

كتابه عليه السلام إلى معاوية لما أراد المسير إلى الشام.

قال شيخ الطائفة، محمد بن الحسن الطوسى رحمه الله، عن الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان رحمه الله، عن أبى عبد الله محمد بن عمران المرزبانى، عن محمد بن موسى، عن هشام، عن أبى مخنف لوط بن يحيى، قال: حدثنا عبد الله بن عاصم، قال: حدثنا جبير بن نوف، قال: لما أراد أمير المؤمنين عليه السلام المسير إلى الشام، اجتمع إليه وجوه أصحابه، فقالوا: لو كتبت يا أمير المؤمنين إلى معاوية و أصحابه قبل مسيرنا إليهم كتاباً تدعوهم إلى الحق، و تأمرهم بما لهم فيه الحظ، كانت الحجة تزداد عليهم قوة.

^{٩٥٤} (١) النمل: ٦٢.

^{٩٥٥} (٢). بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ١٥١ ح ٤٢١، كتاب سليم بن قيس الهلالي: ج ٢ ص ٧٦٦-٧٧٦ مع اختلاف.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام لعبيد الله بن أبي رافع كاتبه: اكتب:

«بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله على أمير المؤمنين، إلى معاوية بن أبي سفيان ومن قبله من الناس،

ص: ٣١٨

سلام عليكم.

فإنى أحمدُ إليكم الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد، فإن لله عباداً آمنوا بالتنزيل وعرفوا التأويل وفقهوا في الدين، وبين الله فضلهم في القرآن الحكيم، وأنت يا معاوية وأبوك وأهلك في ذلك الزمان أعداء الرسول، مكذبون بالكتاب، مجمعون على حرب المسلمين، من لقيتم منهم حبستموه وعذبتموه وقتلتموه، حتى إذا أراد الله تعالى إعزاز دينه وإظهار رسوله، دخلت العرب في دينه أفواجا، وأسلمت هذه الأمة طوعاً وكرهاً، وكنتم ممن دخل في هذا الدين إما رغبةً، وإما رهبةً، فليس ينبغي لكم أن تنازعوا أهل السبق ومن فاز بالفضل، فإنه من نازعه منكم فيحوب وظلم، فلا ينبغي لمن كان له قلب أن يجهل قدره، ولا يعدو طوره، ولا يشقى نفسه بالتماس ما ليس له.

إن أولى الناس بهذا الأمر قديماً وحديثاً أقربهم برسول الله صلى الله عليه وآله، وأعلمهم بالكتاب، وأقدمهم في الدين، وأفضلهم جهاداً، وأولهم إيماناً، وأشدّهم اضطلاعاً بما تجهله الرعية من أمرها، فاتقوا الله الذي إليه ترجعون، ولا تلبسوا الحق بالباطل لتدحضوا به الحق.

واعلموا أن خيار عباد الله الذين يعملون بما يعلمون، وأن شرهم الجهلاء الذين ينازعون بالجهل أهل العلم.

ألا وإنى أدعوك إلى كتاب الله وسنته نبيه صلى الله عليه وآله، وحقن دماء هذه الأمة، فإن قبليتم أصبتم رشدكم، وهديتم ليخطكم، وإن أبيتم إلا الفرقة وشق عصا هذه الأمة، لم تزدادوا من الله إلا بعداً، ولم يزدد عليكم إلا سُخْطاً، والسلام.»

قال فكتب إليه معاوية:

ص: ٣١٩

أما بعد، إنه:

غير طعن الكلى وجز الرقاب

ليس بيني وبين قيس عتاب

فلَمَّا وقف أمير المؤمنين عليه السلام على جوابه بذلك، قال:

«إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحَبَبْتَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»^{٩٥٦} .^{٩٥٧}

٨٦ كتابه عليه السلام إلى ابن عباس

كتابه عليه السلام إلى ابن عباس وأهل البصرة:

كتبه عليه السلام إليه لَمَّا استنفر المسلمين إلى المسير إلى الشام لقطع يد المتمردين، وأيدي الظالمين:

«أَمَّا بَعْدُ؛ فَأَشْخِصْ إِلَى مَنْ قَبْلَكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَذَكِّرْهُمْ بِلَايِ عِنْدَهُمْ وَعَفْوِي عَنْهُمْ، وَاسْتَبْقَائِي لَهُمْ، وَرَغْبَتِي فِي الْجِهَادِ، وَأَعْلِمُهُمُ الَّذِي لَهُمْ فِي ذَلِكَ مِنَ الْفَضْلِ».

فلَمَّا وصل الكتاب إلى ابن عباس، قام في الناس [فقرأ عليهم كتاب علي عليه السلام، فحمد الله وأثنى عليه، ثُمَّ قال:

أَيُّهَا النَّاسُ، اسْتَعِدُّوا لِلْمَسِيرِ إِلَى إِمَامِكُمْ، وَانْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ خِفَافًا وَثِقَالًا، وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ تُقَاتِلُونَ الْمُجَلِّينَ الْقَاسِطِينَ، الَّذِينَ لَا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَلَا يَعْرِفُونَ حُكْمَ الْكِتَابِ، وَلَا يَدِينُونَ دِينَ

ص: ٣٢٠

الْحَقِّ، مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالصَّادِعِ بِالْحَقِّ، وَ الْقِيَمِ بِالْهُدَى، وَ الْحَاكِمِ بِحُكْمِ الْكِتَابِ، الَّذِي لَا يَرْتَشَى فِي الْحُكْمِ، وَلَا يُدَاهِنُ الْفُجَّارَ، وَلَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ.

فَقَامَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ، فَقَالَ: نَعَمْ، وَ اللَّهُ لَنُجِيبَنَّكَ، وَ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكَ عَلَى الْعُسْرِ وَ الْيُسْرِ، وَ الرِّضَا وَ الْكُرْهِ، نَحْتَسِبُ فِي ذَلِكَ الْخَيْرَ، وَ نَأْمُلُ مِنَ اللَّهِ الْعَظِيمِ مِنَ الْأَجْرِ.

وَ قَامَ إِلَيْهِ خَالِدُ بْنُ الْمُعَمَّرِ السَّدُوسِي، فَقَالَ: سَمِعْنَا وَ أَطَعْنَا، فَمَتَى اسْتَنْفَرْتَنَا نَفْرْنَا، وَ مَتَى دَعَوْتَنَا أَجْبْنَا.

وَ قَامَ إِلَيْهِ عَمْرُو بْنُ مَرْجُومِ الْعَبْدِي، فَقَالَ: وَفَّقَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَ جَمَعَ لَهُ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ، وَ لَعَنَ الْمُجَلِّينَ الْقَاسِطِينَ، الَّذِينَ لَا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، نَحْنُ وَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ حَنِقُونَ، وَ لَهُمْ فِي اللَّهِ مُفَارِقُونَ، فَمَتَى أَرَدْتَنَا صَحْبِكَ خَيْلْنَا وَ رَجَلْنَا.

^{٩٥٦} (١) تضمين من سورة القصص: ٥٦.

^{٩٥٧} (٢). الأمالي للطوسي: ص ١٨٣ ح ٣٠٨ و راجع: وقعة صفين: ص ١٥٠ بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٤٢٩.

وَ أَجَابَ النَّاسُ إِلَى الْمَسِيرِ، وَ نَشَطُوا وَ خَفُوا، فَاسْتَعْمَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَلَى الْبَصْرَةِ أَبَا الْأَسْوَدِ الدَّوْلِيَّ، وَ خَرَجَ حَتَّى قَدِمَ عَلَى عَلِيٍّ، وَ مَعَهُ رُءُوسُ الْأَخْمَاسِ:

خَالِدُ بْنُ الْمُعَمَّرِ السَّدُوسِيَّ، عَلَى بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ؛ وَ عَمْرُو بْنُ مَرْجُومِ الْعَبْدِيِّ، عَلَى عَبْدِ الْقَيْسِ؛ وَ صَبْرَةُ بْنُ شَيْمَانَ الْأَزْدِيَّ، عَلَى الْأَزْدِيِّ؛ وَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ، عَلَى تَمِيمٍ وَ ضَبَّةَ وَ الرَّبَابِ؛ وَ شَرِيكَ بْنُ الْأَعْوَرِ الْحَارِثِيَّ، عَلَى أَهْلِ الْعَالِيَةِ.

فَقَدِمُوا عَلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالنُّخَيْلَةِ ...^{٩٥٨}

ص: ٣٢١

٨٧ كتابه عليه السلام إلى عمر بن أبي سلمة

من كتاب له عليه السلام إلى عمر بن أبي سلمة المَخْزُومِيَّ، وَ كَانَ عَامِلَهُ عَلَى الْبَحْرَيْنِ، فَعَزَلَهُ، وَ اسْتَعْمَلَ النَّعْمَانَ بْنَ عَجْلَانَ الرَّزْقِيَّ مَكَانَهُ:

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي قَدْ وَكَلَيْتُ النَّعْمَانَ بْنَ عَجْلَانَ الرَّزْقِيَّ عَلَى الْبَحْرَيْنِ، وَنَزَعْتُ يَدَكَ بِمَا دَمَّ لَكَ، وَ لَا تَتْرِبْ عَلَيَّ، فَلَقَدْ أَحْسَنْتَ الْوِلَايَةَ، وَ أَدَيْتَ الْأَمَانَةَ، فَأَقْبِلْ غَيْرَ ظَنِينٍ، وَ لَا مَلُومٍ، وَ لَا مُتَّهَمٍ، وَ لَا مَأْتُومٍ، فَلَقَدْ أَرَدْتُ الْمَسِيرَ إِلَى ظَلَمَةِ أَهْلِ الشَّامِ، وَ أَحْبَبْتُ أَنْ تَشْهَدَ مَعِيَ، فَإِنَّكَ مِمَّنْ اسْتَظْهَرَ بِهِ عَلَى جِهَادِ الْعَدُوِّ، وَ إِقَامَهُ عَمُودِ الدِّينِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ».^{٩٥٩}

النَّعْمَانُ بْنُ عَجْلَانَ

فِي الْإِصَابَةِ عَنِ الْمُبَرِّدِ: أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ اسْتَعْمَلَ النَّعْمَانَ هَذَا عَلَى الْبَحْرَيْنِ، فَجَعَلَ يُعْطَى كُلَّ مَنْ جَاءَهُ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ، فَقَالَ فِيهِ الشَّاعِرُ، وَ هُوَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّوْلِيَّ:

فَنَدُّ زُرَيْقُ الْمَالَ نَدْلَ الثَّعَالِبِ

أَرَى فِتْنَةً قَدْ أَهَتِ النَّاسَ عَنكُمْ

يُبَدُّ مَالَ اللَّهِ فِعْلَ الْمُنَاهِبِ^{٩٦٠}

فَإِنَّ ابْنَ عَجْلَانَ الَّذِي قَدْ عَلِمْتُمْ

^{٩٥٨} (١). وقعة صفين: ص ١١٦، بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٤٠٧؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٣ ص ١٨٧ نحوه و راجع: تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٧٨، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٤٠١، الأخبار الطوال: ص ١٦٥.

^{٩٥٩} (١). نهج البلاغة: الكتاب ٤٢ و راجع: تاريخ البيهقي: ج ٢ ص ١٩٠؛ أنساب الأشراف: ج ٢ ص ١٥٨.

^{٩٦٠} (٢). الإصابة: ج ٦ ص ٣٥٢ الرقم ٨٧٦٧.

فقال ابن الأَعمش: و سارَ مُعاويةُ بِخَيْلِهِ وَ رَجُلِهِ حَتَّى نَزَلَ فِي صِفِّينَ، فِي ثَلَاثَةِ

ص: ٣٢٢

وَ ثَمَانِينَ أَلْفًا، وَ ذَلِكَ لِأَيَّامِ خَلَتْ مِنَ الْمُحَرَّمِ، فَسَبَقَ إِلَى سُهولَةِ الأَرْضِ وَ سَعَةِ المَرعى وَ قُرْبِ الفُراتِ فَنَزَلَ هُنَالِكَ؛ ثُمَّ إِنَّهُ بَنَى بُنياناً لَهُ، وَ ضَرَبَتِ القِبابُ وَ الخِيامُ وَ الفَساطِيطُ، وَ بُنِيتِ المَعالِفُ لِلخَيْلِ، وَ اجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ العَساکِرُ مِنْ أَطرافِ البلادِ فَصارَ فِي عَشْرِينَ وَ مائَةَ أَلْفٍ؛ ثُمَّ إِنَّهُ كَتَبَ إِلَى عَلِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِهذهِ الأَرْجوزَةِ:

لأوردن الكوفة القبايلا

لا تحسبن يا علي غافلاً

من عامنا هذا و عاماً قابلاً

و المشرفي و القنا الذوابلا

فكتب إليه علي رضي الله عنه بهذه الآيات:

لأرؤمين منكم الكواهلا

«أصبحت مني يا ابن هند جاهلاً

يزدجرون الأرض و السواهلا

تسعين ألفاً رامحاً و نابلاً

هذا لك العام و زرنى قابلاً^{٩٦١}.»

بالحق و الحق يُزيح الباطلا

^{٩٦١} (١). الفتوح: ج ٢ ص ٥٣٨ و راجع: وقعة صفين: ص ١٣٦.

فقال نصر: عمرو بن شمر، عن جابر، عن مُحَمَّد بن عليّ و زَيْد بن حسن، و مُحَمَّد - يعني ابن المطَّلَب - قالوا: استعمل عليّ عليه السلام على مقدمته الأَشْتَر بن الحارث النَّخَعِيّ، و سار عليّ في خمسين و مائة ألف من أهل العراق، و قد خنست طائفةً من أصحاب عليّ، و سار معاوية في نحو من ذلك من أهل الشَّام، و استعمل معاوية على مقدمته سُفْيَان بن عمرو: أبا الأَعْوَر السَّلْمِيّ.

فلما بلغ معاوية أنّ عليّاً يتجهّز، أمر أصحابه بالتَّهَيُّؤ. فلما استتب لعليّ أمره

ص: ٣٢٣

سار بأصحابه، فلما بلغ معاوية مسيره إليه سار بَقْضَه و قضيه نحو عليّ عليه السلام، و استعمل على مقدمته سُفْيَان بن عمرو، و على ساقته ابن أُرطاة العامريّ - يعني بُسراً - فساروا حتّى توافوا جميعاً بَقُنَاصِرِينَ إلى جنب صَفِّين.

فأتى الأَشْتَر صاحب مقدمته معاوية، و قد سبقه إلى المعسكر على الماء، و كان الأَشْتَر في أربعة آلاف من متبصرى أهل العراق، فأزالوا أبا الأَعْوَر عن معسكره، و أقبل معاوية في جميع الفيلق بقضه و قضيه، فلما رأى ذلك الأَشْتَر انحاز إلى عليّ عليه السلام، و غلب معاوية على الماء، و حال بين أهل العِراق و بينه، و أقبل عليّ عليه السلام حتّى إذا أراد المعسكر، إذا القوم قد حالوا بينه و بين الماء.

ثمّ رجع إلى الحديث بإسناده إلى الأوّل. ثمّ إنّ عليّاً عليه السلام طلب موضعاً لعسكره، و أمر النَّاس أن يضعوا أثقالهم - و هم مائة ألف أو يزيدون - فلما نزلوا تسرّع فوارس من فوارس عليّ على خيلهم إلى معاوية - و كانوا في ثلاثين و مائة - و لم ينزل بعد معاوية، فناوشوهم القتال و اقتتلوا هَوِيًّا^{٩٦٢} ٩٦٣.

(كتاب معاوية إلى عليّ عليه السلام):

فقال نصر: عمر بن سعد، عن سَعْد بن طريف، عن الأصْبَغ بن نباتة، قال:

كتب معاوية إلى عليّ عليه السلام:

عافانا الله و إيّاك.

و أقبِح الطيشَ ثمّ النَّفْسَ في الرَّجُلِ

ما أحسنَ العَدْلَ و الإنصافَ مِن عَمَلٍ

^{٩٦٢} (١) هوى يهوى هَوِيًّا، إذا أسرع في السَّير (النهاية: ج ٥ ص ٢٨٤ «هوا»).
^{٩٦٣} (٢) وقعة صَفِّين: ص ١٥٦.

و كتب بعده:

ص: ٣٢٤

اربطُ حِمَارَكَ لَا يُنَزَعُ سَوِيَّتَهُ إِذَا يُرَدُّ وَ قَيْدُ الْعَيْرِ مَكْرُوبٌ

لَيْسَتْ تَرَى السَّيِّدُ زَيْدًا فِي نُفُوسِهِمْ كَمَا تَرَاهُ بَنُو كُوزٍ وَ مَرْهُوبٌ

إِنْ تَسْأَلُوا الْحَقَّ يُعْطَى الْحَقَّ سَائِلُهُ وَ الدَّرْعُ مُحَقَّبَةٌ وَ السَّيْفُ مَقْرُوبٌ

أَوْ تَأْتَفُونَ فَإِنَّا مَعْشَرٌ أَنْفٌ لَا نَطْعَمُ الضَّيْمَ إِنْ السَّمَّ مَشْرُوبٌ

قال: و أمر عليّ عليه السلام النَّاسَ، فَوَزَّعُوا عَنِ الْقِتَالِ، حَتَّى تَأْخُذَ أَهْلَ الْمَصَافِّ مَصَافَّهُمْ، ثُمَّ قَالَ:

«أَيُّهَا النَّاسُ، هَذَا مَوْقِفٌ مِنْ نَطْفٍ فِيهِ نَطْفٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ فَلَجَ فِيهِ فَلَجَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

ثم قال عليّ، لَمَّا نَزَلَ مُعَاوِيَةَ بِصِفِّينَ:

لَقَدْ أَتَاكُمْ كَاشِرًا عَنِ نَابِهِ يُهَمِّطُ النَّاسَ عَلَى اغْتِرَابِهِ

فَلْيَأْتِنَا الدَّهْرُ بِمَا أَتَى بِهِ

و كتب علىّ إلى معاوية:

إِنَّ عَلِيَّهَا قَائِدًا عَشَنَزْرًا

فَإِنَّ لِلْحَرْبِ عُرَامًا شَرًّا

عَلَى نَوَاحِيهَا مِزْجًا زَمْجَرًا

يَنْصِفُ مَنْ أَجْحَرَ أَوْ تَنَمَّرًا

إِذَا وَثِنَ سَاعَةٌ تَغْشَمَرًا

و قال أيضاً:

أَجَابُوا وَ إِنُّ يَعْضَبُ عَلَى الْقَوْمِ يَعْضُبُوا

أَلَمْ تَرَ قَوْمِي إِذْ دَعَاهُمْ أَحْوَهُمْ

لِقَوْمِي آخَرَى مِثْلَهَا إِذْ تَغَيَّبُوا

هُمْ حَفَظُوا غَيْبِي كَمَا كُنْتُ حَافِظًا

وَ أَبَاؤُهُمْ أَبَاءُ صِدْقٍ فَأَنْجَبُوا.

بَنُو الْحَرْبِ لَمْ يَقْعُدْ بِهِمْ أُمَّهَاتُهُمْ

فَتَرَا جَعَّ النَّاسَ إِلَى مُعْسَكِرِهِمْ، وَ ذَهَبَ شِبَابٌ مِنَ النَّاسِ وَ غِلْمَانِهِمْ يَسْتَقُونَ، فَمَنْعَهُمْ أَهْلُ الشَّامِ.^{٩٦٤}

ص: ٣٢٥

٩٠ كتابه عليه السلام إلى زياد بن النضر و شريح

^{٩٦٤} (١). وقعة صفين: ص ١٥٦، بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٤١٤ ح ٤٣٤؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٣ ص ٢١٣ نحوه مع اختلاف بسير.

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلَىٰ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، إِلَىٰ زِيَادِ بْنِ النَّضْرِ وَشُرَيْحِ بْنِ هَانِيٍّ، سَلَامٌ عَلَيْكُمَا، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكُمَا اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ.
أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنِّي قَدْ وَلَّيْتُ مُقَدَّمَتِي زِيَادَ بْنَ النَّضْرِ وَأَمَرْتُهُ عَلَيْهَا، وَشُرَيْحَ عَلَىٰ طَائِفَةٍ مِنْهَا أَمِيرًا، فَإِن أَنْتُمَا جَمَعْتُمَا بِأَسْرِ زِيَادِ بْنِ
النَّضْرِ عَلَى النَّاسِ، وَإِنِ افْتَرَقْتُمَا فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمَا أَمِيرُ الطَّائِفَةِ الَّتِي وَلَّيْنَاهُ أَمْرَهَا.

وَأَعْلَمَا، أَنَّ مُقَدَّمَةَ الْقَوْمِ غِيُونُهُمْ، وَعِيُونَ الْمُقَدَّمَةِ طَلَانِعُهُمْ، فَإِذَا أَنْتُمَا خَرَجْتُمَا مِنْ بِلَادِكُمَا فَلَا تَسَامَا مِنْ تَوْجِيهِ الطَّلَانِعِ،
وَمِنْ نَفْضِ الشَّعَابِ وَالشَّجَرِ وَالْخَمْرِ^{٩٦٥} فِي كُلِّ جَانِبٍ، كَيْ لَا يَغْتَرَّ كَمَا عَدَوُ، أَوْ يَكُونَ لَكُمْ كَمِينًا.

وَلَا تُسَيِّرَنَّ الْكِتَائِبَ وَالْقَبَائِلَ مِنْ لَدُنِّ الصَّبَاحِ إِلَى الْمَسَاءِ إِلَّا عَلَى تَعْبِيَةٍ. فَإِن دَهَمَكُم دَاهِمٌ، أَوْ غَشِيَكُم مَكْرُوهٌ، كُنْتُمْ قَدْ
تَقَدَّمْتُمْ فِي التَّعْبِيَةِ. وَإِذَا نَزَلْتُمْ بَعْدُ، أَوْ نَزَلَ بِكُمْ، فَلْيَكُنْ مَعْسَكَرُكُمْ فِي قُبُلِ الْأَشْرَافِ، أَوْ سِفَاحِ الْجِبَالِ، أَوْ أَثْنَاءِ الْأَنْهَارِ، كَيْمَا
يَكُونُ ذَلِكَ لَكُمْ رَدًّا، وَتَكُونُ مَقَاتِلَتِكُمْ مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ أَوْ اثْنَيْنِ، وَاجْعَلُوا رُقَبَاءَ كُمْ فِي صِيَاصِي الْجِبَالِ، وَبِأَعَالِي الْأَشْرَافِ،
وَمَنَاكِبِ^{٩٦٦} الْهَضَابِ يَرُونَ لَكُمْ،

ص: ٣٢٤

لِيَلَّا يَأْتِيَكُمُ عَدُوٌّ مِنْ مَكَانٍ مَخَافَةٍ أَوْ أَمْنٍ.

وَإِيَّاكُمْ وَالتَّفَرُّقَ، فَإِذَا نَزَلْتُمْ فَانزِلُوا جَمِيعًا، وَإِذَا رَحَلْتُمْ فَارْحَلُوا جَمِيعًا، وَإِذَا غَشِيَكُم لَيْلٌ فَانزِلْتُمْ فَخَفُّوا عَسَاكِرَكُمْ بِالرِّمَاحِ
وَالْأَتْرِسَةِ، وَرِمَاتِكُمْ يَلُونَ تِرْسَتِكُمْ وَرِمَاحِكُمْ. وَمَا أَقَمْتُمْ فَكَذَلِكَ فَافْعَلُوا، كَيْ لَا تُصَابَ لَكُمْ غَفْلَةٌ، وَلَا تُفْلَى مِنْكُمْ غَرَّةٌ، فَمَا قَوْمٌ
خَفُّوا عَسَاكِرَهُمْ بِرِمَاحِهِمْ وَتِرْسَتِهِمْ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، إِلَّا كَانُوا كَانَتْهُمْ فِي حُصُونٍ. وَاحْرِسَا عَسَاكِرَكُمَا بِأَنْفُسِكُمَا، وَإِيَّاكُمَا أَنْ تَذُوقَا
نَوْمًا حَتَّى تُصْبِحَا، إِلَّا غِرَارًا أَوْ مَضْمُضَةً.

ثُمَّ لِيَكُنْ ذَلِكَ شَأْنَكُمَا وَدَأْبِكُمَا، حَتَّى تَنْتَهِيَا إِلَى عَدُوِّكُمَا. وَلِيَكُنْ عِنْدِي كُلَّ يَوْمٍ خَبْرُكُمَا، وَرَسُولٌ مِنْ قِبَلِكُمَا، فَإِنِّي - وَلَا شَيْءَ
إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ - حَثِيثُ السَّيْرِ فِي آثَارِكُمَا، عَلَيْكُمَا فِي حَرْبِكُمَا بِالتَّوَدُّدِ، وَإِيَّاكُمْ وَالعَجَلَةَ، إِلَّا أَنْ تُمَكِّنَكُمْ فُرْصَةً بَعْدَ الإِعْذَارِ
وَالْحُجَّةِ. وَإِيَّاكُمَا أَنْ تُقَاتِلَا حَتَّى أَقْدِمَ عَلَيْكُمَا، إِلَّا أَنْ تُبَدَّءَ، أَوْ يَأْتِيَكُمَا أَمْرِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَالسَّلَامُ»^{٩٦٧}.

قال نصر: عمر بن سعد، حدثني يزيد بن خالد بن قطن: أن عليًا حين أراد المسير إلى النخيلة دعا زياد بن النضر، و شريح
بن هاني - و كانا على مدحج و الأشعريين - قال:

^{٩٦٥} (١) النفیضة: الجماعة یبعثون فی الأرض متجسسين، لیظنوا هل فیها عدوٌ أو خوف (تاج العروس: ج ١٠ ص ١٦٧ «نفض»). و الشعاب: جمع شعبة، و هو ما انشعب من التلعة و الوادي، أي عدل عنه و أخذ فی طریق غیر طریقہ (تاج العروس: ج ٢ ص ١١٧ «شعب»). و الخمر - بالتحريك -: کل ما سترك من شجر أو بناء أو غیره (النهابة: ج ٢ ص ٧٧ «خمر»).

^{٩٦٦} (٢) المنكب من الأرض: الموضع المرتفع (تاج العروس: ج ٢ ص ٤٥٣ «نكب»).

^{٩٦٧} (١). وقعة صفین: ص ١٢٣، نهج البلاغة: الكتاب ١١ و فیہ من قوله: «و إذا نزلتم بعدو» إلى «أو مضمضة»، تحف العقول: ص ١٩١ و فیہ من قوله: «اعلم أن مقدمة القوم...»، بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٤١٠؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٣ ص ١٩٢، الأخبار الطوال: ص ١٦٦ كلاهما نحوه.

«يا زياد، اتَّقِ اللَّهَ فِي كُلِّ مُمْسَى وَمُصْبِحٍ، وَخَفْ عَلَى نَفْسِكَ الدُّنْيَا الْغَرُورَ، وَلَا تَأْمَنْهَا عَلَى حَالٍ مِنَ الْبَلَاءِ، وَعَلِمَ أَنَّكَ إِنْ لَمْ تَزَعْ نَفْسَكَ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا يُحِبُّ مَخَافَةَ مَكْرُوهُهُ، سَمَتَ بِكَ الْأَهْوَاءُ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الضَّرِّ».

ص: ٣٢٧

فَكُنْ لِنَفْسِكَ مَانِعاً وَاِزَعاً مِنَ الْبَغْيِ وَالظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ؛ فَإِنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ هَذَا الْجُنْدَ، فَلَا تَسْتَطِيلَنَّ عَلَيْهِمْ، وَإِنْ خَيْرَكُمُ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ.

وَتُعَلِّمُ مِنْ عَالِمِهِمْ، وَعَلِّمُ جَاهِلَهُمْ، وَاحْلُمْ عَنْ سَفِيهِهِمْ، فَإِنَّكَ إِذَا تَدْرِكُ الْخَيْرَ بِالْحِلْمِ، وَكُفَّ الْأَذَى وَالْجَهْلَ».

فقال زياد: أوصيت يا أمير المؤمنين حافظاً لوصيتك، مؤدباً بأدبك، يرى الرُّشد في نفاذ أمرك، و الغيَّ في تضييع عهدك.

فأمرهما أن يأخذا في طريق واحد و لا يختلفا، و بعثهما في اثني عشر ألفا على مقدّمته شريح بن هانئ على طائفة من الجند، و زياد على جماعة. فأخذ شريح يعتزل بمن معه من أصحابه على حدة، و لا يقرب زياد بن النضر، فكتب زياد (إلى عليّ عليه السلام) مع غلام له أو مولى يقال له شوذب:

«لِعَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ زِيَادِ بْنِ النَّضْرِ، سَلَامٌ عَلَيْكَ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. أَمَا بَعْدُ؛ فَإِنَّكَ وَوَلَّيْتَنِي أَمْرَ النَّاسِ، وَإِنَّ شُرَيْحاً لَا يَرَى لِي عَلَيْهِ طَاعَةً وَ لَا حَقّاً، وَ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِ بِي اسْتِخْفَافاً بِأَمْرِكَ، وَ تَرَكْتُ لِعَهْدِكَ، وَ السَّلَامَ».

و كتب شريح بن هانئ:

سلام عليك، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. أَمَا بَعْدُ؛ فَإِنَّ زِيَادَ بْنَ النَّضْرِ حِينَ أَشْرَكَتَهُ فِي أَمْرِكَ، وَ وَلَّيْتَهُ جُنْداً مِنْ جُنُودِكَ، تَنَكَّرَ وَ اسْتَكْبَرَ وَ مَالَ بِهِ الْعُجْبُ وَ الْخِيَلَاءُ وَ الزُّهْوَ إِلَى مَا لَا يَرْضَاهُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى مِنَ الْقَوْلِ وَ الْفِعْلِ، فَإِنْ رَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَعْزِلَهُ عَنَّا، وَ يَبْعَثَ مَكَانَهُ مَنْ يُحِبُّ فَلْيَفْعَلْ، فَإِنَّا لَهُ كَارِهُونَ، وَ السَّلَامُ. [فكتب أمير المؤمنين عليه السلام إليهما هذا الكتاب].^{٩٦٨}

ص: ٣٢٨

زياد بن النضر الحارثي

له إدراك^{٩٦٩}، [من عيون أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام و شيعته المخلصين، و أعوانه على اقامة الدين، و حسم مادة المنافقين، و إخماد نار الفاسقين، و من الملبّين لدعوته، و المسرعين إلى دعوته، له خطوات راسية، و أعمال زاكية في

^{٩٦٨} (١). وقعة صفين: ص ١٢١، تحف العقول: ص ١٩١، نهج البلاغة: الكتاب ٥٦ كلاهما نحوه، بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٤١٠؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٣ ص ١٩١.
^{٩٦٩} (١). الإصابة: ج ٢ ص ٥٣٠ الرقم ٢٩٩٩؛ الغدير: ج ٩ ص ٢٥٩.

الحكومة العلوية الحقّة، و هو من الَّذِينَ غضبوا لله حين عصى فى أرضه، و قد ضرب الجور سرادقه، لما عمّ ظلم عثمان و عمّاله و شمل البلاد الإسلاميّة، و تحرّك للناس للأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، و خرجوا على عثمان، و قصدوا المدينة المنورة، [خرج من الكوفة جمع منهم زياد بن النضر الحارثي. ٩٧٠

[أو لما شاور أمير المؤمنين عليه السلام فى أمر القاسطين - معاوية و أهل الشام - بعد فتح البصرة، و الفقول إلى الكوفة، فتكلّم يزيد بن قيس، و أشار بالحرب و عدم التأخير و التّأنى فى ذلك] فقال زياد بن النضر:

لقد نصح لك يا أمير المؤمنين يزيد بن قيس، و قال ما يعرف، فتوكّل على الله و ثق به، و اشخص بنا إلى هذا العدو راشداً معاناً، فإن يرد الله بهم خيراً لا يدعوك رغبةً عنك إلى من ليس مثلك فى السابقة مع النّبى صلى الله عليه و آله، و القدم فى الإسلام، و القرابة من محمد صلى الله عليه و آله، و إلّا ينيبوا و يقبلوا و يأتوا إلّا حربنا نجد حربهم علينا هيئاً، و رجونا أن يصرعهم الله مصارع إخوانهم بالأمس. ٩٧١

ص: ٣٢٩

و [عن] نضر، عن أبى روق قال: قال زياد بن النضر الحارثي لعبد الله بن بدئل بن ورقاء: إن يومنا و يومهم ليوم عصب، ما يصبر عليه إلّا كل مشيع القلب ٩٧٢، صادق النية، رابط الجأش. و أيم الله ما أظن ذلك اليوم يبقى منا و منهم إلّا الرذال.

قال عبد الله بن بدئل: و الله أظن ذلك.

فقال على:

ليكن هذا الكلام مخزوناً فى صدوركم، لا تطهروا ولا يسمعه منكم سامع. إن الله كتب القتل على قوم، و الموت على آخرين، و كل آتية منيته كما كتب الله له فطوبى للمجاهدين فى سبيل الله، و المقتولين فى طاعته. ٩٧٣

فلما عزم عليه السلام على الميسر جعل زياداً على مقدمته فى ثمانية آلاف، و أوصاه بما تقدّم. ٩٧٤

[أو فى أيام صفين] كرهوا أن يلقوا جمع أهل العراق بجمع أهل الشام، لما خافوا، الا يكون فيه من الاستئصال و الهلاك، فكان على عليه السلام يخرج مرة الأستر، و مرة حجر بن عدى الكندي، و مرة شبت بن ربعي ... و مرة زياد بن النضر الحارثي، ... و كان الأستر أكثرهم خروجاً. ٩٧٥ و كان زياد من هؤلاء الرؤساء الشجعان.

[إلى أن حان أوان اعتزال الخوارج] فقالت الخوارج: استبقتم أنتم و أهل الشام

٩٧٠ (٢). تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٣٤٩، الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ٢٨٠، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢ ص ١٤٠. ٩٧١ (٣). وقعة صفين: ص ١٠١ و راجع: المعيار و الموازنة: ص ١٢٨؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٣ ص ١٨٠. ٩٧٢ (١) المشيع: الشجاع، لأن قلبه لا يخذله كأنه يُشيعه، أو كأنه يُشيع بغيره. (النهاية: ج ٢ ص ٥٢٠ «شيع».) ٩٧٣ (٢). وقعة و صفين: ص ١١١، بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٤٠٣ راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٣ ص ١٨٣. ٩٧٤ (٣). الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ٣٦٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٣ ص ١٩١؛ وقعة و صفين: ص ١٢١. ٩٧٥ (٤). الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ٣٦٦، تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥٧٤؛ وقعة و صفين: ص ١٩٥ كلاهما نحوه.

إلى الكفر كَفَرَسَى رِهَان. بايع أهل الشَّام معاويةً على ما أَحَبُّوا و كَرِهُوا، و بايعتم أنتم عليّاً، على أنكم أولياء من و الی، و أعداء من عادی، فقال لهم زياد:

و الله ما بسط على يده فبايعناه قطّ، إلّا على كتاب الله و سنّة نبيّه صلى الله عليه و آله و سلم، و لكنكم لمّا خالفتموه جاءت شيعته، فقالوا: نحن أولياء من و آليت، و أعداء من عاديت، و نحن كذلك و هو على الحقّ و الهدى، و من خالفه ضالّ مُضِلٌّ.^{٩٧٦}

[شهد زياد بن النَّضْرُ مقتل رُشَيْدِ الْهَجْرِيِّ] قال إبراهيم: و حدّثني إبراهيم بن العباس النهديّ، حدّثني مبارك البجليّ عن أبي بكر بن عيَّاش، قال: حدّثني المُجَالِدُ عن الشَّعْبِيِّ عن زياد بن النَّضْرِ الحارثيّ، قال: كنت عند زياد، و قد أتى برُشَيْدِ الْهَجْرِيِّ- و كان من خواصّ أصحاب عليّ عليه السلام- فقال له زياد: ما قالَ خَلِيلُكَ لَكَ إِنَّا فاعِلُونَ بِكَ؟ قال: تَقَطَّعُونَ يَدَيَّ و رِجْلَيَّ و تَصَلِّبُونَنِي، فقال زياد: أما و الله لَأَكْذِبَنَّ حَدِيثَهُ، خلّوا سبيله، فلمّا أراد أن يخرج قال: رُدُّوهُ لَا نَجِدُ شَيْئاً أَصْلَحَ مِمَّا قالَ لَكَ صاحِبُكَ، إنَّكَ لَا تَزَالُ تَبْغِي لَنَا سُوءاً إِنْ بَقِيتَ، اقطعوا يَدَيْهِ و رِجْلَيْهِ، فَقطَّعُوا يَدَيْهِ و رِجْلَيْهِ و هو يَتَكَلَّمُ، فقال: اصلبوه خنقاً في عنقه، فقال رُشَيْدُ: قد بقي لي عندكم شيءٌ ما أراكم فعلتموه، فقال زياد: اقطعوا لسانه، فلمّا أخرجوا لسانه ليقطع، قال: نفّسوا عني أنكلّم كلمةً واحدةً، فنفسوا عنه، فقال: هذا و الله تصديقٌ خَبَرِ أميرِ الْمُؤْمِنِينَ، أَخْبَرَنِي بِقَطْعِ لِسَانِي، فَقطَّعُوا لِسَانَهُ و صَلَّبُوهُ.^{٩٧٧}

شُرَيْحُ بن هانئ بن يزيد الحارث بن كعب

أدرك النَّبِيَّ صلى الله عليه و آله و دعا له ... و كان من أعيان أصحاب عليّ، و شهد معه حروبه،

و شهد الحَكَمِينَ بِدَوْمَةَ الْجَنْدَلِ، و بقى دهرأ طويلاً، و سار إلى سجستانَ غزياً، فَقتلَ بِهَا سَنَةً ثَمَانٍ و سَبْعِينَ،^{٩٧٨} و كان من أمراءِ عليّ عليه السلام في وَقَعَةِ الْجَمَلِ.^{٩٧٩}

[فقال أبو عمر، و كان من أجلة أصحاب عليّ: لمّا كتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى الكوفة، يَسْتَنْفِرُهُمْ إلى حَرْبِ الْجَمَلِ، و قرأ الكتاب على النَّاسِ، قام خطباء الكوفة، شُرَيْحُ بن هانئ و غيره فقالوا:] و الله لقد أردنا أن نركب إلى المدينة حتّى نعلم علم عثمان، فقد أنبأنا الله به في بيوتنا، ثمّ بذلوا السَّمْعَ و الطَّاعَةَ، و قالوا:

^{٩٧٦} (١) تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٦٤، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٩٢، المعيار و الموازنة: ص ١٩٤.
^{٩٧٧} (٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٢٩٤؛ الغارات: ج ٢ ص ٧٩٩، بحار الأنوار: ج ٤١ ص ٣٤٦، الإرشاد: ج ١ ص ٣٢٥، إعلام الوری: ج ١ ص ٣٤٣ كلاهما تحوه.
^{٩٧٨} (١) أسد الغابة: ج ٢ ص ٦٢٨ الرقم ٢٤٢٨ و راجع: الإصابة: ج ٣ ص ٣٠٧ الرقم ٣٩٩١، الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ١٢٨، تاريخ مدينة دمشق: ج ٢٣ ص ٦٤ الرقم ٢٧٣٥، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٧ ص ١٣٨.
^{٩٧٩} (٢) الإصابة: ج ٣ ص ٣٩٧ الرقم ٣٩٩١؛ الجمل: ص ٣١٩.

رضينا بأمر المؤمنين، و نطيع أمره و لا نتخلف عن دعوته، و الله لو لم يستنصرنا لنصرناه سمعاً و طاعةً.^{٩٨٠}

و لما عزم أمير المؤمنين عليه السلام على المسير إلى صفين، جعله على مُقَدِّمَتِهِ في أربعة آلاف،^{٩٨١} أو وصى بما تقدم عن نهج البلاغة؛ و له في حرب صفين مقام سام، لا ينسى و لا يخفى على من راجع.

قال: ابن قُتَيْبَةُ: و ذكروا أنَّ عَلِيًّا استشارَ النَّاسَ - فأشاروا عليه بالمُقَامِ بالكوفةَ عامَّةً ذلكَ، غيرَ الأَشْتَرِ النَّخَعِيِّ، و عديّ بن حاتم، و شُرَيْحِ بن هانئ، فَأَنَّهُمْ قاموا إلى عليّ، فتكلّموا بلسانٍ واحدٍ، فقالوا: إِنَّ الَّذِينَ أشاروا عَلَيْكَ بالمُقَامِ، إِنَّمَا خَوْفُوكَ بِحَرْبِ الشَّامِ، و ليس في حَرْبِهِمْ شيءٌ أَخوفٌ مِنَ المَوْتِ و نحن نريده.

فقال لهم:

«إنَّ استعدادي لحرب أهل الشَّامِ، وجريرِ عندهم إغلاقٌ للشَّامِ...»^{٩٨٢}

ص: ٣٣٢

لما انتهى الأمر في صفين إلى المودعة، و حكم الحكمين، بعث عليّ عليه السلام أربعمائه رجل إلى دومة الجندل، و عليهم شُرَيْحِ بن هانئ الحارثي، و بعث عبد الله بن عباس يصلي بهم ويلي أمورهم.^{٩٨٣}

نصر: و في حديث مُحَمَّدِ بن عبيد الله عن الجرجاني قال: لما أراد أبو موسى المسير، قام شُرَيْحِ فأخذ بيد أبي موسى، فقال: يا أبا موسى، إنَّكَ قد نصبت لأمر عظيم لا يُجبرُ صدعه، و لا يُستقالُ فتقه، و مهما تَقَلُّ شيئاً لك أو عَلَيْكَ يثبتُ حقه، و يُرَ صحتَه، و إنَّ كان باطلاً، و إنَّه لا بقاء لأهل العِراقِ إنَّ مَلِكها معاوية، و لا بأس على أهل الشَّامِ إنَّ مَلِكها عليّ. و قد كانت منك تشبيطةٌ أيامَ قَدِمَتِ الكوفةُ، فَإِنَّ تَشَفِّعها بمثلها يكن الظنُّ بك يقيناً، و الرجاء منك يأساً.

و قال شُرَيْحِ في ذلك:

أبا موسى رُميتَ بِشَرِّ خَصْمٍ
فلا تُضِعِ العِراقَ فَدَتَكَ نَفْسِي

^{٩٨٠} (٣). الأُمالي للطوسي: ص ٧١٩ ح ١٥١٨، بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٧٣ و راجع: الإمامة و السياسة: ج ١ ص ٨٦.
^{٩٨١} (٤). تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥٦٥، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٦٢، و راجع: أنساب الأشراف: ج ٣ ص ٨١.
^{٩٨٢} (٥). الإمامة و السياسة: ج ١ ص ١١٤، تاريخ مدينة دمشق: ج ٥٩ ص ١٣٠ نحوه، و راجع: الفتوح: ج ٢ ص ٥١٠.
^{٩٨٣} (١) راجع: الطبقات الكبرى: ج ٤ ص ٢٥٦، تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٦٧، تاريخ مدينة دمشق: ج ٢٣ ص ٦٧، شرح نهج البلاغة: ج ٢ ص ٢٤٤؛ وقعة صفين: ص ٥٣٣.

وَأَعْطِ الْحَقَّ شَامَهُمْ وَخُذْهُ

فَإِنَّ الْيَوْمَ فِي مَهَلٍ كَأَمْسٍ

وَإِنَّ غَدًا يَجِيءُ بِمَا عَلَيْهِ

يَدُورُ الْأَمْرُ مِنْ سَعْدٍ وَنَحْسٍ

وَلَا يَخْدَعُكَ عَمْرٍو، إِنَّ عَمْرًا

عَدُوُّ اللَّهِ، مَطَّلَعَ كُلَّ شَمْسٍ

لَهُ خُدْعٌ يَحَارُ الْعَقْلُ فِيهَا

مَمَّوَهَةٌ مُزْخَرَفَةٌ بِلَيْسٍ

فَلَا تَجْعَلْ مُعَاوِيَةَ بْنَ حَرْبٍ

كَشَيْخٍ فِي الْحَوَادِثِ غَيْرِ نَكْسٍ

هَدَاهُ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ فَرْدًا

سَوَى بِنْتِ النَّبِيِّ، وَ أَيْ عُرْسٍ^{٩٨٤}

ص: ٣٣٣

رُشَيْدُ الْهَجْرِيَّ

^{٩٨٤} (٢). وقعة صفين: ص ٥٣٤، بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٢٩٧؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١ ص ١٥٣، الفتوح: ج ٤ ص ٢٠٧، الإمامة السياسية: ج ١ ص ١٥٣ كلها نحوه مع اختلاف يسير.

رُشَيْدُ الْهَجْرِيِّ مِنْ أَصْحَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامِ الْوَاعِينَ الرَّاسِخِينَ^{٩٨٥}. وَ عُدَّ مِنْ أَصْحَابِ الْإِمَامِ الْحَسَنِ^{٩٨٦} وَ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أَيْضاً^{٩٨٧}، كَانَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامِ يَعِظُهُ وَ يُسَمِّيهِ رُشَيْدَ الْبِلَايَا. وَ قَدْ عَلَّمَهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامِ عِلْمَ الْمَنَايَا وَ الْبِلَايَا وَ مَا وَرَاءَ عَالَمِ الشَّهَادَةِ، فَعُرِفَ بِعَالِمِ الْبِلَايَا وَ الْمَنَايَا^{٩٨٨}. قَالَ لَهُ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمًا:

كَيْفَ صَبْرُكَ إِذَا أُرْسِلَ إِلَيْكَ دَعِيٌّ بَنِي أَمِيَّةَ، فَقَطِّعْ يَدَيْكَ وَرِجْلَيْكَ وَ لِسَانَكَ؟

فَقُلْتُ:

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَيْكُونُ آخِرُ ذَلِكَ إِلَى الْجَنَّةِ؟ ...^{٩٨٩}

وَ هَكَذَا جَسَّدَ عِظْمَةَ الصَّبْرِ، وَ دَلَّ عَلَى صَلَابَتِهِ فِي مَحَبَّتِهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ. وَ لَمَّا آتَى ذَلِكَ الْأَوَانَ فَعَلَ زِيَادُ بْنُ أَبِيهِ فَعَلْتَهُ، وَ لَمْ يَتَنَازَلْ رُشَيْدٌ عَنِ الْحَقِّ إِلَى أَنْ اسْتَشْهَدَ وَ صَلَبَ^{٩٩٠}.

فِي الْأَمَالِيِّ لِلطُّوسِيِّ عَنْ بِنْتِ رُشَيْدِ الْهَجْرِيِّ عَنْ رُشَيْدِ الْهَجْرِيِّ: قَالَ لِي حَبِيبِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

يَا رُشَيْدُ، كَيْفَ صَبْرُكَ إِذَا أُرْسِلَ إِلَيْكَ دَعِيٌّ بَنِي أَمِيَّةَ فَقَطِّعْ يَدَيْكَ وَرِجْلَيْكَ وَ لِسَانَكَ؟

فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَيْكُونُ آخِرُ ذَلِكَ إِلَى الْجَنَّةِ؟ قَالَ:

نَعَمْ يَا رُشَيْدُ، وَأَنْتَ مَعِيَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

ص: ٣٣٤

قَالَتْ: فَوَ اللَّهُ مَا ذَهَبَتِ الْأَيَّامُ حَتَّى أُرْسَلَ إِلَيْهِ الدَّعِيُّ عَبِيدُ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ^{٩٩١}، فَدَعَاهُ إِلَى الْبِرَاءَةِ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامِ، فَأَبَى أَنْ يَتَبَرَّأَ مِنْهُ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ زِيَادٍ: فَبَأَى مِيتَهُ قَالَ لَكَ صَاحِبُكَ تَمُوتُ؟

قَالَ: أَخْبَرَنِي خَلِيلِي صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ: «أَنْتَ تَدْعُونِي إِلَى الْبِرَاءَةِ مِنْهُ فَلَا أَتَبَرَّأُ، فَتَقَطِّعْ يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ وَ لِسَانِي». فَقَالَ: وَ اللَّهُ، لَأُكَذِّبَنَّ صَاحِبَكَ، قَدَّمُوهُ فَاقْطَعُوا يَدَهُ وَ رِجْلَهُ وَ اتْرَكُوا لِسَانَهُ، فَاقْطَعُوهُ ثُمَّ حَمَلُوهُ إِلَى مَنْزِلِنَا.

فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَهْ جُعِلَتْ فِدَاكَ، هَلْ تَجِدُ لَمَّا أَصَابَكَ أَلْمَأُ؟ قَالَ: وَ اللَّهُ، لَا يَا بُنَيَّةُ إِلَّا كَالرَّحَامِ بَيْنَ النَّاسِ.

^{٩٨٥} (١) رجال الطوسي: ص ٦٣ الرقم ٥٥٦، رجال الكشي: ج ١ ص ٢٩٠ الرقم ١٣١، رجال البرقي: ص ٤، الاختصاص: ص ٧؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٢٩٤.

^{٩٨٦} (٢) رجال الطوسي: ص ٩٤ الرقم ٩٣١.

^{٩٨٧} (٣) رجال الطوسي: ص ١٠٠ الرقم ٩٧٨، الاختصاص: ص ٨، رجال البرقي: ص ٧.

^{٩٨٨} (٤) راجع: رجال الكشي: ج ١ ص ٢٩١ الرقم ١٣١، الأمالي للطوسي: ص ١٦٦ ح ٢٧٦ وفيه «رشيد المبتلى»، الاختصاص: ص ٧٧، بصائر الدرجات: ص ٢٦٤ ح ٩.

^{٩٨٩} (٥) الأمالي للطوسي: ص ١٦٥ ح ٢٧٦، رجال الكشي: ج ١ ص ٢٩٠ الرقم ١٣١ و راجع الإرشاد: ج ١ ص ٣٢٥.

^{٩٩٠} (٦) راجع: الإرشاد: ج ١ ص ٣٢٥؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٢٩٤.

^{٩٩١} (١) و في الإرشاد ذكر أن قاتل رُشيد «زياد».

ثم دخل عليه جيرانه و معارفه يتوجعون له، فقال: ايتوني بصحيفة و دواء، أذكر لكم ما يكون ممّا أعلمنيه مولاي أمير المؤمنين عليه السلام.

فأتوه بصحيفة و دواء، فجعل يذكر و يملئ عليهم أخبار الملاحم و الكائنات و يسندها إلى أمير المؤمنين عليه السلام.

فبلغ ذلك ابن زياد، فأرسل إليه الحجاج حتى قطع لسانه، فمات من ليلته تلك رحمه الله^{٩٩٢}.

و في الإرشاد عن زياد بن النضر الحارثي: كنت عند زياد إذ اتى برشيد الهجري، فقال له زياد: ما قال لك صاحبك - يعني علياً عليه السلام - إنا فاعلون بك؟

قال: تقطعون يدي و رجلي و تصلبونني. فقال زياد: أما و الله، لأكذبن حديثه، خلوا سبيله.

ص: ٣٣٥

فلما أراد أن يخرج قال زياد: و الله، ما نجد له شيئاً شراً ممّا قال صاحبه، اقطعوا يديه و رجليه و اصلبوه. فقال رشيد: هيهات، قد بقي لى عندكم شيء أخبرني به أمير المؤمنين عليه السلام. قال زياد: اقطعوا لسانه. فقال رشيد: الآن و الله، جاء تصديق خبر أمير المؤمنين عليه السلام^{٩٩٣}.

٩١ كتابه عليه السلام إلى الأشر

فأرسل عليّ إلى الأشر، فقال:

«يا مال^{٩٩٤}، إن زياداً و شريحاً أرسلا إلى يعلماني، أنهما لقيا أبا الأغور السلميّ في جند من أهل الشام بسور الروم، فنبأني الرسول أنه تركهم متواقفين.

فالنّجاء إلى أصحابك النّجاء. فإذا أتيتهم فانت عليهم، وإياك أن تبدأ القوم بقتال، إلا أن يبدؤوك، حتى تلقاهم وتسمع منهم؛ ولا يجرمك شأنهم على قتالهم قبل دعائهم والإعذار إليهم مرّة بعد مرّة. واجعل على يمينك زياداً، وعلى ميسرتك شريحاً، وقف بين أصحابك وسطاً، ولا تدن منهم دنو من يريد أن ينشِب الحرب، ولا تباعد منهم تباعد من يهاب البأس، حتى أقدم عليك؛ فإنّي حثيث السّير إليك إن شاء الله».

و كان الرسول الحارث بن جهمان الجعفي^{٩٩٥}.

^{٩٩٢} (٢). الأمالي للطوسي: ص ١٦٥ ح ٢٧٦، رجال الكشي: ج ١ ص ٢٩٠ الرقم ١٣١، الاختصاص: ص ٧٧.
^{٩٩٣} (١). الإرشاد: ج ١ ص ٣٢٥، إعلام الوري: ج ٢ ص ٣٤٣؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٢٩٤ و راجع رجال الكشي: ج ١ ص ٢٩٠ الرقم ١٣١ و الاختصاص: ص ٧٨.
^{٩٩٤} (٢) هذا ترخيم على لغة من ينتظر، أي: يا مالك.

و فى كتابه إلى أهل مصر

«وَإِنِّي قَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، لَا يَنَامُ أَيَّامَ الْخَوْفِ، وَلَا يَنْكُلُ عَنِ الْأَعْدَاءِ خِذَارِ الدَّوَابِّ، مِنْ أَشَدِّ عِبِيدِ اللَّهِ بِأَسَاءٍ وَأَكْرَمِهِمْ حَسَبًا أَوْضَرُّ عَلَى الْفَجَّارِ مِنَ حَرِيْقِ النَّارِ، وَأَبْعَدُ النَّاسِ مِنْ دَنْسٍ أَوْ عَارٍ، وَهُوَ مَالِكٌ بِنُ الْحَارِثِ الْأَشْتَرِ، لَا نَابِيَ الضَّرْسِ، وَلَا كَلِيلَ الْحَدِّ، حَلِيمٌ فِي الْحَذَرِ، رَزِينٌ فِي الْحَرْبِ، ذُو رَأْيٍ أَصِيلٍ وَصَبْرٍ جَمِيلٍ ... فَإِنَّهُ لَا يُقَدِّمُ وَلَا يُحْجِمُ إِلَّا بِأَمْرِي ...»^{٩٩٤}.

فقال ابن أبي الحديد فى شرح الكتاب:

ثمَّ أمرهم بأن يطيعوه فى جميع ما يأمرهم به من الإقدام والإحجام، و قال: إِنَّهُ لَا يُقَدِّمُ وَلَا يُؤَخِّرُ إِلَّا عَنْ أَمْرِي، وَ هَذَا إِنْ كَانَ قَالَهُ مَعَ أَنَّهُ قَدْ سَنَحَ لَهُ أَنْ يَعْمَلَ بِرَأْيِهِ فِي أُمُورِ الْحَرْبِ مِنْ غَيْرِ مَرَاجَعَتِهِ فَهُوَ عَظِيمٌ جَدًّا، لِأَنَّهُ يَكُونُ قَدْ أَقَامَهُ مَقَامَ نَفْسِهِ، وَ جَازَ أَنْ يَقُولَ إِنَّهُ لَا يَفْعَلُ شَيْئًا إِلَّا عَنْ أَمْرِي، وَ إِنْ كَانَ لَا يَرَاغِعُهُ فِي الْجَزْئِيَّاتِ عَلَى عَادَةِ الْعَرَبِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ، لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ فَيَمْنُ يَثْقُونَ بِهِ نَحْوَ ذَلِكَ ... هَذَا الْقَوْلُ عَنِ الْأَشْتَرِ، لِأَنَّهُ قَدْ قَرَّرَ مَعَهُ بَيْنَهُ وَ بَيْنَهُ أَلَّا يَعْمَلُ شَيْئًا قَلِيلًا وَ لَا كَثِيرًا إِلَّا بَعْدَ مَرَاجَعَتِهِ، فَيَجُوزُ، وَ لَكِنَّ هَذَا بَعِيدٌ؛ لِأَنَّ الْمَسَافَةَ طَوِيلَةً بَيْنَ الْعِرَاقِ وَ مِصْرَ وَ كَانَتِ الْأُمُورُ هُنَاكَ تَقْفُ وَ تَفْسُدُ.^{٩٩٧}

أو لا يخفى على أحد أهمية و قيمة هذه الكلمات التى صدرت عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، المعصوم الذى لا يخاف لومة لائم و لا يتكلم و لا يكتب إلا بحق.^[١]

٩٢ كتابه عليه السلام إلى زياد بن النضر و شريح

«أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنِّي قَدْ أَمَرْتُ عَلَيْكُمَا مَالِكًا، فَاسْمَعَا لَهُ وَأَطِيعَا أَمْرَهُ؛ فَإِنَّهُ مِمَّنْ لَا يُخَافُ رَهَقَهُ وَلَا سِقَاطَهُ، وَلَا بَطُوهُ عَمَّا الْإِسْرَاعُ إِلَيْهِ أَحْزَمٌ، وَلَا الْإِسْرَاعُ إِلَى مَا الْبُطَاءُ عَنْهُ أَمْتَلٌ، وَقَدْ أَمَرْتُهُ بِمِثْلِ الَّذِي أَمَرْتُكُمَا: أَلَّا يَبْدَأَ الْقَوْمَ بِقِتَالٍ حَتَّى يَلْقَاهُمْ فَيَدْعُوهُمْ وَيُعْذِرَ إِلَيْهِمْ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ».^{٩٩٨}

قال خالد بن قطن (الحارثي): فَلَمَّا قَطَعَ عَلَى الْفِرَاتِ دَعَا زِيَادَ بْنَ النَّضْرِ، وَ شُرَيْحَ بْنَ هَانِيٍّ، فَسَرَّحَهُمَا أَمَامَهُ نَحْوَ مَعَاوِيَةَ عَلَى حَالِهِمَا الَّذِي كَانَا عَلَيْهِ حِينَ خَرَجَا مِنَ الْكُوفَةِ، فِي اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا. وَ قَدْ كَانَا حِينَ سَرَّحَهُمَا مِنَ الْكُوفَةِ مُقَدِّمَةً لَهُ أَخْذًا عَلَى

^{٩٩٥} (٣). وقعة صفين: ص ١٥٣، بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٤١٤ ح ٣٧٤ و ص ٤٣٢ ح ٣٨٧؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٣ ص ٢١٢ و تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥٦٦ نحوه مع اختلاف يسير.

^{٩٩٦} (١). الأمالي للمفيد: ص ٨١ ح ٤، الغارات: ج ١ ص ٢٥٩، بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٥٥٢؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٦ ص ٧٤.

^{٩٩٧} (٢). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٦ ص ١٥٩.

^{٩٩٨} (١). وقعة صفين: ص ١٥٤، بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٤١٤ ح ٣٧٤ و ص ٤٣٢ ح ٣٨٧؛ تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥٦٧، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٣ ص ٢١٣ و ج ١٥ ص ٩٨ و راجع: نهج البلاغة: الخطبة ١٣؛ الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٢٩٣.

شاطئ الفرات، من قِبَلِ البَرِّ مِمَّا يَلِي الكوفَةَ، حَتَّى بَلِغَا عانات، فبَلِغَهُمَا أَخَذَ عَلِيٌّ عَلَى طَرِيقِ الجَزِيرَةِ، وَ بَلِغَهُمَا أَنَّ مَعَاوِيَةَ أَقْبَلَ فِي جُنُودِ الشَّامِ مِنْ دَمَشَقٍ لِاسْتِقْبَالِ عَلِيٍّ، فَقَالَا:

لَا وَاللَّهِ مَا هَذَا لَنَا بَرَأَى: أَنْ نَسِيرَ وَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا الْبَحْرُ! مَا لَنَا خَيْرٌ أَنْ نَلْقَى جَمُوعَ أَهْلِ الشَّامِ بِقَلَّةٍ مِنْ عَدَدِنَا، مُنْقَطِعِينَ مِنَ الْعَدَدِ وَ الْمَدَدِ.

فَذَهَبُوا لِيَعْبُرُوا مِنْ عانات، فَمَنْعَهُمْ أَهْلُ عانات، وَ حَبَسُوا عِنْدَهُمُ السُّنَنَ، فَأَقْبَلُوا رَاجِعِينَ حَتَّى عَبَرُوا مِنْ هَيْتِ، ثُمَّ لَحِقُوا عَلِيًّا بِقَرِيئِهِ دُونَ قَرِيسِيَا وَ قَدِ أَرَادُوا أَهْلَ عانات فَتَحَصَّنُوا مِنْهُمْ، فَلَمَّا لَحِقَتِ الْمَقْدَمَةُ عَلِيًّا قَالَ:

ص: ٣٣٨

«مُقَدِّمَتِي تَأْتِي مِنْ وِرَائِي؟»

فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ زِيَادٌ وَ شُرَيْحٌ فَأَخْبَرَاهُ بِالرَّأْيِ الَّذِي رَأَى، فَقَالَ:

«قَدْ أَصَبْتُمَا رُشْدَكُما».

فَلَمَّا عَبَرَ الْفَرَاتَ قَدَمَهُمَا أَمَامَهُ نَحْوَ مَعَاوِيَةَ، فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَى مَعَاوِيَةَ، لَقِيَهُمُ أَبُو الْأَعْوَرِ السَّلْمِيُّ فِي جُنْدِ أَهْلِ الشَّامِ، فَدَعَوْهُمْ إِلَى الدُّخُولِ فِي طَاعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَأَبَوْا، فَبَعَثُوا إِلَى عَلِيٍّ: إِنَّا قَدْ لَقِينَا أَبَا الْأَعْوَرِ السَّلْمِيَّ يَسُورَ الرُّومِ فِي جُنْدٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، فَدَعَوَانَا وَ أَصْحَابَهُ إِلَى الدُّخُولِ فِي طَاعَتِكَ فَأَبَوْا عَلَيْنَا، فَمَرْنَا بِأَمْرِكَ.

أَلَا لَا تَرَى مَدْحَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامِ الْأَشْتَرِ بِقَوْلِهِ:

«لَا يُخَافُ رَهَقَهُ».

وَ الرَّهَقُ مُحَرَّكَةٌ:

السَّفَهُ وَ رُكُوبُ الشَّرِّ، وَ الظُّلْمُ وَ غَشِيَانُ الْمَحَارِمِ إِنْ كَانَ مَصْدَرًا، وَ أَمَّا إِنْ كَانَ اسْمًا مِنَ الْإِرْهَاقِ فَهُوَ بِمَعْنَى حَمْلِ الْإِنْسَانِ عَلَى مَا لَا يُطِيقُ، وَ عَلَى التُّهْمَةِ وَ الْإِثْمِ، أَيْ لَا يُخَافُ أَنْ يَغْشَى الْمَحَارِمَ وَ يَظْلِمَ النَّاسَ وَ يَخُونَ الْمُسْلِمِينَ، أَوْ يَحْمِلُهُمْ عَلَى مَا لَا يُطِيقُونَ، يَعْنِي أَنَّهُ مَأْمُونٌ مِنْ هَذِهِ الْجِهَاتِ، كَمَا أَنَّ قَوْلَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

«وَلَا سِقَاطِهِ»

بِالْكَسْرِ:

يعنى العثرة و الزلّة يدلّ، على أنّ الأثتر مأمون أيضاً من جهة عثاره، فهو مأمون من أن يرتكب شيئاً فيه الإثم و الفساد عمداً و خطأ، كما أنّ قوله عليه السلام:

«و لا بطؤه عمّا الإسراع إليه أحزم».

يفيد كمال العقل و التدبير فى الحرب، بحيث صار مأموناً عن الإبطاء إذا كان الإسراع موافقاً للحزم و الاحتياط، أو الإسراع فيما كان الإبطاء فيه موافقاً للحزم و الاحتياط.

هذه الأوصاف التى وصف بها الأثتر تقرب من أوصاف العصمة، كما أنّه عليه السلام أوصاه عند إرساله إلى مصر فقال:

«فاخرجُ فإني لم أوصيك اكنفت برأيك»

.[

ص: ٣٣٩

زياد بن النضر

زياد بن النضر الحارثي، كان من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام^{٩٩٩} الأجلّاء، و من أعوانه المخلصين، و أحد امراء الجيش^{١٠٠٠}، و تدلّ أقواله و مواقفه فى صفين و غيرها من المشاهد، على أنّه كان ذا وعى عميق و معرفة رفيعة بشخصية المولى أمير المؤمنين عليه السلام.

أشار فى موقف من مواقفه إلى سبق الإمام عليه السلام فى الإيمان، و منزلته العالية عند رسول الله صلى الله عليه و آله. و أكّد على القتال فى صفين من خلال تصوير دقيق^{١٠٠١}.

كان من رؤساء الكوفيّين الذين قدموا المدينة للاحتجاج على عثمان^{١٠٠٢}.

و كان من امراء جيش الإمام علىّ عليه السلام، و تولى فى صفين قيادة مقدّمة الجيش مع شريح بن هانى^{١٠٠٣}، و لمّا صاروا فى مقابل العدو، أمر عليهما الإمام مالك الأثتر^{١٠٠٤}.

^{٩٩٩} (١). رجال الطوسي: ص ٦٥ الرقم ٥٨٣.

^{١٠٠٠} (٢). وقعة صفين: ص ٢١٤؛ تاريخ الطبري: ج ٥ ص ١٢.

^{١٠٠١} (٣). راجع: وقعة صفين: ص ١٠١.

^{١٠٠٢} (٤). تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٣٤٩، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٩ ص ٢٤٥، أنساب الأشراف: ج ٦ ص ١٥٧.

^{١٠٠٣} (٥). وقعة صفين: ص ١٢٢ و ١٢٣؛ تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥٦٥ و ٥٦٦.

^{١٠٠٤} (٦). وقعة صفين: ص ١٥٣؛ تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥٦٧.

كان زياد صاحب لواء قبيلة مَذْحِج في المعركة^{١٠٠٥}، و كانت له صولات عظيمة في معارك ذى الحجة^{١٠٠٦}. و أوفده الإمام عليه السلام لمفاوضة أصحاب النهروان قبل الحرب^{١٠٠٧}.

أجل، لقد كان طاهر القلب، شجاعاً، خيراً كريماً، مطيعاً مخلصاً لأمر المؤمنين عليه السلام.

ص: ٣٤٠

شُرَيْحُ بْنُ هَانِيٍّ

شُرَيْحُ بْنُ هَانِيٍّ بْنُ يَزِيدِ الْحَارِثِيِّ، يُكْنَى أَبُو الْمُقْدَامِ، كَانَ مِنَ الْمُخَضْرَمِينَ^{١٠٠٨}، أُدْرِكَ النَّبِيُّ وَ لَمْ يَرَهُ^{١٠٠٩}، وَ كَانَ مِنْ أَكْبَرِ التَّابِعِينَ^{١٠١٠}، وَ مِنْ كِبَارِ أَصْحَابِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ^{١٠١١} وَ شَهِدَ مَعَهُ الْمَشَاهِدَ^{١٠١٢}، وَ كَانَ أَمِيرًا فِي الْجَمَلِ^{١٠١٣}، وَ فِي صَفِّينَ مِنْ أَمْرَاءِ مَقْدَمَةِ الْجَيْشِ وَ عَلَى الْمَيْسِرَةِ^{١٠١٤}.

و لَمَّا بَعَثَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَبَا مُوسَى إِلَى دَوْمَةَ الْجَنْدَلِ^{١٠١٥} بَعَثَ مَعَهُ أَرْبَعَمِائَةَ عَلَيْهِمْ شُرَيْحُ بْنُ هَانِيٍّ^{١٠١٦}.

و عِنْدَ مَا ذُكِرَ اسْمُهُ فِي زِمْرَةِ الشَّاهِدِينَ عَلَى حُجْرِ بْنِ عَدِيٍّ، أَنْفَذَ إِلَى مَعَاوِيَةَ كِتَابًا كَذَّبَ فِيهِ ذَلِكَ وَ أُنْتِنَى عَلَى حُجْرٍ^{١٠١٧}

ص: ٣٤١

قتل شُرَيْحُ بْنُ هَانِيٍّ فِي سَجِسْتَانَ سَنَةَ ٧٨ هـ^{١٠١٨}، وَ هُوَ ابْنُ مِائَةٍ وَ عَشْرِينَ سَنَةً^{١٠١٩}.

٩٣ كتابه عليه السلام إلى جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ

-
- ١٠٠٥ (٧). وقعة صفين: ص ١١٨ و ص ١٢١.
١٠٠٦ (٨). وقعة صفين: ص ١٩٥؛ تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥٧٤.
١٠٠٧ (٩). تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٦٥.
١٠٠٨ (١). المستدرك على الصحيحين: ج ١ ص ٧٥ ح ٦٢، تهذيب الكمال: ج ١٢ ص ٤٥٤ الرقم ٢٧٢٩، سير أعلام النبلاء: ج ٤ ص ١٠٨ الرقم ٣٣.
١٠٠٩ (٢). المستدرك على الصحيحين: ج ١ ص ٧٥ ح ٦٢، تهذيب الكمال: ج ١٢ ص ٤٥٢ الرقم ٢٧٢٩، تاريخ مدينة دمشق: ج ٢٣ ص ٦٤.
١٠١٠ (٣). المستدرك على الصحيحين: ج ١ ص ٧٥ ح ٦٢.
١٠١١ (٤). تهذيب الكمال: ج ١٢ ص ٤٥٢ ح ٢٧٢٩، تاريخ دمشق: ج ٢٣ ص ٦٥، الاستيعاب: ج ٢ ص ٢٥٩ ح ١١٨٠ و فيه «من أجلّة أصحاب علي رضي الله عنه»، اسد الغابة: ج ٢ ص ٦٢٨ ح ٢٤٢٨ و فيه «كان من أعيان أصحاب علي رضي الله عنه».
١٠١٢ (٥). الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ١٢٨، اسد الغابة: ج ٢ ص ٦٢٨ الرقم ٢٤٢٨.
١٠١٣ (٦). الجمل: ص ٣١٩؛ الإصابة: ج ٣ ص ٣٠٨ الرقم ٣٩٩١.
١٠١٤ (٧). وقعة صفين: ص ١٥٢؛ تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥٦٥.
١٠١٥ (٨). تومة الجندل: مدينة على سبع مراحل من دمشق بينها وبين مدينة الرسول صلى الله عليه وآله و يطلق عليها اليوم «الجوف»، و قد جرت فيها قضية التحكيم (راجع معجم البلدان: ج ٢ ص ٤٨٧).
١٠١٦ (٩). سير أعلام النبلاء: ج ٤ ص ١٠٧ الرقم ٣٣، تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٦٧؛ وقعة صفين: ص ٥٣٣.
١٠١٧ (١٠). أنساب الأشراف: ج ٥ ص ٢٦٤، تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٢٧٢، تاريخ مدينة دمشق: ج ٨ ص ٢٢.
١٠١٨ (١). تاريخ خليفة بن خياط: ص ٢١٢، الطبقات لخليفة بن خياط: ص ٢٥٠ الرقم ١٠٦٥، تهذيب الكمال: ج ١٢ ص ٤٥٣ الرقم ٢٧٢٩، اسد الغابة: ج ٢ ص ٦٢٨ الرقم ٢٤٢٨، الإصابة: ج ٣ ص ٣٠٨ الرقم ٣٩٩١.
١٠١٩ (٢). اسد الغابة: ج ٢ ص ٦٢٨ الرقم ٢٤٢٨، الإصابة: ج ٣ ص ٣٠٨ الرقم ٣٩٩١.

كتابه عليه السلام إلى جرير بن عبد الله البجليّ لما أرسله إلى معاوية:

«أما بعد؛ فإذا أتاك كتابي، فاحمل معاوية على الفصل^{١٠٢٠}، وخذه بالأمر الجزم، ثمّ خيره بين حربٍ مجلية^{١٠٢١}، أو سلمٍ مخزية، فإنّ اختار الحرب فأنبذ إليه، وإنّ اختار السلم، فخذ بيعته^{١٠٢٢} والسلام». ^{١٠٢٣}

قال ابن أعثم: ثمّ كتب النجاشيّ - شاعر على رضى الله عنه - إلى جرير أبياتاً من الشعرٍ مطلعها:

ألا ليت شعري و الحوادثُ جمّةٌ أَلَلَّغِبِ سَارَ الْمَالِكِيُّ جَرِيرُ

فلما انتهى الكتاب إلى جرير، أتى معاوية، فأقرأه الكتاب، فقال له: يا معاوية إنّه لا يطبع على قلب إلاّ بذنّب، و لا يشرح صدر إلاّ بتوبة، و لا أظنّ قلبك إلاّ مطبوعاً، أراك قد وقفت بين الحقّ و الباطل كأنك تنتظر شيئاً في يدى غيرك.

ص: ٣٤٢

فقال معاوية: ألقاك بالفيصل أوّل مجلس إن شاء الله.

فلما بايع معاوية أهل الشام و ذاقهم، قال: يا جرير الحقّ بصاحبك، و كتب إليه بالحرب ...

قال نصر بن مزاحم: حدّثنا صالح بن صدقّه بإسناده فقال: قال: لما رجع جرير إلى علىّ عليه السلام كثر قول الناس في التّهمة لجرير في أمر معاوية، فاجتمع جرير و الأشرّ عند علىّ عليه السلام فقال الأشرّ: أما و الله يا أمير المؤمنين أن لو كنت أرسلتني إلى معاوية لكنت خيراً لك من هذا الذى أرخى خناقها، و أقام عنده حتّى لم يدع باباً يرجو فتحه (روحه) إلاّ فتحه، و لا باباً يخاف أمره إلاّ سدّه. فقال جرير: لو كنت و الله أتيتهم لقتلوك و خوّفه بعمرو و ذى الكلاع و حوشب (ذى ظليم)، و قال: إنهم يزعمون أنّك من قتله عثمان.

فقال الأشرّ: و الله لو أتيتهم يا جرير لم يُعيني جوابها، و لم يثقل علىّ حملها، و لحملت معاوية على خطّة أعجله فيها عن الفكر. قال: فانتهم إذاً، فقال: الآن و قد أفسدتهم و وقع بينهم الشرّ.

و روى نصر عن نمير بن وعلّة، عن الشّعبيّ قال: اجتمع جرير و الأشرّ عند علىّ فقال عليه السلام الأشرّ: أ ليس قد نهيتك يا أمير المؤمنين أن تبعث جريراً و أخبرتك بعداوتها و غشّه؛ و أقبل الأشرّ يشتمه و يقول: يا أبا بجيله، إنّ عثمان اشترى

^{١٠٢٠} (٣) في الفتوح: تعامل معاوية على الفصل.

^{١٠٢١} (٤) في الفتوح: مقربه.

^{١٠٢٢} (٥) في الفتوح: و إن اختار السلم فاستوثق منه ما تقدّر عليه و عجل القدم علىّ.

^{١٠٢٣} (٦). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٤ ص ٤٥ و الفتوح: ج ٢ ص ٥١٦، تاريخ بغداد: ج ٥٩ ص ١٣٥؛ نهج البلاغة: الكتاب ٨، وقعة صفين: ص ٥٥، بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٣٩٢ ح ٣٦٣ كلها نحوه.

منك دينك بهمدان، و الله ما أنت بأهل أن تترك تمشى فوق الأرض، إنما أتيتهم لتتخذ عندهم يداً بمسيرك إليهم، ثم رجعت إلينا من عندهم تهددنا بهم و أنت و الله منهم، و لا أرى سعيك إلّا لهم، لئن أطاعني فيك أمير المؤمنين ليحبسك و أشباهك في حبس لا تخرجون منه حتى تستتم (تستبين) هذه الأمور، و يهلك الله الظالمين.

ص: ٣٤٣

فقال جرير: وددت و الله أن لو كنت مكاني بعثت، إذن و الله لم ترجع. قال:

سمع جرير مثل ذلك من قوله: فارق علياً عليه السلام فلق بقرقيسياء ... ١٠٢٤

أقول: و الذي لم يظهر لي إلى الآن، هو المصلحة الموجودة في إرساله إلى معاوية، مع ما كان يقال فيه من ميله إلى عثمان و إلى معاوية، فهل كان هو ناصحاً ثم انحرف و تغير حتى هدم عليّ عليه السلام داره؟ أو كان في إرساله مع الوثوق به صلاح عظيم لا ندركه، و قال بعض: إن إرساله عليه السلام جريراً، فيه مدح و لكنّه فارقه و انحرف بعد، و أرجو أن يتضح ذلك فيما بعد إن شاء الله تعالى.

زحر بن قيس الجعفيّ

- بالراء المعجمة ثمّ الحاء المهملة ثمّ الراء المهملة - بعثه أمير المؤمنين عليه السلام رسولاً إلى جرير، و أنزله المدائن في جماعة جعلهم هناك رابطة.

و نقل الطبري: أنه في من شهد على حُجر و أصحابه، و ذكره في أصحاب ابن مطيع في خروج المختار، ثمّ في أصحاب شمر بن ذي الجوشن، ثمّ في أصحاب مُصعب على المختار، ثمّ في جند مروان على مُصعب^{١٠٢٥}، و حاملاً لرأس الحسين عليه السلام، و على أهله و أصحابه أناخوا ببابه، و القائل عند يزيد ما قال^{١٠٢٤}.

هذا و لكن من المحتمل أن يكون الصحابيّ حامل لكتاب أمير المؤمنين عليه السلام، غير الذي شهد على حُجر و أصحابه و شهد كربلاء و حمل الرءوس الشريفه.

ص: ٣٤٤

قال العلامة التستري رحمه الله: ... إلا أن اتّحاده غير مقطوع^{١٠٢٧}.

^{١٠٢٤} (١) راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٣ ص ٧٠-٨٧ و راجع: الطبقات الكبرى: ج ١ ص ٣٤٧، تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥٦١، أسد الغابة: ج ١ ص ٥٢٩ الرقم ٧٣٠، الاستيعاب: ج ١ ص ٣٠٨، الفتوح: ج ٢ ص ٥١٦؛ وقعة صفين: ص ٢٧-٦٠، تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ١٨٤، بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٣٩٢ ح ٣٦٣.

^{١٠٢٥} (٢) تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٤٥٩ و ج ٦ ص ٤٥ و ص ١٥٣ و ص ١٥٦، الإرشاد: ج ٢ ص ١١٨.

^{١٠٢٦} (٣) العقد الفريد: ج ٣ ص ٣٦٧.

^{١٠٢٧} (١) قاموس الرجال: ج ٤ ص ٤١٣.

فالظَّاهر، أنَّ حامل كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى جرير، و حامل كتابه عليه السلام من البصرة إلى الكوفة، و الخطيب عند جرير، و الشَّاعر يوم الجمل، هو زحر بن قيس شهد على حجر، و الشَّاهد في معركة كربلاء، و حامل الرُّءوس المباركة، و القائل عند يزيد ما قال من الفرية و الأباطيل.^{١٠٢٨} أعادنا الله من الخذلان و سوء المآب و غلبة الشَّقَاء.

٩٤ كتابه عليه السلام إلى جرير بن عبد الله

من كتاب له عليه السلام إلى جرير بن عبد الله البجليّ، لما أرسله إلى معاوية:

«أَمَا بَعْدُ، فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فَاحْمِلْ مُعَاوِيَةَ عَلَى الْفُضْلِ، وَخُذْهُ بِالْأَمْرِ الْجَزْمِ، ثُمَّ خَيْرُهُ بَيْنَ حَرْبٍ مُجْلِيَةٍ، أَوْ سَلْمٍ مُخْزِيَةٍ، فَإِنْ اخْتَارَ الْحَرْبَ فَأَنْبِذْ إِلَيْهِ، وَإِنْ اخْتَارَ السَّلْمَ فَخُذْ بِيَعْتَهُ، وَالسَّلَامُ».^{١٠٢٩}

٩٥ كتابه عليه السلام إلى معاوية

قال معاوية في رسالة كتبها إلى أمير المؤمنين عليه السلام:

أَمَا بَعْدُ، فَإِنَّكَ الْمَطْبُوعُ عَلَى قَلْبِكَ، الْمُعْطَى عَلَى بَصْرِكَ؛ الشَّرُّ مِنْ شِيَمَتِكَ،

ص: ٣٤٥

و العُتُوُّ مِنْ خَلِيفَتِكَ، فَشَمَّرَ لِلْحَرْبِ، وَ اصْبِرْ لِلضَّرْبِ، فَوَ اللَّهُ لِيَرْجِعَنَّ الْأَمْرُ إِلَى مَا عَلِمْتَ، وَ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ.

هيهات هيهات، أخطأك ما تمنى، و هوى قلبك فيما هوى، فأربع على ظلمك، و قس شبرك بفترك، تعلم أين حالك من حال من تزن الجبال حلمه، و يفصل بين أهل الشك علمه، و السلام.

فكتب إليه أمير المؤمنين عليه السلام:

«أَمَا بَعْدُ، يَا ابْنَ صَخْرٍ، يَا ابْنَ اللَّعِينِ، يَزِنُ الْجِبَالَ فِيمَا زَعَمْتَ حِلْمَكَ، وَ يَفْصِلُ بَيْنَ أَهْلِ الشَّكِّ عِلْمَكَ، وَأَنْتَ الْجَاهِلُ الْقَلِيلُ الْفِقْهِ، الْمَتَفَاوْتُ الْعَقْلِ، الشَّارِدُ عَنِ الدِّينِ.

وَقُلْتَ: فَشَمَّرَ لِلْحَرْبِ، وَ اصْبِرْ، فَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا فِيمَا تَزَعُمُ وَ يُعِينُكَ عَلَيْهِ ابْنُ النَّابِغَةِ، فَذَعِ النَّاسَ جَانِبًا، وَأَعْفِ الْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْقِتَالِ، وَ ابْرُزْ إِلَى لَتَعَلَّمَ أَيُّنَا الْمَرِينُ عَلَى قَلْبِهِ، الْمُعْطَى عَلَى بَصْرِهِ، فَأَنَا أَبُو الْحَسَنِ حَقًّا، قَاتِلُ أَخِيكَ وَ خَالِكَ وَ جَدِّكَ شَدْخًا يَوْمَ بَدْرٍ، وَ ذَلِكَ السَّيْفُ مَعِي، وَ بِذَلِكَ الْقَلْبِ أَلْقَى عَدُوِّي».^{١٠٣٠}

^{١٠٢٨} (٢) راجع: وقعة صفين: ص ١٥، الغارات: ج ٢ ص ٦٢٦، بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٣٥٩ ح ٣٣٩.
^{١٠٢٩} (٣) نهج البلاغة: الكتاب ٨، وقعة صفين: ص ٣٢؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٣ ص ٨٧، العقد الفريد: ج ٤ ص ٣٣٢، جمهرة رسائل العرب: ج ١ ص ٣٩٤.
^{١٠٣٠} (١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٥ ص ٨٢.

٩٦ كتابه عليه السلام إلى معاوية

«وإنَّ البَغْيَ والزُّورَ يُوتَغَانِ (بِذِيْعَانَ) الْمَرْءَ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، وَيُبْدِيَانِ خَلْلَهُ عِنْدَ مَنْ يَعْيبُهُ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ غَيْرُ مُدْرِكٍ مَا قُضِيَ فَوَاتُهُ، وَقَدْ رَامَ أَقْوَامٌ أَمْراً بِغَيْرِ الْحَقِّ فَتَالُوا عَلَى اللَّهِ فَأَكْذَبَهُمْ، فَأَحْذَرُ يَوْماً يَعْتَبِطُ فِيهِ مَنْ أَحْمَدَ عَاقِبَةَ عَمَلِهِ، وَيَنْدَمُ مَنْ

ص: ٣٤٤

أَمْكَنَ الشَّيْطَانُ مِنْ قِيَادِهِ فَلَمْ يُجَادِبْهُ، وَقَدْ دَعَوْتَنَا إِلَى حُكْمِ الْقُرْآنِ وَلَسْتُمْ مِنْ أَهْلِهِ، وَلَسْنَا إِتَاكَ أَجْبَنًا، وَلَكِنَّا أَجْبَنَّا الْقُرْآنَ فِي حُكْمِهِ، وَالسَّلَامُ».^{١٠٣١}

٩٧ كتابه عليه السلام إلى معاوية

نقل في البحار، كتابه عليه السلام إلى معاوية مع جرير، قال: يروى أن الكتاب الذي كتبه مع جرير كانت صورته:

«إِنِّي قَدْ غَزَلْتُكَ، فَفَوِّضِ الْأَمْرَ إِلَيَّ جَرِيرُ، وَالسَّلَامُ».^{١٠٣٢}

٩٨ كتابه عليه السلام إلى مخنف بن سليم

كتابه عليه السلام إلى مخنف بن سليم و غيره من العمال:

قال نصر: و في حديث عمر بن سعد قال: و كتب عليٌّ إلى عمّاله، فكتب إلى مخنف بن سليم:

«سَلَامٌ عَلَيْكَ، فَإِنِّي أَحْمَدُ اللَّهَ إِلَيْكَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ جِهَادَ مَنْ صَدَفَ عَنِ الْحَقِّ رَغْبَةً عَنْهُ، وَهَبَّ فِي نِعَاسِ الْعَمَى وَالضَّلَالِ، اخْتِيَاراً لَهُ فَرِيضَةً عَلَى الْعَارِفِينَ.

إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى عَمَّنْ أَرْضَاهُ، وَيَسْخَطُ عَلَى مَنْ عَصَاهُ، وَإِنَّا قَدْ هَمَمْنَا بِالْمَسِيرِ

ص: ٣٤٧

إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ، الَّذِينَ عَمَلُوا فِي عِبَادِ اللَّهِ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ، وَاسْتَأْثَرُوا بِالْفِيءِ، وَعَطَّلُوا الْحُدُودَ، وَأَمَاتُوا الْحَقَّ، وَأَظْهَرُوا فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ، وَاتَّخَذُوا الْفَاسِقِينَ وَلِيَجَةً مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِذَا وَلَّى لِلَّهِ أَعْظَمَ أَحْدَاثَهُمْ أَبْغَضُوهُ وَأَقْصَوْهُ وَحَرَمُوهُ، وَإِذَا ظَلَمَ سَاعَدْتُهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ أَحْبَبُوهُ وَأَدْنَوْهُ وَبَرَّوهُ، فَقَدْ أَصْرُوا عَلَى الظُّلْمِ، وَأَجْمَعُوا عَلَى الْخِلَافِ، وَقَدِيمًا مَا صَدَّوْا عَنِ الْحَقِّ، وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ، وَكَانُوا ظَالِمِينَ، فَإِذَا أَتَيْتَ بِكِتَابِي هَذَا فَاسْتَخْلِفْ عَلَى عَمَلِكَ أَوْثَقَ أَصْحَابِكَ فِي نَفْسِكَ، وَأَقْبِلْ إِلَيْنَا، لَعَلَّكَ تَلْقَى

^{١٠٣١} (١). نهج البلاغة: الكتاب ٤٨ و راجع: وقعة صفين: ص ٤٩٣؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٢٢٥، الفتوح: ج ٣ ص ٣٢٢.

^{١٠٣٢} (٢). بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٣٩٤ ح ٣٦٦.

هذا العدوُّ المُجَلِّ، فتأمُرُ بالمَعْرُوفِ وتَنهَى عَنِ المُنْكَرِ وتُجَامِعُ الحَقَّ، وتُبَايِنُ الباطِلَ، فَإِنَّهُ لَا غَنَاءَ بِنَا، وَلَا بِكَ عَنِ أَجْرِ الجِهَادِ، وَحَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ العَلِيِّ العَظِيمِ».

و كتب عَبْدُ اللهِ بنُ أَبِي رَافِعٍ، سَنَةً سَبْعٍ وَ ثَلَاثِينَ. ١٠٣٣

لَمَّا فَتَحَ اللهُ لِأَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامِ البَصْرَةَ، وَ قَفَلَ إِلَى الكُوفَةِ، شَاوَرَ أَصْحَابَهُ فِي أَمْرٍ مَعَاوِيَةَ، وَ تَكَلَّمَ فِيهِ أَصْحَابُهُ الكِرَامُ وَ عَزَمُوا عَلَى المَسِيرِ، كَتَبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى مِخْنَفٍ وَ سَائِرِ عَمَّالِهِ هَذَا الكِتَابَ.

نَصَرَ بِنَ مَزَاحِمٍ، عَنِ عَمْرِو بْنِ سَعْدٍ، عَنِ إِسْمَاعِيلِ بْنِ يَزِيدٍ وَ الحَارِثِ بْنِ حَصِيْرَةَ، عَنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ أَبِي الكُنُودِ، قَالَ: لَمَّا أَرَادَ عَلِيٌّ المَسِيرَ إِلَى أَهْلِ الشَّامِ دَعَا إِلَيْهِ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ المِهَاجِرِينَ وَ الأَنْصَارِ، فَحَمَدَ اللهُ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ وَ قَالَ:

«أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّكُمْ مَيَامِينُ الرِّأْيِ، مَرَاجِيحُ الجِلْمِ، مَقَاوِيلُ بِالحَقِّ، مُبَارِكُو الفِعْلِ وَ الأَمْرِ. وَ قَدْ أَرَدْنَا المَسِيرَ إِلَى عَدُوِّنَا وَ عَدُوِّكُمْ، فَأُشِيرُوا عَلَيْنَا بِرَأْيِكُمْ».

ص: ٣٤٨

فَقَامَ هَاشِمُ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، فَحَمَدَ اللهُ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ:

أَمَّا بَعْدُ؛ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، فَأَنَا بِالقَوْمِ جِدٌّ حَبِيرٌ، هُمَ لَكَ وَ لِأَشْيَاعِكَ أَعْدَاءٌ، وَ هُمَ لِمَنْ يَطْلُبُ حَرْثَ الدُّنْيَا أَوْلِيَاءٌ، وَ هُمَ مُقَاتِلُوكَ وَ مُجَاهِدُوكَ لَا يُبْقُونَ جَهْدًا مَشَاحَّةً عَلَى الدُّنْيَا وَ ضَنًّا بِمَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنْهَا، وَ لَيْسَ لَهُمْ إِرْبَةٌ غَيْرَهَا إِلَّا مَا يَخْدَعُونَ بِهِ الجُهَّالَ مِنَ الطَّلَبِ بِدَمِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، كَذَبُوا لَيْسُوا بِدَمِهِ يَثَارُونَ، وَ لَكِنَّ الدُّنْيَا يَطْلُبُونَ، فَسِرْنَا إِلَيْهِمْ، فَإِنْ أَجَابُوا إِلَى الحَقِّ فَلَيْسَ بَعْدَ الحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ، وَ إِنْ أَبَوْا إِلَّا الشَّقَاقَ فَذَلِكَ الظَّنُّ بِهِمْ، وَ اللهُ، مَا أَرَاهُمْ يُبَايِعُونَ وَ فِيهِمْ أَحَدٌ مِمَّنْ يُطَاعُ إِذَا نَهَى وَ لَا يُسْمَعُ إِذَا أَمَرَ. ١٠٣٤

أُثْمَ تَكَلَّمَ بَعْدَهُ عَمَّارٌ، وَ قَيْسُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، وَ سَهْلُ بْنُ حَنَيْفٍ، وَ الأَشْتَرُ مَالِكُ بْنُ الحَارِثِ، وَ مَعْقِلُ بْنُ قَيْسِ الِيرْبُوعِيِّ، ثُمَّ الرِّيَاحِيُّ، وَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمِ الطَّائِيِّ، وَ أَبُو زَيْنَبِ بْنِ عَوْفٍ، وَ يَزِيدُ بْنُ قَيْسٍ، وَ زِيَادُ بْنُ النَّضْرِ، وَ زَيْدُ بْنُ حُصَيْنِ الطَّائِيِّ، وَ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُدَيْلِ بْنِ وَرْقَاءِ الخَزَاعِيِّ، وَ حُجْرُ بْنُ عَدِيٍّ، وَ عَمْرُو بْنُ الحَمِيقِ، كُلُّهُمْ يَظْهَرُونَ الطَّاعَةَ وَ النَّصِيحَةَ، وَ أَنَّهُمْ سَلِمُوا لِمَنْ سَأَلَهُمْ، وَ حَرَبَ لِمَنْ حَارَبَهُ، وَ إِنْ اِخْتَلَفُوا فِي التَّعْجِيلِ فِي الحَرْبِ وَ التَّأْنِي وَ المَكَاتِبَةِ وَ إِتْمَامِ الحُجَّةِ، وَ الَّذِي أَشَارَ بِالتَّأْنِي وَ إِتْمَامِ الحُجَّةِ هُوَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ، وَ كُلُّهُ يَتَكَلَّمُ وَ يَرُدُّ عَلَى مَنْ يُخَالِفُهُ.]

فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«الطَّرِيقُ مُشْتَرَكٌ، وَ النَّاسُ فِي الحَقِّ سَوَاءٌ، وَ مَنْ اجْتَهَدَ رَأْيَهُ فِي نَصِيحَةِ العَامَّةِ فَلَهُ مَا نَوَى وَ قَدْ قَضَى مَا عَلَيْهِ».

١٠٣٣ (١). وقعة صفين: ص ١٠٤، قاموس الرجال: ج ٨ ص ٤٥٥، بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٣٩٩؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٣ ص

١٨٢

١٠٣٤ (١). وقعة صفين: ص ٩٢؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٣ ص ١٧١ وراجع: بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٣٩٧.

أو جاء جمع متهمون بأنهم يكاتبون معاوية بن أبي سفيان، كعبد الله بن المعتم العبسيّ و حنظلة بن الربيع التميمي، و تكلموا و أظهرها أنّ الصّلاح في ترك حرب

ص: ٣٤٩

معاوية، أو في الحرب مع عدم العجلة.]

فقام إليه معقل بن قيس اليربوعي، ثمّ الرياحي، فقال: يا أمير المؤمنين، إنّ هؤلاء و الله، ما أتوك بنصح و لا دخلوا عليك إلّا بغشّ، فاحذرهم فإنّهم أدنى العدو.

فقال له مالك بن حبيب: يا أمير المؤمنين، إنّهُ بلغني أنّ حنظلة هذا يكاتب معاوية، فادفعه إلينا نحبسه حتّى تنقضى غزاتك ثمّ تنصرف.

و قام إلى عليّ عليه السلام عيّاش بن ربيعة، و قائد بن بكير العبسيان، فقالوا:

يا أمير المؤمنين، إنّ صاحبنا عبد الله بن المعتّم قد بلغنا أنّه يكاتب معاوية فاحبسه، أو أمكنا منه نحبسه حتّى تنقضى غزاتك، و تنصرف.

فأخذا يقولان: هذا جزاء من نظر لكم، و أشار عليكم بالرأى فيما بينكم و بين عدوكم.

فقال لهما عليّ عليه السلام:

«اللّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَإِلَيْهِ أُكَلِّمُكُمْ، وَبِهِ أَسْتَظْهِرُ عَلَيْكُمْ، اذْهَبُوا حَيْثُ شِئْتُمْ».

[فهربا إلى معاوية...]^{١٠٣٥}

[فلما تمّت المشاورة، و عزم أمير المؤمنين عليه السلام على المسير إلى قتال أهل الشّام، كتب إلى عمّاله كتباً، و منها ما كتب إلى مخنّف بن سُلَيْم الأزدّيّ، و هو هذا الكتاب.]

قال نصر: و كتب إلى أمراء أعماله كلّهم بنحو ما كتب به إلى مخنّف بن سُلَيْم،

ص: ٣٥٠

و أقام ينتظرهم.^{١٠٣٦} و قال أبو جعفر الإسكافي: فلما أراد أمير المؤمنين عليه السلام المسير إلى معاوية، كتب إلى عمّاله نسخة واحدة.^{١٠٣٧}

^{١٠٣٥} (١). وقعة صفين: ص ٩٥ - ٩٧؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٣ ص ١٧٦، جمهرة خطب العرب: ج ١ ص ٣١٢ - ٣١٥.

مِخْنَفُ بنِ سُلَيْمِ بنِ الحارثِ بنِ عَوْفٍ

من غامد من الأزد، أسلم و صحب النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله. ١٠٣٨ ثُمَّ سَكَنَ الكوفةَ، وَ كان نقيب الأزد فيها، وَ استعمله أمير المؤمنين عليه السلام بعد فتح البصرة وَ رجوعه إلى الكوفة على أصبهان وَ همدان، وَ كتب إليه هذا الكتاب، وَ أشخصه إلى الكوفة لحرب الشَّام، فقال له:

«استخلفِ على عَمَلِكَ أَوْثَقَ أصحابِكَ في نَفْسِكَ».

فاستخلف مِخْنَفُ الحارثَ بنَ أبي الحارثِ على أصبهان، وَ سَعِيدَ بنَ وَهَبٍ على همدان، وَ كلاهُما من قومه وَ أقبل حتَّى شَهِدَ صَفِّينَ، ١٠٣٩ وَ كان على الأزدِ وَ بُجَيْلَةَ وَ خثعم وَ الأنصار وَ خزاعة. ١٠٤٠

عدّه ابن سَعْدٍ من أهل العلم وَ الفضل، وَ من أصحابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله الَّذِينَ نزلوا الكوفة. ١٠٤١ وَ قال ابن حَجَرٍ: رواياته في كتب السنن كثيرة.

وَ قال الطَّبْرِيُّ في حرب البصرة: خرج إلى عليّ من الكوفة اثنا عشر ألف رجل،

ص: ٣٥١

وَ هم أسباع، ... وَ سبع بُجَيْلَةَ وَ أنمار وَ خثعم وَ الأزد عليهم مِخْنَفُ بنِ سُلَيْمِ الأزدِيّ. ١٠٤٢

عَدِيُّ بنُ حاتم

عدِيّ بن حاتم بن عبد الله الطَّائِيّ، يَكْنَى أبا طريف، ابن سَخِيّ العربِ المشهور حاتم الطَّائِيّ ١٠٤٣، وَ أحد الصَّحابة ١٠٤٤.

تولّى عدِيّ رئاسة قبيلته، وَ حضر عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله سنة (٥٧ هـ) وَ أسلم ١٠٤٥،

فأكرمه وَ رعى حرمة ١٠٤٦.

١٠٣٦ (١). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٣ ص ١٨٣ و راجع: وقعة صفين: ص ١٠٤.
١٠٣٧ (٢). المعيار و الموازنة: ص ١٢٤.
١٠٣٨ (٣). الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ٣٥، الاستيعاب: ج ٤ ص ٣٠، أسد الغابة: ج ٥ ص ١٢٢، الإصابة: ج ٦ ص ٤٥.
١٠٣٩ (٤). راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٣ ص ١٨٣، تاريخ أصبهان: ج ١ ص ١٠٠، الاستيعاب: ج ٤ ص ٣٠، أسد الغابة: ج ٥ ص ١٢٢، وقعة صفين: ص ١٠٥، بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٤٠٠.
١٠٤٠ (٥). راجع: وقعة صفين: ص ١١٧؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٣ ص ١٩٤.
١٠٤١ (٦). الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ٣٥.
١٠٤٢ (١). تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥٠٠، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٢٩، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٣ ص ١٩٣ كلاهما نحوه.
١٠٤٣ (٢). أسد الغابة: ج ٤ ص ٨ الرقم ٣٦١٠، سبب أعلام النبلاء: ج ٣ ص ١٦٣ الرقم ٢٦.
١٠٤٤ (٣). تهذيب الكمال: ج ١٩ ص ٥٢٥ الرقم ٣٨٨٤، تاريخ بغداد: ج ١ ص ١٨٩ الرقم ٢٩، تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٠ ص ٦٦، سير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ١٦٣ الرقم ٢٦.
١٠٤٥ (٤). تهذيب الكمال: ج ١٩ ص ٥٢٥ الرقم ٣٨٨٤، سبب أعلام النبلاء: ج ٣ ص ١٦٣ الرقم ٢٦، الاستيعاب: ج ٣ ص ١٦٨ الرقم ١٨٠٠، و قيل «سنة عشرة».

ظَلَّ وَفِيًّا لِلوَلَايَةِ العَلَوِيَّةِ بعد وفاء النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ ذَادَ عَن حَرِيمِ الحَقِّ وَ الوَلَايَةِ^{١٠٤٧}.

شهد مع أمير المؤمنين عليه السلام مشاهدته^{١٠٤٨}. و لَمَّا لَحِقَ أَحَدَ أَوْلَادِهِ بِمَعَاوِيَةَ، بَرِئَ مِنْهُ^{١٠٤٩}. وَ كَلِمَاتِهِ أَمَامَ مَسَاعِيرِ الفِتْنَةِ دَلِيلٌ عَلَى وَعِيهِ العَمِيقِ لِلحَوَادِثِ، وَ إِدْرَاكِهِ

ص: ٣٥٢

السليم لموقف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، و ثباته على صراط الحق، و من كلماته:

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ وَ اللّٰهُ، لَوْ غَيْرُ عَلِيٍّ دَعَانَا إِلَى قِتَالِ أَهْلِ الصَّلَاةِ مَا أَجْبَنَاهُ ...^{١٠٥٠}.

اختاره الإمام عليه السلام لِمَفَاوِضَةِ العَدُوِّ فِي صَفِّينَ بِسَبَبِ مَنْطِقِهِ البَلِيغِ^{١٠٥١}. قَتَلَ أَحَدَ أَوْلَادِهِ فِي إِحْدَى حُرُوبِ الإِمَامِ، كَمَا فَقَدَ إِحْدَى عَيْنَيْهِ^{١٠٥٢}. وَ كَانَ مَعَاوِيَةَ يَعْظُمُهُ وَ يَرْعَى حَرَمَتَهُ، بَيِّدَ أَنَّهُ كَانَ يَذْكُرُ الإِمَامَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَنَاسِبَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ وَ يُثْنِي عَلَيْهِ. وَ لَمْ يَتَنَازَلْ عَن مَوْقِفِهِ الحَقِّ أَمَامَ مَعَاوِيَةَ^{١٠٥٣}.

توفى حوالى سنة ٦٨ هـ^{١٠٥٤}، و له من العمر مائة و عشرون سنة^{١٠٥٥}.

فِي الإِمَامَةِ وَ السِّيَاسَةِ- فِي ذِكْرِ حَرْبِ صَفِّينَ وَ اخْتِلَافِ أَصْحَابِ الإِمَامِ فِي اسْتِمْرَارِ القِتَالِ:- ثَمَّ قَامَ عَدِيٌّ بِنِ حَاتِمِ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ وَ اللّٰهُ، لَوْ غَيْرَ عَلِيٍّ دَعَانَا إِلَى قِتَالِ أَهْلِ الصَّلَاةِ مَا أَجْبَنَاهُ، وَ لَا وَقَعَ بِأَمْرٍ قَطَّ إِلَّا وَ مَعَهُ مِنَ اللّٰهِ بَرَهَانٌ، وَ فِي يَدَيْهِ مِنَ اللّٰهِ سَبَبٌ، وَ إِنَّهُ وَقَفَ عَن عُثْمَانَ بِشَبْهَةٍ، وَ قَاتَلَ أَهْلَ الجَمَلِ عَلَى النَّكْتِ، وَ أَهْلَ الشَّامِ عَلَى البَغِيِّ^{١٠٥٦}

ص: ٣٥٣

^{١٠٤٦} (٥). سبب أخبار النبلاء: ج ٣ ص ١٦٣ الرقم ٢٦.
^{١٠٤٧} (٦). راجع رجال الكشي: ج ١ ص ١٨٦.
^{١٠٤٨} (٧). تاريخ بغداد: ج ١ ص ١٨٩ الرقم ٢٩، الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ٢٢، الطبقات لخليفة بن خياط: ص ١٢٧ الرقم ٤٦٣، تهذيب الكمال: ج ١٩ ص ٥٢٩ الرقم ٣٨٨٤، الاستيعاب: ج ٣ ص ١٦٩ الرقم ١٨٠٠؛ الجمل: ص ٣٦٧، وقعة صفين: ص ١٩٧.
^{١٠٤٩} (٨). وقعة صفين: ص ٥٢٢ و ٥٢٣.
^{١٠٥٠} (١). الإمامة و السياسة: ج ١ ص ١٤١.
^{١٠٥١} (٢). وقعة صفين: ص ١٩٧، تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٥، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٦٧.
^{١٠٥٢} (٣). الجمل: ص ٣٦٧، وقعة صفين: ص ٣٦٠، الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ٢٢، تهذيب الكمال: ج ١٩ ص ٥٣٠ الرقم ٣٨٨٤، تاريخ دمشق: ج ٤٠ ص ٦٩ و ٩٢ و ٩٣، سبب أخبار النبلاء: ج ٣ ص ١٦٤ الرقم ٢٦.
^{١٠٥٣} (٤). مروج الذهب: ج ٣ ص ١٣، أنساب الأشراف: ج ٥ ص ١٠٠، العقد الفريد: ج ٣ ص ٨٦، تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٠ ص ٩٥.
^{١٠٥٤} (٥). الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ٢٢، تاريخ بغداد: ج ١ ص ١٩٠ الرقم ٢٩، تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٠ ص ٦٩، المعارف لابن قتيبة: ص ٣١٣، سبب أخبار النبلاء: ج ٣ ص ١٦٥ الرقم ٢٦.
^{١٠٥٥} (٦). الطبقات لخليفة بن خياط: ص ١٢٧ الرقم ٤٦٣، تاريخ بغداد: ج ١ ص ١٩٠ الرقم ٢٩، تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٠ ص ٦٩، المعارف لابن قتيبة: ص ٣١٣، سبب أخبار النبلاء: ج ٣ ص ١٦٥ الرقم ٢٦.
^{١٠٥٦} (٧). الإمامة و السياسة: ج ١ ص ١٤١.

و فى وقعة صفين: جاء عدى بن حاتم يلتمس علياً، ما يطأ إلا على إنسان ميت أو قدم أو ساعد، فوجده تحت رايات بكر بن وائل، فقال: يا أمير المؤمنين، أ لا تقوم حتى نموت؟

فقال على:

«أدنه».

فدنا حتى وضع اذنه عند أنفه، فقال:

«ويحك، إن عامة من معي يعصيني، وإن معاوية فيمن يطيعه ولا يعصيه»^{١٠٥٧}.

و فى الجمل - فى ذكر أحداث ما قبل حرب الجمل -: أقبل أمير المؤمنين عليه السلام على عدى بن حاتم فقال له:

يا عدى، أنت شاهد لنا، وحاضر معنا وما نحن فيه؟

فقال عدى: شهدتك أو غبت عنك فأنا عند ما أحببت، هذه خيولنا معدة، و رماحنا محددة، و سيوفنا مجردة، فإن رأيت أن نتقدم تقدّمنا، و إن رأيت أن نرحم أرحمنا، نحن طوع لأمرك، فأمر بما شئت، نسارع إلى امتثال أمرك^{١٠٥٨}.

و فى تاريخ الطبرى عن جعفر بن حديفة: إن عائذ بن قيس الحزمى واثب عدى بن حاتم فى الرأية بصفين - و كانت حزم أكثر من بنى عدى رهط حاتم - فوثب عليهم عبد الله بن خليفة الطائى البولانى عند على، فقال:

يا بنى حزم، على عدى تتوثبون! و هل فيكم مثل عدى؟ أو فى آبائكم مثل أبى عدى؟! أ ليس بحامى القرية و مانع الماء يوم روية؟ أ ليس بابن ذى المرباع و ابن جواد العرب؟! أ ليس بابن المنهب ماله و مانع جازه؟! أ ليس من لم يغدر و لم يفجر، و لم يجهل و لم يبخل، و لم يمتن و لم يجبن؟! هاتوا فى آبائكم مثل أبيه، أو هاتوا فيكم مثله.

ص: ٣٥٤

أ و ليس أفضلكم فى الإسلام؟! أ و ليس وافدكم إلى رسول الله صلى الله عليه و آله؟! أ ليس برأسكم يوم النخيلة، و يوم القادسية، و يوم المدائن، و يوم جلولاء الواقعة، و يوم نهاوند، و يوم تستر؟! فما لكم و له؟! و الله، ما من قومكم أحد يطلب مثل الذى تطلبون.

فقال له على بن أبى طالب عليه السلام:

«حسبك يا بن خليفة، هلّم أيها القوم إلى».

^{١٠٥٧} (١) وقعة صفين: ص ٣٧٩.

^{١٠٥٨} (٢) الجمل: ص ٢٧٠.

و عليّ بجماعه طيّب، فأتوه جميعاً، فقال عليّ عليه السلام:

«مَنْ كَانَ رَأْسَكُمْ فِي هَذِهِ الْمَوَاطِنِ؟»

قالت له طيّب: عديّ.

فقال له ابن خليفه: فسلهم يا أمير المؤمنين، أليسوا راضين مسلمين لعديّ الرئاسه؟ ففعل، فقالوا: نعم، فقال لهم: عديّ أحقكم بالرأيه، فسلموها له.

فقال عليّ- و ضجت بنو الحزيمر:-

«إِنِّي أَرَاهُ رَأْسَكُمْ قَبْلَ الْيَوْمِ، وَلَا أَرَى قَوْمَهُ كُلَّهُمْ إِلَّا مُسْلِمِينَ لَهُ غَيْرُكُمْ»،

فأتبع في ذلك الكثره، فأخذها عديّ^{١٠٥٩}.

و في وقعه صفين عن المحلّ بن خليفه: لما توادع عليّ عليه السلام و معاويه بصفين، اختلفت الرسل فيما بينهما رجاء الصلح، فأرسل عليّ بن أبي طالب إلى معاويه عديّ بن حاتم، و شبت بن ربعي، و يزيد بن قيس، و زياد بن خصفه، فدخلوا على معاويه، فحمد الله عديّ بن حاتم و أثني عليه، ثم قال:

أما بعد، فإننا أتيناك لندعوك إلى أمر يجمع الله به كلمتنا و أمتنا، و يحقن الله به دماء المسلمين، و ندعوك إلى أفضلها سابقه، و أحسنها في الإسلام أثراً، و قد اجتمع له الناس، و قد أرشدهم الله بالذي رأوا فأتوا، فلم يبق أحد غيرك و غير من

ص: ٣٥٥

معك، فانته يا معاويه من قبل أن يصيبك الله و أصحابك بمثل يوم الجمل.

فقال له معاويه: كأنك إنما جئت متهدداً و لم تأت مصلحاً. هيهات يا عديّ، كلّا و الله، إني لابن حرب، ما يُقَعِّعُ لِي بالشنان^{١٠٦٠}. أما و الله، إنك لمن المجلبين على ابن عفان، و أنت لمن قتلته، و إني لأرجو أن تكون ممن يقتله الله. هيهات يا عديّ، قد حلبت بالساعد الأشد^{١٠٦١}.

و في مروج الذهب: ذكر أن عديّ بن حاتم الطائي دخل على معاويه، فقال له معاويه: ما فعلت الطرافات- يعني أولاده؟

^{١٠٥٩} (١) تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٩، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٦٩ نحوه.

^{١٠٦٠} (١) الشنن و الشننه: الخلق من كلّ آنيه صنعت من جلد، و جمعها شنان (لسان العرب: ج ١٣ ص ٢٤١).

^{١٠٦١} (٢) وقعه صفين: ص ١٩٧؛ تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٥، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٦٧ كلاهما نحوه.

قال: قُتِلوا مع عليّ.

قال: ما أنصفك عليّ، قتل أولادك و بقى أولاده.

فقال عديّ: ما أنصفتُ عليّاً، إذ قتل و بقيت بعده.

فقال معاوية: أما إنّه قد بقيت قطرة من دم عثمان، ما يمحوها إلّا دم شريف من أشرف اليمن.

فقال عديّ: و الله، إنّ قلوبنا الّتي أبغضناك بها لفي صدورنا، و إنّ أسيافنا الّتي قاتلناك بها لعلی عواتقنا، و لئن أدنيت إلينا من الغدر فترا لنديننّ إليك من الشّرّ شبراً، و إنّ حزّ الحلقوم و حشرجه الحيزوم، لأهون علينا من أن نسمع المساءة في عليّ، فسلمّ السيف يا معاوية لباعث السيف.

فقال معاوية: هذه كلمات حكم فاكتبوها. و أقبل عليّ عديّ محادثاً له كأنه ما

ص: ٣٥٦

خاطبه بشيء ١٠٦٢.

و في المحاسن و المساوي: إنّ عديّ بن حاتم دخل علي معاوية بن أبي سفيان فقال: يا عديّ، أين الطّرفات؟ يعني بنيه طريفاً و طارفاً و طرفه.

قال: قُتِلوا يوم صفين بين يدي عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

فقال: ما أنصفك ابن أبي طالب إذ قدّم بنيك و آخر بنيه!

قال: بل ما أنصفت أنا عليّاً؛ إذ قُتل و بقيت!

قال: صف لي عليّاً. فقال: إنّ رأيت أن تعفيني.

قال: لا أعفيك.

قال: كان و الله؟ بعيد المدى و شديد القوى، يقولُ عدلاً و يحكمُ فضلاً، تتفجر الحكمة من جوانبه، و العلمُ من نواحيه، يستوحش من الدنيا و زهرتها، و يستأنس بالليل و وحشته، و كان و الله، غزير الدّمع، طويل الفكرة، يُحاسب نفسه إذا خلا، و يُقلّب كفيه على ما مضى، يُعجبه من اللباس القصير، و من المعاش الخشن، و كان فينا كأحدنا، يُجيبنا إذا سألناه و

١٠٦٢ (١). مروج الذهب: ج ٣ ص ١٣ و راجع تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٠ ص ٩٥، العقد الفريد: ج ٣ ص ٨٦، الأمالي للسيد المرتضى: ج ١ ص ٢١٧.

يَدِينَا إِذَا أَتَيْنَاهُ، وَ نَحْنُ مَعَ تَقْرِيْبِهِ لَنَا وَ قُرْبِهِ مِنَّا لَا نُكَلِّمُهُ لِهَيْبَتِهِ، وَ لَا نَرْفَعُ أَعْيُنَنَا إِلَيْهِ لِعَظَمَتِهِ، فَإِنْ تَبَسَّمَ فَعَنِ اللُّوْلُوِّ الْمَنْظُومِ، يُعَظِّمُ أَهْلَ الدِّينِ، يَتَحَبَّبُ إِلَى الْمَسَاكِينِ، لَا يَخَافُ الْقَوِيَّ ظَلْمَهُ، وَ لَا يِيَأْسُ الضَّعِيفَ مِنْ عَدْلِهِ.

فَاقْسِمُ، لَقَدْ رَأَيْتُهُ لَيْلَةً وَ قَدْ مَثَلَ فِي مَحْرَابِهِ، وَ أَرَخَى اللَّيْلُ سِرْبَالَهُ وَ غَارَتْ نُجُومُهُ، وَ دُمُوعُهُ تَتَحَادَرُ عَلَى لِحْيَتِهِ وَ هُوَ يَتَمَلَّمُ تَمَلُّمَ السَّلِيمِ، وَ يَبْكِي بُكَاءً

ص: ٣٥٧

الْحَزِينِ، فَكَأَنِّي الْآنَ أَسْمَعُهُ وَ هُوَ يَقُولُ:

«يَا دُنْيَا، أَلَيْ تَعْرَضْتِ؟ أَمْ إِلَى أَقْبَلْتِ؟ غُرِّي غَيْرِي، لَا حَانَ حَيْنِكَ، قَدْ طَلَّقْتِكِ ثَلَاثًا لَا رَجْعَةَ لِي فِيكَ، فَعَيْشُكَ حَقِيرٌ وَخَطْرُكَ يَسِيرٌ، آهٍ مِنْ قِلَّةِ الرَّادِ وَبُعْدِ السَّفَرِ وَقِلَّةِ الْأَنْبِيَاءِ!»

قال: فوكفت عينا معاوية ينشفهما بكممه، ثم قال: يرحم الله أبا الحسن! كان كذا فكيف صبرك عنه؟

قال: كصبر من ذبح ولدها في حجرها، فهي لا ترقأ دمعته، و لا تسكن عبرتها.

قال: فكيف ذكرك له؟

قال: و هل يتركنى الدهر أن أنساه! ١٠٦٣

مَالِكُ بْنُ حَبِيبٍ

مالك بن حبيب اليربوعي من أصحاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام البررة، و عند ما تحرّك الإمام عليه السلام تلقاء صفين، تركه في الكوفة ليعبئ الناس لنصرته.

و كان قد ساءه عدم حضوره المعركة معه، لكنّ الإمام عليه السلام وعده بالأجر العظيم، و كان مالك على شرطة الإمام عليه السلام في الكوفة ١٠٦٤.

في وقعة صفين: أخذ مالك بن حبيب رجلاً و قد تخلف عن عليّ فضرب عنقه، فبلغ ذلك قومه، فقال بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى مالك، فنتسقطه لعلّه أن يقرّ لنا بقتله، فإنّه رجل أهوج.

ص: ٣٥٨

١٠٦٣ (١) المحاسن و المساوي: ص ٤٦، و في أكثر المصادر نقل هذا الكلام عن ضيرار بن ضمرة. راجع: ضيرار بن ضمرة الضبابي.
١٠٦٤ (٢) وقعة صفين: ص ١٣٣.

فجاؤوا فقالوا: يا مالِكُ، قتلْتَ الرَّجُلَ؟

قال: اخبركم أن النَّاقَةَ تَرَامُ^{١٠٦٥} ولدها. اخرجوا عني قَبَّحكم اللهُ، أخبرتكم أنني قتلته^{١٠٦٦}.

٩٩ كتابه عليه السلام إلى ابن بُدَيْل

ذكروا أنَّه قدم عبد الله بن بُدَيْل بن وَرْقَاءِ الخُزَاعِيّ إلى الأنبار، و أتبعه كتاباً منه [و هذا نصّه:]

«من عبد الله على أمير المؤمنين، إلى عبد الله بن بُدَيْل، سلامٌ عليك. أمّا بعد؛ فَإِنَّهُ بدا لي المَقَامُ بِشاطيءِ الفُراتِ لِحمّامِ عبد الله، فليجئني عبد الله بن عَبَّاسٍ بِمَنْ مَعَهُ، وَحُرَيْثُ بنِ جَابِرٍ. وانظُرْ جُنْدَكَ فَأَقِمِ بِهِم بِالْمَكَانِ الَّذِي أَنْتَ بِهِ، وَإِيَّاكَ وَمُؤَاقَعَةً أَحَدٍ مِنْ خَيْلِ العَدُوِّ حَتَّى أَتَقَدَّمَ عَلَيْكَ وَأُذَكِرَ^{١٠٦٧} العيونَ نحوهم، وليكن مع عيونك من السِّلَاحِ ما يُباشرونَ بِهِ القِتالَ، ولتكن عيونك الشُّجعانُ من جُنْدِكَ، فَإِنَّ الجَبَانَ لا يَأْتِيكَ بِصِحَّةِ الأمرِ. وانتَه إلى أمرى ومَنْ قِبَلَكَ بِإِذْنِ اللهِ، والسَّلَامُ.»^{١٠٦٨}

عَبْدُ اللهِ بنُ بُدَيْل

عبد الله بن بُدَيْل بن وَرْقَاءِ الخُزَاعِيّ، أسلم قبل فتح مكّة^{١٠٦٩}، و شهد حُنَيْنًا،

ص: ٣٥٩

و الطائف، و تبوك^{١٠٧٠}، أشخصه النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى اليَمَنِ مع أخيه عبد الرَّحْمَنِ^{١٠٧١}. عدّه المؤرِّخون من عظماء أصحاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام و أعيانهم^{١٠٧٢}.

اشترك عبدُ اللهِ في الثَّورَةِ عَلَى عُثْمَانَ^{١٠٧٣}. ثمَّ كان إلى جانب الإمام أمير المؤمنين عضداً صلباً و صاحباً مُضْحِيّاً و شهد معه الجمل، و صفين. و كان. في صفين قائد الرَّجَالِ^{١٠٧٤} أو قائد الميمنة، و تولّى رئاسة قُرَاءِ الكوفة أيضاً^{١٠٧٥}.

^{١٠٦٥} (١) تُعْطِفُ عَلَيْهِ فَتَشْمُهُ وَ تَنْرَشَّفُهُ (النهاية: ١٧٦/٢).

^{١٠٦٦} (٢) وقعة صفين: ص ١٤٠.

^{١٠٦٧} (٣) أي: أدل.

^{١٠٦٨} (٤) المعيار و الموازنة: ص ١٣٠.

^{١٠٦٩} (٥) تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٣ ص ٥٦٧، الاستيعاب: ج ٣ ص ٩ الرقم ١٤٨٩، اسد الغابة: ج ٣ ص ١٨٤ الرقم ٢٨٣٤، تقريب التهذيب: ج ٢٩٦ ص ٣٢٢٥ و فيه «يوم الفتح» بدل «قبل فتح».

^{١٠٧٠} (١) الاستيعاب: ج ٣ ص ٩ الرقم ١٤٨٩، اسد الغابة: ج ٣ ص ١٨٤ الرقم ٢٨٣٤ و فيه «شهد الفتح و حنيناً و...»، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٣ ص ٥٦٧ و فيه «شهد الفتح و ما بعدها».

^{١٠٧١} (٢) رجال الطوسي: ص ٧٠ الرقم ٦٤٣؛ الإصابة: ج ٤ ص ١٨ الرقم ٤٥٧٧، تهذيب التهذيب: ج ٣ ص ٩٨ الرقم ٣٧٤٧.

^{١٠٧٢} (٣) اسد الغابة: ج ٣ ص ١٨٤ الرقم ٢٨٣٤، الاستيعاب: ج ٣ ص ٩ الرقم ١٤٨٩، تهذيب التهذيب: ج ٣ ص ٩٨ الرقم ٣٧٤٧.

^{١٠٧٣} (٤) تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٣٨٢، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٣ ص ٥٦٧.

^{١٠٧٤} (٥) وقعة صفين: ص ٢٠٥؛ تاريخ خليفة بن خياط: ص ١٤٦، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٣ ص ٥٦٧، الاستيعاب:

ج ٣ ص ٩ الرقم ١٤٨٩، تهذيب التهذيب: ج ٣ ص ٩٨ الرقم ٣٧٤٧.

^{١٠٧٥} (٦) وقعة صفين: ص ٢٠٨؛ تاريخ الطبري: ج ٥ ص ١٥.

تدلّ خطبه و أقواله على أنّه كان يتمتّع بوعى عظيم فى معرفه أوضاع عصره، و أناس زمانه، و دوافع أعداء الإمام أمير المؤمنين عليه السلام^{١٠٧٤}. وقف عند قيام الحرب بكلّ ثبات، و قال: إنّ معاوية ادعى ما ليس له، و نازع الأمر أهله و من ليس مثله، و جادل بالباطل ليدحض به الحقّ، وصال عليكم بالأعراب و الأحزاب، و زين لهم الضلالة ... و أنتم و الله، على نورٍ من ربكم، و برهانٍ مبين^{١٠٧٧}.

دنا من معاوية بشجاعه محموده، و صولة لا هواده فيها. فلما رأى معاوية أنّ

ص: ٣٤٠

الأرض قد ضاقت عليه بما رحبت، أمر أن يرضخ بالصخر و الحجارة و يقضى عليه. فاستشهد عبد الله^{١٠٧٨}، و سمّاه معاوية: كبش القوم، و ذكر شجاعته و استبساله متعجباً^{١٠٧٩}، و ذهب إلى أنّه فدّ لا نظير له فى القتال. و عدّ عبد الله أحد ذهّاء العرب الخمسة^{١٠٨٠}.

و استشهد أخوه عبد الرحمن فى صفين أيضاً^{١٠٨١}. و دافع عبد الله عن إمامه حتّى آخر لحظة من حياته بكلّ ما اوتى من جهد. و عند ما طلب منه رفيق دربه و صاحبه الأسود بن طهمان الخزاعى أن يوصيه و هو يلفظ أنفاسه الأخيرة، قال:

اوصيك بتقوى الله، و أن تُنصِحَ أمير المؤمنين، و أن تقاتل معه المُحلّين حتّى يظهر الحقّ أو تلحق بالله، و أبلغه عنى السلام ...».

و عند ما بلغ الإمام صلوات الله عليه سلامه قال:

رحمه الله! جاهد معنا عدوّنا فى الحياة، و نصح لنا فى الوفاة^{١٠٨٢}.

فى وقعة صفين عن زُيد بن وهب: إنّ عبد الله بن بُدَيْل قام فى أصحابه فقال: إنّ معاوية ادعى ما ليس له، و نازع الأمر أهله و من ليس مثله، و جادل بالباطل ليدحض به الحقّ، وصال عليكم بالأعراب و الأحزاب، و زين لهم الضلالة،

ص: ٣٤١

١٠٧٦ (٧). وقعة صفين: ص ١٠٢.
١٠٧٧ (٨). وقعة صفين: ص ٢٣٤؛ الإصابة: ج ٤ ص ١٩ الرقم ٤٥٧٧ نحوه.
١٠٧٨ (١). المستدرك على الصحيحين: ج ٣ ص ٤٤٦ الرقم ٥٦٨٨.
١٠٧٩ (٢). وقعة صفين: ص ٢٤٦؛ تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٢٤، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٣ ص ٥٤٣، الاستيعاب: ج ٣ ص ١٠ الرقم ١٤٨٩.
١٠٨٠ (٣). التاريخ الصغير: ج ١ ص ١٣٨، تهذيب الكمال: ج ٢٤ ص ٤٥، تاريخ الطبري: ج ٥ ص ١٦٤، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٤٤٨، سببر أعلام النبلاء: ج ٣ ص ١٠٨.
١٠٨١ (٤). تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٣ ص ٥٦٧، تهذيب التهذيب: ج ٣ ص ٩٨ الرقم ٣٧٤٧، اسد الغابة: ج ٣ ص ١٨٤ الرقم ٢٨٣٤؛ رجال الطوسي: ص ٧٠ الرقم ٦٤٣.
١٠٨٢ (٥). وقعة صفين: ص ٤٥٧؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٨ ص ٩٣.

و زرع فى قلوبهم حُبَّ الفتنة، و لبس عليهم الأمر، و زادهم رجساً إلى رجسهم، و أنتم و الله، على نور من ربكم و برهان مبین.

قاتلوا الطغام الجفأه و لا تخشوهم، و كيف تخشونهم و فى أيديكم كتاب من ربكم ظاهر مبروز؟!

«أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ»^{١٠٨٣}

و قد قاتلتهم مع النبى صلى الله عليه و آله، و الله ما هم فى هذه بأزكى و لا أتقى و لا أبر، قوموا إلى عدو الله و عدوكم^{١٠٨٤}.

١٠٠ كتابه عليه السلام إلى الأسود بن قطنه

«مِنَ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْأَسْوَدِ بْنِ قَطْنَةَ.

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّهُ مَنْ لَمْ يَنْتَفِعْ بِمَا وَعُظَّ لَمْ يَحْذَرْ مَا هُوَ غَائِبٌ^{١٠٨٥}، وَمَنْ أَعْجَبَتْهُ رَضِيَ بِهَا، وَلَيْسَتْ بِثِقَّةٍ.

فاعتبر بما مضى تحذر ما بقى، واطبخ للمسلمين قبلك من الطلاء^{١٠٨٦} ما يذهب ثلثاه، وأكثر لنا من لطف الجند، واجعله مكان ما عليهم من أرزاق الجند؛ فإن للولدان علينا حقاً، وفي الدرية من يخاف دعاؤه، وهو لهم صالح، والسلام.»^{١٠٨٧}

ص: ٣٦٢

أقول: الأسود بن قطنه، كما فى نصر الموجود عندى، و قطنه كما فى البحار، و فى نهج البلاغه، و شرح البحرانى: قطيبه، بالياء ثم الباء.

و فى الإصابة: الأسود بن قطبة أبو مفرز، بفتح الفاء و تشديد الزاء المكسورة بعدها راء.

قال الدارقطنى فى المؤلف: شهد القادسيه، و له فيها أشعار كثيره، هو رسول سعد بن أبى وقاص بسبى جلولا إلى عمر، و هو شاعر المسلمين فى تلك الأيام، ذكره سيف فى الفتوح، و قال أيضاً: و كان مع خالد بن الوليد فى خلافة أبى بكر، ثم ذكر أبياتاً من شعره.

^{١٠٨٣} (١) التوبة: ١٣ و ١٤.
^{١٠٨٤} (٢) وقعة صفين: ص ٢٣٤؛ تاريخ الطبري: ج ٥ ص ١٦ و فيه «ميروراً» بدل «ميروز»، الاستيعاب: ج ٣ ص ١٠ الرقم ١٤٨٩ و ليس فيه من «و لا تخشوهم» إلى «ميروز».
^{١٠٨٥} (٣) الغابر: الباقي.
^{١٠٨٦} (٤) الطلاء- بالكسر: ما طبخ من عصير العنب.
^{١٠٨٧} (٥) وقعة صفين: ص ١٠٦.

و قال الحميدى: لم أف إلى الآن على نسب الأسود بن قطبة، و قرأت فى كثير من النسخ أنه حارثى من بنى الحارث بن كعب، و لم أتحمق ذلك، و الذى يغلب على ظنى أنه الأسود بن زيد بن قطبة بن غنم الأنصارى من بنى عبيد بن عدى، ذكره أبو عمر فى الاستيعاب، و قال: إن موسى بن عقبة عدّه فىمن شهد بدرًا، انتهى.

و ذكره الطبرى كثيراً بكنيته ... و نسبه إلى تميم، و له عليه السلام كتاب آخر - نقله المصنف نقلًا عن نهج البلاغة -، يفيد أنه صاحب جند حلوان.^{١٠٨٨}

١٠١ كتابه عليه السلام إلى الأسود بن قطبة

من كتاب له عليه السلام إلى الأسود بن قطبة صاحب جند حلوان:

ص: ٣٤٣

«أما بعد، فإن الوالى إذا اختلف هواه منعه ذلك كثيراً من العدل، فليكن أمر الناس عندك فى الحق سواءً، فإنه ليس فى الجور عوض من العدل، فاجتنب ما تنكر أمثاله، وابتدل نفسك فيما افترض الله عليك، راجياً ثوابه، ومنتخوفاً عقابه.

واعلم أن الدنيا دار بليّة، لم يفرغ صاحبها فيها قط ساعة، إلا كانت فرغته عليه حسرة يوم القيامة، وأنه لن يغنيك عن الحق شىء أبداً.

و من الحق عليك حفظ نفسك، والاحتساب على الرعيّة بجهدك، فإن الذى يصل إليك من ذلك أفضل من الذى يصل بك، والسلام».^{١٠٨٩}

١٠٢ كتابه عليه السلام إلى أميرين من أمراء جيشه

«وقد أمرت عليكما وعلى من فى حيزكما، مالك بن الحارث الأشر، فاسمعا له، وأطيعا، واجعلاه درعاً ومجنأً، فإنه ممن لا يخاف وهنة، ولا سقطته، ولا بطؤه عما الإسراع إليه أخزم، ولا إسراعه إلى ما البطء عنه أمثل».^{١٠٩٠}

١٠٣ كتابه عليه السلام إلى أمراءه على الجيش

من عبد الله على بن أبى طالب أمير المؤمنين إلى أصحاب المسالِح.

^{١٠٨٨} (١) راجع: نهج البلاغة: الكتاب ٥٩، وقعة صفين: ص ١٠٦، بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٤٠١ و ج ٦٦ ص ٥٠٦ و ج ٧٩ ص ١٧٧؛ شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ١٧ ص ١٤٥، تاريخ الطبري: ج ٣ ص ١١٨، الإصابة: ج ١ ص ٢٢٦ و ج ٦ ص ٣٨٥، أسد الغابة: ج ١ ص ٨٥، تاريخ مدينة دمشق: ج ٩ ص ٧٠.

^{١٠٨٩} (١) نهج البلاغة: الكتاب ٥٩ و راجع: نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ١٧ ص ١٤٥.

^{١٠٩٠} (٢) نهج البلاغة: الكتاب ١٣.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ حَقًّا عَلَى الْوَالِي أَلَّا يَغْيِرَهُ عَلَى رَعِيَّتِهِ فَضْلٌ نَالَهُ، وَلَا طَوْلٌ خُصَّ بِهِ، وَأَنْ يَزِيدَهُ مَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ مِنْ نِعْمِهِ دُنُوًّا مِنْ عِبَادِهِ، وَعَطْفًا عَلَى إِخْوَانِهِ.

ص: ٣٤٤

أَلَا وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدِي أَلَّا أُحْتَجَزَ دُونَكُمْ سِرًّا إِلَّا فِي حَرْبٍ، وَلَا أُطَوَى دُونَكُمْ أَمْرًا إِلَّا فِي حُكْمٍ، وَلَا أُؤَخَّرَ لَكُمْ حَقًّا عَنْ مَحَلِّهِ، وَلَا أُفَفَّ بِهِ دُونَ مَقْطَعِهِ، وَأَنْ تَكُونُوا عِنْدِي فِي الْحَقِّ سَوَاءً، فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ وَجَبَتْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ النِّعْمَةُ، وَوَلِيَّ عَلَيْكُمْ الطَّاعَةُ، وَأَلَّا تَنْكُصُوا عَنْ دَعْوَةٍ، وَلَا تُفَرِّطُوا فِي صَلَاحٍ، وَأَنْ تَخَوْضُوا الْعَمْرَاتِ إِلَى الْحَقِّ، فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَسْتَقِيمُوا لِي عَلَى ذَلِكَ، لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِمَّنْ اغْوَجَّ مِنْكُمْ، ثُمَّ أَعْظِمُ لَهُ الْعُقُوبَةَ، وَلَا يَجِدُ عِنْدِي فِيهَا رُخْصَةً فَخَذُوا هَذَا مِنْ أَمْرَائِكُمْ، وَأَعْطَوْهُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مَا يُصْلِحُ اللَّهُ بِهِ أَمْرَكُمْ، وَالسَّلَامُ.^{١٠٩١}

١٠٤ كتابه عليه السلام إلى أمراء الأجناد

و إلى العُمَّالِ الَّذِينَ يَطَا الْجَيْشُ عَمَلَهُمْ:

«مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَنْ مَرَّ بِهِ الْجَيْشُ مِنْ جُبَاهِ الْخَرَاجِ وَعُمَّالِ الْبِلَادِ:

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنِّي قَدْ سَبَّرتُ جُنُودًا، هِيَ مَارَةٌ بِكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَقَدْ أَوْصَيْتُهُمْ بِمَا يَجِبُ لِلَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ كَفِّ الْأَذَى، وَصَرَفِ الشَّدَى، وَأَنَا أَبْرَأُ إِلَيْكُمْ، وَإِلَى ذِمَّتِكُمْ مِنْ مَعْرَةِ الْجَيْشِ، إِلَّا مِنْ جَوْعَةِ الْمُضْطَرِّ لَا يَجِدُ عَنْهَا مَذْهَبًا إِلَى شِبَعِهِ، فَتَكَلَّوْا مَنْ تَنَاولَ مِنْهُمْ شَيْئًا ظُلْمًا عَنْ ظُلْمِهِمْ، وَكَفُّوا أَيْدِيَ سَفَهَائِكُمْ عَنْ مُضَارَّتِهِمْ، وَالتَّعَرَّضْ لَهُمْ فِيمَا اسْتَثْنَيْتَنَاهُ مِنْهُمْ، وَأَنَا بَيْنَ أَظْهَرِ الْجَيْشِ فَارْفَعُوا إِلَيَّ مَظَالِمَكُمْ، وَمَا عَرَائِكُمْ مِمَّا يَغْلِبُكُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ، وَمَا لَا تُطَبِّقُونَ دَفْعَهُ إِلَّا بِاللَّهِ وَبِي، فَأَنَا أَعْيَرُهُ

ص: ٣٤٥

بِمَعُونَةِ اللَّهِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ».^{١٠٩٢}

قال نصر: و في حديث عمر أيضاً بإسناده، ثم قال: إنَّ علياً كتب إلى أمراء الأجناد:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكُمْ وَإِلَى أَهْلِ الذِّمَّةِ مِنْ مَعْرَةِ الْجَيْشِ، إِلَّا مِنْ جَوْعَةٍ إِلَى شِبَعَةٍ، وَمِنْ فَقْرٍ إِلَى غِنَى، أَوْ عَمَى إِلَى هُدَى؛ فَإِنَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ. فَاعزُّوا النَّاسَ عَنِ الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ، وَخَذُوا عَلَيَّ أَيْدِيَ سَفَهَائِكُمْ، وَاحْتَرَسُوا أَنْ تَعْمَلُوا أَعْمَالًا لَا يَرْضَى اللَّهُ بِهَا عَنَّا، فَيَرُدَّ عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ دُعَاءَنَا، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: «قُلْ مَا يَعْبُؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ

^{١٠٩١} (١). نهج البلاغة: الكتاب ٥٠، الأمالي للطوسي: ص ٢٢١، وقعة صفين: ص ١٠٧، بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٣٥٤، المعيار و الموازنة: ص

١٠٣

^{١٠٩٢} (١). نهج البلاغة: الكتاب ٦٠.

فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا»^{١٠٩٣} فَإِنَّ اللَّهَ إِذَا مَقَّتَ قَوْمًا مِنَ السَّمَاءِ هَلَكُوا فِي الْأَرْضِ، فَلَا تَأْلُوا أَنْفُسَكُمْ خَيْرًا، وَلَا الْجُنْدَ حُسْنَ سِيرَةٍ، وَلَا الرَّعِيَّةَ مَعُونَةً، وَلَا دِينَ اللَّهَ قُوَّةً، وَأَبْلُوا فِي سَبِيلِهِ مَا اسْتَوْجَبَ عَلَيْكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ اصْطَنَعَ عِنْدَنَا وَعِنْدَكُمْ مَا يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَشْكُرَهُ بِجُهِدِنَا؛ وَأَنْ نَنْصُرَهُ مَا بَلَغَتْ قُوَّتُنَا. وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.»

و كتب أبو ثروان.^{١٠٩٤}

١٠٥ كتابه عليه السلام إلى جنوده

قال نصر: و في كتاب عمر بن سعد أيضاً: و كتب إلى جنوده يخبرهم بالذي

ص: ٣٦٦

لهم و الذي عليهم:

«مَنْ عَبْدَ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَمَا بَعْدُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَكَمُ فِي الْحَقِّ جَمِيعًا سَوَاءً، أَسْوَدَكُمْ وَأَحْمَرَكُمْ، وَجَعَلَكَمُ مِنَ الْوَالِيِ وَجَعَلَ الْوَالِيِ مِنْكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ مِنَ الْوَلَدِ، وَبِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ الَّذِي لَا يَكْفِيهِمْ مَنَعُهُ إِيَّاهُمْ طَلَبَ عَدُوِّهِ وَالتَّهْمَةَ بِهِ، مَا سَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ وَقَضَيْتُمْ الَّذِي عَلَيْكُمْ. وَإِنَّ حَقَّكُمْ عَلَيْهِ إِنصَافُكُمْ، وَالتَّعْدِيلُ بَيْنَكُمْ، وَالكِفْ عَن فَيئِكُمْ. فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ مَعَكُمْ وَجَبَتْ عَلَيْكُمْ طَاعَتُهُ بِمَا وَافَقَ الْحَقَّ، وَنَصْرَتُهُ عَلَى سِيرَتِهِ، وَالدَّفْعُ عَن سُلْطَانِ اللَّهِ؛ فَإِنَّكُمْ وَرَعَةُ^{١٠٩٥} اللَّهُ فِي الْأَرْضِ، فَكُونُوا لَهُ أَعْوَانًا، وَلِدِينِهِ أَنْصَارًا، وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ.»^{١٠٩٦}

١٠٦ كتابه عليه السلام إلى معاوية

أوردته مصنف كتاب معادن الحكمة رحمه الله كتابه عليه السلام إلى معاوية^{١٠٩٧}، عن السيّد رحمه الله في نهج البلاغة، و نقل صدره عن البحراني^{١٠٩٨}، و لكن نقل ابن أبي الحديد الكتاب بنحو آخر قال: [أ و اعلم أنّ هذه الخطبة [يريد الكتاب الذي نقله السيّد في نهج البلاغة^{١٠٩٩}، و نقله عنه المصنف و أوّلّه: و كيف أنت إذا تكشفت عنك

ص: ٣٦٧

^{١٠٩٣} (٢) الفرقان: الآية ٧٧.
^{١٠٩٤} (٣). وقعة صفين: ص ١٢٥، بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٤٨٦ ح ٦٩١؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٣ ص ١٩٤، جمهرة رسائل العرب: ج ١ ص ٤٠٧.
^{١٠٩٥} (١) فقال عمر: الوزعة الذين يدفعون عن الظلم.
^{١٠٩٦} (٢). وقعة صفين: ص ١٢٦، بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٤١٦ ح ٣٧٥؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٣ ص ١٩٥، جمهرة رسائل العرب: ج ١ ص ٤٠٧.
^{١٠٩٧} (٣). معادن الحكمة: ج ١ ص ١٥٦-١٥٨ الرقم ٢.
^{١٠٩٨} (٤). شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٤ ص ٣٧٠ و ٣٧١.
^{١٠٩٩} (٥). نهج البلاغة: الكتاب ١٠.

جَلَابِيْبُ مَا أَنْتَ فِيهِ] قَدْ ذَكَرَهَا نَصْرُ بْنُ مَزَاحِمٍ فِي كِتَابِ صَفِيْنٍ عَلَى وَجْهِ يَقْتَضِي أَنْ مَا ذَكَرَهُ الرَّضِيُّ رَحِمَهُ اللهُ مِنْهَا، قَدْ ضَمَّ إِلَيْهِ بَعْضَ خُطْبِهِ أُخْرَى، وَ هَذِهِ عَادَتُهُ، لِأَنَّ غَرَضَهُ التَّقِاطَ الْفَصِيْحَ وَ الْبَلِيْغَ مِنْ كَلَامِهِ، وَ الَّذِي ذَكَرَهُ نَصْرُ بْنُ مَزَاحِمٍ هَذِهِ صَوْرَتُهُ: [صَوْرَةُ الْكِتَابِ عَلَى نَصِّ الْمَعْتَزَلِيِّ]

«مِنْ عَبْدِ اللهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ: سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ.

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّكَ قَدْ رَأَيْتَ مُرُورَ الدُّنْيَا وَانْقِضَاءَهَا وَتَصَرُّفَهَا بِأَهْلِهَا، وَخَيْرٌ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الدُّنْيَا مَا أَصَابَهُ الْعِبَادُ الصَّالِحُونَ مِنْهَا مِنَ التَّقْوَى، وَمَنْ يَقْسِ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ يَجِدُ بَيْنَهُمَا بَعِيدًا.

وَاعْلَمْ يَا مُعَاوِيَةُ، أَنَّكَ قَدْ ادَّعَيْتَ أَمْرًا لَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ لَا فِي الْقَدِيمِ وَلَا فِي الْحَدِيثِ، وَلَسْتَ تَقُولُ فِيهِ بِأَمْرٍ بَيِّنٍ يُعْرَفُ لَهُ أَثَرٌ، وَلَا عَلَيَّكَ مِنْهُ شَاهِدٌ مِنْ كِتَابِ اللهِ، وَلَسْتَ مُتَعَلِّقًا بِآيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ، وَلَا عَهْدٍ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَكَيْفَ أَنْتَ صَانِعٌ إِذَا تَقَشَّعَتْ عَنْكَ غِيَابَةُ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ دُنْيَا قَدْ فَتَنْتَ بِزِينَتِهَا، وَرَكَنْتَ إِلَى لَذَائِهَا، وَخَلَّيْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَدُوِّكَ فِيهَا، وَهُوَ عَدُوٌّ وَكَلْبٌ مُضِلٌّ جَاهِدٌ مُلِيْحٌ، مَلِحٌ مَعَ مَا قَدْ تَبَّتْ فِي نَفْسِكَ مِنْ جِهَتِهَا، دَعْتَكَ فَأَجَبْتَهَا، وَقَادَتَكَ فَاتَّبَعْتَهَا، وَأَمَرْتَكَ فَاطَّعْتَهَا، فَاقْعَسْ^{١١٠٠} عَنْ هَذَا الْأَمْرِ، وَخُذْ أَهْبَةَ الْحِسَابِ؛ فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَقْفِكَ وَاقِفٌ عَلَى مَا لَا يُجِنُّكَ مِجَنٌّ.

وَمَتَى كُنْتُمْ يَا مُعَاوِيَةُ، سَاسَةَ الرَّعِيَّةِ، أَوْ وِلَاةً لِأَمْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، بِلَا قَدَمٍ حَسَنٍ، وَلَا شَرَفٍ تَلِيدٍ عَلَى قَوْمِكُمْ، فَاسْتَيْقِظْ مِنْ سِنِّتِكَ، وَارْجِعْ إِلَى خَالِكَ، وَشَمِّرْ

ص: ٣٤٨

لِمَا سَيَنْزِلُ بِكَ، وَلَا تُمَكِّنْ عَدُوَّكَ الشَّيْطَانَ مِنْ بُغْيَتِهِ فِيكَ، مَعَ أَنِّي أُعْرِفُ أَنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ صَادِقَانِ.

نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ لُزُومِ سَابِقِ الشَّقَاءِ، وَإِلَّا تَفَعَّلْ فَإِنِّي أَعْلِمُكَ مَا أَغْفَلْتَ مِنْ نَفْسِكَ، إِنَّكَ مُتْرَفٌ، قَدْ أَخَذَ مِنْكَ الشَّيْطَانُ مَاخِذَهُ، فَجَرَى مِنْكَ مَجْرَى الدَّمِّ فِي الْعُرُوقِ، وَلَسْتَ مِنْ أُمَّةٍ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَلَا مِنْ رُغَاتِهَا.

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَوْ كَانَ إِلَى النَّاسِ أَوْ بِأَيْدِيهِمْ لِحَسَدُونَاهُ، وَلَا مَتْنُونَاهُ عَلَيْنَا بِهِ، وَلَكِنَّهُ قَضَاءٌ مِمَّنْ مَنَحْنَاهُ وَاخْتَصَّنَا بِهِ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ الصَّادِقِ الْمُصَدِّقِ، لَا أَفْلَحَ مَنْ شَكَّ بَعْدَ الْعِرْفَانِ وَالْبَيِّنَةِ! رَبِّ احْكُم بَيْنَنَا وَبَيْنَ عَدُوِّنَا بِالْحَقِّ، وَأَنْتَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ»^{١١٠١}.

أَقُولُ: نَقَلَ الْمَعْتَزَلِيُّ الْكِتَابَ عَنْ صَفِيْنٍ لِنَصْرِ، مَعَ أَنَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا فِي كِتَابِ نَصْرِ الْمَوْجُودِ بُونًا بَعِيدًا، وَ قَالَ الشَّارِحُ الْعَلَّامَةُ الْأَمَلِيُّ: وَ اعْلَمْ أَنَّ بَيْنَ صَوْرَةِ كِتَابِ الْأَمِيرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى نَسْخَةِ كِتَابِ صَفِيْنٍ - الَّتِي نَقَلْتُ عَنْهُ - وَ بَيْنَ صَوْرَتِهِ عَلَى نَسْخَتِهِ

^{١١٠٠} (١) القعس: التأخير و الرجوع إلى الخلف، و الأصل: قايس من هذا الأمر (لسان العرب: ج ٦ ص ١٧٧ «قعس»).
^{١١٠١} (١). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٥ ص ٨٦ و راجع: وقعة صفين: ص ١٠٨ - ١١٠؛ تاريخ مدينة دمشق: ج ٥٩ ص ١٣٢ و ١٣٣.

الَّتِي نَقَلَهَا الْفَاضِلُ الشَّارِحُ الْمُعْتَزَلِيُّ فِي شَرْحِهِ عَلَى النَّهْجِ بَوْنًا بَعِيدًا، وَتَفَاوُتًا كَثِيرًا، وَ لَسْنَا نَعْلَمُ كَيْفِيَّةَ تَطَرُّقِ مِثْلِ هَذَا الْاِخْتِلَافِ الْفَاحِشِ إِلَى كِتَابِ وَاحِدٍ، وَ لَمْ يَحْضُرْنِي نَسْخَةُ مُصَحَّحَتِهِ مِنْ كِتَابِ صَفَّيْنِ، وَ لَا نَسْخَ مُتَعَدِّدَةٍ مِنْهُ، لِحُكْمِنَا عَلَى صَحَّةِ نَسْخَتِهِ، وَ لَا يَبْعَدُ أَنْ يُقَالَ: إِذَا كَانَ لَا بَدَّ مِنْ اخْتِيَارِ نَسْخَتِهِ مِنْ بَيْنِ النَّسْخِ وَ تَرْجِيحِهَا عَلَى غَيْرِهَا، فَالْمَخْتَارُ هُوَ مَا فِي النَّهْجِ، لِمَكَانَةِ الرَّضِيِّ فِي مَعْرِفَةِ فُنُونِ الْكَلَامِ وَ بَخْصُوصِ أَسَالِيْبِهِ ...^{١١٠٢}

ص: ٣٦٩

وَ أَمَّا بِبَخْصُوصِ مَا قَالَهُ الشَّارِحُ الْمُعْتَزَلِيُّ: ... قَدْ ضَمَّ إِلَيْهِ بَعْضَ خُطْبَةٍ أُخْرَى، وَ هَذِهِ عَادَتُهُ، لِأَنَّ غَرَضَهُ الْتِقَاطُ الْفَصِيحِ وَ الْبَلِيغِ مِنْ كَلَامِهِ؛ فَفِيهِ مَا لَا يَخْفَى، وَ هُوَ أَنَّ غَرَضَ الشَّرِيفِ رَحِمَهُ اللَّهُ الْتِقَاطُ الْفَصِيحِ (لَا مَزْجَ خُطْبَةٍ أَوْ كِتَابِ بِخُطْبَةٍ أَوْ كِتَابِ) وَ لَا زَمَهُ حَذْفُ بَعْضِ مِنَ الْكِتَابِ أَوْ الْخُطْبَةِ، وَ غَابَ عَنْهُ، إِنَّ مَا نَسَبَهُ إِلَى السَّيِّدِ خِيَانَةٌ فِي النَّقْلِ وَ كَذِبٌ فِي الْحَدِيثِ، وَ هُوَ أَتْقَى وَ أَوْرَعُ مِنْ ذَلِكَ.

وَ حِجَّتُهُ فِي ذَلِكَ، خَلَوْا رِوَايَةَ نَصْرِ بْنِ مَزَاحِمٍ مِنْ بَعْضِ فِقْرَاتِ هَذَا الْكِتَابِ، وَ لَوْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا ذَكَرَ، لَنَبَّهَ عَلَيْهِ الرَّضِيُّ، فَقَدْ عَرَفَتْ اِحْتِيَاطُهُ فِي النَّقْلِ، وَ تَثَبُّتُهُ فِي الرِّوَايَةِ ...

وَ عَلَى كُلِّ حَالٍ، فَنَحْنُ إِتْمَا نُوْرِدُ نَصْرَ أَيْضًا لِتَتْمِيمِ الْفَائِدَةِ، وَ هَذَا هُوَ:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ: سَلَامٌ عَلَيَّ مِنْ أَتْبَعَ الْهُدَى، فَإِنِّي أَحْمَدُ اللَّهَ إِلَيْكَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ.

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّكَ قَدْ رَأَيْتَ مِنَ الدُّنْيَا وَتَصَرَّفَ فِيهَا بِأَهْلِهَا، وَإِلَى مَا مَضَى مِنْهَا، وَخَيْرٌ مَا بَقِيَ مِنَ الدُّنْيَا مَا أَصَابَ الْعِبَادَ الصَّادِقُونَ فِيهَا مَضَى، وَمَنْ نَسِيَ الدُّنْيَا نَسِيَانَ الْآخِرَةَ يَجِدُ بَيْنَهُمَا بَوْنًا بَعِيدًا.

وَاعْلَمْ يَا مُعَاوِيَةَ، أَنَّكَ قَدْ ادَّعَيْتَ أَمْرًا لَسْتُ مِنْ أَهْلِهِ لَا فِي الْقَدَمِ، وَلَا فِي الْوِلَايَةِ، وَلَسْتُ تَقُولُ فِيهِ بِأَمْرٍ بَيِّنٍ تُعْرِفُ لَكَ بِهِ أَثْرَةً، وَ لَا لَكَ عَلَيْهِ شَاهِدٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، وَ لَا عَهْدٌ تَدَّعِيهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، فَكَيْفَ أَنْتَ صَانِعٌ إِذَا انْقَشَعَتْ عَنْكَ جَلَابِيبُ مَا أَنْتَ فِيهِ، مِنْ دُنْيَا أَبْهَجَتْ بَزِينَتِهَا، وَرَكَنتَ إِلَى لَدَّتِهَا، وَخَلَّى فِيهَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَدُوِّ جَاهِدٍ مُلِحٍّ، مَعَ مَا عَرَضَ فِي نَفْسِكَ مِنْ دُنْيَا قَدْ دَعَتْكَ فَأَجَبْتَهَا، وَقَادَتَكَ فَاتَّبَعْتَهَا،

ص: ٣٧٠

وَامْرَأَتَكَ فَأَطَعْتَهَا. فَافْعَسْ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ، وَخُذْ أَهْبَةَ الْحِسَابِ؛ فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَقْفِكَ وَاقِفٌ عَلَيَّ مَا لَا يُجِنُّكَ مِنْهُ مِجْنٌ.

وَمَتَى كُنْتُمْ يَا مُعَاوِيَةُ، سَاسَةً لِلرَّعِيَّةِ، أَوْ وُلَاةً لِأَمْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِغَيْرِ قَدَمٍ حَسَنٍ، وَلَا شَرَفٍ سَابِقٍ عَلَي قَوْمِكُمْ. فَشَمِّرْ لِمَا قَدْ نَزَلَ بِكَ، وَلَا تُمَكِّنِ الشَّيْطَانَ مِنْ بُعْيَتِهِ فِيكَ، مَعَ أَنِّي أَعْرِفُ أَنَّ اللَّهَ وَرَسُولُهُ صَادِقَانِ.

فَتَعَوَّذُ بِاللَّهِ مِنْ لُزُومِ سَابِقِ الشَّقَاءِ، وَإِلَّا تَفَعَّلْ أَعْلِمَكَ مَا أَغْفَلَكَ مِنْ نَفْسِكَ، فَإِنَّكَ مُتَرَفٌّ قَدْ أَخَذَ مِنْكَ الشَّيْطَانُ مَا أَخَذَهُ، فَجَرَى مِنْكَ مَجْرَى الدَّمِ فِي الْعُرُوقِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَوْ كَانَ إِلَى النَّاسِ أَوْ بِأَيْدِيهِمْ لَحَسَدُونَا، وَامْتَنَّا بِهِ عَلَيْنَا، وَلَكِنَّهُ قَضَاءٌ مِمَّنْ امْتَنَّ بِهِ عَلَيْنَا عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ الصَّادِقِ الْمُصَدِّقِ. لَا أَفْلَحُ مَنْ شَكََّ بَعْدَ الْعِرْفَانِ وَالْبَيِّنَةِ.

اللَّهُمَّ احْكُمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ عَدُوِّنَا بِالْحَقِّ، وَأَنْتَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ».

فكتب معاوية:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب: أما بعد، فدع الحسد، فإنك طالماً لم تنتفع به، ولا تُفسد سابقه قدامك بشره نخوتك، فإن الأعمال بخواتيمها، ولا تمحق سابقتك في حق من لا حق لك في حقه، فإنك إن تفعل لا تضر بذلك إلا نفسك، ولا تمحق إلا عملك، ولا تُبطل إلا حجتك. ولعمري، ما مضى لك من السابقات لشبيهة أن يكون محوقاً؛ لما اجترأت عليه من سفك الدماء، وخلاف أهل الحق. فاقراً سورة الفلق، وتعوذ بالله من شر نفسك، فإنك الحاسد إذا حسد. ١١٠٣

ص: ٣٧١

[قال الأحمدي: استدل أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الكتاب على رواية نصر علي ولايته بالنص، و طالب فيما يدعيه نصاً].

١٠٧ كتابه عليه السلام إلى معاوية

شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي رحمه الله، عن محمد بن محمد قال: أخبرني أبو الحسن علي بن محمد الكاتب، قال: حدثنا الأجلح، عن حبيب بن أبي ثابت، عن ثعلبة بن يزيد الحماني، قال: كتب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى معاوية بن أبي سفيان:

١١٠٣ (١). وقعة صفين: ص ١٠٨ - ١١٠ و راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٥ ص ٨٦ و ٨٧، تاريخ مدينة دمشق: ج ٥٩ ص ١٣٢ و ١٣٣.

«أما بعد، فإنَّ اللهَ تعالى أنزلَ إلينا كتابه ولم يدعنا في شُبُهه، ولا عُذرَ لِمَن ركبَ ذنباً بجهالته، والتَّوبَةُ مبسوطَةٌ، «وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى»^{١١٠٤}، وأنتَ ممَّن شرَعَ الخِلافَ؛ متمادياً في غِرَّةِ الأملِ، مُختَلِفِ السِّرِّ والغَلابِيَّةِ، رَغْبَةً في العاجِلِ، وتكذيباً بالآجِلِ، وكأَنَّكَ قَدْ تَذَكَّرْتَ ما مَضَى مِنكَ فلمَ تَجِدْ إلى الرَّجُوعِ سَبِيلاً»^{١١٠٥}.

١٠٨ كتابه عليه السلام إلى عمرو بن العاص

شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي رحمه الله، عن محمد بن محمد قال: أخبرني أبو الحسن علي بن محمد الكاتب، قال: حدثنا الأجلح، عن حبيب بن أبي ثابت،

ص: ٣٧٢

عن ثعلبة بن يزيد الحماني، قال: كتب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه إلى عمرو بن العاص:

«مِنَ عَبْدِ اللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الَّذِي أَعْجَبَكَ مِمَّا تَلَوَّيْتَ مِنَ الدُّنْيَا وَوَثِّقْتَ بِهِ مِنْهَا مُنْقَلِبَ عُنُكِكَ، فَلَا تَطْمَئِنَّ إِلَى الدُّنْيَا، فَإِنَّهَا غَرَارَةٌ، وَلَوْ اعْتَبَرْتَ بِمَا مَضَى حَذَرْتَ مَا بَقِيَ، وَأَنْتَفَعْتَ مِنْهَا بِمَا وَعُظْتَ بِهِ، وَلَكِنَّكَ تَبِعْتَ هَوَاكَ وَأَثَرْتَهُ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ تُؤْثِرْ عَلَى مَا دَعَوْنَا إِلَيْهِ غَيْرَهُ، لِأَنَّ أَعْظَمَ رَجَاءٍ وَأَوْلَى بِالْحُجَّةِ وَالسَّلَامِ»^{١١٠٦}.

١٠٩ كتابه عليه السلام إلى عمرو بن العاص

«مِنَ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْأُبَيْرِ بْنِ الْأُبَيْرِ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ بْنِ وائِلٍ، شَانِي مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكَ تَرَكْتَ مَرُوءَ تَكْ لَامِرِي فَاسِقٍ مَهْتُوكٍ سِئْرُهُ، يَشِينُ الْكَرِيمَ بِمَجْلِسِهِ، وَيُسَفِّهُ الْخَلِيمَ بِخَلْطَتِهِ، فَصَارَ قَلْبُكَ لِقَلْبِهِ تَبَعًا، كَمَا قِيلَ: وَافَقَ شَنْ طَبَقَهُ؛ فَسَلَبَكَ دِينَكَ وَأَمَانَتَكَ وَدُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ، وَكَانَ عِلْمُ اللَّهِ بِالْغَا فِيكَ.

فَصِرْتَ كَالذُّبِّ يَتَّبِعُ الضَّرْغَامَ إِذَا مَا اللَّيْلُ دَجَى، أَوْ أَتَى الصُّبْحَ يَلْتَمِسُ فَاضِلَ سُورِهِ وَحَوَايَا فَرِيْسَتِهِ، وَلَكِنْ لَا نَجَاةَ مِنَ الْقَدْرِ، وَلَوْ بِالْحَقِّ أَخَذْتَ لِأَذْرَكَتَ مَا رَجَوْتَ، وَقَدْ رَشَدَ مَنْ كَانَ الْحَقُّ قَائِدَهُ، فَإِنْ يُمْكِنُ اللَّهُ مِنْكَ وَمِنْ ابْنِ آكِلَةِ الْأَكْبَادِ، أَلْحَقْتُكَمَا بِمَنْ قَتَلَهُ اللَّهُ مِنْ ظَلَمَةِ قُرَيْشٍ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَإِنْ تُعْجِزَا وَتَبْقَا

ص: ٣٧٣

^{١١٠٤} (١) الأنعام: ١٦٤.

^{١١٠٥} (٢). الأمالي للطوسي: ص ٢١٧ ح ٣٨١، بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٧٥.

^{١١٠٦} (١). الأمالي للطوسي: ص ٢١٧ ح ٣٨١ و راجع: وقعة صفين: ص ٤٩٨.

بَعْدُ فَاللَّهُ حَسْبُكُمْ، وَكَفَى بِأَنْتِقَامِهِ أَنْتِقَاماً، وَبِعِقَابِهِ عِقَاباً، وَالسَّلَامُ».^{١١٠٧}

١١٠ كتابه عليه السلام إلى معاوية

«أَمَا بَعْدُ؛ فَإِنَّكَ قَدْ دُقْتَ ضَرَاءَ الْحَرْبِ وَأَدَقْتَهَا، وَإِنِّي عَارِضٌ عَلَيْكُمْ مَا عَرَضَ الْمُخَارِقُ عَلَى بَنِي فَالْجِ:

أَيَا رَاكِباً إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلَّغْنِي
بَنِي فَالْجِ حَيْثُ اسْتَقَرَّ قَرَارُهَا

هَلُمُّوا إِلَيْنَا لَا تَكُونُوا كَأَنَّكُمْ
بَلَاغِ أَرْضٍ طَارَ عَنْهَا غُبَارُهَا

سَلِيمُ بْنُ مَنْصُورٍ أَنَسَ بِحَرَّةٍ
وَأَرْضُهُمْ أَرْضٌ كَثِيرٌ وَبَارُهَا».^{١١٠٨}

١١١ كتابه عليه السلام إلى معاوية

و كَتَبَ مَعَاوِيَةَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

أَمَا بَعْدُ، فَإِنَّ الْهَوَى يُضِلُّ مَنْ أَتْبَعَهُ، وَالْحِرْصُ يُتَعَبُ الطَّالِبَ الْمَحْرُومَ، وَ أَحْمَدُ الْعَاقِبَتَيْنِ مَا هَدَى إِلَى سَبِيلِ الرَّشَادِ، وَ مِنْ الْعَجَبِ الْعَجِيبِ ذَامٌّ وَ مَادِحٌ، وَ زَاهِدٌ وَ رَاغِبٌ، وَ مُتَوَكِّلٌ وَ حَرِيصٌ؛ كَلَاماً ضَرَبْتَهُ لَكَ مَثَلاً، لَتَدَبَّرَ حِكْمَتَهُ، بِجَمِيعِ الْفَهْمِ، وَ مَبَايِنَةَ الْهَوَى، وَ مَنَاصِحَةَ النَّفْسِ.

فَلَعَمْرِي يَا بَنِي أَبِي طَالِبٍ لَوْ لَا الرَّحِيمُ الَّتِي عَطَفْتَنِي عَلَيْكَ، وَ السَّابِقَةُ الَّتِي

ص: ٣٧٤

سَلَفَتْ لَكَ، لَقَدْ كَانَ اخْتِطَفْتِكَ بَعْضُ عُقْبَانِ أَهْلِ الشَّامِ، فَيَصْعَدُ بِكَ فِي الْهَوَاءِ، ثُمَّ قَدْ فَكَّ عَلَى دَكَادِكَ شَوَامِخَ الْأَبْصَارِ، فَأَلْفَيْتَ كَسْحِيْقَ الْفِيْهِرِ، عَلَى صَنِ الصَّلَابَةِ لَا يَجِدُ الدَّرَّ فِيْكَ مَرْتَعاً.

^{١١٠٧} (١). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٦ ص ١٦٣ و راجع: جمهرة رسائل العرب: ج ١ ص ٤٨٦، الغدير: ج ٢ ص ١٣٠.
^{١١٠٨} (٢). وقعة صفين: ص ٣٨٥، بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٥٠٥.

و لقد عزمت عزمه من لا يعطفه رقة الأنداز إن لم تباين ما قربت به أملك، و طال له طليتك، و لأوردتك مورداً تستمير الندامة، إن فسح لك في الحياة، بل أظنك قبل ذلك من الهالكين، و بس الرأى رأى يورد أهله إلى المهالك، و يمنيهم العطب إلى حين لات مناص.

و قد قذف بالحق على الباطل، و ظهر أمر الله و هم كارهون، و لله الحجة البالغة، و المنة الظاهرة، و السلام.

فلما جاء كتابه إلى أمير المؤمنين و قرأه، أجاهه بما لفظه:

«من عبد الله أمير المؤمنين على بن أبي طالب، إلى معاوية بن أبي سفيان.

أما بعد، فقد أتانا كتابك بتنويق المقال و ضرب الأمثال، و انتحال الأعمال، تصيف الحكمة و لست من أهلها، و تذكر التقي وأنت على ضدها، قد اتبعت هواك فحاد بك عن طريق الحجة، و ألحج^{١١٩} بك عن سواء السبيل، فأنت تسحب أذيال لذات الفتن، و تحبط في زهرة الدنيا، كأنك لست توقن بأوبه البعث ولا برجعه المقلب، قد عقدت التاج، و لبست الخز، و افترشت الديباج، سنة هرقلية، و ملكاً فارسياً، ثم لم يفنغك ذلك، حتى يبلغني أنك تغفد الأمر من بعدك لغيرك، فيهلك دونك فتحاسب دونه، و لعمرى لئن فعلت ذلك، فما ورثت الضلالة عن كلاله، و إنك لابن من كان ينبغي على أهل الدين، و يحسد المسلمين.

ص: ٣٧٥

وذكرت رجماً عطفتك على، فأقسم بالله الأعز الأجل، أن لو نازعك هذا الأمر في حياتك من أنت تمهد له بعد وفاتك؛ لقطعت حبله، و أبنت أسبابه.

و أما تهديدك لي بالمشارب الوبئة^{١١٠}، و الموارد المهلكة، فأنا عبد الله على بن أبي طالب، أبرز إلى صفحتك، كلاً و رب البيت؛ ما أنت بأبي عذر عند القتال، ولا عند مناطق الأبطال، و كأنى بك لو شهدت الحرب و قد قامت على ساق، و كشرت عن منظر كربه، و الأرواح تختطف أخطاف البازي زغب القطا، لصرت كالمولاهة الحيرانة، تضربها العبرة بالصدمه، لا تعرف أعلى الوادي من أسفله.

قدع عنك ما لست أهله، فإن وقع الحسام غير تشقيق الكلام، فكم عسكر قد شهدته و قرن نازلته، ... اصطكاك قريش بين يدي رسول الله صلى الله عليه و آله، إذ أنت و أبوك وهو ... و أنت اليوم تهددني.

فأقسم بالله، أن لو تبدى الأيام عن صفحتك، لنشب فيك مخلب ليث هصور، لا يفوته فريسة المراوغة، كيف و أنتى لك بذلك، و أنت فعيده بنت البكر المخدرة، يفزعها صوت الرعد، و أنا على بن أبي طالب، الذي لا أهدد بالقتال، ولا أخوف بالنزال، فإن شئت يا معاوية فأبرز، و السلام.

^{١١٩} (١) اللخج: الميل، و ألحج: معوج. (لسان العرب: ج ٢ ص ٣٥٦).
^{١١٠} (١) في المصدر: «العربية» و التصويب من بحار الأنوار.

فلَمَّا وَصَلَ هَذَا الْجَوَابَ إِلَى مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، جَمَعَ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِهِ، وَ مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ لَهُ عَمْرُو: قَدْ أَنْصَفَكَ الرَّجُلُ، كَمْ رَجُلٌ أَحْسَنَ فِي اللَّهِ قَدْ قَتَلَ بَيْنَكُمَا، ابْرُزْ إِلَيْهِ.

فَقَالَ لَهُ: أبا عَبْدِ اللَّهِ أَخْطَأْتَ اسْتَكَّ الْحُفْرَةَ، أَنَا ابْرُزْ إِلَيْهِ، مَعَ عِلْمِي أَنَّهُ مَا بَرَزَ إِلَيْهِ أَحَدٌ قَطُّ إِلَّا وَ قَتَلَهُ، لَا وَ اللَّهِ، وَ لَكِنِّي سَأُبْرُزُكَ إِلَيْهِ.^{١١١١}

ص: ٣٧٤

١١٢ كتابه عليه السلام إلى معاوية

«وَكَيْفَ أَنْتَ صَانِعٌ إِذَا تَكَشَّفَتْ عَنْكَ جَلَابِيبُ مَا أَنْتَ فِيهِ، مِنْ دُنْيَا قَدْ تَبَهَّجَتْ بِزِينَتِهَا، وَخَدَعَتْ بِلَذَّتِهَا، دَعَتْكَ فَأَجَبْتَهَا، وَقَادَتْكَ فَاتَّبَعْتَهَا، وَأَمَرَتْكَ فَأَطَعْتَهَا، وَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَقْفَكَ وَاقِفٌ عَلَى مَا لَا يُنْجِيكَ مِنْهُ مِجَنٌّ فَاقْعَسْ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ، وَخُذْ أَهْبَةَ الْحِسَابِ، وَشَمِّرْ لِمَا قَدْ نَزَلَ بِكَ، وَلَا تُمَكِّنِ الْعُوَاءَ مِنْ سَمْعِكَ، وَإِلَّا تَفْعَلْ أُعْلِمُكَ مَا أُغْفَلَتْ مِنْ نَفْسِكَ، فَإِنَّكَ مُتْرَفٌ قَدْ أَخَذَ الشَّيْطَانُ مِنْكَ مَأْخَذَهُ، وَبَلَغَ فِيكَ أَمَلُهُ، وَجَرَى مِنْكَ مَجْرَى الرُّوحِ وَالْدَّمِ.

وَمَتَى كُنْتُمْ يَا مَعَاوِيَةَ سَاسَةَ الرَّعِيَّةِ، وَوَلَاءَةَ أَمْرِ الْأُمَّةِ بَعِيرٍ قَدَمٍ سَابِقٍ، وَلَا شَرَفٍ بَاسِقٍ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ لُزُومِ سَوَابِقِ الشَّقَاءِ، وَأَحْذَرُكَ أَنْ تَكُونَ مُتَمَادِيًّا فِي غِرَّةِ الْأَمْنِيَّةِ مُخْتَلِفِ الْعَلَانِيَةِ وَالسَّرِيرَةِ، وَقَدْ دَعَوْتَ إِلَى الْحَرْبِ، قَدَعَ النَّاسَ جَانِبًا، وَاخْرَجَ إِلَيَّ، وَأَغْفِ الْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْقِتَالِ، لِتَعْلَمَ أَيْنَا الْمَرِينُ عَلَى قَلْبِهِ، وَالْمُعْطَى عَلَى بَصَرِهِ، فَأَنَا أَبُو حَسَنِ قَاتِلُ جَدِّكَ وَأَخِيكَ وَخَالِكَ شَدْخًا يَوْمَ بَدْرٍ، وَذَلِكَ السَّيْفُ مَعِي، وَبِذَلِكَ الْقَلْبِ أَلْقَى عَدُوِّي، مَا اسْتَبَدَلْتُ دِينًا، وَلَا اسْتَحْدَثْتُ نَبِيًّا، وَإِنِّي لَعَلَى الْمِنْهَاجِ الَّذِي تَرَكْتُمُوهُ طَائِعِينَ، وَدَخَلْتُمْ فِيهِ مُكْرَهِينَ، وَزَعَمْتَ أَنَّكَ جِئْتَ نَائِرًا بِدَمِ عُثْمَانَ، وَلَقَدْ عَلِمْتَ حَيْثُ وَقَعَ دَمُ عُثْمَانَ، فَاطْلُبْهُ مِنْ هُنَاكَ إِنْ كُنْتَ طَالِبًا، فَكَأَنِّي قَدْ رَأَيْتُكَ تَضِجُ مِنَ الْحَرْبِ إِذَا غَضَّتْكَ ضَجِيجَ الْجِمَالِ بِالْأَثْقَالِ، وَكَأَنِّي بِجَمَاعَتِكَ تَدْعُونِي جَزَعًا مِنَ الضَّرْبِ الْمُتَتَابِعِ، وَالْقَضَاءِ الْوَاقِعِ، وَمَصَارِعَ بَعْدَ مَصَارِعَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ، وَهِيَ كَافِرَةٌ جَاحِدَةٌ، أَوْ مَبَايَعَةٌ خَائِدَةٌ.^{١١١٢}

ص: ٣٧٧

١١٣ كتابه عليه السلام إلى معاوية

من كتاب له عليه السلام أجاب به معاوية، لَمَّا كَتَبَ إِلَيْهِ فِي صَفِّينَ بِمَا نَصَّه:

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ:

^{١١١١} (٢). كنز الفوائد: ج ٢ ص ٤٢، بحار الأنوار: ج ٣٣، ص ١٢٧.
^{١١١٢} (١). نهج البلاغة: الكتاب ١٠ وراجع: وقعة صفين: ص ٥٩؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٥ ص ٧٦، العقد الفريد: ج ٤ ص ٣٢٢، تاريخ مدينة دمشق: ج ٥٦ ص ٦٣.

«وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أُشْرِكْتَ لَيُحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ»^{١١١٣}،

و إني أحذرك الله أن تحبط عملك، و سابقتك بشق عصا هذه الأمة و تفريق جماعتها، فاتق الله، و اذكر موقف القيامة، و أفلح عما أسرفت فيه من الخوض في دماء المسلمين، و إني سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول:

«لَوْ تَمَالَأ أَهْلُ صَنْعَاءَ وَ غَدَنَ عَلَى قَتْلِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، لَأَكْبَهُمُ اللَّهُ عَلَى مَنَاجِرِهِمْ فِي النَّارِ»

فكيف يكون حال من قتل أعلام المسلمين، و سادات المهاجرين، بله ما طحنت رحي حربه من أهل القرآن، و ذى العبادة و الإيمان، من شيخ كبير، و شاب غرير، كلهم بالله تعالى مؤمن، و له مخلص، و برسوله مقرب عارف، فإن كنت أبا حسن إنما تحارب على الإمرة و الخلافة.

فلعمري لو صحت خلافتك لكنت قريباً من أن تعذر في حرب المسلمين، و لكنها ما صحت لك، أنى بصحتها و أهل الشام لم يدخلوا فيها و لم يرتضوا بها! و خف الله و سطواته، و اتق بأسه و نكاله، و أعمد سيفك عن الناس، فقد و الله أكلتهم الحرب، فلم يبق منهم إلا كالثمد^{١١١٤} في قرارة الغدير، و الله المستعان.

ص: ٣٧٨

فكتب على عليه السلام إليه جواباً عن كتابه:

«من عبد الله على أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان.

أما بعد، فقد أتتني منك موعظة موصلة، ورسالة محبرة، نمتتها بضلالك، وأمضيتها بسوء رأيك، وكتاب امرئ ليس له بصراً يهديه، ولا قائد يرشده، دعاه الهوى فأجابته، وقاده الضلال فاتبعه، فهجر لاغياً، وضل خابطاً.

فأما أمرك لي بالتقوى فأرجو أن أكون من أهلها، وأستعيذ بالله من أن أكون من الذين إذا مروا بها أخذتهم العزة بالإثم.

وأما تحذيرك إياي أن يحبط عملي وسابقتي في الإسلام، فلعمري، لو كنت الباغي عليك لكان لك أن تحذرنى ذلك، ولكنى وجدت الله تعالى يقول: «فَقَاتِلُوا آلَ بَنِي نَدِيمٍ حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ»^{١١١٥}، فنظرنا إلى الفتنتين، أما الفئة الباغية فوجدناها الفئة التي أنت فيها، لأن بيعتني بالمدينة لزممتك وأنت بالشام، كما لزممتك بيعة عثمان بالمدينة وأنت أمير لعمر على الشام، وكما لزممت يزيد أخاك بيعة عمر، وهو أمير لأبي بكر على الشام.

وأما شق عصا هذه الأمة فأنا أحق أن أنهاك عنه.

^{١١١٣} (١) الزمر: ٦٥.

^{١١١٤} (٢) التمدد و التمدد: الماء القليل الذي لا ماء له. (لسان العرب: ج ٣ ص ١٠٥).

^{١١١٥} (١) الحجرات: ٩.

فَأَمَّا تَخْوِيفُكَ لِي مِنْ قَتْلِ أَهْلِ الْبَغِيِّ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَمَرَنِي بِقِتَالِهِمْ وَقَتْلِهِمْ، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ:

إِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُقَاتِلُ عَلَيَّ تَأْوِيلَ الْقُرْآنِ كَمَا قَاتَلْتُ عَلَيَّ تَنْزِيلَهُ.

وَأَشَارَ إِلَيَّ وَأَنَا أُولَى مَنْ اتَّبَعَ أَمْرَهُ.

وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّ بَيْعَتِي لَمْ تَصِحَّ لِأَنَّ أَهْلَ الشَّامِ لَمْ يَدْخُلُوا فِيهَا؛ كَيْفَ وَإِنَّمَا هِيَ

ص: ٣٧٩

بَيْعَةٌ وَاحِدَةٌ، تَلْزِمُ الْحَاضِرَ وَالْغَائِبَ، لَا يُثَنَّى فِيهَا النَّظَرُ، وَلَا يُسْتَأْنَفُ فِيهَا الْخِيَارُ، الْخَارِجُ مِنْهَا طَاعِنٌ، وَالْمُرَوِّى فِيهَا مُدَاهِنٌ، فَارْتَبَعَ عَلَيَّ ظَلْعِيكَ، وَأَنْزَعَ سِرْبَالَ عَجَبِكَ، وَأَتْرَكَ مَا لَا جُدْوَى لَهُ عَلَيْكَ، فَلَيْسَ لَكَ عِنْدِي إِلَّا السَّيْفُ، حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ صَاحِرًا وَتَدْخُلَ فِي الْبَيْعَةِ رَاغِمًا، وَالسَّلَامُ»^{١١١٦}.

١١٤ كتابه عليه السلام إلى معاوية

من كتاب له عليه السلام أجاب به ما كتبه إليه معاوية بن أبي سفيان.

قال نصر بن مزاحم رحمه الله: لَمَّا انْتَهَى إِلَى مَعَاوِيَةَ قَوْلَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

إِنِّي مَنَاجِرُ الْقَوْمَ إِذَا أَصْبَحْتُ، وَغَادٍ عَلَيْهِمْ بِالْغَدَاةِ أَحَاكِمُهُمْ إِلَى اللَّهِ عِزِّ وَجَلِّ؛

وَشِعْرُ مَعَاوِيَةَ بْنِ الضَّحَّاكِ، وَشِعْرُ الْأَشْتَرِ هَالَهُ ذَلِكَ، وَقَالَ: قَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَكْتُبَ إِلَى عَلِيٍّ كِتَابًا أَسْأَلُهُ الشَّامَ - وَهُوَ الشَّيْءُ الْأَوَّلُ الَّذِي رَدَّتْهُ عَنْهُ - وَالْقَى فِي نَفْسِهِ الشَّكَّ وَالرَّيْبَةَ.

فضحك عمرو بن العاص، ثُمَّ قَالَ: أَيْنَ أَنْتَ يَا مَعَاوِيَةَ مِنْ خُدَعَةِ عَلِيٍّ؟!

فَقَالَ: أَلَسْنَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ؟

قال: بَلَى وَ لَكِنْ لَهُمُ النَّبُوَّةُ دُونَكَ، وَ إِنْ شِئْتَ أَنْ تُكْتَبَ فَارْتَبِعْ.

فكتب معاوية إلى علي مع رجل من السكاسيك يقال له: عبد الله بن عقبة، و كان من ناقلة أهل العراق فكتب عليه السلام:

ص: ٣٨٠

^{١١١٦} (١). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٤ ص ٤٢، جمهرة الرسائل العرب: ج ١ ص ٤٧٥؛ بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٨١ و راجع: الإمامة و السياسة: ج ١ ص ٩١، الفتوح: ج ٢ ص ٤٢٩ - ٤٣١، الكامل للمبرد: ج ١ ص ١٩٠ - ١٩٣، العقد الفريد: ج ٤ ص ٣٣٢.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَظُنُّكَ أَنَّ لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ الْحَرْبَ تَبْلُغُ بِنَا وَبِكَ مَا بَلَّغْتُ وَعَلِمْنَا، لَمْ يَجْنِهَا بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ.

وَإِنَّا وَإِن كُنَّا قَدْ غُلِبْنَا عَلَى عُقُولِنَا فَقَدْ بَقِيَ لَنَا مِنْهَا مَا نَنْدَمُ بِهِ عَلَى مَا مَضَى وَنُصَلِّحُ بِهِ مَا بَقِيَ، وَ قَدْ كُنْتُ سَأَلْتُكَ الشَّامَ عَلَى أَلَّا يَلْزِمُنِي لَكَ طَاعَةٌ وَ لَا بَيْعَةٌ، فَأُبَيِّتُ ذَلِكَ عَلَيَّ، فَأَعْطَانِي اللَّهُ مَا مَنَعْتَ، وَأَنَا أَدْعُوكَ الْيَوْمَ إِلَى مَا دَعَوْتُكَ إِلَيْهِ أَمْسٍ، فَإِنِّي لَا أَرْجُو مِنَ الْبَقَاءِ إِلَّا مَا تَرْجُو، وَ لَا أَخَافُ مِنَ الْمَوْتِ إِلَّا مَا تَخَافُ، وَ قَدْ وَ اللَّهُ رَقَّتِ الْأَجْنَادُ، وَ ذَهَبَتِ الرَّجَالُ، وَ نَحْنُ بَنُو عَبْدٍ مَنَافٍ لَيْسَ لِبَعْضِنَا عَلَى بَعْضٍ فَضْلٌ، إِلَّا فَضْلٌ لَا يَسْتَدِلُّ بِهِ عَزِيزٌ، وَ لَا يَسْتَرْقُ بِهِ حَرٌّ، وَ السَّلَامُ.

فَلَمَّا أَنْتَهَى كِتَابَ مَعَاوِيَةَ إِلَى عَلِيٍّ قَرَأَهُ ثُمَّ قَالَ:

«الْعَجَبُ لِمُعَاوِيَةَ وَ كِتَابِهِ».

ثُمَّ دَعَا عَلِيٌّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ كَاتِبَهُ فَقَالَ: اكْتُبْ إِلَيَّ مَعَاوِيَةَ:

«أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ جَاءَ نِي كِتَابِكَ تَذَكُّرُ أَنَّكَ لَوْ عَلِمْتَ وَعَلِمْنَا أَنَّ الْحَرْبَ تَبْلُغُ بِنَا وَبِكَ مَا بَلَّغْتُ لَمْ يَجْنِهَا بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ، فَإِنَّا وَإِيَّاكَ مِنْهَا فِي غَايَةِ لَمْ تَبْلُغْهَا، وَإِنِّي لَوْ قُتِلْتُ فِي ذَاتِ اللَّهِ وَحَيِّتُ، ثُمَّ قُتِلْتُ، ثُمَّ حَيِّتُ سَبْعِينَ مَرَّةً لَمْ أَرْجِعْ عَنِ الشَّدَّةِ فِي ذَاتِ اللَّهِ، وَالْجِهَادِ لِأَعْدَاءِ اللَّهِ.

وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّهُ قَدْ بَقِيَ مِنْ عُقُولِنَا مَا نَنْدَمُ بِهِ عَلَى مَا مَضَى، فَإِنِّي مَا نَقَصْتُ عَقْلِي، وَ لَا نَدِمْتُ عَلَى فِعْلِي.

فَأَمَّا طَلَبُكَ الشَّامَ، فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ لَأَعْطِيكَ الْيَوْمَ مَا مَنَعْتُكَ أَمْسٍ.

وَأَمَّا اسْتِوَاؤُنَا فِي الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، فَإِنَّكَ لَسْتَ أَمْضَى عَلَى الشَّكِّ مِنِّي عَلَى الْيَقِينِ وَلَيْسَ أَهْلُ الشَّامِ بِأَحْرَصَ عَلَى الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ عَلَى الْآخِرَةِ.

ص: ٣٨١

وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ، لَيْسَ لِبَعْضِنَا عَلَى بَعْضٍ فَضْلٌ؛ فَلَعَمْرِي إِنَّا بَنُو أَبِي وَاحِدٍ، وَلَكِنْ لَيْسَ أَمِيَّةً كَهَاشِمٍ، وَ لَا حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَ لَا أَبُو سُفْيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ، وَ لَا الْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيْقِ، وَ لَا الْمُحِقُّ كَالْمُبْطِلِ.

وَ فِي أُيْدِينَا (بَعْدَ) فَضْلُ النَّبَوَّةِ الَّتِي أَذَلَّلْنَا بِهَا الْعَزِيزَ، وَأَعَزَّزْنَا بِهَا الدَّلِيلَ، وَ السَّلَامُ».^{١١١٧}

١١٥ كِتَابُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى مَعَاوِيَةَ

^{١١١٧} (١). وقعة صفين: ص ٤٧٠ و راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٥ ص ١٢٢، مروج الذهب: ج ٣ ص ١٣، الإمامة و السياسة: ص ١١٨.

«أَمَا بَعْدُ، فَقَدْ أَتْنِي مِنْكَ مَوْعِظَةٌ [مُوصَلَةٌ، وَرِسَالَةٌ مُحَبَّرَةٌ، نَمَّقَتْهَا بِضَلَالِكَ، وَأَمْضَيْتَهَا بِ]»^{١١١٨} - سَوْءِ رَأْيِكَ، وَكِتَابِ لَيْسَ بِبَعِيدِ الشَّبَهِ مِنْكَ، حَمَلَكَ عَلَى الْوُثُوبِ عَلَى مَا لَيْسَ لَكَ فِيهِ حَقٌّ.

ولولا عِلْمِي بِكَ وما قَدْ سَبَقَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِيكَ مِمَّا لَا مَرَدَّ لَهُ دُونَ إِنْفَاذِهِ، إِذَا لَوَعَطْتُكَ، وَلَكِنْ عِظْتِي لَا تَنْفَعُ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ، وَلَمْ يَخَفِ الْعِقَابَ، وَلَا يَرْجُو لِلَّهِ وَقَارًا، وَلَمْ يَخَفْ لَهُ خَذَارًا.

فَسَأْنُكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَالْحَيْرَةِ وَالْجَهَالَةِ، - تَجِدِ اللَّهَ فِي ذَلِكَ بِالْمِرْصَادِ - مِنْ ذُنُوبِكَ الْمُنْقَطِعَةِ، وَتَمَنِّيكَ الْأَبْطِيلَ، وَقَدْ عَلِمْتَ مَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِيكَ وَفِي أُمَّكَ وَأَبِيكَ، وَالسَّلَامُ».^{١١١٩}

ص: ٣٨٢

١١٦ كتابه عليه السلام إلى معاوية

«إِنَّ بَيْعَتِي شَمِلَتْ الْخَاصَّ وَالْعَامَّ، وَإِنَّمَا الشُّورَى لِلْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ وَالسَّابِقِينَ بِالْإِحْسَانِ مِنَ الْبَدْرِيِّينَ، وَإِنَّمَا أَنْتَ طَلِيْقٌ بِنُ طَلِيْقٍ، لَعِينٌ بِنُ لَعِينٍ، وَثَنِيٌّ بِنُ وَثَنِيٍّ، لَيْسَتْ لَكَ هِجْرَةٌ، وَلَا سَابِقَةٌ، وَلَا مَنْقِبَةٌ، وَلَا فَضِيلَةٌ، وَكَانَ أَبُوكَ مِنَ الْأَحْزَابِ الَّذِينَ حَارَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَنَصَرَ اللَّهُ عَبْدَهُ، وَصَدَقَ وَعْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَخَذَهُ».

ثُمَّ وَقَعَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي آخِرِ الْكَلَامِ:

«أَلَمْ تَرَ قَوْمِي إِذْ دَعَاهُمْ أَخُوهُمْ أَجَابُوا وَإِنْ يُغَضَّبُ عَلَى الْقَوْمِ يُغَضَّبُوا»^{١١٢٠}

١١٧ كتابه عليه السلام إلى معاوية

[نقل الكتاب نصر و إبراهيم الثَّقَفِيَّ بصورة تخالف رواية النَّهْجِ كَثِيرًا، فَلِذَلِكَ أَحْبَبْنَا نَقْلَهُ هُنَا:]

- فِي قَبُولِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ التَّحْكِيمَ -

كَتَبَ إِلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ:

«مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍِّّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، أَمَا بَعْدُ، فَإِنَّ أَفْضَلَ مَا شَغَلَ بِهِ الْمَرْءَ نَفْسَهُ اتِّبَاعُ مَا يُحْسِنُ بِهِ فِعْلَهُ، وَيَسْتَوْجِبُ فَضْلَهُ، وَيَسْأَلُ مِنْ عِيْبِهِ.

^{١١١٨} (٢) ما بين المعقوفين نقلناه من بحار الأنوار.

^{١١١٩} (٣). شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٤ ص ٣٥٦ و راجع: بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٧٩؛ الفتح: ج ٢ ص ٤٣٤.

^{١١٢٠} (١). المناقب لابن شهر آشوب: ج ٣ ص ١٦٦، بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٥٧١.

وإنَّ البغىَ والزُّورَ يُزْرِيانَ بالمرءِ فى دينه ودُنياه، ويُبديانَ مِن خَلَلِه عِنْدَ من

ص: ٣٨٣

يُعْنِيهِ ما اسْتَرَعاهُ اللهُ ما لا يُعْنَى عَنْهُ تَدْبِيرُهُ، فاحذِرِ الدُّنْيا فَإِنَّهُ لا فَرْحَ فى شَيْءٍ وَصَلَتْ إِليه مِنْها، وَلَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّكَ غَيْرُ مُدْرِكٍ ما قُضِيَ فَوَاتُهُ، وَقَدْ رَامَ قَوْمٌ أَمْرًا بِغَيْرِ الْحَقِّ فَتَأَوَّلُوا عَلَى اللهِ تَعَالَى، فَأَكْذَبَهُمْ وَمَتَّعَهُمْ قَلِيلًا، ثُمَّ اضْطَرَّهُمْ إِلى عَذابٍ غَلِيظٍ.

فاحذِرْ يوماً يَغْتِيطُ فِيهِ مَنْ أَحْمَدَ عاقِبَةَ عَمَلِهِ، وَيَنْدِمُ فِيهِ مَنْ أَمَكْنَ الشَّيْطانَ من قِيادِهِ، وَلَمْ يُحَادِّثْهُ فَغَرَّتْهُ الدُّنْيا واطْمَأَنَّ إِليها؛ ثُمَّ إِنَّكَ قَدْ دَعَوْتَنى إِلى حُكْمِ الْقُرْآنِ، وَلَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ، وَلَسْتَ حُكْمَهُ تُرِيدُ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعانُ، وَقَدْ أَجَبْنَا الْقُرْآنَ إِلى حُكْمِهِ، وَلَسْنَا إِياكَ أَجَبْنَا، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِحُكْمِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا بعيداً».^{١١٢١}

[أقول: هذا الكتاب جواب لكتاب على عليه السلام، نقله نصر و إبراهيم الثقفى، و اللفظ لنصر:]

(أما بعد)، أن الأمر قد طالَ بيننا وبينك، وكلُّ واحدٍ مِنّا يَرى أَنَّهُ على الحَقِّ فيما يطلبُ من صاحبه، وَلَنْ يُعْطىَ واحدٌ مِنّا الطَّاعَةَ لِلآخِرِ، وَقَدْ قُتِلَ فيما بَيْننا بَشَرٌ كَثِيرٌ، وَأنا أَتَخَوَّفُ أن يَكُونَ ما بَقِيَ أَشَدَّ مِمَّا مَضَى، وَإنا (سوف) نُسألُ عَن ذلكَ المَوطِنِ، ولا يُحاسِبُ بِهِ غَيْرى وَغَيْرِكَ، فَهَلْ لكَ فى أَمْرٍ لَنا وَلَكَ فِيهِ حَياةٌ وَعُذْرٌ وَبراءَةٌ، وَصَلاحٌ لِلأُمَّةِ، وَحَقٌّ لِلدِّماءِ، وَاللَّفَةُ لِلدِّينِ، وَذهابٌ لِلضَّعائِنِ وَالْفِتَنِ؛ أن يَحْكُمَ بَيْننا وَبَيْنَكَ حَكمانِ رَضِيانِ، أَحدهُما مِنْ أَصْحابِى وَالآخَرُ مِنْ أَصْحابِكَ، فَيَحْكُمانِ بِما فى كِتابِ اللهِ بَيْننا؛ فَإِنَّهُ خَيْرٌ لى وَلَكَ، وَأَقْطَعُ لِهَذِهِ الْفِتَنِ.

ص: ٣٨٤

فَاتَّقِ اللهَ فيما دُعِيتَ لَهُ، وارضَ بِحُكْمِ الْقُرْآنِ إِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِهِ، وَالسَّلَامُ.^{١١٢٢}

١١٨ كتابه عليه السلام إلى عمرو بن العاص

كتابه عليه السلام إلى عمرو بن العاص بن وائل السهمى:

«أما بعد، فإنَّ الدُّنْيا مَشْغَلَةٌ عَن غَيْرِها، وَلَمْ يَصِبْ صاحِبُها مِنْها شَيْئًا، إِلا فَتَحَتْ لَهُ حِرْصًا يَزِيدُهُ فِيها رَغْبَةً، وَلَنْ يَسْتَعْنِيَ صاحِبُها بِما نالَ عَمَّا لَمْ يَبْلُغْهُ، وَمِنْ وِراءِ ذلكَ فِرَاقُ ما جَمَعَ، وَالسَّعِيدُ مَنْ وَعِظَ بِغَيْرِهِ، فَلا تُحِبِّطْ أبا عبدِ اللهِ أَجْرَكَ، ولا تُجارِ مُعاوِيَةَ فى باطلِهِ».^{١١٢٣}

١١٩ كتابه عليه السلام إلى عمرو بن العاص

^{١١٢١} (١) وقعة صفين: ص ٤٩٣؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٢٢٦، جمهرة رسائل العرب: ج ١ ص ٤٨٢ الرقم ٤٤٨.

^{١١٢٢} (١) وقعة صفين: ص ٤٩٣.

^{١١٢٣} (٢) وقعة صفين: ص ٤٩٨، بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٥٣٨؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٢٢٧.

أنقل مصتّف كتاب معادن الحكمة رحمه الله كتابه عليه السلام إلى عمّرو من أمالي الشيخ رحمه الله^{١١٢٤}، و نقله نصر بنحو آخر:]

قال: كتب عليّ عليه السلام إلى عمّرو بن العاص كتاباً (قبل رفع المصاحف)، صدره

«أمّا بعد، فإنّ الدّنيا مشغلةٌ...»،

و قد نقله المصنّف^{١١٢٥}، فأجابه عمّرو بن العاص:

أمّا بعد، فإنّ ما فيه صلاحنا و ألفتنا الإناية إلى الحقّ، و قد جعلنا القرآن حكماً

ص: ٣٨٥

بيننا، فأجبنا إليه، و صبر الرّجل منّا نفسه على ما حكم عليه القرآن، و عذره النّاس بعد المحاجزة، و السّلام.

فكتب إليه عليّ عليه السلام:

«أمّا بعد، فإنّ الذي أعجبك من الدّنيا ممّا نازعتك إليه نفسك، و وثقت به منها لمُنقلب عنك، و مفارق لك، فلا تطمئنّ إلى الدّنيا، فإنّها غرارةٌ، ولو اعتبرت بما مضى لَحفظت ما بقي، و أنتفعت بما وُعظت به، و السّلام»^{١١٢٦}.

[ذكر نصر^{١١٢٧} كتابه عليه السلام الأوّل و جوابه، و فيه الدّعوة إلى الشورى، و أنّه كتبه إليه قبل الخروج إلى صفين، و ذكر في موضع آخر^{١١٢٨} الكتاب الأوّل و هذا الجواب، ثمّ نقل هذا الكتاب، و من العجب اتّحاد الكتاب الأوّل في المقامين.]

١٢٠ كتابه عليه السلام إلى سعد بن مسعود

قال اليعقوبي: كتب عليه السلام إلى سعد بن مسعود عمّ المختار بن أبي عبيد، و هو على المدائن:

«أمّا بعد؛ فإنّك قد أديت خراجك، و أطعت ربّك، و أرضيت إمامك فعل المبرّ التقيّ النّجيب، فغفر الله ذنّبك، و تقبل سعيتك، و حسن ما بك»^{١١٢٩}.

ص: ٣٨٦

^{١١٢٤} (٣). الأمالي للطوسي: ص ٢١٧ ح ٣٨١.
^{١١٢٥} (٤). معادن الحكمة: ج ١ ص ٢١٠ الرقم ٧.
^{١١٢٦} (١) راجع: الأمالي للطوسي: ص ٢١٧ ح ٣٨١، وقعة صفين: ص ١١٠؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٢٢٧، أخبار الطوال: ص ١٩١، جمهرة رسائل العرب: ج ١ ص ٤٨٥ الرقم ٤٥٢.
^{١١٢٧} (٢). وقعة صفين: ص ١١٠.
^{١١٢٨} (٣). وقعة صفين: ص ٤٩٨.
^{١١٢٩} (٤). تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٢٠١؛ أنساب الأشراف: ج ١ ص ١٥٨.

سَعْدُ بْنُ مَسْعُودِ الثَّقَفِيِّ عَمَّ الْمُخْتَارَ بْنَ أَبِي عُبَيْدٍ، مِنْ أَصْحَابِ الْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامِ الْأَوْفِيَاءِ. وَقِيلَ: مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. ذَكَرَتْ بَعْضُ الْمَصَادِرِ أَنَّهُ اصْطَدَمَ يَوْمًا بِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرِ الَّذِي كَانَ وَالِيًّا عَلَى الْكُوفَةِ مِنْ قَبْلِ عَمْرِو ١١٣١. وَوَلَّاهُ ١١٣٢ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْبَدَايَةِ عَلَى مَنْطِقَةِ الزَّوَابِي ١١٣٣، وَعِنْدَ مَا تَحَرَّكَ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَلْقَاءَ صَفِيِّنَ، وَوَلَّاهُ عَلَى الْمَدَائِنِ ١١٣٤.

أَثْنَى عَلَيْهِ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي رِسَالَةٍ لَهُ، وَذَكَرَهُ بِالتَّقْوَى وَالتَّجَابَةِ، وَدَعَا لَهُ ١١٣٤.

لَمَّا جُرِحَ الْإِمَامُ الْحَسَنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي سَابِاطٍ ١١٣٧ وَنَالَهُ سُوءٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، التَّجَأَ إِلَى سَعْدِ بْنِ مَسْعُودٍ ١١٣٨. كَانَ الْمُخْتَارُ بْنُ أَبِي عُبَيْدِ الثَّقَفِيِّ ابْنَ أَخِيهِ ١١٣٩ الَّذِي اسْتَخْلَفَهُ

ص: ٣٨٧

الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْمَدَائِنِ ١١٤٠. وَيُنَسَبُ إِلَيْهِ أَيْضًا الْمُحَدَّثُ وَالْمُؤَرِّخُ الشَّيْعِيُّ الْكَبِيرُ إِبْرَاهِيمُ الثَّقَفِيُّ الْكُوفِيُّ ١١٤١.

فِي الْفَهْرَسْتِ: سَعْدُ بْنُ مَسْعُودٍ أَخُو أَبِي عُبَيْدِ بْنِ مَسْعُودِ عَمِّ الْمُخْتَارِ، وَوَلَّاهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْمَدَائِنِ، وَهُوَ الَّذِي لَجَأَ إِلَيْهِ الْحَسَنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَ سَابِاطٍ ١١٤٢.

وَقَالَ الْإِمَامُ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ - فِي كِتَابِهِ إِلَى سَعْدِ بْنِ مَسْعُودِ الثَّقَفِيِّ عَامِلِهِ عَلَى الْمَدَائِنِ وَجُوخَا ١١٤٣ -:

«أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ وَفَّرْتَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ قِيَاهُمْ وَأَطَعْتَ رَبِّكَ، وَنَصَحْتَ إِمَامَكَ، فِعْلَ الْمُنْتَزِهِ الْعَفِيفِ، فَقَدْ حَمَدْتُ أَمْرَكَ، وَرَضِيْتُ هَدْيِكَ، وَأَبْنَيْتُ ١١٤٤ رُشْدَكَ، عَفَرَ اللَّهُ لَكَ، وَالسَّلَامُ» ١١٤٥.

١١٣٠ (١). الاستيعاب: ج ٢ ص ١٦٧ الرقم ٩٦١، الإصابة: ج ٣ ص ٧٠ الرقم ٣٢١٠.
 ١١٣١ (٢). تاريخ الطبري: ج ٤ ص ١٦٣ و ١٦٤، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ١٩٨.
 ١١٣٢ (٣). الأخبار الطوال: ص ١٥٣.
 ١١٣٣ (٤) زوابي جمع زاب. و هي الزاب الأعلى بين الموصل و أربل، و الزاب الأسفل ما بين شهرزور و أذربيجان، و بين الزاب الأعلى و الأسفل مسيرة يومين أو ثلاثة (معجم البلدان: ج ٣ ص ١٢٣).
 ١١٣٤ (٥) المدائن: أصل تسميتها هي: المدائن السبعة، و كانت مقرّ ملوك الفرس. و هي تقع على نهر دجلة من شرقها تحت بغداد على مرحلة منها. و فيها إيوان كسرى. فُتِحَتْ هَذِهِ الْمَدِينَةُ فِي (١٤ هـ. ق) عَلَى يَدِ الْمُسْلِمِينَ (راجع تقويم البلدان: ص ٣٠٢).
 ١١٣٥ (٦). تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥٦٥، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٦٢.
 ١١٣٦ (٧). أنساب الأشراف: ج ٢ ص ٣٨٧؛ تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٢٠١.
 ١١٣٧ (٨) سباباط: موضع في العراق معروف، قرب المدائن و بهر سير يُعرف بسباباط كسرى (راجع معجم البلدان: ج ٣ ص ١٦٦).
 ١١٣٨ (٩). تاريخ الطبري: ج ٥ ص ١٥٩، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٤٤٥، البداية و النهاية: ج ٨ ص ١٤، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٦ ص ٢٧؛ الفهرست للطوسي: ص ٣٦ الرقم ٧ و راجع الأخبار الطوال: ص ٢١٧ و تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٤ ص ٦.
 ١١٣٩ (١٠). تاريخ الطبري: ج ٤ ص ١٦٣، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ١٩٨.
 ١١٤٠ (١). تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٧٦، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٩٩.
 ١١٤١ (٢). تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٧٦، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٩٩.
 ١١٤٢ (٣). الفهرست للطوسي: ص ٣٦ الرقم ٧ و راجع التاريخ الكبير: ج ٤ ص ٥٠ ح ١٩٢٥، تاريخ الطبري: ج ٥ ص ١٥٩، الفتوح: ج ٤ ص ٢٨٨، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٦ ص ٢٧.
 ١١٤٣ (٤) جُوخَا: اسم نهر عليه كورة (بلدة) واسعة في سواد بغداد، و هو بين خانقين و خوزستان (معجم البلدان: ج ٢ ص ١٧٩).

كتابه عليه السلام إلى سهل بن حنيف و هو على المدينة [نقلوا لهذا الكتاب صوراً مختلفة:

ص: ٣٨٨

إحداها ما أورده مصنف معادن الحكمة^{١١٤٦}، و الثانية ما نقله اليعقوبي، و هي:]

«أما بعد؛ فقد بلغني أن رجلاً من أهل المدينة خرجوا إلى معاوية، فمن أدركته فامنعه، ومن فاتك فلا تأس عليه، فبعداً لهم، فسوف يلقون غياً، أما لو بعثت القبور، واجتمعت الخصوم، لقد بدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون، وقد جاءني رسولك يسألني الإذن فأقبل، عفا الله عنا وعنك، ولا تذر خللاً، إن شاء الله تعالى.»^{١١٤٧}

[و الثالثة؛ ما نقله أنساب الأشراف، و هي:]

كتب عليه السلام إلى سهل بن حنيف عامله على المدينة:

«أما بعد، فإنه بلغني أن رجلاً من أهل المدينة يخرجون إلى معاوية، فلا تأسف عليهم، فكفى لهم غياً، ولك منهم شافياً فإراهم من الهدى والحق، وإيضاعهم إلى العمى والجهل، وإنما هم أهل دنيا مقبلون عليها، قد علموا أن الناس يقبلون في الحق أسوة، فهربوا إلى الأثرة، فسحقاً لهم وبعداً، أما لو بعثت القبور، «و حصل ما في الصدور»، واجتمعت الخصوم، وقضى الله بين العباد بالحق، لقد عرف القوم ما يكسبون، وقد أتاني كتابك تسألني الإذن لك في القدوم، فأقدم إذا شئت، عفا الله عنا وعنك، والسلام.»^{١١٤٨}

[و نقل الشيخ الصدوق في الأمالي رسالة له عليه السلام إلى سهل بن حنيف، و المظنون أنها قطعة من كتابه عليه السلام إلى عثمان بن حنيف عامله عليه السلام على البصرة، و إنما جاء

ص: ٣٨٩

التحريف من التسخ، حيث اشتبه عليهم اسم عثمان فبدلوه باسم سهل، و لكننا نقلها هنا كي يتبين للقارئ صحته ما قلنا، روى الصدوق رحمه الله بسندين] أن أمير المؤمنين عليه السلام قال في رسالته إلى سهل بن حنيف رحمه الله:

^{١١٤٤} (٥) أبت إبابته: استقامت طريقته (القاموس المحيط: ج ١ ص ٣٥).
^{١١٤٥} (٦). أنساب الأشراف: ج ٢ ص ٣٨٧؛ نثر الدر: ج ١ ص ٣٢٣ و فيه «وتيت» بدل «أبيت».
^{١١٤٦} (١). معادن الحكمة: ج ١ ص ٢٢٤ الرقم ١٥.
^{١١٤٧} (٢). تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٢٠٣.
^{١١٤٨} (٣). أنساب الأشراف: ج ٢ ص ٣٨٦.

«وَاللَّهِ مَا قَلَعْتُ بَابَ خَيْبَرَ وَرَمَيْتُ بِهِ خَلْفَ ظَهْرِي أَرْبَعِينَ ذِرَاعاً بِقُوَّةِ جَسَدِيَّةٍ، وَلَا حَرَكَهَ غِذَائِيَّةٍ، لَكِنِّي أُيِّدْتُ بِقُوَّةِ مَلَكُوتِيَّةٍ، وَنَفْسِي بِنُورِ رَبِّهَا مُضِيَّةٍ، وَأَنَا مِنْ أَحَمَدَ كَالضُّوَاءِ مِنَ الضُّوَاءِ، وَاللَّهِ، لَوْ تَظَاهَرَتِ الْعَرَبُ عَلَيَّ قِتَالِي لَمَّا وَلَّيْتُ، وَلَوْ أَمَكَّنْتَنِي الْفُرْصَةَ مِنْ رِقَابِهَا لَمَّا بَقَيْتُ، وَمَنْ لَمْ يُبَالِ مَتَى حَتَفَهُ عَلَيْهِ سَاقِطٌ فَجَنَانُهُ فِي الْمِلْمَاتِ رَابِطٌ».^{١١٤٩}

استخلف أمير المؤمنين سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ عَلَى الْمَدِينَةِ حِينَ خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى الْبَصْرَةِ، فَلَمَّا انْقَضَى حَرْبُ الْجَمَلِ اسْتَأْذَنَهُ فِي اللَّحُوقِ بِهِ، فَأَذِنَ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَلَحِقَ بِهِ وَشَهِدَ حَرْبَ صَفِّينَ ثُمَّ وَلَّاهُ فَارِسَ.

وَشَهِدَ بَدْرًا وَثَبَتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَوْمَ أُحُدٍ، وَكَانَ يَدْفَعُ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، مَاتَ سَهْلٌ بِالْكُوفَةِ، وَصَلَّى عَلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَنَةَ ٣٨. ١١٥٠

[لَمَّا أَرَادَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ الشُّخُوصَ إِلَى صَفِّينَ] قَامَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، نَحْنُ سَلِمٌ لِمَنْ سَالَمْتَهُ، وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبْتَهُ، وَرَأَيْنَا رَأْيَكَ، وَنَحْنُ كَفُّ يَمِينِكَ، وَقَدْ رَأَيْنَا أَنْ تَقُومَ بِهَذَا الْأَمْرِ فِي أَهْلِ الْكُوفَةِ، فَتَأْمُرَهُمْ بِالشُّخُوصِ، وَتَخْبِرَهُمْ بِمَا صَنَعَ اللَّهُ لَهُمْ فِي ذَلِكَ مِنَ الْفَضْلِ، فَإِنَّهُمْ أَهْلُ الْبَلَدِ وَهُمْ النَّاسُ، فَإِنْ اسْتَقَامُوا لَكَ اسْتِقَامَ لَكَ الَّذِي تَرِيدُ وَتَطْلُبُ، وَأَمَّا نَحْنُ

ص: ٣٩٠

فَلَيْسَ عَلَيْكَ مَنَّا خِلَافٌ، مَتَى دَعَوْتَنَا أَجْبَنَّاكَ، وَمَتَى أَمَرْتَنَا أَطَعْنَاكَ.^{١١٥١}

[هُوَ مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ الرَّاجِعِينَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَامَ وَقَتَعْدًا] قَامَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، ثُمَّ قَالَ:

يَا مَعَاشِرَ قَرِيشٍ اشْهَدُوا عَلَيَّ أَنِّي أَشْهَدُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَقَدْ رَأَيْتَهُ فِي هَذَا الْمَكَانِ - يَعْنِي الرَّوْضَةَ - وَ قَدْ أَخَذَ بِيَدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ، هَذَا عَلِيٌّ إِمَامُكُمْ مِنْ بَعْدِي، وَوَصِيِّي فِي حَيَاتِي، وَبَعْدَ وَفَاتِي، وَقَاضِي دِينِي، وَمَنْجَزُ وَعْدِي، وَأَوَّلُ مَنْ يَصَافِحُنِي عَلَى حَوْضِي، فَطُوبَى لِمَنْ اتَّبَعَهُ وَنَصَرَهُ، وَالْوَيْلُ لِمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ وَخَذَلَهُ.^{١١٥٢}

سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ

^{١١٤٩} (١). الأُمَالِي لِلصَّدُوقِ: ص ٦٠٤ ح ٨٤٠.
^{١١٥٠} (٢) رَاجِع: أَسَدُ الْغَابَةِ: ج ٢ ص ٥٧٣ الرِّقْم ٢٢٨٩، الْإِسْتِيعَاب: ج ٢ ص ٢٢٣ الرِّقْم ١٠٨٩.
^{١١٥١} (١). وَقَعَةُ صَفِّينَ: ص ٩٣؛ نَهْجُ الْبَلَاغَةِ لِابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ: ج ٣ ص ١٧٣.
^{١١٥٢} (٢). الْإِحْتِجَاجُ: ج ١ ص ١٩٨ ح ١٠ وَرَاجِع: الْخِصَالُ وَكَشْفُ الْيَقِينِ.

سهل بن حنيفة بن واهب الأنصاري الأوسي، أخو عثمان بن حنيفة^{١١٥٣}. من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله و أحد البدرين^{١١٥٤}.

شهد حروب النبي صلى الله عليه وآله كلها^{١١٥٥}. وعند ما اشتد القتال في احد و فر جمع كبير من المسلمين كان سهل ممن ثبت مع النبي صلى الله عليه وآله^{١١٥٦}.

ص: ٣٩١

كان سهل من السبّاقين إلى الدفاع عن الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، إذ رعى حُرمة خلافة الحق^{١١٥٧}. و هو من القلائل الذين صدعوا بذودهم عن الإمام عليه السلام^{١١٥٨}.

اختاره الإمام عليه السلام لولاية الشام، لكن جنود معاوية حألوا دون وصوله إليها^{١١٥٩}.

ثم ولّاه الإمام عليه السلام على المدينة^{١١٦٠}. و في صفين دعاه إلى الالتحاق به و جعل مكانه تمام بن عباس^{١١٦١}. و كان فيها أميراً على خيالة من جند البصرة^{١١٦٢}. ثم ولي فارس، و لكنّه عُزل بسبب الفوضى و توتر الأوضاع فيها، فاستعمل الإمام عليه السلام مكانه زياد بن أبيه باقتراح عبد الله بن عباس^{١١٦٣}.

توفى بالكوفة سنة ٣٨ هـ^{١١٦٤}، و أثنى عليه الإمام عليه السلام كثيراً عند دفنه^{١١٦٥}.

في الاصول الستة عشر عن ذريح المحاربي: ذكر (أبو عبد الله عليه السلام) سهل بن حنيفة فقال:

كان من الثقباء^{١١٦٦}.

^{١١٥٣} (٣). سير أعلام النبلاء: ج ٢ ص ٣٢٥ الرقم ٦٣؛ الاختصاص: ص ٣.
^{١١٥٤} (٤). المستدرک علی الصحیحین: ج ٣ ص ٤٦١ ح ٥٧٣٠ و ص ٤٦٤ ح ٥٧٤٠ و فيه «كان من كبار الأنصار...»، الطبقات الكبرى: ج ٣ ص ٤٧١، سير أعلام النبلاء: ج ٢ ص ٣٢٥ الرقم ٦٣،
^{١١٥٥} (٥). المستدرک علی الصحیحین: ج ٣ ص ٤٦٢ ح ٥٧٣٤، الطبقات الكبرى: ج ٣ ص ٤٧١، سير أعلام النبلاء: ج ٢ ص ٣٢٥ الرقم ٦٣، الاستيعاب: ج ٢ ص ٢٢٣ الرقم ١٠٨٩.
^{١١٥٦} (٦). المستدرک علی الصحیحین: ج ٣ ص ٤٦٢ ح ٥٧٣٤، الطبقات الكبرى: ج ٣ ص ٤٧١، الاستيعاب: ج ٢ ص ٢٢٣ الرقم ١٠٨٩.
^{١١٥٧} (١). الخصال: ص ٦٠٨ ح ٩، عيون أخبار الرضا: ج ٢ ص ١٢٦، رجال الكشي: ج ١ ص ١٨٣ الرقم ٧٨.
^{١١٥٨} (٢). الخصال: ص ٤٦٥ ح ٤، الاحتجاج: ج ١ ص ١٩٨ ح ١٠، رجال البرقي: ص ٦٦.
^{١١٥٩} (٣). تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٤٤٢، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٠٩.
^{١١٦٠} (٤). الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ١٥، تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٩٣، تاريخ خليفة بن خياط: ص ١٥٢، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٢٣؛ تاريخ يعقوبي: ج ٢ ص ٢٠٣.
^{١١٦١} (٥). الاستيعاب: ج ١ ص ٢٧٢ الرقم ٢٤٣، تاريخ خليفة بن خياط: ص ١٥٢.
^{١١٦٢} (٦). وقعة صفين: ج ٢ ص ٢٠٨؛ تاريخ الطبري: ج ٥ ص ١١، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٧٠ و فيه «على جند البصرة».
^{١١٦٣} (٧). تاريخ الطبري: ج ٥ ص ١٣٧، الاستيعاب: ج ٢ ص ٢٢٣ الرقم ١٠٨٩، اسد الغابة: ج ٢ ص ٥٧٣ الرقم ٢٢٨٩.
^{١١٦٤} (٨). المستدرک علی الصحیحین: ج ٣ ص ٤٦٢ ح ٥٧٣٢، الطبقات الكبرى: ج ٣ ص ٤٧٢، الطبقات لخليفة بن خياط: ص ١٥٣ الرقم ٥٤٧، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٣ ص ٥٩٦، الاستيعاب: ج ٢ ص ٢٢٣ الرقم ١٠٨٩.
^{١١٦٥} (٩). رجال الكشي: ج ١ ص ١٦٤ الرقم ٧٤.
^{١١٦٦} (١٠) في بيعة الأنصار لرسول الله صلى الله عليه وآله و آله في ليلة العقبة، أخرج رسول الله صلى الله عليه وآله منهم اثني عشر نقيباً و هم: أسعد بن زرارة، البراء بن مغرور، عبد الله بن حزام- أبو جابر بن عبد الله-، رافع بن مالك، سعد بن عبادة، المنذر بن عمرو، عبد الله بن رواحة، سعد بن الربيع،

فقلت له: من نقباء نبيّ الله الاثنى عشر؟ فقال:

نعم، كان

ص: ٣٩٢

من الذين اختيروا من السبعين،

فقلت له: كفلاء على قومهم، فقال:

نعم، إنهم رجعوا وفيهم دم فاستنظروا رسول الله صلى الله عليه وآله إلى قابل، فرجعوا ففزعوا من دمهم واصطلحوا، وأقبل النبيّ صلى الله عليه وآله معهم.

و ذكر سهلاً فقال أبو عبد الله عليه السلام:

ما سبقه أحد من قريش ولا من الناس بمنقبه،

وأثنى عليه وقال:

لَمَّا مَاتَ جَزَعُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَزَعًا شَدِيدًا، وَصَلَّى عَلَيْهِ خَمْسَ صَلَوَاتٍ وَقَالَ: لَوْ كَانَ مَعِيَ جَبَلٌ لَارْفَضُ^{١١٦٧}.

و في رجال الكشي عن الحسن بن زَيْد: كَبَّرَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى سَهْلِ بْنِ حَنِيفٍ سَبْعَ تَكْبِيرَاتٍ، وَكَانَ بَدْرِيًّا، وَقَالَ:

لَوْ كَبَّرْتُ عَلَيْهِ سَبْعِينَ لَكَانَ أَهْلًا^{١١٦٩}.

و قال الإمام عليّ عليه السلام- و قد توفى سهل بن حنيف الأنصاري بالكوفة بعد مرجعه معه من صفين، و كان أحبّ الناس إليه:-

«لَوْ أَحْبَبَنِي جَبَلٌ لَتَهَافَتَ»^{١١٧٠}.

عبادة بن الصامت (و هؤلاء من الخزرج)، اسيد بن حضير، سعد بن خثيمة، و أبو الهيثم بن التيهان (و هؤلاء من الأوس) أشار إليهم جبرئيل و أمر النبيّ صلى الله عليه وآله و آله باختيارهم عدد نقباء موسى عليه السلام من بني إسرائيل. (راجع بحار الأنوار: ج ١٩ ص ١٣-٤٣) و ليس فيهم ذكر سهل بن حنيف بخلاف الرواية.

^{١١٦٧} (١) تَرَفَضَ الشَّيْءُ: إِذَا تَكَسَّرَ. وَ الْمُرْفُضَةُ: الْمَتَفَرِّقَةُ يَمِينًا وَ شِمَالًا (تاج العروس: ج ١٠ ص ٦٣).

^{١١٦٨} (٢) الْأَصُولُ السُّتَّةُ عَشْرُ: ص ٨٦، بحار الأنوار: ج ٨١ ص ٣٧٦ ح ٢٥.

^{١١٦٩} (٣) رِجَالُ الْكُشِيِّ: ج ١ ص ١٦٤ الرقم ٧٤، الدرجات الرفيعة: ص ٣٩٠، بحار الأنوار: ج ٨١ ص ٣ ح ٣٣.

^{١١٧٠} (٤) نَهَجُ الْبِلَاغَةِ: الْحِكْمَةُ ١١١.

[نقل مصنف كتاب معادن الحكمة رحمه الله^{١١٧١} كتاباً له عليه السلام إلى المُنذِر بن الجارود

ص: ٣٩٣

العبدى، نقلًا عن نهج البلاغة، و لكنَّ يعقوبى نقله بنحو آخر يباين نقل السيّد، أوردناه هنا تمييزاً للفائدة:]

كتب إلى المُنذِر بن الجارود و هو على اضطخر:

«أما بعد؛ فإنَّ صلاح أبيك غرني منك، فإذا أنت لا تدع انقياداً لهواك أزرى ذلك بك، بلغني أنك تدع عملاً كثيراً، وتخرج لاهياً بمنبرها، تطلب الصيد، وتلعب بالكلاب، وأقسم لئن كان حقاً لنثيبنك فعلك، وجاهل أهلك خير منك، فأقبل إلى حين تنظر في كتابي، والسلام».

فأقبل، فعزله وأغرمه ثلاثين ألفاً، ثم تركها لصعصعة بن صوحان بعد أن أحلفه عليها، فحلف، وذلك أن علياً دخل على صعصعة يعوده، فلما رآه على، قال:

«إنك ما علمت حسن المعونة خفيف المؤنة»^{١١٧٢}.

فقال صعصعة: وأنت والله، يا أمير المؤمنين عليم، وأنه في صدرك عظيم.

فقال له على: «لا تجعلها أبهة على قومك أن عادك إمامك».

قال: لا، يا أمير المؤمنين، ولكنه من من الله على أن عادني أهل البيت، وابن عم رسول رب العالمين.

قال: غياث، فقال له صعصعة: يا أمير المؤمنين، هذه ابنة الجارود، تعصر عينيها كل يوم لحبسك أباها المُنذِر، فأخرجه، وأنا أضمن ما عليه في أعطيات ربيعة.

فقال له على: «ولم تضمنها، وزعم لنا أنه لم يأخذها، فليحلف ونخرجه».

فقال له صعصعة: أراه والله سيحلف.

ص: ٣٩٤

^{١١٧١} (٥). معادن الحكمة: ج ١ ص ٣٠٣ الرقم ٣٥.
^{١١٧٢} (١) في المصدر: «حسن المؤنة خفيف المؤنة» والصحيح ما أثبتناه.

قال: وأنا والله أظن ذلك.

وقال عليّ: «أما أنه نظار في عطفه، مُختال في برديه، نَقال في شراكه، فُلِحِلِفَ بعدُ، أو لِيَدَعُ»، فحلف فخلّى سبيلاً.^{١١٧٣}

[عبدى، نسبة إلى عبد القيس، و قد ذكره ابن أبي الحديد^{١١٧٤}، و هو الذي كتب إليه الحسين عليه السلام فيمن كتب إليه من أشرف البصرة إلّا المُنذِر، فإنّه خان و جاء بالكتاب و الرّسول إلى ابن زياد.^{١١٧٥}]

المُنذِرُ بنُ الجارودِ العبدِيّ

المُنذِرُ بن الجارود العبدِيّ، و اسم الجارود بشر بن عمرو بن حُبَيْش، من صحابة الإمام عليّ عليه السلام^{١١٧٦}، و كان على قسم صغير من جيشه في معركة الجمل^{١١٧٧}.

ولّاه الإمام عليه السلام على إصطخر^{١١٧٨}، و كان حسن الظاهر، لكنّه مضطرب الباطن، و ليس له ثبات.

خان المُنذِرُ الإمام عليه السلام في بيت المال، و استأثر بقسم منه لِنَفْسِهِ، فكتب إليه

ص: ٣٩٥

الإمام كتاباً عليه السلام عنّفه فيه. و بعد استلامه كتاب الإمام جاء إلى الكوفة، فعزله الإمام عليه السلام، و حكم عليه بدفع ثلاثين ألف درهم، و حبسه، ثمّ أطلقه بشفاعته صَعَصَعَةُ بن صُوحان^{١١٧٩}.

ولى بعض المناطق في أيام عبيد الله بن زياد^{١١٨٠} الذي كان صهره^{١١٨١}.

و عند ما عزم الإمام الحسين عليه السلام على نهضته العظيمة كاتب كثيراً من الشخّصيات المعروفة و دعاهم إلى نصرتِهِ و الدّفاع عن الحقّ. و كان المُنذِرُ أحدَ الَّذِينَ راسلهم الإمام عليه السلام، لكنّه سلّم الرّسالة و الرّسول إلى عبيد الله بن زياد، فيا عجباً من فعلته هذه^{١١٨٢}!

^{١١٧٣} (١). تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٢٠٣.

^{١١٧٤} (٢). شرح نهج البلاغة: ج ١٨ ص ٥٥-٥٩.

^{١١٧٥} (٣) راجع: تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٢٤٠، البداية و النهاية: ج ٨ ص ١٥٧؛ اللهوف: ص ٣٢، بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٣٤٠، نفس المهموم: ص ٤٧.

^{١١٧٦} (٤). تاريخ مدينة دمشق: ج ٦٠ ص ٢٨١.

^{١١٧٧} (٥). الجمل: ص ٣٢١؛ تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥٠٥، تاريخ مدينة دمشق: ج ٦٠ ص ٢٨٣، الإصابة: ج ٦ ص ٢٠٩ ح ٨٣٥٣ و فيه «كان شهيد الجمل مع عليّ».

^{١١٧٨} (٦) اصطخر: معرّب استخر، و هي من أقدم مدن فارس، و بها كان سرير الملك دارا بن داراب، و بها آثار عظيمة.

بينها و بين شيراز اثنا عشر فرسخاً) راجع تقويم البلدان: ص ٣٢٩. الطبقات الكبرى: ج ٥ ص ٥٦١، المعارف لابن قتيبة: ص ٣٣٩، تاريخ مدينة دمشق: ج ٦٠ ص ٢٨١، الإصابة: ج ٦ ص ٢٠٩ ح ٨٣٥٣.

^{١١٧٩} (١). أنساب الأشراف: ج ٢ ص ٣٩١؛ تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٢٠٣.

^{١١٨٠} (٢). الأخبار الطوال: ص ٢٣١، الفتح: ج ٥ ص ٣٧.

^{١١٨١} (٣). الطبقات الكبرى: ج ٥ ص ٥٦١ و ج ٧ ص ٨٧، تاريخ مدينة دمشق: ج ٦٠ ص ٢٨٣، الإصابة: ج ٦ ص ٢٠٩ ح ٨٣٥٣.

مات المُنذِر سنة ٦١ هـ ١١٨٣.

في الغارات عن الأعمش: كان عليّ عليه السلام ولّى المُنذِر بن الجارود فارساً فاحتاز مألماً من الخراج، قال: كان المال أربعمئة ألف درهم، فحبسه عليّ عليه السلام، فشفع فيه صعصعة بن صوحان إلى عليّ عليه السلام و قام بأمره و خلّصه ١١٨٤.

و في الأخبار الطوال: قد كان الحسين بن عليّ رضي الله عنه كتب كتاباً إلى شيعته من أهل البصرة مع مولى له يسمّى سلّمان نسخته:

«بسم الله الرحمن الرحيم، مِن

ص: ٣٩٦

الحسين بن عليّ إلى مالك بن مسَمَع والأحنف بن قيس، والمُنذِر بن الجارود ومسعود بن عمرو وقيس بن الهيثم، سلام عليكم، أما بعد، فأني أدعوكم إلى إحياء معالم الحق وإماتة البدع، فإن تَجِيبُوا تَهْتَدُوا سُبُلَ الرِّشَادِ، وَالسَّلَامِ».

فلما أتاهم هذا الكتاب كتموه جميعاً إلّا المُنذِر بن الجارود، فإنه أفشاه، لتزويجه ابنته هنداً من عبيد الله بن زياد، فأقبل حتّى دخل عليه، فأخبره بالكتاب، و حكى له ما فيه، فأمر عبيد الله بن زياد بطلب الرسول، فطلبوه، فأتوه به، فضربت عنقه ١١٨٥.

١٢٣ كتابه عليه السلام إلى مالك بن كعب الأرحبيّ

و هو عامله على عين التمر:

«أما بعد؛ فاستخلف عليّ عمّلك، واخرج في طائفة من أصحابك، حتّى تمرّ بأرض كورة السّواد، فتسأل عن عمّالي، وتنظر في سيرتهم، فيما بين دجلة والغديب ١١٨٦، ثمّ ارجع إلى البهقبادات ١١٨٧، فتولّ معونتها، واعمل بطاعة الله فيما

١١٨٣ (٤). تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٣٥٧، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٥٣٥ و ٥٣٦، الأخبار الطوال: ص ٢٣١، الفتوح:

ج ٥ ص ٣٧.

١١٨٤ (٥). الطبقات الكبرى: ج ٥ ص ٥٦١، تاريخ مدينة دمشق: ج ٦٠ ص ٢٨٥، الإصابة: ج ٦ ص ٢٠٩ ح ٨٣٥٣، تاريخ خليفة بن خياط: ص ١٨٠ و فيه «مات في سنة ٦٢ هـ».

١١٨٤ (٦). الغارات: ج ٢ ص ٥٢٢ و راجع أنساب الأشراف: ج ٢ ص ٣٩١.

١١٨٥ (١). الأخبار الطوال: ص ٢٣١، تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٣٥٧ عن أبي عثمان النهدي نحوه و راجع الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٥٣٥ و الفتوح: ج ٥ ص ٣٧.

١١٨٦ (٢) العذيب: تصغير العذب، و هو الماء الطيب، ماء بين القادسية و المغيثة، بينه و بين القادسية أربعة أميال، و إلى المغيثة اثنان و ثلاثون ميلاً، و قيل العذيب: واد لبني تميم، و هو من منازل حاج. و قيل: هو حد السّواد. و قال أبو عبد الله السّكوني: العذيب يخرج من قادسية الكوفة إليه، و كانت مسلحة للفرس، بينها و بين القادسية حائطان متصلان بينهما نخل، و هي ستة أميال، فإذا خرجت منه دخلت البادية ثمّ المغيثة. و كتب عمر إلى سعد: فارتحل بالناس حتّى تنزل فيما بين عذيب الهجانات و عذيب القوادس، و شرق بالناس و غرب بهم.

و هذا دليل على أن هناك عذيبين. هذا ملخص ما ذكره في باب العين و الذال من معجم البلدان: ج ٦ ص ١٣١.

وَلَاكَ مِنْهَا، وَعَلِمَ أَنَّ كُلَّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ مَحْفُوظٌ عَلَيْهِ مَجْزِيٌّ بِهِ، فَاصْنَعْ خَيْرًا، صَنَعَ اللَّهُ بِنَا وَبِكَ خَيْرًا، وَأَعْلِمْنِي الصِّدْقَ فِيمَا صَنَعْتَ، وَالسَّلَامُ»^{١١٨٨}.

[أو في نقل بصورة أخرى، لا بأس بإيرادها:]

«أَمَّا بَعْدُ؛ فَاسْتَخْلِفَ عَلَى عَمَلِكِ، وَاخْرُجْ فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِكَ، حَتَّى تَمُرَّ بِأَرْضِ السَّوَادِ كُورَةً كُورَةً، فَتَسْأَلَهُمْ عَنْ عَمَالِهِمْ، وَتَنْظُرَ فِي سِيرَتِهِمْ، حَتَّى تَمُرَّ بِمَنْ كَانَ مِنْهُمْ فِي مَا بَيْنَ دِجْلَةَ وَالْفِرَاتِ، ثُمَّ ارْجِعْ إِلَى الْبِهْقَبَاذَاتِ، فَتَوَلَّ مَعُونَتَهَا، وَعَمَلُ بِطَاعَةِ اللَّهِ فِي مَا وَلَاكَ مِنْهَا. وَعَلِمَ أَنَّ الدُّنْيَا فَانِيَةٌ، وَأَنَّ الْآخِرَةَ بَاقِيَةٌ، وَأَنَّ عَمَلَ ابْنِ آدَمَ مَحْفُوظٌ عَلَيْهِ، وَأَنَّكَ مَجْزِيٌّ بِمَا أَسْلَفْتَ، وَقَادِمٌ عَلَى مَا قَدَّمْتَ مِنْ خَيْرٍ، فَاصْنَعْ خَيْرًا، تَجِدْ خَيْرًا»^{١١٨٩}.

[أقول: كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ لَمْ أَجِدْهُ فِي مَا بَيْنَ يَدَيْكَ مِنَ الْكُتُبِ، وَإِنْ كَانَ لَفِظُ الْيَعْقُوبِيِّ وَالْخَرَّاجِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ مُصَحَّفٌ مَالِكُ بْنُ كَعْبِ الْأَرْحَبِيِّ الْهَمْدَانِيِّ، الْحَاكِمُ فِي عَيْنِ التَّمْرِ مِنْ قِبَلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَمَا فِي الطَّبْرِيِّ^{١١٩٠} وَالْقَامُوسِ^{١١٩١}، وَكَانَ مِنْ شِيعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، الْمَوَالِينِ الْمَخْلُصِينَ الْمُنَاصِحِينَ لَهُ.

وَفِي الْغَارَاتِ: أَنَّ النَّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ أَغَارَ عَلَى شِيعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَصَدَ عَيْنَ التَّمْرِ، وَفِيهِ مَالِكُ بْنُ كَعْبِ مَعَهُ مَائَةٌ نَفْرًا، فَوَقَعَ بَيْنَهُمَا حَرْبٌ شَدِيدٌ، فَاسْتَسْلَمُوا لِلْمَوْتِ، فَاسْتَصْرَخَ مِخْنَفُ بْنُ سُلَيْمٍ، فَأَمَدَهُ بِأَبْنِهِ مَعَ خَمْسِينَ رَجُلًا، فَشَدُّوا عَلَى أَهْلِ الشَّامِ، فَدَفَعُوهُمْ، وَنَجَّى مَالِكُ بْنُ كَعْبٍ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: [

أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ نَزَلَ بِنَا النَّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ فِي جَمْعٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، كَالظَّاهِرِ عَلَيْنَا، وَكَانَ عَظَمُ أَصْحَابِي مُتَفَرِّقِينَ، وَكُنَّا لِلذِّي كَانَ مِنْهُمْ آمِنِينَ، فَخَرَجْنَا إِلَيْهِمْ رَجَالًا مُصَلِّتِينَ، فَقَاتَلْنَاهُمْ حَتَّى الْمَسَاءِ، وَاسْتَصْرَخْنَا مِخْنَفُ بْنُ سُلَيْمٍ، فَبِعَثَ إِلَيْنَا رَجَالًا مِنْ شِيعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَوَلَدَهُ عِنْدَ الْمَسَاءِ، فَنِعِمَّ الْفَتَى وَنِعِمَّ الْأَنْصَارُ كَانُوا، فَحَمَلْنَا عَلَى عَدُوَّتِنَا وَشَدَدْنَا

^{١١٨٧} (٣) بِهَيْبُذٍ - بِالْكَسْرِ ثُمَّ السُّكُونِ وَضِمَّ الْقَافُ وَبَاءَ مُوَحَّدَةً وَآلِفٌ وَذَالَ مَعْجَمَةً -: اسْمٌ لِثَلَاثِ كُورٍ بِبَغْدَادِ، مِنْ أَعْمَالِ سَقِيِ الْفِرَاتِ مَنْسُوبَةٌ إِلَى قِبَادِ بْنِ فَيْرُوزَ وَالِدِ أَنُوشِروَانَ بْنِ قِبَادِ الْعَادِلِ، مِنْهَا (بِهَيْبُذِ الْأَعْلَى) سَقِيَهُ مِنَ الْفِرَاتِ، وَهُوَ سِنَةٌ طَسَاسِيحٌ: (طَسُوجٌ خَطَرٌ نِيهِ)، وَ(طَسُوجٌ النَّهْرِيْنَ)، وَ(طَسُوجٌ عَيْنِ التَّمْرِ)، وَ(الْفُلُوجَتَانِ)، الْعَلِيَا وَالسُّفْلَى، وَ(طَسُوجٌ بَابِلَ). (وَمِنْهَا): (الْبِهْقَبَاذِ الْأَوْسَطِ)، وَهِيَ أَرْبَعَةٌ طَسَاسِيحٌ: (طَسُوجٌ سُورَا)، وَ(طَسُوجٌ بَارُوسَمَا)، وَ(الْجَبَّةُ وَالْبِدَاةُ)، وَ(طَسُوجٌ نَهْرِ الْمَلِكِ)، (وَمِنْهَا)، (الْبِهْقَبَاذِ الْأَسْفَلِ)، وَهِيَ خَمْسَةٌ طَسَاسِيحٌ: الْكُوفَةُ. وَفِرَاتٌ بَادِقْلَى، وَالسُّيْلِحِينَ وَطَسُوجِ الْحَيْرَةِ، وَطَسُوجِ تَسْتَرِ، وَطَسُوجِ هَرْمَزِ جَرْدِ.

(رَاجِعْ: بَحَارُ الْأَنْوَارِ: ج ٣٣ ص ٤٦٨)

^{١١٨٨} (١). تَارِيخُ الْيَعْقُوبِيِّ: ج ٢ ص ٢٠٤.

^{١١٨٩} (٢). كِتَابُ الْخَرَّاجِ: ص ١٤١، جُمُوهْرَةُ رِسَائِلِ الْعَرَبِ: ج ١ ص ٦٠٣.

^{١١٩٠} (٣). تَارِيخُ الطَّبْرِيِّ: ج ٥ ص ١٠٧ وَ ١٣٠ وَ ١٣٣.

^{١١٩١} (٤). قَامُوسُ الرِّجَالِ: ج ٧ ص ٤٧٣.

عليهم، فأنزل الله علينا نصره، و هزم عدوه، و أعزَّ جنده، و الحمد لله رب العالمين، و السَّلام عليك يا أمير المؤمنين، و رحمة الله و بركاته.^{١١٩٢}

[شهد مالك صفين، و اسمه مكتوب في الصلح، كما نقله الطبري.^{١١٩٣}

و هو الذي أجاب دعوة أمير المؤمنين عليه السلام حين حثَّ النَّاسَ على المسير إلى مصر لنصره محمد بن أبي بكرٍ رحمه الله، فقال: [يا أمير المؤمنين اندب النَّاسَ معي، فإنَّه لا عطر بعد عروس، لِمِثْلِ هذا اليوم كُنْتُ، أدخِرُ نفسي، و إنَّ الأجر لا يأتي إلَّا بالكرَّة. ثُمَّ التفت إلى النَّاسِ و قال: اتقوا الله، و أجيئوا إمامكم، و انصروا دعوته، و قاتلوا عدوكم، و أنا أسير إليهم يا أمير المؤمنين.^{١١٩٤} [نقل في الأنساب صورة أخرى من هذا الكتاب، و هي:]

ص: ٣٩٩

و كتب عليه السلام إلى مالك بن كعب الأرحبي:

«إِنِّي وَلَيْتَكَ مَعُونَةَ الْبِهْقَبَاتِ، فَائِثِرُ طَاعَةِ اللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الدُّنْيَا فَايِنَةٌ، وِالْآخِرَةُ آتِيَةٌ، وَاَعْمَلْ صَالِحًا تُجْزَى خَيْرًا، فَإِنَّ عَمَلَ ابْنِ آدَمَ مَحْفُوظٌ عَلَيْهِ، وَاِنَّهُ مَجْزِيٌّ بِهِ، فَعَلَ اللَّهُ بِنَا وَبِكَ خَيْرًا وِالسَّلَامُ».^{١١٩٥}

[كَأَنَّ الْبِلَادِرَى لَخَصَّةٌ وِأَسْقَطَ أَوْلَاهُ. وِ قَالَ الثَّقَفِيُّ فِي الْغَارَاتِ مَا مَلَخَّصَهُ:]

عبد الرحمن بن جندب عن أبيه: أن أهل دومة الجندل من كلب، لم يكونوا في طاعة علي عليه السلام، و لا معاوية ... فذكرهم معاوية مرَّة، فبعث إليهم مسلم بن عقبة المرِّي فسألهم الصدقة، و حاصرهم، فبلغ ذلك علي عليه السلام، و إمرأ القيس بن عدي أصهاره، فبعث إلى مالك بن كعب، فقال:

«اسْتَعْمِلْ عَلَى عَيْنِ التَّمْرِ رَجُلًا، وِأَقْبِلْ إِلَيَّ».

فولها عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب الأرحبي، و أقبل إلى علي عليه السلام، فسرحه في ألف فارس، فما شعر مسلم بن عقبة إلَّا و مالك بن كعب إلى جنبه نازلًا، فتواقفا قليلاً، ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ اقْتَتَلُوا، وِاطْرَدُوا يَوْمَهُمْ ذَلِكَ إِلَى اللَّيْلِ، لَمْ يَسْتَفْزَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ شَيْئًا، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنَ الْغَدِ، صَلَّى مُسْلِمٌ بِأَصْحَابِهِ، ثُمَّ انصرف، و أقام مالك بن كعب في دومة الجندل يدعوهم إلى الصلح عشرًا، فلم يفعلوا، فرجع إلى علي عليه السلام.^{١١٩٦}

مَالِكُ بْنُ كَعْبٍ

^{١١٩٢} (١). الغارات: ج ٢ ص ٤٥٧.

^{١١٩٣} (٢). تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٥٤.

^{١١٩٤} (٣). الغارات: ج ١ ص ٢٩٢.

^{١١٩٥} (١). أنساب الأشراف: ج ٢ ص ٣٩٣.

^{١١٩٦} (٢). الغارات: ج ٢ ص ٤٥٩.

مالك بن كعب الأرحبي، من أصحاب الإمام عليّ عليه السلام، و من أركان حكومته.

ص: ٤٠٠

كان والياً على عين التمر^{١١٩٧}، و بهقباذات^{١١٩٨}، مضافاً إلى إشرافه على عمل سائر المسؤولين في الكوفة و الجزيرة.

و ممّا يُثنى عليه شجاعته التي أباها قبال هجوم النعمان بن بشير على عين التمر؛ فإنه واجه جيش النعمان الذي قوامه ألفى فارس بسرّية قوامها مائة مقاتل فقط، حتّى وصل الإسناد العسكري إليه، و اضطرّ النعمان إلى الفرار^{١١٩٩}.

كما استدعى لمواجهة جيش مسلم بن عقبة المرّي في دومة الجندل، فكان موقفاً في هذه المهمة أيضاً.

و ممّا يدلّ على حسن معرفته؛ إظهار استعداده لإعانة محمد بن أبي بكر في الوقت الذي لم يلبّ دعوة الإمام أحد.

في الغارات عن عبد الله بن حوزة الأزديّ: كنت مع مالك بن كعب حين نزل بنا النعمان بن بشير و هو في ألفين، و ما نحن إلّا مائة، فقال لنا: قاتلوهم في القرية و اجعلوا الجدر في ظهوركم، و لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة، و اعلموا أنّ الله تعالى ينصر العشرة على المائة، و المائة على الألف، و القليل على الكثير، ممّا يفعل الله ذلك.

ثمّ قال: إنّ أقرب من هاهنا إلينا من شيعة عليّ عليه السلام و أنصاره و عمّاله قرظة بن كعب و مخنف بن سليم، فاركض إليهما و أعلمهما حالنا، و قل لهما: فليصرانا بما استطاعا.

فأقبلت أركض و قد تركته و أصحابه، و إنهم ليترامون بالنبل، فمررت

ص: ٤٠١

بقرظة بن كعب فاستغثته، فقال: إنّما أنا صاحب خراج و ما معي أحدٌ اغيثة به، فمضيت حتّى أتيت مخنف بن سليم فأخبرته الخبر، فسرّح معي عبد الرحمن بن مخنف في خمسين رجلاً، و قاتلهم مالك بن كعب و أصحابه إلى العصر، فأتيناه و قد كسر هو و أصحابه جفون^{١٢٠٠} سيوفهم و استسلموا للموت، فلو أبطأنا عنهم هلكوا، فما هو إلّا أن رأنا أهل الشام قد أقبلنا عليهم أخذوا ينكصون عنهم و يرتفعون، و رانا مالك و أصحابه فشدّوا عليهم حتّى دفعوهم عن القرية و استعرضناهم، فصرعنا منهم رجالاً ثلاثة و ارتفع القوم عنّا، و ظنّوا أنّ وراءنا مدداً، و لو ظنّوا أنّه ليس غيرنا لأقبلوا علينا و أهلكونا، و حال بيننا و بينهم الليل فانصرفوا إلى أرضهم.^{١٢٠١}

^{١١٩٧} (١). الغارات: ج ٢ ص ٤٥٩.

^{١١٩٨} (٢). أنساب الأشراف: ج ٢ ص ٣٩٣.

^{١١٩٩} (٣). الغارات: ج ٢ ص ٤٥٦.

^{١٢٠٠} (١) جفون السُّيوف: أغمادها، واجدها جفن (النهاية: ج ١ ص ٢٨٠).

^{١٢٠١} (٢). الغارات: ج ٢ ص ٤٥٦ و راجع تاريخ الطبري: ج ٥ ص ١٣٣.

و في أنساب الأشراف: بعث معاوية (مسلم) بن عَقْبَةَ المُرِّيَّ إلى أهل دومة الجندل^{١٢٠٢} - و كانوا قد توقفوا عن البيعة لعلّى و معاوية جميعاً- فدعاهم إلى طاعة معاوية و بيعته، و بلغ ذلك عليّاً فبعث إلى مالك بن كَعْبِ الهَمْدَانِيّ أن خَلْفَ على عملك من تثق به و أقبل إلىّ.

ف فعل و استخلف عبد الرَّحْمَنِ بن عبد الله الكِنْدِيّ، فبعثه عليّاً إلى دومة الجندل في ألف فارس، فلم يشعر مسلم إلّا و قد وافاه، فاقتتلوا يوماً ثمّ انصرف مسلم منهزماً، و أقام مالك أَيْمَماً يدعو أهل دومة الجندل إلى البيعة لعلّى، فلم يفعلوا و قالوا: لا نبايع حتّى يجتمع النَّاسُ على إمام. فانصرف^{١٢٠٣}

ص: ٤٠٢

و في تاريخ الطبري- بعد أن ذكر خطبة الإمام عليه السلام يستنفر النَّاسَ لإِغَاثَةِ مُحَمَّدِ بن أبي بكر و أصحابه، و عدم استجابة النَّاسِ له عليه السلام:- فقام إليه مالك بن كَعْبِ الهَمْدَانِيّ ثمّ الأَرْحَبِيّ، فقال: يا أمير المؤمنين، اندب النَّاسَ فَإِنَّهُ لا عطر بعد عروس^{١٢٠٤}، لمثل هذا اليوم كنت أدخر نفسي، و الأجر لا يأتى إلّا بالكِرَّةِ، اتقوا الله و أجيّبوا إمامكم، و انصروا دعوته، و قاتلوا عدوّه، أنا أسير إليها يا أمير المؤمنين، قال:

فأمر عليّ مناديه سعداً، فنادى في النَّاسِ:

ألا انتدّبوا إلى مصر مع مالك بن كَعْبِ^{١٢٠٥}.

١٢٤ كتابه عليه السلام إلى أبي موسى الأشعريّ

نقل البلاذري في أمر خريّت بن راشد:

فكتب عليّ إلى أبي موسى الأشعريّ:

«إني كنت أمرتك بالمقام في دير أبي موسى فيمن ضممت إليك إلى أن يتضح خبر القوم الظالمين أنفسهم الباغين على أهل دينهم، وقد بلغني أن جماعة مروا بقرية، يقال لها: «نفر»، فقتلوا رجلاً من أهل السواد مصلياً، فأنهض إليهم على اسم الله، فإن لحقتهم فادعهم إلى الحق، فإن أبوه فناجزهم، واستعين بالله عليهم».

ففاتوه و لم يلقهم، و ذلك قبل خروج أبي موسى للحكم^{١٢٠٦}.

^{١٢٠٢} (٣) نومة الجندل: مدينة على سبع مراحل من دمشق، بينها و بين مدينة الرسول صلى الله عليه و آله، و يطلق عليها اليوم «الجوف»، و قد جرت فيها قضية التحكيم (راجع معجم البلدان: ج ٢ ص ٤٨٧).

^{١٢٠٣} (٤). أنساب الأشراف: ج ٣ ص ٢٢٥، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٤٢٩ نحوه و راجع الغارات: ج ٢ ص ٤٥٩.

^{١٢٠٤} (١) لا مخبأ ليعطر بعد عروس، و يروى: لا عطر بعد عروس: أول من قال ذلك امرأة من عذرة يقال لها أسماء بنت عبد الله، و كان لها زوج من بني عمها يقال له عروس، فمات عنها... فقالت: لا عطر بعد عروس، فذهبت مثلاً يضرب لمن لا يخر عنه نفيس (مجمع الأمثال: ج ٣ ص ١ الرقم ٣٤٩١).

^{١٢٠٥} (٢). تاريخ الطبري: ج ٥ ص ١٠٧، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٤١٤ نحوه؛ الغارات: ج ١ ص ٢٩٢.

لقد اشتبه الأمر على البلاذري، و في الحقيقة هذا صورة أخرى من كتابه عليه السلام إلى زياد بن حفصه.

١٢٥ كتابه في الصلح

كتاب الصلح بينه عليه السلام و بين معاوية:

أورد مصنف كتاب **معادن الحكمة**^{١٢٠٧} قصة الحكمين عن أمالي الشيخ الطوسي رحمه الله، و اقتصر على ما جرى وقتئذ من كلام معاوية و عمرو بن عاص لعنهما الله تعالى حول محو كلمة أمير المؤمنين من الكتاب، و كلام الأحنف و الأشعث و كلام أمير المؤمنين عليه السلام، و لم ينقل نص الكتاب، و لعله لرغم أنه ليس من مكتوباته بخط يده، و لا من إملاء كان منه عليه السلام، قال:

أخبرنا مُحَمَّد بن محمد، فقال أخبرني أبو عبيد الله مُحَمَّد بن عمران المرزباني، فقال حدثنا مُحَمَّد بن موسى، فقال حدثني مُحَمَّد بن أبي السري، فقال حدثنا هشام، عن أبي مخنف، عن عبد الرحمن بن جندب، عن أبيه، قال:

لمّا وقع الاتفاق على كتب القضية بين أمير المؤمنين عليه السلام و بين معاوية بن أبي سفيان، حضر عمرو بن العاص في رجال من أهل الشام، و عبد الله بن عباس في رجال من أهل العراق، فقال أمير المؤمنين عليه السلام للكاتب: اكتب:

«هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب و معاوية بن أبي سفيان ...»^{١٢٠٨}

و على كل حال، فنحن ننقله على صورته المختلفة:

قال نصر: عمرو بن شمر، عن جابر، عن زيد بن حسن، قال عمرو: قال جابر: سمعت زيد بن حسن، - و ذكر كتاب الحكمين، فزاد فيه شيئاً على ما ذكره مُحَمَّد بن علي الشَّعبيّ، في كثرة الشَّهود، و في زيادة في الحروف و نقصان، أملاها عليّ من كتاب عنده، فقال: هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب و معاوية بن أبي سفيان و شيعتهما، فيما تراضيا به من الحكم بكتاب الله، و سنّة نبيّه صلى الله عليه و آله، قضية عليّ على أهل العراق، و من كان من شيعته من شاهد أو غائب، و قضية معاوية على أهل الشام، و من كان من شيعته من شاهد أو غائب.

^{١٢٠٦} (٣). أنساب الأشراف: ج ٣ ص ١٧٨.

^{١٢٠٧} (١). معادن الحكمة: ج ١ ص ٢٨٨.

^{١٢٠٨} (٢). الأمالي للطوسي: ص ١٨٧ ح ٣١٥، وقعة صفين: ص ٥٠٤ و ٥٠٨ و ٥١٠، المناقب لابن شهر آشوب: ج ٣ ص ١٨٤، بحار الأنوار: ج ٣ ص ٣١٤ و ٣١٦، تاريخ يعقوبي: ج ١ ص ١٨٩ نحوه؛ أنساب الأشراف: ج ٣ ص ١٠٨، تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٥٣، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٨٨، الأخبار الطوال: ص ١٩٤، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٢٣٣، الفتح: ج ٤ ص ٢٠١، الإمامة و السياسة: ج ١ ص ١٥١، البداية و النهاية: ج ٧، ص ٢٧٧، تاريخ ابن خلدون: ج ٢ ص ٦٣٤.

إِنَّا رَضِينَا أَنْ نَنْزَلَ عِنْدَ حُكْمِ الْقُرْآنِ فِيمَا حَكَمَ، وَ أَنْ نَقِفَ عِنْدَ أَمْرِهِ فِيمَا أَمَرَ، وَ إِنَّهُ لَا يَجْمَعُ بَيْنَنَا إِلَّا ذَلِكَ.

وَ إِنَّا جَعَلْنَا كِتَابَ اللَّهِ فِيمَا بَيْنَنَا حَكْمًا فِيمَا اخْتَلَفْنَا فِيهِ مِنْ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتَمَتِهِ، نُحْيِي مَا أَحْيَا، وَ نُمِيتُ مَا أَمَاتَ.

عَلَى ذَلِكَ تَقَاضِيًا، وَ بِهِ تَرَاضِيًا.

وَ إِنَّ عَلِيًّا وَ شِيعَتَهُ رَضُوا أَنْ يَبْعَثُوا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ نَاطِرًا وَ مُحَاكِمًا، وَ رَضَى مَعَاوِيَةُ وَ شِيعَتُهُ أَنْ يَبْعَثُوا عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ نَاطِرًا وَ مُحَاكِمًا؛ عَلَيَّ أَنْهُمَا أَخَذُوا عَلَيْهِمَا عَهْدَ اللَّهِ وَ مِيثَاقَهُ، وَ أَعْظَمَ مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ، لِيَتَّخِذَانَ الْكِتَابِ إِمَامًا فِيمَا بُعِثَا لَهُ، لَا يَعْذُوَانَهُ إِلَى غَيْرِهِ فِي الْحُكْمِ بِمَا وَجَدَاهُ فِيهِ مَسْطُورًا؛ وَ مَا لَمْ

ص: ٤٠٥

يَجِدَاهُ مَسْمُومًا فِي الْكِتَابِ رَدَّاهُ إِلَى سَنَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ الْجَامِعَةِ، لَا يَتَعَمَّدَانِ لِهَمَا خِلَافًا، وَ لَا يَتَّبِعَانِ فِي ذَلِكَ لِهَمَا هَوًى، وَ لَا يَدْخُلَانِ فِي شُبُهَةٍ.

وَ أَخَذَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ وَ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ عَلَيَّ عَلِيًّا وَ مَعَاوِيَةَ عَهْدَ اللَّهِ وَ مِيثَاقَهُ بِالرِّضَا بِمَا حَكَمَا بِهِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَ سُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ، وَ لَيْسَ لِهَمَا أَنْ يَنْقُضَا ذَلِكَ، وَ لَا يَخَالِفَاهُ إِلَى غَيْرِهِ، وَ أَنَّهُمَا أَمَنَانِ فِي حُكُومَتِهِمَا عَلَيَّ دِمَائِهِمَا، وَ أَمْوَالِهِمَا، وَ أَهْلِهِمَا مَا لَمْ يَعْذُوا الْحَقَّ، رَضِيَ بِذَلِكَ رَاضٍ أَوْ أَنْكَرَهُ مِنْكَرٍ، وَ أَنَّ الْأُمَّةَ أَنْصَارٌ لِهَمَا عَلَيَّ مَا قَضَى بِهِ مِنَ الْعَدْلِ.

فَإِنْ تَوَقَّيَ أَحَدُ الْحَكَمِيِّينَ قَبْلَ انْقِضَاءِ الْحُكُومَةِ فَأَمِيرٌ شِيعَتِهِ وَ أَصْحَابُهُ يَخْتَارُونَ مَكَانَهُ رَجُلًا، لَا يَأْلُونَ عَنْ أَهْلِ الْمَعْدَلَةِ وَ الْإِقْسَاطِ، عَلَيَّ مَا كَانَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ، مِنَ الْعَهْدِ وَ الْمِيثَاقِ وَ الْحُكْمِ بِكِتَابِ اللَّهِ وَ سُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ، وَ لَهُ مِثْلُ شَرَطِ صَاحِبِهِ.

وَ إِنْ مَاتَ أَحَدُ الْأَمِيرِينَ قَبْلَ الْقَضَاءِ فَلِشِيعَتِهِ أَنْ يُوَلُّوا مَكَانَهُ رَجُلًا يَرْضُونَ عَدْلَهُ.

وَ قَدْ وَقَعَتِ الْقَضِيَّةُ وَ مَعَهَا الْأَمْنُ وَ التَّفَاوُضُ وَ وَضَعُ السِّلَاحِ وَ السَّلَامِ وَ الْمَوَادَعَةَ.

وَ عَلَيَّ الْحَكَمِيِّينَ عَهْدُ اللَّهِ وَ مِيثَاقُهُ إِلَّا يَأْلُوا اجْتِهَادًا، وَ لَا يَتَعَمَّدُوا جَوْرًا، وَ لَا يَدْخُلُوا فِي شُبُهَةٍ، وَ لَا يَعْذُوا حُكْمَ الْكِتَابِ وَ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلَا بَرِثَتِ الْأُمَّةُ (سَقَطَ مِنْ كِتَابِ ابْنِ عُقْبَةَ) مِنْ حُكْمِهِمَا، وَ لَا عَهْدَ لِهَمَا وَ لَا ذِمَّةً.

وَ قَدْ وَجِبَتِ الْقَضِيَّةُ عَلَيَّ مَا قَدْ سُمِّيَ فِي هَذَا الْكِتَابِ مِنْ مَوَاقِعِ الشُّرُوطِ، عَلَيَّ الْأَمِيرِينَ وَ الْحَكَمِيِّينَ وَ الْفَرِيقِينَ، وَ اللَّهُ أَقْرَبُ شَهِيدًا، وَ أَدْنَى حَفِيظًا.

وَ النَّاسُ آمِنُونَ عَلَيَّ أَنْفُسِهِمْ وَ أَهْلِيهِمْ وَ أَمْوَالِهِمْ إِلَى انْقِضَاءِ مَدَّةِ الْأَجْلِ، وَ السِّلَاحُ مَوْضُوعٌ، وَ السُّبُلُ مَخْلَاءَةٌ، وَ الْغَائِبُ وَ الشَّاهِدُ مِنَ الْفَرِيقِينَ سَوَاءً فِي

الأمن، و للحكمين أن يَنْزِلَا منزلاً عدلاً بين أهل العراق و أهل الشَّام، و لا يحضرهما فيه مَنْ أَحَبَّ، عن مَلَا منهما و تَرَأَى.

و إنَّ المسلمين قد أَجَلُوا القاضيين إلى انسلاخ رمضان، فإن رأى الحَكَمَان تعجيل الحكومة فيما وُجِّهَا له عَجَلَاهَا، و إن أَرَادَا تأخيرها بعد رمضان إلى انقضاء الموسم فإنَّ ذلك إليهما.

فإنَّهما لم يحكما بكتاب الله و سنَّه نبيِّه صلى الله عليه و آله إلى انقضاء الموسم، فالمسلمون على أمرهم الأوَّل في الحرب.

و لا شرط بين واحد من الفريقين.

و على الامَّة عهدُ الله و ميثاقه على التَّمام، و الوفاء بما في هذا الكتاب، و هم يدُّ على من أَرَاد فيه إلحاداً و ظلماً، أو حاولَ له نَقْضاً.

و شهد بما في الكتاب من أصحاب عليّ: عبد الله بن عبَّاس، و الأشعث بن قيس، و الأَشتر مالك بن الحارث، و سعيد بن قيس الهمدانيّ، و الحُصَيْن و الطَّفِيل ابنا الحارث بن المطَّلَب، و أبو اسيد مالك بن ربيعة الأنصاريّ، و خَبَّاب بن الأَرْت، و سهَّل بن حُثَيْف، و أبو اليسر بن عمرو الأنصاريّ، و رفاعه بن رافع بن مالك الأنصاريّ و عَوْف بن الحارث بن المطَّلَب القرشيّ، و بُرَيْدَة الأسلميّ، و عُقْبَة بن عامر الجُهَنيّ، و رافع بن خَدِيج الأنصاريّ، و عمرو بن الحَمِق الخُزاعيّ، و الحسن و الحسين ابنا عليّ عليهما السلام و عبد الله بن جَعْفَر الهاشيميّ، و النُّعْمَان بن عَجَلان الأنصاريّ، و حُجْر بن عَدِيّ الكِنديّ، و وَرْقَاء بن مالك بن كَعْب الهمدانيّ، و ربيعة بن شُرْحَبِيل، و أبو صفره بن يزيد، و الحارث بن مالك الهمدانيّ، و حُجْر بن يزيد، و عُقْبَة بن حُجَيَّة، (إلى هنا السقط).

و من أصحاب معاوية: حَبِيب بن مَسْلَمَة الفِهريّ، و أبو الأَعْوَر بن سُفْيَان السَّلَميّ، و بُسْر بن أَرْطاة القرشيّ، و معاوية بن خَدِيج الكِنديّ، و المُخَارِق بن الحارث الجَميريّ، و رَعْبَل بن عمرو السَّكسكيّ، و عبد الرَّحْمَن بن خالد المخزوميّ، و حمزة بن مالك الهمدانيّ، و سُبَيْع بن يزيد الهمدانيّ، و يزيد بن الحرّ التَّفَفيّ، و مسروق بن حرمله العكّيّ، و نُمَيْر بن يزيد الجَميريّ، و عبد الله بن عمرو بن العاص، و عَلْقَمَة بن يزيد الكلبيّ، و خالد بن المعرّض السَّكسكيّ، و عَلْقَمَة بن يزيد الجرميّ، و عبد الله بن عامر القرشيّ، و مروان بن الحكم، و الوليد بن عُقْبَة القرشيّ، و عُتْبَة بن أبي سُفْيَان، و مُحَمَّد بن أبي سُفْيَان و مُحَمَّد بن عمرو بن العاص، و يزيد بن عُمَر الجُداميّ، و عَمَّار بن الأحوص الكلبيّ، و مَسْعَدَة بن عمرو التَّجِيبِيّ، و الحارث بن زياد القينيّ، و عاصم بن المنتشر الجُداميّ، و عبد الرَّحْمَن بن ذى الكِلاع الجَميريّ، و القباح بن جلهمة الجَميريّ، و ثَمَامَة بن حوشب، و عَلْقَمَة بن حَكِيم، و حمزة بن مالك.

و إنَّ بيننا على ما في هذه الصَّحيفة عهدُ الله و ميثاقه.

و كتب عُمر يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من صفر، سنة سبع و ثلاثين^{١٢٠٩}.

[صورة ثانية] صورة أخرى من وثيقة التَّحْكِيم:

نصر عن عمر بن سعد قال: حدَّثني أبو إسحاق الشَّيباني، قال: قرأت كتاب الصَّلح عند سعيد بن أبي بردة، في صحيفه صفراء عليها خاتمان، خاتم من أسفلها، و خاتم من أعلاها، في خاتم عليّ: «مُحَمَّد رسول الله»، و في خاتم معاوية: «مُحَمَّد رسول الله».

ص: ٤٠٨

ف قيل لعلّي حين أراد أن يكتب الكتاب بينه و بين معاوية و أهل الشَّام: أ تقرُّ أنّهم مؤمنون مسلمون؟

فقال عليّ:

«ما أقرُّ لمعاوية ولا لأصحابه، أنّهم مؤمنون ولا مسلمون، ولكن يكتب معاوية ما شاء، و يقرّ بما شاء لنفسه و أصحابه، و يسمّي نفسه و أصحابه ما شاء».

فكتبوا:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا ما تقاضى عليه عليّ بن أبي طالب و معاوية بن أبي سفيان، قاضى عليّ بن أبي طالب على أهل العراق و من كان معه من شيعته من المؤمنين و المسلمين، و قاضى معاوية بن أبي سفيان على أهل الشَّام و من كان معه من شيعته من المؤمنين و المسلمين:

إنَّا نزل عند حُكم الله و كتابه، و أَلَّا يجمع بيننا إلَّا إياه، و أنّ كتاب الله بيننا و بينكم من فاتحته إلى خاتمته: نُحيي ما أحيا القرآن، و نميت ما أمات القرآن.

فما وجد الحكمان في كتاب الله بيننا و بينكم فإنَّهما يتبعانه، و ما لم يجدها في كتاب الله أخذًا بالسنة العادلة الجامعة غير المُفرقة، و الحكمان عبد الله بن قيس و عمرو بن العاص.

و أخذنا عليهما عهد الله و ميثاقه ليقضيا بما و جدها في كتاب الله، فإن لم يجدها في كتاب الله فالسنة الجامعة غير المُفرقة.

و أخذ الحكمان من عليّ و معاوية و من الجندين - ممّا هما عليه من أمر النَّاس، بما يرضيان به من العهد و الميثاق و التَّقة من النَّاس أنّهما أمان على أموالهما و أهليهما. و الأمانة لهما أنصار على الّذى يقضيان به عليهما.

^{١٢٠٩} (١). وقعة صفين: ص ٥٠٤ - ٥٠٨.

وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين كليهما عهد الله، أنا على ما فى هذه الصّحيفة، ولنقومنّ عليه، وإنّا عليه لأنصار.

وإنّها قد وجبت القضيّة بين المؤمنين بالأمن والاستقامة ووضع السّلاح أينما ساروا، على

ص: ٤٠٩

أنفسهم، وأموالهم، وأهليهم، وأرضيهم، وشاهدهم، وغائبهم، وعلى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه ليحكمان بين الأُمّة بالحقّ، ولا يُردانها فى فرقة ولا بحرب حتّى يقضيا.

وأجلُ القضيّة إلى شهر رمضان فإنّ أحبّ أن يعجّلا عَجَلًا.

وإن توفّى واحد من الحكمين فإنّ أميرَ شيعته يختار مكانه رجلاً لا يالو عن المعدلّة والقسط، وإنّ ميعاد قضائهما الذى يقضيان فيه مكان عدلّ بين أهل الشّام وأهل الكوفة، فإنّ رضيا مكاناً غيرَه فحيث رضيا لا يحضرهما فيه إلّا من أرادا.

وأن يأخذ الحكمان من شاء من الشّهود، ثمّ يكتبوا شهادتهم على ما فى الصّحيفة.

ونحن برآء من حُكم بغير ما أنزل الله.

اللهمّ إنّنا نستعينك على من ترك ما فى هذه الصّحيفة، وأراد فيها إلحاداً وظلماً.

وشهد على ما فى الصّحيفة عبد الله بن عبّاس، والأشعث بن قيس، وسعيد بن قيس، وورقاء بن سمى، وعبد الله بن الطّفيل، وحُجْر بن يزيد، وعبد الله بن جمل، وعُتْبَةُ بن جارية، ويزيد بن حُجَيّة، وأبو الأعور السّلمى، وحبيب بن مسلّم، والمُخارق بن الحارث، وزمّل بن عمرو، وحمزة بن مالك، وعبد الرّحمن بن خالد، وسبّيع بن يزيد، وعلقمة بن مرثد، وعُتْبَةُ بن أبى سُفْيَان، ويزيد بن الحرّ.

وكتب عميرة يوم الأربعاء لثلاث عشرة بقيت من صفر، سنّة سبع وثلاثين^{١١١٠}.

[صورةُ ثلثة نصّ عليها البلاذرى:]

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا ما تقاضى عليه على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سُفْيَان، قاضى علىّ بن أبى أهل العِراق،

ص: ٤١٠

^{١١١٠} (١). وقعة صفّين: ص ٥٠٩-٥١١، بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٥٤٣ ح ٤٥٤ و راجع: أنساب الأشراف: ج ٣ ص ١٠٣٤، شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ٢ ص ٢٣٣ و ٢٣٤.

ومن كان من شيعتهم من المؤمنين والمسلمين، وقاضى معاوية على أهل الشام، ومن كان من شيعتهم من المؤمنين والمسلمين.

إِنَّا نَنْزِلُ عِنْدَ حَكَمِ اللَّهِ وَبَيْنَنَا كِتَابُ اللَّهِ فِيمَا اخْتَلَفْنَا فِيهِ مِنْ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتَمَتِهِ، نَحْيِي مَا يُخْيِي وَنُمِيتُ مَا أَمَاتَ، فَمَا وَجَدَ الْحَكَمَانَ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَإِنَّهُمَا يَتَّبَعَانِهِ، وَمَا لَمْ يَجِدَاهُ مِمَّا اخْتَلَفْنَا فِيهِ فِي كِتَابِ اللَّهِ أَمْضِيَا فِيهِ السُّنَّةَ الْعَادِلَةَ الْحَسَنَةَ الْجَامِعَةَ غَيْرَ الْمَفْرُقَةَ.

والحكمان: عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص، وأخذنا عليهما عهد الله وميثاقه، ليحكمان بما وجدنا في كتاب الله نصًا، فما لم يجدها في كتاب الله مسمّى عملاً فيه بالسنة الجامعة غير المفرقة.

وأخذنا من عليّ ومعاوية ومن الجند كليهما، وممن تأمّر عليه من الناس عهد الله، ليقبلنّ ما قضيا به عليهما، وأخذنا لأنفسهما الذي يرضيان به من العهد والثقة من الناس؛ أنّهما آمنان على أنفسهما، وأهليهما، وأموالهما، وأنّ الأمة لهما أنصار على ما يقضيان به على عليّ ومعاوية، وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين كليهما.

وإنّ عليّ عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه أن يصلحا بين الأمتين، ولا يرداها إلى فرقة ولا حرب.

وإنّ أجل القضية إلى شهر رمضان، فإنّ أحبّا أن يعجلاها دون ذلك عجلًا، وإنّ أحبّا أن يؤخراها من غير ميل منهما أخراها، وإن مات أحد الحكمين قبل القضاء، فإنّ أمير شيعته وشيعته يختارون مكانه رجلًا، لا يألون عن أهل المعدلة والنصيحة والإقساط، وأن يكون مكان قضيتهما التي يقضيانها فيه مكان عدل بين الكوفة والشام والحجاز، ولا يحضرهما فيه إلّا من أراد، فإن رضيا مكانًا غيره فحيث أحبّا أن يقضيا، وأن يأخذ الحكمان من كلّ واحد من شاء من اليهود، ثمّ يكتبوا شهادتهم في هذه الصحيفة أنّهم أنصار عليّ من ترك ما فيها:

اللهمّ نستنصرك على من ترك ما في هذه الصحيفة، وأراد فيها إحداء أو ظلمًا.

ص: ٤١١

وشهد من كل جند على الفريقين عشرة، من أهل العراق: عبد الله بن عباس، الأشعث بن قيس، سعيد بن قيس الهمداني، وقاء بن سمي^{١٢١١}، وعبد الله بن طفيل، وحجر بن يزيد الكندي، وعبد الله بن حجل البكري^{١٢١٢}، وعقبة بن زياد، ويزيد بن حجيّة التيمي، ومالك بن كعب الأرحبي^{١٢١٣}.

أنقل في مجموعة الوثائق نصّ الكتاب، ثمّ ذكر ما في الطبري في الحواشي، ثمّ ذكر نصوص الجاحظ، و البلاذري، و إسماعيل التيمي، و نحن ننقل عنه النصين [نصّ الجاحظ:

^{١٢١١} (١) و بعضهم يقول: و رقاء بن سمي، و وقاء أصح ذلك (المصدر).

^{١٢١٢} (٢) و في تاريخ الطبري: و عبد الله بن محل العجلي.

^{١٢١٣} (٣). الأنساب الأشراف: ج ٣ ص ١٠٨ و ١٠٩.

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا ما تقاضى عليه عليّ بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سُفْيَانَ. قاضى عليّ بن أبي طالب على أهل العراق ومن كان معه من شيعته من المؤمنين والمسلمين، وقاضى معاوية بن أبي سُفْيَانَ على أهل الشَّام، ومن كان معه من شيعته من المؤمنين والمسلمين. إِنَّا نَنْزِلُ عِنْدَ حُكْمِ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ فِيمَا اخْتَلَفَا فِيهِ، مِنْ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتَمَتِهِ، نُحْيِي مَا أَحْيَا، وَنُمِيتُ مَا أَمَاتَ، فَمَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ مَسْمًى أَخَذْنَا بِهِ، وَمَا لَمْ نَجِدْهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَسْمًى، فَالسنَّةُ العادلَةُ الجامعَةُ غَيْرُ المَفْرَقَةُ فِيمَا اخْتَلَفَا فِيهِ.

والحكمان: عبد الله بن قيس الأشعريّ، وعمرو بن العاص، وقد أخذ عليّ ومعاوية عليها عهد الله ليحكما بما وجدنا في كتاب الله، وما لم يجدنا في كتاب الله مسمًى فالسنَّةُ العادلَةُ الجامعَةُ غير المَفْرَقَةُ.

وقد أخذ الحكمان من عليّ بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سُفْيَانَ الَّذِي يَرْضِيَانِ مِنَ الْعَهْدِ

ص: ٤١٢

والميثاق، ليرضيان بما يقضيانه فيهما من خلع من خلعا، وتأمير من أمرا.

وأخذا من عليّ ومعاوية والجندين كليهما الَّذِي يَرْضِيَانِهِ مِنَ الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ، وَأَنَّهِنَّ آمَنَانَ عَلَى أَنْفُسِهِمَا وَأَمْوَالِهِمَا، وَالْأُمَّةَ لَهُمَا أَنْصَارَ عَلَى مَا يَقْضِيَانِ بِهِ عَلَيْهِمَا، وَأَعْوَانَ عَلَى مَنْ بَدَّلَ وَغَيَّرَ.

وأنه قد وجبت القضية من المؤمر والأمر، والاستفاضة ورفع السلاح أين ما شاءوا، وكانوا على أنفسهم وأهاليهم وأموالهم وأرضهم، وشاهدتهم وغائبهم.

وعلى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه ليقضيان بين الأمة، ولا يذراهم في التفرقة والحرب حتّى يقضيا.

وآخر أجل القضية بين الناس في انسلاخ شهر رمضان، فإن أحبنا أن يعجلا ذلك عجلا.

وإن أحبنا أن يؤخرا ذلك عن ملاء منهما وتراض أخرا. وإن هلك أحد الحكمين فإن أمير الشيعة والشيعة يختارون مكانه رجلا لا يألون عن أهل المعدلة والاقتصاد، وإن ميعاد القضية إن يقضيا بمكان من أهل الحجاز وأهل الشَّام سواء، لا يحضرهما فيه إلّا من أرادا.

فإن أحبنا أن يكون بأدرج وبدومة الجندل كان، وإن رضيا مكانا غيره حيث أحبنا فليقضيا على عليّ ومعاوية، وأن يجتمعا على الحكمين.

شهد عبد الله بن عباس، والأشعث بن قيس، وسعيد بن قيس، وورقاء بن سمى البكري الخارقي، وعبد الله بن طفيل
البيكاوي ... ١٢١٤

[صورة رابعة]

نصّ إسماعيل التيمي:

هذا ما قاضى عليه عليّ بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، قاضى عليّ بن عليّ أهل العراق

ص: ٤١٣

ومن كان معه من شيعته من المؤمنين، وقاضى معاوية على أهل الشام ومن كان معه من شيعته من المسلمين، إننا ننزل
على حكم الله وكتابه، فما وجد الحكمان في كتاب الله فهما يتبعانه، وما لم يجدا في كتاب الله فالسنة العادلة تجمعهما،
وأنهما آمنان على أموالهما وأنفسهما وأهاليهما.

والأمة أنصار لهما على الذي يقضيان عليه، وعلى المؤمنين والمسلمين.

والطائفتان كلتاهما عليهما عهد الله أن يفيا بما في هذه الصحيفة على أن بين المسلمين الأمن ووضع السلاح. وعلى عبد
الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه، ليحكما بين الناس بما في هذه الصحيفة، على أن الفريقين يرجعان سنة،
فإذا انقضت السنة، إن أحبّا أن يردا ذلك ردّا. وإن أحبّا زادا فيها ما شاءا.

اللهمّ إننا نستنصرك على من ترك ما في هذه الصحيفة، وشهد على الصحيفة من كلّ فريق عشرة أنفس، فشهد من
أصحاب عليّ رضي الله عنه: عبد الله بن عباس، والأشعث بن قيس، وحجربن أوبر، وفلان وفلان، وشهد من أهل الشام: أبو
الأغور السلمي، وحبيب بن مسلمة الفهري، وعتبة بن أبي سفيان، وفلان وفلان.

وكتب يوم الأربعاء، سنة سبع وثلاثين. ١٢١٥

[أقول: لقد أطلنا الكلام في نقل الصور المختلفة من الكتاب لكثير الفائدة، ولا بأس بنقل قصة الحكمين وعللها مع مراعاة
الاختصار:]

طال الحرب بين أهل العراق و الشام من شوال سنة ٣٦، إلى أن آل إلى ما آل من قصة الحكمين في صفر من سنة
٣٧، حتى لقد بلغت الوقائع تسعين وقعة، و حتى قتل من أهل العراق خمسة و عشرون ألفا، و من أهل الشام خمسة و
أربعون ألفا. ١٢١٧

١٢١٤ (١) مجموعة الوثائق السياسية: ص ٥٤٢.
١٢١٥ (١) مجموعة الوثائق السياسية: ص ٥٤٣.

فلما وقعت ليلة الهرير و قتل من أشرف الشّام و العراق جمع كثير و قتل من سائر النّاس جمع لا يحصى و لاح علائم الفتح لأهل العراق و آثار الدّلّ و الهوان و الدمار في أهل الشّام، فقال علىّ عليه السلام:

اغدّوا عليهم إن شاء الله تعالى اضطربت أقدامهم، وسقط في أيديهم.

فشاور معاوية عمرو بن العاص، فأشار عليه برفع المصاحف، فأمر أهل الشّام أن يرفعوا المصاحف على الرّماح، فرفعوا المصاحف على الرّماح، فرفعوها و استقبلوا عساكر أهل العراق بمصاحفهم، و استقبلوا علىّ عليه السلام بمائة مصحف، و وضعوا في كل مجنبه مائتي مصحف، و كان جميعاً خمسمائة مصحف، و هم يقولون:

يا معشر العرب، الله الله في نسائكم و بناتكم، فمن للروم و الأتراك و أهل فارس غداً إذا فنيتم، الله الله في دينكم، هذا كتاب الله بيننا و بينكم.^{١٢١٨} فقال عمرو حينما شاوره فأشار عليه بما أشار:

إنّ رجالك لا يقومون لرجاله، و لست مثله، هو يقاتلك على أمر، و أنت تقاتله على غيره، أنت تريد البقاء، و هو يريد الفناء، و أهل العراق يخافون منك إن ظفرت بهم، و أهل الشّام لا يخافون عليّ إن ظفر بهم، و لكن ألق إليهم أمراً إن قبلوه اختلفوا، و إن ردّوه ادعهم إلى كتاب الله حكماً فيما بينك و بينهم، فإنك بالغ به حاجتك في القوم، فإنّي لم أزل أؤخّر هذا الأمر لوقت حاجتك إليه، فعرف ذلك معاوية فقال: صدقت.^{١٢١٩}

نجح معاوية في احتياله و خدعه، لا سيّما مع ما عمله أيادي معاوية في عساكر

أمير المؤمنين كالأشعث و ... و جهل النّاس بما دبر و سيقع.

قال نصر: عمرو بن شمر، عن جابر، عن الشّعبيّ، عن صعصعة، قال: قام الأشعث بن قيس الكنديّ ليلة الهرير في أصحابه من كندة، فقال: الحمد لله، أحمده و أستعينه، و أومن به، و أتوكّل عليه، و أستنصره، و أستغفره، و أستخيره، و أستهديه، (و أستشيره و أستشهد به)، فإنّه من يهد الله فلا مضلّ له، و من يضلّ فلا هادي له، و أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، و أشهد أن محمداً عبده و رسوله صلى الله عليه و آله.

^{١٢١٦} (٢) راجع: وقعة صفين: ص ٥١١.

^{١٢١٧} (٣) راجع: وقعة صفين: ص ٥٥٨.

^{١٢١٨} (١) راجع: وقعة صفين: ص ٤٧٨، بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٥٣٠ ح ٤٤٧؛ الأخبار الطوال: ص ١٨٩، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٢١٢.

^{١٢١٩} (٢). وقعة صفين: ص ٤٧٦ و ٤٧٧.

ثُمَّ قَالَ: قَدْ رَأَيْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ مَا قَدْ كَانَ فِي يَوْمِكُمْ هَذَا الْمَاضِي، وَ مَا قَدْ فُئِيَ فِيهِ مِنَ الْعَرَبِ، فَوَ اللَّهُ، لَقَدْ بَلَغَتْ مِنْ السَّنِّ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أُبْلَغَ، فَمَا رَأَيْتُمْ مِثْلَ هَذَا الْيَوْمِ قَطُّ. أَلَا فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، أَنَا إِنْ نَحْنُ تَوَاقَفْنَا غَدًا إِنَّهُ لِفَنَاءِ الْعَرَبِ وَ ضِيْعَةِ الْحُرْمَاتِ.

أَمَا وَ اللَّهُ، مَا أَقُولُ هَذِهِ الْمَقَالَةَ جَزَعًا مِنْ الْحَتْفِ، وَ لَكِنِّي رَجُلٌ مُسِينٌ أَخَافُ عَلَى (النِّسَاءِ وَ) الذَّرَارِي غَدًا إِذَا فَنِينَا، اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي قَدْ نَظَرْتُ لِقَوْمِي، وَ لِأَهْلِ دِينِي فَلَمْ أَلْ، وَ مَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ إِلَيْهِ أُنِيبُ، وَ الرَّأْيُ يُخْطِئُ وَ يُصِيبُ؛ وَ إِذَا قَضَى اللَّهُ أَمْرًا أَمْضَاهُ عَلَى مَا أَحَبَّ الْعِبَادُ أَوْ كَرِهُوا. أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ (الْعَظِيمِ) لِي وَ لَكُمْ.

قَالَ صَعْصَعَةُ: فَانطَلَقْتُ عُيُونَ مُعَاوِيَةَ إِلَيْهِ بِخُطْبَةٍ الْأَشْعَثِ، فَقَالَ: أَصَابَ وَ رَبِّ الْكِعْبَةِ، لَيْسَ نَحْنُ التَّقِينَا غَدًا لِتَمِيلَنَّ الرُّومُ عَلَى ذَرَارِينَا وَ نِسَائِنَا، وَ لَتَمِيلَنَّ أَهْلُ فَارِسَ عَلَى نِسَاءِ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَ ذَرَارِيهِمْ، وَ إِنَّمَا يُبْصِرُ هَذَا ذَوُو الْأَحْلَامِ وَ النَّهْيِ.

ارْبِطُوا الْمَصَاحِفَ عَلَى أَطْرَافِ الْقَنَا.

قَالَ صَعْصَعَةُ: فَتَارَ أَهْلُ الشَّامِ فَنَادُوا فِي سَوَادِ اللَّيْلِ: يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ، مَنْ لِيذَرَارِينَا إِنْ قَتَلْتُمُونَا؟ وَ مَنْ لِيذَرَارِيكُمْ إِنْ قَتَلْنَاكُمْ؟ اللَّهُ اللَّهُ فِي الْبَقِيَّةِ.

ص: ٤١٦

فَأَصْبَحَ أَهْلُ الشَّامِ، وَ قَدْ رَفَعُوا الْمَصَاحِفَ عَلَى رِعُوسِ الرِّمَاحِ وَ قَلْدُوهَا الْخَيْلِ، وَ النَّاسُ عَلَى الرَّيَاطِ قَدْ اشْتَهَوْا مَا دَعَا إِلَيْهِ، وَ رَفَعَ مُصْحَفُ دِمَشْقِ الْأَعْظَمِ تَحْمِيلُهُ عَشْرَةَ رِجَالٍ عَلَى رِعُوسِ الرِّمَاحِ، وَ نَادُوا: يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ، كِتَابُ اللَّهِ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ.

وَ أَقْبَلَ أَبُو الْأَعْوَرِ السَّلْمِيُّ عَلَى بَرْدُونَ أَبِيضٍ، وَ قَدْ وَضَعَ الْمُصْحَفَ عَلَى رَأْسِهِ يُنَادِي: يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ، كِتَابُ اللَّهِ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ.

وَ أَقْبَلَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنْ كَانَ أَهْلُ الْبَاطِلِ لَا يَقُومُونَ بِأَهْلِ الْحَقِّ، فَإِنَّهُ لَمْ يُصَبِّ عَصَبَةٌ مِنَّا إِلَّا وَ قَدْ أَصِيبَ مِثْلُهَا مِنْهُمْ، وَ كُلُّ مَقْرُوحٍ، وَ لَكِنَّا أَمْتَلُ بَقِيَّةً مِنْهُمْ.

وَ قَدْ جَزَعَ الْقَوْمُ وَ لَيْسَ بَعْدَ الْجَزَعِ إِلَّا مَا تَحَبَّ، فَنَاجَزَ الْقَوْمَ، فَقَامَ الْأَشْتَرُ النَّخَعِيُّ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ مَعَاوِيَةَ لَا خَلْفَ لَهُ مِنْ رِجَالِهِ، وَ لَكَ بِحَمْدِ اللَّهِ الْخَلْفَ، وَ لَوْ كَانَ لَهُ مِثْلُ رِجَالِكَ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِثْلُ صَبْرِكَ وَ لَا بَصْرِكَ، فَافْرَعِ الْحَدِيدَ بِالْحَدِيدِ، وَ اسْتَعِنَ بِاللَّهِ الْحَمِيدِ.

ثُمَّ قَامَ عَمْرُو بْنُ الْحَمِيقِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّا وَ اللَّهُ، مَا أَجْبَنَّاكَ وَ لَا نَصْرْنَاكَ عَصَبِيَّةً عَلَى الْبَاطِلِ، وَ لَا أَجْبَنَّا إِلَّا اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ، وَ لَا طَلَبْنَا إِلَّا الْحَقَّ، وَ لَوْ دَعَانَا غَيْرُكَ إِلَى مَا دَعَوْتَ إِلَيْهِ لِاسْتَشْرَى فِيهِ اللَّجَاجِ، وَ طَالَتْ فِيهِ النَّجْوَى؛ وَ قَدْ بَلَغَ الْحَقُّ مَقْطَعَهُ، وَ لَيْسَ لَنَا مَعَكَ رَأْيٌ.

فقام الأشعث بن قيس مغضباً، فقال: يا أمير المؤمنين، إننا لك اليوم على ما كنا عليه أمس، و ليس آخر أمرنا كأولّه، و ما من القوم أحدٌ أحنى على أهل العراق و لا أوترَ لأهل الشام مني؛ فأجِبَ القومَ إلى كتاب الله، فإنك أحنُّ به منهم، و قد أحبَّ الناس البقاءَ و كرهوا القتال.^{١٢٢٠}

ص: ٤١٧

فلما تداعى الناس إلى الصلح بعد رفع المصاحف، و تكلم من تكلم من الفريقين، و تكلم كردوس بن هانئ البكري، و شقيق بن ثور البكري، و خريث بن جابر، و خالد بن المعمر، و الحُضين الربيعي، و رفاعه بن شداد، و ابن عباس، و الأشتر، و سفیان بن ثور، و سهيل بن حنيف، و عدي بن حاتم، و عمرو بن الحمق. فمال الأشتر و عدي، و كردوس بن هانئ، و خريث بن جابر و الحُضين بن الربيعي إلى الحرب، و مال الأشعث، و شقيق، و خالد بن المعمر إلى المودة.^{١٢٢١}

قال عليّ عليه السلام حين رفعت المصاحف:

«اللهم إنك تعلم أنهم ما الكتاب يريدون، فاحكم بيننا وبينهم، إنك أنت الحكم الحق المبين.»^{١٢٢٢}

و قال عليه السلام بعد اختلاف أصحابه:

«إنه لم يزل أمرى معكم على ما أحبُّ إلى أن أخذت منكم الحرب، وقد والله أخذت منكم وتركت، وأخذت من عدوكم فلم تترك، وإنما فيهم أنكى وأنهك. ألا إنني كنتُ أمس أمير المؤمنين، فأصبحتُ اليوم مأموراً، و كنتُ ناهياً، فأصبحتُ منهيّاً، و قد أحببتُ البقاء، و ليس لي أن أحملكُم على ما تكرهون.»^{١٢٢٣}

و قد دعى معاوية عليّاً عليه السلام إلى متاركة الحرب على أن يكون له الشام، فأبى عليّ عليه السلام، فتكلم رؤساء القبائل، و طال الكلام فيما بينهم بالخطب و الأشعار.^{١٢٢٤}

ص: ٤١٨

خطبة علي في التحكيم

و في حديث عمر بن سعد، لما رفع أهل الشام المصاحف على الرماح يدعون إلى حكم القرآن، قال عليّ عليه السلام:

^{١٢٢٠} (١) وقعة صفين: ص ٤٨٠ - ٤٨٢.
^{١٢٢١} (١) راجع: وقعة صفين: ص ٤٨٤ - ٤٨٨؛ الأخبار الطوال: ص ١٨٩، الفتوح: ج ٣ ص ١٨٣ و ١٨٤، الإمامة و السياسة: ج ١ ص ١٣٩، المعيار و الموازنة: ص ١٦٢ - ١٦٧.
^{١٢٢٢} (٢) وقعة صفين: ص ٤٧٨، بحار الأنوار: ج ٢ ص ٢٤٦؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٢١٢.
^{١٢٢٣} (٣) وقعة صفين: ص ٤٨٤ و راجع: نهج البلاغة: الخطبة ٢٠٨، بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٥٣٥؛ مروج الذهب: ج ٢ ص ٤٠٠، الإمامة و السياسة: ج ١ ص ١٣٨.
^{١٢٢٤} (٤) راجع: وقعة صفين: ص ٤٨٢ - ٤٨٩.

«عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي أَحَقُّ مَنْ أَجَابَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ، وَلَكِنَّ مَعَاوِيَةَ، وَعَمْرُوبَ الْعَاصِ، وَابْنَ أَبِي مُعَيْطٍ، وَحَبِيبَ بْنَ مَسْلَمَةَ، وَابْنَ أَبِي سَرْحٍ، لَيْسُوا بِأَصْحَابِ دِينٍ وَلَا قُرْآنٍ، إِنِّي أَعْرِفُ بِهِمْ مِنْكُمْ، صَحِبْتُهُمْ أَطْفَالًا، وَصَحِبْتُهُمْ رِجَالًا، فَكَانُوا شَرَّ أَطْفَالٍ، وَشَرَّ رِجَالٍ، إِنَّهَا كَلِمَةٌ حَقٌّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ، إِنَّهُمْ وَاللَّهِ، مَا رَفَعُوها أَنَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا وَيَعْمَلُونَ بِهَا، وَلَكِنَّهَا الْخَدِيعَةُ، وَالْوَهْنُ، وَالْمَكِيدَةُ.

أَعِيرُونِي سِوَاعِدَّتِكُمْ وَجَمَاعَتِكُمْ سَاعَةً وَاحِدَةً، فَقَدْ بَلَغَ الْحَقُّ مَقْطَعَهُ، وَلَمْ يَبْقَ أَنْ يَقْطَعَ دَابِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا».

فجاءه زهاء عشرين ألفاً مقتنعين في الحديد شاكي السلاح، سيوفهم على عواتقهم، و قد اسودت جباههم من السجود، يتقدمهم مسعر بن قذكى، و زيد بن حصين، و عصابة من القراء الذين صاروا خوارج من بعد، فنادوه باسمه لا بامرؤ المؤمنين: يا على، أجب القوم إلى كتاب الله إذ دُعيت إليه، و إلّا قتلناك، كما قتلنا ابن عفان، فو الله، لنفعلنّها إن لم تُجيبهم.

فقال لهم:

«وَيْحَكُمْ، أَنَا أَوْلُ مَنْ دَعَا إِلَى كِتَابِ اللَّهِ، وَأَوْلُ مَنْ أَجَابَ إِلَيْهِ، وَلَيْسَ يَجِلُّ لِي، وَلَا يَسْعُنِي فِي دِينِي أَنْ أَدْعَى إِلَى كِتَابِ اللَّهِ فَلَا أَقْبَلُهُ، إِنِّي إِنَّمَا أَقَاتِلُهُمْ لِيَدِينُوا بِحُكْمِ الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُمْ قَدْ عَصَوْا اللَّهَ فِيمَا أَمَرَهُمْ، وَنَقَضُوا عَهْدَهُ، وَنَبَذُوا كِتَابَهُ، وَلَكِنِّي قَدْ أَعْلَمْتُكُمْ أَنَّهُمْ قَدْ كَادُوكُمْ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا الْعَمَلَ بِالْقُرْآنِ يُرِيدُونَ».

قالوا: فابعث إلى الأشتر ليأتيك، و قد كان الأشتر صبيحة ليل الهرير قد أشرف على عسكر معاوية ليُدخله.^{١٢٢٥}

ص: ٤١٩

قال نصر: فحدثني فضيل بن خديج، عن رجلٍ من النخع، قال: رأيت إبراهيم بن الأشتر دخل على مصعب بن الزبير فسأله عن الحال كيف كانت، فقال: كنت عند عليّ حين بعث إلى الأشتر أن يأتيه، و قد كان الأشتر أشرف على معسكر معاوية ليُدخله، فأرسل إليه عليّ يزيد بن هانئ:

«أَنْ آتِنِي».

فأتاه فبلّغه.

فقال: الأشتر ائتته! فقل له: ليس هذه بالساعة التي ينبغي لك أن تزيلني فيها عن موقفي، إنّي قد رجوت الله أن يفتح لي فلا تعجلني.

^{١٢٢٥} (١). وقعة صفين: ص ٤٨٩ - ٤٩٠ و راجع: بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٥٣٢؛ تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٤٨، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٨٦، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٢١٦، مروج الذهب: ج ٢ ص ٤٠١.

فرجع يزيد بن هانئ إلى عليّ فأخبره، فما هو إلّا أن انتهى إلينا حتّى ارتفع الرَّهَج، وعلت الأصوات من قِبَل الأَشْتَر، وظهرت دلائل الفتح و النَّصر لأهل العِراق، و دلائل الخِذلان و الإِدبار على أهل الشَّام. فقال له القوم: و الله، ما نراك إلّا أمرته بقتال القوم، قال:

«أ رأيتُموني ساررتُ رَسُولي إليه؟ أليس إنَّما كَلَّمته على رؤوسكم غلابيةً وأنتم تسمعون.»

قالوا: فابعث إليه فليأتِكَ، و إلّا فو الله اعتزلناك.

قال:

«ويحك يا يزيد، قل له أقبلُ إليّ، فإنَّ الفتنَةَ قد وقعتْ.»

فأتاه فأخبره، فقال له الأَشْتَر: أ لرفع هذه المصاحف؟ قال: نعم، قال: أما و الله، لقد ظننت أنّها حين رُفعت ستوقع اختلافاً و فرقةً، إنّها من مشورة ابن النَّبغة - يعني عمرو بن العاص - قال: ثمَّ قال ليزيد: ويحك أ لا ترى إلى ما يلقون، أ لا ترى إلى الذي يصنعُ الله لنا، أ يبتغي أن ندع هذا و ننصرف عنه!؟

فقال له يزيد: أ تحبُّ أنّك ظفرت هاهنا و أنّ أمير المؤمنين بمكانه الذي هو به يُفرج عنه، و يُسلم إلى عدوّه!؟

قال: سبحان الله، لا و الله ما أحبُّ ذلك.

ص: ٤٢٠

قال: فإنَّهم قالوا: لترسلنَّ إلى الأَشْتَر فليأتينك، أو لنقتلنك بأسيافنا كما قتلنا عثمان، أو لنسلمنك إلى عدوك.

قال: فأقبل الأَشْتَر حتّى انتهى إليهم، فصاح فقال: يا أهل الذلِّ و الوهن، أ حين علوتم القومَ فظننوا أنّكم لهم قاهرون و رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها؟! و قد و الله، تركوا ما أمر الله به فيها، و سنَّه من أنزلت عليه، فلا تجيبوهم. أمهلوني فوّاقاً^{١٢٢٦}، فإنّي قد أحسستُ بالفتح.

قالوا: لا. قال: فأمهلوني عدوةً الفرس، فإنّي قد طمعت في النَّصر.

قالوا: إذن ندخل معك في خطيبتك.

قال: فحدّثوني عنكم - و قد قُتل أمائلكم و بقي أراذلكم - متى كنتم محقّين، أ حين كنتم تقتلون أهل الشَّام، فأنتم الآن حين أمسكتم عن القتال مبطلون، أم أنتم الآن في إمساككم عن القتال محقّون؟ فقتلاكم إذن الذين لا تنكرون فضلهم و كانوا خيراً منكم في النَّار. قالوا: دعنا منك يا أشتَر، قاتلناهم في الله و ندع قتالهم في الله، إننا لسنا نطيعك فاجتنبنا.

^{١٢٢٦} (١) الفواق، بالضم و بالفتح: ما بين الحلبتين، يقال: انظروني فواق ناقة.

قال: خُدِغْتُمْ و اللّٰهَ فانخدعتم، و دُعِيتُمْ إلى وضع الحرب فأجبتهم، يا أصحاب الجباه السُّود، كُنَّا نظنُّ أنَّ صلاتكم زَهَادَةً في الدُّنْيَا و شوقٌ إلى لقاء اللّٰه، فلا أرى فِرَاركم إلَّا إلى الدُّنْيَا من الموت. أَلَا فُقُبْحًا يَا أَشْبَاهَ النَّيْبِ الْجَلَّالَةِ، مَا أَنْتُمْ بِرَأْيِن بَعْدَهَا عِزًّا أَبَدًا، فابعدوا كما بعد القومُ الظَّالمون.

فَسَبُّوهُ و سَبَّوْهُم، و ضَرَبُوا بِسِيَاطِهِمْ وَجَهَ دَابَّتِهِ، و ضَرَبَ بِسُوطِهِ وَجُوهَ دَوَابِّهِمْ، فَصَاحَ بِهِمْ عَلِيٌّ فَكَفُّوا.

ص: ٤٢١

و قال الأَشْتَرُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، احْمِلِ الصَّفَّ عَلَى الصَّفِّ يُصْرَعِ الْقَوْمَ.

فَتَصَاحُوا: أَنْ عَلِيًّا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ قَبِلَ الْحُكْمَةَ، وَ رَضِيَ بِحُكْمِ الْقُرْآنِ، وَ لَمْ يَسْغُهْ إِلَّا ذَلِكَ.

قال الأَشْتَرُ: إِنْ كَانَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ قَبِلَ وَ رَضِيَ بِحُكْمِ الْقُرْآنِ، فَقَدْ رَضِيْتُ بِمَا رَضِيَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ.

فَأَقْبَلَ النَّاسُ يَقُولُونَ: قَدْ رَضِيَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَدْ قَبِلَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. وَ هُوَ سَاكِتٌ لَا يَبِضُّ^{١٢٢٧} بِكَلِمَةٍ، مُطْرَقٌ إِلَى الْأَرْضِ.^{١٢٢٨}

[لَمَّا قَبِلَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ذَلِكَ، كَرِهَهَا اتَّفَقَ أَهْلُ الشَّامِ عَلَى عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ حَكَمًا]

فَقَالَ الْأَشْعَثُ وَ الْفُرَّاءُ الَّذِينَ صَارُوا خَوَارِجَ فِيمَا بَعْدَ: فَإِنَّا قَدْ رَضِينَا وَ اخْتَرْنَا أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ.

فَقَالَ لَهُمْ عَلِيٌّ:

«إِنِّي لَا أَرْضَى بِأَبِي مُوسَى، وَلَا أَرَى أَنْ أُؤَلِّيَهُ».

فَقَالَ الْأَشْعَثُ، وَ زَيْدُ بْنُ حُصَيْنٍ، وَ مِسْعَرُ بْنُ قَدَكَةَ فِي عَصَابَةِ مَنْ الْفُرَّاءُ: إِنَّا لَا نَرْضَى إِلَّا بِهِ، فَإِنَّهُ قَدْ حَدَّثَنَا مَا وَقَعْنَا فِيهِ.

قال عليّ:

«فَإِنَّهُ لَيْسَ لِي بِرِضًا، وَ قَدْ فَارَقَنِي وَ خَذَلَ النَّاسَ عَنِّي ثُمَّ هَرَبَ، حَتَّى أَمَّنْتَهُ بَعْدَ أَشْهُرٍ. وَلَكِنْ هَذَا ابْنُ عَبَّاسٍ أَوْلِيَهُ ذَلِكَ».

قالوا: و اللّٰه، ما نبالي، أ كنت أنت أو ابن عباس، و لا نريد إلَّا رجلًا هو منك و من

ص: ٤٢٢

^{١٢٢٧} (١) الأَبْيَضُ: السُّكُونُ. (لسان العرب: ج ٧ ص ١١٠).
^{١٢٢٨} (٢). وقعة صفين: ص ٤٩٠ - ٤٩٢، بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٥٣٣ - ٥٣٥ و راجع: تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٤٩، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٨٧، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٢١٩.

معاوية سواءً، و ليس إلى واحد منكما بأدنى من الآخر.

قال عليّ:

«فإنّي أجعل الأشرّ».»

قال نصر: قال عمرو فحدّثني أبو جناب، قال: قال الأشعث: و هل سَعَر الأرض علينا غير الأشرّ، و هل نحن إلّا في حكم الأشرّ ...

و في حديث عمر، قال: قال عليّ:

«قد أبيتم إلّا أبا موسى؟»

قالوا: نعم.

قال:

«فاصنعوا ما أردتُم».»^{١٢٢٩}

قال نصر: و في كتاب عمر بن سعد: «هذا ما تقاضى عليه عليّ أمير المؤمنين»، فقال معاوية: بئس الرجل أنا إن أقررت أنه أمير المؤمنين ثمّ قاتلته.

و قال عمرو: اكتب اسمه و اسم أبيه، إنّما هو أميركم، و أمّا أميرنا فلا.

فلما أعيد إليه الكتاب أمر بمحوه، فقال الأحنف: لا تمحُ اسم إمرة المؤمنين عنك؛ فإنّي أتخوّف إن محوتها إلّا ترجع إليك أبدأ، لا تمحها و إن قتل الناس بعضهم بعضاً.

فأبى مليّا من النهار أن يمحوها، ثمّ إنّ الأشعث بن قيس جاء، فقال: امحُ هذا الاسم. فقال عليّ:

«لا إله إلّا الله، والله أكبر، سنّة بسنّة، أمّا والله، لعلّي يدي دارَ هذا يومَ الحديبية، حين كتبت الكتابَ عن رسولِ الله صلى الله عليه و آله:

ص: ٤٢٣

^{١٢٢٩} (١). وقعة صفين: ص ٤٩٩ - ٥٠٠، بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٥٣٩ - ٥٤٠ و راجع: تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٤٨، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٨٦ و ٣٨٧، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٢٢٨، الفتوح: ج ٤ ص ١٩٧، مروج الذهب: ج ٢ ص ٤٠٢.

هذا ما تصالحَ عليه مُحَمَّدٌ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، فقال سُهَيْلٌ: لا أُجِيبُكَ إلى كتابِ تَسْمَى (فيه) رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ رَسولُ اللَّهِ لَمْ أَقَاتِلْكَ، إِنِّي إِذَا ظَلَمْتُكَ إِنْ مَنَعْتُكَ أَنْ تَطُوفَ بِبَيْتِ اللَّهِ وَأَنْتَ رَسولُ اللَّهِ، وَلَكِنْ اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَجِبْكَ. فقال مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: يا عَلِيُّ إِنِّي لِرَسولِ اللَّهِ، وَإِنِّي لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَلَنْ يَمْحُوَ عَنِّي الرَّسالةَ كِتَابِي إِلَيْهِمْ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، فَاكْتُبْ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ. فَرَاغَنِي الْمَشْرُكُونَ فِي هَذَا إِلَى مُدَّةٍ.

فاليوم أَكْتُبُهَا إلى أَبنائِهِمْ كَمَا كَتَبَهَا رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إلى آبائِهِمْ سُنَّةً وَمَثَلًا.

فقال عَمْرُو بْنُ الْعاصِ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَ مِثْلَ هَذَا شَبَّهْتَنَا بِالْكَفَّارِ وَ نَحْنُ مُؤْمِنُونَ.

فقال لَهُ عَلِيُّ:

«يَا بِنَّ النَّبِغَةَ، وَمَتَى لَمْ تَكُنْ لِلْكَافِرِينَ وَلِيًّا وَلِلْمُسْلِمِينَ عَدُوًّا؟ وَهَلْ تُشَبِّهُ إِلَّا أُمَّكَ الَّتِي وَضَعْتَ بِكَ».

فقام عَمْرُو، فقال: وَ اللَّهِ، لا يَجْمَعُ بَيْنِي وَ بَيْنَكَ مَجْلِسٌ أَبَدًا بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ.

فقال عَلِيُّ:

«وَاللَّهِ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يُظْهِرَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى أَصْحَابِكَ».

قال: وَ جَاءَتْ عِصَابَةُ قَدْ وَضَعُوا سُيُوفَهُمْ عَلَى عَوَاتِقِهِمْ، فقالوا: يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُرْنَا بِمَا شِئْتَ.

فقال لَهُمُ ابْنُ حُنَيْفٍ: أَيُّهَا النَّاسُ، أَتَهْمُوا رَأْيَكُمْ، فَوَ اللَّهِ، لَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَوْمَ الْحَدِيبِيَّةِ، وَ لَوْ نَرَى قِتالًا لِقَاتِلِنَا، وَ ذَلِكَ فِي الصَّلْحِ الَّذِي صالِحَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.^{١٢٣٠}

ص: ٤٢٤

أَوْ عَلِيُّ كُلِّ حَالٍ، لَقَدْ ابْتَلَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأُمُورٍ:

مِنْهَا أَنَّهُ ابْتَلَى بِأَعْدَاءِ لا يَعْتَنِقُونَ مَبْدِئَهُ، وَ لا يَعْتَقِدُونَ أَمْرًا مِنْ مَبْدَأِ وَ مَعادِ، وَ لا يَلْتَزِمُونَ بِقانونِ أَخلاقِي، وَ لا يَتْرُكُونَ ظُلْمًا، وَ لا جورًا، وَ لا جَنائَةً قَلِيلًا وَ لا كَثِيرًا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ كَعَمْرُو بْنِ الْعاصِ، وَ مروانِ، وَ بَسْرِ بْنِ أَرْطَاءِ، وَ زِيادِ...[.

^{١٢٣٠} (١). وقعة صفين: ص ٥٠٨ - ٥٠٩ و راجع: الإرشاد: ج ١ ص ١١٩ - ١٢١، الأمل للطوسي: ص ١٧٨، المناقب لابن شهر آشوب: ج ٣ ص ١٨٣ و ١٨٤، تاريخ البعقوبي: ج ٢ ص ١٨٩، بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٣٣٥ و ٣٥٣ و ٣٥٧ و ٣٥٩ و ٣٦٢؛ تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٥٢، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٨٨، الأخبار الطوال: ص ١٩٤، الفتوح: ج ٤ ص ٢٠١، البداية و النهاية: ج ٧ ص ٢٧٧.

قال أبو جَعْفَرُ الإسكافي مُحَمَّد بن عبد الله المعتزلي: فلم يؤت على رضى الله عنه فى أموره لسوء تدبير كان منه، أو لغلط فى رأى، غير أنه كان يؤثر الصواب عند الله فى مخالفة الرأى، و لا يؤثر الرأى فى مخالفة ربه.

و قد كانت له خاصّة من أهل البصائر و اليقين من المهاجرين و الأنصار، مثل ابن عباس، و عمّار، و المقداد، و أبى أيّوب الأنصارى، و خزيمه بن ثابت، و أبى الهيثم بن التيهان، و قيس بن سعد بن عبادة الأنصارى، و من أشبه هؤلاء من أهل البصيرة و المعرفة، فأفنتهم الحروب و اخترمهم الموت.

و حصل معه من العامّة قوم لم يتمكّن العلم من قلوبهم، تبعوه مع ضعف البصيرة و اليقين، ليس لهم صبر المهاجرين، و لا يقين الأنصار، فطالت بهم تلك الحروب، و اتصلت بعضها ببعض، و فنى أهل البصيرة و اليقين، و بقى من أهل الضعف فى النية، و قصر المعرفة من قد سئمو الحرب، و ضجروا من القتل، فدخلهم الفشل، و طلبوا الراحة، و تعلّقوا بالأعالي، فعندها قام فيهم خطيباً، فقال:

(أيّها النّاسُ المُجتمِعةُ أبادنهم، المُختلفةُ أهواؤهم، كلامكم يوهى الصمّ الصّلاب، وفعلكم يُطمعُ فيكم الأعداء، تقولونَ فى المجلسِ كَيْت و كَيْت، فإذا جاء القتالُ قُلتُم: حيدى حياى ...

(١٣٣١)

أقول: لما انتهت حرب صفين إلى تحكيم الحكّمين، و متاركة الحرب، و كتب

ص: ٤٢٥

الصّلىح على خلاف رأى أمير المؤمنين عليه السلام و أصحابه المخلصين، شرع معاوية فى الإغارة على العراق و الحجاز و اليمن و قتل شيعة على عليه السلام، و تهديم الأمن العام فى البلاد الاسلامية، و قتل النفوس حتّى الأطفال و نهب الأموال.

فأول من أمره معاوية بهذا العمل الشنيع غير الإنسانى و الإسلامى، هو الضحّاك بن قيس فأتى التعلبية و أغار على الحاج، و بعث أمير المؤمنين عليه السلام على أثره حُجر بن عدى رضى الله عنه فى أربعة آلاف حتّى طرده عن بلاد أمير المؤمنين عليه السلام.

قال الثّقفى: أول غارة كانت بالعراق، غارة الضحّاك بن قيس على أهل العراق، و كانت بعد ما حكم الحكمان و قبل قتل أهل النهر، و ذلك أن معاوية لما بلغه أن علياً عليه السلام بعد تحكيم الحكّمين تحمّل إليه مقبلاً فهاله أمره فخرج من دمشق معسكراً، و بعث إلى كور الشّام فصاح فيها: أن علياً قد سار إليكم و كتب إليهم نسخة واحدة فقرأت على النّاس:

«أمّا بعد؛ فإنّا كنّا قد كتبنا بيننا و بين على كتاباً، و شرطنا فيه شروطاً، و حكّمنا رجلين ...»

فاجتمع إليه النَّاسُ من كلِّ كورة، و أرادوا المسير إلى صَفِّين، فاستشارهم، و قال: إنَّ عليًّا قد خرج إليكم مِنَ الكُوفَةِ، و عَهْدُ العاهِدِ بِهِ أَنَّهُ فَارَقَ النُّخَيْلَةَ.

فقال له حَبِيب بن مَسْلَمَةَ: فَإِنِّي أرى أن نخرج حَتَّى نزل منزلنا الَّذِي كُنَّا فيه؛ فإنه منزل مبارك قد متعنا الله به، و أعطانا من عدونا فيه النَّصْف، و قال له عَمْرُو بن العاص: إِنِّي أرى لك أن تسيّر بالجنود، حَتَّى توغلبها في سلطانهم من أرض الجزيرة، فإن ذلك أقوى لجندك، و أذلُّ لِأهلِ حَرْبِكَ.

فقال معاوية: و الله إِنِّي لأعرف أنَّ الرَّأْيَ الَّذِي تقول؛ و لكنَّ النَّاسَ لا يطيقون

ص: ٤٢٤

ذلك، قال عمرو: أَنَّها أرض رفيعة.

فقال معاوية: و الله إنَّ جهد النَّاسِ أن يبلغوا منزلهم الَّذِي كانوا به، يعني صَفِّين.

فمكثوا يجيلون الرَّأْيَ يومين أو ثلاثة، حَتَّى قدمت عليهم عيونهم: أن عليًّا اختلف عليه أصحابه ففارقتهم منهم فرقة أنكرت أمر الحكومة، و أَنَّهُ قد رجع عنكم إليهم فكثرت سرور النَّاسِ بانصرافه عنهم؛ و ما ألقى من الخلاف بينهم.

فلم يزل معاوية معسكرا في مكانه منتظرا لما يكون من عليٍّ و أصحابه، و هل يقبل عليٌّ بالنَّاسِ أم لا؟ فما برح معاوية حَتَّى جاءه الخبر أن عليًّا قد قتل تلك الخوارج و أراد بعد قتلهم أن يقبل إليه بالنَّاسِ و أَنَّهُم استنظروه و دافعوه، فسُرَّ بذلك هو و من قبله من النَّاسِ.

عن عبد الرَّحْمَنِ بن مَسْعَدَةَ الفَزَارِيِّ قال: جاءنا كتاب عَمَّار بن عُقْبَةَ بن أَبِي مُعَيْطٍ مِنَ الكوفة و نحن معسكرون مع معاوية، نتخوف أن يفرغ عليٌّ من خارجته ثم يقبل إلينا و نحن نقول: إنَّ أقبيل إلينا كان أفضل المكان الَّذِي نستقبله به مكاننا الَّذِي لقيناه فيه العام الماضي، و كان في كتاب عَمَّارَةَ:

أَمَّا بعد؛ فإنَّ عليًّا خرج عليه عِلِيَّةُ أصحابه و نَسَّأَهم فخرج إليهم فقتلهم، و قد فسد عليه جنده و أهل مصره و وقعت بينهم العداوة، و تفرَّقوا أشدَّ الفرقة، فأحببت إعلامك لتحمد الله و السَّلام.

قال: فقرأه معاوية عليٌّ و علي أخيه و علي أبي الأَعْوَرِ السَّلْمِيِّ، ثُمَّ نظر إلى أخيه عُقْبَةَ و إلى الوليد بن عُقْبَةَ، و قال للوليد: لقد رضيت أخوك أن يكون لنا عينا، قال:

فضحك الوليد و قال: إنَّ في ذلك أيضا لنفعا ...

قال: فعند ذلك دعا معاوية الضَّحَّاك بن قَيْسِ الفِهْرِيِّ و قال له: سر حَتَّى تمرَّ

بناحيه الكوفه، و ترتفع عنها ما استطعت، فمن وجدته من الأعراب في طاعه على فأغر عليه، و إن وجدت له مسلحه أو خيلا فأغر عليهما، و إذا أصبحت في بلدة فأمس في أخرى، و لا تقيمن لخييل بلغك أنها قد سرحت إليك لتلقاها فتقاتلها، فسرحه فيما بين ثلاثه آلاف إلى أربعة آلاف جريده خيل.

قال: فأقبل الضحّاك يأخذ الأموال و يقتل من لقي من الأعراب، حتّى مرّ بالثعلبيّه فأغار خيله على الحاج فأخذ أمتعتهم، ثمّ أقبل فلقى عمرو بن عميس بن مسعود الدّهليّ، و هو ابن أخي عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله صلى الله عليه و آله، فقتله في طريق الحاج عند القطقطانّه و قتل معه ناس من أصحابه.

قال أبو روق: فحدّثني أبي أنّه سمع عليّا عليه السلام- و قد خرج إلى النّاس- و هو يقول على المنبر:

«يا أهل الكوفه اخرجوا إلى العبد الصّالح عمرو بن عميس، وإلى جيوش لكم قد أصيب منها طرف، اخرجوا فقاتلوا عدوكم وامنعوا حريمكم إن كنتم فاعلين».

قال: فردّوا عليه ردّا ضعيفا و رأى منهم عجزا و فشلا فقال:

«والله لو ددّت أن لي بكلّ مئه رجلٍ منكم رجلاً منهم، ويحكّم اخرجوا معي ثمّ فروا عنّي إن بدا لكم، فو الله ما أكره لقاء ربّي على نيتي وبصيرتي، وفي ذلك روح لي عظيم وفرج من مناجاتكم ومقاساتكم ومداراتكم مثل ما تُدارى البكار العمدّه والثياب المتهترّه، كلّما خيبت من جانب تهتكت على صاحبها من جانب آخر».

ثمّ نزل فخرج يمشى حتّى بلغ العريين، ثمّ دعا حُجر بن عدى الكنديّ من خيله فعقد له رايه على أربعة آلاف، ثمّ سرحه فخرج حتّى مرّ بالسّمّاه، و هي أرض كلب، فلقى بها امراً القيس بن عدى بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم

الكلبي، أصحاب الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فكانوا أدلاءه على طريقه و على المياه، فلم يزل مُغدّاً في أثر الضحّاك حتّى لقيّه بناحيه تدمر، فواقفه فاقتتلوا ساعه، فقتل من أصحاب الضحّاك تسعه عشر رجلاً، و قتل من أصحاب حُجر رجلان: عبد الرحمن و عبد الله الغامدي، و حجز الليل بينهم فمضى الضحّاك، فلمّا أصبحوا لم يجدوا له و لأصحابه أثرا و كان الضحّاك يقول بعد:

أنا الضحّاك بن قيس، أنا أبو أنيس، أنا قاتل عمرو بن عميس.

عن مسعر بن كدام قال: قال عليّ عليه السلام:

«لو ددّت أن لي بأهل الكوفه- أو قال بأصحابي- ألفاً من بني فراس».

عن زَيْدِ بْنِ وَهَبٍ قَالَ: كَتَبَ عَقِيلُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ بَلَغَهُ خِزْلَانُ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَعَصِيَانِهِمْ إِيَّاهُ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَعَبَدَ اللَّهِ عَلِيَّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، مِنْ عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: سَلَامٌ عَلَيْكَ فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ حَارِسُكَ مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَعَاصِمُكَ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ؛ إِنِّي خَرَجْتُ إِلَى مَكَّةَ مُعْتَمِرًا فَلَقَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ فِي نَحْوِ مِنْ أَرْبَعِينَ شَابًا مِنْ أَبْنَاءِ الطَّلَفَاءِ فَعَرَفْتُ الْمُنْكَرَ فِي وُجُوهِهِمْ، فَقُلْتُ لَهُمْ: إِلَى أَيِّنَ يَا أَبْنَاءَ الشَّانِئِينَ؟ أَمْعَاوِيَةَ تَلْحَقُونَ؟ عِدَاوَةٌ وَاللَّهِ مِنْكُمْ قَدِيمًا غَيْرَ مُسْتَنْكَرَةٍ، تُرِيدُونَ بِهَا إِطْفَاءَ نُورِ اللَّهِ وَتَبْدِيلَ أَمْرِهِ، فَأَسْمَعَنِي الْقَوْمُ وَاسْمَعْتُهُمْ. فَلَمَّا قَدِمْتُ مَكَّةَ سَمِعْتُ أَهْلَهَا يَتَحَدَّثُونَ أَنَّ الضَّحَّاكَ بْنَ قَيْسٍ أَعَارَ عَلَى الْحَبِيرَةَ فَاحْتَمَلَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ مَا شَاءَ، ثُمَّ انْكَفَأَ رَاجِعًا سَالِمًا، فَأَفَأَ لِحَيَاةٍ فِي ذَهْرٍ جَرًّا عَلَيْكَ الضَّحَّاكَ، وَمَا الضَّحَّاكَ؟! فَفَعَّ بِقَرْقَرٍ، وَقَدْ تَوَهَّمتُ حَيْثُ بَلَغَنِي

ص: ٤٢٩

ذَلِكَ، أَنَّ شَيْعَتَكَ وَأَنْصَارَكَ خَذَلُوكَ، فَكَتَبَ إِلَيَّ يَا ابْنَ أُمِّي بِرَأْيِكَ، فَإِن كُنْتَ الْمَوْتَ تُرِيدُ تَحَمَّلْتُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّ أَخِيكَ وَوَلَدِ أَبِيكَ فَعَشْنَا مَعَكَ مَا عَشْتُمْ، وَمَتْنَا مَعَكَ إِذَا مِتُّ، فَوَاللَّهِ مَا أَحَبُّ أَنْ أَبْقَى فِي الدُّنْيَا بَعْدَكَ فَوْاقًا، وَأَقْسَمُ بِالْأَعَزِّ الْأَجَلِ أَنَّ عَيْشًا نَعِيشُهُ بَعْدَكَ فِي الْحَيَاةِ لَغَيْرِ هُنِيءٍ وَلَا مَرِيءٍ وَلَا نَجِيعٍ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

فَأَجَابَهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ...»

إِلَى آخِرِ مَا تَقْدُمُ. ١٢٣٢

كَانَتْ هَذِهِ الْوَاقِعَةُ بَعْدَ الْحَكَمِيِّينَ وَقَبْلَ قَتْلِ الْخَوَارِجِ فِي النَّهْرَوَانَ، وَلَكِنَّ ظَاهِرَ كَلَامِ ابْنِ قَتَيْبَةَ خِلَافَهُ، وَإِنَّ الْمَكَاتِبَةَ كَانَتْ فِي أَوَّلِ خُرُوجِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْمَدِينَةِ قَبْلَ حَرْبِ الْجَمَلِ، وَلَكِنَّهُ بَعِيدٌ لِلْغَايَةِ؛ إِذْ غَارَةُ الضَّحَّاكَ كَانَ بَعْدَ الْحَكَمِيِّينَ قِطْعًا، وَقَدْ جُمِعَ فِي الْكِتَابِ - عَلَى نَقْلِ ابْنِ قَتَيْبَةَ - بَيْنَ إِخْبَارِهِ عَنْ خُرُوجِ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ وَغَارَةِ الضَّحَّاكَ ١٢٣٣.

الضَّحَّاكَ بْنُ قَيْسِ الْفَهْرِيِّ أَبُو أَنَيْسِ الَّذِي اشْتَرَكَ مَعَ مَعَاوِيَةَ فِي مِظَالِمِهِ وَجِنَايَاتِهِ، بَلْ فِي مِظَالِمِ يَزِيدِ بْنِ مَعَاوِيَةَ أَيْضًا، إِذْ هُوَ الَّذِي مَهَّدَ الْأَمْرَ لِبَيْعَةِ يَزِيدٍ وَأَقْعَدَهُ عَلَى أَرِيكَةِ الْحُكُومَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَسَلَّطَهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ.

وَلَّاهُ مَعَاوِيَةَ الْكُوفَةَ ثُمَّ عَزَلَهُ ثُمَّ وُلَّاهُ دِمَشْقَ، وَشَهِدَ مَوْتَ مَعَاوِيَةَ، وَصَلَّى عَلَيْهِ وَبَايَعَ النَّاسَ لِيَزِيدِ، فَلَمَّا مَاتَ يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ ثُمَّ مَعَاوِيَةُ بْنُ يَزِيدٍ دَعَا الضَّحَّاكَ إِلَى نَفْسِهِ، ثُمَّ إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ فَقَاتَلَهُ مَرْوَانَ، فَقُتِلَ الضَّحَّاكَ بِمَرْجِ رَاهِطٍ.

١٢٣٢ (١) الغارات: ج ٢ ص ٤١٦ - ٤٣١، بحار الأنوار: ج ٣٤ ص ٣١ - ٢٨ ح ٩٠٤؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢ ص ١١٩ - ١١٣، الأغاني: ج ١٦ ص ٢٨٩، الإمامة والسياسة: ج ١ ص ٧٤ وراجع: أنساب الأشراف: ج ٢ ص ٣٣٢ - ٣٣٣. ١٢٣٣ (٢) راجع: الإمامة والسياسة: ج ١ ص ٩٨؛ قاموس الرجال: ج ٥ ص ٥٣٥.

ص: ٤٣٠

و قال فيه عَقِيل رضى الله عنه عند معاوية: أما والله لقد كان أبوه جَيِّدَ الْأَخْذِ لِعَسْبِ التُّيُوسِ ...

و كان علىّ عليه السلام يلعن جمعا منهم الضَّحَّاك بن قَيْس؛ كان على شرطه معاوية، و له فى الحروب معه بلاء عظيم. و على كل حال، كان الرَّجُل من رجال حكومة معاوية و يزيد، و من مشيّدى بنيانها و دعائمها و أركانها.^{١٢٣٥}

حُجْرُ بنِ عَدِيّ

حُجْرُ بنِ عَدِيّ بن معاوية الكِنْدِيّ، أبو عبد الرَّحْمَنِ، و هو المعروف بحجر الخير، و ابن الأديب^{١٢٣٦} كان جاهلياً إسلامياً^{١٢٣٧}، و قد على النَّبِيّ^{١٢٣٨}، و له صحبة^{١٢٣٩}. من الوجوه المتألّقة فى التَّاريخ الإسلامى، و من القمم الشَّاهقة السَّاطعة فى التَّاريخ الشيعى. جاء إلى النَّبِيّ صلى الله عليه و آله و أسلم و هو لم يزل شاباً. و كان من صفاته: تجافيه عن

ص: ٤٣١

الدُّنيا، و زهده، و كثرة صلاته و صيامه، و استبساله و شجاعته، و شرفه و نُبله و كرامته، و صلاحه و عبادته^{١٢٤٠}. و كان معروفاً بالرُّهْد^{١٢٤١}، مستجاب الدَّعوة لِمَا كان يحمله من روح طاهرة، و قلب سليم، و نقيبة محمودة، و سيرة حميدة^{١٢٤٢}.

و لم يسكت حُجْرُ قطّ أمام قتل الحقّ و إحياء الباطل و الرُّكون إليه. من هنا ثار على عثمان مع سائر المؤمنين المجاهدين^{١٢٤٣}. و لم يألُ جهداً فى تحقيق حاكمية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فعُدّ من خاصّة أصحابه^{١٢٤٤} و شيعته^{١٢٤٥} المطيعين.

^{١٢٣٤} (١) عسبُ الفحل: اجرة ضرايه (مجمع البحرين: ج ٢ ص ١٢١٣ «عَسَبٌ»).
^{١٢٣٥} (٢) راجع: المعارف لابن قتيبة: ص ٤١٢، الإصافية: ج ٣ ص ٣٨٨-٣٨٩، الاستيعاب: ج ٢ ص ٢٩٧-٢٩٨، أسد الغابة: ج ٣ ص ٥٠، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٦ ص ١٥٧-١٦٣؛ قاموس الرجال: ج ٥ ص ٥٣٤.
^{١٢٣٦} (٣) الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ٢١٧، سير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٤٦٣ الرقم ٩٥، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٢ ص ٢١١، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٤ ص ٣٣.
^{١٢٣٧} (٤) المستدرک على الصحيحين: ج ٣ ص ٥٣٤ ح ٥٩٨٣، الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ٢١٧، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٢ ص ٢١١.
^{١٢٣٨} (٥) المستدرک على الصحيحين: ج ٣ ص ٥٣٢ ح ٥٩٧٤، الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ٢١٧، أنساب الأشراف: ج ٥ ص ٢٧٦، سير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٤٦٣ الرقم ٩٥، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٢ ص ٢٠٧، أسد الغابة: ج ١ ص ٦٩٧ الرقم ١٠٩٣.
^{١٢٣٩} (٦) المستدرک على الصحيحين: ج ٣ ص ٥٣٤ ح ٥٩٨٣، سير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٤٦٣ الرقم ٩٥، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٤ ص ١٩٣، الاستيعاب: ج ١ ص ٣٨٩ الرقم ٥٠٥، أسد الغابة: ج ١ ص ٦٩٧ الرقم ١٠٩٣ و فيهما «كان من فضلاء الصحابة».
^{١٢٤٠} (١) سير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٤٦٣ الرقم ٩٥، البداية و النهاية: ج ٨ ص ٥٠.
^{١٢٤١} (٢) المستدرک على الصحيحين: ج ٣ ص ٥٣١، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٢ ص ٢١٢، البداية و النهاية: ج ٨ ص ٥٠.
^{١٢٤٢} (٣) الاستيعاب: ج ١ ص ٣٩١ الرقم ٥٠٥، أسد الغابة: ج ١ ص ٦٩٨ الرقم ١٠٩٣.
^{١٢٤٣} (٤) الجمل: ص ٢٥٥.
^{١٢٤٤} (٥) الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ٢١٨، أسد الغابة: ج ١ ص ٦٩٧ الرقم ١٠٩٣ و فيه «كان من أعيان أصحابه»، الأخبار الطوال: ص ٢٢٤ و فيه «كان من عظام أصحاب عليّ».
^{١٢٤٥} (٦) سير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٤٦٣ الرقم ٩٥.

اشترك حُجْرٌ في حروب الإمام عليه السلام. و كان في الجمل^{١٢٤٦} قائداً على خياله كندة^{١٢٤٧}، و في صفين^{١٢٤٨} أميراً على قبيلته^{١٢٤٩}، و في النهروان قاد ميسرة^{١٢٥٠} الجيش أو ميمنته^{١٢٥١}

ص: ٤٣٢

و كان فصيح اللسان، نافذ الكلام، يتحدث ببلاغة، و يكشف الحقائق بفصاحة. و آية ذلك كلامه الجميل المتبصر في تبيان منزلة الإمام عليه السلام^{١٢٥٢}.

و كان نصير الإمام الوفي المخلص، و المدافع المجده عنه. و لما أغار الضحّاك بن قيس على العراق، أمره الإمام عليه السلام بصدّه، فهزّمه حُجْرٌ ببطولته و شجاعته، و أجبره على الفرار^{١٢٥٣}.

اطّلع حُجْرٌ على مؤامرة قتل الإمام عليه السلام قبل تنفيذها بلحظات، فحاول بكلّ جهده أن يتدارك الأمر فلم يُفلح^{١٢٥٤}. و اغتم لمقتله كثيراً.

و كان من أصحاب الإمام الحسن عليه السلام الغياري الثّابتين^{١٢٥٥}.

و قد جاش دم غيرته في عروقه حين سمع خبر الصّلح، فاعترض^{١٢٥٦}، فقال له الإمام الحسن عليه السلام: لو كان غيرك مثلك لما أمضيتّه^{١٢٥٧}.

و كان قلبه يتفطر ألماً من معاوية. و طالما كان يبرأ من هذا الوجه القبيح لحزب الطلقاء الذي تأمّر على المسلمين، و يدعو عليه مع جمع من الشيعة^{١٢٥٨}. و هو الحزب الذي كان رسول الله صلى الله عليه و آله وصفه بأنه ملعون. و كان حُجْرٌ يقف للدفاع عن العقيدة و أهل البيت عليهم السلام بلا وجلٍ، و يُعنف المُغيّرة الذي كان فريداً في رجسه

ص: ٤٣٣

^{١٢٤٦} (٧). المستدرك على الصحيحين: ج ٣ ص ٥٣٢ ح ٥٩٧٤، الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ٢١٨، أنساب الأشراف: ج ٥ ص ٢٧٦، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٢ ص ٢١٠.

^{١٢٤٧} (٨). الجمل: ص ٣٢٠؛ الأخبار الطوال: ص ١٤٦.

^{١٢٤٨} (٩). المستدرك على الصحيحين: ج ٣ ص ٥٣٢ ح ٥٩٧٤، الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ٢١٨، أنساب الأشراف: ج ٥ ص ٢٧٦، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٢ ص ٢٠٧.

^{١٢٤٩} (١٠). وقعة صفين: ص ١١٧؛ تاريخ خليفة بن خياط: ص ١٤٦، سبب أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٤٦٣ الرقم ٩٥ و فيه «شهد صفين أميراً».

^{١٢٥٠} (١١). الاستيعاب: ج ١ ص ٣٨٩ الرقم ٥٠٥، اسد الغابة: ج ١ ص ٦٩٧ الرقم ١٠٩٣.

^{١٢٥١} (١٢). الأخبار الطوال: ص ٢١٠، الإمامة و السياسة: ج ١ ص ١٦٩.

^{١٢٥٢} (١). الجمل: ص ٢٥٥.

^{١٢٥٣} (٢). الغارات: ج ٢ ص ٤٢٥؛ تاريخ الطبري: ج ٥ ص ١٣٥، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٤٢٦.

^{١٢٥٤} (٣). الإرشاد: ج ١ ص ١٩، المناقب لابن شهر آشوب: ج ٣ ص ٣١٢.

^{١٢٥٥} (٤). أنساب الأشراف: ج ٣ ص ٢٨٠؛ رجال الطوسي: ص ٩٤ الرقم ٩٢٨.

^{١٢٥٦} (٥). أنساب الأشراف: ج ٣ ص ٣٦٥، الأخبار الطوال: ص ٢٢٠، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد:

ج ١٦ ص ١٥.

^{١٢٥٧} (٦). راجع: أنساب الأشراف: ج ٣ ص ٣٦٥.

^{١٢٥٨} (٧). راجع: تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٢٥٦، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٤٨٩.

و قبحه و رذالته، و قد تسلّط على الكوفة في أثناء حكومة الطلقاء، و كان يطعن في عليّ عليه السلام و شيعته^{١٢٥٩}. و ضاق معاوية ذرعاً بحجر و بمواقفه و كشفه الحقائق، و صلابته، و ثباته، فأمر بقتله و تمّ تنفيذ أمره، فاستشهد^{١٢٦٠} ذلك الرجل الصّالح في مَرَجِ عَذْرَاء^{١٢٦١}، سنة ٥١ هـ، مع ثلّة من رفاقه^{١٢٦٢}.

و كان حُجْرٌ وجيهاً عند النَّاسِ، و ذا شخصيّة محبوبه نافذة، و منزلة حسنة، فكَبُرَ عليهم استشهاده^{١٢٦٣}، و احتجّوا على معاوية، و قرّوه على فعله القبيح هذا.

و كان الإمام الحسين عليه السلام^{١٢٦٤} ممّن تألّم كثيراً لاستشهاده، و اعترض على معاوية في رسالة بليغة له أثنى فيها ثناءً بالغاً على حُجْرٍ، و ذكر استفظاعه للظلم، و ذكر معاوية بنكته للعهد، و إراقتة دم حُجْرِ الطّاهر ظلماً و عدواناً. و اعترضت عائشة^{١٢٦٥} أيضاً على معاوية من خلال ذكرها حديثاً حول شهداء مَرَجِ عَذْرَاء^{١٢٦٦}

ص: ٤٣٤

و كان معاوية- على ما اتّصف به من فساد الصّميم- يرى قتل حُجْرٍ من أخطائه، و يعبّر عن ندمه على ذلك^{١٢٦٧}، و قال عند دنوّ أجله: لو كان ناصحاً لمَنعنا من قتله^{١٢٦٨}!

و قتل مُصَنَّبِ بن الزُّبَيْرِ و لَدَى حُجْرٍ: عبيد الله، و عبد الرَّحْمَنِ صبراً^{١٢٦٩}.

و كان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قد أخبر باستشهاده من قبل، و شبّه استشهاده، و صحبه باستشهاد أصحاب الاخدود.

^{١٢٥٩} (١) راجع: أنساب الأشراف: ج ٥ ص ٢٥٢، تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٢٥٤، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٤٨٩.
^{١٢٦٠} (٢) راجع: تاريخ مدينة دمشق: ج ١٢ ص ٢١٧، الاستيعاب: ج ١ ص ٣٨٩ الرقم ٥٠٥.
^{١٢٦١} (٣) عذراء: قرية بَعُوطَة دمشق من إقليم خولان، معروفة، و إليها يُنسب مَرَجٌ. و المَرَجُ: الأرض الواسعة فيها نبت كثير تمرّج فيها الدواب؛ أي تذهب و تجيء (معجم البلدان: ج ٤ ص ٩١ و ج ٥ ص ١٠٠). المستدرك على الصحيحين: ج ٣ ص ٥٣٢ ح ٥٩٧٤، مروج الذهب: ج ٣ ص ١٢، الاستيعاب: ج ١ ص ٣٩٠ الرقم ٥٠٥.
^{١٢٦٢} (٤) راجع: المستدرك على الصحيحين: ج ٣ ص ٥٣٢ ح ٥٩٧٨، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٢ ص ٢١١، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٤ ص ١٩٤، مروج الذهب: ج ٣ ص ١٢ و فيه «سنة ثلاث و خمسين».
^{١٢٦٣} (٥) راجع: الأخبار الطوال: ص ٢٢٤.
^{١٢٦٤} (٦) راجع: أنساب الأشراف: ج ٥ ص ١٢٩، الإمامة و السياسة: ج ١ ص ٢٠٣؛ رجال الكشي: ج ١ ص ٢٥٢ الرقم ٩٩، الاحتجاج: ج ٢ ص ٩٠ ح ١٦٤.
^{١٢٦٥} (٧) راجع: المستدرك على الصحيحين: ج ٣ ص ٥٣٤ ح ٥٩٨٤، أنساب الأشراف: ج ٥ ص ٤٨، تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٢٧٩، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٤ ص ١٩٤، الاستيعاب: ج ١ ص ٣٩٠ الرقم ٥٠٥.
^{١٢٦٦} (٨) راجع: أنساب الأشراف: ج ٥ ص ٢٧٤، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٢ ص ٢٢٦، الإصابة: ج ٢ ص ٣٣ الرقم ١٦٣٤؛ تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٢٣١.
^{١٢٦٧} (٩) راجع: سبب أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٤٦٥ الرقم ٩٥، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٢ ص ٢٢٦، تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٢٧٩، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٤ ص ١٩٤.
^{١٢٦٨} (١٠) راجع: أنساب الأشراف: ج ٥ ص ٢٧٥، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٢ ص ٢٣١.
^{١٢٦٩} (١١) راجع: المستدرك على الصحيحين: ج ٣ ص ٥٣٢ ح ٥٩٧٤، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٢ ص ٢١٠.

في الأُمالي للطوسي عن ربيعه بن ناجذ- بعد غارة سُفَيان بن عوف الغامدي، و استنفار الإمام عليّ عليه السلام النَّاس و تقاعد أصحابه:- قام حُجْر بن عديّ و سَعْد بن قيس فقالا: لا يسوؤكُ اللهُ يا أمير المؤمنين! مُرنا بأمرك نتبعه، فو اللهُ العظيم، ما يعظم جزعنا على أموالنا أن تفرقَ، و لا على عشائنا أن تُقتل في طاعتك^{١٢٧٠}.

و في تاريخ اليعقوبي- في ذكر غارة الضحّاك على القطفانة^{١٢٧١} و دعوته عليه السلام الناس للخروج إلى قتاله: قام إليه حُجْر بن عديّ الكندي فقال: يا أمير المؤمنين! لا قرب الله مني إلى الجنة من لا يحبّ قريبك، عليك بعادة الله عندك؛ فإنّ الحق منصور، و الشهادة أفضل الرّياحين، اندب معي النَّاس المناصحين، و كن لي فئة بكفايتك، و الله فئة الإنسان و أهله، إنّ الشيطان لا يفارق قلوب أكثر الناس حتّى

ص: ٤٣٥

تفارق أرواحهم أبدانهم.

فتهلّل و أثنى على حُجْر جميلًا، و قال: لا حرمك اللهُ الشّهادة؛ فإنّي أعلم أنّك من رجالها^{١٢٧٢}.

و في وقعة صفين عن عبد الله بن شريك: قام حُجْر فقال: يا أمير المؤمنين! نحن بنو الحرب و أهلها، الذين نلقحها و ننتجها، قد ضارستنا و ضارسانها^{١٢٧٣}، و لنا أعوان ذوو صلاح، و عشيرة ذات عدد، و رأى مجرب، و بأس محمود، و أزمّتنا منقادة لك بالسمع و الطاعة؛ فإن شرقت شرقتنا، و إن غربت غربنا، و ما أمرتنا به من أمر فعلناه.

فقال عليّ:

أكل قومك يرى مثل رأيك؟

قال: ما رأيت منهم إلّا حسناً، و هذه يدي عنهم بالسمع و الطاعة، و بحسن الإجابة، فقال له عليّ خيراً^{١٢٧٤}.

و قال الإمام عليّ عليه السلام:

يا أهل الكوفة! سيقتل فيكم سبعة نفرٍ خياركم، مثلهم كمثل أصحاب الاخذود، منهم حُجْر بن الأدبر وأصحابه^{١٢٧٥}.

^{١٢٧٠} (٤). الأُمالي للطوسي: ص ١٧٤ ح ٢٩٣، الغارات: ج ٢ ص ٤٨١ نحوه.
^{١٢٧١} (٥) القطفانة: موضع قرب الكوفة من جهة البرية بالطرف، كان بها سجن النعمان بن المنذر (معجم البلدان: ج ٤ ص ٣٧٤).

^{١٢٧٢} (١). تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ١٩٦.

^{١٢٧٣} (٢) ضارست الامور: جربتها و عرفتها (لسان العرب: ج ٦ ص ١١٨).

^{١٢٧٤} (٣). وقعة صفين: ص ١٠٤.

^{١٢٧٥} (٤). تاريخ مدينة دمشق: ج ١٢ ص ٢٢٧ عن ابن زبير و راجع المناقب لابن شهر آشوب: ج ٢ ص ٢٧٢.

و فى الأغانى عن المُجالِد بن سَعِيد الهمْدانىّ، و الصَّقْعَب بن زُهَيْر، و فُضَيْل بن خَدِيْج، و الحسن بن عُقْبَةَ المرادى: إنَّ المُعْبِرَةَ بن شُعْبَةَ لَمَّا ولى الكوفَةَ كان يقوم على المنبر، فيذمّ علىّ بن أبى طالب و شيعته، و ينال منهم، و يلعن قتله عثمان، و يستغفر لعثمان و يزكّيه، فيقوم حُجْر بن عَدِيّ فيقول:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا

ص: ٤٣٦

قَوِّ امِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ»^{١٢٧٦}

و إني أشهد أنّ من تدمّون أحقّ بالفضل ممّن تُطْرُون، و من تزكّون أحقّ بالذّمّ ممّن تعيبون. فيقول له المُعْبِرَةَ: يا حُجْر! ويحك! اكفف من هذا، و اتق غضبهُ السُّلْطَان و سطوته؛ فإنّها كثيراً ما تقتل مثلك، ثمّ يكفّ عنه.

فلم يزل كذلك حتّى كان المُعْبِرَةَ يوماً فى آخر أيّامه يخطب على المنبر، فنال من علىّ بن أبى طالب عليه السلام، و لعنه، و لعن شيعته، فوثب حُجْر فنعر نعرَةً أسمعته كلّ من كان فى المسجد و خارجه. فقال له: إنك لا تدرى أَيُّها الإنسان بمن تولع، أ و هرمت! مر لنا بأعطيّاتنا و أرزاقنا؛ فإنك قد حبستها عنّا، و لم يكن ذلك لك و لا لمن كان قبلك، و قد أصبحت مولعاً بذمّ أمير المؤمنين و تقرّظ المجرمين.

فقام معه أكثر من ثلاثين رجلاً يقولون: صدق و الله حُجْر! مر لنا بأعطيّاتنا؛ فإنّا لا ننتفع بقولك هذا، و لا يُجدى علينا. و أكثروا فى ذلك.

فنزل المُعْبِرَةَ و دخل القصر، فاستأذن عليه قومه، و دخلوا و لاموه فى احتمالهِ حجراً، فقال لهم: إني قد قتلتته. قال: و كيف ذلك؟! قال: إنه سيأتى أمير بعدى فيحسبه مثلى فيصنع به شبيهاً بما ترونه، فيأخذه عند أول وهلة، فيقتله شرّاً قتلةً.

إنّه قد اقترب أجلى، و ضعف عملى، و ما أحبّ أن أبتدئ أهل هذا المصر بقتل خيارهم، و سفك دمائهم، فيسعدوا بذلك و أشقى، و يعزّ معاوية فى الدّنيا، و يذلّ المُعْبِرَةَ فى الآخرة، سيدكرونى لو قد جرّبوا العمّال^{١٢٧٧}

ص: ٤٣٧

فى الطبقات الكبرى- فى ذكر أحوال حُجْر بن عَدِيّ:- ذكر بعض رواة العلم: أنّه وفد إلى النّبىّ صلى الله عليه و آله مع أخيه هانئ بن عَدِيّ، و شهد حُجْر القادسيّة و هو الذى افتتح مَرَج عَدْرَا، و كان فى ألفين و خمسمائة من العطاء. و كان من أصحاب علىّ بن أبى طالب، و شهد معه الجمل و صفّين.

^{١٢٧٦} (١) النساء: ١٣٥.
^{١٢٧٧} (٢) الأغانى: ج ١٧ ص ١٣٧، أنساب الأشراف: ج ٥ ص ٢٥٢، تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٢٥٤، الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ٤٨٨ كلّها نحوه.

فلما قدم زياد بن أبي سفيان والياً على الكوفة، دعا بحجر بن عديّ فقال:

تعلم أنّي أعرفك، و قد كنت أنا و إيتاك على ما قد علمت- يعني من حبّ عليّ بن أبي طالب- و إنّهُ قد جاء غير ذلك، و
إتني أنشدك الله أن تقطر لي من دمك قطرة فأستفرغه كلّهُ، أمليكَ عليك لسانك، و ليسعك منزلك ...

و كانت الشيعة يختلفون إليه و يقولون: إنّك شيخنا، و أحقّ النَّاس بإنكار هذا الأمر.

و كان إذا جاء إلى المسجد مشوا معه، فأرسل إليه عمرو بن حُرَيْث- و هو يومئذٍ خليفة زياد على الكوفة، و زياد بالبصرة- أبا
عبد الرَّحمن، ما هذه الجماعة و قد أعطيت الأمير من نفسك ما قد علمت؟ فقال للرسول: تُنكرون ما أنتم فيه؟

إليك وراءك أوسع لك، فكتب عمرو بن حُرَيْث بذلك إلى زياد، و كتب إليه: إن كانت لك حاجة بالكوفة فالعجل ...

فأرسل إليه الشرط و البخاريّة فقاتلهم بمن معه، ثمّ انفضوا عنه و اتى به زياد و بأصحابه فقال له: ويلك ما لك؟ فقال: إتني
على بيعتي لمعاوية لا اقبلها و لا أستقبلها، فجمع زياد سبعين من وجوه أهل الكوفة فقال: اكتبوا شهادتكم على حُجْر و
أصحابه، ففعلوا ثمّ وفدهم على معاوية، و بعث بحجر و أصحابه إليه ...

فقال معاوية بن أبي سفيان: أخرجوهم إلى عذرا فاقتلوهم هنالك.

ص: ٤٣٨

قال: فحُمّلوا إليها، فقال حُجْر: ما هذه القرية؟ قالوا: عذراء، قال:

الحمد لله! أما و الله إنني لأؤل مسلم نبيح كلابها في سبيل الله، ثمّ اتى بي اليوم إليها مصفوداً.

و دُفع كلّ رجل منهم إلى رجل من أهل الشّام ليقتله، و دُفع حُجْر إلى رجل من حمير فقدّمه ليقتله فقال: يا هؤلاء،
دعوني أصلي ركعتين، فتركوه فتوضّأ و صلى ركعتين، فطوّل فيهما، فقبل له: طوّلت، أجزعت؟ فانصرف فقال: ما توضّأت
قط إلّا صليت، و ما صليت صلاةً قطّ أخفّ من هذه، و لئن جزعت لقد رأيت سيفاً مشهوراً، و كفنناً منشوراً و قبراً محفوراً.

و كانت عشائرتهم جاءوا بالأكفان، و حفروا لهم القبور، و يقال: بل معاوية أذى حفر لهم القبور و بعث إليهم بالأكفان.

و قال حُجْر: اللهمّ إنّنا نستعديك على امتنا؛ فإنّ أهل العراق شهدوا علينا، و إنّ أهل الشّام قتلونا.

قال: فقبل لحجر: مدّ عنقك، فقال: إنّ ذاك لدمّ ما كنت لأعينَ عليه، فُقِّدَم فُضُرت عنقه.^{١٢٧٨}

عن محمّد قال: لمّا اتى بحجر فامر بقتله، قال: ادفنوني في ثيابي؛ فإنّي ابعث مخصماً.^{١٢٧٩}

^{١٢٧٨} (١). الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ٢١٧ و راجع مروج الذهب: ج ٣ ص ١٢، تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٢٥٦ و ٢٥٧.

في تاريخ الطبري عن أبي إسحاق: بعث زياد إلى أصحاب حُجْر حتى جمع اثني عشر رجلاً في السّجن. ثمّ إنّه دعا رءوس الأرباع، فقال: اشهدوا على حُجْر بما رأيتم منه.

ص: ٤٣٩

فشهد هؤلاء الأربعة: أنّ حُجْرًا جمع إليه الجموع، و أظهر شتم الخليفة، و دعا إلى حرب أمير المؤمنين، و زعم أنّ هذا الأمر لا يصلح إلّا في آل أبي طالب^{١٢٨٠}.

و في الأغاني: كتب أبو بُرْدَة بن أبي موسى: بسم الله الرَّحمن الرَّحيم، هذا ما شهد عليه أبو بُرْدَة بن أبي موسى لله ربّ العالمين؛ شهد أنّ حُجْر بن عدّيّ خلع الطّاعة، و فارق الجماعة، و لعن الخليفة، و دعا إلى الحرب و الفتنة، و جمع إليه الجموع يدعوهم إلى نكث البيعة، و خلع أمير المؤمنين معاوية، و كفر بالله كفره صلعاء^{١٢٨١}.

و في الأغاني: قال لهم- أي لحجْر و أصحابه السّنة- رسولُ معاوية: إنّنا قد امرنا أن نعرض عليكم البراءة من علىّ و اللّعن له؛ فإن فعلتم هذا تركناكم، و إن أبيتم قتلناكم، و أمير المؤمنين يزعم أنّ دماءكم قد حلّت بشهادة أهل مصركم عليكم، غير أنّه قد عفا عن ذلك، فابرعوا من هذا الرّجل يُخلّ سبيلكم.

قالوا: لسنا فاعلين، فأمر بقيودهم فخلّت، و اتى بأكفانهم فقاموا اللّيل كلّهم يُصلّون، فلمّا أصبحوا قال أصحاب معاوية: يا هؤلاء، قد رأيناكم البارحة أطلتم الصّلاة، و أحسنتم الدّعاء، فأخبرونا ما قولكم في عثمان؟ قالوا: هو أوّل من جار في الحكم، و عمل بغير الحقّ. فقالوا: أمير المؤمنين كان أعرف بكم. ثمّ قاموا إليهم و قالوا: تبرءون من هذا الرّجل؟ قالوا: بل نتولّاه^{١٢٨٢}.

و أيضاً في الأغاني: قال لهم حُجْر: دعوني اصلى ركعتين؛ فإنّي و الله ما توضّأت قطّ إلّا صلّيت، فقالوا له: صلّ، فصلّى ثمّ انصرف، فقال: و الله ما

ص: ٤٤٠

صلّيت صلاةً قطّ أقصر منها، و لو لا أن يروا أنّ ما بي جزع من الموت، لأحببت أن أستكثر منها.

ثمّ قال: اللهمّ إنّنا نستعديك على امتنا؛ فإنّ أهل الكوفة قد شهدوا علينا، و إنّ أهل الشّام يقتلوننا، أما و الله لئن قتلتمونا؛ فإنّي أوّل فارس من المسلمين سلك في واديهما، و أوّل رجل من المسلمين نبحته كلابها.

فمشى إليه هدبة بن الفيّاض الأغرّ بالسيف، فأرعدت خصائله^{١٢٨٣}، فقال:

^{١٢٧٩} (٢) الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ٢٢٠.
^{١٢٨٠} (١) تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٢٦٨، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٤٩٦ و راجع البداية و النهاية: ج ٨ ص ٥١.
^{١٢٨١} (٢) الأغاني: ج ١٧ ص ١٤٩، أنساب الأشراف: ج ٥ ص ٢٦٢، تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٢٦٨ عن أبي الكنود.
^{١٢٨٢} (٣) الأغاني: ج ١٧ ص ١٥٥، تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٢٧٥، أنساب الأشراف: ج ٥ ص ٢٦٦ نحوه.
^{١٢٨٣} (١) الخصلة: لحم العضدين و الفخذين و الساقين، و جمعها خصائل (النهاية: ج ٢ ص ٣٨).

كلّاهُ زعمت أنّك لا تجزع من الموت؛ فإنّنا ندعك، فأبرأ من صاحبك. فقال: ما لي لا أجزع، و أنا أرى قبراً محفوراً، و كفنأ منشوراً، و سيفأ مشهورأ، و إنّي و الله إن جزعت لا أقول ما يُسخط الربّ، فقتله^{١٢٨٤}.

و أيضاً في الأغانى عن أبى مِخْنَف عن رجاله: فكان مَنْ قُتِل منهم سبعة نفر:

حُجْر بن عَدِيّ، و شَرِيك بن شَدَّاد الحَضْرَمِيّ، و صَيْفِيّ بن فسيل الشَّيْبَانِيّ، و قَبِيصَةُ بن ضُبَيْعَةَ العَبْسِيّ، و مُحرز بن شهاب المِثْقَرِيّ، و كِدام بن حَيَّان العَنْزِيّ، و عبد الرَّحْمَن بن حِسان العَنْزِيّ^{١٢٨٥}.

و في تاريخ اليعقوبيّ: قالت عائشة لمعاوية حين حجّ، و دخل إليها: يا معاوية، أ قتلت حُجْرأ و أصحابه! فأين عزب حلمك عنهم؟ أما إنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول:

يُقْتَلُ بِمَرْجِ عَذْرَاءٍ نَفْرٌ يَغْضَبُ لَهُمُ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ،

قال: لم يحضرني رجل رشيد، يا أمّ المؤمنين!^{١٢٨٦}

ص: ٤٤١

و في الأغانى عن عبد الملك بن نوفل: كانت عائشة تقول: لو لا أنا لم نُغَيِّر شيئاً قطّ، إلّا آلت بنا الامور إلى أشدّ ممّا كنّا فيه، لغيرنا قتل حُجْر، أما و الله إن كان لمسلماً ما علمته حاجاً معتمراً^{١٢٨٧}.

و في تاريخ اليعقوبيّ: روى أنّ معاوية كان يقول: ما أعدّ نفسي حليماً بعد قتلى حجراً و أصحاب حُجْر^{١٢٨٨}.

و في تاريخ الطبريّ عن ابن سيرين - في معاوية -: بلغنا أنّه لما حضرته الوفاة جعل يُغرغر بالصّوت و يقول: يومى منك يا حُجْر يوم طويل^{١٢٨٩}.

الصَّخَّاکُ بنُ قَيْسِ الهِلَالِيّ

في الكامل في التاريخ: في هذه السنّة (٣٨ هـ) بعد مقتل محمد بن أبى بكر، و استيلاء عمّرو بن العاص على مصر، سيّر معاوية عبد الله بن عمّرو الحَضْرَمِيّ إلى البصرة ... فسار ابن الحَضْرَمِيّ حتّى قدم البصرة ... فخطبهم و قال: إنّ عثمان إمامكم إمام الهدى، قتل مظلوماً، قتله علىّ، فطلبتم بدمه فجزاكم الله خيراً.

^{١٢٨٤} (٢). الأغانى: ج ١٧ ص ١٥٥، تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٢٧٥.
^{١٢٨٥} (٣). الأغانى: ج ١٧ ص ١٥٧، أنساب الأشراف: ج ٥ ص ٢٧١، تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٢٧٧، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٤٩٨.
^{١٢٨٦} (٤). تاريخ اليعقوبيّ: ج ٢ ص ٢٣١، تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٢٥٧، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٥٠٠ كلاهما نحوه و ليس فيهما قوله صلى الله عليه و آله.
^{١٢٨٧} (١). الأغانى: ج ١٧ ص ١٥٨، تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٢٧٩، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٤٩٩.
^{١٢٨٨} (٢). تاريخ اليعقوبيّ: ج ٢ ص ٢٣١.
^{١٢٨٩} (٣). تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٢٥٧ و ٢٧٩، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٥٠٠ كلاهما نحوه.

فقام الضَّحَّاكُ بن قَيْسِ الهَلَالِي، و كان على شُرطَةَ ابن عَبَّاس، فقال: قَبِحَ اللهُ ما جئتنا به و ما تدعوننا إليه، أتيتنا و الله، بمثل ما أتانا به طُلْحَةُ و الزُّبَيْر، أتينا و قد بايعنا علياً و استقامت امورنا، فحملانا على الفرقة حتَّى ضرب بعضنا بعضاً و نحن الآن مجتمعون على بيعته، و قد أقال العثرة، و عفا عن المسيء، أ فتأمرنا أن ننتضى أسيافنا و يضرب بعضنا بعضاً ليكون معاويةً أميراً؟ و الله، ليوم من أيام

ص: ٤٤٢

على خير من معاوية و آل معاوية ... ١٢٩٠

أبو أيوب الأنصاريّ

هو خالد بن زُيد بن كُليب، أبو أيوب الأنصاريّ الخزرجيّ، و هو مشهور بكنيته.

من صحابه رسول الله صلى الله عليه و آله. نزل النبيّ صلى الله عليه و آله في داره عند هجرته إلى المدينة^{١٢٩١}.

شهد أبو أيوب حروب النبيّ جميعها^{١٢٩٢}. و كان بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه و آله من السابقين إلى الولاية، و الثَّابِتِينَ في حماية حقّ الخلافة^{١٢٩٣}، و لم يتراجع عن موقفه هذا قط^{١٢٩٤}. و عُذِّ من الاثنى عشر الذين قاموا في المسجد النبويّ بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه و آله، و دافعوا عن حقّ عليّ عليه السلام بصراحة^{١٢٩٥}.

لم يدع أبو أيوب ملازمة الإمام عليه السلام و صحبته. و اشترك معه في كافة حروبه التي خاضها ضدّ مثيري الفتنة^{١٢٩٦}. و كان على خيالته في النهروان^{١٢٩٧}، و بيده لواء الأمان.

ص: ٤٤٣

ولاه الإمام علي المدينة^{١٢٩٨}، لكنّه فرّ منها حين غارة بسُر بن أرطاة عليها^{١٢٩٩}.

١٢٩٠ (١). الكامل في التاريخ: ج ٦ ص ٤١٥.
١٢٩١ (٢). المعجم الكبير: ج ٤ ص ١١٧ ح ٣٨٤٦، الطبقات الكبرى: ج ١ ص ٢٣٧، تهذيب الكمال: ج ٨ ص ٦٦ الرقم ١٦١٢، تاريخ بغداد: ج ١ ص ١٥٣ الرقم ٧.
١٢٩٢ (٣). راجع: المستدرک على الصحيحين: ج ٣ ص ٥١٨ ح ٥٩٢٩، الطبقات الكبرى: ج ٣ ص ٤٨٤، تهذيب الكمال: ج ٨ ص ٦٦ الرقم ١٦١٢، سير أعلام النبلاء: ج ٢ ص ٤٠٥ الرقم ٨٣.
١٢٩٣ (٤). راجع: رجال الكشي: ج ١ ص ١٨٢ الرقم ٧٨.
١٢٩٤ (٥). راجع: الخصال: ص ٦٠٨ ح ٩، عيون أخبار الرضا: ج ٢ ص ١٢٦ ح ١.
١٢٩٥ (٦). راجع: الخصال: ص ٤٦٥ ح ٤، رجال البرقي: ص ٦٦، الاحتجاج: ج ١ ص ١٩٩ ح ١٢.
١٢٩٦ (٧). الاستيعاب: ج ٢ ص ١٠ الرقم ٦١٨، اسد الغابة: ج ٢ ص ١٢٢ الرقم ١٣٦١، سير أعلام النبلاء: ج ٢ ص ٤١٠ الرقم ٨٣.
١٢٩٧ (٨). تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٨٥، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٤٠٥، الإمامة و السياسة: ج ١ ص ١٦٩.
١٢٩٨ (١). تاريخ الطبري: ج ٥ ص ١٣٩، تاريخ خليفة بن خياط: ص ١٥٢، سير أعلام النبلاء: ج ٢ ص ٤١٠ الرقم ٨٣، الغارات: ج ٢ ص ٦٠٢.
١٢٩٩ (٢). تاريخ الطبري: ج ٥ ص ١٣٩، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٤٣٠، الغارات: ج ٢ ص ٦٠٢.

و عقّد له الإمام عليه السلام فى الأيّام الأخيرة من حياته الشريفة لواءً على عشرة آلاف، ليتوجّه إلى الشّام مع لواء الإمام الحسين عليه السلام، و لواء قيس بن سعد لحرب معاوية، و لكنّ استشهاد الإمام عليه السلام حال دون تنفيذ هذه المهمة، فتفرّق الجيش، و لم يتحقّق ما أرادّه الإمام عليه السلام^{١٣٠٠}.

و كان أبو أيّوب من الصّحابة المكثّرين فى نقل الحديث. و روى فى فضائل الإمام عليه السلام أحاديث جمّة. و هو أحد رواة حديث الغدير^{١٣٠١}، و حديث الثّقلين، و كلام رسول الله صلى الله عليه و آله للإمام عليه السلام حين أمره بقتال النّاكثين، و الفاسطين، و المارقين^{١٣٠٢}، و دعوته صلى الله عليه و آله أبا أيّوب أن يكون مع الإمام عليه السلام^{١٣٠٣}.

توفّى أبو أيّوب بالقسطنطينيّة سنة ٥٢ هـ، عند ما خرج لحرب الروم، و دُفن هناك^{١٣٠٤}

ص: ٤٤٤

فى وقعة صفين عن الأعمش: كتب معاوية إلى أبى أيّوب خالد بن زيد الأنصارى- صاحب منزل رسول الله صلى الله عليه و آله، و كان سيّداً معظماً من سادات الأنصار، و كان من شيعة علىّ عليه السلام- كتاباً، و كتب إلى زياد بن سميّة- و كان عاملاً لعلىّ عليه السلام على بعض فارس- كتاباً؛ فأما كتابه إلى أبى أيّوب فكان سطرّاً واحداً: لا تنسى شيباء أبا عذرتها، و لا قاتل بكرها.

فلم يدر أبو أيّوب ما هو؟ فأتى به عليّاً و قال: يا أمير المؤمنين! إنّ معاوية ابن أكالة الأكباد، و كهف المنافقين، كتب إلى بكتاب لا أدرى ما هو؟ فقال له علىّ:

«وَأَيْنَ الْكِتَابِ؟»

فدفعه إليه فقرأه و قال:

«نَعَمْ، هَذَا مِثْلُ ضَرْبِهِ لَكَ، يَقُولُ: مَا أَنْسَى الَّذِي لَا تَنْسَى، الشَّيْبَاءُ لَا تَنْسَى أبا عذرتها».

و الشيباء: المرأة البكر ليلة افتضاضها، لا تنسى بعلها الذى افترعها أبداً، و لا تنسى قاتل بكرها؛ و هو أول ولدها. كذلك لا أنسى أنا قتل عثمان^{١٣٠٥}.

^{١٣٠٠} (٣). نهج البلاغة: ذيل الخطبة ١٨٢ عن نوف البكالي.
^{١٣٠١} (٤) راجع: رجال الكشي: ج ١ ص ٢٤٦ الرقم ٩٥؛ اسد الغابة: ج ٣ ص ٤٦٥ الرقم ٣٣٤٧، تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٢ ص ٢١٤.
^{١٣٠٢} (٥) راجع: المستدرک على الصحيحين: ج ٣ ص ١٥٠ الرقم ٤٦٧٤، تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٢ الرقم ٤٧٢، البداية و النهاية: ج ٧ ص ٣٠٧.
^{١٣٠٣} (٦) تاريخ بغداد: ج ١٣ ص ١٨٦ و ج ١٨٧ ص ٧١٦٥، تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٢ ص ٤٧٢.
^{١٣٠٤} (٧) راجع: المستدرک على الصحيحين: ج ٣ ص ٥١٨ ح ٥٩٢٩، الطبقات الكبرى: ج ٣ ص ٤٨٥، المعجم الكبير: ج ٤ ص ١١٨ ح ٣٨٥٠ و فيه «سنة ٥١ هـ» و ح ٣٨٥١ و فيه «سنة ٥٠ هـ» و راجع سير أعلام النبلاء: ج ٢ ص ٤١٢ الرقم ٨٣، الاستيعاب: ج ٢ ص ١٠ الرقم ٦١٨.
^{١٣٠٥} (١). وقعة صفين: ص ٣٦٦.

أبو الهيثم

هو مالك بن التَّيْهَانِ بن مالك أبو الهَيْثَمِ الأَنْصَارِيُّ، وهو مشهور بكنيته. من أوائل الأنصار الذين أسلموا في مكة قبل هجره النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ^{١٣٠٦}. وكان قبل الإسلام موحداً أيضاً ولم يعبد الأصنام.^{١٣٠٧} وشهد مشاهد النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ جميعها^{١٣٠٨}، وهو ممتن

ص: ٤٤٥

روى حديث الغدير^{١٣٠٩}.

وكان من السَّابِقِينَ فِي مَعْرِفَةِ الْحَقِّ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؛ إِذْ سَبَقَ إِلَى مَعْرِفَةِ خِلاَفَةِ الْحَقِّ^{١٣١٠}، وَ لَمْ يَتَنَازَلْ عَنْهَا إِلَى غَيْرِهَا^{١٣١١}، وَ هُوَ أَحَدُ الْاِثْنَيْ عَشَرَ الَّذِينَ احْتَجُّوا فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ مَدَافِعِينَ عَنِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَ مَعَارِضِينَ لِتَغْيِيرِ مَسَارِ الْخِلاَفَةِ^{١٣١٢}.

و هكذا كان؛ فقد رافق الإمام عليه السلام منذ بداية تبلور خلافته، و تصدَّى مع عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ لِأَخْذِ الْبَيْعَةِ مِنَ النَّاسِ^{١٣١٣}.

جعلهُ الإمام عليه السلام و عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ عَلَى بَيْتِ الْمَالِ. وَ هُوَ آيَةٌ عَلَى نِزَاهَتِهِ^{١٣١٤}.

وَ عِنْدَ مَا ذَكَرَ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِلَوْعَةِ وَ أَلْمِ- وَ هُوَ فِي وَحْدَتِهِ وَ مَحْنَةُ نُكُولِ أَصْحَابِهِ وَ ضَعْفِهِمْ- أَحْبَبْتَهُ الْمَاضِينَ الَّذِينَ ثَبَتُوا عَلَى الطَّرِيقِ، ذَكَرَ فِيهِمْ مَالِكُ بْنُ التَّيْهَانِ، وَ تَأَسَّفَ عَلَى فَقْدِهِ^{١٣١٥}.

وَ اِخْتَلَفَ الْمُؤَرِّخُونَ فِي وَقْتِ وَفَاتِهِ، لَكِنْ يَسْتَبِينُ مِنْ خُطْبَةِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، الَّتِي ذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَ تَأَوَّهَ عَلَى فَقْدِهِ وَ فَقَدَ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ، وَ حُزِّيْمَةَ بْنَ ثَابِتِ ذِي الشَّهَادَتَيْنِ، قَائِلًا:

«أَيْنَ إِخْوَانِي الَّذِينَ رَكَّبُوا الطَّرِيقَ وَمَضُوا عَلَى الْحَقِّ؟ أَيْنَ عَمَّارٌ؟»

وَ أَيْنَ ابْنُ التَّيْهَانِ؟ وَ أَيْنَ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ؟ وَ أَيْنَ نَظْرًاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ تَعَاقَدُوا عَلَى الْمَنِيَّةِ.

^{١٣٠٦} (٢). الطبقات الكبرى: ج ٣ ص ٤٤٨، سير أعلام النبلاء: ج ١ ص ١٩٠ الرقم ٢٢، الاستيعاب: ج ٣ ص ٤٠٤ الرقم ٢٢٨٦، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٤٠٩.

^{١٣٠٧} (٣). الطبقات الكبرى: ج ٣ ص ٤٤٨، سير أعلام النبلاء: ج ١ ص ١٩٠ الرقم ٢٢.

^{١٣٠٨} (٤). الطبقات الكبرى: ج ٣ ص ٤٤٨، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٣ ص ٢٢١، سير أعلام النبلاء: ج ١ ص ١٩٠ الرقم ٢٢، الاستيعاب: ج ٣ ص ٤٠٤ الرقم ٢٢٨٦.

^{١٣٠٩} (١). الغدير: ج ١ ص ١٦.

^{١٣١٠} (٢) راجع: رجال الكشي: ج ١ ص ١٨١.

^{١٣١١} (٣) راجع: الخصال: ص ٦٠٧ ح ٩، عيون أخبار الرضا: ج ٢ ص ١٢٦ ح ١.

^{١٣١٢} (٤) راجع: الخصال: ص ٤٦٥ ح ٤، الاحتجاج: ج ١ ص ١٩٧ ح ٩، رجال البرقي: ص ٦٦.

^{١٣١٣} (٥). الأمالي للطوسي: ص ٧٢٨ ح ١٥٣٠.

^{١٣١٤} (٦) راجع: الاختصاص: ص ١٥٢.

^{١٣١٥} (٧) راجع: نهج البلاغة: الخطبة ١٨٢.

وَابْرَدَ بِرُؤُوسِهِمْ إِلَى الْفَجْرَةِ؟»

يستبين أنه استشهد في صفين^{١٣١٦}. و به صرح ابن أبي الحديد^{١٣١٧}، و العلامة التستري^{١٣١٨}.

خُزَيْمَةُ بْنُ ثَابِتٍ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ

خُزَيْمَةُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ الْفَاكِهَةِ الْأَنْصَارِيِّ الْأَوْسِيِّ يُكْنَى أَبُو عَمَّارَةَ. وَ يَلْقَبُ بِذِي الشَّهَادَتَيْنِ. مِنْ الشَّخْصِيَّاتِ الْمَتَأَلِّفَةِ بَيْنَ صَحَابَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ.

شهد احداً و بقيّة المشاهد^{١٣١٩}. و إنّما اشتهر بذى الشهادتين؛ لأنّ رسول الله صلى الله عليه و آله جعل شهادته شهادة رجلين^{١٣٢٠}. و كان خُزَيْمَةُ أحد الأفراد القلائل الَّذِينَ ثَبَتُوا عَلَى حَقِّ الْخِلَافَةِ وَ خِلَافَةِ الْحَقِّ بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ^{١٣٢١}، إذ قام في المسجد رافعاً صوته بالدفاع عن خلافة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام. و احتجّ بالمنزلة التي خصّه بها رسول الله صلى الله عليه و آله، فشهد أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله جعل أهل بيته عليهم السلام معياراً لمعرفة الحقّ من الباطل، و نصبهم أئمة على العباد^{١٣٢٢}. و شهد خُزَيْمَةُ حروب أمير المؤمنين عليه السلام و كان ثابت الخُطى فيها. رُزِقَ الشَّهَادَةَ بَعْدَ اسْتِشْهَادِ

عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ^{١٣٢٣}.

فِي رِجَالِ الْكُتُبِ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ: لَمَّا قُتِلَ عَمَّارُ، دَخَلَ خُزَيْمَةُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ فُسَطَاطِهِ، وَ طَرَحَ عَنْهُ سِلَاحَهُ، ثُمَّ شَنَّ عَلَيْهِ الْمَاءَ فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ^{١٣٢٤}.

^{١٣١٦} (١) الطّبقات الكبرى: ج ٣ ص ٤٤٩، الاستيعاب: ج ٣ ص ٤٠٤ الرقم ٢٢٨٦، أسد الغابة: ج ٣ الرقم ٤٥٧٢، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٤٠٩ و فيه «و قيل: عاش بعدها يسيراً».

^{١٣١٧} (٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٠ ص ١٠٨.

^{١٣١٨} (٣) قاموس الرجال: ج ٧ ص ٤٦٢ الرقم ٥١٤١.

^{١٣١٩} (٤) تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٣ ص ٥٦٥.

^{١٣٢٠} (٥) راجع: المستدرك على الصحيحين: ج ٣ ص ٤٤٨ ح ٥٦٩٥، المعجم الكبير: ج ٤ ص ٨٢ ح ٣٧١٢، المصنّف لعبد الرزّاق: ج ١١ ص ٢٣٦ ح ٢٠٤١٦، التاريخ الكبير: ج ٣ ص ٢٠٦ ح ٧٠٤، الطبقات الكبرى: ج ٤ ص ٣٧٩؛ رجال الطوسي: ص ٢٨ الرقم ٢٢٦.

^{١٣٢١} (٦) راجع: الخصال: ص ٦٠٨ ح ٩، عيون أخبار الرضا: ج ٢ ص ١٢٦ ح ١.

^{١٣٢٢} (٧) راجع: الخصال: ص ٤٦٤ ح ٤، الاحتجاج: ج ١ ص ١٩٧ ح ٨، رجال البرقي: ص ٦٥ نحوه.

^{١٣٢٣} (١) تحدّثت بعض النصوص التاريخية عن عدم اشتراك خزيمة في حرب الجمل، و جاء فيها «كان كافاً بسلاحه يوم الجمل و يوم صفين». و قاتل في صفين بعد استشهاده عمّار بن ياسر (راجع: مسند ابن حنبل: ج ٨ ص ٢٠٢ ح ٢١٩٣٢، المستدرك على الصحيحين: ج ٣ ص ٤٤٩ ح ٥٦٩٧، سبّير أعلام النبلاء: ج ٢ ص ٤٨٧ الرقم ١٠٠ و رجال الكشي: ج ١ ص ٢٦٨ الرقم ١٠١). و وردت هذه العبارات في كتب الشيعة و السنة. و راويها هو حفيد خزيمة؛ و هو مجهول، و هذا الكلام لا ينسجم مع شأن خزيمة و جلالته (راجع: قاموس الرجال: ج ٤ ص ١٦٩ - ١٧٤ و ج ٥ ص ٢٦١). مسند ابن حنبل: ج ٨ ص ٢٠٢ ح ٢١٩٣٢، المستدرك على الصحيحين: ج ٣ ص ٤٤٨ ح ٥٦٩٦ و ٥٦٩٧، المعجم الكبير: ج ٤ ص ٨٢ ح ٣٧١١، سبّير أعلام النبلاء: ج ٢ ص ٤٨٧ الرقم ١٠٠؛ رجال الكشي: ج ١ ص ٢٦٨ الرقم ١٠١.

^{١٣٢٤} (٢) رجال الكشي: ج ١ ص ٢٦٧ الرقم ١٠٠.

و فى أصحاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن عبد الرحمن بن أبى ليلى: كنت بصفيين فرأيت رجلاً أبيض اللحية، معتمًا مثلثمًا، ما يرى منه إلا أطراف لحيته، يقاتل أشد قتال، فقلت: يا شيخ! تقاتل المسلمين؟ فحسر لثامه، و قال: أنا خزيمة، سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول:

«قَاتِلْ مَعَ عَلَى جَمِيعٍ مَنِ يُقَاتِلُ»^{١٣٢٥}.

١٢٦ كتابه عليه السلام إلى أبى موسى الأشعريّ

من كتاب له عليه السلام إلى أبى موسى الأشعريّ جواباً فى أمر الحكّمين، ذكره سعيد بن يحيى الأموى فى كتاب المغازى:

«فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ تَغَيَّرَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ حَظِّهِمْ، فَمَالُوا مَعَ الدُّنْيَا وَنَطَقُوا

ص: ٤٤٨

بِالْهَوَى، وَإِنِّي نَزَلْتُ مِنْ هَذَا الأَمْرِ مَنَزِلًا مُعْجَبًا، اجْتَمَعَ بِهِ أَقْوَامٌ أَعْجَبْتُهُمْ أَنْفُسُهُمْ، وَأَنَا أَدَاوِي مِنْهُمْ قَرَحًا أَحَافُ أَنْ يَكُونَ عِلْقًا، وَلَيْسَ رَجُلٌ - فَاغْلَمُ - أَحْرَصَ عَلَى جَمَاعَةٍ أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَالْفَتْيَاهَا مِنِّي، أُبْتَغَى بِذَلِكَ حُسْنَ الثَّوَابِ، وَكَرَمَ المَآبِ، وَسَافَى بِالذِّى وَأَبْتُ عَلَى نَفْسِي، وَإِنْ تَغَيَّرْتُ عَنْ صَالِحٍ مَا فَارَقْتَنِي عَلَيْهِ، فَإِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ حُرِمَ نَفْعَ مَا أُوتِيَ مِنَ العَقْلِ وَالتَّجْرِبَةِ، وَإِنِّي لِأَعْبُدُ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ بِبَاطِلٍ، وَأَنْ أَفْسِدَ أَمْرًا قَدْ أَصْلَحَهُ اللهُ، فَدَعُ مَا لَا تَعْرِفُ، فَإِنَّ شِرَارَ النَّاسِ طَائِرُونَ إِلَيْكَ بِأَقْوَابِلِ السُّوءِ، وَالسَّلَامُ»^{١٣٢٦}.

١٢٧ كتابه عليه السلام إلى أبى موسى الأشعريّ

نقل ابن عبد ربه فى العقد الفريد:

إنَّ أبا موسى بعد قصّة الحكّمين خرّج من فورهِ إلى مكّة مستعيذاً بها من علىّ، و حلف أن لا يكلمه أبداً فأقام بمكّة حيناً حتّى كتّب إليه معاوية:- ثمّ نقل كتاب معاوية إلى أبى موسى، و كتاب أبى موسى إليه فقال:- فبلغ عليّاً كتاب أبى موسى الأشعريّ، فكتّب إليه:

«سَلَامٌ عَلَيْكَ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكَ أَمْرٌ ظَلَمَكَ الهَوَى، وَاسْتَدْرَجَكَ الغُرُورُ، حَقَّقَ بِكَ حُسْنَ الظَّنِّ لَزُومِكَ بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ غَيْرَ حَاجٍّ، وَلَا قَاطِنٍ، فَاسْتَقْبِلِ اللهُ يُقَلِّكَ؛ فَإِنَّ اللهَ يَغْفِرُ وَلَا يَغْفَلُ، وَأَحَبُّ عِبَادِهِ إِلَيْهِ التَّوَابُونَ، وَكُتِبَ سَمَاحٌ بِنِ حَرْبِ».

فكتّب إليه أبو موسى:

^{١٣٢٥} (٣). أصحاب الإمام أمير المؤمنين: ج ١ ص ١٩٠ الرقم ٣٠٢.
^{١٣٢٦} (١). نهج البلاغة: الكتاب ٧٨.

سلام عليكم، فَإِنَّهُ وَاللَّهِ، لَوْ لَا أَنِّي خَشِيتُ أَنْ يَرْفَعَكَ مِنِّي مَنَعُ الْجَوَابِ إِلَى

ص: ٤٤٩

أَعْظَمَ مِمَّا فِي نَفْسِكَ لَمْ أَجِبْكَ، لِأَنَّهُ لَيْسَ لِي عِنْدَكَ عُذْرٌ يَنْفَعُنِي، وَ لَا قُوَّةٌ تَمْنَعُنِي، وَ أَمَّا قَوْلِكَ

«وَلَزُمِي بَيْتَ اللَّهِ الْحَرَامِ غَيْرَ حَاجٍّ وَلَا قَاطِنٍ»،

فَأِنِّي اعْتَرَلْتُ أَهْلَ الشَّامِ، وَ انْقَطَعْتُ عَنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ، وَ أَصَبْتُ أَقْوَاماً صَغَرُوا مِنْ ذَنْبِي مَا عَظَّمْتُمْ، وَ عَظَّمُوا مِنْ حَقِّي مَا صَغَّرْتُمْ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لِي مِنْكُمْ وَلِيٌّ وَ لَا نَصِيرٌ. ١٣٢٧ وَ نَقَلَ أَبِي قَتَيْبَةَ الْكِتَابَ، وَ لَكِنَّهُ نَقَلَهُ بِصُورَةٍ أُخْرَى لَا بَدَّ مِنْ إِيرَادِهَا هُنَا:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكَ أَمْرٌ ضَلَّكَ الْهَوَى، وَ اسْتَدْرَجَكَ الْغُرُورُ، فَاسْتَقْبَلَ اللَّهُ يُقْلِكَ عَشْرَتَكَ، فَإِنَّهُ مَنِ اسْتَقَالَ اللَّهَ أَقَالَهُ، إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ وَ لَا يُغَيِّرُ، وَ أَحَبُّ عِبَادِهِ إِلَيْهِ الْمُتَّقُونَ، وَ السَّلَامُ. ١٣٢٨

١٢٨ كتابه عليه السلام إلى عمرو بن أبي سلمة

[نقل مصنف كتاب معادن الحكمة رحمه الله ١٣٢٩ كتاباً له عليه السلام إلى بعض عمّاله خالياً من ذكر اسم المكتوب إليه، نقله عن السيّد رحمه الله، و لكن نقل اليعقوبي كتاباً له عليه السلام إلى عمرو بن أبي سلمة الأرحبيّ يقرب من الكتاب الّذي نقله المصنف رحمه الله، و يمكن أن يكونا كتاباً واحداً، و إن كان القريب عندي تعدّدهما، لاختلاف مضمونهما كثيراً، و هو:]

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ دَهَاقِينَ عَمَلِكَ شَكُوا غِلْظَتِكَ، وَ نَظَرْتُ فِي أَمْرِهِمْ فَمَا رَأَيْتُ خَيْرًا، فَلَتَكُنْ مَنَزِلَتُكَ بَيْنَ مَنَزِلَتَيْنِ: جَلْبَابُ لَيْنٍ بِطَرْفٍ مِنَ الشَّدَّةِ فِي غَيْرِ ظُلْمٍ وَ لَا نَقْصٍ، فَإِنَّهُمْ أَحْيُونَا صَاحِرِينَ، فَخُذْ مَا لَكَ عِنْدَهُمْ وَ هُمْ صَاحِرُونَ، وَ لَا تَتَّخِذْ

ص: ٤٥٠

مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ: «لَاتَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا» ١٣٣٠، وَ قَالَ عَزَّ وَ جَلَّ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ: «لَاتَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَى أَوْلِيَاءَ» ١٣٣١، وَ قَالَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى: «وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِّنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ» ١٣٣٢، وَ قَرَّعَهُمْ بِخَرَاجِهِمْ. وَ قَابِلُ فِي وَرَائِهِمْ، وَإِيَّاكَ وَ دِمَاءَهُمْ، وَ السَّلَامُ». ١٣٣٣

١٣٢٧ (١). العبد الفريد: ج ٣ ص ٣٤١، جمهرة رسائل العرب: ج ١ ص ٥٠١ الرقم ٤٦١، جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام: ج ٢ ص ٥٢.

١٣٢٨ (٢). الإمامة و السياسة: ج ١ ص ١٦٠.

١٣٢٩ (٣). معادن الحكمة: ج ١ ص ٣٢٢ الرقم ٤٧.

١٣٣٠ (١) آل عمران: ١١٨.

١٣٣١ (٢) المائدة: ٥١.

١٣٣٢ (٣) المائدة: ٥١.

١٣٣٣ (٤). تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٢٠٣.

أو إذا رجعت إلى كتاب **معادن الحكمة** فلسوف ترى فرقاً واضحاً بينهما، يبعد معه اتحادهما ... و لم أجد في المعاجم الموجودة عندي ما يتعلّق بهذا الكتاب، إلّا أنّ في الجمل للمفيد رحمه الله، إنّ كتاب عليّ عليه السلام إلى الكوفة بعد فتح البصرة، أرسله مع عمرو بن أبي سلمة الأرحبيّ.]

١٢٩ كتابه عليه السلام إلى قرظة بن كعب

كتب- يعنى أمير المؤمنين عليه السلام- إلى قرظة بن كعب الأنصارى:

ر

«أما بعد، فإنّ رجالاً من أهل الدّمة من عمليكَ ذكروا نَهراً في أرضهم قد عفا وادّفن، وفيه لهم عِمارة على المُسلمين، فانظُر أنتَ وهم، ثمّ اعمر وأصلح النّهر، فلعمري لأنّ يعمرُوا أحبُّ إلينا من أن يخرجُوا وأن يعجزُوا أو يُقصّروا في واجبٍ من صلاح البلاد، والسّلام».^{١٣٣٤}

[أو توجد صورة أخرى عن **أنساب الأشراف** للبلادريّ،] كتب عليه السلام إلى قرظة بن كعب:

ص: ٤٥١

«أما بعد؛ فإنّ قوماً من أهل عمليكَ أتوني، فذكروا أنّ لهم نَهراً قد عفا ودرّس، وأنهم إن حَفَرُوهُ واستخرَجُوهُ عَمَرَت بلادهم، وقووا على خراجهم، وزاد في أئ المسلمين قبلهم، وسألوني الكتاب إليك لتأخذهم بعَمَلِهِ، وتجمَعهم لِحَفْرِهِ والإنفاقِ عليه، ولستُ أرى أن أجبر أحداً على عملي يكرهه، فادعهم إليك، فإن كان الأمر في النهر على ما وصفوا، فمن أحبّ أن يعمل قَمَرَهُ بالعملي، والنهر لمن عملة دون من كرهه، ولأن يعمرُوا ويقووا أحبُّ إلى من أن يضعفُوا والسّلام».^{١٣٣٥}

قرظة بن كعب الأنصارى

قرظة بن كعب بن نعلبة الأنصارى الخزرجى، يكنى أبا عمر. من صحابة النبي صلى الله عليه و آله ^{١٣٣٦} و فقهاءهم ^{١٣٣٧}. اشترك في غزوة احد و ما تلاها من غزوات ^{١٣٣٨}.

فتح الرى في زمن عمر ^{١٣٣٩}. ولى الكوفة ^{١٣٤٠}، و بهتفبات ^{١٣٤١}، و خراج ما بين

^{١٣٣٤} (٥). تاريخ يعقوبي: ج ٢ ص ٢٠٣.
^{١٣٣٥} (١). أنساب الأشراف: ج ٢ ص ٣٩٠.
^{١٣٣٦} (٢) راجع: المستدرک على الصحيحين: ج ١ ص ١٨٣ ح ٣٤٧، التاريخ الكبير: ج ٧ ص ١٩٣ ح ٨٥٨، الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ١٧، تهذيب الكمال: ج ٢٣ ص ٥٦٣ الرقم ٤٨٦٤، تهذيب التهذيب: ج ٤ ص ٥٢٧ الرقم ٦٥١١.
^{١٣٣٧} (٣). تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٣ ص ٦٦١، تهذيب الكمال: ج ٢٣ ص ٥٦٤ الرقم ٤٨٦٤، الاستيعاب: ج ٣ ص ٣٦٥ الرقم ٢١٩٢، اسد الغابة: ج ٤ ص ٣٨٠ الرقم ٤٢٩١ و فيها «كان فاضلاً».
^{١٣٣٨} (٤). تهذيب الكمال: ج ٢٣ ص ٥٦٣ الرقم ٤٨٦٤، الاستيعاب: ج ٣ ص ٣٦٥ الرقم ٢١٩٢، اسد الغابة: ج ٤ ص ٣٨٠ الرقم ٤٢٩١، الإصابة: ج ٥ ص ٣٢٩ الرقم ٧١١٣.

النهرين في خلافة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام^{١٣٤٢}.

كان مع الإمام عليه السلام في حروبه^{١٣٤٣}، و توفى في أيام خلافة الإمام عليه السلام بالكوفة، فصلّى عليه الإمام عليه السلام^{١٣٤٤}.

في الاستيعاب: ولّاه - قرظة بن كعب الأنصاري - عليّ بن أبي طالب على الكوفة، فلمّا خرج عليّ إلى صفين حمله معه و ولّاه أبا مسعود البدرى^{١٣٤٥}.

و شهد قرظة بن كعب مع عليّ مشاهدته كلّها، و توفى في خلافته في دارٍ ابتناها بالكوفة، و صلّى عليه عليّ بن أبي طالب^{١٣٤٦}.

أبو مسعود البدرى

هو عُقبة بن عمرو بن ثعلبة، أبو مسعود البدرى، و هو مشهور بكنيته.

من صحابة رسول الله صلى الله عليه و آله^{١٣٤٧}. اشترك في حروبه كلّها إلّا بدرأ^{١٣٤٨}. عند ما تقلّد الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أمر الخلافة، قام و أثنى عليه، و عدّ بيعته كبيعة العقبّة، و الرضوان، و حثّ النَّاس على بيعته عليه السلام^{١٣٤٩}.

^{١٣٣٩} (٥). تاريخ الطبري: ج ٤ ص ١٤٨، تهذيب الكمال: ج ٢٣ ص ٥٦٣ الرقم ٤٨٦٤، الاستيعاب: ج ٣ ص ٣٦٥ الرقم ٢١٩٢، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٣ ص ٦٦٢؛ تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ١٥٧.
^{١٣٤٠} (٦). تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٤٩٩، تهذيب الكمال: ج ٢٣ ص ٥٦٤ الرقم ٤٨٦٤، مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٦٨، اسد الغابة: ج ٤ ص ٣٨٠ الرقم ٤٢٩١، تاريخ خليفة بن خياط: ص ١٥٢؛ الجمل: ص ٢٦٥.
^{١٣٤١} (٧) هي ثلاث بهقيادات، و بهقياد: ثلاث كور ببغداد منسوبة إلى قياد بن فيروز والد أنوشروان (راجع: معجم البلدان: ج ١ ص ٥١٦)، وقعة صفين: ص ١١، الأخبار الطوال: ص ١٥٣ و فيه «قرظ بن كعب».
^{١٣٤٢} (١) راجع: أنساب الأشراف: ج ٣ ص ٢٠٥.
^{١٣٤٣} (٢) راجع: الاستيعاب: ج ٣ ص ٣٦٥ الرقم ٢١٩٢، اسد الغابة: ج ٤ ص ٣٨٠ الرقم ٤٢٩١، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٣ ص ٦٦٢ و فيه «ثمّ سار إلى الجمل مع عليّ ثمّ شهد صفين»، تاريخ بغداد: ج ١ ص ١٨٥ الرقم ٢٣ و فيه «كان على راية الأنصار يومئذ» أي يوم صفين.
^{١٣٤٤} (٣). الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ١٧، تاريخ بغداد: ج ١ ص ١٨٥ الرقم ٢٣، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٣ ص ٦٦٢، الاستيعاب: ج ٣ ص ٣٦٥ الرقم ٢١٩٢، تهذيب الكمال: ج ٢٣ ص ٥٦٤ الرقم ٤٨٦٤ و ليس فيه صلاة عليّ عليه السلام.
^{١٣٤٥} (٤). الاستيعاب: ج ٣ ص ٣٦٥ الرقم ٢١٩٢، اسد الغابة: ج ٤ ص ٣٨٠ الرقم ٤٢٩١ و زاد فيه «لمّا سار إلى الجمل» بعد «الكوفة»، تاريخ خليفة بن خياط: ص ١٥٢ نحوه.
^{١٣٤٦} (٥). الاستيعاب: ج ٣ ص ٣٦٥ الرقم ٢١٩٢، اسد الغابة: ج ٤ ص ٣٨٠ الرقم ٤٢٩١، الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ١٧ و ليس فيه صدره.
^{١٣٤٧} (١). المعجم الكبير: ج ١٧ ص ١٩٤ ح ٥١٩، الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ١٦، تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٠ ص ٥٠٧، سبب أعلام النبلاء: ج ٢ ص ٤٩٤ الرقم ١٠٣ و فيه «معدود في علماء الصحابة»، اسد الغابة: ج ٤ ص ٥٥ الرقم ٣٧١٧، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٣ ص ٦٥٨؛ رجال الطوسي: ص ٤٣ الرقم ٣٠٩.
^{١٣٤٨} (٢). الاستيعاب: ج ٣ ص ١٨٤ الرقم ١٨٤٦، اسد الغابة: ج ٤ ص ٥٥ الرقم ٣٧١٧، الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ١٦، تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٠ ص ٥١١. و اختلف في اشتراكه ببدر، راجع: تهذيب التهذيب: ج ٧ ص ٢٠٩ الرقم ٤٨٠٦.

و حين توجه الإمام عليه السلام إلى صفين، استخلفه على الكوفة^{١٣٥٠}. لم يشترك هذا الرجل في حرب من حروب الإمام عليه السلام^{١٣٥١}.

مات أبو مسعود سنة ٤٠ هـ ١٣٥٢

ص: ٤٥٤

١٣٠ كتابه عليه السلام إلى رُفاعة بن شدّاد

إكان رُفاعة بن شدّاد البجليّ - بضمّ الرّاء - من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، و هو أحد أولئك النّفر الذين وُفّقوا لدفن أبي ذرّ مع الأشترّ رحمهم الله، و هو من الفضائل الكبيرة؛ لشهادة الرّسول العظيم بإيمانهم في حديث مشهور بين العامّة و الخاصّة، و قد شهد معه عليه السلام صفين، و كان على بجيلة، و له كلام في رفع أهل الشّام المصاحف.^{١٣٥٣}

ثمّ جعله أمير المؤمنين عليه السلام قاضياً على الأهواز، و كتّب إليه كتاباً في الأحكام، يوصيه فيه بأمر، و قد نقله دعائم الإسلام متفرّقاً، و نقله عنه العلامة المحدّث النّوري في المستدرک، و نهج السّعادة، و لم أجده مجتمعاً، و أشار إليه المحدّث القمّي رحمه الله في سفينة البحار في ترجمه رُفاعة.

ثمّ هو من الذين كتبوا إلى الحسين عليه السلام و لم ينصروه، ثمّ تابوا، و هو من رؤساء التّوابين الذين خرجوا إلى عين الورد، و قاتلوا أهل الشّام، و لكنّه لم يكن مستقتلاً كما، استقتل سُلَيْمان و المُسيّب بن نجبة، و عبد الله بن سعد، و عبد الله بن وال، فلمّا قتل هؤلاء رجع إلى الكوفة، و خرج في أخذ الثّار، و قتل حينئذٍ.^{١٣٥٤}

و هاك نصّ الكتاب، نذكره مجتمعاً و نشير إلى مواضعه من الدّعائم و غيره:

ص: ٤٥٥

«لا تُطَلِّ الدّماء، ولا تُعَطَّلُ الخُدود»^{١٣٥٥}.

^{١٣٤٩} (٣) تاريخ البيهقي: ج ٢ ص ١٧٩.
^{١٣٥٠} (٤) راجع: المستدرک على الصحيحين: ج ٣ ص ١٢٧ ح ٤٦٠٢، المعجم الكبير: ج ١٧ ص ١٩٥ ح ٥٢١، الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ١٦، تاريخ خليفة بن خياط: ص ١٥٢، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٣ ص ٦٥٨، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٤٠٩، سبب أعلام النبلاء: ج ٢ ص ٤٩٥ الرقم ١٠٣؛ وقعة صفين: ص ١٢١.

^{١٣٥١} (٥) راجع: المعجم الكبير: ج ١٧ ص ١٩٥ ح ٥٢١، تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٠ ص ٥٢٢، سبب أعلام النبلاء: ج ٢ ص ٤٩٦ الرقم ١٠٣، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٣ ص ٦٥٨، المستدرک على الصحيحين: ج ٣ ص ١٢٧ ح ٤٦٠٢.
^{١٣٥٢} (٦) الطبقات لخليفة بن خياط: ص ٢٢٩ الرقم ٩٣٣، سبب أعلام النبلاء: ج ٢ ص ٤٩٦ الرقم ١٠٣، و في موته أقوال اخر: «مات أيام علي بن أبي طالب» كما في تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٠ ص ٥١٦ و ٥١٧، و ص ٥١١ و فيه «مات في أول خلافة معاوية»، و قيل «توفي في آخر خلافة معاوية» كما في الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ١٦، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٣ ص ٦٥٩.
^{١٣٥٣} (١) راجع: وقعة صفين: ص ٢٠٥ و ٤٨٨.

^{١٣٥٤} (٢) راجع: رجال الكشي: ج ١ ص ٦٥ الرقم ١١٨، دعائم الإسلام: ج ١ ص ٢٢٧ و ج ٢ ص ١٧٦ و ٤٩٩، الغارات: ج ٢ ص ٧٧٥، بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ٣٦١، ترجمة سفينة البحار: ج ١ مادة «رفع»، قاموس الرجال: ج ٤ ص ١٣٣ و ١٣٤؛ تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٢٧ و ص ٢٣٣ و ص ٤٩٧ و ص ٤٩٩ و ص ٥٤٣ - ٥٦٥ و ص ٥٩٨ - ٦٥٩، مروج الذهب: ج ٣ ص ١٠٣.

«أَقِمِ الْحُدُودَ فِي الْقَرِيبِ يَجْتَنِبْهَا الْبَعِيدُ، لَا تُطَلِّ الدِّمَاءَ، وَلَا تُعْطَلِ الْحُدُودَ»^{١٣٥٦}.

«دَارِي عَنِ الْمُؤْمِنِ مَا اسْتَطَعْتُ، فَإِنَّ ظَهْرَهُ حِمَى اللَّهِ، وَنَفْسَهُ كَرِيمَةٌ عَلَى اللَّهِ، وَلَهُ أَنْ يَكُونَ ثَوَابُ اللَّهِ، وَظَالِمُهُ خَصْمُ اللَّهِ، فَلَا يَكُونُ خَصْمَكَ اللَّهُ»^{١٣٥٧}.

«لَا تَقْضِ وَأَنْتَ غَضَبَانٌ، وَلَا مِنْ النَّوْمِ سَكَرَانٌ»^{١٣٥٨}.

«اعْلَمْ يَا زُفَاعَةَ أَنَّ هَذِهِ الْإِمَارَةَ أَمَانَةٌ، فَمَنْ جَعَلَهَا خِيَانَةً فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ اسْتَعْمَلَ خَائِنًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»^{١٣٥٩}.

«ذَرِ الْمَطَامِعَ، وَخَالِفِ الْهَوَى، وَزَيِّنِ الْعِلْمَ بِسَمْتِ صَالِحٍ، نِعْمَ عَوْنُ الدِّينِ الصَّبْرُ، لَوْ كَانَ الصَّبْرُ رَجُلًا لَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا، وَإِيَّاكَ وَالْمَالَةَ، فَإِنَّهَا مِنَ السُّخْفِ وَالنَّدَالَةِ، لَا تُحْضِرُ مَجْلِسَكَ مَنْ لَا يَشْبَهُكَ، وَتُخَيِّرُ لَوْرِدِكَ، أَقْضِ بِالظَّاهِرِ، وَفَوِّضْ إِلَى الْعَالِمِ الْبَاطِنِ، دَعْ عَنكَ أَظُنُّ وَأَحْسِبُ، وَأَرَى لَيْسَ فِي الدِّينِ إِشْكَالٌ، لَا تُمَارِ سَفِيهَاً، وَلَا فَقِيهَاً، أَمَّا الْفَقِيهُ، فَيُحْرِمَكَ خَيْرَهُ. وَأَمَّا السَّفِيهُ فَيُحْزِنُكَ شَرَّهُ، لَا تُجَادِلْ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، لَا تُعَوِّذْ نَفْسَكَ الضَّحِكَ، فَإِنَّهُ

ص: ٤٥٦

يَذْهَبُ بِالْبِهَاءِ، وَيُجْرَى الْخُصُومَ عَلَى الْاِعْتِدَاءِ.

إِيَّاكَ وَقَبُولَ التَّحَفِ مِنَ الْخُصُومِ، وَحَادِرِ الدُّخْلَةِ، مَنْ ائْتَمَنَ امْرَأَةً حَمَقَاءَ، وَمَنْ شَاوَرَهَا فَقَبِلَ مِنْهَا نَدِمَ، اخْذَرْ مِنْ دَمْعَةِ الْمُؤْمِنِ، فَإِنَّهَا تَقْصِفُ مِنْ دَمْعِهَا، وَتُطْفِئُ بُحُورَ النَّيْرَانِ عَنْ صَاحِبِهَا، لَا تُنْبِزِ الْخُصُومَ، وَلَا تُنْهَرْ السَّائِلَ، وَلَا تُجَالِسْ فِي مَجْلِسِ الْقَضَاءِ غَيْرَ فَقِيهِ، وَلَا تُشَاوِرْ فِي الْفُتْيَا، فَإِنَّمَا الْمَشُورَةُ فِي الْحَرْبِ وَمَصَالِحِ الْعَاجِلِ، وَالدِّينُ لَيْسَ هُوَ بِالرَّأْيِ، إِنَّمَا هُوَ الْاِتِّبَاعُ، لَا تُضَيِّعِ الْفَرَائِضَ، وَتَتَكَلَّفِ عَلَى النَّوَافِلِ، أَحْسِنِ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ، وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ، وَادْعُ لِمَنْ نَصَرَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ وَتَوَاضَعْ لِمَنْ أَعْطَاكَ، وَاشْكُرِ اللَّهَ عَلَى مَا أَوْلَاكَ، وَاحْمَدْهُ عَلَى مَا أَوْلَاكَ.

الْعِلْمُ ثَلَاثَةٌ: آيَةٌ مُحْكَمَةٌ، وَسُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ، وَفَرِيضَةٌ عَادِلَةٌ، وَمَلَكَهِنَّ أَمْرُنَا»^{١٣٦٠}.

«لَا تَسْتَعْمِلِ مَنْ لَا يُصَدِّقُكَ، وَلَا يُصَدِّقُ قَوْلَكَ فِينَا، وَإِلَّا فَاللَّهُ خَصْمُكَ وَطَالِبُكَ، لَا تَوَلَّ أَمْرَ السُّوقِ ذَا بِدْعَةٍ وَإِلَّا فَأَنْتَ أَعْلَمُ»^{١٣٦١}.

^{١٣٥٥} (١) دعائم الإسلام: ج ٢ ص ٤٠٤ ح ١٤١٦.
^{١٣٥٦} (٢) دعائم الإسلام: ج ٢ ص ٤٤٢ ح ١٥٤١، عيون الحكم و المواعظ: ص ٧٩ ح ١٩٢٣، دستور معالم الحكم: ص ٦٠ و فيهما إلى قوله «البيعد»
^{١٣٥٧} (٣) دعائم الإسلام: ج ٢ ص ٤٤٥ ح ١٥٥٣، بحار الأنوار: ج ٤ ص ٧٤ ح ٢٣٠ ح ٢٨ عن كتاب القضاء للصوري و فيه «دار المؤمن» بدل «داري المؤمن» و «فلا تكن خصمه» بدل «فلا يكن خصمك الله»؛ دستور معالم الحكم: ص ١٢٣ و ١٢٤.
^{١٣٥٨} (٤) دعائم الإسلام: ج ٢ ص ٥٣٧ ح ١٩٠٩؛ دستور معالم الحكم: ص ٦٣.
^{١٣٥٩} (٥) دعائم الإسلام: ج ٢ ص ٥٣١ ح ١٨٩٠.
^{١٣٦٠} (١) دعائم الإسلام: ج ٢ ص ٥٣٤ ح ١٨٩٩ راجع: دستور معالم الحكم: ص ٦٣.

«مَنْ تَنَقَّصَ نَبِيًّا فَلَا تُنَاطِرُهُ»^{١٣٦٢}.

عن عليّ عليه السلام أنّه كتب إلى رُفَاعَةَ، و هو رُفَاعَةُ بن شَدَّاد، و كان قاضيا لعلّيّ عليه السلام بالأهواز:

«أَنْ يَأْمُرَ الْقَصَابِينَ أَنْ يُحْسِنُوا الذَّبْحَ، فَمَنْ صَمَّمَ فَلْيُعَاقِبْهُ، وَلْيُلْقِ مَا ذَبَحَ إِلَى الْكِلَابِ»^{١٣٦٣}.

«لَا قِسْمَةَ فِيمَا لَا يَتَّبَعُضُ، يَعْنِي مَا لَا يَتَجَزَّأُ عَلَى أَنْصِبَاءِ الشُّرَكَاءِ»^{١٣٦٤}.

ص: ٤٥٧

«أَدْ أَمَانَتِكَ، وَوَفَّ صَفَقَتِكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ، وَأَحْسِنْ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ، وَكَافِرٍ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ، وَاغْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ، وَادْعُ لِمَنْ نَصَرَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَوَاضَعْ لِمَنْ أَعْطَاكَ، وَاشْكُرِ اللَّهَ كَثِيرًا عَلَى مَا أَوْلَاكَ، وَاحْمَدُهُ عَلَى مَا أَبْلَاكَ»^{١٣٦٥}.

«إِنَّهُ عَنِ الْخُكْرَةِ، فَمَنْ رَكَبَ النَّهْيَ، فَأَوْجِعُهُ، ثُمَّ غَاقِبْهُ بِإِظْهَارِ مَا اخْتَبَرَ»^{١٣٦٦}.

«وَإِيَّاكَ وَالنَّوْحَ عَلَى الْمَيِّتِ بِنَلْدٍ يَكُونُ لَكَ بِهِ سُلْطَانٌ»^{١٣٦٧}.

كَتَبَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى رُفَاعَةَ؛ يَأْمُرُهُ بِطَرْدِ أَهْلِ الذِّمَّةِ مِنَ الصَّرْفِ^{١٣٦٨}.

«لَا حِمَى إِلَّا مَنِ ظَهَرَ مُؤْمِنٍ، وَظَهَرَ فَرَسٍ مُجَاهِدٍ، وَحَرِيمٍ بئرٍ، وَحَرِيمٍ نَهْرٍ، وَحَرِيمٍ حِصْنٍ، وَالْحُرْمَةُ بَيْنَ الرَّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَهِيَ الْحُجُبُ، وَحَرِيمٌ بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، لَا مَرْتَعَ فِيهِ، وَحَرِيمٌ لَا يُؤْمَنُ فِي الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَحَرِيمٌ حَرَمَتُهُ الرَّحِيمُ، وَحَرِيمٌ مَا جَاوَزَ الْأَرْبَعَ مِنَ الْحَرَائِرِ، وَحَرِيمٌ الْقِضَاءُ»^{١٣٦٩}.

عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ:- أَنَّهُ اسْتَدْرَكَ عَلَى ابْنِ هُرْمَةَ خِيَانَةً، وَكَانَ عَلَى سُوْقِ الْأَهْوَازِ، فَكَتَبَ إِلَى رُفَاعَةَ-

«إِذَا قَرَأْتَ كِتَابِي فَنَحِّ ابْنَ هُرْمَةَ عَنِ السُّوقِ، وَأَوْقِفْهُ لِلنَّاسِ، وَاسْجُنْهُ، وَنَادِ عَلَيْهِ، وَاكْتُبْ إِلَى أَهْلِ عَمَلِكَ تَعْلِمُهُمْ رَأْيِي فِيهِ، وَلَا تَأْخُذْ فِيهِ غَفْلَةً وَلَا تَفْرِيطًا فَتَهْلِكَ عِنْدَ اللَّهِ، وَأَغْزِلْكَ أَحْبَثَ عَزْلَهُ، وَأَعِيدُكَ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ

ص: ٤٥٨

١٣٦١ (٢). دعائم الإسلام: ج ٢ ص ٥٣٠ ح ١٨٨٢.
١٣٦٢ (٣). دعائم الإسلام: ج ٢ ص ٤٥٩ ح ١٦١٩.
١٣٦٣ (٤). دعائم الإسلام: ج ٢ ص ١٧٦ ح ٦٣٤، بحار الأنوار: ج ٦٥ ص ٣٢٨ ح ٤٩.
١٣٦٤ (٥). دعائم الإسلام: ج ٢ ص ٤٩٩ ح ١٧٨٢.
١٣٦٥ (١). دعائم الإسلام: ج ٢ ص ٤٨٧ ح ١٧٤١.
١٣٦٦ (٢). دعائم الإسلام: ج ٢ ص ٣٦ ح ٨٠.
١٣٦٧ (٣). دعائم الإسلام: ج ١ ص ٢٢٧، بحار الأنوار: ج ٨٢ ص ١٠١.
١٣٦٨ (٤). دعائم الإسلام: ج ٢ ص ٣٨ ح ٨٦.
١٣٦٩ (٥). دستور معالم الحكم: ص ١١١.

فَأَخْرَجَهُ مِنَ السَّجْنِ وَاضْرِبُهُ خَمْسَةَ وَثَلَاثِينَ سَوْطًا، وَطَفَّ بِهِ إِلَى الْأَسْوَاقِ، فَمَنْ أَتَى عَلَيْهِ بِشَاهِدٍ فَحَلَفَهُ مَعَ شَاهِدِهِ، وَادْفَعْ إِلَيْهِ مِنْ مَكْسَبِهِ مَا شَهِدَ بِهِ عَلَيْهِ، وَمُرَّ بِهِ إِلَى السَّجْنِ مُهَانًا مَقْبُوحًا مَنبُوحًا، وَاحْرَمَ رَجُلِيهِ بِحِرَامٍ، وَأَخْرَجَهُ وَقْتَ الصَّلَاةِ، وَلَا تَحُلْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ يَأْتِيهِ بِمَطْعَمٍ أَوْ مَشْرَبٍ أَوْ مَلْبَسٍ أَوْ مَفْرَشٍ، وَلَا تَدْعُ أَحَدًا يَدْخُلُ إِلَيْهِ مِمَّنْ يَلْقَنُهُ اللَّدْدَ، وَيُرْجِيهِ الْخُلُوصَ، فَإِنْ صَحَّ عِنْدَكَ أَنْ أَحَدًا لَقَّنَهُ مَا يَضُرُّ بِهِ مُسْلِمًا فَاضْرِبْهُ بِالذَّرَّةِ فَاحْبِسْهُ حَتَّى يَتُوبَ، وَمُرَّ بِإِخْرَاجِ أَهْلِ السَّجْنِ فِي اللَّيْلِ إِلَى صَحْنِ السَّجْنِ لِيَتَفَرَّجُوا غَيْرَ ابْنِ هَرْمَةَ، إِلَّا أَنْ تَخَافَ مَوْتَهُ فَتُخْرِجَهُ مَعَ أَهْلِ السَّجْنِ إِلَى الصَّحْنِ، فَإِنْ رَأَيْتَ بِهِ طَاقَةً أَوْ اسْتَطَاعَةً فَاضْرِبْهُ بَعْدَ ثَلَاثِينَ يَوْمًا خَمْسَةَ وَثَلَاثِينَ سَوْطًا بَعْدَ الْخَمْسَةِ وَالثَّلَاثِينَ الْأُولَى، وَاكْتُبْ إِلَيَّْ بِمَا فَعَلْتَ فِي السُّوقِ، وَمَنْ اخْتَرْتَ بَعْدَ الْخَائِنِ، واقطع عن الخائِنِ رزقه.^{١٣٧٠}

أقول: و لم يوجد هذا الكتاب إلَّا في دعائم الإسلام، و في البحار^{١٣٧١} عن كتاب قضاء الحقوق للصوري، و ظاهر الدعائم في الموارد، أنه كتاب واحد مشتمل على أحكام كثيرة، نقله الدعائم متفرقًا، كقوله: «أنه كتب كتابًا إلى رفاعه بن شداد كان فيه»، و قوله: «أنه كتب إلى رفاعه لما استقضاه على الأهواز فيه...»، و العبارات الأخر لا دلالة فيها على وحدة الكتاب، و لا على تعدده، بل المظنون أن الكتاب في ابن هرمة كتاب مستقل، و قد اعترف بما ذكرنا في نهج السعادة، قال:

لم أجد هذا الكتاب إلَّا في دعائم الإسلام، و صاحب الدعائم لم يذكره متواليًا و مُنظَّمًا، بل قسَّمه على الأبواب و المواضيع المختلفة من كتابه، على ما هو ديدن الفقهاء من ذكر كل فقرة من الكلام و الحديث الواحد، في الباب الذي يلائمه ... ثم

ص: ٤٥٩

لا يخفى أنه لا دليل على وحدة الكتاب، بل المظنون أن ما ذكره عليه السلام في قضية ابن هرمة كتاب مستقل...^{١٣٧٢}.

١٣١ كتابه عليه السلام إلى مالك الأشر

من كتاب له عليه السلام كتبه إلى مالك بن الحارث الأشر رحمه الله، و هو عامله على الجزيرة، لما فسدت مصر على محمد بن أبي بكر رحمه الله.

قال: أبو مخنف، عن يزيد بن ظبيان الهمداني ما ملخصه: أنه لما قتل أهل خربنا ابن مزام الكلبى، خرج معاوية بن حديج الكندي السكوني، فدعا إلى الطلب بدم عثمان، فأجابته ناس آخرون، و فسدت مصر على محمد بن أبي بكر، فبلغ عليًا، فقال عليه السلام:

«ما لمصر إلَّا أحدُ الرَّجُلَيْنِ: قَيْسُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ أَوْ مَالِكُ الْأَشْر.»

فلما أنقضى أمر الحكَمَيْنِ، كتَبَ عليٌّ عليه السلام إلى مالك الأشر رحمه الله و هو يومئذٍ بنصيبين:

^{١٣٧٠} (١) دعائم الإسلام: ج ٢ ص ٥٣٢ ح ١٨٩٢.

^{١٣٧١} (٢) بحار الأنوار: ج ٧٤ ص ٢٣٠ ح ٢٨.

^{١٣٧٢} (١) نهج السعادة: ج ٥ ص ٣٨.

«أَمَا بَعْدُ فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَى إِقَامَةِ الدِّينِ، وَأَقْمَعُ بِهِ نَحْوَةَ الْأَثِيمِ، وَأَشُدُّ بِهِ الثَّغَرَ الْمَخُوفِ، وَكُنْتُ وَلِيْتُ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ مِصْرَ، فَخَرَجْتُ عَلَيْهِ بِهَا خَوَارِجٌ، وَهُوَ غُلَامٌ حَدَثٌ، لَيْسَ بِذِي تَجْرِبَةٍ لِلْحَرْبِ، وَلَا بِمُجَرَّبٍ لِلْأَشْيَاءِ، فَأَقْدِمِ عَلَيَّ لِنَنْظَرُ فِي ذَلِكَ فِيمَا يَنْبَغِي، وَاسْتَخْلِفْ عَلَى عَمَلِكَ أَهْلَ الثَّقَةِ وَالنَّصِيحَةِ مِنْ أَصْحَابِكَ، وَالسَّلَامُ».

فَأُقْبِلْ مَالِكَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَحَدَّثَهُ حَدِيثَ أَهْلِ مِصْرَ، وَقَالَ

ص: ٤٦٠

له: «لَيْسَ لَهَا غَيْرُكَ، أَخْرَجَ رَحِمَكَ اللَّهُ، فَإِنِّي إِنْ لَمْ أَوْصِكَ اِكْتَفَيْتُ بِرَأْيِكَ، وَاسْتَعِينُ بِاللَّهِ عَلَى مَا أِهَمَّكَ، فَاحْلُطِ الشَّدَّةَ بِاللَّيْنِ، وَارْفُقْ مَا كَانَ الرَّفْقُ أَوْلَى، وَاعْتَزِمِ بِالشَّدَّةِ حِينَ لَا يُغْنِي عَنْكَ إِلَّا الشَّدَّةُ».

فَخَرَجَ الْأَشْتَرُ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَ أَتَى رَحْلَهُ، وَ تَهَيَّأَ لِلخُرُوجِ إِلَى مِصْرَ، وَ قَدَّمَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامَ أَمَامَهُ كِتَابًا إِلَى أَهْلِ مِصْرَ
١٣٧٣ ...

مَالِكُ الْأَشْتَرِ

هو مالک بن الحارث بن عبد یغوث النخعی الکوفی، المعروف بالأشتر؛ الوجه المشرق، و البطل الّذی لا یقهّر، و اللیث الباسل فی الحروب، و أصلب صحابة الإمام أمير المؤمنين علیه السلام و أثبتهم.

و كان الإمام علیه السلام یثق به و یعتمد علیه، و طالما كان یثنی علی وعیه و خبرته، و بطولته، و بصیرته، و عظمته، و یفتخر بذلك.

و لیس بأیدینا معلومات تُذكر حول بدايات وعیه. و كان أوّل حضوره الجاد فی فتح دمشق و حرب الیرموک^{١٣٧٤}، و فیها اصیبت عینه^{١٣٧٥} فاشتهر بالأشتر^{١٣٧٦}.

و كان مالک یعیش فی الکوفة. و كان طویل القامة، عریض الصدر، طلق

ص: ٤٦١

١٣٧٣ (١). تاریخ الطبری: ج ٤ ص ٩٥ و راجع: الأمالی للمفید: ص ٥٦، الغارات: ج ١ ص ٥٤٧؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٦ ص ٧٤، أنساب الأشراف: ج ٣ ص ١٦٧، الكامل لابن الأثیر: ج ٣ ص ٣٥٢.

١٣٧٤ (٢). تاریخ مدينة دمشق: ج ٥٦ ص ٣٧٩.

١٣٧٥ (٣). تهذیب الکمال: ج ٢٧ ص ١٢٧ الرقم ٥٧٣١، تاریخ الإسلام للذهبي: ج ٣ ص ٥٩٣، المعارف لابن قتیبة: ص ٥٨٦، سیر أعلام النبلاء: ج ٤ ص ٣٤ الرقم ٦، تاریخ مدينة دمشق: ج ٥٦ ص ٣٨٠.

١٣٧٦ (٤) الشتر: انقلاب جفن العين إلى أسفل. و الرجل أشتر (انظر النهاية: ج ٢ ص ٤٤٣).

اللِّسان^{١٣٧٧}، عديم المثل في الفروسيّة^{١٣٧٨}. و كان لمزاياه الأخلاقيّة و مروءته و منعته و هيئته و أبهته و حيائه، تأثيرٌ عجيب في نفوس الكوفيّين؛ من هنا كانوا يسمعون كلامه، و يحترمون آراءه.

و نفى مع عدد من أصحابه إلى حمص^{١٣٧٩} في أيام عثمان بسبب اصطدامه بسعيد بن العاص والى عثمان^{١٣٨٠}. و لما اشتدّت اشتدّت نبرة المعارضة لعثمان عاد إلى الكوفة، و منع واليه- الذي كان قد ذهب إلى المدينة آنذاك- من دخولها^{١٣٨١}.

و اشترك في ثورة المسلمين على عثمان^{١٣٨٢}، و تولّى قيادة الكوفيّين الذين كانوا قد توجهوا إلى المدينة، و كان له دور حاسم في القضاء على حكومته عثمان^{١٣٨٣}.

و كان يصرّ على خلافة الإمام عليّ عليه السلام بفضل ما كان يتمتّع به من وعى عميق، و معرفته دقيقة برجال زمانه، و بالتّيّارات و الحوادث الجارية يومذاك^{١٣٨٤}. من هنا كان نصير الإمام عليه السلام و عضده المقتدر عند خلافته. و قد امتزجت طاعته

ص: ٤٤٢

و إخلاصه له عليه السلام بروحه و دمه، و كان الإمام عليه السلام أيضاً يحترمه احتراماً، خاصّاً و يقيم

وزناً لآرائه في الامور.

و كان له رأى في بقاء أبي موسى الأشعريّ والياً على الكوفة، ارتضاه الإمام عليه السلام و أيّده^{١٣٨٥}، مع أنّه عليه السلام كان يعلم بمكنون فكر أبي موسى، و لم يكن له رأى في بقائه^{١٣٨٦}.

و عند ما كان أبو موسى يثبّط النَّاس عن المسير مع الإمام عليه السلام في حرب الجمل، ذهب مالك إلى الكوفة، و أخرج أبا موسى- الذي كان قد عزله الإمام عليه السلام- منها، و عبأ النَّاس من أجل دعم الإمام عليه السلام و المسير معه في الحرب ضدّ أصحاب الجمل^{١٣٨٧}. و كان له دور حاسم و عجيب في الحرب. و كان على الميمنة فيها^{١٣٨٨}. و اصطراعه مع عبد الله بن الزُّبير مشهور في هذه المعركة^{١٣٨٩}.

١٣٧٧ (١). وقعة صفين: ص ٢٥٥؛ تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٣ ص ٥٩٤.

١٣٧٨ (٢). تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٣ ص ٥٩٤.

١٣٧٩ (٣) حمص: بلد مشهور قديم، بين دمشق و حلب نصف الطريق (معجم البلدان: ج ٢ ص ٣٠٢).

١٣٨٠ (٤). أنساب الأشراف: ج ٦ ص ١٥٥ و ١٥٦، تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٣١٨-٣٢٦، مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٤٦ و ٣٤٧.

١٣٨١ (٥). أنساب الأشراف: ج ٦ ص ١٥٧، تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٣٢٢، مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٤٧.

١٣٨٢ (٦). الجمل: ص ١٣٧؛ تهذيب الكمال: ج ٢٧ ص ١٢٧ الرقم ٥٧٣١، تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٣٢٦، مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٥٢، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٣ ص ٥٩٤.

١٣٨٣ (٧). الشافي: ج ٤ ص ٢٦٢؛ الطبقات الكبرى: ج ٣ ص ٧١، أنساب الأشراف: ج ٦ ص ٢١٩، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٣ ص ٤٤٨.

١٣٨٤ (٨) راجع: تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٤٣٣، الإمامة و السياسة: ج ١ ص ٦٦.

١٣٨٥ (١). الأمالي للمفيد: ص ٢٩٦ ح ٦، تاريخ يعقوبي: ج ٢ ص ١٧٩؛ تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٤٩٩.

١٣٨٦ (٢). الأمالي للمفيد: ص ٢٩٥ ح ٦.

١٣٨٧ (٣). الجمل: ص ٢٥٣؛ تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٤٨٧، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٢٩، البداية و النهاية: ج ٧ ص ٢٣٧.

ولى مالك الجزيرة^{١٣٩٠} - و هي تشمل مناطق بين دجلة و الفرات - بعد حرب الجمل. و كانت هذه المنطقة قريبة من الشّام الّتي كان يحكمها معاوية^{١٣٩١}.

و استدعاه الإمام عليه السلام قبل حرب صفّين.

و كان على مقدّمة الجيش فى البداية، و قد هزم مقدّمة جيش معاوية.

ص: ٤٤٣

و لمّا استولى جيش معاوية على الماء، و أغلق منافذه بوجه جيش الإمام عليه السلام، كان لمالك دور فاعل فى فتح تلك المنافذ و السّيطرة على الماء^{١٣٩٢}. و كان فى الحرب مقاتلاً باسلاً مقداماً، رابط الجأش مجدداً مستبسلاً، و قد قاتل بقلب فتىّ و شجاعة منقطعة النّظير^{١٣٩٣}. و تولّى قيادة الجيش مع الأشعث^{١٣٩٤}، و كان على خيالة الكوفة طول الحرب^{١٣٩٥}، و أحياناً كان يقود أقساماً اخرى من الجيش^{١٣٩٦}. و فى معارك ذى الحجّة الاولى كانت المسئوليّة الأصليّة و الدور الأساس للقتال على عاتقه^{١٣٩٧}. و فى المرحلة الثّانية - شهر صفر - كان يقود القتال أيضاً يومين فى كلّ ثمانية أيّام^{١٣٩٨}.

و كان له مظهر عجيب فى المنازل الفرديّة للقتال، و فى حلّ عقّد الحرب، و علاج مشاكل الجيش، و النّهوض بعبء الحرب، و السّير بها قدماً بأمر الإمام عليه السلام.

بيد أنّ مظهره الباهر الخالد قد تجلّى فى الأيّام الأخيرة منها، بخاصّة يوم الخميس و ليلة الهّير.

گو كان يوم الخميس و ليلة الجمعة - ليلة الهّير - مسرحاً لعرض عجيب تجلّت فيه شجاعته، و شهامته، و استبساله، و قتاله بلا هوادة، إذ خلخل نظم الجيش الشّامى، و تقدّم صباح الجمعة حتّى أشرف على خيمة القيادة^{١٣٩٩}

ص: ٤٤٤

^{١٣٨٨} (٤) راجع: الأخبار الطوال: ص ١٤٧، البداية و النهاية: ج ٧ ص ٢٤٤ و ٢٤٥.
^{١٣٨٩} (٥) الجمل: ص ٣٥٠؛ تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥٢٥، تهذيب الكمال: ج ٢٧ ص ١٢٨ الرقم ٥٧٣١، تاريخ مدينة دمشق: ج ٥٦ ص ٣٨٢، الأخبار الطوال: ص ١٥٠.
^{١٣٩٠} (٦) وقعة صفّين: ص ١٢؛ تاريخ خليفة بن خيّاط: ص ١٥١، الأخبار الطوال: ص ١٥٤.
^{١٣٩١} (٧) وقعة صفّين: ص ١٢.
^{١٣٩٢} (١) وقعة صفّين: ص ١٧٤ - ١٧٩؛ المناقب للخوارزمي: ص ٢١٥ - ٢٢٠.
^{١٣٩٣} (٢) وقعة صفّين: ص ١٩٦ و ص ٤٣٠؛ تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥٧٥، الفتوح: ج ٣ ص ٤٥.
^{١٣٩٤} (٣) تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥٦٩ و ٥٧٠، الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ٣٦٤.
^{١٣٩٥} (٤) تاريخ الطبري: ج ٥ ص ١١، الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ٣٧١، البداية و النهاية: ج ٧ ص ٢٦١.
^{١٣٩٦} (٥) وقعة صفّين: ص ٤٧٥؛ تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٤٧، الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ٣٨٥.
^{١٣٩٧} (٦) تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥٧٤، الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ٣٦٦، البداية و النهاية: ج ٧ ص ٢٦٠.
^{١٣٩٨} (٧) تاريخ الطبري: ج ٥ ص ١٢ و ١٣، مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٨٧ - ٣٨٩، الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ٣٧١ و ٣٧٢؛ وقعة صفّين: ص ٢١٤.
^{١٣٩٩} (٨) وقعة صفّين: ص ٤٧٥؛ تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٤٧، الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ٣٨٥.

و صار هلاك العدو أمراً محتوماً، و بينا كان الظلم يلفظ أنفاسه الأخيرة، و النصر يلتمع في عيون مالك، تأمر عمرو بن العاص و نشر فحّ مكيدته، فأسرعت جموع من جيش الإمام- و هم الذين سيسكّون تيار الخوارج- و معهم الأشعث إلى مؤازرته، فزاد الطّين بلّةً بحماقتهم. و هكذا جعلوا الإمام عليه السلام في وضعٍ حرجٍ ليقبل الصّلح، و يُرجع مالكا عن موقعه المتقدّم في ميدان الحرب.

و كان طبيعياً في تلك اللحظة المصيريّة الحاسمة العجيبة أن يرفض مالك، و يرفض معه الإمام عليه السلام أيضاً، لكن لما بلغه أنّ حياة الإمام في خطر، عاد بروح ملؤها الحزن و الألم، فأغمد سيفه، و نجا معاوية الذي أوشك أن يطلب الأمان من موت محقق، و خرج من مأزق ضاق به!!^{١٤٠٠}

و شاجر مالك الخوارج و الأشعث، و كلّمهم في حقيقة ما حصل، و أنبأهم، بما يملك من بصيرة و بُعد نظر، أنّ جذر تقدّسهم يكمن في تملّصهم من المسئوليّة، و شغفهم بالدّنيا^{١٤٠١}.

و حين اقترح الإمام عليه السلام عبد الله بن عباس للتّحكيم و رفضه الخوارج و الأشعث، اقترح مالكا، فرفضه أيضاً مصريّين على يمانيّة الحكّم، في حين كان مالك يمانيّ المحتد، و هذا من عجائب الامور!^{١٤٠٢}

و عاد مالك بعد صّفين إلى مهمّته^{١٤٠٣}. و لما اضطربت مصر على محمّد بن أبي

ص: ٤٦٥

بكر و صعب عليه أمرها و تمرّد أهلها، انتدب الإمام عليه السلام مالكا و ولّاه عليها^{١٤٠٤}. و كان قد خبر كفاءته، و رفعتة، و استماتته، و دأبه، و وعيه، و خبرته في العمل^{١٤٠٥}.

و كانت تعليماته عليه السلام الحكوميّة- المشهورة بعهد مالك الأشتر- أعظم و أرفع و وثيقة للحكومة و إقامة القسط، و هي خالدة على مرّ التّاريخ^{١٤٠٦}.

و كان معاوية قد عقد الأمل على مصر، و حين شعر أنّ جميع خططه ستخيّب بذهاب مالك إليها، قضى عليه قبل وصوله إليها. و هكذا استشهد ليث الوغى، و المقاتل الغدّ، و النّاصر الفريد لمولاه، بطريقة غادرة، بعد ما تناول من العسل المسموم بسمّ فتاك، و عرجت روحه المشرقة الطّاهرة إلى الملكوت الأعلى^{١٤٠٧}.

^{١٤٠٠} (١) وقعة صفين: ص ٤٨٩ و ٤٩٠؛ تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٤٨-٥٠، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٨٦، الفتوح: ج ٣ ص ١٨٥-١٨٨.

^{١٤٠١} (٢) وقعة صفين: ص ٤٩١؛ تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٥٠، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٨٧.

^{١٤٠٢} (٣) وقعة صفين: ص ٤٩٩-٥٠٤؛ مروج الذهب: ج ٢ ص ٤٠٢، تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٥١ و ٥٢، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٨٧، الفتوح: ج ٤ ص ١٩٧ و ١٩٨.

^{١٤٠٣} (٤) تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٩٥، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٤١٠؛ الغارات: ج ١ ص ٢٥٧.

^{١٤٠٤} (١) تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٩٥، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٤١٠؛ الغارات: ج ١ ص ٢٥٧.

^{١٤٠٥} (٢) راجع: نهج البلاغة: الكتاب ٣٨، الأمالي للمفيد: ص ٨١ ح ٤، الغارات: ج ١ ص ٢٦٠ و ص ٢٦٦، الاختصاص: ص ٨٠؛ تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٩٦، تاريخ مدينة دمشق: ج ٥٦ ص ٣٩٠.

^{١٤٠٦} (٣) راجع: نهج البلاغة: الكتاب ٥٣، تحف العقول: ص ١٢٦.

و حزن الإمام عليه السلام لمقتله، حتّى عدّ موته من مصائب الدّهر^{١٤٠٨}. و أبّنه فكان تأبينه إياه فريداً؛ كما أنّ وجود مالك كان فريداً له في حياته عليه السلام^{١٤٠٩}.

و لمّا نعى إليه عليه السلام مالك، و بلغه خبر استشهاده المؤلم، صعد المنبر و قال:

«ألا إنّ مالِك بنَ الحارِثِ قدْ قضَى نَحْبَهُ، وأوفى بَعْدِهِ، ولَقِيَ رَبَّهُ، فَرحِمَ اللهُ مالِكاً!

ص: ٤٤٤

لو كان جبلاً لكان قدّاً، ولو كان حجراً لكان صلداً. لله مالِك! وما مالِك! وهل قامتِ النّساءُ عنْ مِثْلِ مالِك! وهلْ مَوْجُودٌ كمالِك!«^{١٤١٠}.

و معاوية الّذى كان فريداً أيضاً في خبث طويّته و رذالته وضعتّه و قتله للفضيلة، طار فرحاً باستشهاد مالك، و لم يستطع أن يخفى سروره، فقال من فرط فرحه:

كان لعلّى بن أبى طالب يدان يمينان، فقطعت إحداهما يوم صفّين - يعنى عمّار بن ياسر - و قطعت الاخرى اليوم، و هو مالك الأشتر^{١٤١١}.

و كلّما كان يذكره الإمام عليه السلام، يثقل عليه الغمّ و الحزن، و يتحسّر على فقده.

و حين ضاق ذرعاً من التّحرّكات الجائرة لأهل السّام، و تألم لعدم سماع جُنْدِه كلامه، و تأوّه على قعودهم و خذلانهم له في اجتثاث جذور الفتنة، قال رجل:

استبانَ فقدُ الأشترِ على أهلِ العراقِ. لو كان حياً لقلّ اللّغط، و لعلِمَ كلُّ امرئٍ ما يقول^{١٤١٢}.

نطق هذا الرّجل حقّاً، فلم يكن أحد في جيش الإمام عليه السلام مثل مالك.

في تنبيه الخواطر: حكى أنّ مالكا الأشتر رضى الله عنه كان مجتازاً بسوق الكوفة و عليه قميص خام و عمامة منه، فرآه بعض السّوقة^{١٤١٣} فازدري^{١٤١٤} بزيتّه؛ فرماه ببندقه تهاوناً به، فمضى و لم يلتفت، فقيل له: ويلك! أ تدرى بمن رميت؟ فقال: لا، فقيل له: هذا مالك صاحب أمير المؤمنين عليه السلام، فارتعد الرّجل و مضى إليه ليعتذر

^{١٤٠٧} (٤). أنساب الأشراف: ج ٣ ص ١٦٨، تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٩٥-٩٦، مروج الذهب: ج ٢ ص ٤٢٠، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٤١٠؛ الأمالي للمفيد: ص ٨٢ ح ٤، الغارات: ج ١ ص ٢٦٣، الاختصاص: ص ٨١، تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ١٩٤.

^{١٤٠٨} (٥). الأمالي للمفيد: ص ٨٣ ح ٤، الغارات: ج ١ ص ٢٦٤.

^{١٤٠٩} (٦). نهج البلاغة: الحكمة ٤٤٣، الأمالي للمفيد: ص ٨٣ ح ٤، رجال الكشي: ج ١ ص ٢٨٣ الرقم ١١٨، الغارات: ج ١ ص ٢٦٥؛ الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٤١٠، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٣ ص ٥٩٤، ربيع الأبرار: ج ١ ص ٢١٦.

^{١٤١٠} (١). الاختصاص: ص ٨١، الأمالي للمفيد: ص ٨٣ ح ٤، الغارات: ج ١ ص ٢٦٥ كلاهما نحوه.

^{١٤١١} (٢). الغارات: ج ١ ص ٢٦٤، الاختصاص: ص ٨١؛ تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٩٦، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٤١٠.

^{١٤١٢} (٣). الأمالي للطوسي: ص ١٧٤ ح ٢٩٣، الغارات: ج ٢ ص ٤٨١.

منه، فرآه و قد دخل مسجداً و هو قائم يصلي، فلما انفتل أكب الرجل على قدميه يقبلهما، فقال: ما هذا الأمر؟! فقال: أعتذر إليك ممّا صنعت، فقال: لا بأس عليك، فوالله، ما دخلت المسجد إلّا لأستغفرنّ لك^{١٤١٥}.

و في المناقب للخوارزمي عن أبي هانئ بن معمر السدوسي- في ذكر غلبة جند معاوية على الماء في حرب صفين-: كنت حينئذٍ مع الأشر و قد تبين فيه العطش، فقلت لرجل من بني عمي: إن الأمير عطشان، فقال الرجل: كل هؤلاء عطاش، و عندي إداوة^{١٤١٦} ماء أمنعه لنفسي، و لكنني اوتره على نفسي، فتقدم إلى الأشر فعرض عليه الماء، فقال: لا أشرب حتى يشرب الناس^{١٤١٧}.

و في تاريخ مدينة دمشق عن أبي حذيفة إسحاق بن بشر- في ذكر وقعة اليرموك:-

و مضى خالد يطلب عظم^{١٤١٨} الناس حتى أدركهم بئنيّة العقاب^{١٤١٩}، و هي تهبط الهابط المغرب منها إلى غوطة دمشق، يدرك عظم الناس حتى أدركهم بغوطة دمشق، فلما انتهوا إلى تلك الجماعة من الروم، و أقبلوا يرمونهم بالحجارة من فوقهم، فتقدم إليهم الأشر و هو في رجال من المسلمين، فإذا أمامهم رجل من الروم جسيم عظيم، فمضى إليه حتى وقف عليه، فاستوى هو و الرومي على صخرة مستوية، فاضطربا بسيفيهما، فأطرا الأشر كفت الرومي، و ضرب الرومي الأشر بسيفه فلم يضره، و اعتنق كل واحد منهما صاحبه، فوقعا على الصخرة،

ثم انحدر، و أخذ الأشر يقول- و هو في ذلك ملازم العلق لا يتركه:

«قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَتُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لِشَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ امْرَأْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ»^{١٤٢٠}.

قال: فلم يزل يقول ذلك حتى انتهى إلى مستوى الخيل و قرار، فلما استقر وثب على الرومي فقتله، و صاح في الناس: أن جوزوا.

قال: فلما رأت الروم أن أصحابهم قد قتل، خلّوا الثنية و انهزموا.

قالوا: و كان الأشر الأحسن في اليرموك، قالوا: لقد قتل ثلاثة عشر^{١٤٢١}.

^{١٤١٣} (٤) السوفة من الناس: الرعية (النهاية: ج ٢ ص ٤٢٤).

^{١٤١٤} (٥) الأزدراء: الإحتقار و الإنتقاص و العيب (النهاية: ج ٢ ص ٣٠٢).

^{١٤١٥} (١) تنبيه الخواطر: ج ١ ص ٢.

^{١٤١٦} (٢) الإداوة: إناء صغير من جلد يتخذ للماء كالسطحة و نحوها (النهاية: ج ١ ص ٣٣).

^{١٤١٧} (٣) المناقب للخوارزمي: ج ٢١٥ ص ٢٤٠.

^{١٤١٨} (٤) عظم الأمر و عظّمه: مُعْظَمُهُ (لسان العرب: ج ١٢ ص ٤١٠).

^{١٤١٩} (٥) ثنية العقاب: و هي ثنية مشرفة على غوطة دمشق، يطؤها القاصد من دمشق إلى حمص (معجم البلدان: ج ٢ ص ٨٥).

^{١٤٢٠} (١) الأنعام: ١٦٢ و ١٦٣.

و فى وقعة صفين عن سنان بن مالك- فى مواجهة مقدمه الجيش قبل حرب صفين-: قلت له (لأبى الأغر): إن الأشتر يدعوك إلى مبارزته، فسكت عني طويلاً ثم قال: إن خفة الأشتر و سوء رأيه، هو الذى دعاه إلى إجلاء عمال عثمان من العراق، و افترائه عليه يقبح محاسنه، و يجهل حقه، و يظهر عداوته.

و من خفة الأشتر و سوء رأيه أنه سار إلى عثمان فى داره و قراره، فقتله فيمن قتله، فأصبح مبتغى بدمه؛ لا حاجة لى فى مبارزته.

قال: قلت له: قد تكلمت فاستمع منى حتى اخبرك، قال: فقال:

لا حاجة لى فى جوابك، و لا الاستماع منك، اذهب عني، و صاح بى أصحابه، فانصرفت عنه^{١٤٢٢}.

و فى شرح نهج البلاغة- فى وصف الأشتر-: كان شديد البأس، جواداً رئيساً

ص: ٤٦٩

حليماً فصيحاً شاعراً، و كان يجمع بين اللين و العنف، فيسطو فى موضع السطوة، و يرفق فى موضع الرفق^{١٤٢٣}.

و فى سير أعلام النبلاء: ملك العرب، مالك بن الحارث النخعي، أحد الأشراف و الأبطال المذكورين. حدث عن عمر، و خالد بن الوليد، و فقت عينه يوم اليرموك، و كان شهماً مطاعاً زعيراً^{١٤٢٤}، آلب على عثمان و قاتله، و كان ذا فصاحة و بلاغة.

شهد صفين مع على عليه السلام، و تميز يومئذ، و كاد أن يهزم معاوية، فحمل عليه أصحاب على لما رأوا مصاحف جند الشام على الأستة يدعون إلى كتاب الله، و ما أمكنه مخالفة على، فكف^{١٤٢٥}.

و فى شرح نهج البلاغة: قد روى المحدثون حديثاً يدل على فضيلة عظيمة للأشتر رحمه الله، و هى شهادة قاطعة من النبى صلى الله عليه و آله بأنه مؤمن، روى هذا الحديث أبو عمر بن عبد البر فى كتاب الاستيعاب فى حرف الجيم، فى باب جندب، قال أبو عمر:

لما حضرت أبا ذر الوفاء و هو بالرَبْدَةَ بكت زوجته أم ذر، فقال لها: ما يُبيكيك؟

فقلت: ما لى لا أبكى و أنت تموت بفلاة من الأرض، و ليس عندى ثوب يسعك كفنًا، و لا بد لى من القيام بجهازك!؟

فقال: أبشرى و لا تبكى، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول:

^{١٤٢١} (٢). تاريخ مدينة دمشق: ج ٥٦ ص ٣٧٩.

^{١٤٢٢} (٣). وقعة صفين: ص ١٥٥.

^{١٤٢٣} (١). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٥ ص ١٠١.

^{١٤٢٤} (٢) من الزعارة- بتشديد الراء، و تخفف-: الشراسرة(تاج العروس: ج ٦ ص ٤٦٣).

^{١٤٢٥} (٣). سير أعلام النبلاء: ج ٤ ص ٣٤ الرقم ٦، و راجع تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٤٨.

«لا يموت بين

ص: ٤٧٠

امرأين مسلمين ولدان أو ثلاثة، فيصبران ويحتسبان فيريان النار أبداً؛

و قد مات لنا ثلاثة من الولد.

و سمعتُ أيضاً رسول الله صلى الله عليه و آله يقول لنفر أنا فيهم:

«لَيَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، يَشْهَدُهُ عَصَابَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ».

و ليس من اولئك النفر أحد إلا و قد مات فى قرية و جماعة. فأنا- لا أشك- ذلك الرجل، و الله، ما كذبت و لا كُذِّبت، فانظرى الطريق.

قلت امّ ذرّ: فقلت: أتى و قد ذهب الحاجّ و تقطعت الطُّرق؟!!

فقال: اذهبي فتبصّرى.

قلت: فكنت اشتدّت إلى الكثيب، فأصعد فأنظر، ثمّ أرجع إليه فامرّضه، فبينما أنا و هو على هذه الحال، إذ أنا برجال على ركابهم، كأنهم الرّخم^{١٤٢٦}، تخبّ بهم رواحلهم، فأسرعوا إلىّ حتّى وقفوا علىّ، و قالوا: يا أمّة الله، ما لك؟

فقلت: امرؤ من المسلمين يموت، تكفّنونه؟

قالوا: و من هو؟ قلت: أبو ذرّ.

قالوا: صاحب رسول الله صلى الله عليه و آله؟

قلت: نعم، ففدّوه بأبائهم و أمهاتهم، و أسرعوا إليه حتّى دخلوا عليه، فقال لهم: أبشروا فإنّى سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول لنفر أنا فيهم:

«لَيَمُوتَنَّ رَجُلٌ مِّنْكُمْ بِفَلَاةٍ مِّنَ الْأَرْضِ تَشْهَدُهُ عِصَابَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ».

و ليس من اولئك النفر إلا و قد هلك فى قرية و جماعة، و الله، ما كذبت و لا كُذِّبت، و لو كان عندى ثوب يسعنى كفناً

^{١٤٢٦} (١) الرّخم: نوعٌ من الطّيْر معروفٌ، واحده رخمّة (النهاية: ج ٢ ص ٢١٢).

ص: ٤٧١

لى أو لامراتى لم اكفن إلاً فى ثوب لى أو لها؛ و إنى أنشدكم الله ألاً يكفنى رجل منكم كان أميراً أو غريباً أو بريداً^{١٤٢٧} أو نقيباً^{١٤٢٨}

قالت: و ليس فى اولئك النفر أحد إلاً و قد قارف بعض ما قال، إلاً فتى من الأنصار قال له: أنا اكفك يا عم فى ردائى هذا، و فى ثوبين معى فى عيبتى من غزل امى.

فقال أبو ذر: أنت تكفنى، فمات فكفنه الأنصارى و غسله النفر الذين حضروه و قاموا عليه و دفنوه؛ فى نفر كلهم يمان.

روى أبو عمر بن عبد البر قبل أن يروى هذا الحديث فى أول باب جندب:

كان النفر الذين حضروا موت أبى ذر بالربذة مصادفة جماعة؛ منهم حُجر بن الأدبر، و مالك بن الحارث الأشتر.

قلت: حُجر بن الأدبر هو حُجر بن عدى الذى قتله معاوية، و هو من أعلام الشيعة و عظمائها، و أمّا الأشتر فهو أشهر فى الشيعة من أبى الهذيل فى المعتزلة^{١٤٢٩}.

عمرو بن الحمق الخزاعى

عمرو بن الحمق بن الكاهن الخزاعى. صحابى جليل من صحابة

ص: ٤٧٢

رسول الله صلى الله عليه و آله^{١٤٣٠}، و أمير المؤمنين عليه السلام^{١٤٣١}، و الإمام الحسن عليه السلام^{١٤٣٢}.

أسلم بعد الحديبية^{١٤٣٣}، و تعلم الأحاديث من النبى صلى الله عليه و آله. و كان من الصفوة الذين حرسوا حق الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه و آله؛ فوقف إلى جانب أمير المؤمنين عليه السلام بإخلاص^{١٤٣٤}. و اشترك فى ثورة المسلمين على عثمان، و رفع صوت الحق إزاء التغيرات الشاذة التى حصلت فى هذا العصر^{١٤٣٥}.

^{١٤٢٧} (١) غريب و هو القيم بامور القبيلة أو الجماعة من الناس يلي امورهم و يتعرف الأمير منه أحوالهم (النهاية: ج ٣ ص ٢١٨).

^{١٤٢٨} (٢) النقيب: هو كالغريف على القوم المقدم عليهم، الذى يتعرف أخبارهم، و ينقب عن أحوالهم: أي يُفتش (النهاية: ج ٥ ص ١٠١).

^{١٤٢٩} (٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٥ ص ٩٩ و ١٠٠.

^{١٤٣٠} (١) الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ٢٥، تهذيب الكمال: ج ٢١ ص ٥٩٧ الرقم ٤٣٥٣، المعارف لابن قتيبة: ص ٢٩١، الاستيعاب: ج ٣ ص ٢٥٨ الرقم ١٩٣١، اسد الغابة: ج ٤ ص ٢٠٥ الرقم ٣٩١٢؛ الجمل: ص ١٠٤.

^{١٤٣١} (٢) رجال الطوسي: ص ٧٠ الرقم ٦٤٤.

^{١٤٣٢} (٣) رجال الطوسي: ص ٩٥ الرقم ٩٤٠، المناقب لابن شهر آشوب: ج ٤ ص ٤٠.

^{١٤٣٣} (٤) الاستيعاب: ج ٣ ص ٢٥٨ الرقم ١٩٣١، اسد الغابة: ج ٤ ص ٢٠٥ الرقم ٣٩١٢، تهذيب الكمال: ج ٢١ ص ٥٩٧ الرقم ٤٣٥٣، المعارف لابن قتيبة: ص ٢٩١ و فيهما «بايع رسول الله صلى الله عليه و آله فى حجة الوداع، و صحبه بعد ذلك».

^{١٤٣٤} (٥) الاختصاص: ص ٧، رجال الكشي: ج ١ ص ١٨٦ الرقم ٧٨.

شهد حروب أمير المؤمنين عليه السلام، و ساهم فيها بكلّ صلابه و ثبات^{١٤٣٦}. و كان ولاؤه للإمام عليه السلام عظيماً حتّى قال له:

لَيْتَ أَنْ فِي جُنْدِي مِثْلَكَ^{١٤٣٧}.

أجل، كان غمّو مهتدياً، عميق النّظر. و كان من بصيرته بحيث يرى نفسه فانياً في علىّ عليه السلام، و كان يقول له بإيمانٍ و وعى: ليس لنا معك رأى.

و كان غمّو صاحباً لحجر بن غدّيّ و رفيق دربه. و صحبته المتعاليه ضدّ ظلم

ص: ٤٧٣

الامويّين^{١٤٣٨} هي التي دفعت معاوية إلى الهمّ بقتله.

و قتله سنه ٥٠ هـ، بعد أن كان قد سجن زوجته الكريمة بغية استسلامه^{١٤٣٩}.

و أرسل برأسه إلى معاوية^{١٤٤٠}. و هو أول رأس في الإسلام يُحمّل من بلد إلى بلد^{١٤٤١}.

عبّر عنه الإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام بالعبد الصّالح الذي أبلّته العبادة، و ذلك في رسالته البليغة القارعة التي بعثها إلى معاوية، و وبّخه فيها لارتكابه جريمة قتله^{١٤٤٢}.

قال الإمام الكاظم عليه السلام:

«إذا كان يوم القيامة ... ينادى منادٍ: أين حوارى علىّ بن أبي طالب عليه السلام، وصيّ محمّدين عبد الله رسول الله؟ فيقوم غمّروبن الحميق الخزاعيّ، ومحمّدين أبي بكر، وميثم بن يحيى التّمّار مولى بنى أسد، واويس القرنيّ»^{١٤٤٣}.

^{١٤٣٥} (٦). الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ٢٥، أنساب الأشراف: ج ٦ ص ٢١٩، تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٣٩٣، تهذيب الكمال: ج ٢١ ص ٥٩٧ الرقم ٤٣٥٣، المعارف لابن قتيبة: ص ٢٩١، الاستيعاب: ج ٣ ص ٢٥٨ الرقم ١٩٣١، اسد الغابة: ج ٤ ص ٢٠٦ الرقم ٣٩١٢ و فيهما « هو أحد الأربعة الذين دخلوا عليه الدار»، مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٥٢؛ تاريخ يعقوبي: ج ٢ ص ١٧٦.

^{١٤٣٦} (٧). الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ٢٥، تهذيب الكمال: ج ٢١ ص ٥٩٧ الرقم ٤٣٥٣، المعارف لابن قتيبة: ص ٢٩١، الاستيعاب: ج ٣ ص ٢٥٨ الرقم ١٩٣١، اسد الغابة: ج ٤ ص ٢٠٦ الرقم ٣٩١٢.

^{١٤٣٧} (٨). وقعة صفين: ص ١٠٤، الاختصاص: ص ١٥ و فيه «شيعتي» بدل «جندي».

^{١٤٣٨} (١). المعارف لابن قتيبة: ص ٢٩١، الاستيعاب: ج ٣ ص ٢٥٨ الرقم ١٩٣١، اسد الغابة: ج ٤ ص ٢٠٦ الرقم ٣٩١٢ و فيها «أعان حجر بن عدّي».

^{١٤٣٩} (٢). تاريخ يعقوبي: ج ٢ ص ٢٣٢؛ اسد الغابة: ج ٤ ص ٢٠٦ الرقم ٣٩١٢.

^{١٤٤٠} (٣). تهذيب الكمال: ج ٢١ ص ٥٩٧ الرقم ٤٣٥٣، المعارف لابن قتيبة: ص ٢٩٢، الاستيعاب: ج ٣ ص ٢٥٨ الرقم ١٩٣١، اسد الغابة: ج ٤ ص ٢٠٦ الرقم ٣٩١٢.

^{١٤٤١} (٤). الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ٢٥، أنساب الأشراف: ج ٥ ص ٢٨٢، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٤ ص ٨٨.

^{١٤٤٢} (٥) راجع: رجال الكشي: ج ١ ص ٢٥٣ الرقم ٩٩، الاحتجاج: ج ٢ ص ٩٠ ح ١٦٤؛ أنساب الأشراف: ج ٥ ص ١٢٩ نحوه.

^{١٤٤٣} (٦). رجال الكشي: ج ١ ص ٤١ الرقم ٢٠ عن أسباط بن سالم.

و فى وقعة صفين - فى أحداث ما بعد رفع المصاحف- قام عمرو بن الحَمِق فقال: يا أمير المؤمنين! إنا و الله، ما أجبناك و لا نصرناك عصبية على الباطل، و لا أجبنا إلا الله عز و جل، و لا طلبنا إلا الحق، و لو دعانا غيرك إلى ما دعوت إليه

ص: ٤٧٤

لاستشرى^{١٤٤٤} فيه اللجاج، و طالت فيه التجوى، و قد بلغ الحق مقطعه، و ليس لنا معك رأى^{١٤٤٥}.

و عن عبد الله بن شريك: قال عمرو بن الحَمِق: إني و الله، يا أمير المؤمنين، ما أجبتك و لا بايعتك على قرابة بيني و بينك، و لا إرادة مال تؤتيني، و لا التماس سلطان يُرفع ذكرى به، و لكن أحببتك لخصال خمس: إنك ابن عم رسول الله صلى الله عليه و آله، و أول من آمن به، و زوج سيده نساء الامّة فاطمة بنت محمد صلى الله عليه و آله، و أبو الذرية التي بقيت فينا من رسول الله صلى الله عليه و آله، و أعظم رجل من المهاجرين سهماً فى الجهاد.

فلو أتى كُلفت نقل الجبال الرواسى، و نزع البحور الطوامى^{١٤٤٦} حتى يأتى علىّ يومى فى أمر اقوى به وليك، و أوهن به عدوك، ما رأيت أنى قد أديت فيه كل الذى يحق على من حَقك.

فقال أمير المؤمنين علىّ:

اللهم نور قلبه بالتقى، و اهده إلى صراطٍ مُستقيم، ليت أن فى جُندى مئةً مثلك!

فقال حُجر: إذا و الله، يا أمير المؤمنين، صحّ جندك، و قلّ فيهم من يغشك^{١٤٤٧}.

و فى تاريخ الطبرى:- فى ذكر طلب زياد و متابعتة أصحاب حُجر:- فخرج عمرو بن الحَمِق و رُفاعه بن شدّاد حتى نزلا المدائن، ثم ارتحلا حتى أتيا

ص: ٤٧٥

أرض الموصل^{١٤٤٨}، فأتيا جبلاً فكمنّا فيه، و بلغ عامل ذلك الرستاق أنّ رجلين قد كمنّا فى جانب الجبل، فاستنكر شأنهما- و هو رجل من همدان يقال له:

عبد الله بن أبى بلتعة- فسار إليهما فى الخيل نحو الجبل و معه أهل البلد، فلما انتهى إليهما خرجا.

^{١٤٤٤} (١) و فى نسخة: «لكن فيه اللجاج». و استشرى: لَجّ و تمادى و جدّ (لسان العرب: ج ١٤ ص ٤٢٩).

^{١٤٤٥} (٢) وقعة صفين: ص ٤٨٢ و راجع: الإمامة و السياسة: ج ١ ص ١٤٤.

^{١٤٤٦} (٣) طما البحر: ارتفع بموجه (النهاية: ج ٣ ص ١٣٩).

^{١٤٤٧} (٤) وقعة صفين: ص ١٠٣، الاختصاص: ص ١٤ نحوه و فيه «شيعتي» بدل «جندى».

^{١٤٤٨} (١) الموصل: المدينة المشهورة، قالوا سُميت الموصل لأنها وصلت بين الجزيرة و العراق، و قيل: وصلت بين دجلة و الفرات، و قيل: لأنها وصلت بين بلد سنجار و الحديثة. و هي مدينة قديمة الاس على طرف دجلة، و مقابلها من الجانب الشرقى نينوى (معجم البلدان: ج ٥ ص ٢٢٣).

فأما عَمْرُو بن الحَمِيق فكان مريضاً، و كان بطنه قد سَقَى^{١٤٤٩}، فلم يكن عنده امتناع، و أما رُفَاعَةُ بن شَدَّاد- و كان شاباً قويّاً- فوثب على فرس له جواد، فقال له: اقاتل عنك؟ قال: و ما ينفعني أن تقاتل! انجُ بنفسك إن استطعت، فحمل عليهم، فأفروا له، فخرج تنفير به فرسه، و خرجت الخيل فى طلبه- و كان رامياً- فأخذ لا يلحقه فارس إلّا رماه فجرحه أو عقره، فانصرفوا عنه، و أخذ عَمْرُو بن الحَمِيق، فسألوه: من أنت؟ فقال: من إن تركتموه كان أسلم لكم، و إن قتلتموه كان أضرب لكم، فسألوه، فأبى أن يُخبرهم، فبعث به ابن أبى بلتعَة إلى عامل الموصل- و هو عبد الرَّحْمَن بن عبد الله بن عثمان الثَّقَفِيّ- فلما رأى عَمْرُو بن الحَمِيق عرفه، و كتب إلى معاوية بخبره.

فكتب إليه معاوية: إنّه زعم أنّه طعن عثمان بن عفّان تسع طعنات بمشاقص^{١٤٥٠} كانت معه، و إنّنا لا نريد أن نعتدى عليه، فاطعنه تسع طعنات كما طعن عثمان، فاخرج قطعن تسع طعنات، فمات فى الاولى منهنّ أو الثّانية^{١٤٥١}

ص: ٤٧٦

و فى **تاريخ اليعقوبى**: بلغ عبد الرَّحْمَن بن امّ الحكم- و كان عامل معاوية على الموصل- مكان عَمْرُو بن الحَمِيق الخُزَاعِيّ، و رُفَاعَةُ بن شَدَّاد، فوجّه فى طلبهما، فخرجا هاربين، و عَمْرُو بن الحَمِيق شديد العَلَّة، فلما كان فى بعض الطّريق لدغت عمراً حيّة، فقال: الله أكبر! قال لى رسول الله:

«يا عمرو! ليشترك فى قتلك الجنّ والإنس»

ثمّ قال لرُفَاعَةَ: امض لشأنك؛ فأبى مأخوذ و مقتول.

و لحقته رسل عبد الرَّحْمَن بن امّ الحكم، فأخذوه و ضربت عنقه، و نُصب رأسه على رمح، و طيفَ به، فكان أوّل رأس طيف به فى الإسلام.

و قد كان معاوية حبس امرأته بدمشق، فلما أتى رأسه بعث به، فوُضع فى حجرها، فقالت للرسول: أبلغ معاوية ما أقول: طالبه الله بدمه، و عجل له الويل من نقمه! فلقد أتى أمراً فرياً، و قتل برّاً نقيّاً!

و كان أوّل من حبس النّساء بجرائم الرّجال^{١٤٥٢}.

و فى **الاختصاص**: كان عَمْرُو بن الحَمِيق الخُزَاعِيّ شيعه لعلىّ بن أبى طالب عليه السلام، فلما صار الأمر إلى معاوية انحاز إلى شهرزور من الموصل، و كتب إليه معاوية:

^{١٤٤٩} (٢) يُقال: سقى بطنه: أي حصل فيه الماء الأصفر (النهاية: ج ٢ ص ٣٨٢).
^{١٤٥٠} (٣) المشاقص: جمع مشقّص؛ و هو فصل السهم إذا كان طويلاً غير عريض (النهاية: ج ٢ ص ٤٩٠).
^{١٤٥١} (٤) تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٢٦٥، الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ٤٩٢ نحوه.
^{١٤٥٢} (١) تاريخ اليعقوبى: ج ٢ ص ٢٣١.

أَمَا بَعْدُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ أَطْفَأَ النَّارَ^{١٤٥٣}، وَ أْخَمَدَ الْفِتْنَةَ، وَ جَعَلَ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ، وَ لَسْتُ بِأَبْعَدِ أَصْحَابِكَ هِمَّةً، وَ لَا أَشَدَّهُمْ فِي سُوءِ الْأَثْرِ صُنْعًا، كُلَّهُمْ قَدْ أَسْهَلُ بَطَاعَتِي، وَ سَارَعَ إِلَى الدُّخُولِ فِي أَمْرِي، وَ قَدْ بَطُؤُ بِكَ مَا بَطُؤُ، فَادْخُلْ فِيهِمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ، يُمَحِّ عَنكَ سَالِفُ ذُنُوبِكَ، وَ مُجِي دَاثِرُ حَسَنَاتِكَ، وَ لَعَلِّي لَا أَكُونُ لَكَ دُونَ مَنْ كَانَ قَبْلِي إِنْ أَبْقَيْتَ وَ اتَّقَيْتَ وَ وَقَيْتَ وَ أَحْسَنْتَ، فَأَقْدِمْ عَلَيَّ آمِنًا فِي ذِمَّةِ اللَّهِ وَ ذِمَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ، مَحْفُوظًا مِنْ حَسَدِ الْقُلُوبِ وَ إِحْنِ الصُّدُورِ، وَ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا.

ص: ٤٧٧

فلم يقدم عليه عمرو بن الحمق، فبعث إليه من قتله و جاء برأسه، و بعث به إلى امرأته فوضع في حجرها، فقالت: سترتموه عني طويلاً، و أهديتموه إلى قتيلاً! فأهلاً و سهلاً من هديته غير قاليه و لا مقلية، بلغ أيها الرسول عني معاوية ما أقول: طلب الله بدمه، و عجل الوبيل من نومه! فقد أتى امرأاً فرياً، و قتل بارأً تقياً! فأبلغ أيها الرسول معاوية ما قلت.

فبلغ الرسول ما قالت، فبعث إليها، فقال لها: أنت القائلة ما قلت؟ قالت:

نعم، غير ناكله عنه و لا معتذرة منه، قال لها: اخرجي من بلادى، قالت: أفعلى، فوالله، ما هو لى بوطن و لا أحن فيها إلى سجن، و لقد طال بها سهري، و اشتد بها عبرى، و كثر فيها دينى من غير ما قررت به عيني.

فقال عبد الله بن أبي سرح الكاتب: يا أمير المؤمنين! إنها منافقة فألحقها بزوجها، فنظرت إليه فقالت: يا من بين لحييه كجثمان الضفدع، أ لا قلت من أنعمك خلعا و أصفاك كساء! إنما المارق المنافق من قال بغير الصواب، و اتخذ العباد كالأرباب، فانزل كفره في الكتاب! فأومى معاوية إلى الحاجب بإخراجها، فقالت: وا عجباه من ابن هند، يشير إلى ببنانه، و يمعنى نوافذ لسانه، أما و الله، لأبقرنه بكلام عتيد كنواقد الحديد، أو ما أنا بآمنة بنت الشريد^{١٤٥٤}.

و قال الإمام الحسين عليه السلام- من كتابه إلى معاوية:-

«أولست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله صلى الله عليه و آلِهِ، العبد الصالح الذى أبلتته العبادة فنحل جسمه وصفرت لونه، بعد ما آمنته وأعطيتته من عهد الله وموآثيقه، مالو أعطيتته طائراً لنزل إليك من رأس الجبل، ثم قتلتته جرأة على ربك، واستخفافاً بذلك العهد؟»^{١٤٥٥}

ص: ٤٧٨

١٣٢ كتابه عليه السلام إلى أهل مصر

^{١٤٥٣} (٢) النار: الحقد و العداوة، و قيل: الكائنة تقع بين القوم (لسان العرب: ج ٥ ص ٢٤٧).

^{١٤٥٤} (١). الاختصاص: ص ١٦ و راجع بلاغات النساء: ص ٨٧.

^{١٤٥٥} (٢). رجال الكشي: ج ١ ص ٢٥٣ الرقم ٩٩، الاحتجاج: ج ٢ ص ٩٠ ح ١٦٤ نحوه؛ أنساب الأشراف: ج ٥ ص ١٢٩ و فيه إلى «و صفرت لونه»، الإمامة و السياسة: ج ١ ص ٢٠٢ كلاهما نحوه.

من كتاب له عليه السلام إلى أهل مصر لما ولى عليهم الأشر:

«من عبد الله على أمير المؤمنين إلى القوم الذين غضبوا لله حين عصى في أرضه، وذهب بحقه، ف ضرب الجور سراقه على البر والفاجر، والمقيم والطاعين، فلا معروف يستراح إليه، ولا منكر يتناهى عنه.

أما بعد، فقد بعث إليك عبدًا من عباد الله، لا ينأى أيام الخوف، ولا ينكف عن الأعداء ساعات الروع، أشد على الفجار من حريق النار، وهو مالك بن الحارث أخو مذحج، فاسمعوا له، وأطيعوا أمره فيما طابق الحق، فإنه سيف من سيوف الله، لا كيل الطبة^{١٤٥٦}، ولا نأبي^{١٤٥٧} الضريبة، فإن أمركم أن تنفروا فأنفروا، وإن أمركم أن تقيموا، فأقيموا، فإنه لا يقدم ولا يخجم، ولا يؤخر ولا يقدم، إلا عن أمري، وقد آثرتكم به على نفسي لنصيحتي لكم، وشدة شكمته على عدوكم»^{١٤٥٨}.

١٣٣ كتابه عليه السلام إلى الأشر النخعي

من كتاب له عليه السلام كتبه للأشر النخعي لما وآله على مصر و أعمالها، حين

ص: ٤٧٩

اضرب أمر أميرها محمد بن أبي بكر؛ وهو أطول عهد كتبه و أجمعه للمحاسن:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَذَا ما أمر به عبد الله على أمير المؤمنين مالك بن الحارث الأشر في عهده إليه حين وآله مصر جباية خراجها، وجهاد عدوها واستصلاح أهلها، وعمارة بلادها، أمره بتقوى الله، وإيثار طاعته، واتباع ما أمر به في كتابه، من فرائضه وسننه، التي لا يسعد أحد إلا باتباعها، ولا يشقى إلام جودها وإضاعته، وأن ينصر الله سبحانه بقلبه وبده ولسانه، فإنه جل اسمه قد تكفل بنصر من نصره، وإغزاز من أغزه، وأمره أن يكسر نفسه من الشهوات، ويزعها عند الجمحات، فإن النفس أماره بالسوء إلاما رحيم الله.

ثم أعلم يا مالك، أنني قد وجهتكم إلى بلاد قد جرت عليها دُول قبلك من عدل وجور، وأن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاة قبلك، ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم، وإنما يستدل على الصالحين بما يجرى الله لهم على السن عبادته، فليكن أحب الذخائر إليك، ذخيرة العمل الصالح، فأملك هواك، وشح بنفسك عما لا يجلك، فإن الشح بالنفس الانصاف منها فيما أحببت أو كرهت.

^{١٤٥٦} (١) كل السيف، فهو كليل: إذا لم يقطع. و طبة السيف: طرفه (النهاية: ج ٤ ص ١٩٨ و ج ٣ ص ١٥٥).

^{١٤٥٧} (٢) يقال: نأى حد السيف: إذا لم يقطع (النهاية: ج ٥ ص ١).

^{١٤٥٨} (٣) نهج البلاغة: الكتاب ٣٨ و راجع: الأمالي للمفيد: ص ٨٠؛ تاريخ البعقوبي: ج ٢ ص ١٨٣، الغارات: ج ١ ص ٢٦٠ - ٢٦٦؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٦ ص ٧٥، تاريخ الطبري: ج ٦ ص ٣٣٩٤، الكامل في التاريخ: ج ٣ ص ١٧٧، تاريخ مدينة دمشق: ج ٥٣ ص ٤٤٦.

وَأَشِعِرْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعًا ضَارِيًا تَعْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَحْسَنُ لَكَ فِي الدِّينِ، أَوْ نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ، يَفْرَطُ مِنْهُمْ الزَّلُّ، وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلْلُ، وَيُؤْتِي عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطِيئَةِ، فَأَعْطِهِمْ مِنْ غَفْوِكَ وَصَفْحِكَ، مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ وَتَرْضَى أَنْ يُعْطِيكَ اللَّهُ مِنْ غَفْوِهِ وَصَفْحِهِ، فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ، وَاللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَوَلَاكَ، وَقَدْ اسْتَكْفَاكَ أَمْرَهُمْ وَابْتَلَاكَ بِهِمْ.

ص: ٤٨٠

وَلَا تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِخَرْبِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ لَا يَدَّ لَكَ بِنِفْمَتِهِ، وَلَا غِنَى بِكَ عَنْ غَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَلَا تَنْدَمَنَّ عَلَى غَفْوٍ وَلَا تَبْجَحَنَّ بِعُقُوبَةٍ، وَلَا تُسْرِعَنَّ إِلَى بَادِرَةٍ وَجَدْتَ مِنْهَا مَسَدًا، وَلَا تَقُولَنَّ إِنِّي مُؤَمَّرٌ أَمْرٌ فَأَطَاعُ، فَإِنَّ ذَلِكَ إِدْغَالٌ فِي الْقَلْبِ، وَمِنْهُكَهُ لِلدِّينِ، وَتَقَرَّبَ مِنَ الْغَيْبِ، وَإِذَا أَحْدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أَبْهَةً أَوْ مَخِيلَةً، فَانظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ اللَّهِ فَوْقَكَ، وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَى مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُطَامِنُ إِلَيْكَ مِنْ طِمَاحِكَ، وَيَكْفُفُ عَنْكَ مِنْ غَرْبِكَ، وَيَفِيءُ إِلَيْكَ بِمَا عَزَبَ عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ.

إِيَّاكَ وَمُسَامَاةَ اللَّهِ فِي عِظَمَتِهِ، وَالتَّشَبُّهَ بِهِ فِي جَبْرُوتِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ، وَيُهَيِّئُ كُلَّ مُخْتَالٍ.

أَنْصِفِ اللَّهَ، وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ، وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ، وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوَى مِنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّكَ إِنْ لَا تَفْعَلْ تَظْلِمُ، وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ حَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ، وَمَنْ خَاصَمَهُ اللَّهُ أَذْخَصَ حُجَّتَهُ، وَكَانَ لِلَّهِ حَرْبًا حَتَّى يَنْزِعَ أَوْ يَنْتَوِبَ، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللَّهِ، وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَتِهِ عَلَى ظُلْمٍ، فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ دَعْوَةَ الْمُضْطَّهِدِينَ، وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ.

وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ، وَأَعْمُهَا فِي الْعَدْلِ، وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ، فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَى الْخَاصَّةِ، وَإِنْ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِي مَوْوَنَةً فِي الرَّخَاءِ، وَأَقْلَبَ مَعُونَةً لَهُ فِي الْبَلَاءِ، وَأَكْرَهَ لِلْأَنْصَافِ، وَأَسْأَلَ بِالْأَلْحَافِ، وَأَقْلَبَ شُكْرًا عِنْدَ الْإِعْطَاءِ، وَأَبْطَأَ عُدْرًا عِنْدَ الْمَنْعِ، وَأَضْعَفَ صَبْرًا عِنْدَ مِلْمَاتِ الدَّهْرِ، مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ، وَإِنَّمَا عِمَادُ الدِّينِ، وَجَمَاعُ الْمُسْلِمِينَ، وَالْعُدَّةُ لِلْإِعْدَاءِ الْعَامَّةِ مِنَ الْأُمَّةِ، فَلْيَكُنْ صِغُوكَ لَهُمْ، وَمِثْلَكَ مَعَهُمْ.

ص: ٤٨١

لْيَكُنْ أْبَعْدَ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ، وَأَشْنَاهُمْ عِنْدَكَ، أَطْلُبُهُمْ لِمَعَايِبِ النَّاسِ، فَإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوبًا، الْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا، فَلَا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ، وَاللَّهُ يَحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ، فَاسْتُرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْتَطَعْتَ، يَسْتُرِ اللَّهُ مِنْكَ مَا تُحِبُّ سِتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ.

أَطْلِقْ عَنِ النَّاسِ عُقْدَةَ كُلِّ حِفْدٍ، وَأَقْطَعْ عَنْكَ سَبَبَ كُلِّ وَثْرٍ، وَتَغَابَ عَنْ كُلِّ مَا لَا يُضِيحُ لَكَ، وَلَا تَعْجَلَنَّ إِلَى تَصْدِيقِ سَاعٍ، فَإِنَّ السَّاعِيَ غَاشٌّ، وَإِنْ تَشَبَّهَ بِالنَّاصِحِينَ.

وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلًا يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ، وَيَعِدُّكَ الْفَقْرَ، وَلَا جَبَانًا يُضْعِفُكَ عَنِ الْأُمُورِ، وَلَا حَرِيصًا يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَّ بِالْجَوْرِ، فَإِنَّ الْبُخْلَ وَالْجُبْنَ وَالْحَرِصَ غَرَائِزُ شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ.

إِنَّ شَرَّ وُزَرَائِكَ مَنْ كَانَ لِلأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزَيْرًا، وَمَنْ شَرَكَهُمْ فِي الأَثَامِ، فَلَا يَكُونَنَّ لَكَ بِطَانَةً، فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الأَثْمَةِ، وَإِخْوَانُ الظُّلْمَةِ، وَأَنْتِ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ الخَلْفِ مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَنَفَادِهِمْ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ أَصَارِهِمْ وَأَوْزَارِهِمْ وَأَثَامِهِمْ، مِمَّنْ لَمْ يُعَاوِنْ ظَالِمًا عَلَى ظُلْمِهِ، وَلَا آثِمًا عَلَى إِثْمِهِ، أَوْلَيْكَ أَخْفُ عَلَيْكَ مَوْوَنَةً، وَأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةً، وَأَخْنَى عَلَيْكَ عَطْفًا، وَأَقْلُّ لِعَیْرِكَ إِلفًا، فَاتَّخِذِي أَوْلِيَّكَ خَاصَّةً لِخَلَوَاتِكَ وَخَفَلَاتِكَ.

ثُمَّ لِيَكُنْ أَثَرُهُمْ عِنْدَكَ أَقْوَلَهُمْ بِمَرِّ الحَقِّ لَكَ، وَأَقْلَهُمْ مُسَاعَدَةً فِيمَا يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا كَرِهَ اللهُ لأَوْلِيَائِهِ وَأَقْبَعًا، ذَلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعْتَ، وَالصَّقُّ بِأَهْلِ الوَرَعِ وَالصِّدْقِ، ثُمَّ رُضُّهُمْ عَلَى أَنْ لَا يُطْرُوكَ، وَلَا يُبْجَحُوكَ بِبَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلِيهِ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الاطِّرَاءِ تُخَدِّثُ الرَّهْوَ، وَتُدْنِي مِنَ العِزَّةِ.

وَلَا يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَرْهِيدًا لِأَهْلِ

ص: ٤٨٢

الإِحْسَانَ فِي الإِحْسَانِ، وَتَدْرِيبًا لِأَهْلِ الإِسَاءَةِ عَلَى الإِسَاءَةِ، وَالزُّمُّ كَلًّا مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعَى إِلَى حُسْنِ ظَنِّ رَاعٍ بِرَعِيَّتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ، وَتَخْفِيفِهِ الْمُؤُونَاتِ عَلَيْهِمْ، وَتَرَكَ اسْتِكْرَاهِيهِ إِيَّاهُمْ عَلَى مَا لَيْسَ لَهُ قِبَلَهُمْ، فَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذَلِكَ أَمْرٌ يَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ حُسْنُ الظَّنِّ بِرَعِيَّتِكَ، فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ يَقْطَعُ عَنْكَ نَصَبًا طَوِيلًا، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ حَسَنَ ظَنِّكَ بِهِ لَمَنْ حَسَنَ بِلَاؤُكَ عِنْدَهُ، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ سَاءَ بِلَاؤُكَ عِنْدَهُ.

وَلَا تَنْقُضْ سُنَّةَ صَالِحَةٍ عَمِلَ بِهَا صُدُورُ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَاجْتَمَعَتْ بِهَا الأَلْفَةُ، وَصَلَحَتْ عَلَيْهَا الرَّعِيَّةُ، وَلَا تُخَدِّثَنَّ سُنَّةَ تَضَرُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاضِيِ تِلْكَ السَّنَنِ، فَيَكُونُ الأَجْرُ لِمَنْ سَنَّهَا، وَالوِزْرُ عَلَيْكَ بِمَا نَقَضْتَ مِنْهَا.

وَأَكْثَرُ مَدَارِسَةِ العُلَمَاءِ، وَمُنَاقَشَةِ الحُكَمَاءِ فِي تَثْبِيتِ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرٌ بِلَادِكَ، وَإِقَامَةِ مَا اسْتَقَامَ بِهِ النَّاسُ قَبْلَكَ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لَا يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ، وَلَا غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ، فَمِنْهَا جُنُودُ اللهِ، وَمِنْهَا كُتَّابُ العَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ، وَمِنْهَا قُضَاةُ العَدْلِ، وَمِنْهَا عُمَّالُ الإِنصَافِ والرِّفْقِ، وَمِنْهَا أَهْلُ الجَزِيَةِ وَالخَرَاجِ مِنْ أَهْلِ الدِّمَّةِ وَمُسْلِمَةِ النَّاسِ، وَمِنْهَا التُّجَّارُ وَأَهْلُ الصَّنَاعَاتِ، وَمِنْهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذَوِي الحَاجَةِ وَالْمَسْكِنَةِ وَكُلُّ قَدْ سَمَى اللهُ لَهُ سَهْمَةً، وَوَضَعَ عَلَى حَدِّهِ فَرِيضَةً فِي كِتَابِهِ، أَوْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَهْدًا مِنْهُ عِنْدَنَا مَحْفُوظًا.

فَالجُنُودُ بِإِذْنِ اللهِ حُصُونُ الرَّعِيَّةِ، وَزَيْنُ الوُلَاةِ، وَعِزُّ الدِّينِ، وَسَبِيلُ الأَمْنِ، وَلَيْسَ تَقْوَمُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِهِمْ، ثُمَّ لَا قِوَامَ لِلجُنُودِ إِلَّا بِمَا يُخْرِجُ اللهُ لَهُمْ مِنَ الخَرَاجِ الَّذِي يَقْوُونَ بِهِ عَلَى جِهَادِ عَدُوِّهِمْ، وَيَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ فِيمَا يُصْلِحُهُمْ، وَيَكُونُ مِنْ وِرَائِهِ حَاجَتِهِمْ، ثُمَّ لَا قِوَامَ لِهُدْيِ الصَّنْفَيْنِ إِلَّا بِالصَّنْفِ التَّالِي مِنَ القُضَاةِ، وَالْعُمَّالِ، وَالْكَتَّابِ، لِمَا

ص: ٤٨٣

يُحْكِمُونَ مِنَ الْمَعَاقِدِ، وَيَجْمَعُونَ مِنَ الْمَنَافِعِ، وَيُؤْتَمُونَ عَلَيْهِ مِنْ خَوَاصِّ الْأُمُورِ وَعَوَامِّهَا، وَلَا قِيَامَ لَهُمْ جَمِيعاً إِلَّا بِالتَّجَارِ وَذَوَى الصَّنَاعَاتِ فِيمَا يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَرَافِقِهِمْ، وَيُقِيمُونَ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ، وَيَكْفُونَهُمْ مِنَ التَّرَقُّقِ بِأَيْدِيهِمْ مَا لَا يَبْلُغُهُ رَفْقُ غَيْرِهِمْ، ثُمَّ الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ وَالْمَسْكَنَةِ الَّذِينَ يَحِقُّ رَفْدُهُمْ وَمَعُونَتُهُمْ، وَفِي اللَّهِ لِكُلِّ سَعَةٍ، وَلِكُلِّ عَلَى الْوَالِي حَقٌّ بِقَدْرِ مَا يُصْلِحُهُ، وَلَيْسَ يَخْرُجُ الْوَالِي مِنْ حَقِيقَتِهِ مَا أَلَزَمَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا بِالْاهْتِمَامِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ، وَتَوْطِينِ نَفْسِهِ عَلَى لُزُومِ الْحَقِّ، وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ فِيمَا حَفَّ عَلَيْهِ أَوْ نُقِلَ.

قَوْلٌ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَإِمَامِكَ، وَأَنْقَاهُمْ جَبِيئاً، وَأَفْضَلَهُمْ حِلْماً، مِمَّنْ يُبْطِئُ عَنِ الْغَضَبِ، وَيَسْتَرِيحُ إِلَى الْعَذْرِ، وَيَرَأْفُ بِالضَّعْفَاءِ، وَيَنْبُو عَلَى الْأَقْوِيَاءِ، وَمِمَّنْ لَا يُثِيرُهُ الْعُنْفُ، وَلَا يَقَعْدُ بِهِ الضَّغْفُ.

ثُمَّ الصَّقُ بِذَوَى الْمُرُوءَاتِ وَالْأَحْسَابِ، وَأَهْلِ الْبِيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ وَالسَّوَابِقِ الْحَسَنَةِ، ثُمَّ أَهْلِ النَّجْدَةِ وَالشَّجَاعَةِ وَالسَّخَاءِ وَالسَّمَاخَةِ؛ فَإِنَّهُمْ جَمَاعٌ مِنَ الْكِرَامِ، وَشُعَبٌ مِنَ الْعُرْفِ، ثُمَّ تَفَقَّدُوا مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُ الْوَالِدَانِ مِنْ وَلَدَيْهِمَا، وَلَا يَتَفَاقَمَنَّ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ قَوِيَّتُهُمْ بِهِ، وَلَا تَحْقِرَنَّ لُطْفاً تَعَاهَدْتَهُمْ بِهِ وَإِنْ قَلَّ، فَإِنَّهُ دَاعِيَةٌ لَهُمْ إِلَى بَدْلِ النَّصِيحَةِ لَكَ، وَحُسْنِ الظَّنِّ بِكَ، وَلَا تَدَعُ تَفَقُّدَ لَطِيفِ أُمُورِهِمْ اتِّكَالاً عَلَى جَسِيمِهَا، فَإِنَّ لَلْيَسِيرِ مِنْ لُطْفِكَ مَوْضِعاً يَنْتَفِعُونَ بِهِ، وَلِلْجَسِيمِ مَوْضِعاً لَا يَسْتَعْنُونَ عَنْهُ.

وَلْيَكُنْ آثَرُ رُؤُوسِ جُنُودِكَ عِنْدَكَ مَنْ وَسَّاهُمْ فِي مَعُونَتِهِ، وَأَفْضَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ جِدَّتِهِ بِمَا يَسْعَهُمْ، وَيَسَعُ مَنْ وَرَاءَ هُمْ مِنْ خُلُوفِ أَهْلِيهِمْ، حَتَّى يَكُونَ هَمُّهُمْ هَمّاً وَاحِداً فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ، فَإِنَّ عَطْفَكَ عَلَيْهِمْ يَعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ، وَإِنْ أَفْضَلَ قَرَّةَ عَيْنِ الْوَلَاةِ اسْتِقَامَةَ الْعَدَالِ فِي الْبِلَادِ، وَظُهُورَ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ وَإِنَّهُ لَا تَظْهَرُ مَوَدَّتُهُمْ إِلَّا

ص: ٤٨٤

بِسَلَامَتِهِ صُدُورِهِمْ، وَلَا تَصِحُّ نَصِيحَتُهُمْ إِلَّا بِحَيْطَتِهِمْ عَلَى وِلَاةِ الْأُمُورِ وَقَلْبِهِ اسْتِثْقَالِ دَوْلِهِمْ، وَتَرْكِ اسْتِبْطَاءِ انْقِطَاعِ مَدَّتِهِمْ، فَافْسَحْ فِي أَمَالِهِمْ، وَوَاوِصِلْ فِي حُسْنِ التَّنَاءِ عَلَيْهِمْ، وَتَعْدِيدِ مَا أَبْلَى ذُؤُوبَ الْبَلَاءِ مِنْهُمْ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الذِّكْرِ لِحُسْنِ أَعْمَالِهِمْ تَهْزُ الشُّجَاعَ، وَتَحْرُضُ النَّاكِلَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

ثُمَّ اعْرِفْ لِكُلِّ امْرئٍ مِنْهُمْ مَا أَبْلَى، وَلَا تَضْمَنَّ بِلَاءَ امْرئٍ إِلَى غَيْرِهِ، وَلَا تُقْصِرَنَّ بِهِ دُونَ غَايَةِ بِلَائِهِ، وَلَا يَدْعُوَنَّكَ شَرَفُ امْرئٍ إِلَى أَنْ تُعْظِمَ مِنْ بِلَائِهِ مَا كَانَ صَغِيرًا، وَلَا ضَعْفُ امْرئٍ إِلَى أَنْ تَسْتَنْصِرَ مِنْ بِلَائِهِ مَا كَانَ عَظِيمًا، وَارْذُدْ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَا يُضِلُّكَ مِنَ الْخُطُوبِ، وَيَسْتَبِيهِ عَلَيْكَ مِنَ الْأُمُورِ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِقَوْمٍ أَحَبَّ إِرْشَادَهُمْ: «يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ»^{١٤٥٩}، فَالرَّدُّ إِلَى اللَّهِ الْأَخْذُ بِمُحْكَمِ كِتَابِهِ، وَالرَّدُّ إِلَى الرَّسُولِ الْأَخْذُ بِسُنَّتِهِ الْجَامِعَةِ غَيْرِ الْمَفْرَقَةِ.

ثُمَّ اخْتَرْ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ مِمَّنْ لَا تَضِيقُ بِهِ الْأُمُورُ، وَلَا تُمَحِّكُهُ الْخُصُومُ، وَلَا يَتِمَادِي فِي الرِّلَّةِ، وَلَا يَحْضُرُ مِنَ الْفِيءِ إِلَى الْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ، وَلَا تُشْرِفْ نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ، وَلَا يَكْتَفِي بِأَدْنَى، فَهَمُّ دُونَ أَفْصَاهُ وَأَوْفَقَهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ، وَأَخَذَهُمْ بِالْحَجَجِ، وَأَقْلَهُمْ تَبَرُّماً بِمَرَاجِعَةِ الْخَصْمِ، وَأَصْبَرَهُمْ عَلَى تَكْشِفِ الْأُمُورِ، وَأَصْرَمَهُمْ عِنْدَ اتِّضَاحِ الْحُكْمِ، مِمَّنْ لَا يَزْدَهِيهِ

إِطْرَاءً، وَلَا يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءً، وَأَوْلَيْكَ قَلِيلٌ، ثُمَّ أَكْثَرُ تَعَاهُدَ قَضَائِهِ، وَأَفْسَحُ لَهُ فِي الْبَدَلِ مَا يُزِيلُ عِلَّتَهُ وَتَقِلُّ مَعَهُ حَاجَتُهُ إِلَى النَّاسِ، وَأَعْطِيهِ مِنَ الْمَنْزِلَةِ لَدَيْكَ مَا لَا يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ خَاصَّتِكَ، لِإِيْمَانِ بِذَلِكَ اغْتِيَالِ الرَّجَالِ لَهُ عِنْدَكَ، فَانظُرْ فِي ذَلِكَ نَظْرًا بَلِيغًا، فَإِنَّ هَذَا الدِّينَ قَدْ كَانَ أَسِيرًا فِي أَيْدِي الْأَشْرَارِ، يُعْمَلُ فِيهِ بِالْهَوَى، وَتُطَلَّبُ بِهِ الدُّنْيَا.

ص: ٤٨٥

ثُمَّ انظُرْ فِي أُمُورِ عُمَالِكَ، فَاسْتَعْمِلْهُمْ اخْتِبَارًا، وَلَا تَوَلَّهِمْ مُحَابَاةً، وَأَثَرَةً فَإِنَّهُمَا جِمَاعٌ مِنْ شُعَبِ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ، وَتَوَخَّ مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجْرِبَةِ وَالْحَيَاءِ مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ.

وَالْقَدَمُ فِي الْإِسْلَامِ الْمُتَقَدِّمَةُ، فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلَاقًا، وَأَصْحَى أَعْرَاضًا، وَأَقْلُّ فِي الْمَطَامِعِ إِشْرَاقًا، وَأَبْلَغُ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ نَظْرًا، ثُمَّ أَسْبَغُ عَلَيْهِمُ الْأَرْزَاقَ، فَإِنَّ ذَلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِصْلَاحِ أَنْفُسِهِمْ، وَغِنَى لَهُمْ عَنِ تَنَاوُلِ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ، وَحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ، أَوْ ثَلَمُوا أَمَانَتَكَ، ثُمَّ تَفَقَّدَ أَعْمَالَهُمْ، وَابْعَثِ الْعِيُونََ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقِ وَالْوَفَاءِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ تَعَاهُدَكَ فِي السِّرِّ لِأُمُورِهِمْ حَذْوَةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِعْمَالِ الْأَمَانَةِ، وَالرَّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ.

وَتَحَفَّظُ مِنَ الْأَعْوَانِ، فَإِنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ، إِلَى خِيَانَةٍ اجْتَمَعَتْ بِهَا عَلَيْهِ عِنْدَكَ أَخْبَارُ عُيُونِكَ اِكْتَفَيْتَ بِذَلِكَ شَاهِدًا، فَبَسَطْتَ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ فِي بَدَنِهِ، وَأَخَذْتَهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ عَمَلِهِ، ثُمَّ نَصَبْتَهُ بِمَقَامِ الْمَذَلَّةِ، وَوَسَمْتَهُ بِالْخِيَانَةِ، وَقَلَّدْتَهُ عَارَ التَّهْمَةِ.

وَتَفَقَّدَ أَمْرَ الْخَرَاجِ بِمَا يُصْلِحُ أَهْلَهُ، فَإِنَّ فِي صَلَاحِهِ وَصَلَاحِهِمْ صَلَاحًا لِمَنْ سِوَاهُمْ، وَلَا صَلَاحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ إِلَّا بِهِمْ، لِأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِيَالٌ عَلَى الْخَرَاجِ وَأَهْلِهِ.

وَلْيَكُنْ نَظْرُكَ فِي عِمَارَةِ الْأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظْرِكَ فِي اسْتِجْلَابِ الْخَرَاجِ، لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يُدْرِكُ إِلَّا بِالْعِمَارَةِ، وَمَنْ طَلَبَ الْخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَةٍ أَخْرَبَ الْبِلَادَ، وَأَهْلَكَ الْعِبَادَ، وَلَمْ يَسْتَقِمِ أَمْرُهُ إِلَّا قَلِيلًا، فَإِنْ شَكَّوْا ثِقَلًا أَوْ عِلَّةً، أَوْ انْقِطَاعَ شَرِبٍ، أَوْ بَالَهُ^{١٤٦٠}، أَوْ إِحَالَةَ أَرْضٍ اعْتَمَرَهَا غَرَقٌ، أَوْ أَجْحَفَ بِهَا عَطَشٌ، حَقَّقْتَ عَنْهُمْ بِمَا تَرَجُّو أَنْ يُصْلِحَ بِهِ أَمْرَهُمْ، وَلَا يَتَفَلَّنَ عَلَيْكَ شَيْءٌ حَقَّقْتَ بِهِ الْمُؤُونَةَ عَنْهُمْ، فَإِنَّهُ ذُخْرٌ يَعُودُونَ بِهِ

ص: ٤٨٦

عَلَيْكَ فِي عِمَارَةِ بِلَادِكَ، وَتَرْبِيَةِ وَلَايَتِكَ مَعَ اسْتِجْلَابِكَ حُسْنِ تَنَائِيهِمْ، وَتَبَجِّحِكَ بِاسْتِفَاضَةِ الْعَدْلِ فِيهِمْ، مُعْتَمِدًا فَضْلَ قُوَّتِهِمْ بِمَا دَخَرْتَ عِنْدَهُمْ مِنْ إِجْمَامِكَ لَهُمْ، وَالثَّقَّةَ مِنْهُمْ بِمَا عَوَدْتَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ، وَرَفِيقِكَ بِهِمْ، فَرَبَّمَا حَدَثَ مِنْ الْأُمُورِ مَا إِذَا عَوَّلْتَ فِيهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَعْدِ احْتِمَالُوهُ طَيِّبَةً أَنْفُسُهُمْ بِهِ، فَإِنَّ الْعُمَرَانَ مُحْتَمِلٌ مَا حَمَلْتَهُ، وَإِنَّمَا يُؤْتَى خَرَابُ الْأَرْضِ مِنْ إِغْوَاذِ أَهْلِهَا، وَإِنَّمَا يُعَوِّزُ أَهْلُهَا لِإِشْرَافِ أَنْفُسِ الْوَلَاةِ عَلَى الْجَمْعِ، وَسُوءِ ظَنِّهِمْ بِالْبَقَاءِ، وَقِلَّةِ انْتِفَاعِهِمْ بِالْعَبْرِ.

^{١٤٦٠} (١) انقطاع باله: أي ما يبيل الأرض من ندى و مطر (شرح نهج البلاغة، صبحي الصالح، الرقم ٤١٠٦).

ثُمَّ أَنْظِرْ فِي حَالِ كِتَابِكَ، قَوْلَ عَلَى أُمُورِكَ خَيْرَهُمْ، وَاخْصُصْ رَسَائِلَكَ الَّتِي تُدْخِلُ فِيهَا مَكَائِدَكَ، وَأَسْرَارَكَ بِأَجْمَعِهِمْ، لَوْجُوهِ صَالِحِ الْأَخْلَاقِ مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ الْكِرَامَةُ فَيَجْتَرِي بِهَا عَلَيْكَ فِي خِلَافِ لَكَ بِحَضْرَةِ مَلَاءٍ، وَلَا تَقْصُرْ بِهِ الْعَقْلَةَ عَنْ إِبْرَادِ مَكَاتِبَاتِ عُمَّالِكَ عَلَيْكَ، وَإِصْدَارِ جَوَابَاتِهَا عَلَى الصَّوَابِ عَنْكَ فِيمَا يَأْخُذُ لَكَ، وَيُعْطِي مِنْكَ، وَلَا يُضْعِفُ عَقْدًا اعْتَقَدَهُ لَكَ، وَلَا يَعْجِزُ عَنْ إِطْلَاقِ مَا عَقَدَ عَلَيْكَ.

وَلَا يَجْهَلُ مَبْلَغَ قَدْرِ نَفْسِهِ فِي الْأُمُورِ، فَإِنَّ الْجَاهِلَ بِقَدْرِ نَفْسِهِ يَكُونُ بِقَدْرِ غَيْرِهِ أَجْهَلَ.

ثُمَّ لَا يَكُنْ اخْتِيَارُكَ إِيَّاهُمْ عَلَى فِرَاسَتِكَ، وَاسْتِنَامَتِكَ، وَحُسْنِ الظَّنِّ مِنْكَ، فَإِنَّ الرَّجَالَ يَتَعَرَّضُونَ لِفِرَاسَاتِ الْوُلَاةِ بِتَصَنُّعِهِمْ، وَحُسْنِ خِدْمَتِهِمْ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ النَّصِيحَةِ وَالْأَمَانَةِ شَيْءٌ، وَلَكِنْ اخْتَبِرْهُمْ بِمَا وُلُّوا لِلصَّالِحِينَ قَبْلَكَ، فَاعْمِدْ لِأَحْسَنِهِمْ كَانَ فِي الْعَامَّةِ أَثْرًا، وَأَعْرِفِهِمْ بِالْأَمَانَةِ وَجْهًا، فَإِنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى نَصِيحَتِكَ لِلَّهِ، وَلِمَنْ وُلِّيتَ أَمْرَهُ.

وَاجْعَلْ لِرَأْسِ كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِكَ رَأْسًا مِنْهُمْ لَا يَقْهَرُهُ كِبِيرُهَا وَلَا يَتَشَتَّتُ عَلَيْهِ كَثِيرُهَا، وَمَهْمَا كَانَ فِي كِتَابِكَ مِنْ غَيْبٍ فَتَعَابَيْتَ عَنْهُ أَلْزَمْتَهُ.

ص: ٤٨٧

ثُمَّ اسْتَوْصِ بِالتَّجَارِ وَذَوَى الصَّنَاعَاتِ، وَأَوْصِ بِهِمْ خَيْرًا: الْمُقِيمِ مِنْهُمْ، وَالْمُضْطَرِّبِ بِمَالِهِ، وَالْمُتَرَفِّقِ بِبَدَنِهِ، فَإِنَّهُمْ مَوَادُّ الْمَنَافِعِ، وَأَسْبَابُ الْمَرَافِقِ، وَجَلَابِهَا مِنَ الْمَبَاعِدِ وَالْمَطَارِحِ فِي بَرْكٍ وَبَحْرِكَ وَسَهْلِكَ وَجَبَلِكَ، وَحَيْثُ لَا يَلْتَمِمْ النَّاسُ لِمَوَاضِعِهَا وَلَا يَجْتَرِوُونَ عَلَيْهَا، فَإِنَّهُمْ سِلْمٌ لَا تُخَافُ بِانْقِطَعَتْ، وَصَلْحٌ لَا تُخْشَى غَائِلَتُهُ، وَتَفَقُّدُ أُمُورِهِمْ بِحَضْرَتِكَ، وَفِي حَوَاشِي بِلَادِكَ، وَاعْلَمْ مَعَ ذَلِكَ أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ ضَيْقًا فَاحِشًا، وَشَحًّا قَبِيحًا، وَاحْتِكَارًا لِلْمَنَافِعِ، وَتَحَكُّمًا فِي الْبِيَاعَاتِ، وَذَلِكَ بَابُ مَضْرَّةٍ لِلْعَامَّةِ، وَعَيْبٌ عَلَى الْوُلَاةِ، فَامْنَعْ مِنَ الْاِحْتِكَارِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَنَعَ مِنْهُ، وَلَيْكُنِ الْبَيْعُ بَيْعًا سَمْحًا، بِمَوَازِينِ عَدْلٍ وَأُسْعَارٍ، لَا تُجْحِفُ بِالْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْبَائِعِ وَالْمُبْتَاعِ، فَمَنْ قَارَفَ حُكْرَةً بَعْدَ نَهْيِكَ إِيَّاهُ فَتَكَلَّلْ بِهِ، وَعَاقِبْهُ فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ.

ثُمَّ اللَّهُ اللَّهُ، فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ، مِنَ الْمَسَاكِينِ، وَالْمُحْتَاجِينَ، وَأَهْلِ الْبُؤْسَى، وَالزَّمْنَى، فَإِنَّ فِي هَذِهِ الطَّبَقَةِ قَانِعًا وَمُعْتَرًّا، وَاحْفَظْ لِلَّهِ مَا اسْتَحْفَظَكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ، وَاجْعَلْ لَهُمْ قِسْمًا مِنْ بَيْتِ مَالِكَ، وَقِسْمًا مِنْ غَلَاتِ صَوَافِي الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ بَلَدٍ، فَإِنَّ لِلْأَفْصَى مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذِي لِلْأَذْنَى، وَكُلُّ قَدِ اسْتُرْعِيَتْ حَقُّهُ، فَلَا يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُمْ بَطْرٌ، فَإِنَّكَ لَا تُعْذِرُ بِتَضْيِيعِكَ النَّافَةَ، لِاحْتِكَامِكَ الْكَثِيرِ الْمُهْمِّ، فَلَا تُشْخِصْ هَمَّكَ عَنْهُمْ، وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لَهُمْ، وَتَفَقُّدُ أُمُورٍ مَنْ لَا يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ، مِمَّنْ تَفْتَحِمُهُ الْعِيُونَ، وَتَحْفِرُهُ الرَّجَالُ، فَفَرِّعْ لِأَوْلَادِكَ ثَقَّتَكَ مِنْ أَهْلِ الْخَشْيَةِ وَالتَّوَاضُعِ، فَلْيُرْفَعْ إِلَيْكَ أُمُورَهُمْ، ثُمَّ اعْمَلْ فِيهِمْ بِالْإِعْدَارِ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ تَلْقَاهُ، فَإِنَّ هَوْلًا مِنْ بَيْنِ الرَّعِيَّةِ أَحْوَجُ إِلَى الْإِنْصَافِ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَكُلُّ قَانِعٍ إِلَى اللَّهِ فِي تَأْدِيبِهِ حَقُّهُ إِلَيْهِ.

وَتَعَهَّدْ أَهْلَ الْيَتِيمِ وَذَوَى الرَّقَّةِ فِي السَّنِّ، مِمَّنْ لَا حِيلَةَ لَهُ، وَلَا يَنْصِبُ لِلْمَسْأَلَةِ نَفْسَهُ، وَذَلِكَ عَلَى الْوُلَاةِ ثَقِيلٌ، وَالْحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ.

وَقَدْ يُخَفِّفُهُ اللَّهُ عَلَى أَقْوَامٍ طَلَبُوا الْعَاقِبَةَ، فَصَبَرُوا أَنْفُسَهُمْ، وَوَثِقُوا بِصِدْقِ مَوْعِدِ اللَّهِ لَهُمْ.

وَاجْعَلْ لِدَوَى الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْمًا، تُفَرِّغْ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ، وَتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِسًا عَامًّا، فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَكَ، وَتُقْعِدُ عَنْهُمْ جُنْدَكَ، وَأَعْوَانَكَ، مِنْ أَحْرَاسِكَ وَشُرَطِكَ حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَتَعِّعٍ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ: لَنْ تَقْدَسَ أُمَّةٌ لَا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَتَعِّعٍ؛ ثُمَّ احْتَمَلَ الْخُرْقَ مِنْهُمْ وَالْعَيْ، وَنَحَّ عَنْهُمْ الضِّيقَ وَالْأَنْفَ، يَبْسُطُ اللَّهُ عَلَيْكَ بِذَلِكَ أَكْنَافَ رَحْمَتِهِ، وَيُوجِبُ لَكَ ثَوَابَ طَاعَتِهِ، وَأَعْطَى مَا أُعْطِيََتْ هَنِيئًا، وَامْنَعُ فِي إِجْمَالٍ وَإِعْذَارٍ.

ثُمَّ أُمُورٌ مِنْ أُمُورِكَ لَا بَدَّ لَكَ مِنْ مُبَاشَرَتِهَا، مِنْهَا إِجَابَةُ عَمَّا لَكَ بِمَا يَعْنِي عَنْهُ كِتَابُكَ، وَمِنْهَا إِصْدَارُ حَاجَاتِ النَّاسِ يَوْمَ وَرُودِهَا عَلَيْكَ بِمَا تَخْرُجُ بِهِ صُدُورُ أَعْوَانِكَ.

وَأَمْضِ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ، فَإِنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ مَا فِيهِ، وَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ أَفْضَلَ تِلْكَ الْمَوَاقِيتِ، وَأَجْزَلَ تِلْكَ الْأَقْسَامِ، وَإِنْ كَانَتْ كُلُّهَا لِلَّهِ، إِذَا صَلَحَتْ فِيهَا النَّيَّةُ، وَسَلِمَتْ مِنْهَا الرَّعِيَّةُ، وَلَيْكُنْ فِي خَاصَّةٍ مَا تُخْلِصُ بِهِ لِلَّهِ دِينَكَ إِقَامَتَهُ فَرَائِضِهِ الَّتِي هِيَ لَهُ خَاصَّةٌ، فَأَعْطِ اللَّهَ مِنْ بَدَنِكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ، وَوَفَّ مَا تَقَرَّبْتَ بِهِ إِلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ، كَامِلًا غَيْرَ مَتَلُومٍ وَلَا مَنْقُوصٍ، بِأَلِغَا مِنْ بَدَنِكَ مَا بَلَغَ.

وَإِذَا قُمْتَ فِي صَلَاتِكَ لِلنَّاسِ فَلَا تَكُونَنَّ مُنْفَرًّا، وَلَا مُضَيِّعًا، فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَنْ بِهِ الْعِلَّةُ وَلَهُ الْحَاجَةُ، وَقَدْ سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حِينَ وَجَّهَنِي إِلَى الْيَمَنِ كَيْفَ أَصَلَّى بِهِمْ؟ فَقَالَ: صَلِّ بِهِمْ كَصَلَاةِ أضعفهم، وَكُنْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا.

وَأَمَّا بَعْدُ: فَلَا تُطَوَّلَنَّ احْتِجَابَكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّ احْتِجَابَ الْوَلَاةِ عَنِ الرَّعِيَّةِ

شُعْبَةٌ مِنَ الضِّيقِ، وَقِلَّةٌ عِلْمٍ بِالْأُمُورِ، وَالِاحْتِجَابُ مِنْهُمْ يَفْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ مَا احْتَجَبُوا دُونَهُ، فَيَضَعُرُّ عِنْدَهُمُ الْكَبِيرُ، وَيَعْظُمُ الصَّغِيرُ، وَيَقْبُحُ الْحَسَنُ، وَيَخْسُنُ الْقَبِيحُ، وَيُشَابُ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ، وَإِنَّمَا الْوَالِي بَشَرٌ لَا يَعْرِفُ مَا تَوَارَى عَنْهُ النَّاسُ بِهِ مِنَ الْأُمُورِ، وَلَيْسَتْ عَلَى الْحَقِّ سِمَاتٌ تُعْرَفُ بِهَا ضُرُوبُ الصِّدْقِ مِنَ الْكُذِّبِ، وَإِنَّمَا أَنْتَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ، إِذَا امْرُؤٌ سَخَتْ نَفْسُكَ بِالْبَدْلِ فِي الْحَقِّ، فَفِيهِ احْتِجَابُكَ مِنْ وَاجِبِ حَقِّ تَعْطِيهِ، أَوْ فِعْلِ كَرِيمٍ تُسَدِّدِيهِ، أَوْ مُبْتَلَى بِالْمَنْعِ، فَمَا أَسْرَعَ كَفَّ النَّاسُ عَنْ مَسْأَلَتِكَ إِذَا أَيْسُوا مِنْ بَدْلِكَ، مَعَ أَنَّ أَكْثَرَ حَاجَاتِ النَّاسِ إِلَيْكَ مِمَّا لَا مَوْوَنَةَ فِيهِ عَلَيْكَ مِنْ شِكَاةٍ مَظْلَمَةٍ، أَوْ طَلَبِ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ.

ثُمَّ إِنَّ لِلْوَالِي خَاصَّةً وَبِطَانَةً، فِيهِمْ اسْتِغْثَارٌ وَتَطَاوُلٌ، وَقِلَّةٌ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ، فَاحْسِبْ مَادَّةَ أَوْلِيكَ بِقَطْعِ أَسْبَابِ تِلْكَ الْأَحْوَالِ، وَلَا تُقْطِعَنَّ لِأَحَدٍ مِنْ حَاشِيَّتِكَ، وَحَامَّتِكَ قَطِيعَةً، وَلَا يَطْمَعَنَّ مِنْكَ فِي اعْتِقَادِ عُقْدَةٍ تَضُرُّ بِمَنْ يَلِيهَا مِنَ النَّاسِ فِي شَرْبٍ أَوْ عَمَلٍ مُشْتَرَكٍ يَحْمِلُونَ مَوْوَنَتَهُ عَلَى غَيْرِهِمْ، فَيَكُونُ مَهْنَأً ذَلِكَ لَهُمْ دُونَكَ وَعَيْبَةً عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَالزِّمَ الْحَقُّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ، وَكُنْ فِي ذَلِكَ صَابِرًا مُحْتَسِبًا، وَاقِعًا ذَلِكَ مِنْ قَرَابَتِكَ وَخَاصَّتِكَ حَيْثُ وَقَعَ، وَابْتِغِ عَاقِبَتَهُ بِمَا يَنْتَقِلُ عَلَيْكَ مِنْهُ، فَإِنَّ مَعَبَّةَ ذَلِكَ مَحْمُودَةٌ، وَإِنْ ظَنَنْتَ الرَّعِيَّةَ بِكَ حَيْفًا فَأَصْحِرْ لَهُمْ بِعَذْرِكَ، وَاعْدِلْ عَنْكَ ظُنُونَهُمْ بِإِصْحَارِكَ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ رِيَاضَةً مِنْكَ لِنَفْسِكَ، وَرِفْقًا بِرَعِيَّتِكَ، وَإِعْذَارًا تَبْلُغُ بِهِ حَاجَتَكَ مِنْ تَقْوِيمِهِمْ عَلَى الْحَقِّ.

وَلَا تَدْفَعَنَّ صَلْحًا دَعَاكَ إِلَيْهِ عَدُوُّكَ، وَلِلَّهِ فِيهِ رِضًا، فَإِنَّ فِي الصَّلْحِ دَعَاةَ لِحُبُودِكَ، وَرَاحَةً مِنْ هُمُومِكَ، وَأَمْنًا لِبِلَادِكَ، وَلَكِنَّ الْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ عَدُوِّكَ بَعْدَ صَلْحِهِ، فَإِنَّ الْعَدُوَّ رَبَّمَا قَارَبَ لِيَتَغَفَّلَ فَخُذْ بِالْحَزْمِ، وَاتَّهِمْ فِي

ص: ٤٩٠

ذَلِكَ حُسْنَ الظَّنِّ، وَإِنْ عَقَدْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَدُوِّكَ عُقْدَةً، أَوْ أَلْبَسْتَهُ مِنْكَ ذِمَّةً، فَحُطْ عَهْدَكَ بِالْوَفَاءِ.

وَارِعْ ذِمَّتَكَ بِالْأَمَانَةِ، وَاجْعَلْ نَفْسَكَ جَنَّةً دُونَ مَا أُعْطِيَتْ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ شَيْءٌ النَّاسُ أَشَدُّ عَلَيْهِ اجْتِمَاعًا مَعَ تَفَرُّقِ أَهْوَائِهِمْ، وَتَشْتَتِ أَرَائِهِمْ مِنْ تَعْظِيمِ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ، وَقَدْ لَزِمَ ذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ دُونَ الْمُسْلِمِينَ، لِمَا اسْتَوْبَلُوا^{١٤٦} مِنْ عَوَاقِبِ الْعَدْرِ، فَلَا تُعْدِرَنَّ بِذِمَّتِكَ، وَلَا تَخِيْسَنَّ بِعَهْدِكَ، وَلَا تَخْتَلِنَنَّ عَدُوَّكَ، فَإِنَّهُ لَا يَجْتَرِي عَلَى اللَّهِ إِلَّا جَاهِلٌ شَقِيٌّ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ عَهْدَهُ وَذِمَّتَهُ أَمْنًا أَفْضَاهُ بَيْنَ الْعِبَادِ بِرَحْمَتِهِ، وَحَرِيمًا يَسْكُنُونَ إِلَى مَنَعَتِهِ، وَيَسْتَفِيضُونَ إِلَى جِوَارِهِ، فَلَا إِذْغَالَ وَلَا مُدَالَسَةَ، وَلَا خِدَاعَ فِيهِ، وَلَا تَعْقِدْ عَقْدًا تُجَوِّزُ فِيهِ الْعِلَلَ، وَلَا تَعُولَنَّ عَلَى لَحْنِ قَوْلٍ بَعْدَ التَّأَكِيدِ وَالتَّوْتُّقَةِ، وَلَا يَدْعُوتَكَ ضَيْقُ أَمْرٍ لَزِمَكَ فِيهِ عَهْدُ اللَّهِ إِلَى طَلَبِ انْفِسَاحِهِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، فَإِنَّ صَبْرَكَ عَلَى ضَيْقِ أَمْرٍ تَرْجُو انْفِرَاجَهُ وَفَضْلَ عَاقِبَتِهِ، خَيْرٌ مِنْ عَدْرِ تَخَافُ تَبِعَتَهُ، وَأَنْ تُحِيْطَ بِكَ مِنَ اللَّهِ فِيهِ طَلِبَةٌ لَا تَسْتَقْبِلُ فِيهَا دُنْيَاكَ وَلَا آخِرَتَكَ.

إِيَّاكَ وَالدِّمَاءَ وَسَفْكَهَا بِغَيْرِ حِلِّهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَذْنَى لِنِقْمَتِهِ، وَلَا أَكْبَرَ لِتَبِعَتِهِ، وَلَا أُخْرَى بِزَوَالِ نِعْمَتِهِ، وَأَنْقِطَاعِ مُدَّةِ مَنْ سَفَكَ الدِّمَاءَ بِغَيْرِ حَقِّهَا، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ مُبْتَدِيٌّ بِالْحُكْمِ بَيْنَ الْعِبَادِ فِيمَا تَسَافَكُوا مِنَ الدِّمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَا تُقَوِّينَ سُلْطَانَكَ بِسَفْكِ دَمٍ حَرَامٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يُضْعِفُهُ وَيُوهِنُهُ بَلْ يَزِيلُهُ، وَيَنْقُلُهُ وَلَا عُدْرَ لَكَ عِنْدَ اللَّهِ، وَلَا عِنْدِي فِي قَتْلِ الْعَمْدِ، لَأَنَّ فِيهِ قُوَّةَ الْبَدَنِ.

وَإِنْ ابْتَلَيْتَ بِخَطِيئَةٍ وَأَفْرَطَ عَلَيْكَ، سَوِّطْكَ أَوْ سَيِّفَكَ أَوْ يَدَكَ بِالْعُقُوبَةِ، فَإِنَّ فِي الْوَكْرَةِ فَمَا فَوْقَهَا مَقْتَلَةً، فَلَا تَطْمَحَنَّ بِكَ نَحْوَهُ سُلْطَانِكَ عَنْ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى أَوْلِيَاءِ

ص: ٤٩١

الْمَقْتُولِ حَقَّهُمْ.

وَإِيَّاكَ وَالْإِعْجَابَ بِنَفْسِكَ، وَالثَّقَّةَ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا وَحُبَّ الْإِطْرَاءِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَوْثَقِ فُرُصِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ، لِيَمْحَقَ مَا يَكُونُ مِنْ إِحْسَانِ الْمُحْسِنِينَ.

^{١٤٦} (١) الوبال في الأصل: الثقل و المكروه و« كلُّ بناء وبلال على صاحبه» يريد به العذاب في الآخرة. (النهاية: ج ٥ ص ١٤٦).

وإِيَّاكَ وَالْمَنْ عَلَى رَعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ، أَوْ التَّزَيُّدَ فِيمَا كَانَ مِنْ فِعْلِكَ، أَوْ أَنْ تَعِدَهُمْ فَتَتَّبِعَ مَوْعِدَكَ بِخُلْفِكَ، فَإِنَّ الْمَنْ يُبْطِلُ
الإِحْسَانَ، وَالتَّزَيُّدَ يَذْهَبُ بِنُورِ الْحَقِّ، وَالْخُلْفَ يُوجِبُ الْمَقْتَ عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا
لَا تَفْعَلُونَ»^{١٤٦٢}.

وإِيَّاكَ وَالْعَجَلَةَ بِالْأُمُورِ قَبْلَ أَوَانِهَا، أَوْ التَّسَقُّطَ فِيهَا عِنْدَ إِمْكَانِهَا، أَوْ اللَّجَاجَةَ فِيهَا إِذَا تَنَكَّرْتَ، أَوْ الْوَهْنَ عَنْهَا إِذَا اسْتَوْصَحْتَ،
فَضَعَ كُلُّ أَمْرٍ مَوْضِعَهُ، وَأَوْقَعَ كُلُّ أَمْرٍ مَوْقِعَهُ.

وإِيَّاكَ وَالِاسْتِثْنَاءَ بِمَا النَّاسُ فِيهِ أَسْوَةٌ، وَالتَّغَابِيَّ عَمَّا تُغْنِي بِهِ مِمَّا قَدْ وَضَحَ لِلْعَيُونِ، فَإِنَّهُ مَا خُوذَ مِنْكَ لِغَيْرِكَ، وَعَمَّا قَلِيلٍ
تُنْكَشِفُ عَنْكَ أُعْطِيَهُ الْأُمُورِ وَيُنْتَصِفُ مِنْكَ لِلْمُظْلُومِ.

أَمْلِكْ حَمِيَّةَ أَنْفِكَ، وَسُورَةَ حَدِّكَ، وَسَطْوَةَ يَدِكَ، وَعَرَبَ لِسَانِكَ، وَاحْتَرَسْ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ بِكَفِّ الْبَادِرَةِ، وَتَأْخِيرِ السَّطْوَةِ، حَتَّى
يَسْكُنَ غَضَبَكَ، فَتَمْلِكِ الْاِخْتِيَارَ، وَلَنْ تُحْكَمَ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِكَ، حَتَّى تُكْثِرَ هُمُومَكَ بِذِكْرِ الْمَعَادِ إِلَى رَبِّكَ.

وَالْوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَذَكَّرَ مَا مَضَى لِمَنْ تَقَدَّمَكَ مِنْ حُكُومَةٍ غَادِلَةٍ، أَوْ سُنَّةٍ فَاضِلَةٍ أَوْ أَثَرٍ عَنْ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، أَوْ
فَرِيضَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَتَقْتَدِيَ بِمَا شَاهَدْتَ مِمَّا عَمِلْنَا بِهِ فِيهَا، وَتَجْتَهِدَ لِنَفْسِكَ فِي اتِّبَاعِ مَا عَاهَدْتُ إِلَيْكَ فِي عَهْدِي هَذَا،
وَاسْتَوْثَقْتُ بِهِ مِنْ

ص: ٤٩٢

الْحُجَّةَ لِنَفْسِي عَلَيْكَ، لِكَيْلَا تَكُونَ لَكَ عَلَّةٌ عِنْدَ تَسَرُّعِ نَفْسِكَ إِلَى هَوَاهَا.

وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ بِسَعَةِ رَحْمَتِهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ عَلَى إِعْطَاءِ كُلِّ رَغْبَةٍ أَنْ يُوقِفَنِي وَإِيَّاكَ لِمَا فِيهِ رِضَاهُ مِنَ الْإِقَامَةِ عَلَى الْعُدْرِ
الْوَاضِحِ إِلَيْهِ، وَإِلَى خَلْفِهِ مَعَ حُسْنِ الثَّنَاءِ فِي الْعِبَادِ، وَجَمِيلِ الْأَثَرِ فِي الْبِلَادِ، وَتَمَامِ النِّعْمَةِ وَتَضْعِيفِ الْكِرَامَةِ، وَأَنْ يَخْتِمَ لِي
وَلِكِ بِالسَّعَادَةِ وَالشَّهَادَةِ، إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا
كَثِيرًا، وَالسَّلَامُ»^{١٤٦٣}.

١٣٤ كتابه عليه السلام إلى أهل مصر

من كتاب له عليه السلام إلى أهل مصر مع مالك الأشتر لما ولَّاه أمارتها:

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ، وَمُهَيِّمِنًا عَلَى الْمُرْسَلِينَ، فَلَمَّا مَضَى عَلَيْهِ السَّلَامُ
تَنَازَعَ الْمُسْلِمُونَ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ، فَوَ اللَّهُ مَا كَانَ يُلْقَى فِي رُوعِي، وَلَا يَخْطُرُ بِيَالِي أَنْ الْعَرَبَ تَزْعِجُ هَذَا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِي صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَا أَنَّهُمْ مُنْحَوَةٌ عَنِّي مِنْ بَعْدِهِ، فَمَا رَاعِنِي إِلَّا أَنْثِيَالُ النَّاسِ عَلَى فُلَانٍ يُبَايِعُونَهُ، فَأَمْسَكْتُ يَدِي،

^{١٤٦٢} (١) الصف: ٣.

^{١٤٦٣} (١). نهج البلاغة: الكتاب ٥٣ وراجع: تحف العقول: ص ١٢٦، دعائم الإسلام: ج ١ ص ٣٥٠، بحار الأنوار: ج ٧٧ ص ٢٤٠؛ كنز العمال: ج
١٥ ص ١٦٥، صبح الأعشى: ج ١٠ ص ١٢، جمع الجوامع: ج ٢ ص ١٢٩.

حَتَّى رَأَيْتُ رَاجِعَةَ النَّاسِ قَدْ رَجَعَتْ عَنِ الْإِسْلَامِ، يَدْعُونَ إِلَى مَحَقِّ دَيْنِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَخَشِيتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرِ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ أَنْ أَرَى فِيهِ تُلْمَأَ أَوْ هُدْمًا، تَكُونُ الْمُصِيبَةُ بِهِ عَلَيَّ أَغْظَمَ مِنْ فُوتِ وَلَايَتِكُمْ الَّتِي إِنَّمَا هِيَ مَتَاعُ أَيَّامٍ قَلِيلٍ، يَزُولُ مِنْهَا مَا كَانَ كَمَا يَزُولُ السَّرَابُ، أَوْ كَمَا يَتَقَشَّعُ السَّحَابُ، فَنَهَضْتُ فِي تِلْكَ الْأَحْدَاثِ، حَتَّى زَاحَ الْبَاطِلُ، وَزَهَقَ وَاطْمَأَنَّ الدِّينُ وَتَنَهَّنَا.

ص: ٤٩٣

وَمِنْهُ: إِنِّي وَاللَّهِ لَوْ لَقِيتُهُمْ وَاحِدًا وَهُمْ طِلَاعُ الْأَرْضِ كُلِّهَا مَا بَالَيْتُ وَلَا اسْتَوْحِشْتُ، وَإِنِّي مِنْ ضَلَالِهِمْ الَّذِي هُمْ فِيهِ، وَالْهُدَى الَّذِي أَنَا عَلَيْهِ لَعَلِّي بِصِيرَةٍ مِنْ نَفْسِي وَيَقِينٍ مِنْ رَبِّي، وَإِنِّي إِلَى لِقَاءِ اللَّهِ لَمُشْتَاقٌ، وَحُسْنُ ثَوَابِهِ لَمُنْتَظَرٌ رَاجٍ، وَلَكِنِّي أَسَى أَنْ يَلِيَ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَفَهَاؤُهَا وَقُبَارُهَا، فَيَتَّخِذُوا مَالَ اللَّهِ دَوْلًا، وَعِبَادَةَ خَوْلًا، وَالصَّالِحِينَ حَرْبًا، وَالْفَاسِقِينَ حِزْبًا، فَإِنَّ مِنْهُمْ الَّذِي قَدْ شَرِبَ فِيكُمْ الْحَرَامَ، وَجِلِدَ حَدًّا فِي الْإِسْلَامِ، وَإِنَّ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُسَلِّمْ حَتَّى رُضِخَتْ لَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ الرِّضَايُحُ^{١٤٦٤}، فَلَوْلَا ذَلِكَ مَا أَكْثَرْتُ تَأْلِيْبِكُمْ، وَتَأْنِيْبِكُمْ، وَجَمْعَكُمْ وَتَحْرِيْبِكُمْ، وَلَتَرَكْتُكُمْ إِذْ أَبَيْتُمْ وَوَيْبْتُمْ.

أَلَا تَرَوْنَ إِلَى أَطْرَافِكُمْ قَدْ انْتَفَصَتْ، وَإِلَى أَمْصَارِكُمْ قَدْ افْتَتِحَتْ، وَإِلَى مَمَالِكِكُمْ تُرْوَى، وَإِلَى بِلَادِكُمْ تُغْزَى؟!

انْفِرُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ إِلَى قِتَالِ عَدُوِّكُمْ، وَلَا تَتَأَقَّلُوا إِلَى الْأَرْضِ فَتَقَرُّوا بِالْخَسْفِ، وَتَبُوءَ وَبِالذُّلِّ، وَيَكُونَ نَصِيْبُكُمْ الْأَخْسَ، وَإِنْ أَحَا الْحَرْبِ الْأَرْقُ، وَمَنْ نَامَ لَمْ يَنْمَ عَنْهُ، وَالسَّلَامُ»^{١٤٦٥}.

١٣٥ كتابه عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر

من كتاب له عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر، لما بلغه توجده^{١٤٦٦} من غزله بالأشتر عن مصر، ثم توفى الأشتر في توجُّهه إلى هناك قبل وصوله إليها:

ص: ٤٩٤

«أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنِي مَوْجِدَتُكَ مِنْ تَسْرِيحِ الْأَشْتَرِ إِلَى عَمَلِكِ، وَإِنِّي لَمْ أَفْعَلْ ذَلِكَ اسْتِبْطَاءً لَكَ فِي الْجَهْدِ، وَلَا ازْدِيَاداً لَكَ فِي الْجِدِّ، وَلَوْ نَزَعْتَ مَا تَحْتَ يَدِكَ مِنْ سُلْطَانِكَ، لَوَلَّيْتُكَ مَا هُوَ أَيْسَرُ عَلَيْكَ مَوْوَنَةً، وَأَعْجَبُ إِلَيْكَ وَلَايَةً.

إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي كُنْتُ وَلِيَّتُهُ أَمْرَ مِصْرَ، كَانَ رَجُلًا لَنَا نَاصِحًا، وَعَلَى عَدُوِّنَا شَدِيدًا نَاقِمًا، فَرَحِمَهُ اللَّهُ، فَلَقَدْ اسْتَكْمَلَ أَيَّامَهُ، وَلَاقَى حِمَامَةً، وَنَحْنُ عَنْهُ رَاضُونَ، أَوْلَاهُ اللَّهُ رِضْوَانَهُ، وَضَاعَفَ الثَّوَابَ لَهُ، فَأَصْحَرُ لِعَدُوِّكَ، وَامْضِ عَلَيَّ بِصِيرَتِكَ، وَشَمِّرْ لِحَرْبِ مَنْ حَارَبَكَ، وَادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ، وَأَكْثِرِ اسْتِعَانَةَ بِاللَّهِ، يَكْفِيكَ مَا أَمَّكَ، وَيُعِينُكَ عَلَى مَا يُنْزِلُ بِكَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ»^{١٤٦٧}.

^{١٤٦٤} (١) يتراضخون بالسهم: أي يترامون، راضخته: راميته بالحجارة. (لسان العرب: ج ٣ ص ١٩)

^{١٤٦٥} (٢) نهج البلاغة: الكتاب ٦٢.

^{١٤٦٦} (٣) التوجد و الموجدة: الحزن.

(قتل مُحَمَّد بن أَبِي بَكْر رحمہ اللہ)

إن عَمْرُو بن العاص لَمَّا قَتَلَ كِنَانَةَ، أَقْبَلَ نَحْوَ مُحَمَّد بن أَبِي بَكْر، وَ قَدْ تَفَرَّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ مُحَمَّد خَرَجَ يَمْضِي فِي الطَّرِيقِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى خَرْبَةٍ فِي نَاحِيَةِ الطَّرِيقِ فَأَوَى إِلَيْهَا، وَ جَاءَ عَمْرُو بن العاصِ حَتَّى دَخَلَ الفِطْطَاطَ، وَ خَرَجَ مَعَاوِيَةَ بن حُدَيْجٍ فِي طَلَبِ مُحَمَّد بن أَبِي بَكْر حَتَّى انْتَهَى إِلَى عُلُوجٍ عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ، فَسَأَلَهُمْ هَلْ مَرَّ بِكُمْ أَحَدٌ تَنْكُرُونَهُ؟ قَالُوا: لَا، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: إِنِّي دَخَلْتُ تِلْكَ الخَرْبَةَ، فَإِذَا أَنَا فِيهَا بِرَجُلٍ جَالِسٍ، فَقَالَ ابْنُ حُدَيْجٍ: هُوَ هُوَ وَ رَبُّ الكَعْبَةِ، فَانْطَلَقُوا يَرْكُضُونَ حَتَّى دَخَلُوا عَلَيْهِ، وَ اسْتَخْرَجُوهُ وَ قَدْ كَادَ يَمُوتُ عَطْشًا، فَأَقْبَلُوا بِهِ نَحْوَ الفِطْطَاطِ.

قال: و وثب أخوه عبد الرَّحْمَنِ بن أَبِي بَكْرٍ إِلَى عَمْرُو بن العاصِ - وَ كانَ فِي جَنْدِهِ - فَقَالَ: وَ اللّٰهُ لَا يَقْتُلُ أَخِي صَبْرًا، ابْعَثْ إِلَى مَعَاوِيَةَ بن حُدَيْجٍ فَانْهَهِ عَن قَتْلِهِ،

ص: ٤٩٥

فَأَرْسَلَ عَمْرُو إِلَى مَعَاوِيَةَ أَنْ اتَّئِنِّي بِمُحَمَّدٍ، فَقَالَ مَعَاوِيَةُ: أَمْ قَتَلْتُمْ كِنَانَةَ بنِ بَشْرِ ابْنِ عَمِي، وَ أَخْلَى عَن مُحَمَّدٍ؟! هَيْهَاتَ؛ أَمْ كَفَّارِكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أَوْلِيَّكُمْ، أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ.

فقال مُحَمَّد: اسقوني قطرةً من الماء، فقال معاوية: لا سقاني الله إن سقيتك قطرةً أبداً، إنكم منعتهم عثمان أن يشرب الماء حتى قتلتموه ظامياً محرماً، فسقاه الله من الرحيق المختوم، و الله لأقتلنك يا بن أبي بكر و أنت ظمان، فيسقيك الله من الحميم و الغسلين.

فقال له مُحَمَّد بن أَبِي بَكْرٍ: يَا بنِ الْيَهُودِيَّةِ النَّسَّاجَةِ، لَيْسَ ذَلِكَ إِلَيْكَ وَ لَا إِلَيَّ مِنْ ذِكْرَتِ، إِنَّمَا ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ سَ يَسْقِي أَوْلِيَاءَهُ وَ يَظْمِي أَعْدَاءَهُ، وَ هُمَ أَنْتَ وَ قُرْنَاؤُكَ وَ مَنْ تَوَلَّاهُكَ وَ تَوَلَّيْتَهُ، وَ اللَّهُ لَوْ كانَ سِيفِي فِي يَدِي مَا بَلَغْتُمْ مَنِّي مَا بَلَغْتُمْ.

فقال له معاوية بن حُدَيْجٍ لعنه الله: أ تدرى ما أصنع بك؟! أدخلك جوف هذا الحمار الميت، ثم أحرقه عليك بالنار.

فقال مُحَمَّد: إن فعلتم ذلك بي فطالما فعلتم ذلك بأولياء الله، و أيم الله، إِنِّي لأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ هَذِهِ النَّارَ الَّتِي تَخَوِّفُنِي بِهَا عَلَيَّ بَرْدًا وَ سَلامًا كَمَا جَعَلَهَا عَلَى إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِهِ، وَ أَنْ يَجْعَلَهَا عَلَيْكَ وَ عَلَى أَوْلِيائِكَ كَمَا جَعَلَهَا عَلَى نَمْرُودَ وَ أَوْلِيائِهِ، وَ إِنِّي لأَرْجُو أَنْ يَحْرِقَكَ اللَّهُ، وَ إِمَامَكَ - يَعْنِي مَعَاوِيَةَ بنِ أَبِي سُفْيَانَ - وَ هَذَا، وَ أَشَارَ إِلَى عَمْرُو بنِ العاصِ، بِنَارٍ تَلْطَأُ عَلَيْكُمْ كُلَّمَا خَبَتْ زَادَهَا سَعِيرًا.

فقال له معاوية: إِنِّي لَا أَقْتُلُكَ ظَلْمًا، إِنَّمَا أَقْتُلُكَ بِعَثْمَانَ.

فقال له مُحَمَّد: وَ مَا أَنْتَ وَ عَثْمَانُ؟ إِنَّ عَثْمَانَ عَمَلٌ بِغَيْرِ الحَقِّ، وَ بَدَلٌ حُكْمٍ

^{١٤٧} (١). نهج البلاغة: الكتاب ٣٤ و راجع: الغارات: ج ١ ص ٢٦٨؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٦ ص ٧٨، تاريخ الطبري: ج ٦ ص ٣٣٩٥، الكامل في التاريخ: ج ٣ ص ٣٥٢، أنساب الأشراف: ج ٢ ص ٣٠٠.

القرآن، و قد قال الله عز و جل:

«وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ»^{١٤٦٨}

«و أولئك هم الظالمون و أولئك هم الفاسقون»^{١٤٦٩}، فنقمنا عليه أشياء عملها؛ فأردنا أن يختلع من عملنا فلم يفعل، فقتله من قتله من الناس.

فغضب معاوية بن حديج، فقدمه ف ضرب عنقه، ثم ألقاه في جوف حمار، و أحرقه بالنار.

قال: فلما بلغ خبر شهادته علياً عليه السلام، حزن على مُحَمَّد بن أبي بكر حتى رأى ذلك فيه، و تبين في وجهه، و قام في الناس خطيباً، فحمد الله و أثنى عليه ثم قال:

«ألا وإن مصر قد افتتحتها الفجرة أولياء الجور والظلم، الذين صدوا عن سبيل الله، وبغوا الإسلام عوجاً، ألا وإن مُحَمَّد بن أبي بكر قد استشهد - رحمه الله - فعند الله نحتسبه، أما والله لقد كان ما علمت ممن ينتظر القضاء ويعمل للجزاء، ويبغض شكل الفاجر، ويحب هين المؤمن، وإنى والله، ما ألوم نفسي على تقصير ولا عجز، وإنى بمقاساة الحرب لجد بصير، وإنى لأقدم على الأمر، وأعرف وجه الحزم، وأقوم بالرأى المصيب، فأستصرخكم معلناً، وأناديكم نداء المستغيث معرباً، فلا تسمعون لى قولاً، ولا تطيعون لى أمراً، تصيرون الأمور إلى عواقب المساءة، فأنتم القوم لا يدرك بكم النار، ولا تنقض بكم الأوتار، دعوتكم إلى غياث إخوانكم منذ بضع وخمسين يوماً، فجررتكم على جرجرة الجمل الأشدق، وثاقلتم إلى الأرض ثاقل من ليس له نيّة في جهاد العدو، ولا رأى له في اكتساب الأجر، ثم خرج إلى منكم جنيد متذائب ضعيف، كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون، فأف لكم.

ثم نزل فدخل رحله.»^{١٤٧٠}

كينانة بن بشر بن عتاب التّجيبى

كان ممن قتل عثمان.^{١٤٧١} و كان من الذين غضبوا لله حين عصى فى أرضه، و كان من أولياء أمير المؤمنين النّاصحين، صاحب البأس و التّجربة.^{١٤٧٢}

^{١٤٦٨} (١) المائدة: ٤٤.

^{١٤٦٩} (٢) ذيل الآيتين ٤٥ و ٤٧.

^{١٤٧٠} (٣) الغارات: ج ١ ص ٢٨٢ - ٢٩٨، و راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٦ ص ٧٨ - ٩٢، تاريخ الطبري:

ج ٥ ص ١٠ - ١٠٥، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٤١١ - ٤١٤، أنساب الأشراف: ج ٣ ص ١٦٩ - ١٧٣، البداية و النهاية: ج ٧ ص ٣١٥ - ٣١٧.

^{١٤٧٢} (١) الإصابة: ج ٥ ص ٤٨٦ الرقم ٧٥١٧.

كان ممن يحرّض الناس بمصر على عبد الله بن سعد بن أبي سرح، الخائن المنافق.

قال الطبري: إن عثمان أرسل رجالاً إلى الأمصار عيوناً على الولاة، ورجع كلهم يخبر عن الصّلاح عدا عمّاراً، فإنّه لم يرجع عن مصر، حتّى جاءه كتاب عبد الله بن سعد فيه: بأنّ عمّاراً قد استماله قوم بمصر، و قد انقطعوا إليه، منهم كِنَانَةُ بن بشر.^{١٤٧٣}

كان كِنَانَةُ من الَّذِينَ خرجوا من مصر إلى المدينة، و كان من الرُّؤساء.^{١٤٧٤} (و كان ممّن دخل على عثمان مع مُحَمَّد بن أبي بكر)، و رفع كِنَانَةُ بن بشر بن عَتَاب مَشَاقصَ كانت في يده، فوجأ بها في أصل أذن عثمان، فمضت حتّى دخلت في حلقه، ثمّ علاه بالسَّيْف حتّى قتله.^{١٤٧٥}

ص: ٤٩٨

١٣٦ كتابه عليه السلام إلى قيس بن سعد بن عبادة

قال اليعقوبي: قال غياث: و لمّا أجمع على عليه السلام على قتال معاوية، كتب أيضاً إلى قيس:

«أما بعد؛ فاستعمل عبد الله بن شُبَيْلِ الأحمسيّ خليفَةً لك، وأقبلُ إليّ، فإنّ المسلمين قد أجمع ملؤهم، وانقادت جماعتهم، فعجل الإقبال، فأنا سأحضرن إلى المحليين عند غرّة الهلال، إن شاء الله، وما تأخرى إلّا لك، قضى الله لنا ولك بالإحسان في أمرنا كلّه.»^{١٤٧٦}

[و في أنساب الأشراف صورة أخرى لهذا الكتاب، و هي:]

«أما بعد؛ فاستعمل على عمليكَ عبد الله بن شُبَيْلِ الأحمسيّ، وأقبلُ فإنّه قد اجتمع ملاً المسلمين، وحسنت طاعتهم، وانقادت لي جماعتهم، ولا يكن لك عرجة ولا لبت، فإنّا جادون مغدّون ونحنُ شاحصون إلى المحليين، ولم أوخر المسير، إلّا انتظاراً لقدميك علينا، إن شاء الله، والسلام.»^{١٤٧٧}

قيس بن سعد بن عبادة

قيس بن سعد بن عبادة الأنصاريّ الخزرجيّ السّاعديّ، هو أحد الصّحابة^{١٤٧٨} و من كبار الأنصار. و كان يحظى باحترام خاصّ بين قبيلته و الأنصار و عامّة

^{١٤٧٢} (٢). الغارات: ج ١ ص ٢٨٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٦ ص ٨٤.
^{١٤٧٣} (٣). تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٣٤١، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٢٧٨.
^{١٤٧٤} (٤). الطبقات الكبرى: ج ٣ ص ٧١، تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٣٤٨، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٢٨٠.
^{١٤٧٥} (٥). الطبقات الكبرى: ج ٣ ص ٧٣ و راجع: تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٣٨٠، مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٥٥، العقد الفريد: ج ٣ ص ٢٩٨، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٢٧٨، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢ ص ١٥٧.
^{١٤٧٦} (١). تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٢٠٣.
^{١٤٧٧} (٢). أنساب الأشراف: ج ٣ ص ٢٣٨.

المسلمين^{١٤٧٩}، و كان شجاعاً، كريم النفس، عظيماً، مطاعاً في قبيلته^{١٤٨٠}.

و كان طويل القامة، قوى الجسم، معروفاً بالكرم^{١٤٨١}، مشهوراً بالسخاء^{١٤٨٢}.

حمل اللواء في بعض حروب النبي صلى الله عليه و آله^{١٤٨٣}. و هو من السَّبَّاقين إلى رعاية حرمة الحق^{١٤٨٤}، و الدفاع عن خلافة الحق و حق الخلافة، و إمامة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه و آله^{١٤٨٥}.

و كان من صحابة الإمام عليه السلام المقربين و حماته الثابتين في أيام خلافته عليه السلام.

ولاه عليه السلام على مصر^{١٤٨٦}، فاستطاع بحنكته أن يُسكت المعارضين و يقضى على جذور المؤامرة^{١٤٨٧}.

حاول معاوية أنذاك أن يعطفه إليه، بيد أنه خاب و لم يُفلح. و بعد مدة استدعاه الإمام عليه السلام و أشخص مكانه محمد بن أبي بكر لحوادث وقعت يومئذٍ^{١٤٨٨}.

و كان قيس قائداً لشرطة الخميس^{١٤٨٩}، و أحد الامراء في صفين، إذ ولي رجالة البصرة فيها^{١٤٩٠}.

تولّى قيادة الأنصار عند احتدام القتال^{١٤٩١} و كان حضوره في الحرب مهيباً.

^{١٤٧٨} (٣). رجال الطوسي: ص ٤٥ الرقم ٣٥١؛ تهذيب الكمال: ج ٤ الرقم ٤٩٠٦، الاستيعاب: ج ٣ ص ٣٥٠ الرقم ٢١٥٨، سير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ١٠٢ الرقم ٢١، تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٩ ص ٣٩٦.

^{١٤٧٩} (١). الاستيعاب: ج ٣ ص ٣٥٠ الرقم ٢١٥٨، اسد الغابة: ج ٤ ص ٤٠٤ الرقم ٤٣٥٤، سير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ١٠٢ الرقم ٢١.

^{١٤٨٠} (٢). تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٤ ص ٢٩٠، البداية و النهاية: ج ٨ ص ٩٩ و راجع: اسد الغابة: ج ٤ ص ٤٠٤ الرقم ٤٣٥٤.

^{١٤٨١} (٣). تاريخ بغداد: ج ١ ص ١٧٨ الرقم ١٧ و فيه «كان شجاعاً، بطلاً، كريماً، سخياً»، الكامل للمبرّد: ج ٢ ص ٦٤١ و فيه «كان شجاعاً، جواداً، سيّداً».

^{١٤٨٢} (٤). تهذيب الكمال: ج ٢٤ ص ٤٣ الرقم ٤٩٠٦، تاريخ بغداد: ج ١ ص ١٧٨ الرقم ١٧، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٤ ص ٢٩٠، الاستيعاب: ج ٣ ص ٣٥١ الرقم ٢١٥٨، تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٩ ص ٤١٠ - ٤٢٢.

^{١٤٨٣} (٥). تاريخ بغداد: ج ١ ص ١٧٨ الرقم ١٧، تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥٥٢ و فيه «كان صاحب راية الأنصار مع رسول الله صلى الله عليه و آله»، الاستيعاب: ج ٣ ص ٣٥٠ الرقم ٢١٥٨، تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٩ ص ٤٠١ و ص ٤٠٣، سير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ١٠٣ الرقم ٢١، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٤ ص ٢٩٠.

^{١٤٨٤} (٦). رجال الكشي: ج ١ ص ١٨٥ الرقم ٧٨.

^{١٤٨٥} (٧). رجال البرقي: ص ٦٥.

^{١٤٨٦} (٨). تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ١٧٩؛ الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ٥٢، تاريخ خليفة بن خياط: ص ١٥٢، تاريخ بغداد: ج ١ ص ١٧٨ الرقم ١٧.

^{١٤٨٧} (٩). الغارات: ج ١ ص ٢١٢؛ تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥٤٩ و ٥٥٠ و ج ٥ ص ٩٤، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٥٤، تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٩ ص ٤٢٥.

^{١٤٨٨} (١). الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ٥٢، تاريخ خليفة بن خياط: ص ١٥٢، الاستيعاب: ج ٣ ص ٣٥٠ الرقم ٢١٥٨، اسد الغابة: ج ٤ ص ٤٠٥ الرقم ٤٣٥٤.

^{١٤٨٩} (٢). الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ٥٢، تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٩٥ و ص ١٥٨، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٤١٠، تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٩ ص ٤٢٨؛ رجال الكشي: ج ١ ص ٣٢٦ الرقم ١٧٧ و فيه «صاحب شرطة الخميس».

^{١٤٩٠} (٣). وقعة صفين: ص ٢٠٨؛ تاريخ الطبري: ج ٥ ص ١١، البداية و النهاية: ج ٧ ص ٢٦١.

و خطبه في تمجيد شخصيَّة الإمام عليه السلام، و رفعه علم الطَّاعة لأوامره عليه السلام، و حثَّ أولى الحقِّ و تحريضهم على معاوية، كلَّ ذلك كان أماره على وعيه العميق، و شخصيَّته الكبيرة، و معرفته بالتَّيارات السِّياسية و الاجتماعيَّة و الأمور الجارية، و طبيعته الوجهه يومذاك^{١٤٩٢}.

ولَّاه الإمام عليه السلام على أذربيجان^{١٤٩٣}. و شهد قَيْس معه صَفَّين و النَّهروان^{١٤٩٤}، و كان على ميمنة الجيش^{١٤٩٥}

ص: ٥٠١

و لمَّا عزم الإمام عليه السلام على قتال معاوية بعد النَّهروان، و رأى حاجة الجيش إلى قائد شجاع مجرَّب متحرَّس أرسل إليه ليشهد معه الحرب^{١٤٩٦}.

و في آخر تعبئة للجيش من أجل حرب المفسدين و المعتدين، صعد الإمام عليه السلام على حجارة و خطب خطبة كلَّها حرقة و ألم، و ذكر الشُّجعان من جيشه- و يبدو أنَّ هذه الخطبة كانت آخر خطبة له- ثمَّ أمر قَيْساً على عشرة آلاف. كما عقد للإمام الحسين عليه السلام على عشرة آلاف، و لأبي أيوب الأنصاريَّ على عشرة آلاف، و من المؤسف أنَّ الجيش قد تخلخل وضعه بعد استشهاده عليه السلام^{١٤٩٧}.

و كان قَيْس أوَّل من بايع الإمام الحسن عليه السلام بعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام، و دعا الناس إلى بيعته من خلال خطبة واعية له^{١٤٩٨}. و كان على مقدِّمة جيشه عليه السلام^{١٤٩٩}. و لمَّا كان عبيد الله بن العباس أحد امراء الجيش، كان قَيْس مساعداً له، و حين فرَّ عبيد الله إلى معاوية صَلَّى قَيْس بالنَّاس الفجر، و دعا المصلِّين إلى الجهاد و الثَّبات و الصُّمود، ثمَّ أمرهم بالتَّحرُّك^{١٥٠٠}.

و بعد عقد الصِّلح بايع قَيْس معاوية بأمر الإمام عليه السلام^{١٥٠١}، فكرمه معاوية،

ص: ٥٠٢

و أثنى عليه^{١٥٠٢}.

١٤٩١ (٤). وقعة صفّين: ص ٤٥٣.
١٤٩٢ (٥). وقعة صفّين: ص ٩٣ و ص ٤٤٦ - ٤٤٩.
١٤٩٣ (٦). تاريخ يعقوبي: ج ٢ ص ٢٠٢، الغارات: ج ١ ص ٢٥٧؛ أنساب الأشراف: ج ٣ ص ٢٧٨.
١٤٩٤ (٧). تاريخ بغداد: ج ١ ص ١٧٨ الرقم ١٧، الاستيعاب: ج ٣ ص ٣٥٠ الرقم ٢١٥٨، تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٩ ص ٤٠٣.
١٤٩٥ (٨). تاريخ خليفة بن خياط: ص ١٤٩.
١٤٩٦ (١). تاريخ يعقوبي: ج ٢ ص ٢٠٣؛ أنساب الأشراف: ج ٣ ص ٢٣٨.
١٤٩٧ (٢). نهج البلاغة: الخطبة ١٨٢.
١٤٩٨ (٣). أنساب الأشراف: ج ٣ ص ٢٧٨.
١٤٩٩ (٤). الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ٥٣، تاريخ الطبري: ج ٥ ص ١٥٩، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٤٤٥، تاريخ بغداد: ج ١ ص ١٧٨ الرقم ١٧، تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٩ ص ٤٠٣ و فيهما «كان مع الحسن بن علي على مقدّمته بالمداخن».
١٥٠٠ (٥). مقاتل الطالبين: ص ٧٣.
١٥٠١ (٦). رجال الكشي: ج ١ ص ٣٢٦ الرقم ١٧٧؛ اسد الغابة: ج ٤ ص ٤٠٥ الرقم ٤٣٥٤، تاريخ بغداد: ج ١ ص ١٧٨ الرقم ١٧، مقاتل الطالبين: ص ٧٩، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٦ ص ٤٨.

و عُذَّ قَيْسُ أَحَدِ الْخَمْسَةِ الْمَشْهُورِينَ بَيْنَ الْعَرَبِ بِالْدهَاءِ^{١٥٠٣}. و فارق قَيْسُ الْحَيَاءَ فِي السَّنِينَ الْأَخِيرَةِ مِنْ حَكُومَةِ معاوية^{١٥٠٤}.

فِي سِيَرِ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ عَنْ عَمْرُو بْنِ دِينَارٍ: كَانَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ رَجُلًا ضَخْمًا، جَسِيمًا، صَغِيرَ الرَّأْسِ، لَيْسَتْ لَهُ لَحْيَةٌ، إِذَا رَكِبَ حِمَارًا خَطَّتْ رِجْلَاهُ الْأَرْضَ^{١٥٠٥}.

و فِي اسْدِ الْغَابَةِ عَنْ ابْنِ شَهَابٍ: كَانَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ يَحْمِلُ رَايَةَ الْأَنْصَارِ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ. قِيلَ: إِنَّهُ كَانَ فِي سِرِّيَّةٍ فِيهَا أَبُو بَكْرٍ وَ عَمْرٌ، فَكَانَ يَسْتَدِينُ وَ يَطْعَمُ النَّاسَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَ عَمْرٌ: إِنْ تَرَكْنَا هَذَا الْفَتَى أَهْلَكَ مَالَ أَبِيهِ، فَمَشِيَ فِي النَّاسِ، فَلَمَّا سَمِعَ سَعْدٌ قَامَ خَلْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ فَقَالَ: مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ ابْنِ أَبِي قَحَافَةَ وَ ابْنِ الْخَطَّابِ؟ يُبْخَلَّانِ عَلَيَّ ابْنِي^{١٥٠٦}.

و فِي تَارِيخِ بَغْدَادٍ عَنْ عُرْوَةَ: بَاعَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ مَالًا مِنْ معاويةَ بِتِسْعِينَ أَلْفًا، فَأَمَرَ مَنَادِيًّا فَنَادَى فِي الْمَدِينَةِ: مَنْ أَرَادَ الْقَرْضَ فَلْيَأْتِ مَنْزِلَ سَعْدٍ. فَأَقْرَضَ

ص: ٥٠٣

أَرْبَعِينَ أَوْ خَمْسِينَ، وَ أَجَازَ بِالْبَاقِي، وَ كَتَبَ عَلَيَّ مِنْ أَقْرَضَهُ صَكًّا، فَمَرَضَ مَرَضًا قَلَّ عَوَادَهُ، فَقَالَ لَزَوْجَتِهِ قَرِيبَةً بِنْتُ أَبِي قَحَافَةَ- اِخْتِ أَبِي بَكْرٍ- يَا قَرِيبَةُ، لِمَ تَرِينَ قَلَّ عَوَادِي؟

قَالَتْ: لِلذِّي لَكَ عَلَيْهِمْ مِنَ الدَّيْنِ.

فَأَرْسَلَ إِلَيَّ كُلَّ رَجُلٍ بِصَكِّهِ^{١٥٠٧}.

و فِي الْاِسْتِيعَابِ: مِنْ مَشْهُورِ أَخْبَارِ قَيْسِ بْنِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ: أَنَّهُ كَانَ لَهُ مَالٌ كَثِيرٌ دِيُونًا عَلَيَّ النَّاسِ، فَمَرَضَ وَ اسْتَبْطَأَ عَوَادَهُ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهُمْ يَسْتَحْيُونَ مِنْ أَجْلِ دَيْنِكَ، فَأَمَرَ مَنَادِيًّا يَنَادِي: مَنْ كَانَ لِقَيْسِ بْنِ سَعْدٍ عَلَيْهِ دَيْنٌ فَهَوِ لَهُ، فَأَتَاهُ النَّاسُ حَتَّى هَدَمُوا دَرَجَةً كَانُوا يَصْعَدُونَ عَلَيْهَا إِلَيْهِ^{١٥٠٨}.

^{١٥٠٢} (١). سِيَرِ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ: ج ٣ ص ١٠٢ الرِّقْمُ ٢١.
^{١٥٠٣} (٢). التَّارِيخُ الصَّغِيرُ: ج ١ ص ١٣٧، تَهْذِيبُ الْكَمَالِ: ج ٢٤ ص ٤٤ الرِّقْمُ ٤٩٠٦، تَارِيخُ الطَّبْرِيِّ: ج ٥ ص ١٦٤، الْكَمَالُ فِي التَّارِيخِ: ج ٢ ص ٤٤٨، سِيَرِ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ: ج ٣ ص ١٠٨ الرِّقْمُ ٢١.
^{١٥٠٤} (٣). الطَّبَقَاتُ الْكُبْرَى: ج ٦ ص ٥٣، تَارِيخُ خَلِيفَةَ بْنِ خِيَّاطٍ: ص ١٧٢، تَارِيخُ بَغْدَادٍ: ج ١ ص ١٧٩ الرِّقْمُ ١٧، الْاِسْتِيعَابُ: ج ٣ ص ٣٥١ الرِّقْمُ ٢١٥٨، تَارِيخُ مَدِينَةِ دِمَشْقَ: ج ٤٩ ص ٤٠٣، سِيَرِ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ: ج ٣ ص ١١٢ الرِّقْمُ ٢١.
^{١٥٠٥} (٤). سِيَرِ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ: ج ٣ ص ١٠٣ الرِّقْمُ ٢١، تَارِيخُ الْإِسْلَامِ لِلذَّهَبِيِّ: ج ٤ ص ٢٩٠، تَهْذِيبُ الْكَمَالِ: ج ٢٤ ص ٤٢ الرِّقْمُ ٤٩٠٦، تَارِيخُ بَغْدَادٍ: ج ١ ص ١٧٨ الرِّقْمُ ١٧، وَ فِيهِ «لَهُ لَحْيَةٌ، وَ أَشَارَ سَفِيَانٌ إِلَى ذَنْقِهِ»، الْبَدَايَةُ وَ النِّهَايَةُ: ج ٨ ص ١٠٢ وَ فِيهِ «لَهُ لَحْيَةٌ فِي ذَنْقِهِ».
^{١٥٠٦} (٥). اسْدِ الْغَابَةِ: ج ٤ ص ٤٠٤ الرِّقْمُ ٤٣٥٤، تَارِيخُ الْإِسْلَامِ لِلذَّهَبِيِّ: ج ٤ ص ٢٩٠، تَارِيخُ مَدِينَةِ دِمَشْقَ: ج ٤٩ ص ٤١٥ وَ ٤١٦، سِيَرِ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ: ج ٣ ص ١٠٦ الرِّقْمُ ٢١.
^{١٥٠٧} (١). تَارِيخُ بَغْدَادٍ: ج ١ ص ١٧٨، تَهْذِيبُ الْكَمَالِ: ج ٤ ص ٣ الرِّقْمُ ٤٩٠٦، تَارِيخُ مَدِينَةِ دِمَشْقَ: ج ٤٩ ص ٤١٨، سِيَرِ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ: ج ٣ ص ١٠٦ الرِّقْمُ ٢١، الْبَدَايَةُ وَ النِّهَايَةُ: ج ٨ ص ١٠٠.
^{١٥٠٨} (٢). الْاِسْتِيعَابُ: ج ٣ ص ٣٥٢ الرِّقْمُ ٢١٥٨.

و فى تاريخ الإسلام عن موسى بن عُقْبَةَ: وقفت على قَيْس عَجُوزًا، فقالت:
أشكو إليك قلَّةَ الجرذان.

فقال: ما أحسنَ هذه الكناية! املئوا بيتها خبزاً و لحماً و سمناً و تمرًا^{١٥٠٩}.

و فى شُعب الإيمان عن قَيْس بن سعد: لو لا أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول:

«المكر والخديعة فى النار».

لكنت أمكر هذه الامَّة^{١٥١٠}.

ص: ٥٠٤

و فى تهذيب الكمال عن ابن شهاب: كانوا يُعَدُّون دُهاةَ العرب حين ثارت الفتنة خمسةَ رَهط، يقال لهم: ذوو رأى العرب فى مكيدتهم: معاوية بن أبى سَفْيَان و عَمْرُو بن العاص و قَيْس بن سَعْد بن عُبَادَةَ و المُغِيرَةَ بن شُعْبَةَ، و من المهاجرين عبد الله بن بُدَيْل بن وَرْقَاء الخَزَاعِيّ. و كان قَيْس بن سَعْد و ابن بُدَيْل مع على^{١٥١١}.

و فى سِيَرِ أعلام النبلاء عن أحمد بن البرقيّ: كان (قيس) صاحب لواء النَّبِيِّ صلى الله عليه و آله فى بعض مغازيه، و كان بمصر والياً عليها لعلّى عليه السلام^{١٥١٢}.

و فى تاريخ الطبرى عن الزُّهْرِيّ: كانت مصر من حين علىّ، عليها قَيْس بن سَعْد بن عُبَادَةَ، و كان صاحب راية الأنصار مع رسول الله صلى الله عليه و آله، و كان من ذوى الرأى و البأس، و كان معاوية بن أبى سَفْيَان و عَمْرُو بن العاص جاهدين على أن يُخرجاه من مصر ليغلبا عليها، فكان قد امتنع فيها بالدعاء و المكايده، فلم يقدر على، و لا على أن يفتتحا مصر.

و فى تاريخ الطبرى عن سَهْل بن سَعْد: لما قتل عثمان و ولى علىّ بن أبى طالب الأمر، دعا قَيْس بن سَعْد الأنصارى فقال له: سر إلى مصر فقد وليتكمها، و اخرج إلى رحلك، و اجمع إليك ثقاتك و من أحببت أن يصحبك حتى تأتيها و معك

ص: ٥٠٥

^{١٥٠٩} (٣). تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٤ ص ٢٩٠، تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٩ ص ٤١٥، سِيرِ أعلام النبلاء: ج ٣ ص ١٠٦ الرقم ٢١، الاستيعاب: ج ٣ ص ٣٥٢ الرقم ٢١٥٨ نحوه، البداية و النهاية: ج ٨ ص ٩٩ و فيه «فأر بيتي» بدل «الجرذان».

^{١٥١٠} (٤). شعب الإيمان: ج ٤ ص ٣٢٤ الرقم ٥٢٦٨، تهذيب الكمال: ج ٢٤ ص ٤٤ الرقم ٤٩٠٦، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٤ ص ٢٩٠، تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٩ ص ٤٢٣، اسد الغابة: ج ٤ ص ٤٠٥ الرقم ٤٣٥٤، سِيرِ أعلام النبلاء: ج ٣ ص ١٠٧ الرقم ٢١ و فيها «من أمكر».

^{١٥١١} (١). تهذيب الكمال: ج ٢٤ ص ٤٤ الرقم ٤٩٠٦، التاريخ الصغير: ج ١ ص ١٣٧ نحوه، تاريخ الطبرى: ج ٥ ص ١٦٤، سِيرِ أعلام النبلاء: ج ٣ ص ١٠٨ الرقم ٢١ كلها عن الزُّهْرِيّ، الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ٤٤٨، اسد الغابة: ج ٤ ص ٤٠٥ الرقم ٤٣٥٤، تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٩ ص ٤٢٣.

^{١٥١٢} (٢). سِيرِ أعلام النبلاء: ج ٣ ص ١٠٣ الرقم ٢١، تاريخ بغداد: ج ١ ص ١٧٨ الرقم ١٧، الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ٣٥٤ و فيه «كان صاحب راية الأنصار مع رسول الله صلى الله عليه و آله» بدل «كان صاحب لواء النَّبِيِّ صلى الله عليه و آله فى بعض مغازيه» و راجع الاستيعاب: ج ٣ ص ٣٥٠ الرقم ٢١٥٨ و البداية و النهاية: ج ٨ ص ٩٩.

جند، فإنّ ذلك أرب لعدوك و أعزّ لوليّك، فإذا أنت قدمتها إن شاء الله، فأحسن إلى المحسن، و اشتدّ على المريب، و أرفق بالعامّة و الخاصّة، فإنّ الرفق يُمنّ.

فقال له قَيْس بن سعد: رحمك الله يا أمير المؤمنين، فقد فهمتُ ما قلتَ، أمّا قولك: اخرج إليها بجند، فو الله لئن لم أدخلها إلّا بجند آتيتها به من المدينة لا أدخلها أبداً، فأنا أدعُ ذلك الجند لك، فإن أنت احتجت إليهم كانوا منك قريباً، و إن أردت أن تبعثهم إلى وجه من وجوهك كانوا عدّة لك، و أنا أصير إليها بنفسى و أهل بيتى. و أمّا ما أوصيتنى به من الرفق و الإحسان، فإنّ الله عز و جل هو المستعان على ذلك.

قال: فخرج قَيْس بن سَعْد في سبعة نفر من أصحابه حتّى دخل مصر ١٥١٣.

و في **الكامل في التاريخ**: خرج قَيْس حتّى دخل مصر في سبعة من أصحابه ...، فصعد المنبر فجلس عليه، و أمر بكتاب أمير المؤمنين فقري على أهل مصر بإمارته، و يأمرهم بمبايعته و مساعدته و إعانته على الحقّ، ثمّ قام قَيْس خطيباً و قال:

الحمد لله الذي جاء بالحقّ و أمات الباطل و كبت الظّالمين، أيّها النّاس، إنّنا قد بايعنا خير من نعلم بعد نبينا صلى الله عليه و آله، فقوموا أيّها النّاس فبايعوه على كتاب الله و سنّة رسوله، فإن نحن لم نعمل لكم بذلك فلا بيعه لنا عليكم.

فقام النّاس فبايعوا، و استقامت مصر، و بعث عليها عمّاله إلّا قرية منها يقال لها: خرنبا، فيها ناس قد أعظموا قتل عثمان، عليهم رجل من بنى كِنانة ثمّ من بنى مُدلاج اسمه يزيد بن الحرث، فبعث إلى قَيْس يدعو إلى الطّلب بدم عثمان.

ص: ٥٠٦

و كان مَسْلَمَة بن مخلّد قد أظهر الطّلب أيضاً بدم عثمان، فأرسل إليه قَيْس:

ويحك أ علىّ تشبّ؟! فو الله، ما أحبّ أن لي ملك الشّام إلى مصر و أنّي قتلتك!

فبعث إليه مَسْلَمَة: إنّي كافّ عنك ما دمت أنت والى مصر.

و بعث قَيْس - و كان حازماً - إلى أهل خرنبا: إنّي لا اكرهكم على البيعة، و إنّي كافّ عنكم، فهادنهم و جبا الخراج ليس أحد ينازعه ١٥١٤.

و في **تاريخ الطبري** عن أبي مِخْنَف: لمّا أيس معاوية من قَيْس أن يتابعه على أمره، شقّ عليه ذلك؛ لما يعرف من حزمه و بأسه، و أظهر للناس قبله أنّ قَيْس بن سَعْد قد تابعكم، فادعوا الله له، و قرأ عليهم كتابه الذي لان له فيه و قاربه.

١٥١٣ (١). تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥٤٧، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٥٤ و ليس فيه من «و أنا أصير» إلى «المستعان على ذلك»؛ الغارات: ج ١ ص ٢٠٨.
١٥١٤ (١). الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٥٤، تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥٤٨ و فيه «خربنا» بدل «خرنبا» في كلا الموضعين؛ الغارات: ج ١ ص ٢١١ و راجع أنساب الأشراف: ج ٣ ص ١٦٢.

قال: و اختلق معاوية كتاباً من قيس بن سعد، فقرأه على أهل الشام:

بسم الله الرحمن الرحيم، للأمير معاوية بن أبي سفيان من قيس بن سعد، سلام عليك، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فإني لما نظرت رأيت أنه لا يسعني مظاهره قوم قتلوا إمامهم مسلماً محرماً برأ تقياً، فنستغفر الله عز و جل لذوننا، و نسأله العصمة لديننا. ألا و إنني قد ألقيت إليكم بالسلم، و إنني أجبتك إلى قتال قتله عثمان، إمام الهدى المظلوم، فعول على فيما أحببت من الأموال و الرجال اعجل عليك، و السلام.

فشاع في أهل الشام أن قيس بن سعد قد بايع معاوية بن أبي سفيان، فسرحت عيون علي بن أبي طالب إليه بذلك، فلما أتاه ذلك أعظمه و أكبره، و تعجب له، و دعا بنيه، و دعا عبد الله بن جعفر فأعلمهم ذلك، فقال: ما رأيكم؟

ص: ٥٠٧

فقال عبد الله بن جعفر: يا أمير المؤمنين، دَع ما يريبك إلى ما لا يريبك، اعزل قيساً عن مصر.

قال لهم علي:

«إني والله، ما صدق بهذا على قيس».

فقال عبد الله: يا أمير المؤمنين، اعزله، فو الله، لئن كان هذا حقاً لا يعتزل لك إن عزلته^{١٥١٥}.

و في تاريخ الطبري عن أبي مخنف: جاء كتاب من قيس بن سعد فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإني اخبر أمير المؤمنين أكرمه الله أن قبلي رجالاً معتزلين قد سألوني أن أكف عنهم، و أن أدعهم على حالهم حتى يستقيم أمر الناس، فنرى و يروا رأيهم، فقد رأيت أن أكف عنهم، و ألا أتعجل حربهم، و أن أتألفهم فيما بين ذلك لعل الله عز و جل أن يقبل بقلوبهم، و يفرقهم عن ضاللتهم، إن شاء الله.

فقال عبد الله بن جعفر: يا أمير المؤمنين، ما أخوفني أن يكون هذا ممالأة لهم منه، فمره يا أمير المؤمنين بقتالهم، فكتب إليه علي:

بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فسر إلى القوم الذين ذكرت، فإن دخلوا فيما دخل فيه المسلمون وإلا فناجزهم، إن شاء الله.

فلما أتى قيس بن سعد الكتاب فقرأه، لم يتمالك أن كتب إلى أمير المؤمنين:

^{١٥١٥} (١). تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥٥٣؛ الغارات: ج ١ ص ٢١٥ و راجع: الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٥٥، أنساب الأشراف: ج ٣ ص ١٦٣.

أما بعد يا أمير المؤمنين، فقد عجبت لأمرك، أ تأمرني بقتال قوم كافرين عنك، مُفرغيك لقتال عدوك؟! و إنك متى حاربتهم ساعدوا عليك عدوك، فأطعني

ص: ٥٠٨

يا أمير المؤمنين، و اكف عنهم، فإنّ الرأى تركهم، و السّلام ...

فبعث عليّ محمّد بن أبي بكر على مصر و عزل عنها قيساً^{١٥١٦}.

و فى تاريخ الطبرى عن كعب الوالى: إنّ عليّاً كتب معه (أى محمّد بن أبى بكر) إلى أهل مصر كتاباً، فلمّا قدم به على قيس، قال له قيس: ما بال أمير المؤمنين؟! ما غيرّه؟ أدخل أحد بينى و بينه؟

قال له: لا، و هذا السّطان سلطانك!

قال: لا، و الله، لا اقيم معك ساعة واحدة. و غضب حين عزله، فخرج منها مقبلاً إلى المدينة، فقدمها، فجاءه حسان بن ثابت شامتاً به- و كان حسان عثمانياً- فقال له: نزعك علىّ بن أبى طالب، و قد قتلت عثمان فبقى عليك الإثم، و لم يحسن لك الشكر!

فقال له قيس بن سعد: يا أعمى القلب و البصر، و الله، لو لا أن القى بين رهطى و رهطك حرباً لضربت عنقك، اخرج عنى.

ثمّ إنّ قيساً خرج هو و سهّل بن حنيف حتّى قدما على علىّ، فخبّره قيس فصدقه علىّ، ثمّ إنّ قيساً و سهلاً شهدا مع علىّ صفين^{١٥١٧}.

و فى سير أعلام النبلاء عن الزهريّ: قدم قيس المدينة فتوامر^{١٥١٨} فيه الأسود بن أبى البخترى و مروان أن يبيتاه، و بلغ ذلك قيساً، فقال: و الله، إنّ هذا لقبيح أن افارق عليّاً و إن عزلنى، و الله، لألحقنّ به.

ص: ٥٠٩

فلحق به، و حدّثه بما كان يعتمد بمصر. فعرف علىّ أن قيساً كان يدارى أمراً عظيماً بالمكيدة، فأطاع علىّ قيساً فى الأمر كلّه، و جعله على مقدّمة جيشه^{١٥١٩}.

و فى الغارات عن المدائنىّ عن أصحابه: فسدت مصر على محمّد بن أبى بكر، فبلغ عليّاً توّبههم عليه، فقال:

^{١٥١٦} (١). تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥٥٤؛ الغارات: ج ١ ص ٢١٨ و ٢١٩ و راجع أنساب الأشراف: ج ٣ ص ١٦٣.
^{١٥١٧} (٢). تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥٥٥، أنساب الأشراف: ج ٣ ص ١٦٤ نحوه، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٥٦؛ الغارات: ج ١ ص ٢١٩ - ٢٢٢.
^{١٥١٨} (٣) أمره في أمره و أمره و استأمره: شاوره (لسان العرب: ج ٤ ص ٣٠).
^{١٥١٩} (١). سير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ١١٠ الرقم ٢١، تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٩ ص ٤٢٨ و فيه «و جعله مقدّمة أهل العراق على شرطة الخميس الذين كانوا يبليعون للموت».

ما لمصر إلّا أحد الرّجلين: صاحبنا الذي عزلناه عنها بالأمس - يعنى قيس بن سعد - أو مالك بن الحارث الأشتر.

و كان عليّ عليه السلام حين رجع عن صفين قد ردّ الأشتر إلى عمله بالجزيرة، و قال لقيس بن سعد: أقم أنت معي على شرطتي حتّى نفرغ من أمر هذه الحكومة، ثم اخرج إلى أذربيجان، فكان قيس مقيماً على شرطته^{١٥٢٠}.

و فى تاريخ الطبرى عن الزهري: جعل عليّ عليه السلام قيس بن سعد على مقدمته من أهل العراق إلى قبل أذربيجان، و على أرضها، و شرطة الخميس الذى ابتدعه من العرب، و كانوا أربعين ألفاً، بايعوا عليّاً عليه السلام على الموت، و لم يزل قيس يدارئ ذلك البعث حتّى قُتل عليّ عليه السلام^{١٥٢١}.

أقول: قيس، هو قيس بن سعد بن عبادة، الصحابي العظيم، سيّد الخزرج، الخطيب البليغ، و الشّاعر المُفلق، من أركان الشيعة و أكابرهم، و من المخلصين لأمير المؤمنين عليه السلام، و المتفانين فيه، و الذين لا ينسى التاريخ الإسلامى مواقفهم النبيلة، و حقّ على العالم البشرى أن يقف موقف التّبجيل و الاحترام و التّقدير له، جيلاً بعد جيل.

ص: ٥١٠

إنّ قيساً رجل الشيعة، أعرف من أن يكتب عنه القلم، و أعظم من تحوم حوله العبارة، فلقد كتب عنه كل مورّخ و محدّث، و بحث حوله كل من أراد التنقيب فى التاريخ الإسلامى، و إنك لتجد اسمه فى مختلف المعاجم، ك أسد الغابة، و الإصابة، و الاستيعاب، و القاموس، و ترجمه العلامة المفضل الحجّة الأمينى قدس سره، فى كتابه القيم «الغدير»، و نحن بدورنا نذكر هنا طرفاً من أخباره و مآثره و آثاره و شئون حياته، إن شاء الله، و نترك الاستقصاء فى البحث عن جميع ما له علاقة به إلى رسالة مفردة، نسأل الله أن يوفّقنا لإنجازها فى المستقبل القريب.

شمائله: كان قيس رجلاً ضخماً حسناً طويلاً، و كان من الذين طولهم عشرة أشبار، بأشبار أنفسهم، و قيل ثمانية عشر شبراً فى عرض خمسة أشبار، و ليس فى وجهه لحيّة، و لا شعرة واحدة، و كان أصلها سناً^{١٥٢٢}، و كان إذا ركب الفرس المشرف المشرف رجلاه تخطّان الأرض، و فى المثل السائر: «سراويل قيس»، و خلاصة القول أنه كان له جثة عظيمة، و وجه جميل، و يدان قويتان، يعلو و لا يعلى عليه، له بسطة فى الجسم و بسالة^{١٥٢٣}.

و أمّا فروسيّته، فلا يوجد تاريخ إسلامى و لا معجم، إلّا و فيه جميل الثناء على فروسيّته و شجاعته و بأسه و شدّته فى عهد النّبىّ صلى الله عليه و آله و الوليّ عليه السلام، لأنّه كان حامل راية الأنصار مع رسول الله صلى الله عليه و آله، و كان من النّبىّ صلى الله عليه و آله بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير مع النّجدة و الشّجاعة، و كان حامل راية الأنصار مع الوليّ عليه السلام أيضاً،

^{١٥٢٠} (٢) الغارات: ج ١ ص ٢٥٦؛ تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٩٥، الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ٤١٠.

^{١٥٢١} (٣) تاريخ الطبري: ج ٥ ص ١٥٨.

^{١٥٢٢} (١) السناط بالكسر و بالضم: كوسج لا لحيّة له أصلاً، أو الخفيف اللحية و لم يبلغ حال الكوسج، أو لحيته فى الدّفن و ما بالعارضين شيء.) القاموس المحيط: ج ٢ ص ٣٦٧.

^{١٥٢٣} (٢) راجع: مروج الذهب: ج ٣ ص ٢٦، المعارف لابن قتيبة: ص ٥٩٣، مقاتل الطالبين: ص ٧٠-٧٩؛ رجال الكشي: ج ١ ص ٣٢٧ الرقم ١٧٧، الغدير: ج ٢ ص ١٠٨ و الإصابة، الاستيعاب، أسد الغابة.)

و له مواقف باسلة في حرب صفين، و قد بلغ من غيظ معاوية لعنه الله منه، أنه كان يقنت و يلعن قيساً.

و ينص المورخون أنه قد غمّه رجال من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، منهم قيس، و كان أشدّ النَّاس بعد أمير المؤمنين عليه السلام، و كان معاوية يقول: و الله، إن قيساً يريد أن يفنينا غداً، ان لم يحبسنا عنا حابس الفيل، و سيأتي بعض من كلمات قيس الخالدة.^{١٥٢٤}

و أمّا دهاؤه و رأيه و عقله فهو ممّا أطبق عليه أصحاب المعاجم، قال أبو عمر: كان أحد الفضلاء الجلّة أو أحد دهاة العرب، و أهل الرأى و المكيدة في الحروب مع النجدة و البسالة، و تبعه أيضاً ابن حَجَر و ابن الأثير، و أوفى دليل على ذلك آراؤه و أساليبه في إمارته، بل هو في الطبقة العليا من أصحاب الرأى و النهى، و هو القائل:

«لو لا أنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول:

المكر والخديعة في النار،

لكنت من أمكر هذه الأمة».

و كان يقول: «لو لا الإسلام لمكرت مكرراً لا تطيقه العرب».

بل كان معاوية يخاف من دهاء قيس و رأيه.^{١٥٢٥} إن قيساً لمّا قدم المدينة فأخافه مروان و الأسود بن أبي البختري؛ حتّى إذا خاف أن يؤخذ أو يُقتل ركب راحلته، فظهر إلى عليّ، فكتب معاوية إلى مروان و الأسود يتغيّظ عليهما، و يقول: أمددتما عليّا بقيس بن سعد و رأيه و مكائده، فو الله لو أنّكما أمددتماه بثمانية آلاف مقاتل

ما كان ذلك بأغيظ إلى من إخراجكما قيس بن سعد إلى عليّ.^{١٥٢٦}

و قال الطّبري: فقدم قيس على عليّ، فلمّا أنبأه الحديث، و جاءهم قتل محمّد بن أبي بكر، عرف أن قيس بن سعد كان يوازي (يقاسى) أموراً عظيماً من المكائده.^{١٥٢٧} هذا، و قد مرّ أنّ عليّ عليه السلام كان عالماً بذلك، و لكن الجئوه إلى عزل

^{١٥٢٤} (١) راجع: وقعة صفين: ص ٤٤٧، الغدير: ج ٢ ص ٧٤؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٨ ص ٨٦، أسد الغابة: ج ١ ص ٤٠٤ الرقم ٤٣٥٤، الإصابة: ج ٥ ص ٣٦٠ الرقم ٧١٩٢، الاستيعاب: ج ٣ ص ٣٥٠ الرقم ٢١٥٨.

^{١٥٢٥} (٢) تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥٥٥، أنساب الأشراف: ج ١ ص ٣٠٠.

^{١٥٢٦} (١) المصنّف لعبد الرزاق: ج ٥ ص ٤٦٠ ح ٩٧٧٠، تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٩٤.

^{١٥٢٧} (٢) تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥٥٥.

قَيْس، و في الغدير: عن الحلبي: من وقف على ما وقع بينه و بين معاوية لرأى العجب من وفور عقله.^{١٥٢٨} و عن البداية و النّهاية: ولاة على نيابة مصر، و كان يقاوم بدهائه و خديعته و سياسته، لمعاوية و عمرو بن العاص.^{١٥٢٩}

و في الغدير: بعد ذكره كلام المُغِيرَةَ و نصيحته لأمير المؤمنين عليه السلام في إقرار معاوية على عمله و إباته عليه السلام عن قبوله قال: فقام قَيْس بن سعد، فقال: يا أمير المؤمنين، إنَّ المُغِيرَةَ أشار عليك بأمر لم يُرد الله به، فقدّم فيه رجلاً و آخر فيه أخرى، فإن كان لك الغلبة يقرب إليك بالنصيحة، و إن كانت لمعاوية يقرب إليه بالمشورة، ثمّ أنشأ يقول:

يَكادُ و مَنْ أَرَسى بُثيراً^{١٥٣٠} مَكَانَهُ
مُغِيرَةَ أَنْ يَقوى عَلَيْكَ مُعاوِيَةَ

وَ كُنْتَ بِحَمْدِ اللَّهِ فِينا مُوقِّعاً
وَ تِلْكَ الَّتى أَرأاكها غَيْرُ كافِيَةٍ

فَسُبْحانَ مَنْ عَلى السَّمَاءِ مَكَانَها
وَ أَرْضاً دَحَها فاستقرَّتْ كِماهيَةٍ^{١٥٣١}

ص: ٥١٣

وسعى معاوية بكلّ مكيدته أن يكيد قَيْساً، و هو بمصر، أو يكيده و هو أمير عسكر الإمام السّبط الأكبر عليه السلام، فلم يتمكن من ذلك، و عجز عن خداعه.^{١٥٣٢}

و بالجملة، لا يشكّ من له أدنى إلمام بالتّاريخ و المعاجم في عقل قَيْس و دهائه و حزمه و رأيه، و من الأدلّة على ذلك كلماته الخالدة الدّالة على دقّة في ملاحظة، و عمّن في التّفكّر و سداد في الرّأى، و نحن نورد منها ما عثرنا عليه:

خطابته:

١٥٢٨ (٣). الغدير: ج ٢ ص ٧٢.
١٥٢٩ (٤). البداية و النّهاية: ج ٨ ص ٩٩.
١٥٣٠ (٥) بثير: جبل معروف.
١٥٣١ (٦). الغدير: ج ٢ ص ٧٤، الأمالى للطوسي: ص ٨٨ ح ١٣٣.
١٥٣٢ (١) راجع: أنساب الأشراف: ج ٣ ص ١٦٢-١٦٣، تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥٥٠-٥٥٥، مروج الذهب: ج ٣ ص ٢٥، الإصابة: ج ٣ ص ٢٤٩، أسد الغابة: ج ٤ ص ٢١٦، الاستيعاب: ج ٣ ص ٢٢٦، مقاتل الطالبين: ص ٦٥، البيان و التبيين: ج ٢ ص ٦٩، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٦ ص ٩-٦٢؛ تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ١٧٦ و ٢٠٤.

١- لمَّا وصل كتاب قُتُمِّ بن عَبَّاسٍ من مَكَّةَ إلى أمير المؤمنين عليه السلام يخبره أنَّ طَلْحَةَ و الزُّبَيْر و عائِشَةُ قد خرجوا من مَكَّةَ، يريدون البصرة، و قد استنفروا النَّاسَ، فلم يَخِفْ معهم إلَّا من لا يعتد بمسيره، و من خلفت بعدك فعلى ما تحب. فلمَّا قدم على عليّ كتابه غمَّه ذلك، و أعظمه النَّاسُ، و سقط في أيديهم، فقام قَيْسُ بن سَعْدِ بن عَبَّادَةَ، فقال:

يا أمير المؤمنين، إنَّه و الله، ما غمَّنَا بهذين الرَّجَلين كغمَّنَا بعائِشَةَ، لأنَّ هذين الرَّجَلين حلال الدَّم عندنا؛ لبيعتهما و نكثهما، و لأنَّ عائِشَةَ من علمت مقامها في الإسلام، و مكانها من رسول الله، مع فضلها و دينها و أمومتها مِنَّا و منك، و لكنَّهما يقدمان البصرة، و ليس كلُّ أهلها لهما، و تقدِم الكوفة، و كلُّ أهلها لك، و تسير بحقِّك إلى باطلهم، و لقد كُنَّا نخاف أن يسيرا إلى الشَّام، فيقال: صاحبنا رسول الله، و أمُّ المؤمنين، فيشتدُّ البلاء، و تعظم الفتنة، فأما إذا أتيا البصرة، و قد سبقت إلى

ص: ٥١٤

طاعتك، و سبقوا إلى بيعتك، و حكم عليهم عاملك، و لا و الله، ما معهما مثل ما معك، و لا يقدمان على مثل ما تقدّم عليه، فسر فإنَّ الله معك. ١٥٣٣

٢- لمَّا قدم قَيْسُ مصر، و قرأ كتاب أمير المؤمنين عليه السلام على النَّاسِ، قام قَيْسُ خطيباً، فقال:

الحمد لله الذي جاء بالحقّ، و أمات الباطل و كبت الظَّالمين، أيُّها النَّاسُ، إنَّا قد بايعنا خير من نعلم بعد محمَّد نبيِّنا صلى الله عليه و آله، فقوموا أيُّها النَّاسُ، فبايعوا على كتاب الله عز و جل و سنَّه رسول الله صلى الله عليه و آله، فإن نحن لم نعمل لكم بذلك فلا بيعة لنا عليكم. ١٥٣٤

٣- و لمَّا أراد عليه السلام المسير إلى صفِّين، قام قَيْسُ بن سَعْدِ بن عَبَّادَةَ، فحمد الله و أثنى عليه، ثمَّ قال:

يا أمير المؤمنين، انكمش بنا إلى عدوتنا، و لا تعرد^{١٥٣٥}، فو الله لجهادهم أحبَّ إلينا من جهاد التَّرك و الرُّوم، لإدهانهم في دين الله و استدلالهم أولياء الله من أصحاب محمَّد صلى الله عليه و آله من المهاجرين و الأنصار و التَّابعين بإحسان، إذا غضبوا على رجل حبسوه أو ضربوه أو حرموه أو سيروه، و فيؤننا لهم في أنفسهم حلال، و نحن لهم فيما يزعمون قطين. ١٥٣٦ ١٥٣٧

٤- لمَّا عزم أمير المؤمنين عليه السلام على الخروج من المدينة إلى العراق، و خالفه قوم قال قَيْسُ:

ص: ٥١٥

١٥٣٣ (١). الإمامة و السياسة: ج ١ ص ٨١.
١٥٣٤ (٢). تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥٤٩، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٦ ص ٦٠.
١٥٣٥ (٣). عزد الرجل عن قرنه: إذا أحجم و نكل، و التعرید: الفرار. (لسان العرب: ج ٣ ص ٢٨٨).
١٥٣٦ (٤). القطين: ثياب الملك و ممالیکه و خدمه، و المقيمون في الموضع لا يكادون يبرحونه. (لسان العرب: ج ١٣ ص ٣٤٣).
١٥٣٧ (٥). وقعة صفِّين: ص ٩٣؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٣ ص ١٧٣.

يا أمير المؤمنين، ما على الأرض أحد أحبّ إلينا أن يقيم فينا منك، لأنك نجمنا الذي نهتدى به، و مفرعنا الذي نصير إليه، و إن فقدناك لتُظلمن أرضنا و سماؤنا، و لكن و الله، لو خليت معاوية للمكر، ليرومن مصر، و ليفسدن اليمن، و ليظمنن في العراق، و معه قوم يمانيون قد أشربوا قتل عثمان، و قد اكتفوا بالظن عن العلم، و بالشك عن اليقين، و بالهوى عن الخير، فسر بأهل الحجاز و أهل العراق، ثم أرمه بأمر يضيق فيه خناقه^{١٥٣٨}، و يقصر له من نفسه.

فقال عليه السلام:

«أحسنت والله، يا قيس»^{١٥٣٩}.

٥- دعا معاوية يوماً النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري، و مسلمة بن مخلد الأنصاري، و لم يكن معه من الأنصار غيرهما، فقال:

يا هذان، لقد غمّني ما لقيت من الأوس و الخزرج، صاروا واضعي سيوفهم على عواتقهم يدعون إلى النزال، حتى - و الله - جبّنا أصحابي، الشجاع و الجبان، و حتى - و الله - ما أسأل عن فارس من أهل الشام إلّا قالوا قتلته الأنصار. أما و الله، لألقينهم بحدّي و حديدي، و لأعبين لكلّ فارسٍ منهم فارساً ينشَبُ في حلقه، ثم لأرمينهم بأعدادهم من قريش، رجال لم يغدّهم التمر و الطفّيشل^{١٥٤٠}، يقولون نحن الأنصار، قد و الله، أووا و نصروا، و لكن أفسدوا حقّهم بباطلهم.

[فأجابه النعمان و مسلمة] ... و انتهى الكلام إلى الأنصار، فجمع قيس بن سعد الأنصاري الأنصار، ثم قام خطيباً فيهم، فقال: إن معاوية قد قال ما بلغكم، و أجاب عنكم صاحبكم، فلعمري لئن غظتم معاوية اليوم لقد غظتموه بالأمس، و إن

ص: ٥١٦

و ترثموه في الإسلام فقد و ترثموه في الشرك، و ما لكم إليه من ذنب أعظم من نصر هذا الدين الذي أنتم عليه، فجذّوا اليوم جذاً تُنسونه به ما كان أمس، و جذّوا غداً جذاً تُنسونه به ما كان اليوم، و أنتم مع هذا اللؤاء الذي كان يقاتل عن يمينه جبرائيل و عن يساره ميكائيل، و القوم مع لواء أبي جهل و الأحزاب.

و أمّا التمر، فإننا لم نغرسه، و لكن غلبنا عليه من غرسه.

و أمّا الطفّيشل، فلو كان طعامنا لسّمينا به اسماً، كما سُميت قريش السّخينة.

ثم قال قيس بن سعد في ذلك:

^{١٥٣٨} (١) هم في خناق: أي في ضيق (النهاية: ج ٢ ص ٨٥).
^{١٥٣٩} (٢) الأمالي للطوسي: ص ٧١٦ ح ١٥١٨، الغدير: ج ٢ ص ٧٥.
^{١٥٤٠} (٣) الطفّيشل: نوع من اطرق معروف (تاج العروس: ج ١٥ ص ٤٣٧).

يا ابنَ هِنْدِ دَعِ التَّوْتُبَ فِي الحَرْبِ

إِذَا نَحْنُ فِي البِلَادِ نَأْتِينَا

نَحْنُ مَنْ قَدْ رَأَيْتَ فَادُنُ إِذَا شِئْتَ

بِمَنْ شِئْتَ فِي العَجَاجِ إِلَيْنَا

إِنْ بَرَزْنَا بِالجَمْعِ نَلْفَكَ فِي الجَمْعِ

وَإِنْ شِئْتَ مَحْضَةً أُسْرِينَا

فَالقَنَا فِي اللَّفِيفِ نَلْفَكَ فِي الحَزْرَجِ

نَدْعُو فِي حَرْبِنَا أُبُوَيْنَا

أَيَّ هَذِينَ مَا أَرَدْتَ فَخُذْهُ

لَيْسَ مِنَّا وَ لَيْسَ مِنكَ الْهُوَيْنَا

ثُمَّ لَا تَنْزِعِ العَجَاجَهُ ^{١٥٤١} حَتَّى

تَنْجَلِي حَرْبِنَا لَنَا أَوْ عَلَيْنَا

لَيْتَ مَا تَطَلَّبُ العَدَاةَ أَنَانَا

أَنْعَمَ اللَّهُ بِالشَّهَادَةِ عَيْنَا

إِنَّا إِنَّا الَّذِينَ إِذَا الفَتْحِ

شَهَدْنَا وَ خَيْبَرًا وَ حُنَيْنَا

^{١٥٤١} (١) العجاج: الغبار، و النَّخَانُ أَيْضاً، و العجاجة أخص منه.

بَعْدَ بَدْرٍ وَ تِلْكَ قَاصِمَةُ الظَّهْرِ

وَ أَحَدٍ وَ بِالنَّضِيرِ ثَنَيْنَا

يَوْمَ الْأَحْزَابِ قَدْ عَلِمَ النَّاسُ

شَفِينَا مَنْ قَبْلَكُمْ وَ اسْتَفِينَا

ص: ٥١٧

فَلَمَّا بَلَغَ شَعْرُهُ مَعَاوِيَةَ، دَعَا عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ، فَقَالَ: مَا تَرَى فِي شَتْمِ الْأَنْصَارِ؟

قَالَ: أَرَى أَنْ تُوعِدَ وَ لَا تَشْتُمَ، مَا عَسَى أَنْ نَقُولَ لَهُمْ؟ إِذَا أُرِدْتَ ذَمَّهُمْ فَذُمَّ أَبْدَانَهُمْ وَ لَا تَذُمَّ أَحْسَابَهُمْ.

قَالَ مَعَاوِيَةُ: إِنَّ خَطِيبَ الْأَنْصَارِ قَيْسَ بْنَ سَعْدٍ يَقُومُ كُلَّ يَوْمٍ خَطِيبًا، وَ هُوَ وَ اللَّهُ، يَرِيدُ أَنْ يُفْنِيَنَا غَدًا إِنْ لَمْ يَحْبِسْهُ عَنَّا حَابِسُ الْفِيلِ، فَمَا الرَّأْيُ؟

قَالَ: الرَّأْيُ التَّوَكُّلُ وَ الصَّبْرُ. ١٥٤٢

٦- [سَأَلَ يَوْمًا مَعَاوِيَةَ النَّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى قَيْسٍ وَ يِعَاتِبَهُ وَ يَسْأَلَهُ السَّلَامَ،] فَخَرَجَ النَّعْمَانُ حَتَّى وَقَفَ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ، فَقَالَ: يَا قَيْسُ، أَنَا النَّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ.

فَقَالَ قَيْسٌ: هَيْهَ يَا ابْنَ بَشِيرٍ، فَمَا حَاجَتُكَ؟

فَقَالَ النَّعْمَانُ: يَا قَيْسُ إِنَّهُ قَدْ أَنْصَفَكُمْ مِنْ دَعَاكُمْ إِلَى مَا رَضِيَ لِنَفْسِهِ، أَلَسْتُمْ مَعَ شَرِّ الْأَنْصَارِ، تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ أَخْطَأْتُمْ فِي خَذَلِ عَثْمَانَ يَوْمَ الدَّارِ، وَ قَتَلْتُمْ أَنْصَارَهُ يَوْمَ الْجَمَلِ، وَ أَفْحَمْتُمْ خِيُولَكُمْ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ بَصْفَيْنِ، فَلَوْ كُنْتُمْ إِذْ خَذَلْتُمْ عَثْمَانَ خَذَلْتُمْ عَلِيًّا لَكَانَتْ وَاحِدَةً بَوَاحِدَةٍ، وَ لَكُنْتُمْ خَذَلْتُمْ حَقًّا وَ نَصَرْتُمْ بَاطِلًا، ثُمَّ لَمْ تَرْضُوا أَنْ تَكُونُوا كَالنَّاسِ، حَتَّى أَعْلَمْتُمْ فِي الْحَرْبِ، وَ دَعَوْتُمْ إِلَى الْبِرَازِ، ثُمَّ لَمْ يَنْزِلْ بَعْلَى أَمْرًا قَطُّ إِلَّا هَوَّنْتُمْ عَلَيْهِ الْمُصِيبَةَ، وَ وَعَدْتُمُوهُ الظَّفَرَ، وَ قَدْ أَخَذْتَ الْحَرْبُ مِنَّا وَ مِنْكُمْ مَا قَدْ رَأَيْتُمْ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي الْبَقِيَّةِ.

١٥٤٢ (١). وقعة صفين: ص ٤٤٥ - ٤٤٧، الغدير: ج ٢ ص ٨٠؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٨ ص ٨٤.

فضحك قَيْسٌ، ثُمَّ قَالَ: مَا كُنْتُ أَرَاكَ يَا نُعْمَانَ تَجْتَرِي عَلَى هَذِهِ الْمَقَالَةِ، إِنَّهُ لَا يَنْصَحُ أَخَاهُ مَنْ غَشَّ نَفْسَهُ، وَأَنْتَ وَاللَّهِ الْغَاشُّ الضَّالُّ الْمُضَلُّ.

ص: ٥١٨

أَمَّا ذِكْرُكَ عِثْمَانَ، فَإِنَّ كَانَتْ الْأَخْبَارُ تَكْفِيكَ فَخُذْهَا مِنِّي وَاحِدَةً، فَتَلَّ عِثْمَانَ مَنْ لَسْتَ خَيْرًا مِنْهُ، وَخَذَلَهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ. وَأَمَّا أَصْحَابُ الْجَمَلِ فَقَاتَلْنَاهُمْ عَلَى النَّكَثِ. وَأَمَّا مَعَاوِيَةُ فَوَاللَّهِ أَنْ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ الْعَرَبُ (قَاطِبَةً) لَقَاتَلْتَهُ الْأَنْصَارَ.

وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّا لَسْنَا كَالنَّاسِ، فَنَحْنُ فِي هَذِهِ الْحَرْبِ كَمَا كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، نَتَّقِي السُّيُوفَ بِوُجُوهِنَا، وَالرِّمَاحَ بِنُحُورِنَا، حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ، وَ لَكِنْ انظُرْ يَا نُعْمَانَ، هَلْ تَرَى مَعَ مَعَاوِيَةَ إِلَّا طَلِيقًا أَوْ أَعْرَابِيًّا أَوْ يَمَانِيًّا مُسْتَدْرَجًا بَغُرُورٍ.

انظُرْ أَيْنَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ وَالتَّابِعُونَ بِإِحْسَانٍ، الَّذِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؟ ثُمَّ انظُرْ هَلْ تَرَى مَعَ مَعَاوِيَةَ غَيْرَكَ وَصُويحبيكَ؟ وَ لَسْتَمَا وَاللَّهِ بَبَدْرِيَّيْنِ وَ لَا عَقَبِيَّيْنِ وَ لَا أُحْدِيَّيْنِ، وَ لَا لَكَمَا سَابِقَةً فِي الْإِسْلَامِ، وَ لَا آيَةَ فِي الْقُرْآنِ.

وَ لَعَمْرِي لئن شغبت علينا، لقد شَغَبَ علينا أبوك. وَ قَالَ قَيْسٌ فِي ذَلِكَ:

خُوصِ الْعُيُونِ تَحْتُهَا الرُّكْبَانُ

وَ الرَّاقِصَاتِ بِكُلِّ أَشْعَثِ أَغْبَرٍ

فِي مَنْ نَحَارِبُهُ وَ لَا التُّعْمَانَ

مَا ابْنِ الْمُخَلَّدِ نَاسِيًا أَسِيافِنَا

لَوْ كَانَ يَنْفَعُ صَاحِبِيهِ عِيَانُ

تَرَكَ الْبَيَانَ وَ فِي الْعِيَانِ كِفَايَةً

ثُمَّ إِنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ دَعَا قَيْسَ بْنَ سَعْدٍ، فَأَثْنَى عَلَيْهِ خَيْرًا وَ سَوَّاهُ عَلَى الْأَنْصَارِ. ١٥٤٣

١٥٤٣ (١). وقعة صفين: ص ٤٤٨ - ٤٥٣ و راجع: الغدير: ج ٢ ص ٧٩؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٨ ص ٨٧، الإمامة و السياسة: ج ١ ص ١٠٢.

٧- [لَمَّا تَخَلَّفَ جَمْعٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ الْأَشْتَرُ لِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ:] دَعَنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْقِعْ بِهِؤُلَاءِ الَّذِينَ يَتَخَلَّفُونَ عَنْكَ.

ص: ٥١٩

فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«كُفَّ عَنِّي»

فَانصَرَفَ الْأَشْتَرُ وَهُوَ مَغْضَبٌ.

ثُمَّ إِنَّ قَيْسَ بْنَ سَعْدٍ لَقِيَ مَالِكًا الْأَشْتَرُ فِي نَفَرٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَقَالَ قَيْسٌ لِلْأَشْتَرِ: يَا مَالِكُ، كَلَّمَا ضَاقَ صَدْرُكَ بِشَيْءٍ أَخْرَجْتَهُ، وَكَلَّمَا اسْتَبْطَأْتَ أَمْرًا اسْتَعْجَلْتَهُ، إِنَّ أَدَبَ الصَّبْرِ التَّسْلِيمُ، وَادَبُ الْعَجَلَةِ الْأَنَاءُ، وَإِنَّ شَرَّ الْقَوْلِ مَا ضَاهَى الْعَيْبَ، وَشَرَّ الرَّأْيِ مَا ضَاهَى التُّهْمَةَ، وَإِذَا ابْتَلَيْتَ فِاسَأَلْ، وَإِذَا أَمَرْتَ فَاطْعُ، وَلا تَسْأَلْ قَبْلَ الْبَلَاءِ، وَلا تَكَلِّفْ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ الْأَمْرُ، فَإِنَّ فِي أَنْفُسِنَا مَا فِي نَفْسِكَ، فَلا تَشَقَّ عَلَيَّ صَاحِبِكُ.^{١٥٤٤}

٨- قَالَ الْيَعْقُوبِيُّ: - فِي صَلَاحِ الْإِمَامِ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ مَعَاوِيَةَ - وَآتَاهُ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ بِنَ عُبَادَةَ، فَقَالَ: بَايَعْ قَيْسُ! قَالَ: إِنَّ كُنْتُ لَأَكْرَهُ مِثْلَ هَذَا الْيَوْمِ، يَا مَعَاوِيَةَ.

فَقَالَ لَهُ: مَهْ، رَحِمَكَ اللَّهُ!

فَقَالَ: لَقَدْ حَرَصْتُ أَنْ أَفَرِّقَ بَيْنَ رُوحِكَ وَجَسَدِكَ قَبْلَ ذَلِكَ، فَأَبَى اللَّهُ، يَا ابْنَ أَبِي سُفْيَانَ، إِلَّا مَا أَحَبَّ.

قَالَ: فَلا يُرَدُّ أَمْرُ اللَّهِ.

قَالَ: فَأَقْبَلَ قَيْسٌ عَلَى النَّاسِ بَوَاجِهِهِ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ النَّاسِ، لَقَدْ اعْتَضْتُمْ الشَّرَّ مِنَ الْخَيْرِ، وَاسْتَبَدَلْتُمْ الدَّلَّ مِنَ الْعَزِّ، وَالْكَفْرَ مِنَ الْإِيمَانِ، فَأَصْبَحْتُمْ بَعْدَ وَايَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَيْدِ الْمُسْلِمِينَ، وَابْنَ عَمِّ رَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَقَدْ وَلِيَكُمْ الطَّلِيْقَ ابْنَ الطَّلِيْقِ يَسُومُكُمْ الْخُسْفَ، وَيسِيرُ فِيكُمْ بِالْعُسْفِ، فَكَيْفَ تَجْهَلُ ذَلِكَ أَنْفُسَكُمْ، أَمْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِكُمْ، وَأَنْتُمْ لا تَعْقِلُونَ.

فَجَثَا مَعَاوِيَةَ عَلَى رُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهِ، وَقَالَ: أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ! ثُمَّ صَفَقَ عَلَى

ص: ٥٢٠

^{١٥٤٤} (١). الأُمالي لِلطُّوسِي: ص ٧١٧ ح ١٥١٨، الْغَدِير: ج ٢ ص ٧٣.

كفّه، و نادى النَّاسَ: بايع قَيْسُ! فقال، كذبتُم، و الله، ما بايعت.^{١٥٤٥}

٩- قال معاوية لقيس بن سعد: رحِمَ اللهُ أبا حسن؛ فلقد كان هَشًّا بَشًّا ذا فُكاهة.

قال قَيْسُ: نعم كان رسول الله صلى الله عليه و آله يمزحُ و يبتسم إلى أصحابه، و أراك تُسرَّ حَسْناً في ارتِغاء^{١٥٤٦}، و تعييه بذلك! أمَّا و الله، لقد كان مع تلك الفُكاهة و الطَّلَاقَةُ أهْيَبَ من ذى لِبْدَتَيْنِ قد مسَّه الطَّوى؛ تلك هيبةُ التَّقوى، و ليس كما يهابك طَعَامُ أهل الشَّام.^{١٥٤٧}

١٠- دخل قَيْسُ بن سَعْدٍ بعد وفاة عليّ، و وقوع الصَّلح في جماعة من الأنصار على معاوية، فقال لهم معاوية: يا معشر الأنصارِ بِمَ تطلبون ما قبلي؟

فو الله لقد كنتم قليلاً معي كثيراً عليّ، و لفللتم حدّى يوم صِفِّين حَتَّى رأيت المنايا تَلطّى في أسنتكم، و هجوتموني في أسلافي بأشدّ من وقع الأسنّة، حَتَّى إذا أقام الله ما حاولتم ميّله قلتُم: ارعَ فينا وصية رسول الله صلى الله عليه و آله، هيهات، يابى الحَقين العِذرة^{١٥٤٨}.

فقال قَيْسُ: نطلب ما قبلك بالإسلام الكافي به الله، لا بما تمتّ به إليك الأحزاب، و أمّا عداوتنا لك فلو شئت كلفتها عنك.

و أمّا هجاؤنا إِيّاك، فقول يزول باطله، و يثبت حقّه.

ص: ٥٢١

و أمّا استقامة الأمر فعلى كره كان متاً.

و أمّا فلنا حدّك يوم صِفِّين، فإنّا كنّا مع رجل نرى طاعته طاعة الله.

و أمّا وصية رسول الله بنا، فمن آمن به رعاها بعده.

و أمّا قولك: «يابى الحَقين العِذرة» فليس دون الله يد تحجزك منّا يا معاوية.^{١٥٤٩}

١١- لمّا فرّ عبيد الله بن العباس و لحق بمعاوية، خرج قَيْسُ و صلّى بالجند، ثمّ خطبهم فقال:

^{١٥٤٥} (١). تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٢١٦، الغدير: ج ١ ص ٢٥.
^{١٥٤٦} (٢) جاء في الحديث: «رغوة السدر» و المراد زبده الذي يعلو عند ضربه بالماء (مجمع البحرين: ج ٢ ص ٧١٦).
^{١٥٤٧} (٣). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١ ص ٢٥.
^{١٥٤٨} (٤) يضرب مثلاً للرجل يعتذر و لا عُذرَ له، أصل ذلك: أنّ رجلاً ضاف قوماً فاستساقاهم لبناً، و عندهم لبن قد حقنوه فاعتلّوا او اعتذروا، فقال: أبى الحَقين العِذرة، أي أنّ هذا اللّبن يكذبكم (لسان العرب: ج ١٣ ص ١٢٠).
^{١٥٤٩} (١). مروج الذهب: ج ٣ ص ٢٦، العقد الفريد: ج ٤ ص ٣٤.

أَيُّهَا النَّاسُ، لَا يَهُولَنَّكُمْ وَلَا يَعْظَمَنَّ عَلَيْكُمْ مَا صَنَعَ هَذَا الرَّجُلُ الْوَلَهُ الْوَرَعَ (أَيَّ الْجَبَانَ)، إِنَّ هَذَا وَ أَبَاهُ وَ أَخَاهُ لَمْ يَأْتُوا بِيَوْمٍ خَيْرٍ قَطُّ، إِنَّ أَبَاهُ عَمَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ، خَرَجَ يُقَاتِلُهُ بِبَدْرٍ، فَأَسْرَهُ أَبُو الْيَسْرِ كَعْبُ بْنُ عَمْرٍو الْأَنْصَارِيُّ، فَأَتَى بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ، فَأَخَذَ فِدَاءَهُ فَقَسَّمَهُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَ إِنَّ أَخَاهُ وَآلَهُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْبَصْرَةِ، فَسَرَقَ مَالَ اللَّهِ وَ مَالَ الْمُسْلِمِينَ، فَاشْتَرَى بِهِ الْجَوَارِي، وَ زَعَمَ أَنَّ ذَلِكَ لَهُ حِلَالٌ، وَ إِنَّ هَذَا وَآلَهُ عَلَى الْيَمَنِ فَهَرَبَ مِنْ بُسْرِ بْنِ أَرْطَاةَ، وَ تَرَكَ وَلَدَهُ حَتَّى قَتَلُوا، وَ صَنَعَ الْآنَ هَذَا الَّذِي صَنَعَ.^{١٥٥٠}

أَوْ أَمَّا سَخَاءُ قَيْسٍ وَ إِمَارَتُهُ فِي الْعَهْدِ النَّبَوِيِّ، وَ فِي حُكْمَةِ الْوَصِيِّ، وَ شَرَفُهُ وَ زَهْدُهُ وَ فَضْلُهُ وَ حَيَاتُهُ وَ وَفَاتُهُ، فَعَلَيْكَ بِكُتُبِ الْمَعَاجِمِ وَ التَّارِيخِ، فَلَقَدْ أَطَالَ الْأَمِينِيُّ قَدَسَ سِرَّهُ الْكَلَامِ فِي الْغَدِيرِ، وَ أَجَادَ وَ أَفَادَ لِلَّهِ دَرَّةً وَ عَلَيْهِ أَجْرُهُ، فَلَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَكْتُبَ

ص: ٥٢٢

عَنْهُ بِمَا يَحِقُّ لَهُ وَ يَسْتَحِقُّهُ لَكَانَ كِتَابًا ضَخْمًا خَارِجًا عَنْ شَرْطِ الْكِتَابِ، وَ لَا غُرُو أَنْ يَكُونَ قَيْسٌ كَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ أُدْرِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ، وَ لَازِمُهُ وَ نَهْلُهُ مِنْهُ وَ اسْتِفَادُهُ، وَ كَانَ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ بِمَنْزِلَةِ الشَّرْطَةِ مِنَ الْأَمِيرِ، يَلِي مَا يَلِي مِنْ أُمُورِهِ، وَ كَانَ صَاحِبَ رَايَةٍ الْأَنْصَارِ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ، وَ اسْتَعْمَلَهُ عَلَى الصَّدَقَةِ.

وَ وَآلَهُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِصْرَ، ثُمَّ شَرْطَتَهُ، ثُمَّ وَآلَهُ آذْرِبَايَجَانَ، وَ حَضَرَ مَعَهُ حُرُوبَهُ عَلَى مَقْدَمَتِهِ تَارَةً، وَ عَلَى رَجَالَهُ أَهْلَ الْبَصْرَةِ أُخْرَى، وَ سَوَّدَهُ عَلَى الْأَنْصَارِ، وَ بَايَعَ الْإِمَامَ الْمَجْتَبَى عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَ كَانَ عَلَى مَقْدَمَتِهِ مَعَهُ خَمْسَةُ آلَافٍ قَدْ حَلَقُوا رِعْوَسَهُمْ بَعْدَ مَا مَاتَ عَلِيٌّ، وَ تَبَايَعُوا عَلَى الْمَوْتِ، وَ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ:

«الْجُودُ شَيْمَةٌ أَهْلُ ذَلِكَ الْبَيْتِ».

وَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ:

«اللَّهُمَّ اجْعَلْ صَلَوَاتِكَ وَرَحْمَتِكَ عَلَى آلِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْ سَعْدًا وَآلَ سَعْدٍ».

وَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ لِسَعْدٍ وَ قَيْسٍ:

«بَارَكَ عَلَيْكُمَا يَا أَبَا ثَابِتٍ، فَقَدْ أَفْلَحْتَ، إِنَّ الْأَخْلَافَ بِيَدِ اللَّهِ، فَمَنْ شَاءَ أَنْ يُمْنَحَهُ مِنْهَا خَلْفًا صَالِحًا مَنَحَهُ، وَلَقَدْ مَنَحَكَ اللَّهُ خَلْفًا صَالِحًا».

وَ نَخْتَمُ تَرْجَمَتَهُ بِكَلَامِ الْمَسْعُودِيِّ فِي مَرْجِ الْذَّهَبِ: قَالَ:

^{١٥٥٠} (٢). مقاتل الطالبين: ص ٧٣، رجال الكشي: ج ١ ص ١١٢ الرقم ١٧٩. و إن شئت زيادة على ذلك فراجع: الاحتجاج: ص ١٥٢، الغدير: ج ٢ ص ٧٦ و ص ٧٧ و ص ٨٩ و ص ٩٩ و ص ١٠٠ و ص ١٠٦ و ج ١٠ ص ١٥٧؛ البيان و التبیین: ج ٢ ص ٦٩، العقد الفريد: ج ٤ ص ٣٣٨، مقاتل الطالبين: ص ٦٥ و ٦٦، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٦ ص ٤٣، الإمامة و السياسة: ج ١ ص ١١٩.

و قد كان قَيْسُ بن سَعْدٍ من الزُّهْدِ و الدِّيَانَةِ و الميل إلى عُلَىّ بالموضع العظيم، و بلغ من خوفه الله و طاعته إيّاه، أنّه كان يصلّي، فلمّا أهوى للسجود إذا في موضع سجوده ثعبان عظيم مطوّق، فمال عن الثُّعبان برأسه، و سجد إلى جانبه، فتطوّق الثُّعبانُ برقبته، فلم يقصر من صلاته، و لا نقص منها شيئاً، حتّى فرغ، ثمّ أخذ الثُّعبانُ فرمى به، كذلك ذكر الحسن بن عليّ بن عبد الله بن المغيرة، عن معمر بن خلّاد، عن أبي الحسن عليّ بن موسى الرضا^{١٥٥١}].

ص: ٥٢٣

عَبْدُ اللَّهِ بنُ شُبَيْلِ الْأَخْمَسِيِّ

كان والياً على آذربايجان مدة^{١٥٥٢}. و عند ما فُتحت ثانية سنة ٢٤ هـ أو ٢٥ هـ توجه إليها أميراً على مقدّمة الجيش^{١٥٥٣}. أثنى عليه الإمام عليّ عليه السلام بالتواضع و حسن السيرة و الهدى^{١٥٥٤}.

الأخنفُ بنُ قَيْسٍ

الأخنفُ بن قَيْسِ بن معاوية، أبو بحر التَّمِيمِيُّ السَّعْدِيُّ، و الأخنف لقب له لِحَنَفٍ^{١٥٥٥} كان برجله، و اسمه الضَّحَّاكُ، و قيل: صخر، من كبار تميم^{١٥٥٦}. أسلم على عهد النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ^{١٥٥٧}، لكنّه لم يرَهُ^{١٥٥٨}. حُمِدَ بالحلم و السيّادة، و ربّما أفرط

ص: ٥٢٤

مترجموه في نقل بعض الأمثلة من حلمه و سيادته^{١٥٥٩}.

و كان الأخنف من امراء الجيش في فتح خراسان أيام عمر^{١٥٦٠}. و فتح مرو في عصر عثمان^{١٥٦١}. و اعتزل الإمام أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام في حرب الجمل^{١٥٦٢}، فتبعه أربعة آلاف من قبيلته تاركين عائشة،^{١٥٦٣} و دعتّه عائشة إلى اللحاق بها، فلم يُجِبْ و دحض موقفها بكلام بصير واع^{١٥٦٤}.

^{١٥٥١} (١) مروج الذهب: ج ٣ ص ٢٦. و راجع في فضائله المذكورة رجال الكشي: ج ١ ص ٩٥ الرقم ١٥١ و ص ٣٨ الرقم ٧٨ و ص ٤٥ الرقم ٩٥ و ص ١٠٩ الرقم ١٧٦-١٧٧ و ص ١١٢ الرقم ١٧٩، القاموس: ج ٧ ص ٣٩٨-٤٠١، سفينة البحار: ج ٢ ص ٤٥٧؛ أسد الغابة: ج ٤ ص ٢١٦، الإصابة: ج ٣ ص ٢٤٩، الاستيعاب: ج ٣ ص ١٣١-٢٢٤.

^{١٥٥٢} (١) أنساب الأشراف: ج ٣ ص ٢٣٨؛ تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٢٠٣.
^{١٥٥٣} (٢) تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٢٤٦، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٢٣١، الإصابة: ج ٤ ص ١٠٩ الرقم ٤٧٦٠، الاستيعاب: ج ٣ ص ٥٨ الرقم ١٥٨٩، أسد الغابة: ج ٣ ص ٢٧٤ الرقم ٣٠٠٤ و في الثلاثة الأخيرة «سنة ٢٨ هـ».

^{١٥٥٤} (٣) أنساب الأشراف: ج ٢ ص ٣٨٩؛ تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٢٠٢.
^{١٥٥٥} (٤) الحنف في القدمين: إقبال كل واحدة منهما على الأخرى بإبهامها (لسان العرب: ج ٩ ص ٥٦).

^{١٥٥٦} (٥) سبب أعلام النبلاء: ج ٤ ص ٨٧ الرقم ٢٩، المعارف لابن قتيبة: ص ٤٢٥، تاريخ مدينة دمشق: ج ٢٤ ص ٣١٠ و فيه «و كان سيّد قومه».
^{١٥٥٧} (٦) سبب أعلام النبلاء: ج ٤ ص ٨٧ الرقم ٢٩، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٥ ص ٣٤٦ الرقم ١٣٦، الاستيعاب: ج ١ ص ٢٣٠ الرقم ١٦١.

^{١٥٥٨} (٧) الاستيعاب: ج ١ ص ٢٣٠ الرقم ١٦١، أسد الغابة: ج ١ ص ١٧٩ الرقم ٥١، الإصابة: ج ١ ص ٣٣٢ الرقم ٤٢٩.
^{١٥٥٩} (١) سبب أعلام النبلاء: ج ٤ ص ٩١ الرقم ٢٩، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٥ ص ٣٤٥ الرقم ١٣٦، وفيات الأعيان:

ج ٢ ص ٤٩٩ و فيهما «يُضْرَبُ به المثل في الحلم».
^{١٥٦٠} (٢) المعارف لابن قتيبة: ص ٤٢٥، تاريخ مدينة دمشق: ج ٢٤ ص ٣١٣.

و كان من قادة جيش الإمام عليه السلام في معركة صفين^{١٥٦٥}، و اقترح أن يمثل الإمام عليه السلام في التحكيم بدل أبي موسى^{١٥٦٦}.

و اعتزل في فتنة ابن الحزرمي و لم يدافع عن الإمام عليه السلام. و كانت سياسته تركز على المسامحة و المودعة، و مسايرة قومه و قبيلته، و الابتعاد عن التوتّر^{١٥٦٧}.

و كانت له منزلة حسنة عند معاوية^{١٥٦٨}، لكنّه لم يتنازل عن مدح الإمام

ص: ٥٢٥

أمير المؤمنين عليه السلام و الثناء عليه^{١٥٦٩} و تعظيمه يومئذٍ و كاتبه الإمام الحسين عليه السلام قبل ثورته فلم يجبه^{١٥٧٠}. و إن صحّ هذا (أى عدم استجابته لدعاء الإمام عليه السلام)؛ فهو دليل على ركونه إلى الدنيا، و تزعزع عقيدته.

و كانت تربطه بمُصعب بن الزبير صداقة، من هنا رافقه في مسيره إلى الكوفة^{١٥٧١}. مات الأحنف سنة ٦٧ هـ^{١٥٧٢}.

في تاريخ مدينة دمشق عن عبد الله بن المبارك: قيل للأحنف بن قيس: بأى شيء سوّدك قومك؟ قال: لو عاب الناس الماء لم أشربه^{١٥٧٣}.

و في الجمل - في ذكر حرب الجمل -: بعث إليه (علىّ عليه السلام) الأحنف بن قيس رسولاً يقول له: إني مقيم على طاعتك في قومي؛ فإن شئت أتيتك في مائتين من أهل بيتي فعلت، و إن^{١٥٧٤} شئت حبست عنك أربعة آلاف سيف من بنى سعد.

فبعث إليه أمير المؤمنين عليه السلام:

بل أحبس وكفّ.

١٥٦١ (٣). تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٣١٠، تاريخ خليفة بن خياط: ص ١٢١، المعارف لابن قتيبة: ص ٤٢٥، تاريخ مدينة دمشق: ج ٢٤ ص ٣١٣.

١٥٦٢ (٤). تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥٠٠، الأخبار الطوال: ص ١٤٨؛ الجمل: ص ٢٩٥.

١٥٦٣ (٥). الجمل: ص ٢٩٥؛ تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥٠١.

١٥٦٤ (٦). اسد الغابة: ج ٣ ص ١٣ الرقم ٢٤٩٣.

١٥٦٥ (٧). وقعة صفين: ص ١١٧ و ص ٢٠٥؛ سببر أعلام النبلاء: ج ٤ ص ٨٧ الرقم ٢٩، تاريخ خليفة بن خياط:

ص ١٤٦، تاريخ مدينة دمشق: ج ٢٤ ص ٢٩٩.

١٥٦٦ (٨). وقعة صفين: ص ٥٠١؛ تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٥٢، الأخبار الطوال: ص ١٩٣.

١٥٦٧ (٩). الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٤١٥.

١٥٦٨ (١٠). سببر أعلام النبلاء: ج ٤ ص ٩٥ الرقم ٢٩.

١٥٦٩ (١). العقد الفريد: ج ٣ ص ٨٧، وفيات الأعيان: ج ٢ ص ٥٠٤.

١٥٧٠ (٢). عيون الأخبار لابن قتيبة: ج ١ ص ٢١١.

١٥٧١ (٣). الطبقات الكبرى: ج ٧ ص ٩٧، تاريخ الطبري: ج ٦ ص ٩٥، تاريخ مدينة دمشق: ج ٢٤ ص ٣٠١.

١٥٧٢ (٤). تاريخ خليفة بن خياط: ص ٢٠٣، سببر أعلام النبلاء: ج ٤ ص ٩٦ الرقم ٢٩، تاريخ مدينة دمشق: ج ٢٤ ص ٣٠٢.

١٥٧٣ (٥). تاريخ مدينة دمشق: ج ٢٤ ص ٣١٦، سببر أعلام النبلاء: ج ٤ ص ٩١ الرقم ٢٩.

١٥٧٤ (٦) في المصدر: «فإن»، و الصحيح ما أثبتناه.

فجمع الأحنف قومه، فقال: يا بني سعد! كَفُّوا عن هذه الفتنة، و اقعِدوا في بيوتكم؛ فإن ظهر أهل البصرة فهم إخوانكم لم يُهَيِّجوكم، و إن ظهر عليٌّ سلمتم. فكفُّوا و تركوا القتال^{١٥٧٥}.

و في **الجمال**: لما جاء رسول الأحنف و قد قدم عليّ عليّ عليه السلام بما بذل له

ص: ٥٢٦

من كفت قومه عنه، قال رجل: يا أمير المؤمنين، من هذا؟ قال:

هذا أدهى العرب و خيّرهم لقومه.

فقال عليّ عليه السلام:

«كَذَلِكَ هُوَ، وَإِنِّي لَأَمَثَلُ بَيْنِهِ وَبَيْنَ الْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ؛ لَزِمَ الطَّائِفَ، فَأَقَامَ بِهَا يَنْتَظِرُ عَلِيَّ مِنْ تَسْتَقِيمِ الْأُمَّةِ»

! فقال الرجل: إني لأحسب أنّ الأحنف لأسرع إلى ما تحبّ من المغيرة^{١٥٧٦}.

و في وقعه صفين - في ذكر إغرام الحكمين في آخر حرب صفين -: قام الأحنف بن قيس إلى عليّ عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين، إني خيّرتك يوم الجمل أن آتيك فيمن أطاعني، و أكفّ عنك بني سعد، فقلت: كفّ قومك فكفى بكفّك نصيراً، فأقمت بأمرك. و إنّ عبد الله بن قيس رجل قد حلبت أشطره فوجدته قريب القعر قليل المديّة، و هو رجل يمان، و قومه مع معاوية. و قد رُميت بحجر الأرض و بمن حارب الله و رسوله، و إنّ صاحب القوم من ينأى حتّى يكون مع النّجم، و يدنو حتّى يكون في أكفهم. فابعثني و والله لا يحلّ عقده إلّا عقدت لك أشدّ منها. فإن قلت: إني لست من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله؛ فابعث رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله، غير عبد الله بن قيس، و ابعثني معه. فقال عليّ:

إنّ القوم أتوني بعبد الله بن قيس مبرّئاً^{١٥٧٧}، فقالوا: ابعث هذا؛ فقد رضينا به. والله بالغ أمره^{١٥٧٨}.

و في وقعه صفين - بعد ذكر دعوة الإمام عليه السلام أهل البصرة لقتال معاوية، و قراءة ابن عباس كتابه عليه السلام عليهم -: فقام الأحنف بن قيس فقال: نعم، و الله لنجيبنك،

ص: ٥٢٧

١٥٧٥ (٧). الجمال: ص ٢٩٥.
١٥٧٦ (١). الجمال: ص ٢٩٦.
١٥٧٧ (٢) البرنس: فلنُسوةً طويلة، و كان النّسك يلبسونها في صدر الإسلام، و قد تبرّس الرّجل إذا لبسه. (لسان العرب: ج ٦ ص ٢٦).
١٥٧٨ (٣). وقعه صفين: ص ٥٠١.

و لنخرجنَّ معَكَ على العسر و اليسر، و الرِّضا و الكره، نحتسب في ذلك الخير، و نأمل من الله العظيم من الأجر^{١٥٧٩}.

و في تاريخ مدينة دمشق: إنَّ الأحنف بن قيس دخل على معاوية، فقال: أنت الشَّاهر علينا سيفك يوم صفين، و المخذَّل عن أم المؤمنين؟! فقال: يا معاوية! لا تردّ الامور على أديبارها؛ فإنَّ السَّيوف الَّتِي قاتلناك بها على عواتقنا، و القلوب الَّتِي أبغضناك بها بين جوانحنا، و الله لا تمدّ إلينا شبراً من غدرٍ إلّا مددنا إليك ذراعاً من خُتر^{١٥٨٠}، و إن شئت لتستصفين كدر قلوبنا بصفو من عفوك. قال: فإنِّي أفعل^{١٥٨١}.

و في العقد الفريد عن أبي الحباب الكِنْدِيّ عن أبيه: إنَّ معاوية بن أبي سفيان، بينما هو جالس و عنده وجوه النَّاس، إذ دخل رجل من أهل الشَّام، فقام خطيباً، فكان آخر كلامه أن لعن عليّاً، فأطرق النَّاس و تكلم الأحنف، فقال:

يا أمير المؤمنين! إنَّ هذا القائل ما قال أنفاً، لو يعلم أن رضاك في لعن المرسلين للعنهم! فاتق الله و دع عنك عليّاً؛ فقد لقي ربه، و أفرد في قبره، و خلا بعمله، و كان و الله- ما علمنا- المبرِّز بسبقه، الطَّاهر خلُقه، الميمون نقيته^{١٥٨٢}، العظيم مصيبته.

فقال له معاوية: يا أحنف! لقد أغضيت العين على القذى، و قلت بغير ما

ص: ٥٢٨

تري، و أيم الله لتصدنَّ المنبر فلتلعننَّه طوعاً أو كرهاً، فقال له الأحنف:

يا أمير المؤمنين! إنَّ تُعَفِّني فهو خير لك، و إن تجبرني على ذلك فو الله لا تجرى به شفتاي أبداً، قال: قم فاصعد المنبر.

قال الأحنف: أما و الله مع ذلك لأنصفنَّك في القول و الفعل.

قال: و ما أنت قائل يا أحنف إن أنصفتني؟

قال: أصعد المنبر، فأحمد الله بما هو أهله، و أصلى على نبيِّه صلى الله عليه و آله، ثم أقول:

أيُّها الناس، إنَّ أمير المؤمنين معاوية أمرني أن ألعن عليّاً، و إنَّ عليّاً و معاوية اختلفا فاقتتلا، و ادعى كل واحد منهما أنَّه بُغِيَ عليه و على فئته؛ فإذا دعوت فأمنوا رحمكم الله. ثم أقول:

^{١٥٧٩} (١) وقعة صفين: ص ١١٦.
^{١٥٨٠} (٢) الخنث: شبيه بالصدر و الخديعة؛ و قيل: هو أسوأ الصدر و أقبحه لسان العرب: ج ٤ ص ٢٢٩).
^{١٥٨١} (٣) تاريخ مدينة دمشق: ج ٢٤ ص ٣٢٦، عيون الأخبار لابن قتيبة: ج ٢ ص ٢٣٠، العقد الفريد: ج ٣ ص ٨٦ و فيهما من «لا ترد الامور...»،
^{١٥٨٢} تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٥ ص ٣٥١ و فيه إلى «جوانحنا»، وفيات الأعيان: ج ٢ ص ٥٠٠ كلها نحوه.
(٤) أي مُنَجِّح الفعال، مظفر المطالب. و النقيبة: النفس. و قيل: الطبيعة و الخليفة (النهاية: ج ٥ ص ١٠٢).

اللَّهُمَّ العن أنت و ملائِكَتِكَ و أنبياءُك و جميع خلقك الباغي منهما على صاحبه، و العن الفئةَ الباغيَّة، اللَّهُمَّ العنهم لعناً كثيراً. أَمَّنُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ!

يا معاوية! لا أزيد على هذا و لا أنقص منه حرفاً، و لو كان فيه ذهاب نفسى.

فقال معاوية: إذن نُعفيك يا أبا بحر^{١٥٨٣}.

و فى **عيون الأخبار** عن السَّكَنِ: كتب الحسين بن علىّ رضى الله عنهما إلى الأحنف يدعوه إلى نفسه فلم يردّ الجواب، و قال: قد جربنا آل أبى الحسن، فلم نجد عندهم إيالةً للملك^{١٥٨٤}، و لا جمعاً للمال، و لا مكيدةً فى الحرب^{١٥٨٥}

ص: ٥٢٩

١٣٧ كتابه عليه السلام إلى أهل الأمصار

من كتاب له عليه السلام كتبه إلى أهل الأمصار يقصُّ فيه ما جرى بينه و بين أهل صفين:

«وَكَانَ بَدْءُ أَمْرِنَا أَنَا التَّقِيْنَا وَالْقَوْمُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ رَبَّنَا وَاحِدٌ، وَنَبِيَّنَا وَاحِدٌ، وَدَعْوَتَنَا فِي الْإِسْلَامِ وَاحِدَةٌ، وَلا نَسْتَرِيدُهُمْ فِي الْإِيْمَانِ بِاللَّهِ، وَالتَّصْديقِ بِرَسُولِهِ، وَلا يَسْتَرِيدُونَنَا، الْأَمْرُ وَاحِدٌ، إِلَّا مَا اخْتَلَفْنَا فِيهِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ، وَنَحْنُ مِنْهُ بَرَاءٌ.»

فَقُلْنَا: تَعَالَوْا نُدَاوِ مَا لا يُدْرِكُ الْيَوْمَ بِإِطْفَاءِ النَّائِرَةِ وَتَسْكِينِ الْعَامَّةِ، حَتَّى يَشْتَدَّ الْأَمْرُ وَيَسْتَجْمَعَ، فَتَقْوَى عَلَى وَضْعِ الْحَقِّ مَوَاضِعَهُ، فَقَالُوا: بَلْ نُدَاوِيهِ بِالْمُكَابَرَةِ، فَأَبَوْا حَتَّى جَنَحَتِ الْحَرْبُ، وَرَكَدَتُ، وَوَقَدْتُ نِيرَانَهَا وَحَمِشْتُ.

فَلَمَّا ضَرَسْتَنَا وَإِيَّاهُمْ، وَوَضَعْتَ مَخَالِبَهَا فِيْنَا وَفِيهِمْ، أَجَابُوا عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى الَّذِي دَعَوْنَاهُمْ إِلَيْهِ، فَأَجَبْنَاهُمْ إِلَى مَا دَعَوْا، وَسَارَعْنَاهُمْ إِلَى مَا طَلَبُوا، حَتَّى اسْتَبَانَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ، وَانْقَطَعَتْ مِنْهُمْ الْمَعْذِرَةُ، فَمَنْ تَمَّ عَلَى ذَلِكَ مِنْهُمْ فَهُوَ الَّذِي أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنَ الْهَلَكَةِ، وَمَنْ لَجَّ وَتَمَادَى فَهُوَ الرَّأْسُ الَّذِي رَانَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ، وَصَارَتْ دَائِرَةُ السُّوءِ عَلَى رَأْسِهِ»^{١٥٨٦}.

١٣٨ كتابه عليه السلام لنصارى نجران

روى أبو يوسف فى الخراج، قال: روى الأعمش، عن سالم بن أبى الجعد،

ص: ٥٣٠

١٥٨٣ (١). العقد الفريد: ج ٣ ص ٨٧، وفيات الأعيان: ج ٢ ص ٥٠٤، نهاية الأرب: ج ٧ ص ٢٣٧.

١٥٨٤ (٢) الإيالة: السياسة. يقال: فلان حسن الإيالة و سيئ الإيالة (النهاية: ج ١ ص ٨٥).

١٥٨٥ (٣). عيون الأخبار لابن قتيبة: ج ١ ص ٢١١.

١٥٨٦ (١). نهج البلاغة: الكتاب ٥٨.

قال: ... ثُمَّ كَتَبَ لَهُمْ عَلَى رَضَى اللَّهِ عَنْهُ:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»

هذا كتابٌ من عبد الله عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام لأهل نَجْرَانَ:

إِنَّكُمْ أَنْتُمْ مَنِي بَكْتَابِ مِّنَ اللَّهِ فِيهِ شَرْطٌ لَّكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَأَنْتِي وَفِيَتْ لَكُمْ بِمَا كَتَبَ لَكُمْ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، فَمَنْ أَتَى عَلَيْهِمْ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ فَلْيَيْفِ لَهُمْ، وَلَا يُضَامُوا، وَلَا يُضَلَّمُوا، وَلَا يُنْتَقَصَ حَقٌّ مِنْ حَقِّهِمْ»،

و كَتَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَافِعٍ، لِعَشْرِ خُلُوفٍ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ، سَنَةَ سَبْعٍ وَ ثَلَاثِينَ، مِنْذُ وَلَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ. ١٥٨٧

و صورة ما نقله المعتزلي:

«أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ قَدِمَ عَلَيَّ رَسُولُكَ، وَ قَرَأْتَ كِتَابَكَ، تَذَكَّرْتُ فِيهِ حَالَ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَ اخْتِلَافَهُمْ بَعْدَ انْصِرَافِي عَنْهُمْ، وَ سَأَخْبِرُكَ عَنِ الْقَوْمِ:

وَ هُمْ بَيْنَ مَقِيمٍ لِرَغْبَةٍ يَرْجُوهَا، أَوْ خَائِفٍ مِنْ عِقَابِهَا، فَارْغَبْ رَاغِبَهُمْ بِالْعَدْلِ عَلَيْهِ وَ الْإِنصَافِ لَهُ وَ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، وَ احْلِلْ عَقْدَةَ الْخَوْفِ عَنْ قُلُوبِهِمْ، وَ انْتَهَ إِلَى أَمْرِي وَ لَا تَعَدَّهُ، وَ أَحْسِنْ إِلَى هَذَا الْحَيِّ مِنْ رَبِيعَةٍ وَ كُلِّ مَنْ قَبْلَكَ، فَأَحْسِنْ إِلَيْهِ مَا اسْتَطَعْتَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ». ١٥٨٨

صورة ثالثة برواية البلاذري:

«أَتَانِي كِتَابُكَ، تَذَكَّرْتُ مَا رَأَيْتُ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ بَعْدَ خُرُوجِي عَنْهُمْ، وَ إِنَّمَا هُمْ

ص: ٥٣١

مَقِيمُونَ لِرَغْبَةٍ يَرْجُونَهَا، أَوْ عِقَابِهَا يَخَافُونَهَا، فَارْغَبْ رَاغِبَهُمْ بِالْعَدْلِ وَ الْإِنصَافِ لَهُ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ». ١٥٨٩

١٣٩ كتابه عليه السلام إلى يزيد بن قيس

١٥٨٧ (١). الخراج: ص ٧٤، جمهرة رسائل العرب: ج ١ ص ٨٣ الرقم ٥٣.
١٥٨٨ (٢). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٣ ص ١٨٣، جمهرة رسائل العرب: ج ١ ص ٤٠٣ الرقم ٤٢٨، و راجع: وقعة صفين: ص ١٠٥، بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٤٠٠؛ أنساب الأشراف: ج ٢ ص ٣٨٧.
١٥٨٩ (١). أنساب الأشراف: ج ٢ ص ٣٨٧، نثر الدر: ص ٣٢٢، نزهة الناظر و تنبيه الخواطر: ص ٦٣ كلاهما نحوه، و راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٣ ص ١٨٣، جمهرة رسائل العرب: ج ١ ص ٤٠٣ الرقم ٤٢٨.

قال اليعقوبي: كتب عليّ عليه السلام إلى عمّاله يستحثّهم بالخراج، فكتب إلى يزيد بن قيس الأرحبيّ:

«أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّكَ أَبْطَأْتَ بِحَمْلِ خِرَاجِكَ، وَمَا أَدْرَى مَا أَلْدَى حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ، غَيْرَ أَنِّي أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَاحْذَرِكَ أَنْ تُحْبِطَ أَجْرَكَ وَتُبْطِلَ جِهَادَكَ بِخِيَانَةِ الْمُسْلِمِينَ، فَاتَّقِ اللَّهَ وَنَزِّهْ نَفْسَكَ عَنِ الْحَرَامِ، وَلَا تَجْعَلْ لِي عَلَيْكَ سَبِيلًا، فَلَا أَجِدُ بُدًّا مِنَ الْإِيقَاعِ بِكَ، وَأَعَزِّزِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَطْلِمِ الْمُعَاهِدِينَ، «وَأَبْتِغِ فِيْمَا آتَلَ - كَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَ لَاتَنْسَ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَ أَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَ لَاتَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ»^{١٥٩١١٥٩٠}.

[و هناك صورة أخرى من هذا الكتاب، و هي:]

«أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَاحْذَرِكَ أَنْ تُحْبِطَ أَجْرَكَ، وَتُبْطِلَ جِهَادَكَ، فَإِنَّ خِيَانَةَ الْمُسْلِمِينَ مِمَّا يُحْبِطُ الْأَجْرَ، وَيُبْطِلُ الْجِهَادَ، فَاتَّقِ اللَّهَ رَبَّكَ، «وَأَبْتِغِ فِيْمَا آتَلَ - كَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَ لَاتَنْسَ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَ أَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَ لَاتَبْغِ

ص: ٥٣٢

الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ»^{١٥٩٢} «^{١٥٩٣}

يزيد بن قيس الهمداني ثم الأرحبيّ

هو من شهود الوصيّة على رواية الكافي و الوافي و البحار، له إدراك، و كان رئيساً كبيراً فيهم.

قال مُجَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ: لَمَّا سَارَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ حِينَ كَانَ أَمِيرَ الْكُوفَةِ لِعِثْمَانَ، فَثَارَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْكُوفَةِ، فَتَوَجَّهَ إِلَى عِثْمَانَ، فَاجْتَمَعَ قَرَاءَ الْكُوفَةِ، فَامَرُّوا عَلَيْهِمْ يَزِيدُ بْنُ قَيْسِ هَذَا، ثُمَّ كَانَ مَعَ عَلِيٍّ فِي حُرُوبِهِ، وَ وُلَّاهُ شَرْطَتَهُ، ثُمَّ وُلَّاهُ بَعْدَ ذَلِكَ أَصْبَهَانَ وَ الرَّيَّ وَ هَمْدَانَ، وَ إِيَّاهُ عَنِ الْقَاتِلِ بَعْدَ ذَلِكَ يَخَاطَبُ مَعَاوِيَةَ مِنْ أَبْيَاتِ:

مُعَاوِيَةَ إِنَّ لَا تُسْرِعَ السَّيْرَ نَحْوَنَا فَبَايِعْ عَلِيًّا أَوْ يَزِيدَ الْيَمَانِيَا^{١٥٩٤}.

كان يزيد بن قيس من الثائرين على عثمان بالكوفة، و الناقمين عليه شديداً، لقد أعلن خلعه في المسجد، و هو من السائرين إلى سعيد بن العاص، حتّى ردّوه من العذيب إلى المدينة.

^{١٥٩٠} (٢) القصص: ٧٧.

^{١٥٩١} (٣) تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٢٠٠، أنساب الأشراف: ص ٣٣٨.

^{١٥٩٢} (١) القصص: ٧٧.

^{١٥٩٣} (٢) أنساب الأشراف: ج ٢ ص ٣٨٨.

^{١٥٩٤} (٣) الإصابة: ج ٦ ص ٥٥١ الرقم ٩٤٢٨.

قال ابن سعد: و أقبل سعيد بن العاص حَتَّى نزل العُذيب- و كان سعيد عامل عثمان على الكوفة- فدعا الأَشتر يزيد بن قَيْس الأَرْحَبِيّ، و عبد الله بن كِنَانَةَ العَبْدِيّ، و كانا مِخْرَبِيْن، فعقد لكل واحد منهما على خمسمائة فارس، و قال لهما:

سيرا إلى سعيد بن العاص فأزْعِجَاه و أَلْحِقَاه بصاحبه، فإن أبى فاضربا عنقه

ص: ٥٣٣

وَ أتْيَانِي برأسه ... ١٥٩٥ .

و كان يزيد بن قَيْس مَمَّن سَيَّره عثمان ١٥٩٦ .

و لَمَّا استنفر أمير المؤمنين عليه السلام أهل الكوفة إلى حرب الجمل فخرجوا على الصَّعب و الذَّلُول كان رؤسائهم ... و يزيد بن قَيْس، و معهم أتباعهم و أمثال لهم ليسوا دونهم، إلَّا أَنَّهُمْ لم يُؤْمَرُوا؛ منهم حُجْر بن عَدِيّ؛ و ابن مَحْدُوج البَكْرِيّ و أشباه لهما ١٥٩٧ .

و كان يوم الجمل معه راية أمير المؤمنين عليه السلام، أخذها بعد أن أخذها عشرة من أهل الكوفة و قتلوا، خمسة منهم من هَمْدان، فأخذها يزيد و قال مُتَمَثِّلًا:

قَدْ عِشْتِ يَا نَفْسُ وَ قَدْ غَنَيْتِ دَهْرًا فَقَطَّكَ الْيَوْمَ مَا بَقِيَتْ

أَطْلُبَ طَوْلَ العُمَرُ مَا حَيَّيْتَ

فثبتت الرأية في يده ١٥٩٨

و لَمَّا رجع علىّ عليه السلام من البصرة و نزل الكوفة، بعث يزيد بن قَيْس الأَرْحَبِيّ على المَدَائِنِ و جُوحَا كُلِّهَا ١٥٩٩ .

إلى أن أراد أمير المؤمنين عليه السلام أن يسير إلى الشَّام، فدعا إليه من كان معه من المهاجرين و الأنصار، و أحضر بعض عماله من عظمائهم و شجعانهم،

ص: ٥٣٤

١٥٩٥ (١). الطبقات الكبرى: ج ٥ ص ٣٣، و راجع: تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٣٢٨-٣٣١، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٢٧٣.

١٥٩٦ (٢). وقعة صفين: ص ١٢١.

١٥٩٧ (٣). تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٤٨٨ و راجع: الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٢٩.

١٥٩٨ (٤). راجع: تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥١٥، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٣٩.

١٥٩٩ (٥). وقعة صفين: ص ١١ نحوه.

فاستشارهم فقال كلُّ ما عنده من الرأى، فدخل يزيد بن قيس فقال:

يا أمير المؤمنين نحن على جهاز و عدة، و أكثر النَّاس أهل قوَّة، و من ليس به بمضعف و ليس به علَّة.

فَمُرُّ مناديك فلينادِ النَّاس يخرجوا إلى معسكرهم بالنَّخيلة؛ فإنَّ أخا الحرب ليس بالسُّؤوم و لا النَّؤوم، و لا مَنْ إذا أمكنه الفُرصُ أجَّلها و استشار فيها، و لا من يؤخِّر الحربَ فى اليومِ إلى غدٍ و بعد غد. فقال زياد بن النَّضر: لقد نصح لك يا أمير المؤمنين يزيدُ بن قيس^{١٦٠٠}.

[و] لَمَّا توادع علىّ عليه السلام و معاوية بصفّين - فى شهر محرّم الحرام - اختلفت الرُّسل فيما بينهما رجاء الصُّلح، فأرسل علىّ بن أبى طالب إلى معاوية عديّ بن حاتم، و شَبَثَ بن رُبِيعي، و يزيد بن قيس، و زياد بن خَصَفَةَ، فدخلوا على معاوية ... و تكلم يزيد بن قيس الأرحبى فقال:

إنَّا لم نأتك إلَّا لنبلِّغك، ما بُعثنا به إليك، و لنؤدّيَ عنك ما سمعنا منك، لن ندعَ أن ننصحَ لك، و أن نذكرَ ما ظننَّا أن لنا به عليك حجَّةً، أو أنَّه راجعٌ بك إلى الألفه و الجماعة، إنَّ صاحبنا لَمَن قد عرَفَت و عرف المسلمون فضله، و لا أظنُّه يخفى عليك أن أهل الدِّين و الفضل لن يعدلوك بعلىّ عليه السلام، و لن يميئوا^{١٦٠١} بينك و بينه.

فاتق الله يا معاوية، و لا تخالف عليّ، فإنَّا و الله، ما رأينا رجلاً قطُّ أعملَ بالتَّقوى، و لا أزهَّد فى الدُّنيا، و لا أجمع لخصال الخير كلِّها منه^{١٦٠٢}

ص: ٥٣٥

[و] خطب يزيد بن قيس بصفّين يحرض النَّاس فى اليوم السَّابع، و كان من الأيام العظيمة و ذا أهوال شديدة، قتل فيه عبد الله بن بُدَيْل الخزاعى - فقال:

إنَّ المسلم السَّليم من سلم دينه و رأيه، إنَّ هؤلاء القوم و الله، ما إن يقاتلونا على إقامة دينِ رأونا ضيَّعناه، و لا إحياء عدلٍ رأونا أمتَّناه، و لا يقاتلونا إلَّا على إقامة الدُّنيا؛ ليكونوا جبابرةً فيها ملوكا، فلو ظهرُوا عليكم - لا أراهم الله ظهوراً و لا سروراً - إذا أَلزَموكم مثلَ سعيدٍ و الوليد و عبد الله بن عامر السَّقيفي، يحدث أحدهم فى مجلسه بذَيْتٍ و زيت، و يأخذُ مالَ الله، و يقول: هذا لى و لا إثمَ علىّ فيه، كأنما أعطى ثرائه من أبيه، و إنَّما هو مال الله أفاءه الله علينا بأسيافنا و رماحنا.

قاتلوا عبادة الله القوم الظَّالمين، الحاكمين بغير ما أنزل الله، و لا تأخذكم فى جهادهم لومةً لائم؛ إنَّهم إن يظهروا عليكم يُفسدوا دينكم و دنياكم، و هم من قد عرفتم و جرَّبتم. و الله، ما أردادوا إلى هذا إلَّا شراً. و أستغفر الله العظيم لى و لكم^{١٦٠٣}.

^{١٦٠٠} (١) راجع: وقعة صفّين: ص ٩٢-١٠١؛ أنساب الأشراف: ج ٣ ص ٧٨، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٣ ص ١٨٠-١٧٩ نحوهما.
^{١٦٠١} (٢) التمييز بين الشّيبين كالترجيح بينهما، تقول العرب: إنّي لأميل بين ذينك الأمرين (لسان العرب: ج ١١ ص ٦٣٧).
^{١٦٠٢} (٣) وقعة صفّين: ص ١٩٧، الغدير: ج ١٠ ص ٤٢٧، مواقف الشيعة: ج ٢ ص ٦٢٠؛ تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٥، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٤ ص ٢٠.

أو قد [عدّه الشَّيخ في رجاله من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، و قال: كان عامله على الرِّيّ و همذان و إصبهان^{١٦٠٤}.

و قال أبو نعيم: يزيد بن قيس الأرحبيّ ولّاه علىّ بن أبي طالب أصبهان و الرِّيّ و همذان، ففرّق علىّ لَمّا مات (يزيد) عمله بين ثلاثة نفر، فاستعمل مِخَنَف بن سُلَيْم علىّ أصبهان، و عُمَر بن سَلْمَةَ علىّ همذان، و آخر علىّ الرِّيّ^{١٦٠٥}.

هذا يزيد بن قيس، و كلماته، و عقائده، و وثوق الأمير عليه السلام به، و كفايته في عمله، حتّى ولّاه عملاً فرّق بعده بين ثلاثة من رجاله، و لكن يظهر من الطَّبْرِيّ أنّه كان

ص: ٥٣٦

قبل نصبه للولاية علىّ أصبهان من رؤساء الخوارج، و هذا ممّا أشكل علىّ، فلا بأس بنقل عبارته بلفظها، قال:

لَمّا اعتزل الخوارج عليّاً سنّة ٣٧ أو ٣٨، و ثبت إليه الشّيعه - فقالوا: في أعناقنا بيعة ثانية، نحن أولياء من واليت، و أعداء من عاديت.

فقلت الخوارج: استبقتم أنتم و أهل الشّام إلى الكُفْر، كَفَرَسَى رهان، بايع أهل الشّام معاوية علىّ ما أحبّوا و كرهوا، و بايعتم أنتم عليّاً على أنّكم أولياء من و الى و أعداء من عادى.

فقال لهم زياد بن النّضر: و الله، ما بسط علىّ يده إلّا علىّ كتاب الله عز و جل، و سنّة نبيّه صلى الله عليه و آله، و لكنّكم لَمّا خالفتموه جاءته شيعته، فقالوا: نحن أولياء من واليت، و أعداء من عاديت، و نحن كذلك، و هو علىّ الحقّ و الهدى، و من خالفه ضالٌّ مُضِلٌّ.

و بعث علىّ بن عبّاس إليهم، فقال: لا تعجل إلى جوابهم و خصومتهم حتّى آتيك. فخرج إليهم حتّى أتاهم، فأقبلوا يكلمونه، فلم يصبر حتّى راجعهم ...

و بعث علىّ زياد بن النّضر إليهم، فقال: انظر بأيّ رعوسهم هم أشدّ إطفاه، فنظر فأخبره أنّه لم يرههم عند رجل أكثر منهم عند يزيد بن قيس، فخرج علىّ في النّاس حتّى دخل إليهم، فأتى فسطاط يزيد بن قيس، فدخله فتوضّأ فيه و صلّى ركعتين، و أمره علىّ أصبهان و الرِّيّ، ثمّ خرج حتّى انتهى إليهم و هم يخاصمون ابن عبّاس ...^{١٦٠٦}

ص: ٥٣٧

^{١٦٠٣} (١) وقعة صفين: ص ٢٤٧؛ تاريخ الطبري: ج ٥ ص ١٧، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٥ ص ١٩٤.

^{١٦٠٤} (٢) تنقيح المقال: ج ٣ ص ٣٢٨، و راجع: الإصابة: ج ٦ ص ٥٥١.

^{١٦٠٥} (٣) تاريخ أصبهان: ج ٢ ص ٣٢١ الرقم ١٨٤٦.

^{١٦٠٦} (١) تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٦٥ - ٦٤ و راجع: أنساب الأشراف: ج ٣ ص ١٢١، الكامل للميرد: ج ٣ ص ١١٣٠، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٢٧٨؛ بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٣٥٣.

ذكر الطبري: أقبلت الخوارج، فلما أن دنوا من الناس نادوا يزيد بن قيس، فكان يزيد بن قيس على أصفهان. فقالوا: يا يزيد بن قيس، لا حكم إلا لله، وإن كرهت أصفهان!^{١٦٠٧}

اشترك في الثورة على عثمان^{١٦٠٨}، وشهد الجمل^{١٦٠٩} و صفين مع الإمام عليه السلام. وكان أحد الذين بعثهم الإمام عليه السلام إلى معاوية في حرب صفين^{١٦١٠}. مال إلى الخوارج في فتنتهم التي أوقدوا نارها، بيد أن الإمام عليه السلام فصله عنهم، وولاه على أصفهان والرّي^{١٦١١}. وكان مع الإمام عليه السلام في النهروان، واحتج الخوارج على ذلك^{١٦١٢}.

ولى المدائن^{١٦١٣} وجوخا^{١٦١٤} مدة، (و يبدو أن ذلك كان في الفترة الواقعة بين الجمل و صفين).^{١٦١٥} و بعد النهروان كان عامل الإمام عليه السلام على أصفهان^{١٦١٦}، و همدان^{١٦١٧}

ص: ٥٣٨

١٤٠ كتابه عليه السلام إلى الامام الحسن عليه السلام

ذكر محمد بن يعقوب الكليني في كتاب (الرسائل) بإسناده إلى أبي جعفر بن غنبيه، عن عبّاد بن زياد الأسدي، عن عمرو بن أبي المقدام، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: لما أقبل أمير المؤمنين عليه السلام من صفين كتب إلى ابنه الحسن عليه السلام:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من الوالد الفان، المقرّ للزمان، المذبر العمر، المستسلم للدهر، الدّام للدنيا، الساكن مساكين الموتى، والظّاعن عنها غداً، إلى المولود المؤمل ما لا يدرك، السالك سبيل من قد هلك، غرض الأسقام، ورهينة الأيام، ورمية المصائب، وعبد الدنيا، وتاجر الغرور، وغريم المنايا، وأسير الموت، وخليف الهموم، وقرين الأحزان، ونصّب الآفات، وصريع الشهوات، وخليفة الأموات.

أما بعد، فإن فيما تبينت من إدار الدنيا غنى، وجموح الدهر على، وإقبال الآخرة إلى، ما يرغني^{١٦١٨} عن ذكر من سواي، والإهتمام بما ورائي، غير أنّي حيث تفرّد بي دون هموم الناس هم نفسي، فصدقني رأبي، وصرّفتني عن هواي، وصرّحت لي

١٦٠٧ (١). تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٨٦.
١٦٠٨ (٢). تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٣٣١، أنساب الأشراف: ج ٦ ص ١٥٩.
١٦٠٩ (٣). تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٤٨٨ و ٥١٥، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٣٠.
١٦١٠ (٤). وقعة صفين: ص ١٩٧ و ١٩٨؛ تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٥ و ١٧، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٦٧.
١٦١١ (٥). تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٦٥، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٣٩٤.
١٦١٢ (٦). تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٨٦.
١٦١٣ (٧) المدائن: مدينة تقع على نهر دجلة من شرفها تحت بغداد على مرحلة منها، وفيها إيوان كسرى. فُتحت في (١٤ هـ) على يد المسلمين (راجع تقويم البلدان: ص ٣٠٢).
١٦١٤ (٨) جوخا: اسم نهر عليه كورة واسعة في سواد بغداد و هو بين خانقين و خوزستان (معجم البلدان: ج ٢ ص ١٧٩).
١٦١٥ (٩). وقعة صفين: ص ١١؛ الأخبار الطوال: ص ١٥٣.
١٦١٦ (١٠). رجال الطوسي: ص ٨٦ الرقم ٨٦٣؛ تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٦٥ و ٨٦.
١٦١٧ (١١). رجال الطوسي: ص ٨٦ الرقم ٨٦٣.
١٦١٨ (١) وزعه أزعه وزعا: كفتته، فاتزع هو، أي كفت (الصاحح: ج ٣ ص ١٢٩٧).

مَحْضُ أَمْرِي، فَأَفْضَى بِي إِلَى جَدِّ لَا يَكُونُ فِيهِ لِعَبٍّ، وَصِدْقٍ لَا يَشُوبُهُ كَذِبٌ، وَوَجْدْتُكَ بَعْضِي، بَلْ وَجْدْتُكَ كُلِّي حَتَّى كَأَنَّ شَيْئاً لَوْ أَصَابَكَ أَصَابَنِي، وَكَأَنَّ الْمَوْتَ لَوْ أَتَاكَ أَتَانِي، فَعَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِينِي مِنْ أَمْرِ نَفْسِي، فَكَتَبْتُ إِلَيْكَ، مُسْتَظْهِراً^{١٦١٩} بِهِ إِنْ أَنَا بَقِيْتُ لَكَ أَوْ فَنَيْتُ.

ص: ٥٣٩

فإني أوصيك بتقوى الله، أي بُني، ولزوم أمره، وعمارته قلبك بذكره، والاعتصام بحبله، وأي سبب أوثق من سبب بيتك وبين الله، إن أنت أخذت به؟

أحي قلبك بالموعظة، وأمنه بالزهادة، وقوه باليقين، ونوره بالحكمة، ودلله بذكر الموت، وقرره بالفناء، وبصره فجائع الدنيا، وحدّره صولة الدهر، وفحش تقلب الليالي والأيام، واغرض عليه أخبار الماضين، وذكّره بما أصاب من كان قبلك من الأولين، وسر في ديارهم، وآثارهم، فانظر فيما فعلوا، وعمّا انتقلوا، وأين حلّوا ونزلوا، فإنك تجدهم قد انتقلوا عن الأحبّة، وحلّوا ديار الغربة، وكانك عن قليل قد صرت كأحدهم، فأصلح متواك، ولا تبع آخرتك بدنياك.

ودع القول فيما لا تعرف، والخطاب فيما لم تكلف، وأمسك عن طريق إذا خفت ضلالتك، فإن الكف عند خير الضلال خير من ركوب الأهوال، وأمر بالمعروف تكن من أهله، وأنكر المنكر بيدك ولسانك، وباين من فعله بجهدك، واجهد في الله حق جهاده، ولا تأخذك في الله لومة لائم، وخض العمرات للحق حيث كان، وتفقه في الدين، وعود نفسك التصبر على المكروه، ونعم الخلق التصبر، وألجئ نفسك في الأمور كلها إلى إلهك، فإنك تلجئها إلى كهف خريز، ومانع عزيز، وأخلص في المسألة لرّبك، فإن بيده العطاء والحرمان، وأكثر الاستخارة، وتفهم وصيتي، ولا تذهب عنها صفحا، فإن خير القول ما نفع، واعلم أنه لا خير في علم لا ينفع، ولا ينتفع بعلم لا يحقّ تعلّمه.

أي بُني إني لما رأيتني قد بلغت سنا، ورأيتني أزداد وهنا، بادرت بوصيتي إليك، وأوردت خصالا منها، قبل أن يجعل بي أجلى دون أن أفصي إليك بما في نفسي، وأن أنقص في رأيي كما نقصت في جسمي، أو يسبقني إليك بعض غلبات الهوى وفتن الدنيا، فتكون كالصعب النفور، وإنما قلب الحدّث كالارض الخالية ما

ص: ٥٤٠

ألقي فيها من شيء إلابلته، فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك، ويشتعّل لبك، لتستقبل بجِدِّ رأيك من الأمر ما قد كفاك أهل التجارب بُغيته وتجربته، فتكون قد كفيت مؤونه الطلب، وعوفيت من علاج التجربة، فأதாக من ذلك ما قد كنا نأتيه، واستبان لك ما ربّما أظلم علينا منه.

أي بُني إني وإن لم أكن عمّرتُ عمراً من كان قبلي، فقد نظرتُ في أعمالهم، وفكرتُ في أخبارهم، وسيرتُ في آثارهم، حتى عدتُ كأحدِهِم، بل كأنّي بما انتهى إليّ من أمورهم قد عمّرتُ مع أولهم إلى آخرهم، فعرفتُ صفو ذلك من كدره، ونفَعُهُ

^{١٦١٩} (٢) استظهر به، أي استعان (لسان العرب: ج ٤ ص ٥٢٥).

من ضَرَرِهِ، فَاسْتَخَلَصْتُ لَكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ نَخِيلَهُ، وَتَوَخَّيْتُ لَكَ جَمِيلَهُ، وَصَرَفْتُ عَنْكَ مَجْهُولَهُ، وَرَأَيْتُ حَيْثُ عَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِي الْوَالِدَ الشَّفِيقَ، وَأَجْمَعْتُ عَلَيْهِ مِنْ أَدْبِكَ، أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ وَأَنْتَ مُقْبِلُ الْعُمْرِ وَمُقْتَبِلُ الدَّهْرِ، ذُو نِيَّةٍ سَلِيمَةٍ، وَنَفْسٍ صَافِيَةٍ، وَأَنْ أُبْتَدِكَ بِتَعْلِيمِ كِتَابِ اللَّهِ وَتَأْوِيلِهِ، وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ وَأَحْكَامِهِ، وَحِلَالِهِ وَحَرَامِهِ، لَا أَجَاوِزُ ذَلِكَ بِكَ إِلَى غَيْرِهِ، ثُمَّ أَشْفَعْتُ أَنْ يَلْتَبِسَ عَلَيْكَ مَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهِ مِنْ أَهْوَائِهِمْ، مِثْلَ الَّذِي التَّبَسَّ عَلَيْهِمْ، فَكَانَ إِحْكَامُ ذَلِكَ لَكَ عَلَى مَا كَرِهْتُمْ مِنْ تَنْبِيهِكَ لَهُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلَامِكَ إِلَيَّ إِلَى أَمْرٍ لَا أَمْنُ عَلَيْكَ بِهِ الْهَلَكَةَ، وَرَجَوْتُ أَنْ يُوَفِّقَكَ اللَّهُ فِيهِ لِرُشْدِكَ، وَأَنْ يَهْدِيكَ لِقَصْدِكَ، فَعْهَدْتُ إِلَيْكَ وَصِيَّتِي هَذِهِ.

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنْ أَحَبُّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِهِ إِلَيَّ مِنْ وَصِيَّتِي تَقْوَى اللَّهِ، وَالْإِفْتِصَارُ عَلَى مَا فَرَضَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَالْأَخْذُ بِمَا مَضَى عَلَيْهِ الْأَوَّلُونَ مِنْ آبَائِكَ، وَالصَّلَاحُونَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَدْعُوا أَنْ نَنْظُرُوا لِأَنْفُسِهِمْ كَمَا أَنْتَ نَاطِرٌ، وَفَكَرُوا كَمَا أَنْتَ مُفَكِّرٌ، ثُمَّ رَدَّاهُمْ آخِرُ ذَلِكَ إِلَى الْأَخْذِ بِمَا عَرَفُوا، وَالْإِمْسَاكِ عَمَّا لَمْ يَكْلَفُوا، فَإِنْ أَبَتْ نَفْسُكَ أَنْ تَقْبَلَ ذَلِكَ دُونَ أَنْ تَعْلَمَ كَمَا عَلِمُوا، فَلْيَكُنْ طَلَبُكَ ذَلِكَ بِتَفْهَمٍ وَتَعَلُّمٍ،

ص: ٥٤١

لَا تَبْتَوِطِ الشُّبُهَاتِ، وَعُلُوِّ الْخِصُومَاتِ، وَابْدَأْ قَبْلَ نَظَرِكَ فِي ذَلِكَ بِالِاسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ، وَالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ فِي تَوْفِيقِكَ، وَتَرْكِ كُلِّ شَائِبَةٍ أَوْلَجَتْكَ فِي شُبُهَةٍ، أَوْ أَسْلَمَتْكَ إِلَى ضَلَالَةٍ، فَإِذَا أَيْقَنْتَ أَنْ قَدْ صَفَى قَلْبُكَ، فَخَشَعَ، وَتَمَّ رَأْيُكَ فَاجْتَمَعَ، وَكَانَ هَمُّكَ فِي ذَلِكَ هَمًّا وَاحِدًا، فَانظُرْ فِيمَا فَسَّرْتَ لَكَ، وَإِنْ أَنْتَ لَمْ يَجْتَمِعْ لَكَ مَا تُحِبُّ مِنْ نَفْسِكَ، وَفَرَاغَ نَظَرِكَ وَفِكْرِكَ، فَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنَّمَا تَخْبِطُ الْعَشَوَاءَ، وَتَوَرِّطُ الظُّلَمَاءَ، وَلَيْسَ طَالِبُ الدِّينِ مَنْ خَبَطَ أَوْ خَلَطَ، وَالْإِمْسَاكُ عَنْ ذَلِكَ أَمْتَلٌ، فَتَفْهَمُ يَا بُنَيَّ وَصِيَّتِي، وَاعْلَمْ أَنَّ مَالِكَ الْمَوْتِ هُوَ مَالِكُ الْحَيَاةِ، وَأَنَّ الْخَالِقَ هُوَ الْمُمِيتُ، وَأَنَّ الْمُفْنِيَ هُوَ الْمُعِيدُ، وَأَنَّ الْمُبْتَلِيَ هُوَ الْمُعَافِي، وَأَنَّ الدُّنْيَا لَمْ تَكُنْ لِتَسْتَقِرَّ إِلَّا عَلَى مَا جَعَلَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ النِّعَمَاءِ، وَالْإِبْتِلَاءِ، وَالْجَزَاءِ فِي الْمَعَادِ أَوْ مَا شَاءَ مِمَّا لَا نَعْلَمُ، فَإِنْ أَشْكَلَ عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فَاحْمِلْهُ عَلَى جَهَالَتِكَ بِهِ فَإِنَّكَ أَوْلَى مَا خُلِقْتَ خُلِقْتَ جَاهِلًا ثُمَّ عَلِمْتَ. وَمَا أَكْثَرَ مَا تَجْهَلُ مِنَ الْأَمْرِ وَيَتَحَيَّرُ فِيهِ رَأْيُكَ وَيَبْضِلُ فِيهِ بَصْرُكَ، ثُمَّ تُبْصِرُهُ بَعْدَ ذَلِكَ فَاعْتَصِمِ بِالَّذِي خَلَقَكَ وَرَزَقَكَ وَسَوَّأَكَ، وَلْيَكُنْ لَهُ تَعَبُّدُكَ وَإِلَيْهِ رَغْبَتُكَ وَمِنْهُ شَفَقَتُكَ.

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنْ أَحَدًا لَمْ يُنْبِئْ عَنِ اللَّهِ كَمَا أَنْبَأَ عَنْهُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ. فَارْضَ بِهِ رَائِدًا، وَإِلَى النَّجَاهِ قَائِدًا، فَإِنِّي لَمْ أَلِكْ نَصِيحَةً. وَإِنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ فِي النَّظَرِ لِنَفْسِكَ- وَإِنْ اجْتَهَدْتَ- مَبْلُغَ نَظَرِي لَكَ.

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكَ لَأَتَتْكَ رُسُلُهُ، وَلَرَأَيْتَ آثَارَ مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَلَعَرَفْتَ أفعالَهُ وَصِفَاتِهِ، وَلَكِنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ. لِأَيُّضَادِهِ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ، وَلَا يَزُولُ أَبَدًا. وَلَمْ يَزَلْ أَوَّلَ قَبْلِ الْأَشْيَاءِ بِلَا أَوْلِيَّةٍ، وَآخِرَ بَعْدَ الْأَشْيَاءِ بِلَا نِهَائِيَّةٍ.

عَظُمَ عَنْ أَنْ تُتَبَّتْ رُبُوبِيَّتُهُ بِإِحَاطَةِ قَلْبٍ أَوْ بَصَرٍ. فَإِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ فَافْعَلْ كَمَا يَنْبَغِي لِمِثْلِكَ أَنْ يَفْعَلَهُ فِي صِغَرِ خَطَرِهِ، وَقِلَّةِ مَقْدَرَتِهِ، وَكَثْرَةِ عَجْزِهِ، وَعَظِيمِ حَاجَتِهِ إِلَى

ص: ٥٤٢

رَبِّهِ فِي طَلَبِ طَاعَتِهِ، وَالرَّهْبَةِ مِنْ عُقُوبَتِهِ، وَالشَّفَقَةِ مِنْ سُخْطِهِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَأْمُرْكَ إِلَّا بِحَسَنِ، وَلَمْ يَنْهَكَ إِلَّا عَنِ قَبِيحٍ.

وَإِنَّ أَوَّلَ مَا أَبْدُوكَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ وَآخِرَهُ أَنِّي أَحْمَدُ اللَّهَ إِلَهَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَرَبَّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِينَ، بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، وَكَمَا يَجِبُ وَيُنْبَغِي لَهُ، وَنَسَأَلُهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَعَلَى أَنْبِيَاءِ اللَّهِ بِصَلَاةٍ جَمِيعٍ مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ، وَأَنْ يُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْنَا بِمَا وَقَّفْنَا لَهُ مِنْ مَسْأَلَتِهِ بِالِاسْتِجَابَةِ لَنَا، فَإِنَّ بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ.

يَا بُنَيَّ إِنِّي قَدْ أَنْبَأْتُكَ عَنِ الدُّنْيَا وَحَالِهَا وَانْتِقَالِهَا وَزَوَالِهَا بِأَهْلِهَا، وَأَنْبَأْتُكَ عَنِ الْآخِرَةِ وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، وَضَرَبْتُ لَكَ أَمْثَالَ لَتَعْتَبِرَ بِهَا وَتَحْذُوا عَلَيْهَا.

إِنَّمَا مَثَلُ مَنْ خَبَرَ الدُّنْيَا مَثَلُ قَوْمٍ سَفَرُوا نَبَا بِهِمْ مَنْزِلٌ جَدِيدٌ، فَأَمُّوا مَنْزِلًا خَصِيْبًا وَجَنَابًا مَرِيْعًا فَاحْتَمَلُوا وَعَثَاءَ الطَّرِيقِ، وَفِرَاقَ الصَّدِيقِ، وَخَشُونَةَ السَّفَرِ فِي الطَّعَامِ وَالْمَنَامِ وَجُشُوبَةَ المَطْعَمِ؛ لِيَأْتُوا سَعَةَ دَارِهِمْ وَمَنْزِلَ قَرَارِهِمْ، فَلَيْسَ يَجِدُونَ لَشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَلْمًا، وَلَا يَرُونَ لِنَفَقَتِهِ مَغْرَمًا، وَلَا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِمَّا قَرَّبَهُمْ مِنْ مَنْزِلِهِمْ، وَمَثَلُ مَنْ اغْتَرَّ بِهَا كَقَوْمٍ كَانُوا فِي مَنْزِلٍ خَصِيْبٍ فَنَبَا بِهِمْ إِلَى مَنْزِلٍ جَدِيدٍ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِمْ وَلَا أَفْطَحَ عِنْدَهُمْ مِنْ مُفَارَقَتِهِ مَا هُمْ فِيهِ، إِلَى مَا يَهْجُمُونَ عَلَيْهِ وَيَصِيرُونَ إِلَيْهِ.

ثُمَّ فَرَعْتُكَ بِأَنْوَاعِ الْجَهَالَاتِ، لِثَلَا تَعُدَّ نَفْسَكَ عَالِمًا، لِأَنَّ الْعَالِمَ مَنْ عَرَفَ أَنْ مَا يَعْلَمُ فِيْمَا لَا يَعْلَمُ قَلِيلٌ، فَعَدَّ نَفْسَهُ بِذَلِكَ جَاهِلًا، وَازْدَادَ بِمَا عَرَفَ مِنْ ذَلِكَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ اجْتِهَادًا، فَمَا يَزَالُ لِلْعِلْمِ طَالِبًا، وَفِيهِ رَاغِبًا، وَلَهُ مُسْتَفِيدًا، وَأَهْلُهُ خَاشِعًا، وَلِرَأْيِهِ مُتَّبِعًا، وَلِلصَّمْتِ لَازِمًا، وَلِلخَطَا جَاحِدًا، وَمِنْهُ مُسْتَحْيِيًا، وَإِنْ وَرَدَ عَلَيْهِ مَا لَا يَعْرِفُ لَمْ يُنْكِرْ ذَلِكَ، لِمَا قَرَّرَ بِهِ نَفْسَهُ مِنَ الْجَهَالَةِ، وَإِنَّ الْجَاهِلَ مَنْ عَدَّ

ص: ٥٤٣

نَفْسَهُ لِمَا جَهَلَ مِنْ مَعْرِفَةِ الْعِلْمِ عَالِمًا، وَبِرَأْيِهِ مَكْتَفِيًا، فَمَا يَزَالُ لِلْعُلَمَاءِ مَعَانِدًا، وَعَلَيْهِمْ زَارِيًا، وَلِمَنْ خَالَفَهُ مُخْطِئًا، وَلِمَا لَا يَعْرِفُ مِنَ الْأُمُورِ مُضَلَّلًا، فَإِذَا وَرَدَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَمْرِ، مَا لَا يَعْرِفُهُ أَنْكَرَهُ وَكَذَّبَ بِهِ، وَقَالَ بِجَهَالَتِهِ: مَا أَعْرِفُ هَذَا، وَمَا أَرَاهُ كَانِ، وَمَا أَظُنُّ أَنْ يَكُونَ، وَأَتَى كَانِ وَلَا أَعْرِفُ ذَلِكَ، لِتَقْتِهِ بِرَأْيِهِ، وَقَلَّةِ مَعْرِفَتِهِ بِجَهَالَتِهِ، فَمَا يَنْفَكُ مِمَّا يَرَى فِيْمَا يَلْتَبِسُ عَلَيْهِ بِرَأْيِهِ، مِمَّا لَا يَعْرِفُ لِلْجَهْلِ مُسْتَفِيدًا وَلِلْحَقِّ مُنْكَرًا، وَفِي اللَّجَاجَةِ مُتَجَرِّئًا، وَعَنِ طَلَبِ الْعِلْمِ مُسْتَكْبِرًا.

يَا بُنَيَّ فَتَفَهَّمْ وَصِيَّتِي، وَاجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَانًا فِيْمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ، فَأَحْبِبْ لِعَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَاكْرَهُ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا، وَلَا تَظْلِمْ كَمَا لَا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ، وَأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ، وَاسْتَفْبِحْ لِنَفْسِكَ مَا تَسْتَفْبِحُ مِنْ غَيْرِكَ، وَارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ، وَلَا تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمُ، بَلْ لَا تَقُلْ كُلَّ مَا عَلِمْتَ، مِمَّا لَا تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْإِعْجَابَ ضِدُّ الصَّوَابِ وَأَفَةُ الْأَبَابِ فَاسِعَ فِي كَدْحِكَ، وَلَا تَكُنْ خَازِنًا لِعَيْرِكَ، وَإِذَا هُدَيْتَ لِقَصْدِكَ فَكُنْ أَخْشَعَ مَا تَكُونُ لِرَبِّكَ.

واعلم يا بُنَيَّ أَنَّ أَمَامَكَ طَرِيقاً ذَا مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ وَمَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ، وَأَهْوَالٍ شَدِيدَةٍ، وَأَنَّهُ لَا غِنَى بِكَ فِيهِ عَنِ حُسْنِ الْإِرْتِيَادِ، وَقَدْرُ بِلَاغِكَ مِنَ الزَّادِ مَعَ خِفَّةِ الظَّهْرِ، فَلَا تَحْمِلَنَّ عَلَى ظَهْرِكَ فَوْقَ بِلَاغِكَ فَيَكُونُ ثَقِيلاً وَوَبَالاً عَلَيْكَ، وَإِذَا وَجَدْتَ مِنْ أَهْلِ الْفَاقَةِ مَنْ يَحْمِلُ زَادَكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَيُؤَاغِيكَ بِهِ غَدًا، حَيْثُ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فَاعْتَنِمُهُ، وَحَمَلُهُ إِبَاهُ، وَاعْتَنِمِ مَنْ اسْتَقْرَضَكَ فِي حَالِ غِنَاكَ، وَجَعَلَ يَوْمَ قَضَاءِهِ لَكَ فِي يَوْمِ عُسْرَتِكَ، وَحَمَلُهُ إِبَاهُ، وَأَكْثَرَ مِنْ تَرْوِيدِهِ وَأَنْتَ قَادِرٌ، فَلَعَلَّكَ تَطْلُبُهُ فَلَا تَجِدُهُ.

وَاعْلَمْ أَنَّ أَمَامَكَ عَقَبَةٌ كَوُوداً الْمُخْفِ فِيهَا أَحْسَنُ حَالاً مِنَ الْمُثْقَلِ، وَالْمُبْطِئِ عَلَيْهَا أَقْبَحُ حَالاً مِنَ الْمُسْرِعِ، وَأَنْ مَهْبِطَكَ بِهَا لَا مَحَالَةَ، عَلَى جَنَّةٍ أَوْ نَارٍ، فَارْتَدُّ

ص: ٥٤٤

لِنَفْسِكَ قَبْلَ نَزُولِكَ وَوُطْئِ الْمَنْزِلِ قَبْلَ خُلُوكِكَ، فَلَيْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ، وَلَا إِلَى الدُّنْيَا مُنْصَرَفٌ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ مَلَكُوتِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ قَدْ أَذِنَ لِذُعَائِكَ، وَتَكَفَّلَ لِإِجَابَتِكَ، وَأَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيكَ وَتَسْتَرْجِمَهُ لِيَرْحَمَكَ، وَهُوَ رَحِيمٌ كَرِيمٌ، لَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَنْ يَحْجُبُكَ عَنْهُ، وَلَمْ يُلْجِئْكَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْهِ، وَلَمْ يَمْنَعْكَ أَنْ أَسْأَلَ مِنَ التَّوْبَةِ، وَلَمْ يُعَيِّرْكَ بِالْإِنَابَةِ، وَلَمْ يُعَاجِلْكَ بِالنِّقْمَةِ، وَلَمْ يَفْضَحْكَ حَيْثُ تَعَرَّضْتَ لِلْفُضِيحَةِ، وَلَمْ يُنَاقِشْكَ بِالْجَرِيمَةِ، وَلَمْ يُؤْيِسْكَ مِنَ الرَّحْمَةِ، وَلَمْ يُشَدِّدْ عَلَيْكَ فِي التَّوْبَةِ، فَجَعَلَ تَوْبَتَكَ التَّوَرُّعَ مِنَ الذَّنْبِ، وَحَسَبَ سَيِّئَتِكَ وَاحِدَةً، وَحَسَنَتَكَ عَشْرًا، وَفَتَحَ لَكَ بَابَ الْمَتَابِ وَالِاسْتِعْتَابِ، فَمَتَى شِئْتَ نَادَيْتَهُ سَمِعَ نِدَاءَكَ وَنَجْوَاكَ، فَأَفْضَيْتَ إِلَيْهِ بِحَاجَتِكَ، وَأُبْشِئْتَهُ ذَاتَ نَفْسِكَ، وَشَكْوَتَ إِلَيْهِ هُمُومَكَ، وَاسْتَكْشَفْتَهُ كَرْوَبَكَ، وَاسْتَعْنَتَهُ عَلَى أُمُورِكَ، وَسَأَلْتَهُ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَى إِعْطَائِهِ غَيْرُهُ: مِنْ زِيَادَةِ الْأَعْمَارِ، وَصِحَّةِ الْأَبْدَانِ، وَسِعَةِ الْأَرْزَاقِ، ثُمَّ جَعَلَ فِي يَدَيْكَ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِهِ، بِمَا أَذِنَ فِيهِ مِنْ مَسْأَلَتِهِ، فَمَتَى شِئْتَ اسْتَفْتَحْتَ بِالذُّعَاءِ أَبْوَابَ خَزَائِنِهِ، فَأَلْجِجْ عَلَيْهِ بِالمَسْأَلَةِ يَفْتَحْ لَكَ بَابَ الرَّحْمَةِ، وَلَا يُقْنِطُكَ إِنْ أَبْطَأَتْ عَلَيْكَ الإِجَابَةُ، فَإِنَّ العَطِيَّةَ عَلَى قَدْرِ المَسْأَلَةِ، وَرَبِّمَا أُخْرَتْ عَنْكَ الإِجَابَةُ لِيَكُونَ أَطْوَلَ فِي المَسْأَلَةِ، وَأَجْزَلَ للعَطِيَّةِ، وَرَبِّمَا سَأَلْتَ الشَّيْءَ فَلَا تُؤَاتَاهُ فَلَمْ تَوْتِهِ، وَأَوْتَيْتَ خَيْرًا مِنْهُ عَاجِلًا أَوْ أَجَلًا، أَوْ صِرْتَ إِلَى مَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ، فَلَرَبِّ أَمْرٍ قَدْ طَلَبْتَهُ فِيهِ هَلَكَ دِينُكَ وَدُنْيَاكَ لَوْ أُوتِيَتْهُ، وَلَتَكُنْ مَسْأَلَتُكَ فِيمَا يُعْنِيكَ مِمَّا يَبْقَى لَكَ جَمَالُهُ، وَيُنْفِي عَنْكَ وَبَالُهُ، فَإِنَّ المَالَ لَا يَبْقَى لَكَ وَلَا تَبْقَى لَهُ، فَإِنَّهُ يَوْشَكَ أَنْ تَرَى عَاقِبَةَ أَمْرِكَ حَسَنًا أَوْ سَيِّئًا أَوْ يَعْغُو العَفْوُ الكَرِيمَ.

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّكَ إِنَّمَا خُلِقْتَ لِلْآخِرَةِ لَا لِلدُّنْيَا، وَلِلْفَنَاءِ لَا لِلْبَقَاءِ، وَلِلْمَوْتِ

ص: ٥٤٥

لِلْحَيَاةِ، وَأَنَّكَ فِي مَنْزِلِ قُلْعَةٍ وَدَارِ بُلْغَةٍ، وَطَرِيقٍ إِلَى الآخِرَةِ، وَأَنَّكَ طَرِيدُ المَوْتِ الَّذِي لَا يَنْجُو مِنْهُ هَارِبُهُ، وَلَا بَدَأَ أَنَّهُ مُدْرِكُهُ، فَكُنْ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ أَنْ يَدْرِكَكَ وَأَنْتَ عَلَى حَالِ سَيِّئَةٍ قَدْ كُنْتَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مِنْهَا بِالتَّوْبَةِ، فَيَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذَلِكَ، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ أَهْلَكْتَ نَفْسَكَ.

يا بُنَيَّ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ، وَذَكَرِ مَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ، وَتُقْضَى بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَيْهِ، وَاجْعَلْهُ أَمَامَكَ حَيْثُ تَرَاهُ، حَتَّى يَأْتِيكَ وَقَدْ أَخَذَتْ مِنْهُ حِذْرَكَ، وَشَدَّدَتْ لَهُ أَرْزَكَ، وَلَا يَأْتِيكَ بَعْتَةً فَيَبْهَرَكَ، وَلَا يَأْخُذُكَ عَلَى غِرَّتِكَ، وَأَكْثَرَ ذِكْرِ الْآخِرَةِ وَمَا فِيهَا مِنَ النَّعِيمِ وَالْعَذَابِ الْأَلِيمِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُزَهِّدُكَ فِي الدُّنْيَا وَيُصْعَرُهَا عِنْدَكَ.

وَإِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِمَا تَرَى مِنْ إِخْلَادِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَيْهَا، وَتَكَالِبَهُمْ عَلَيْهَا، فَقَدْ نَبَّأَكَ اللَّهُ جَلْ جَلَالَهُ عَنْهَا، وَنَعَتْ لَكَ نَفْسَهَا، وَتَكَشَّفَتْ لَكَ عَنْ مَسَاوِيهَا، فَإِنَّمَا أَهْلُهَا كِلَابٌ عَاوِيَةٌ، وَسِبَاعٌ ضَارِيَةٌ، يَهْرُ بِبَعْضِهَا بَعْضًا، وَيَأْكُلُ عَزِيْزُهَا ذَلِيلَهَا، وَيَقْهَرُ كَبِيرُهَا صَغِيرَهَا، وَكَثِيرُهَا قَلِيلَهَا، نَعْمٌ مَعْقَلَةٌ، وَأُخْرَى مُخْفَلَةٌ مُهْمَلَةٌ، قَدْ أَضَلَّتْ عَقُولُهَا، وَرَكِبَتْ مَجْهُولَهَا، سُرُوحُ عَاهَةِ فِي وَادٍ وَعَشٍ، لَيْسَ لَهَا رَاعٍ يُقِيمُهَا، وَلَا مُسَيِّمٌ يُسَيِّمُهَا، لَعِبَتْ بِهِمُ الدُّنْيَا، فَلَعِبُوا بِهَا، وَنَسُوا مَا وَرَاءَهَا، رُوَيْدًا حَتَّى يُسْفِرَ الظَّلَامُ، كَأَنَّ وَرَبَّ الكَعْبَةِ، يَوْشِكُ مَنْ أَسْرَعَ أَنْ يُلْحَقَ.

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ، أَنَّ كُلَّ مَنْ كَانَتْ مَطِيئَتُهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ فَإِنَّهُ يُسَارُ بِهِ، وَإِنْ كَانَ لَا يُسِيرُ، أَبَى اللَّهُ إِلَّا خَرَابَ الدُّنْيَا وَعِمَارَةَ الْآخِرَةِ.

يَا بُنَيَّ، فَإِنْ تَزَهَّدَ فِيمَا زَهَدْتُمْ فِيهِ وَتَعَرَّفَ نَفْسُكَ عَنْهَا فَهِيَ أَهْلٌ ذَلِكَ، وَإِنْ كُنْتَ غَيْرَ قَابِلٍ نَصِيحَتِي إِيَّاكَ فِيهَا، فَاعْلَمْ يَقِينًا أَنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ أَمْلَكَ، وَلَا تَعْدُوَ أَجْلَكَ، فَإِنَّكَ فِي سَبِيلٍ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ، فَخَفِّضْ فِي الطَّلَبِ، وَأَجْمِلْ فِي الْمُكْتَسَبِ،

ص: ٥٤٤

فَإِنَّ رَبَّ طَلَبٍ قَدْ جَرَّ إِلَى حَرْبٍ، وَلَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ بِنَاجٍ، وَلَا كُلُّ مُجْمَلٍ بِمُحْتَاجٍ، وَأَكْرَمُ نَفْسِكَ عَنْ كُلِّ ذَنْبِيَّةٍ، وَإِنْ سَاقَتْكَ إِلَى الرَّغَائِبِ، فَإِنَّكَ لَنْ تُعْتَاضَ بِمَا تَبْذُلُ شَيْئًا مِنْ دِينِكَ وَعِرْضِكَ بِنَمْنٍ، وَإِنْ جَلَّ.

وَمِنْ خَيْرِ حَظٍّ أَمْرِي قَرِينٌ صَالِحٌ، فَقَارِنْ أَهْلَ الْخَيْرِ تَكُنْ مِنْهُمْ، وَبَايِنْ أَهْلَ الشَّرِّ تَبِينْ مِنْهُمْ، لَا يَغْلِبُنَّ عَلَيْكَ سُوءُ الظَّنِّ، فَإِنَّهُ لَا يَدْعُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ صَدِيقٍ صَفْحًا، بِنَسِ الطَّعَامِ الْحَرَامِ، وَظَلَمِ الضَّعِيفِ أَفْحَشُ الظُّلْمِ، وَالْفَاحِشَةُ كَاسِمُهَا، وَالتَّصَبُّرُ عَلَى الْمَكْرُوهِ يَعْصِمُ الْقَلْبَ، وَإِذَا كَانَ الرَّفْقُ خَرْفًا كَانَ الْخَرْقُ رَفْقًا، وَرَبِّمَا كَانَ الدَّاءُ دَوَاءً، وَرَبِّمَا نَصَحَ غَيْرَ النَّاصِحِ، وَعَشَّ الْمُسْتَنْصَحُ الْمُنْتَصَحَ.

إِيَّاكَ وَالِاتِّكَالَ عَلَى الْمُنَى، فَإِنَّهَا بَضَائِعُ النَّوْكَى، زَكَ قَلْبِكَ بِالْأَدَبِ كَمَا يُذَكِّي النَّارُ بِالْحَطَبِ، لَا تَكُنْ كَحَاطِبِ اللَّيْلِ، وَعُثَاءِ السَّيْلِ، وَكُفْرِ النِّعْمَةِ لَوْمٌ، وَصَحْبَةِ الْجَاهِلِ سُؤْمٌ، وَالْعَقْلُ حِفْظُ التَّجَارِبِ، وَخَيْرٌ مَا جَرِبْتَ مَا وَعَظَكَ، وَمَنْ الْكَرَمُ لَيْنُ الشِّيمِ، بَادِرِ الْفُرْصَةَ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ غُصَّةً، وَمَنْ الْحَزْمُ الْعَزْمُ، وَمَنْ سَبَبَ الْجِرْمَانَ التَّوَانِي، لَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ يُصِيبُ، وَلَا كُلُّ غَائِبٍ يُوُوبُ، وَمَنْ الْفَسَادُ إِضَاعَةُ الزَّادِ، وَمَفْسَدَةُ الْمَعَادِ، لِكُلِّ أَمْرٍ عَاقِبَةٌ، رَبُّ يَسِيرٍ أَنْمَى مِنْ كَثِيرٍ، وَلَا خَيْرَ فِي مُعِينٍ مَهِينٍ، وَلَا فِي صَدِيقٍ ظَنِينٍ، وَلَا تَبَيَّنَنَّ مِنْ أَمْرٍ عَلَى غَدْرٍ، مَنْ حَلَمَ سَادَ، وَمَنْ تَفَهَّمَ زَادَ، وَلِقَاءُ أَهْلِ الْخَيْرِ عِمَارَةُ الْقَلْبِ، سَاهِلِ الدَّهْرِ مَا ذَلَّ لَكَ قَعُودُهُ.

وَإِيَّاكَ أَنْ تَجْمَحَ بِكَ مَطِيئَةُ اللَّجَاجِ، وَإِنْ قَارَفْتَ سَيِّئَةً فَعَجَلٌ مَحْوُهَا بِالتَّوْبَةِ، وَلَا تَخُنْ مَنْ ائْتَمَنَكَ وَإِنْ خَانَكَ، وَلَا تُدْعِ سِرَّهُ وَإِنْ أَدَاعَ سِرِّكَ، وَلَا تُخَاطِرْ بِشَيْءٍ رَجَاءَ أَكْثَرِ مِنْهُ، وَاطْلُبْ فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ مَا قَسَمَ لَكَ، وَالتَّاجِرُ مُخَاطِرٌ، خُذْ بِالْفَضْلِ، وَأَحْسِنْ

البَدَل، وَقُلْ لِلنَّاسِ حُسْنًا، وَأَحْسِنُ كَلِمَةً حِكْمًا جَامِعَةً أَنْ تُحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَتُكْرَهُ لَهُمْ مَا تُكْرَهُ لَهَا، إِنَّكَ قَلَّ مَا تَسْلُمُ مِمَّنْ تَسْرَعْتَ إِلَيْهِ أَنْ تَنْدَمَ أَوْ

ص: ٥٤٧

تَتَفَضَّلَ عَلَيْهِ.

وَأَعْلَمُ أَنَّ مِنَ الْكَرَمِ الْوَفَاءَ بِالذَّمِّ، وَالذَّفْعُ عَنِ الْحَرَمِ، وَالصَّدُودُ آيَةُ الْمَقْتِ، وَكَثْرَةُ التَّلَعُّلِ آيَةُ الْبُخْلِ، وَلِبَعْضِ إِمْسَاكِكَ عَلَى أَخِيكَ مَعَ لُطْفِ خَيْرٍ مِنْ بَدَلٍ مَعَ عُنْفٍ، وَمِنَ الْكَرَمِ صَلَةُ الرَّحِمِ، وَمَنْ يَثِقُ بِكَ أَوْ يَرْجُو صَلَّتَكَ، أَوْ يَرْجُوكَ أَوْ يَثِقُ بِصَلَّتِكَ إِذَا قَطَعْتَ قَرَابَتَكَ، وَالتَّجْرُمُ^{١٦٠} وَجْهُ الْقَطِيعَةِ، إِحْمَلْ نَفْسَكَ مِنْ أَخِيكَ عِنْدَ صَرْمِهِ إِيَّاكَ عَلَى الصَّلَةِ، وَعِنْدَ صُدُودِهِ عَلَى لُطْفِ الْمَسْأَلَةِ، وَعِنْدَ جُمُودِهِ عَلَى الْبَدَلِ، وَعِنْدَ تَبَاعُدِهِ عَلَى الدُّنُوِّ، وَعِنْدَ شِدَّتِهِ عَلَى اللَّيْنِ، وَعِنْدَ تَجْرُمِهِ عَلَى الْإِعْذَارِ، حَتَّى كَأَنَّكَ لَهُ عَبْدٌ، وَكَأَنَّهُ ذُو نِعْمَةٍ عَلَيْكَ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَضَعَ ذَلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، أَوْ تَفْعَلَهُ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ.

وَلَا تَتَّخِذَنَّ عَدُوَّ صَدِيقِكَ صَدِيقًا فَتُعَادِيَ صَدِيقَكَ، وَلَا تَعْمَلْ بِالْخَدِيعَةِ، فَإِنَّهَا خُلُقٌ لَيْمٍ، وَامْحَضْ أَخَاكَ النَّصِيحَةَ حَسَنَةً كَانَتْ أَوْ قَبِيحَةً، وَسَاعِدْهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَزَلْ مَعَهُ حَيْثُ زَالَ، وَلَا تَطْلُبَنَّ مَجَازَاتِ أَخِيكَ وَإِنْ حَثَا التُّرَابَ بِفِيكَ، وَجُدْ عَلَى عَدُوِّكَ بِالْفَضْلِ، فَإِنَّهُ أَحْرَى لِلظَّفَرِ، وَتَسْلَمُ مِنَ الدُّنْيَا بِحُسْنِ الْخُلُقِ، وَتَجْرِعُ الْغَيْظَ، فَإِنِّي لَمْ أَرْ جُرْعَةً أَهْلَى مِنْهَا عَاقِبَةً وَلَا أَلَدَّ مِنْهَا مَعَبَةً، وَلَا تَصْرِمْ أَخَاكَ عَلَى ارْتِيَابٍ، وَلَا تَقْطَعْهُ دُونَ اسْتِعْتَابٍ، وَلَنْ لِمَنْ غَالَطَكَ، فَإِنَّهُ يَوْشِكُ أَنْ يَلِينُ لَكَ.

مَا أَقْبَحَ الْقَطِيعَةَ بَعْدَ الصَّلَةِ، وَالْجَفَاءَ بَعْدَ الْإِحْسَانِ، وَالْعَادَاوَةَ بَعْدَ الْمَوَدَّةِ، وَالْخِيَانَةَ لِمَنْ ائْتَمَنَكَ، وَالْغَدْرَ بِمَنْ اسْتَأْمَنَ إِلَيْكَ، وَإِنْ أَنْتَ غَلَبْتِكَ قَطِيعَةُ أَخِيكَ فَاسْتَبِقْ لَهُ مِنْ نَفْسِكَ بَقِيَّةً يَرْجِعُ إِلَيْهَا إِنْ بَدَأَ لَهُ ذَلِكَ يَوْمًا مَا، وَمَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْرًا فَصَدَّقْ ظَنَّهُ، وَلَا تُضَيِّعَنَّ حَقَّ أَخِيكَ اتِّكَالًا عَلَى مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ بِأَخٍ مَنْ أَضَعْتَ حَقَّهُ.

ص: ٥٤٨

وَلَا يَكُنْ أَهْلَكَ أَشَقَى النَّاسِ بِكَ، وَلَا تَرْغَبَنَّ فِيْمَنْ زَهَدَ فِيكَ، وَلَا يَكُونَنَّ أَحْوَكَ أَقْوَى عَلَى قَطِيعَتِكَ مِنْكَ عَلَى صَلَاتِهِ، وَلَا يَكُونَنَّ عَلَى الْإِسَاءَةِ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى الْإِحْسَانِ، وَلَا عَلَى الْبُخْلِ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى الْبَدَلِ، وَلَا عَلَى التَّقْصِيرِ مِنْكَ عَلَى الْفَضْلِ، وَلَا يَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ ظُلْمٌ مِنْ ظُلْمِكَ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَسْعَى فِي مَضْرَبَتِهِ وَنَفْعِكَ، وَلَيْسَ جَزَاءُ مَنْ سَرَّكَ أَنْ تَسُوَّهُ ه.

وَأَعْلَمُ يَا بَنِيَّ، أَنَّ الرِّزْقَ رِزْقَانِ: رِزْقٌ تَطْلُبُهُ، وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ، فَإِنْ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ.

وَأَعْلَمُ يَا بَنِيَّ أَنَّ الدَّهْرَ ذُو صُرُوفٍ، فَلَا تَكُنْ مِمَّنْ يَشْتَدُّ لِأَيْمَتِهِ، وَيَقِلُّ عِنْدَ النَّاسِ عُدْرُهُ، مَا أَقْبَحَ الْخُضُوعَ عِنْدَ الْحَاجَةِ، وَالْجَفَاءَ عِنْدَ الْغِنَاءِ، وَإِنَّمَا لَكَ مِنْ دُنْيَاكَ مَا أَصْلَحْتَ بِهِ مَثْوَاكَ، فَأَنْفِقْ فِي حَقٍّ، وَلَا تَكُنْ خَازِنًا لَغَيْرِكَ، وَإِنْ كُنْتَ جَازِعًا عَلَى مَا يَفْلِتُ

^{١٦٠} (١) فلان يتجرم علينا، أي يتجنى ما لم نجنه. (لسان العرب: ج ١٢ ص ٩١).

من بين يديك، فاجزَع على ما لم يَصِلْ إِلَيْكَ، واستَدَلِلْ على ما لم يكن بما كان، فَإِنَّمَا الْأُمُورُ أَشْبَاهُ، وَلَا تَكْفُرْ نِعْمَةً، فَإِنَّ كُفْرَ النِّعْمَةِ مِنَ الْأَمِّ الْكُفْرِ.

وَأَقْبَلَ الْعُدْرَةَ، وَلَا تَكُونَنَّ مِمَّنْ لَا يَنْتَفِعُ مِنَ الْعِظَةِ إِلَّا بِمَا لَزِمَهُ إِزَالَتُهُ، فَإِنَّ الْعَاقِلَ يَنْتَعِظُ بِالْأَدَبِ، وَالْبَهَائِمُ لَا تَنْتَعِظُ إِلَّا بِالضَّرْبِ، إِغْرِفِ الْحَقَّ لِمَنْ عَرَفَهُ، رَفِيعاً كَانَ أَوْ وَضِيعاً، واطْرَحْ عَنْكَ وِارِدَاتِ الْهُمُومِ بِعَزَائِمِ الصَّبْرِ وَحُسْنِ الْيَقِينِ.

مَنْ تَرَكَ الْقَصْدَ حَادٍ، وَنِعْمَ حَظُّ الْمَرْءِ الْقُنُوعِ، وَمَنْ شَرَّ مَا صَحِبَ الْمَرْءَ الْحَسَدُ، وَفِي الْقُنُوطِ التَّفْرِيطُ، وَالشُّحُّ يَجْلِبُ الْمَلَامَةَ، وَالصَّاحِبُ مُنَاسِبٌ، وَالصَّدِيقُ مَنْ صَدَقَ غَيْبَهُ، وَالْهَوَى شَرِيكُ الْعَمَى، وَمِنَ التَّوْفِيقِ الْوُقُوفُ عِنْدَ الْحَيْرَةِ، وَنِعْمَ طَارِدُ الْهُمُومِ الْيَقِينُ، وَعَاقِبَةُ الْكَذِبِ النَّدَمُ (الدَّمُّ) وَفِي الصَّدَقِ السَّلَامَةُ.

وَرُبَّ بَعِيدٍ أَقْرَبَ مِنْ قَرِيبٍ (وَرُبَّ قَرِيبٍ أَبْعَدُ مِنْ بَعِيدٍ) وَالْغَرِيبُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَبِيبٌ، لَا يَعْدِمُكَ مِنْ شَفِيقٍ (مِنْ حَبِيبٍ) سُوءُ الظَّنِّ، وَمَنْ حَمَّ ظَمًا، وَمَنْ تَعَدَّى الْحَقَّ ضَاقَ مَذْهَبُهُ، وَمَنْ افْتَصَرَ عَلَى قَدْرِهِ كَانَ أَبْقَى لَهُ.

ص: ٥٤٩

نِعْمَ الْخُلُقُ التَّكْرُمُ، وَالْأَلَمُ اللَّؤْمُ الْبَغْيُ عِنْدَ الْقُدْرَةِ، وَالْحَيَاءُ سَبَبٌ إِلَى كُلِّ جَمِيلٍ، وَأَوْثَقُ الْعُرَى التَّقْوَى، وَأَوْثَقُ سَبَبٍ أَخَذْتَ بِهِ سَبَبٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ سُرِّكَ مَنْ أَعْتَبَكَ، وَالْإِفْرَاطُ فِي الْمَلَامَةِ يَشِبُّ نِيرَانَ اللَّجَاجَةِ (اللَّجَاجُ) كَمِنْ دَنْفٍ (قَدْ) نَجَى، وَصَحِيحٌ قَدْ هَوَى، وَقَدْ يَكُونُ الْيَأْسُ إِدْرَاكًا إِذَا كَانَ الطَّمَعُ هَلَاكًا، وَلَيْسَ كُلُّ عَوْرَةٍ تَظْهَرُ، وَلَا (كُلُّ) فَرِيضَةٍ تُصَابُ، وَرَبَّمَا أَخْطَأَ الْبَصِيرُ قَصْدَهُ، وَأَصَابَ الْأَعْمَى رُشْدَهُ، وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ طَلَبَ وَجَدَ، وَلَا كُلُّ مَنْ تَوَقَّى نَجَى.

أَخَّرَ الشَّرَّ فَإِنَّكَ إِذَا شِئْتَ تَعَجَّلْتَهُ وَأَحْسِنَ إِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ يُحْسِنَ إِلَيْكَ، (وَ) احْتَمِلْ أَخَاكَ عَلَى مَا فِيهِ، وَلَا تُكْثِرِ الْعِتَابَ، فَإِنَّهُ يُوْرِثُ الضَّغِينَةَ (وَيَجْرُ إِلَى الْبَغْضَةِ)، وَاسْتَعْتَبَ مَنْ رَجَوْتَ عُثْبَاهُ، وَقَطِيعَةُ الْجَاهِلِ تَعْدِلُ صِلَةَ الْعَاقِلِ، وَمِنَ الْكِرَامِ مَنْعُ الْحَزْمِ، مَنْ كَابَرَ الزَّمَانَ عَطِبَ، وَمَنْ تَنَقَّمَ عَلَيْهِ غَضِبَ.

مَا أَقْرَبَ النِّقْمَةَ مِنْ أَهْلِ الْبَغْيِ، وَأَخْلَقَ بِمَنْ غَدَرَ إِلَّا يُؤْفَى لَهُ، زَلَّةُ الْمَتَوَقَّى أَشَدُّ زَلَّةً، وَعِلَّةُ الْكِذْبِ أَفْبَحُ عِلَّةً، وَالْفَسَادُ يُبِيرُ الْكَثِيرَ، وَالْاِقْتِصَادُ يُنْمِي الْيَسِيرَ، وَالْقَلَّةُ ذِلَّةٌ، وَبَرُّ الْوَالِدَيْنِ مِنْ أَكْرَمِ الطَّبَاعِ (مِنْ كَرَمِ الطَّبِيعَةِ)، وَالْمَخَافَةُ شَرًّا يَخَافُ، وَالزَّلُّ مَعَ الْعَجَلِ، وَلَا خَيْرَ فِي لَذَّةِ تَعْقِبِ نَدْمًا، الْعَاقِلُ مَنْ وَعَظَّتْهُ التَّجَارِبُ، وَرَسُولُكَ تَرْجُمَانُ عَقْلِكَ، وَالْهُدَى يَجْلُو الْعَمَى، وَلَيْسَ مَعَ الْخِلَافِ ائْتِلَافٌ.

مَنْ خَبَرَ خَوَانًا فَقَدْ خَانَ، لَنْ يُهْلِكَ مَنْ افْتَصَدَ، وَلَنْ يَفْتَقِرَ مَنْ زَهَدَ، يُنْبِئُ عَنْ أَمْرِ دَخِيلِهِ، رُبَّ بَاحِثٍ عَنِ حَتْفِهِ، وَلَا تَشُوبَنَّ بِثِقَةٍ رَجَاءً، وَمَا كُلُّ مَا يُخْشَى يَصِيرُ، وَلَرْبٌ هَزُلَ قَدْ عَادَ جِدًّا، مَنْ أَمِنَ الزَّمَانَ خَانَهُ، وَمَنْ تَعَطَّمَ عَلَيْهِ أَهَانَهُ، وَمَنْ تَرَعَّمَ عَلَيْهِ أَرْعَمَهُ، وَمَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ أَسْلَمَهُ، وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ رَمَى أَصَابَ، وَإِذَا تَغَيَّرَ السُّلْطَانُ تَغَيَّرَ الزَّمَانُ، خَيْرُ أَهْلِكَ مَنْ كَفَاكَ، الْمَزَاحُ يُورِثُ الضَّغَائِنَ، أَغْذَرَ مَنْ اجْتَهَدَ، وَرَبَّمَا أَكْدَى الْحَرِيصَ.

ص: ٥٥٠

رَأْسُ الدِّينِ صِحَّةُ اليَقِينِ، وَتَمَامُ الإِخْلَاصِ تَجَنُّبُ (تَجَنُّبِكَ) المَعَاصِي، وَخَيْرُ المَقَالِ مَا صَدَّقَهُ الفِعَالُ، السَّلَامَةُ مَعَ الاستِقَامَةِ، وَالدُّعَاءُ مِفْتَاحُ الرَّحْمَةِ، سَلُّ عَنِ الرَّفِيقِ قَبْلَ الطَّرِيقِ، وَعَنِ الجَارِ قَبْلَ الدَّارِ، وَكُنْ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى قَلْعَةٍ أَجْمِلَ مَنْ أَدَلَّ عَلَيْكَ، (كَذَا) وَأَقْبِلْ عُذْرَ مَنْ اغْتَدَرَ إِلَيْكَ، وَخُذْ العَفْوَ مِنَ النَّاسِ، وَلَا تَبْلُغْ مِنْ أَحَدٍ مَكْرُوهًا، أَطِعْ أَخَاكَ وَإِنْ عَصَاكَ، وَصَلِّهِ وَإِنْ جَفَاكَ، وَعَوِّدْ نَفْسَكَ السَّمَّاحَ، وَتَخَيَّرْ لَهَا مِنْ كُلِّ خُلُقٍ أَحْسَنَهُ، فَإِنَّ الخَيْرَ العَادَةَ.

وَإِيَّاكَ أَنْ تَكْثِرَ مِنَ الكَلَامِ هَذَرًا، وَأَنْ تَكُونَ مُضْحِكًا، وَإِنْ حَكَيْتَ ذَلِكَ عَنِ غَيْرِكَ، وَأَنْصِفِ مِنْ نَفْسِكَ (قَبْلَ أَنْ يُنْتَصَفَ مِنْكَ).

وَإِيَّاكَ وَمَشَاوِرَةَ النِّسَاءِ، فَإِنَّ رَأْيَهُنَّ إِلَى الأَقْفَنِ، وَعِزْمَهُنَّ إِلَى الوَهْنِ، وَاكْفُفْ عَلَيْهِنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ بِحِجَابِكَ إِيَّاهُنَّ، فَإِنَّ شِدَّةَ الحِجَابِ خَيْرٌ لَكَ وَلَهُنَّ مِنَ الارْتِيَابِ، وَلَيْسَ خُرُوجُهُنَّ بِأَشَدَّ مِنْ دُخُولِ مَنْ لَا يُوثِقُ بِهِ عَلَيْهِنَّ، وَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا يَغْرِفَنَّ غَيْرُكَ مِنَ الرِّجَالِ فَافْعَلْ، وَلَا تَمَلِّكِ المَرَأَةَ مِنَ الأَمْرِ (مِنْ أَمْرِهَا) مَا جَاوَزَ نَفْسَهَا، فَإِنَّ ذَلِكَ أَنْعَمَ لِحَالِهَا، وَأَرْخَى لِجِلْبَابِهَا، وَأَذْوَمَ لِحِمَالِهَا، فَإِنَّ المَرَأَةَ رِيحَانَةٌ، وَلَيْسَتْ بِقَهْرِمَانَةٌ، وَلَا تَعُدُّ بِكَرَامَتِهَا نَفْسَهَا، وَلَا تَطْمَعِهَا فِي أَنْ تَشْفَعَ لغيرِهَا (بغيرِهَا)، فَيَمِيلَ مَنْ شَفَعْتَ لَهُ عَلَيْكَ مَعَهَا، وَلَا تُطِلْ الخُلُوةَ مَعَ النِّسَاءِ، فَيَمْلَأَنَّكَ وَتَمَلِّئَهُنَّ، وَاسْتَبِقْ مِنْ نَفْسِكَ بَقِيَّةً، فَإِنَّهُ إِسْمَاكَكَ عَنْهِنَّ وَهِنَّ يَرَيْنَ أَنَّكَ ذُو فَتْدَارٍ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَغْتَرْنَ (يُظْهَرْنَ) مِنْكَ عَلَى انْتِسَارِ (عَلَى انْتِشَارِ).

وَإِيَّاكَ وَالتَّغَايُرَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِ الغَيْرَةِ (غَيْرَةٍ)، فَإِنَّ ذَلِكَ يَدْعُو الصَّحِيحَةَ مِنْهُنَّ إِلَى السَّقَمِ (وَالْبَرِيئَةَ إِلَى الرِّيبِ)، وَلَكِنْ أَحْكِمِ أَمْرَهُنَّ، فَإِنَّ رَأْيَتَ غَيْبًا (ذَنْبًا) فَعَجَّلِ النِّكِيحَ عَلَى الكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ.

وَإِيَّاكَ أَنْ تُعَاقِبَ فَيَعْظُمُ الذَّنْبُ وَيَهُونُ العَتَبُ، وَلَا تَكُنْ عَبْدًا غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ

ص: ٥٥١

اللَّهُ حُرًّا، وَمَا خَيْرٌ بِخَيْرٍ لَا يُنَالُ إِلَّا بِشَرٍّ، وَيُسْرُ لَا يُنَالُ بِعُسْرٍ.

وَإِيَّاكَ أَنْ تُوجِفَ بِكَ مَطَايَا الطَّمَعِ (فَتُورِدَكَ مَنَاهِلَ الهَلَكَةِ)، وَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا يَكُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ ذَوْنِعْمَةٌ فَافْعَلْ، فَإِنَّكَ مُذْرِكٌ قِسْمَكَ وَأَخِذْ سَهْمَكَ، وَإِنَّ اليَسِيرَ مِنَ اللَّهِ أَكْرَمٌ وَأَعْظَمُ مِنَ الكَثِيرِ مِنْ خَلْقِهِ، وَإِنْ كَانَ كُلُّ مَنْهُ، فَإِنَّ نَظْرَتَ- فَلِلَّهِ المِثْلُ الأَعْلَى- فِيمَا تَطَلَّبُ مِنَ المُلُوكِ وَمِنْ ذَوْنِهِمْ مِنَ السَّفَلَةِ؛ لَعَرَفْتَ أَنَّ لَكَ فِي يَسِيرِ مَا تَطَلَّبُ (تُصِيبُ) مِنَ المُلُوكِ إِفْتِخَارًا، وَأَنَّ عَلَيْكَ فِي كَثِيرِ مَا تَطَلَّبُ مِنَ الذَّنَاءِ عَارًا، إِنَّكَ لَيْسَ بِأَعْلَى شَيْئًا مِنْ دِينِكَ وَعِرْضِكَ بِتَمَنٍّ، وَالمَغْبُوبُونَ مَنْ غَبَنَ نَفْسَهُ مِنَ اللَّهِ، فَخُذْ مِنَ الدُّنْيَا مَا أَتَاكَ، وَتَوَلَّ مِمَّا تَوَلَّى عَنْكَ، فَإِنَّ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَاجْمَلْ فِي الطَّلَبِ.

وَإِيَّاكَ وَمَقَارِبَةَ مَنْ رَهَبْتَهُ عَلَى دِينِكَ وَعِرْضِكَ، وَبَاعِدِ السُّلْطَانَ لِتَأْمَنَ خُدْعَ الشَّيْطَانِ، وَتَقُولَ مَا تَرَى إِنَّكَ تَرَعَبُ، وَهَكَذَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ، إِنَّ أَهْلَ القَبِيلَةِ قَدْ أَيْقَنُوا بِالمَعَادِ، فَلَوْ سَمِعْتَ بَعْضَهُمْ يَبِيعُ آخِرَتَهُ بِالدُّنْيَا لَمْ تُطِبْ بِذَلِكَ نَفْسًا، وَقَدْ يَتَحَيَّلُ (يَتَخَبَّلُ) الشَّيْطَانُ بِخُدْعِهِ وَمَكْرِهِ حَتَّى يُورِطَهُ فِي هَلَكَةٍ بَعْرَضَ مِنَ الدُّنْيَا يَسِيرٍ حَقِيرٍ، وَيُنْقَلَهُ مِنْ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى يُؤَيِّسَهُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَيُدْخِلُهُ فِي القُنُوطِ، فَيَجِدِ الرَّاحَةَ إِلَى مَا خَالَفَ الإِسْلَامَ وَأَحْكَامَهُ.

فإن أبت نفسك إلأحب الدنيا وقرب السلطان فخالفتك إلى ما نهيتك عنه مما فيه رشدك فأملىك عليك لسانك فإنه لا ثقة للملوك عند الغضب، فلا تسأل عن أخبارهم، ولا تنطق بأسرارهم، ولا تدخل فيما بينهم، وفي الصمت السلامة من الندامة، وتلافيك ما فرط من صمتك أسر من إدراك ما فات من منطقتك (فائدة ما فات من منطقتك)، وحفظ ما في الوعاء بشد الوعاء، وحفظ ما في يدك أحب إليك (إلى) من طلب ما في يد غيرك، ولا تحدث إلأعن ثقة كذاباً، والكذب ذلٌّ،

ص: ٥٥٢

وحسن التدبير مع الكفاف أكفى لك من الكثير مع الإسراف، وحسن اليأس خير من الطلب إلى الناس، والعفة مع الحرقة خير من سرور مع فجور، والمرء أحفظ لسيره، ورب ساع فيما يضره، من أكثر أهجر، ومن تفكر أبصر.

وأحسن للمماليك الأدب، وأقل الغضب، ولا تكثر العتب في غير ذنب، فإذا استحق أحد منهم ذنباً فأحسن العفو (فأحسن العدل)، فإن العفو مع العدل أشد من الضرب لمن كان له عقل، ولا تمسك من لا عقل له، وخف القصاص، واجعل لكل امرء منهم عملاً تأخذه به، فإنه أحرى أن لا يتواكفوا.

وأكرم عشيرتك، فإنهم جناحك الذي به تطير، وأصلك الذي إليه تصير، ويدك الذي بها تصول، (وهم العدة عند الشدة)، أكرم كريمهم، وعد سقيمهم، وأشر كههم في أمورهم، وتيسر عند معسورهم.

واستعنو بالله على أمورك، فإنه أكفى معين، وأستودع الله دينك ودنياك، وأسأله خير القضاء لك في العاجلة والآجلة، والدنيا والآخرة، والسلام (عليك ورحمة الله وبركاته)»^{١٦٢١}.

١٤١ كتابه عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر

«أما بعد؛ فقد جاءني رسولك بكتابك تذكر أن ابن العاص قد نزل أداني مصر في جيش جرار، وأن من كان على مثل رأيه قد خرج إليه، وخرج من كان يرى رأيه خير لك من إقامته عندك، وذكرت أنك قد رأيت ممن قبلك فشلاً؛ فلا تفشل»

ص: ٥٥٣

وإن فشلوا، حصن قريتك، واضمم إليك شيعتك وأذك^{١٦٢٢} الحرس في عسكرك، واندب إلى القوم كنانة بن بشر، المعروف بال نصيحة والتجربة والبأس؛ وأنا نادب إليك الناس على الصعب والدلول، فاصبر لعدوك وامض على بصيرتك، وقاتلهم على بيتك، واجهدهم محتسباً لله، وإن كانت فتتك أقل الفتنتين؛ فإن الله يعز القليل ويخذل الكثير، وقد قرأت كتابي الفاجرين

^{١٦٢١} (١) راجع: كشف المحجة: ص ٢٢٠ - ٢٣٤، نهج البلاغة: الكتاب ٣١، تحف العقول: ص ٦٨، بحار الأنوار: ج ٧٧ ص ١٩٨ - ٢١٨؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٦ ص ٩، كنز العمال: ج ٨ ص ٢١٠.
^{١٦٢٢} (١) هو من قولهم: «أذكى عليه العيون، أي أرسل عليه الطلائع».

الْمُتَحَابِّينَ عَلَى الْمَعْصِيَةِ، وَالْمُتَلَائِمِينَ عَلَى الضَّلَالَةِ، وَالْمُرْتَشِيِينَ الَّذِينَ اسْتَمْتَعَا بِخِلَاقِهِمَا، فَلَا يَهْدَتَكَ إِرْعَادُهُمَا وَإِبْرَاقُهُمَا، وَأُجْبِهَمَا إِنْ كُنْتَ لَمْ تَجْبِهْهُمَا بِمَا هُمَا أَهْلُهُ، فَإِنَّكَ تَجِدُ مَقَالًا مَا شِئْتَ، وَالسَّلَامُ.»^{١٦٢٣}

أقول: لَمَّا آل أمر التحكيم إلى ما آل إليه، جمع معاوية من كان معه من قريش، و فيهم عمرو بن العاص و حبيب بن مسلمة، و شاورهم في أمر مصر، و تكلم من تكلم، و أجمع رأيهم على مكاتبه شيعة عثمان بمصر فكاتبوهم، ثم عزموا على إرسال عمرو بن العاص إليها في ستة آلاف رجل، فخرج عمرو حتى دنا مصر، و لاقى محمد بن أبي بكر عامل على مصر، فنزل أدانى مصر فاجتمعت إليه العثمانيّة، فأقام بها، و كتب إلى محمد بن أبي بكر:

أما بعد؛ ففتح عني بدمك يا ابن أبي بكر، فإنني لا أحب أن يصيبك مني ظفر، و إن الناس بهذه البلاد قد اجتمعوا على خلافك، و رفض أمرك؛ و ندموا على أتباعك، و هم مسلموك لو قد التقت حلقتا البطان^{١٦٢٤}، فأخرج منها إنني لك من

ص: ٥٥٤

النّاصحين، و السّلام.

قال: و بعث عمرو أيضاً مع هذا الكتاب بكتاب معاوية إليه، و فيه:

أما بعد؛ فإن غبّ البغي و الظلم عظيم الوبال، و إن سفك الدّم الحرام لا يسلم صاحبه من النّقمه في الدنيا، و التّبعة الموبقة في الآخرة، و ما نعلم أحداً كان أعظم على عثمان بغياً، و لا أسوأ له عيباً، و لا أشدّ عليه خلافاً منك، سعت عليه في السّاعين، و ساعدت عليه مع المساعدين، و سفكت دمه مع السّافكين، ثم أنت تظنّ أنّي عنك نائم، ثم تأتي بلدة فتأمن فيها و جلّ أهلها أنصاري؛ يرون رأيي، و يرفعون قولي، و يستصرخونني عليك، و قد بعثت إليك قوماً حناقاً عليك، يستسفكون دمك، و يتقربون إلى الله بجهداك، قد أعطوا الله عهداً ليقتلنك، و لو لم يكن منهم إليك ما قالوا، لقتلك الله بأيديهم أو بأيدي غيرهم من أوليائه، فأحذرك و أنذرك، و أحبّ أن يقتلوك بظلمك و وقيعتك و عدوانك على عثمان يوم الدّار، تطعن بمشاقصك فيما بين أحشائه و أوداجه، و لكنني أكره أن تقتل، و لن يسلمك الله من القصاص أين كنت و السّلام.

قال: فطوى محمد بن أبي بكر كتابيهما، و بعث بهما إلى عليّ عليه السلام، و كتب إليه:

أما بعد؛ فإنّ العاصي ابن العاص قد نزل أدانى مصر، و اجتمع إليه من أهل البلد كل من كان يرى رأيهم، و قد جاء في جيش جرّار، و قد رأيت ممّن قبلي بعض الفشل، فإن كان لك في أرض مصر حاجة فأمددني بالأموال و الرّجال، و السّلام.

[فكتب إليه عليّ عليه السلام ... ما تقدّم.

^{١٦٢٣} (٢). الغارات: ج ١ ص ٢٧٨، بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٥٥٨ ح ٧٢٢؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٦ ص ٨٤، تاريخ الطبري: ج ٥ ص ١٠٢ و راجع: أنساب الأشراف: ج ٣ ص ١٦٩، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٤١٢، البداية و النهاية: ج ٧ ص ٣١٥.
^{١٦٢٤} (٣) في الصحاح: البطان، للقتب الحزام الذي يجعل تحت بطن البعير.

و كتب مُحَمَّدٌ إلى معاويةَ و عمرو جواب كتابهما، و أقبل عمرو بن العاص إلى مصر و استنفر علىّ عليه السلام أهل الكوفة، فرأى فيهم التّواني و التّواكل و الفشل، فوعظهم فلم ينفعهم الوعظ و الإنذار، ففرب عمرو من مصر، فقام مُحَمَّدٌ في أهل مصر

ص: ٥٥٥

خطيباً و قال، في آخرها: [

انتدبوا إلى هؤلاء رحمكم الله مع كِنَانَةَ بن بشر، و من يجيب معه من كِنْدَةَ، فانتدب معه نحو ألفي رجل، و خرج مُحَمَّدٌ في نحو ألفين، و استقبل عمرو كِنَانَةَ و هو على مُقَدَّمَةٍ مُحَمَّدٍ، فأقبل عمرو نحو كِنَانَةَ، فلمّا دنا منه سرّح نحوه الكتائب كتيبةً بعد كتيبةً، فجعل كِنَانَةَ لا يأتيه كتيبةً من كتائب أهل الشّام إلّا شدّ عليها بمن معه فيضربها حتّى يلحقها بعمرو، ففعل ذلك مراراً، فلمّا رأى عمرو ذلك، بعث إلى معاويةَ بن حُدَيْجِ الكِنْدِيِّ فأتاه في مثل الدّهم^{١٦٢٥}، فلمّا رأى كِنَانَةَ ذلك الجيش نزل عن فرسه و نزل معه أصحابه، فضاربهم بسيفه و هو يقول: و ما كانَ لِنَفْسِي أَنْ تَمُوتَ إلّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَاباً مُؤَجَّلًا، و مَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا، و مَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا، و سَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ. ثُمَّ ضَارِبَهُمْ بِسَيْفِهِ حَتَّى اسْتَشْهَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ.^{١٦٢٦}

١٤٢ كتابه عليه السلام إلى سعد بن مسعود

و قال الطّبري: لما أراد علىّ عليه السلام المسير إلى معاويةَ بعد قصّة الحَكَمِينَ كتب إلى سعد بن مسعود التّقفى، و هو عامله على المَدَائِنِ:

«أَمَا بَعْدُ؛ فَإِنِّي قَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ زِيَادَ بْنَ خَصْفَةَ، فَأَشْخِصْ مَعَهُ مَنْ قَبْلَكَ مِنْ مُقَاتِلَةِ أَهْلِ الكُوفَةِ، وَعَجِّلْ ذَلِكَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ».^{١٦٢٧}

ص: ٥٥٦

أقول: سعد بن مسعود التّقفى عمّ المختار بن أبي عبيد، ذكره البخارى في الصّحابة، و الطّبرانيّ فيمن له صحبة، و ذكر أبو مِخْنَفٍ أَنَّ عَلِيًّا وَلَّاهُ بَعْضَ عَمَلِهِ، ثُمَّ اسْتَصْحَبَهُ مَعَهُ إِلَى صَفِّينَ.^{١٦٢٨} [

قال نصر: و بعث سعد بن مسعود إلى أستان الزّوابيّ، و الزّوابيّ،^{١٦٢٩} و لما أراد أمير المؤمنين عليه السلام المسير إلى صفّين أمره على قيس، و عبد القيس أحد أسباع الكوفة.^{١٦٣٠} و ظاهر الطّبري، أن سعداً خرج مع من خرج بين الكوفة إلى ذى قار،

^{١٦٢٥} (١) في النهاية: الدهم: العدد الكثير.
^{١٦٢٦} (٢) الغارات: ج ١ ص ٢٧٦-٢٨٢، و راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٦ ص ٧٨-٩٢، تاريخ الطبري: ج ٥ ص ١٠-١٠٥، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٤١١-٤١٤، أنساب الأشراف: ج ٣ ص ١٦٩-١٧٣، البداية و النهاية: ج ٧ ص ٣١٥-٣١٧.
^{١٦٢٧} (٣) تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٨٠.
^{١٦٢٨} (١) راجع: الإصابة، الاستيعاب و أسد الغابة.

و شهد الجمل مع عليّ عليه السلام، و كان على سُبُع قيس، فلمّا انقضت الحرب، و أراد عليّ عليه السلام المسير إلى الشّام، و ورد المدائن، شَخَص معه من فيها من المقاتلة، و ولّى على المدائن سَعْد بن مسعود الثَّقَفِيّ، عمّ المختار بن أبي عبيد.

و ظاهره أنّه لم يشهد صفّين، بل كان ابتداء عمله بعد الجمل حين ورد عليّ عليه السلام المدائن، و هو يريد صفّين، و ظاهر عبارة نصر، أنّه ولّاه إيّاها بعد وقعة الجمل، و أشخصه معه إلى صفّين.

و كان سَعْد على المدائن فلمّا وقع التّحكيم، و خرجت الخوارج، فمروا على المدائن، فتحذر منهم سعد، و أغلق أبواب المدائن، و خرج في طلبهم في خمسمائة، و لحقهم بالكرك حتّى حَجَزَ بينهم اللّيل، و خرجت الخوارج في ظلمة اللّيل، و عبروا النّهر، فرجع سعد إلى المدائن، فلمّا سار عليّ عليه السلام إليهم سار سَعْد معه.

ص: ٥٥٧

و لمّا أراد أمير المؤمنين عليه السلام المسير إلى صفّين ثانياً، كتب إليه الكتاب المتقدّم، و لمّا قتل - صلوات الله عليه - أقرب الحسن عليه السلام على عمله، فلمّا جرح الحسن عليه السلام بالمدائن نزل على سعد، فأقام يعالج جرحه، فقال المختار لسعد - و هو غلام شاب -:

هل لك في الغني و الشرف؟

قال: و ما ذاك؟

قال: تستوثق الحسن، و تستأمن به إلى معاوية.

فقال: عليك لعنة الله، أثب عليّ ابن بنت رسول الله صلى الله عليه و آله، فأوثقته! بئس الرّجل أنت! ١٦٣١

ص: ٥٥٩

تصدير ٧

المقدّمة ٩

- نبذة من سيرة آية الله الميرزا عليّ الأحمدى الميانجي ٩

^{١٦٢٩} (٢) عن ياقوت: نهران فوق بغداد، و نهران تحتها، يقال لكل واحد منها الرّاب، و ربّما قيل لكل واحد زاوي، و تثنيته زاويان، و إذا جمعت قيل لها الزوابي.

^{١٦٣٠} (٣) وقعة صفّين: ص ١١٧.

^{١٦٣١} (١) راجع: تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥٠٠ و ج ٥ ص ٨٣ و ١٥٩، مقاتل الطالبين: ص ٦٤؛ الإرشاد: ج ٢ ص ١٣، قاموس الرجال: ج ٥ ص ٦٤ الرقم ٣١٨٦، بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٢٣ - ٦٩.

-- ولادته ٩

-- أسرته ٩

-- دراسته ١٠

-- تدريسه ١١

-- بحوثه و مؤلفاته ١١

-- تفسيره للقرآن ١٢

-- صفاته ١٣

-- عطاؤه الاجتماعى، و الثقافى، و السياسى ١٤

-- وفاته ١٥

-- وصيته ١٥

-- الكتاب الذى بين أيديكم ١٨

الفصل الأول: مكاتيبه عليه السلام قبل خلافته الباب الأول: مكاتيبه فى زمن رسول الله صلى الله عليه وآله ٢٥

ص: ٥٦٠

الباب الثانى: مكاتيبه عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله إلى حين خلافته ٢٩

١- كتابه عليه السلام إلى أبى بكر ٢٩

٢- كتابه عليه السلام إلى سلمان الفارسى ٣١

- كتابه عليه السلام إلى سلمان ٣١

- سلمان الفارسى ٣٢

٣- كتابه عليه السلام إلى أبى ذر ٣٨

- أبو ذرّ الغفاريّ ٣٨

٤- كتابه عليه السلام إلى قيصر الروم ٥٠

٥- كتابه عليه السلام إلى عمر بن الخطّاب ٥٤

الفصل الثاني: مكاتيبه عليه السلام بعد خلافته حتّى الوصول إلى الكوفه

٦- كتابه عليه السلام إلى معاوية ٥٧

٧- كتابه عليه السلام إلى معاوية ٦٢

٨- كتابه عليه السلام إلى معاوية ٦٢

٩- كتابه عليه السلام إلى طلحة و الزبير ٦٢

١٠- كتابه عليه السلام إلى بعض عمّاله ٦٤

١١- كتابه عليه السلام إلى أبي موسى الأشعريّ ٦٥

١٢- كتابه عليه السلام إلى أبي موسى الأشعريّ ٦٦

- أبو موسى الأشعريّ ٦٦

١٣- كتابه عليه السلام إلى أهل الكوفه ٧٢

- عمّار بن ياسر ٧٥

- هاشم بن عتبة ٨٦

- جابر بن عبد الله الأنصاريّ ٩١

ص: ٥٦١

١٤- كتابه عليه السلام إلى حذيفة بن اليمان ٩٣

١٥- كتابه عليه السلام إلى حذيفة بن اليمان ٩٤

- حذيفة بن اليمان ٩٦
- ١٦- كتابه عليه السلام إلى قيس بن سعد ٩٩
- ١٧- كتابه عليه السلام إلى أهل مصر ١٠٢
- عبید اللّٰه بن أبي رافع ١٠٣
- علیّ بن أبي رافع ١٠٤
- ١٨- كتابه عليه السلام إلى امراء الأجناد ١٠٤
- ١٩- كتابه عليه السلام إلى عثمان بن حنيف الأنصاريّ ١٠٤
- ٢٠- كتابه عليه السلام إلى أهل الكوفة ١٠٨
- ٢١- كتابه عليه السلام إلى أهل الكوفة ١٠٨
- ٢٢- كتابه عليه السلام إلى عثمان بن حنيف ١٠٩
- عثمان بن حنيف ١١٠
- ٢٣- كتابه عليه السلام إلى أهل الكوفة ١١١
- ٢٤- كتابه عليه السلام إلى مَنْ بالكوفة ١١٣
- ٢٥- كتابه عليه السلام إلى طلحة و الزبير ١١٥
- ٢٦- كتابه عليه السلام إلى طلحة و الزبير و عائشة ١١٥
- ٢٧- كتابه عليه السلام إلى عائشة ١١٧
- ٢٨- كتابه عليه السلام إلى عائشة ١١٨
- ٢٩- كتابه عليه السلام إلى أمّ هانئ بنت أبي طالب ١١٨
- عبد الرحمن بن عتاب ١١٩

- بنو مخدوع ١٢٠

- زيد بن صوحان ١٢٤

ص: ٥٤٢

- اويس القرنى ١٣٧

- سيحان بن صوحان العبدى ١٤١

- صعصعة بن صوحان العبدى ١٤٢

- ثابت بن قيس ١٦٧

- علباء بن الهيثم السدوسى من ربيعة ١٦٩

- هند بن عمرو الجملى ١٧١

- خالد بن معمر ١٧٣

٣٠- كتابه عليه السلام لماهويه ١٧٥

٣١- كتابه عليه السلام إلى أبى موسى الأشعرى ١٧٥

٣٢- كتابه عليه السلام إلى أهل المدينة ١٧٦

٣٣- كتابه عليه السلام إلى أهل الكوفة ١٧٨

٣٤- كتابه عليه السلام إلى قرظة بن كعب ١٧٨

- قرظة بن كعب الأنصارى الخزرجى ١٨٠

٣٥- كتابه عليه السلام إلى عبد الله بن عباس ١٨١

- و هنا أمور ينبغى التنبيه عليها ١٨٧

٣٦- كتابه عليه السلام إلى معاوية ٢١٦

٣٧- كتابه عليه السلام إلى معاوية ٢١٨

٣٨- كتابه عليه السلام إلى معاوية ٢٢٠

٣٩- كتابه عليه السلام إلى معاوية ٢٢٠

٤٠- كتابه عليه السلام إلى أشعث بن قيس ٢٢١

٤١- كتابه عليه السلام إلى الأشعث ٢٢٢

- الأشعث بن قيس ٢٢٦

٤٢- كتابه عليه السلام إلى معاوية ٢٣٣

ص: ٥٦٣

٤٣- كتابه عليه السلام إلى معاوية ٢٣٦

٤٤- كتابه عليه السلام إلى جرير بن عبد الله ٢٣٧

٤٥- كتابه عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر ٢٤١

- محمد بن أبي بكر ٢٤٢

٤٦- كتابه عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر ٢٤٥

٤٧- كتابه عليه السلام لمحمد بن أبي بكر و أهل مصر ٢٤٧

٤٨- عهد له عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر ٢٥٩

٤٩- كتابه عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر ٢٦١

٥٠- كتابه عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر ٢٦٢

٥١- كتابه عليه السلام إلى عبد الله عمر ٢٦٢

٥٢- كتابه عليه السلام إلى أسامة بن زيد ٢٦٣

٥٣- كتابه عليه السلام إلى ابن عباس ٢٦٣

٥٤- كتابه عليه السلام إلى مخنف بن سليم: ٢٦٤

- مخنف بن سليم ٢٦٥

٥٥- كتابه عليه السلام إلى عامله بالموصل ٢٦٦

٥٦- كتابه عليه السلام إلى معاوية ٢٦٧

٥٧- كتابه عليه السلام إلى معاوية ٢٧٦

- كتابه عليه السلام إلى معاوية ٢٧٧

٥٨- كتابه عليه السلام إلى معاوية ٢٧٨

٥٩- كتابه عليه السلام إلى معاوية ٢٧٨

٦٠- كتابه عليه السلام إلى معاوية ٢٨٠

٦١- كتابه عليه السلام إلى معاوية ٢٨٣

٦٢- كتابه عليه السلام إلى معاوية ٢٨٧

ص: ٥٦٤

٦٣- كتابه عليه السلام إلى معاوية ٢٨٩

٦٤- كتابه عليه السلام إلى معاوية ٢٩٠

٦٥- كتابه عليه السلام إلى معاوية ٢٩١

٦٦- كتابه عليه السلام إلى معاوية ٢٩١

٦٧- كتابه عليه السلام إلى معاوية ٢٩٢

٦٨- كتابه عليه السلام إلى معاوية ٢٩٣

- ٢٩٤-٦٩- كتابه عليه السلام إلى معاوية ٢٩٤
- ٢٩٤-٧٠- كتابه عليه السلام إلى معاوية ٢٩٤
- ٢٩٦-٧١- كتابه عليه السلام إلى عبد الله بن عامر ٢٩٦
- ٢٩٧-٧٢- كتابه عليه السلام إلى أهل الكوفة ٢٩٧
- ٢٩٨-٧٣- كتابه عليه السلام إلى مروان ٢٩٨
- ٢٩٩-٧٤- كتابه عليه السلام إلى معاوية ٢٩٩
- ٣٠٠-٧٥- كتابه عليه السلام إلى معاوية ٣٠٠
- ٣٠١-٧٦- كتابه عليه السلام إلى معاوية ٣٠١
- ٣٠٢-٧٧- كتابه عليه السلام إلى معاوية ٣٠٢
- ٣٠٣-٧٨- كتابه عليه السلام إلى معاوية ٣٠٣
- ٣٠٣-٧٩- كتابه عليه السلام إلى معاوية ٣٠٣
- ٣٠٤-٨٠- كتابه عليه السلام إلى أهل البصرة ٣٠٤
- ٣٠٤-٨١- كتابه عليه السلام إلى عمرو بن العاص ٣٠٤
- ٣٠٥-٨٢- كتابه عليه السلام إلى معاوية ٣٠٥
- ٣٠٦-٨٣- كتابه عليه السلام إلى معاوية ٣٠٦
- ٣٠٧-٨٤- كتابه عليه السلام إلى معاوية ٣٠٧

ص: ٥٦٥

الفصل الثالث: مكاتيبه من الكوفة إلى نهاية حرب صفين

٣١٧-٨٥- كتابه عليه السلام إلى معاوية ٣١٧

- ٨٦- كتابه عليه السلام إلى ابن عباس ٣١٩
- ٨٧- كتابه عليه السلام إلى عمر بن أبي سلمة ٣٢١
- النعمان بن العجلان ٣٢١
- ٨٨- كتابه عليه السلام إلى معاوية ٣٢١
- ٨٩- كتابه عليه السلام إلى معاوية ٣٢٢
- ٩٠- كتابه عليه السلام إلى زياد بن النضر و شريح ٣٢٥
- زياد بن النضر الحارثي ٣٢٨
- شريح بن هانئ بن يزيد الحارث بن كعب ٣٣٠
- رشيد الهجرى ٣٣٣
- ٩١- كتابه عليه السلام إلى الأشر ٣٣٥
- ٩٢- كتابه عليه السلام إلى زياد بن النضر و شريح ٣٣٧
- زياد بن النضر ٣٣٩
- شريح بن هانئ ٣٤٠
- ٩٣- كتابه عليه السلام إلى جرير بن عبد الله ٣٤١
- زحر بن قيس الجعفى ٣٤٣
- ٩٤- كتابه عليه السلام إلى جرير بن عبد الله ٣٤٤
- ٩٥- كتابه عليه السلام إلى معاوية ٣٤٤
- ٩٦- كتابه عليه السلام إلى معاوية ٣٤٥
- ٩٧- كتابه عليه السلام إلى معاوية ٣٤٦

٣٤٦ - كتابه عليه السلام إلى مخنف بن سليم ٣٤٦

- مخنف بن سليم بن الحارث بن عوف ٣٥٠

ص: ٥٦٦

- عدى بن حاتم ٣٥١

- مالك بن حبيب ٣٥٧

٩٩ - كتابه عليه السلام إلى ابن بديل ٣٥٨

- عبد الله بن بديل ٣٥٨

١٠٠ - كتابه عليه السلام إلى الأسود بن قطنه ٣٦١

١٠١ - كتابه عليه السلام إلى الأسود بن قطبة ٣٦٢

١٠٢ - كتابه عليه السلام إلى أميرين من أمراء جيشه ٣٦٣

١٠٣ - كتابه عليه السلام إلى أمراءه على الجيش ٣٦٣

١٠٤ - كتابه عليه السلام إلى أمراء الأجناد ٣٦٤

١٠٥ - كتابه عليه السلام إلى جنوده ٣٦٥

١٠٦ - كتابه عليه السلام إلى معاوية ٣٦٦

١٠٧ - كتابه عليه السلام إلى معاوية ٣٧١

١٠٨ - كتابه عليه السلام إلى عمرو بن العاص ٣٧١

١٠٩ - كتابه عليه السلام إلى عمرو بن العاص ٣٧٢

١١٠ - كتابه عليه السلام إلى معاوية ٣٧٣

١١١ - كتابه عليه السلام إلى معاوية ٣٧٣

١١٢- كتابه عليه السلام إلى معاوية ٣٧٦

١١٣- كتابه عليه السلام إلى معاوية ٣٧٧

١١٤- كتابه عليه السلام إلى معاوية ٣٧٩

١١٥- كتابه عليه السلام إلى معاوية ٣٨١

١١٦- كتابه عليه السلام إلى معاوية ٣٨٢

١١٧- كتابه عليه السلام إلى معاوية ٣٨٢

١١٨- كتابه عليه السلام إلى عمرو بن العاص ٣٨٤

ص: ٥٦٧

١١٩- كتابه عليه السلام إلى عمرو بن العاص ٣٨٤

١٢٠- كتابه عليه السلام إلى سعد بن مسعود ٣٨٥

- سعد بن مسعود الثقفي ٣٨٦

١٢١- كتابه عليه السلام إلى سهل بن حنيف ٣٨٧

- سهل بن حنيف ٣٩٠

١٢٢- كتابه عليه السلام إلى المنذر بن الجارود ٣٩٢

- المنذر بن الجارود العبدي ٣٩٤

١٢٣- كتابه عليه السلام إلى مالك بن كعب الأرحبي ٣٩٦

- مالك بن كعب ٣٩٩

١٢٤- كتابه عليه السلام إلى أبي موسى الأشعري ٤٠٢

١٢٥- كتابه في الصلح ٤٠٣

- خطبة على في التحكيم ٤١٨

- حجر بن عدى ٤٣٠

- الضحاک بن قيس الهلالي ٤٤١

- أبو أيوب الأنصاري ٤٤٢

- أبو الهيثم ٤٤٤

- خزيمه بن ثابت ذو الشهادتين ٤٤٦

١٢٦- كتابه عليه السلام إلى أبي موسى الأشعري ٤٤٧

١٢٧- كتابه عليه السلام إلى أبي موسى الأشعري ٤٤٨

١٢٨- كتابه عليه السلام إلى عمرو بن أبي سلمة ٤٤٩

١٢٩- كتابه عليه السلام إلى قرظة بن كعب ٤٥٠

- قرظة بن كعب الأنصاري ٤٥١

- أبو مسعود البدرى ٤٥٢

ص: ٥٦٨

١٣٠- كتابه عليه السلام إلى رفاعه بن شداد ٤٥٤

١٣١- كتابه عليه السلام إلى مالك الأشتر ٤٥٩

- مالك الأشتر ٤٦٠

- عمرو بن الحمق الخزاعي ٤٧١

١٣٢- كتابه عليه السلام إلى أهل مصر ٤٧٨

١٣٣- كتابه عليه السلام إلى الأشتر النخعي ٤٧٨

- ١٣٤- كتابه عليه السلام إلى أهل مصر ٤٩٢
- ١٣٥- كتابه عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر ٤٩٣
- كنانة بن بشر بن عتاب التجيبي ٤٩٧
- ١٣٦- كتابه عليه السلام إلى قيس بن سعد بن عبادة ٤٩٨
- قيس بن سعد بن عبادة ٤٩٨
- عبد الله بن شبيل الأحمسيّ ٥٢٣
- الأحنف بن قيس ٥٢٣
- ١٣٧- كتابه عليه السلام إلى أهل الأمصار ٥٢٩
- ١٣٨- كتابه عليه السلام لنصارى نجران ٥٢٩
- ١٣٩- كتابه عليه السلام إلى يزيد بن قيس ٥٣١
- يزيد بن قيس الهمدانيّ ثمّ الأرحبيّ ٥٣٢
- ١٤٠- كتابه عليه السلام إلى الامام الحسن عليه السلام ٥٣٨
- ١٤١- كتابه عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر ٥٥٢
- ١٤٢- كتابه عليه السلام إلى سعد بن مسعود ٥٥٥